



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْهَاجَ الْكَلَامِ

وَمَعْرِفَةَ الْأَمَامَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ وَالْعَاقِبَةُ لَهُمُ الْمَرْضُوقَاتُ

وَالرِّبُّ عَلَى مَنهَاجِ الشَّيْخِ الرَّسُولِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

المجلد ١-٣

تأليف

السيد محمد باقر المجلسي القمي الكوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح منهاج الكرامه فى معرفه الامامه

كاتب:

آيت الله على حسينى ميلانى

نشرت فى الطباعة:

مركز الحقايق الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٩	شرح منهاج الكرامه فى معرفه الامامه
١٩	اشاره
٢٠	المجلد ١
٢٠	اشاره
٢٤	كلمه المركز
٢٤	متن كتاب منهاج الكرامه فى معرفه الإمامه
٢٤	اشاره
٣٠	الفصل الأول: فى نقل المذاهب فى هذه المسأله
٣٢	الفصل الثانى: فى أن مذهب الإماميه واجب الاتباع
٣٢	اشاره
٣٣	الوجه الأول
٤٣	الوجه الثانى: فى الدلاله على وجوب أتباع مذهب الإماميه
٤٣	الوجه الثالث
٤٤	الوجه الرابع
٥٣	الوجه الخامس
٤٢	الوجه السادس
٤٢	اشاره
٧٢	المطاعن فى الجماعه
٨٢	الفصل الثالث: فى الأدله الداله على إمامه أمير المؤمنين
٨٢	اشاره
٨٢	المنهج الأول: فى الأدله العقلية
٨٤	المنهج الثانى: فى الأدله المأخوذه من القرآن
١٠١	المنهج الثالث: فى الأدله المستنده إلى السنه المنقوله عن النبى و هى اثنا عشر:
١٠٧	المنهج الرابع: فى الأدله على إمامته المستنبطه من أحواله و هى اثنا عشر:
١٢١	الفصل الرابع: فى إمامه باقى الأئمه الاثنا عشر عليهم السلام
١٢٣	الفصل الخامس: فى أن من تقدمه لم يكن إماماً
١٢٧	الفصل السادس: فى نسخ حججهم على إمامه أبى بكر
١٣١	شرح منهاج الكرامه ه الردُّ على منهاج ابن تيمته

١٣١	اشاره
١٣٣	مقدمه الشارح
١٣٥	شرح المقدمه
١٣٥	اشاره
١٣٥	مكانه الإمامه في الدين
١٣٩	الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسأله
١٣٩	اشاره
١٤١	الإشاره إلى اصول الدين عند الاماميه
١٤٢	نصب الإمام لطف
١٤٤	الإشاره إلى اصول الدين عند أهل السنه
١٤٤	اشاره
١٤٧	قولهم: النبي لم ينص على أحد
١٤٩	من الشواهد على عدم النص على أبي بكر
١٥٤	إمامه أبي بكر كانت ببيعه عمر
١٥٩	تراجم الذين انعقدت خلافه أبي بكر برضاهم
١٦٠	إمامه عمر بنص أبي بكر
١٦١	البيعه لعثمان في الشورى
١٦٣	إمامه على عليه السلام ببيعه المسلمين
١٦٦	قول أهل السنه بإمامه بنى أميه و بنى العباس
١٧٣	الفصل الثاني: في أنّ مذهب الإماميه واجب الاتباع
١٧٣	اشاره
١٧٥	الآراء المختلفه من الناس بعد النبي صلى الله عليه و آله
١٨١	في أن أبا بكر طلب الأمر لنفسه
١٨٤	دفاع ابن تيميه عن عمر بن سعد
١٩٠	الكثره لا تستلزم الصواب
١٩١	طلب الإمام الأمر بحق
١٩٣	الأدله على وجوب اتباع مذهب الإماميه
١٩٣	اشاره
١٩٣	الوجه الأول

- ١٩٣
- ١٩٤ موجز عقائد الإماميه فى صفات البارى والأنبياء والأئمه
- ١٩٥ إزاء ابن تيميه بأئمه أهل البيت
- ١٩٩ موجز عقائد غير الإماميه و ما يرد عليها
- ٢٠٤ كلام الإمام الكاظم عليه السلام فى أن المعصيه ممتن؟
- ٢٠٨ عقيدته أهل السنه فى عصمه الأنبياء
- ٢١٠ عقيدته أهل السنه فى الأئمه و الإمامه
- ٢١٣ ابتداعهم للقياس
- ٢١٤ إضطرارهم إلى القول بأمرٍ شنيعه
- ٢٢٢ من موارد جهل الضحابه بالأحكام
- ٢٢٨ الوجه الثانى
- ٢٢٨ اشاره
- ٢٢٨ استدلال النصير الطوسى
- ٢٣٢ الوجه الثالث
- ٢٣٢ اشاره
- ٢٣٢ جزم الإماميه بحصول النجاه لهم
- ٢٣٥ الوجه الرابع
- ٢٣٥ اشاره
- ٢٣٥ تعريف مجمل بالأئمه الاثنى عشر عليهم السلام
- ٢٣٦ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٣٨ كثره معجزاته
- ٢٣٩ الحسن و الحسين عليهما السلام
- ٢٤٢ زهدهما و علمهما
- ٢٤٤ جهادهما
- ٢٤٥ بين الحسين و إبراهيم ابن رسول الله
- ٢٤٨ الإمام على بن الحسين عليه السلام
- ٢٥٣ استلزامه الحجر و شعر الفرزدق
- ٢٥٦ الإمام محمّد الباقر عليه السلام
- ٢٥٧ موجز ترجمه إمامهم الزهري
- ٢٦٠ سقاه رسول الله الباقر

- ٢٤١ روى عنه أبو حنفيه و غيره -
- ٢٤٢ الإمام جعفر الصادق عليه السلام -
- ٢٤٥ انتشار العلوم منه -
- ٢٤٨ الإمام موسى الكاظم عليه السلام -
- ٢٧٢ قضه شقيق البلخي -
- ٢٧٤ توبه بشر الحافي على يده -
- ٢٧٦ الإمام على الرضا عليه السلام -
- ٢٧٩ أخذ الفقهاء عنه -
- ٢٨٣ ترجمه أبي الصلت الهروي -
- ٢٨٤ إسلام معروف الكرخي على يده -
- ٢٨٦ قضيه زيد النار -
- ٢٨٩ روايات في فضل زيد بن علي -
- ٢٩٢ مدح أبي نؤاس الرضا عليه السلام -
- ٢٩٣ ترجمه أبي نؤاس -
- ٢٩٧ شعر أبي نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام -
- ٣٠٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام -
- ٣٠١ قضه يحيى بن أكنم -
- ٣٠٤ الإمام على الهادي عليه السلام -
- ٣٠٤ ما لاقاه من المتوكل -
- ٣١٢ ترجمه المسعودي -
- ٣١٥ الإمام الحسن العسكري عليه السلام -
- ٣١٦ روت عنه العاتمه كثيراً -
- ٣٢٨ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف -
- ٣٣٢ ١- الاعتقاد بالمهدي من ضروريات الدين -
- ٣٣٣ ٢- من أشهر المؤلفين من أهل السنه في المهدي -
- ٣٣٥ ٣- من أشهر القائلين بصحة أخبار المهدي أو تواترها -
- ٣٣٧ ٤- المهدي من هذه الأمة -
- ٣٤٠ ٥- المهدي من عتره النبي و أهل بيته -
- ٣٤١ ٦- المهدي من ولد فاطمه -
- ٣٤٢ ٧- المهدي من ولد الحسين -

٣٤٩	٨-ذكر بعض من قال بأن المهدي هو ابن الحسن العسكري
٣٥٠	النظر في كلام ابن تيميه و الرد عليه
٣٥٠	نسبه القول بأن الإمام العسكري لم يعقب إلى الطبري
٣٥٦	مسأله طول العمر
٣٥٩	حديث: اسم أبيه اسم أبي
٣٦٥	اضطهاد الحكام لأهل البيت و شيعتهم
٣٦٥	كلام لأبي بكر الخوارزمي
٣٧٦	كلام للسيد علي بن معصوم المدني
٣٨١	كلام للسيد حيدر الأملی
٣٨١	نظر و اعتبار
٣٨٥	كلام لأبي جعفر الإسكافي
٣٨٨	الأوقاف و الرواتب لأئمه أتباع المذاهب الأربعة
٣٩٣	بعض علمائهم على دين الإماميه في الباطن
٣٩٦	المجلد ٢
٣٩٦	اشاره
٤٠٠	تممه الفصل الثاني
٤٠٠	تممه الادله على وجوب اتباع مذهب الاماميه
٤٠٠	الوجه الخامس: من الوجوه الداله على أن مذهب الإماميه واجب الاتباع
٤٠٠	اشاره
٤٠٢	إن الإماميه لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق
٤٠٢	منعهم سنن الشريعه لأنها شعار للشيعه
٤٠٢	تسطيح القبور
٤٠٥	جواز الضلله على أحاد المسلمين
٤٠٦	التختم في اليمين
٤٠٦	كفيته العمامه
٤٠٩	من البدع و المحدثات الباقيه إلى الآن
٤٠٩	ذكر الخلفاء في الخطبه!
٤١٦	غسل الرجلين في الوضوء
٤٢١	دلالة الكتاب على المسح
٤٢٧	دلالة السنه على المسح

- ٤٣١ الإضطراب و التلاعب بالأحاديث
- ٤٣٣ عمده الدليل من السنه على الغسل
- ٤٣٤ الكلام على حديث الأعتاب
- ٤٣٧ اللجوء إلى الإحتياط
- ٤٤٠ تحريم المتعتين
- ٤٤٩ مسأله فذك
- ٤٧٢ كلام ابن تيميه
- ٥٠٠ خطبه على ابنه أبى جهل خبر مفعل
- ٥١٥ إعطاء أبى بكر المال لجابر بلا بينه
- ٥١٨ تسميه أبى بكر بالصديق
- ٥٢٣ تسميه أبى بكر(خليفه)
- ٥٢٣ اشاره
- ٥٢٤ كان أبو بكر فى جيش اسامه
- ٥٢٨ تسميه عمر(الفاروق)
- ٥٢٨ اشاره
- ٥٢٩ من رواه الحديث الأوّل
- ٥٣٠ من رواه الحديث الثانى
- ٥٣٢ تعظيمهم عائشه و قضايها مع النبى و على
- ٥٣٢ اشاره
- ٥٣٤ إذاعه عائشه سرّ رسول الله
- ٥٣٧ إخبار النبى بخروجها على على
- ٥٣٩ مخالفتها لنصّ الكتاب
- ٥٤٤ خروجها تقود الجيوش!
- ٥٤٤ فى أنها كانت من المحرضين ضدّ عثمان
- ٥٥٢ تسميتهم عائشه فقط بأمر المؤمنين
- ٥٥٤ تسميتهم معاويه(خال المؤمنين)
- ٥٥٤ اشاره
- ٥٥٥ لعن التّى معاويه
- ٥٥٤ أمره بقتله
- ٥٥٩ حارب الإمام الحق

- ٥٤١ تسميتهم معاويه (كاتب الوحي) -
- ٥٤١ اشاره -
- ٥٤٨ موته على غير السنه -
- ٥٧٠ لعن الله القائد و المقود -
- ٥٧١ محاربه علياً و قتله خيار الصحابه -
- ٥٧٢ لعنه أمير المؤمنين -
- ٥٧٥ في أنه سم الحسن -
- ٥٧٦ في قتل يزيد بن معاويه الحسين -
- ٥٩٣ إشاره إلى أبي سفيان و هند -
- ٥٩٥ تسميه خالد(سيف الله) -
- ٥٩٥ اشاره -
- ٥٩٦ على الأحق بهذا اللقب -
- ٦٠٠ علي سيف الله و سهمه -
- ٦٠٣ خالد قبل التظاهر بالإسلام -
- ٦٠٤ خالد بعد التظاهر بالاسلام -
- ٦٠٦ في قول النبي لعلي و أهل البيت:أنا حرب لمن حاربكم...
- ٦١٠ في غاره خالد على بنى جذيمه: -
- ٦١٠ اشاره -
- ٦١٠ إنه بعث داعياً لا مقاتلاً -
- ٦١٣ كانوا مسلمين -
- ٦١٥ التسبب الأصلي للغاره -
- ٦١٨ اعتذار القوم لخالد! -
- ٦١٩ إرسال النبي علياً -
- ٦٢١ ما فعله خالد بأهل اليمامه و هم مسلمون -
- ٦٢٢ الإشاره إلى مالك بن نويرة -
- ٦٢٣ في أن حروب أمير المؤمنين كانت بأمر من رسول الله -
- ٦٢٦ بين معاويه و إبليس -
- ٦٢٨ قول بعضهم بإمامه يزيد -
- ٦٣٧ قول بعضهم بكفره و لعنه -
- ٦٤٤ مما حدث في العالم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام -

- ٦٤٦ وصية النبي بالحسين
- ٦٤٧ توقف بعضهم في لعن يزيد
- ٦٤٨ حديث ابن عباس في عذاب قاتل الحسين
- ٦٤٩ حكاية السدى
- ٦٥٠ كلام أحمد بن حنبل في يزيد
- ٦٥١ واقعه الحزه
- ٦٥١ ضرب الكعبه بالمنجنيق
- ٦٥٢ و من الأحاديث في عذاب قاتل الحسين
- ٦٥٤ الوجه السادس: من الوجوه الدالة على أن مذهب الإمامية واجب الاتباع
- ٦٥٤ اشاره
- ٦٥٩ من فضائل أمير المؤمنين
- ٦٥٩ آية التطهير و حديث الكساء
- ٦٦٦ آية النجوى و فضيله أمير المؤمنين
- ٦٧٢ نزول قوله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...»
- ٦٧٦ حديث الوصاية
- ٦٨٤ صعود على على منكب النبي لكسر الأصنام
- ٦٨٥ قوله لفاطمة: ألا ترضين أني زوّجتك...
- ٦٨٧ حديث الصديقون ثلاثه
- ٦٨٩ حديث أنت منى و أنا منك
- ٦٩٠ حديث ابن عباس في الفضائل العشر
- ٦٩٣ أحاديث رواها الخوارزمي
- ٦٩٣ اشاره
- ٦٩٧ الحديث الأول: لو أن عبداً عبد الله...
- ٦٩٩ الحديث الثاني: قال رجلٌ لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلى!
- ٧٠٠ الحديث الثالث: خلق الله من نور وجه على...
- ٧٠٢ الحديث الرابع عن ابن عمر: من أحبّ علياً...
- ٧٠٤ الحديث الخامس: عن ابن مسعود...
- ٧٠٧ الحديث السادس: لا يزول قدم عبد...
- ٧٠٩ الحديث السابع: يأتي لغة خاطبك ربك؟
- ٧١٠ الحديث الثامن: لو أن الرياض أقلام

- ٧١١ الحديث التاسع: إن الله جعل لعلي فضائل
- ٧١٢ ترجمه أبي العلاء العطار
- ٧١٣ الحديث العاشر: لمبارزه علي... ..
- ٧١٥ الحديث الحادي عشر: حديث سعد في مجلس معاويه
- ٧١٨ الحديث الثاني عشر: المناشده في الشورى
- ٧٢٧ أحاديث رواها أبو عمر الزاهد
- ٧٢٧ اشاره
- ٧٢٨ الحديث الأول: عن ابن عباس: لعلي أربع خصال
- ٧٣١ الحديث الثاني: حديث المعراج
- ٧٣٢ الحديث الثالث: أنا الفتى... ..
- ٧٣٤ الحديث الرابع: عن أبي ذر
- ٧٣٧ أحاديث رواها صاحب الفردوس
- ٧٣٧ اشاره
- ٧٣٨ الحديث الأول: حبّ علي حسنه لا تضرّ معها سيئه
- ٧٤٠ الحديث الثاني: حبّ آل محمد خير من عباده سنه
- ٧٤٠ الحديث الثالث: عن أنس: كنت جالساً عند النبي... ..
- ٧٤٢ الحديث الرابع: لو اجتمع الناس على حبّ علي
- ٧٤٢ أحاديث رواها الكنجي
- ٧٤٢ اشاره
- ٧٤٣ الحديث الأول: عن أبي برزه
- ٧٤٧ الحديثان الثاني والثالث
- ٧٥٠ المطاعن في الجماعه
- ٧٥٢ ما رووه عن أبي بكر
- ٧٥٢ المورد الأول
- ٧٥٧ المورد الثاني
- ٧٥٧ اشاره
- ٧٦٢ الوجه الأوّل:
- ٧٦٣ الوجه الثاني:
- ٧٦٣ الوجه الثالث:
- ٧٦٤ الوجه الرابع:

٧٦٤	الوجه الخامس:
٧٦٥	المورد الثالث
٧٦٨	١-جهه المتن و الداله
٧٧٥	٢-كيف كانت بيعه أبي بكر؟
٧٨٠	المجلد ٣
٧٨٠	اشاره
٧٨٤	تتمه الفصل الثاني
٧٨٤	تتمه الادله على وجوب اتباع مذهب الاماميه
٧٨٤	تتمه الوجه السادس
٧٨٤	تتمه ما رواه عن ابي بكر
٧٨٤	المورد الرابع:قال قدس سره:«و قال أبو بكر عند موته:ليتني كنت سألت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله هل للأُنصار في هذا الأمر حق؟...»
٧٩٠	المورد الخامس:قال قدس سره:و قال عند احتضاره:ليت أُمى لم تلدنى.يا ليتنى كنت تبته في لينة.
٧٩١	المورد السادس:قال قدس سره:و قال أبو بكر:ليتنى في ظله بنى ساعده ضربت يدى على يد أحد الرجلين....
٧٩٣	المورد السابع:قال قدس سره:و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في مرض موته مرة بعد اخرى مكثراً لذلك:أفئذوا جيش أسامه،لعن الله المتخلف عن جيش أسامه.و كان الثلاثه معه....
٧٩٩	المورد الثامن:قال قدس سره:و أيضاً:لم يولّ أباً بكر عملاً ألبته في وقته...لما أنفذه بسوره براه رده....
٨٠٦	المورد التاسع:قال قدس سره:و قطع يسار سارق....
٨٠٧	المورد العاشر:قال قدس سره:و أحرق الفجاءه التسلمى بالنار
٨١١	المورد الحادى عشر:قال قدس سره:و خفى عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلاله.
٨١٢	المورد الثانى عشر:قال قدس سره:و قضى فى الجّد سبعين قضيه....
٨١٣	قال قدس سره:فأى نسبه إلى من قال:سلونى...؟
٨١٤	قال قدس سره:و عن البيهقى فى كتابه بإسناده عن رسول الله صَلَّى الله عليه
٨١٦	قال قدس سره:قال أبو عمر الزاهد قال أبو العباس ثعلب:لا نعلم أحداً قال
٨١٧	المورد الثالث عشر:قال قدس سره:و أهمل حدود الله،فلم يقتص من خالد بن الوليد.
٨١٧	المورد الرابع عشر:قال قدس سره:و خالف أمر الله تعالى فى توريث بنت النبى صَلَّى الله عليه و آله و منعها فداً.
٨١٧	المورد الخامس عشر:قال قدس سره:و تسقى خليفه رسول الله من غير أن يستخلفه.
٨٢١	ما رووه عن عمر بن الخطاب
٨٢١	المورد الأول:قال قدس سره:و منها:ما رووه عن عمر.
٨٢٢	المورد الثانى:قال قدس سره:و روى صاحب الجمع بين الصحاح الستة فى مسند ابن عباس:إن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال:أخرجوا عنى....
٨٣٣	المورد الثالث:قال قدس سره:و قال لما مات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:و الله ما مات محمد....
٨٤٠	المورد الرابع:قال قدس سره:و لما وعظت فاطمه عليها السلام أبا بكر فى فدك كتب لها كتاباً و ردها عليها،فخرجت من عنده فلقمها عمر فخرق الكتاب.

- المورد الخامس: قال قدس سره: وعَطَّلَ حَدَّ اللَّهِ تَعَالَى، فلم يجد المغيرة بن شعبه. ٨٤٠
- المورد السادس: قال قدس سره: و كان يعطى أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي.... ٨٥٢
- المورد السابع: قال قدس سره: وَ غَيَّرَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمُتَعَتِّينَ. ٨٥٤
- المورد الثامن: قال قدس سره: وَ كَانَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْكَامِ - - - - - ٨٥٤
- اشاره - - - - - ٨٥٤
- ١- أمره بجرم المرأة الحامل - - - - - ٨٥٤
- ٢- أمره بجرم مجنونه - - - - - ٨٥٧
- ٣- منعه من المغالاة في المهر - - - - - ٨٥٩
- ٤- شَرَبُ قَدَامِهِ الْخَمْرَ وَ جَهْلُ عَمْرِ - - - - - ٨٦١
- ٥- جهله في حكم إجهاض المرأة خوفاً منه - - - - - ٨٦٤
- ٦- تنازع المرأتين في الطفل و جهله بالحكم - - - - - ٨٦٤
- ٧- أمر بجرم امرأه ولدت لسته أشهر - - - - - ٨٦٥
- المورد التاسع: قال قدس سره: وَ كَانَ يَضْطَرِبُ فِي الْأَحْكَامِ، فَقَضَى فِي الْجَدِّ بِمَائِهِ قَضِيَّتَهُ. ٨٦٦
- المورد العاشر: قال قدس سره: وَ كَانَ يَفْضَلُ فِي الْغَنِيمَةِ وَ الْعَطَاءِ وَ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى التَّسْوِيَةَ. ٨٦٧
- المورد الحادي عشر: قال قدس سره: وَ قَالَ بِالرَّأْيِ وَ الْحَدْسِ وَ الظَّنِّ. ٨٦٨
- المورد الثاني عشر: قال قدس سره: وَ جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى مِنْ بَعْدِهِ - - - - - ٨٦٨
- ما رووه عن عثمان - - - - - ٨٨٢
- المورد الأول: قال قدس سره: وَ أَمَّا عُثْمَانُ، فَإِنَّهُ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ لَا يَصْلِحُ لِلْوِلَايَةِ..... ٨٨٢
- اشاره - - - - - ٨٨٢
- ١- الوليد بن عقبة - - - - - ٨٨٢
- ٢- سعيد بن العاص - - - - - ٨٨٥
- ٣- عبد الله بن أبي سرح - - - - - ٨٨٨
- ٤- معاوية بن أبي سفيان - - - - - ٨٩٤
- ٥- عبد الله بن عامر - - - - - ٨٩٤
- ٦- مروان بن الحكم - - - - - ٨٩٦
- المورد الثاني: قال قدس سره: وَ كَانَ يُؤَثِّرُ أَهْلَهُ بِالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ..... ٨٩٧
- المورد الثالث: قال قدس سره: وَ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَطْعَنُ عَلَيْهِ وَ يَكْفُرُهُ. ٩٠٠
- المورد الرابع: قال قدس سره: وَ ضَرَبَ عَقْرًا حَتَّى صَارَ بِهِ فَتَقٌ، وَ قَدْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ..... ٩٠٣
- اشاره - - - - - ٩٠٣
- رسول الله: من عادى عماراً عاداه الله - - - - - ٩٠٦

- المورد الخامس: قال قدس سره: و طرد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ٩٠٩
- المورد السادس: قال قدس سره: و نفى أبا ذر إلى الريذه ٩١٤
- المورد السابع: قال قدس سره: و ضيع حدود الله، فلم يُقَدِّ عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان ٩٢٨
- المورد الثامن: قال قدس سره: و أراد أن يعطل حدَّ الشَّرب في الوليد بن عقبه حتى حدَّه أمير المؤمنين. ٩٣٣
- المورد التاسع: قال قدس سره: و زاد الأذان الثاني يوم الجمعة و هي بدعه. ٩٣٤
- الفصل الثالث: الأدلَّة على إمامه أمير المؤمنين بعد رسول الله ٩٤١
- اشاره ٩٤١
- المنهج الأول في الأدلَّة العقلية ٩٤٣
- اشاره ٩٤٣
- الدليل الأول: إنَّ الإمام يجب أن يكون معصوماً ٩٤٥
- اشاره ٩٤٥
- العصمة لغهً و اصطلاحاً ٩٤٥
- بل جَوَّزوا الكفر: ٩٤٧
- الدليل الثاني: إنَّ الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه ٩٤٣
- الدليل الثالث: إنَّ الإمام يجب أن يكون حافظاً للشَّرع ٩٤٧
- الدليل الرابع: إنَّ الله قادر على نصب إمام معصوم ٩٧٢
- الدليل الخامس: إنَّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيتيه ٩٧٤
- المنهج الثاني: في الأدلَّة المأخوذه من القرآن و البراهين الداله على إمامه على من الكتاب العزيز و هي أربعون برهاناً ١٠١٨
- اشاره ١٠١٨
- البرهان الاول ١٠٢٠
- اشاره ١٠٢٠
- الفصل الأول: في رواه خبر نزولها في على و أسانيده ١٠٣٦
- اشاره ١٠٣٦
- من رواه الخبر من الصحابه و التابعين ١٠٣٦
- أشهر مشاهير رواه الخبر من العلماء ١٠٣٧
- من نصوص الخبر في الكتب المعتمره ١٠٤١
- من أسانيده المعتمره ١٠٥٥
- فوائد مهمته ١٠٦١
- اشاره ١٠٦١
- الأولى: استنباط الحكم الشرعي من القضيه ١٠٦١

- الثانيه: رأى الإمام الباقر في نزول الآية ١٠٦٣
- الثالثه: الخبر في شعر حستان و غيره ١٠٦٣
- الرابعه: قول النبي في الواقعه: من كنت مولاة فعلى مولاة ١٠٦٣
- الخامسه: دعاء النبي بعد القضيته ١٠٦٤
- السادسه: إن الخاتم كان عقيقاً يمانياً أحمر ١٠٦٤
- الفصل الثاني: في دلالة الآية على الإمامه ١٠٦٤
- الفصل الثالث: في دفع شبهات المخالفين ١٠٦٧
- اشاره ١٠٦٧
- النظر في هذه الكلمات و دفع الشبهات ١٠٧٢
- اشاره ١٠٧٢
- ١- لا إجماع على نزول الآية في علي و تصدقه ١٠٧٢
- ٢- إن القول بنزولها في حق علي للشعبي فقط و هو متفرد به ١٠٧٦
- ٣- المراد من الولاية فيها هو النصره بقرينه السياق ١٠٧٨
- ٤- مجيء الآية بصيغه الجمع، و حملها على الواحد مجاز ١٠٧٨
- ٥- الولاية بمعنى الأولويه بالتصرف غير مراده في زمان الخطاب ١٠٧٩
- ٦- إن التصديق في أثناء الضلاه ينافي الصلاه ١٠٨٠
- البرهان الثاني ١٠٨٢
- اشاره ١٠٨٢
- من الأسانيد المعتمده ١٠٩٥
- اشاره ١٠٩٥
- ١- روايه الحبري: ١٠٩٥
- ٢- روايه ابن أبي حاتم ١٠٩٧
- ٣- روايه أبي نعيم: ١٠٩٨
- ٤- روايه ابن عساكر: ١١٠٣
- ٥- روايه الواحدى: ١١٠٥
- ترجمه عطيه: ١١٠٦
- محاولات يائسه ١١١١
- القضيته كما في الروايات: ١١١٧
- رواه هذا الخبر من الأئمه عليهم السلام و الأصحاب: ١١١٩
- من رواته من الأعلام: ١١٢٠

- ١١٢٢ ----- نقلُ القوم عن تفسير الثعلبي و اعتمادهم عليه: -----
- ١١٢٣ ----- روايه الحقوثي الجويني عن الثعلبي بالإسناد: -----
- ١١٢٤ ----- الحقوثي شيخ الذهبي: -----
- ١١٢٤ ----- كلمات في الثعلبي و تفسيره: -----
- ١١٢٦ ----- أسانيد الخبر في كتاب شواهد التنزيل: -----
- ١١٣٠ ----- دلالة الخبر على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام: -----
- ١١٣٥ ----- البرهان الثالث -----
- ١١٣٥ ----- اشاره -----
- ١١٤٢ ----- ١-روايه أبي نعيم الأصفهاني: -----
- ١١٤٦ ----- ٢-روايه الخطيب البغدادي: -----
- ١١٤٩ ----- ٣-روايه ابن عساکر: -----
- ١١٥٩ ----- تعريف مركز -----

سرشناسه: حسینی میلانی، سیدعلی، ۱۳۲۶ -، توشیحگر

عنوان قراردادی: منهاج الكرامه في معرفه الامامه. شرح

منهاج السنه النبويه في نقض الشيعة القدرية. شرح

عنوان و نام پدید آور: شرح منهاج الكرامه في معرفه الامامه لابی منصور الحسن یوسف الشهير بالعلامه حلی و الرد علی منهاج السنه لابن تیمیه / تالیف السیدعلی الحسینی المیلانی.

مشخصات نشر: قم: مرکز الحقایق الاسلامیه، ۱۳۹۱ -

مشخصات ظاهری: ج.

شابک: دوره ۹۷۸-۹۶۴-۲۵۰۱-۸۸-۵ ؛ ج. ۱. ۹۷۸-۹۶۴-۲۵۰۱-۸۹-۲ ؛ ج. ۲. ۹۷۸-۹۶۴-۲۵۰۱-۹۰-۸ ؛ ج. ۳. ۹۷۸-۹۶۴-۲۵۰۱-۹۱-۵ ؛ ۱۱۵۰۰۰ ریال: ج. ۴. ۹۷۸-۹۶۴-۲۵۰۱-۹۲-۲ ؛ ج. ۵. ۹۷۸-۶۰۰-۵۳۴۸-۹۷-۲ :

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتاب حاضر شرحی بر کتاب "منهاج الكرامه في اثبات الامامه" که خود ردیه ای بر کتاب "منهاج السنه" اثر ابن تیمیه است.

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشران متفاوت منتشر شده است.

یادداشت: چاپ دوم.

یادداشت: ج. ۱. (چاپ اول: ۱۴۲۸ ق. = ۱۳۸۶).

یادداشت: ج. ۲ - ۴ (چاپ دوم: ۱۳۹۱) (فیپا).

یادداشت: ج. ۲ و ۳ (چاپ اول: ۱۴۲۸ ق. = ۱۳۸۶).

یادداشت: ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۳۳ ق. = ۱۳۹۱).

یادداشت: ج. ۵ (چاپ اول: ۱۳۹۵) (فیفا).

موضوع: علامه حلی، حسن بن یوسف، ۶۴۸-۷۲۶ق. منهاج الکرامه فی معرفه الامامه -- نقد و تفسیر

موضوع: ابن تیمیه، احمد بن عبد الحلیم، ۶۶۱-۷۲۸ ق. منهاج السنه النبویه فی نقض الشیعه القدریه -- نقد و تفسیر

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع: امامت

شناسه افزوده: علامه حلی، حسن بن یوسف، ۶۴۸-۷۲۶ق. منهاج الکرامه فی معرفه الامامه. شرح

شناسه افزوده: ابن تیمیه، احمد بن عبد الحلیم، ۶۶۱-۷۲۸ ق. منهاج السنه النبویه فی نقض الشیعه القدریه. شرح

رده بندی کنگره: BP۲۲۳/ع۷۵م۲۱۵۵ ۸۰۲۱۵۵ ۱۳۹۱

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۵

شماره کتابشناسی ملی: ۲۸۸۲۶۹۰

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرنا أن نقدم إلى الباحثين و المحققين الكرام، و إلى المكتبة الإسلاميه و المكتبات العلميه، هذا السيف الجليل، من مؤلفات المحقق الفقيه آيه الله الحاج السيد على الحسينى الميلانى دامت بركاته.

إن كتاب (منهاج الكرامه فى معرفه الإمامه) تأليف العلّامه الحلّى، الذى يعدّ من خيره المتون الجامعه بين الأقوال المختلفه فى مسائل اصول الدين، كان بحاجة إلى شرح علمى رصين، يوضح مطالبه و يشيّد مقاصده، و يدفع عنه الشبهات و يزيل التوهّمات التى أوردها ابن تيميه و غيره من المخالفين.

و قد طلب من سماحه السيد- منذ سنين- القيام بهذه المهمه و سدّ هذا الفراغ العلمى، فشرع بذلك، و انتشر قسم منه بسنه ١٤١٨، ثم وضع للشرح مدخلاً طبع بسنه ١٤١٩ تحت عنوان (دراسات فى منهاج السنّه).

و قد قمنا بطبع الكتاب من الأوّل، بتحقيقٍ جديدٍ، فى مجلّات، و الحمد لله على التوفيق.

هَذَا، وَنَذَكِّرُ بِالْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

- ١- قَدْ وَضَعْنَا فِي الْمَقْدَمَةِ الْمَتْنَ الْكَامِلَ لِكِتَابِ (مِنْهَاجِ الْكِرَامَةِ)، الْمَطْبُوعِ بِتَحْقِيقِ الْإِسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُبَارَكِ.
- ٢- قَدْ نَقَلْنَا مِنْ أَيْدِي تَيْمِيهِ مِنْ كِتَابِ (مِنْهَاجِ السُّنَّةِ) الْمَطْبُوعِ بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ رِشَادِ سَالِمٍ، فِي تِسْعَةِ أَجْزَاءٍ.
- ٣- سَنَضَعُ الْفَهَارِسَ الْفَتْيَةَ الْعَامَّةَ فِي نَهَائِهِ الْجُزْءِ الْآخِرِ مِنَ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

مَرْكَزُ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ

١٤٢٨

ص: ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القديم الواحد، الكريم الماجد، المقدس بكماله عن الشريك و الضدّ و المعاند، المتمتّز بوجوب وجوده عن الوالده و
الصاحبه و الولد و الوالد.

أحمدُه حمداً معترف بالآثه غير شاكاً و لا جاحداً، و أشكره على إنعامه المتضاعف المتزايد، شكراً يعجز عنه الراكع و الساجد.

و الصلاه على سيد كل زاهد، و أشرف كل عابد، محمد المصطفى و عترته الأكارم الأماجد، صلاةً تدوم بدوام الأعصار و الأوابد.

أما بعد، فهذه رساله شريفه و مقاله لطيفه، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، و أشرف مسائل المسلمين، و هي مسأله الإمامه، التي يحصل بسبب إدراكها نيلُ درجه الكرامه، و هي أحد أركان الإيمان، المستحقّ بسببه الخلود في الجنان، و التخلص من غضب الرحمان، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: (من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه).

خدمت بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب و العجم، مؤولى النعم و مسند الخير و الكرم، شاهنشاه المعظم، غياث الحق و المله و الدين، أولجايتو محمد خدا بنده خلد الله سلطانه، و ثبت قواعد ملكه و شيّد أركانه، و أمده بعنايته و أطفاه، و أيده بجميل إسعافه، و قرن دولته بالدوام إلى يوم القيامة.

ص: ٩

قد لخصت فيها خلاصه الدلائل، و أشرت إلى رؤوس المسائل، من غير تطويل مملّ و لا إيجاز مخلّ، و سميتها (منهاج الكرامه في معرفه الإمامه).

و الله الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب. و رتبها على فصول:

ص: ١٠

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عَدْلٌ حَكِيمٌ لا يفعل قبيحاً و لا يُخِلُّ بواجب، و أن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح و حكمه، و أنه لا يفعل الظلم و لا- العبث، و أنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم و الأنفع، و أنه تعالى كلّفهم تخييراً لا- إجباراً، و وعدهم بالثواب و توعدّهم بالعقاب على لسان أنبيائه و رسله المعصومين عليهم السّلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ و لا النسيان و لا- المعاصي، و إلّا لم يبق وثوق بأقوالهم، فتنتفى فائده البعثة. ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلّى الله عليه و آله بالأئمة عليهم السّلام، فنصب أولياء معصومين، ليأمن الناس من غلطهم و سهوهم و خطئهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يُخلى الله تعالى العالم من لطفه و رحمته.

و أنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلّى الله عليه و آله قام بنقل الرسالة و نصّ على أن الخليفة بعده على بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكي، ثم الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم على بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السّلام.

و أن النبي لم يمت إلّا عن وصيّته بالإمامه.

و ذهب أهل السنّه إلى خلاف ذلك كله، فلم يثبتوا العدل و الحكمه فى أفعاله تعالى! و جؤزوا عليه فعل القبيح و الإخلال بالواجب، و أنه تعالى لا- يفعل لغرض بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض، و لا لحكمه ألبته، و أنه تعالى يفعل الظلم و العبث، و أنه لا- يفعل ما هو الأصلى للعباد، بل ما هو الفساد فى الحقيقه، لأن فعل المعاصى و أنواع الكفر و الظلم و جميع أنواع الفساد الواقعه فى العالم، مستندة إليه! تعالى الله عن ذلك.

و أن المطيع لا- يستحق ثواباً و العاصى لا يستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره المُبالغ فى امتثال أوامره تعالى كالنبي صلى الله عليه و آله! و يثيب العاصى طول عمره بأنواع المعاصى و أبلغها كإبليس و فرعون!

و أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ و الزلل و الفسوق و الكذب و السهو و غير ذلك!

و أن النبي صلى الله عليه و آله لم ينص على إمام بينهم و أنه مات عن غير وصيه، و أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أبو بكر بن أبى قحافه لمبايعه عمر بن الخطاب له برضا أربعه: أبى عبيده و سالم مولى حذيفه و أسيد بن حضير و بشير بن سعد! ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبى بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر على سته هو أحدهم، فاختره بعضهم، ثم على بن أبى طالب لمبايعه الخلق له.

ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن، و بعضهم قال: إنه معاويه ابن أبى سفيان! ثم ساقوا الإمامه فى بنى أميه إلى أن ظهر السفاح من بنى العباس فساقوا الإمامه إليه، ثم انتقلت الإمامه منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامه فى بنى العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!

إشاره

لأنه لما عمّت البئيه على كافه المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وآله و اختلف الناس بعده، تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم!

فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق و بايعه أكثر الناس طلباً للدنيا، كما اختار عمر بن سعد مُلْكَ الرىّ أياماً يسيره، لَمَّا خُيِّرَ بينه و بين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن فى قتله النار! و أخبر بذلك فى شعره حيث قال: فو الله ما أدرى و إنى لصادق

و بعضهم اشتبه الأمر عليه و رأى طالب الدنيا مبايعاً له، فقلّده و بايعه و قصر فى نظره، فخفى عليه الحق، و استحقّق المؤاخذه من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه، بسبب إهمال النظر.

و بعضهم قلّد لقصور فطنته، و رأى الجَمَّ الغفير فبايعهم، و توهم أن الكثره تستلزم الصواب، و غفل عن قوله تعالى: «و قَلِيلٌ ما هُمْ»، «و قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِى الشُّكُورُ»!

و بعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، و تابعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا و زينتها، و لم تأخذه فى الله تعالى لومه لائم، بل أخلص لله تعالى و اتبع ما أمر به من

طاعه من يستحق التقدير.

و حيث حصلت للمسلمين هذه البليه، ووجب على كل واحد النظر في الحق و اعتماد الإنصاف، و أن يقرّ الحق مقرّه و لا- يظلم مستحقه، فقد قال الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

و إنما كان مذهب الإماميه واجب الإتياع لوجوه:

الوجه الأول

لَمَّا نظرنا في المذاهب وجدنا أحقّها و أصدقها و أخلصها عن شوائب الباطل، و أعظمها تنزيهاً لله تعالى و لرسله و لأوصيائه عليهم السّلام، و أحسنها في المسائل الأصوليه و الفروعيه: مذهب الإماميه، لأنهم:

اعتقدوا أن الله تعالى هو المخصوص بالأزليته و القدم، و أن كل ما سواه مُحدثٌ، لأنه واحد.

و أنه ليس بجسم و لا- في مكان، و إلّا لكان محدثاً، بل نزهوه عن مشابهه المخلوقات. و أنه تعالى قادر على جميع المقدورات، و أنه عدل حكيم لا يظلم أحداً و لا يفعل القبيح، و إلّا لزم الجهل و الحاجه تعالى الله عنهما. و يثيب المطيع لئلا يكون ظالماً، و يعفو عن العاصي أو يعذّبه بجرمه من غير ظلم له.

و أن أفعاله محكمه واقعه لغرض و مصلحه، و إلّا لكان عابثاً، و قد قال: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ».

و أنه تعالى غير مرئي و لا مدرك بشيء من الحواس، لقوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ». و أنه ليس في جهه، و أن أمره و نهيه و إخباره حادث، لاستحاله أمر المعدوم و نهيه و إخباره.

و أنه أرسل الأنبياء عليهم السّلام لإرشاد العالم.

و أن الأنبياء عليهم السّلام معصومون عن الخطأ و السهو و المعصيه،صغيرها و كبيرها،من أوّل العمر إلى آخره،و إلّا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانفتت فائده البعثه، و لزم التنفير عنهم.

و أن الأئمه معصومون كالأنبياء عليهم السّلام في ذلك،لما تقدّم.

و لأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعيه عن الأئمه المعصومين عليهم السّلام الناقلين عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه و آله،الآخذ ذلك من الله تعالى بوحي جبرئيل عليه السلام إليه،يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف،إلى أن تتصل الروايه بأحد المعصومين عليه السلام.

و لم يلتفتوا إلى القول بالرأى و الإجتهد،و حرّموا الأخذ بالقياس و الاستحسان.

أما باقى المسلمين،فقد ذهبوا كلّ مذهب،فقال بعضهم و هم جماعه الأشاعره:

إن القدماء كثيرون مع الله تعالى،و هى المعانى التى يثبتونها موجوده فى الخارج كالقدره و العلم و غير ذلك،فجعلوه تعالى مفتقراً فى كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم! و فى كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدره،و غير ذلك! و لم يجعلوه قادراً لذاته، و لا عالماً لذاته،و لا رحيماً لذاته،و لا مدركاً لذاته،بل لمعان قديمه يفتقر فى هذه الصفات إليها،فجعلوه محتاجاً ناقصاً فى ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و اعترض شيخهم فخر الدين الرازى عليهم بأن قال:إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثه،و الأشاعره أثبتوا قدماء تسعه!

و قال جماعه الحشويه و المشبهه:إن الله تعالى جسم له طولٌ و عرضٌ و عمقٌ! و إنه يجوز عليه المصافحه! و إن المخلصين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا!

و حكى الكعبى عن بعضهم أنه كان يجوّز رؤيته فى الدنيا،و أن يزورهم و يزورونه!

و حكى عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن اللحية و الفرج و اسألوني عما وراء ذلك! و قال إن معبوده جسم و لحم و دم، و له جوارح و أعضاء و كبِدٌ و رِجْلٌ و لسانٌ و عَيْنين و أذنين!

و حكى أنه قال: هو مُجَوِّفٌ من أعلاه إلى صدره، مُصَمِّتٌ ما سوى ذلك، و له شعر قَطَط!

حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، و بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه! و أنه يفضل من العرش عنه من كلِّ جانب أربع أصابع!

و ذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كلِّ ليلة جمعه على شكل أمرد حسن الوجه، راكباً على حمار، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطح داره مَعْلَفاً يضع كلِّ ليلة جمعه فيه شعيراً و تَبْنًا! لتجوز أن ينزل الله تعالى على حماره على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل، و يشتغل الربُّ بالنداء: هل من تائب، هل من مستغفر! تعالى الله عن مثل هذه العقائد الرديئة في حق الله تعالى.

و حكى عن بعض المنقطعين التاركين للدنيا من شيوخ الحشوية: أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نَفَّاطٌ و معه أمردٌ حسن الصورة قَطَطُ الشعر، على الصفات التي يصفون ربهم بها، فألحَّ الشيخُ في النظر إليه و كرَّره و أكثر تصويبه إليه! فتوهم فيه النفاط فجاء إليه ليلاً- و قال: أيها الشيخ، رأيتك تُلِحُّ بالنظر إلى هذا الغلام و قد أتيت به إليك، فإن كان لك فيه نية فأنت الحاكم! فَحَرَدَ عليه و قال: إنما كررتُ النظر إليه، لأن مذهبي أن الله تعالى ينزل الله على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنه الله! فقال له النفاط: ما أنا عليه من النفاطه أجود ممَّا أنت عليه من الزهد مع هذه مقاله!

و قالت الكراميه: إن الله تعالى في جهه فوق، و لم يعلموا أن كل ما هو في جهه فهو محدث، و محتاج إلى تلك الجهه.

و ذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد! و آخرون إلى أنه

لا يقدر على عين مقدور العبد!

و ذهب الأكثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح، و أن جميع أنواع المعاصي و الكفر و أنواع الفساد واقعه بقضاء الله تعالى و قدره، و أن العبد لا تأثير له في ذلك! و أنه لا غرض لله تعالى في أفعاله و لا يفعل لمصلحه العباد شيئاً، و أنه تعالى يريد المعاصي من الكافر و لا يريد منه الطاعة!

و هذا يستلزم أشياء شنيعة:

منها: أن يكون الله تعالى أظلم من كل ظالم! لأنه يعاقب الكافر على كفره و هو قدّره عليه، و لم يخلق فيه قدره على الإيمان!

فكما أنه يلزم الظلم لو عذبه على لونه و طوله و قصره، لأنه لا قدره له فيها، كذا يكون ظالماً لو عذبه على المعصية التي فعلها فيه.

و منها: إفحام الأنبياء عليهم السلام و انقطاع حجّتهم، لأن النبي إذا قال للكافر: آمن بي و صدقني، يقول له: قل للذي بعثك يخلق في الإيمان أو القدره المؤثره فيه حتى أتمكن من الإيمان فأؤمن، و إلما فكيف تكلفني الإيمان و لا قدره لي عليه بل خلق في الكفر، و أنا لا أتمكن من مقاهره الله تعالى! فينقطع النبي عليه السلام و لا يتمكن من جوابه!

و منها: تجويز أن يعذب الله تعالى سيّد المرسلين صلّى الله عليه و آله على طاعته و يثيب إبليس على معصيته، لأنه يفعل الأشياء لا- لغرض! فيكون فاعل الطاعه سفيهاً لأنه يتعجل بالتعب و الإجهاد في العباده و إخراج ماله في عماره المساجد و الرُّبُط و الصدقات، من غير نفع يحصل له، لأنه قد يعاقبه على ذلك! و لو فعل عوض ذلك ما يلتذ به و يشتهي من أنواع المعاصي قد يشبهه! فاختيار الأول يكون سفهاً عند كل عاقل!

و المصير إلى هذا المذهب يؤدّي إلى خراب العالم، و اضطراب أمر الشريعة المحمديّه!

و منها: أنه يلزم أن لا- يتمكن أحد من تصديق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، لأن التّوصيل إلى ذلك و الدليل عليه إنما يتم بمقدمتين. إحداهما: أن الله تعالى فعل المعجز على يد النبي عليه السلام لأجل التصديق. و الثانيه: أن كلّ ما صدقه الله تعالى فهو صادق. و كلتا المقدمتين لا تتم على قولهم، لأنه إذا استحال أن يفعل لغرض، استحال أن يظهر المعجز لأجل التصديق، و إذا كان فاعلاً للقيح و لأنواع الإضلال و المعاصي و الكذب و غير ذلك، جاز أن يصدق الكذاب! فلا يصح الإستدلال على صدق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، و لا التدين بشيء من الشرائع و الأديان.

و منها: أنه لا- يصح أن يوصف الله تعالى بأنه غفورٌ رحيمٌ حليمٌ عفوٌ، لأن الوصف بهذه إنما يثبت لو كان الله تعالى مسقطاً للعقاب في حق الفساق، بحيث إذا أسقطه عنهم كان غفوراً عفوّاً رحيماً، و إنما يستحق العقاب لو كان العصيان من العبد، لا من الله تعالى.

و منها: أنه يلزم منه تكليف ما لا يطاق، لأنه يكلف الكافر بالإيمان و لا قدره له عليه و هو قبيح عقلاً! و السمع قد منع منه فقال: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا».

و منها: أنه يلزم منه أن تكون أفعالنا الإختيارية الواقعة بحسب قصدنا و دواعينا مثل حركتنا يَمَنَةً و يَسِيرَةً و حركة البطش باليد و الرجل في الصنائع المطلوبه لنا، كالأفعال الاضطرارية مثل حركة النبض و حركة الواقع من شاهق بإيقاع غيره! لكن الضروره قاضيه بالفرق بينهما، و كلّ عاقل يحكم بأنا قادرين على الحركات الإختيارية، و غير قادرين على الحركة إلى السماء.

قال أبو الهذيل العلاف: حِمَارٌ بَشَرٌ أَعْقَلُ مِنْ بَشَرٍ، لأن حمارَ بشرٍ لو أتيت به إلى جدول صغير و ضربته للعبور فإنه يطفره، و لو أتيت به إلى جدول كبير لم يطفره، لأنه يُفَرِّقُ بين ما يقدر على طفره و ما لا يقدر عليه، و بشرٌ لا يفرّق بين المقدور له و غير المقدور!

و منها: أنه يلزم أن لا يبقى عندنا فرق بين من أحسن إلينا غاية الإحسان طول عمره، و بين من أساء إلينا غاية الإساءة طول عمره، و لم يحسن منا شكر الأول و ذمّ الثاني، لأنّ الفعلين صادران من الله تعالى عندهم!

و منها: التقسيم الذي ذكره مولانا و سيّدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، و قد سأله أبو حنيفة و هو صبيّ فقال: المعصية ممّن؟ فقال الكاظم عليه السلام: المعصية إمّا من العبد أو من ربّه أو منهما، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل و أنصف من أن يظلم عبده و يأخذه بما لم يفعله، و إن كانت المعصية منهما فهو شريكه و القويّ أولى بإنصاف عبده الضعيف، و إن كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الأمر و إليه توجه المدح و الذم و هو أحقّ بالثواب و العقاب، و وجبت له الجنة أو النار. فقال أبو حنيفة: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ».

و منها: أنه يلزم أن يكون الكافر مطيعاً بكفره، لأنّه قد فعل ما هو مراد الله تعالى، لأنّه أراد منه الكفر و قد فعله! و لم يفعل الإيمان الذي كرهه الله تعالى منه، فيكون قد أطاعه لأنّه فعل مراده و لم يفعل ما كرهه!

و منها: أنه يلزم نسبة السّفه إلى الله تعالى، لأنّه أمر الكافر بالإيمان و لا يريد منه و نهاه عن المعصية و قد أرادها! و كلّ عاقل يَنسب من يأمر بما لا يريد و ينهى عمّا يريد إلى السّفه! تعالى الله عن ذلك.

و منها: أنه يلزم عدم الرضا بقضاء الله تعالى و قدره، لأنّ الرضا بالكفر حرامّ بالإجماع، و الرضا بقضاء الله تعالى و قدره واجب، فلو كان الكفر بقضاء الله تعالى و قدره واجب علينا الرضا به، لكن لا يجوز الرضا بالكفر.

و منها: أنه يلزم أن نستعيد بإبليس من الله تعالى، و لا يحسن قوله تعالى: «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، لأنهم نزهوا إبليس و الكافر عن المعاصي و أضافوها إلى الله تعالى، فيكون على المكلفين شرّاً من إبليس عليهم، تعالى الله عن ذلك!

و منها: أنه لا يبقى وثوق بوعد الله تعالى و وعيده! لأنهم إذا جؤزوا استناد الكذب فى العالم إليه، جاز أن يكذب فى إخباراته كلها! فتنفى فائده بعثه الأنبياء عليهم السّلام، بل و جاز منه إرسال الكذّابين! فلا يبقى لنا طريق إلى تميّز الصادق من الأنبياء عليهم السّلام و الكاذب!

و منها: أنه يلزم منه تعطيل الحدود و الزواجر عن المعاصى! فإن الزنا إذا كان واقعاً بإرادة الله تعالى، و السرقة إذا صدرت من الله تعالى، و إرادته هى المؤثره، لم يجز للسّليطان المؤاخذه عليها، لأنه يصدّ السارق عن مراد الله تعالى و يبعثه على ما يكرهه الله تعالى! و لو صدّ الواحد منا غيره عن مراده و حمله على ما يكرهه، استحق منه اللوم! و يلزم أن يكون الله مريداً للنقيضين، لأن المعصيه مراده لله تعالى و الزجر عنها مراد له أيضاً!

و منها: أنه يلزم منه مخالفه المعقول و المنقول:

أمّا المعقول فلما تقدم من العلم الضرورى بإستناد أفعالنا الإختياريه إلينا و وقوعها بحسب إرادتنا، فإذا أردنا الحركة يَمَنَّهُ لم يقع يَسْرَهُ، و بالعكس، و الشك فى ذلك عين السفسطه!

و أمّا المنقول، فالقرآن مملوء من إسناد أفعال البشر إليهم، كقوله تعالى:

«وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى». «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ». «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». «لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى». «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«لِيُؤْفَقَهُمْ أَجْرُهُمْ». «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ». «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ». «كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ». «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ». «وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي». «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ». «وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ». «وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا». «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ». و أَى ظلم أعظم من تعذيب الغير على فعل لم يصدر منه، بل ممن يعذبه؟

قال الخصم: القادر يمتنع أن يُرَجِّح مقدوره من غير مُرجح، و مع المرَجِّح يجب الفعل، فلا قدره! و لأنه يلزم أن يكون الإنسان شريكاً لله تعالى، و لقوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ».

و الجواب

عن الأول: المعارضه بالله تعالى فإنه تعالى قادر، فإن افتقرت قدره إلى المرجح و كان المرجح موجباً للأثر، لزم أن يكون الله تعالى موجباً لا مختاراً، فيلزم الكفر!

و عن الثانى: أى شركه هنا و الله تعالى هو القادر على قهر العبد و إعدامه؟! و مثال هذا: أن السَّيِّطَان إذا ولى شخصاً بعض البلاد فنهب و ظلم و قهر، فإن السُّلْطَان يتمكن من قتله و الانتقام منه و استعاده ما أخذه و لا يكون شريكاً للسُّلْطَان.

و عن الثالث: أنه إشاره إلى الأصنام التى كانوا ينحتونها و يعبدونها، فأنكر عليهم و قال: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ!»!

و ذهبت الأشاعره إلى أن الله تعالى مرئى بالعين، مع أنه مجرد عن الجهات، و قد قال تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»، و خالفوا الضروره فى أن المدرك بالعين يكون مقابلاً- أو فى حكمه، و خالفوا جميع العقلاء فى ذلك. و ذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقه من الأرض إلى السماء مختلفه الألوان لا نشاهدها، و أصوات هائله لا نسمعها، و عساكر مختلفه متحاربه بأنواع الأسلحه بحيث تُماسُّ أجسامنا أجسامهم لا نشاهد صورهم و لا حركاتهم و لا نسمع أصواتهم الهائله، و أن نشاهد جسماً أصغر الأجسام كالذره فى المشرق و نحن فى المغرب، مع كثره الحائل بيننا و بينها، و هذا عين السفسطه!

و ذهبوا إلى أنه تعالى أمرٌ و ناهٍ فى الأزل و لا مخلوق عنده، قائلاً: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

ص: ٢١

إِتَّقِ اللَّهَ . «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» . «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ» . و لو جلس شخص في منزله و لا غلام عنده فقال: يا سالم قم، يا غانم كل، يا نجاح أدخل، قيل: لمن تنادى؟ فيقول: لعبيد أشتريهم بعد عشرين سنة. نَسَبَهُ كُلُّ عَاقِلٍ إِلَى الشَّفْهِ وَ الْحَمَقِ! فكيف يحسن منهم أن ينسبوا الله تعالى إليه في الأزل.

و ذهب جميع من عدا الإماميَّة و الإسماعيليَّة إلى أن الأنبياء و الأئمة عليهم السَّلام غير معصومين، فجوَّزوا بعثه من يَجُوزُ عليه الكذب و السَّهْوُ و الخطأ و السرقة! فأى وثوق يبقى للعامَّة في أقاويلهم، و كيف يحصل الإنقياد إليهم، و كيف يجب أتباعهم، مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ؟

و لم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين، بل كل من تابع قرشيًّا انعقدت إمامته عندهم و وجبت طاعته على جميع الخلق! إذا كان مستور الحال، و إن كان على غايه من الفسوق و الكفر و النفاق!

و ذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس و الأخذ بالرأى، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه! و حرَّفوا أحكام الشريعة، و أحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، و لا- في زمن صحابته! و أهملوا أقاويل الصحابة. مع أنهم نصَّوا على ترك القياس و قالوا: أول من قاس إبليس! و ذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شنيعة:

كإباحه البنت المخلوقه من الزنا، و سقوط الحدِّ عمَّن نكح أمه و أخته و بنته، مع علمه بالتحريم و النسب بواسطه عقد يعقده و هو يعلم بطلانه، و عمَّن لفَّ على ذكره خرقة و زنا بأمه أو بنته! و عن اللأئط مع أنه أفحش من الزنا و أقبح!

و إلحاق نسب المشرقيَّة بالمغربى، فإذا زوَّج الرجل ابنته و هو في المشرق برجل هو و إيَّاه في المغرب، و لم يفترقا ليلاً و نهاراً حتى مضت مدته ستة أشهر، فولدت البنت في المشرق، التحق نسب الولد بالرجل، و هو و أبوها في المغرب، مع أنه لا- يمكنه الوصول إليها إلَّا بعد سنين متعدده! بل لو حبسه السُّلطان من حين العقد و قيده و جعل

عليه حَفَظَهُ مدَّةَ خمسين سنة، ثم وصل إلى بلد المرأة، فرأى جماعه كثيره من أولادها و أولاد أولادهم إلى عدّه بطون، التحقوا كلهم بالرجل الذي لم يقرب هذه المرأة و لا غيرها البتة!

و إباحه النبيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار! و الوضوء و الصّلاه في جلد الكلب، و على العذره اليابسه!

و حكى بعض الفقهاء لبعض الملووك و عنده بعض فقهاء الحنفيّه صفة صلاه الحنفي، فدخل داراً مغصوبه و توضأ بالنبيذ و كبر بالفارسيه من غير نيّه، و قرأ:

«مُدْهَامَتَانِ» لا غير، بالفارسيه، ثم طأطأ رأسه من غير طمأينيه و سجد كذلك و رفع رأسه بقدر حدّ السيف، ثم سجد، و قام ففعل كذلك ثانيه، ثم أحدث! فتبرأ الملك و كان حنفيّاً من هذا المذهب!

و أباحوا المغصوب لو غيّر الغاصب الصفه فقالوا: لو أن سارقاً دخل بدار شخص له فيه دوابٌ و رحى و طعام، فطحن السارق طعام صاحب الدار بدوابّه و أرحيته ملك الطّحين بذلك! فلو جاء المالك و نازعه، كان المالك ظالماً و السارق مظلوماً! فلو تقاتلا فإن قُتل المالك كان ظالماً و إن قُتل السارق كان شهيداً!

و أوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذب الشهود و أسقطوه إذا صدّقهم فأسقطوا الحدّ مع الإقرار و البيّنه! و هذا ذريعه إلى إسقاط حدود الله تعالى، فإن كلّ من شهد عليه بالزنا يُصدّق الشهود و يُسقط عنه الحدّ.

و أباحوا الكلب، و أباحوا الملاهي كالشطرنج و الغناء.

و غير ذلك من المسائل التي لا يحتملها هذا المختصر.

الوجه الثاني: في الدلالة على وجوب اتباع مذهب الإماميه

ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجه نصير المله و الحق و الدين، محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه، و قد سأله عن المذاهب فقال:

بحثنا عنها و عن قول رسول الله صلى الله عليه و آله: «ستفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقه، فرقه منها ناجيه و الباقي في النار». و قد عيّن الله صلى الله عليه و آله الفرقة الناجيه و الهالكه في حديث آخر صحيح متفق عليه، و هو بقوله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق».

فوجدنا الفرقة الناجيه الإماميه، لأنهم باينوا جميع المذاهب، و جميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الوجه الثالث

إن الإماميه جازمون بحصول النجاه لهم و لأئمتهم، قاطعون على ذلك، و بحصول ضدها لغيرهم، و أهل السنه لا يجزمون بذلك لا لهم و لا لغيرهم، فيكون أتباع أولئك أولى.

لأننا لو فرضنا-مثلاً- خروج شخصين من بغداد يريدان الكوفه، فوجدنا طريقين سلك كل منهما طريقاً، فخرج ثالث يطلب الكوفه، فسأل أحدهما: إلى أين تريد؟ فقال:

إلى الكوفه فقال له: هذا طريقك يوصلك إليها؟ و هل طريقك آمن أم مخوف؟ و هل طريق صاحبك يؤديه إلى الكوفه؟ و هل هو آمن أم مخوف؟ فقال: لا أعلم شيئاً من ذلك. ثم سأل صاحبه عن ذلك فقال: أعلم أن طريقى يوصلنى إلى الكوفه، و أنه آمن،

و أعلم أن طريق صاحبي لا يؤدّيه إلى الكوفه و ليس بآمن.

فإن الثالث إن تابع الأوّل عدّه العقلاء سفيهاً، و إن تابع الثاني نسب إلى الأخذ بالحزم.

الوجه الرابع

إن الإماميه أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام، المشهورين بالفضل و العلم و الزهد و الورع، و الاشتغال في كلّ وقت بالعباده و الدعاء و تلاوه القرآن، و المداومه على ذلك من زمن الطفوله إلى آخر العمر، و منهم تعلّم الناس العلوم و نزل في حقهم: هلّ أتى، و آية الطهاره، و إيجاب الموده لهم، و آية الإبتهال، و غير ذلك.

و كان على عليه السلام يصلّى في كلّ يوم و ليله ألف ركعه و يتلو القرآن، مع شدّه ابتلائه بالحروب و الجهاد:

فأؤلهم على بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و جعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: «وَأَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ». و أخاه الرسول صلّى الله عليه و آله، و زوجته ابنته و فضلُهُ لا يخفى. و ظهرت عنه معجزاتٌ كثيره حتى ادعى قوم فيه الربوبيّه و قتلهم، و صار إلى مقاتلتهم آخرون إلى هذه الغايه، كالنصيريّه و الغلاه.

و كان ولداه سبطا رسول الله صلّى الله عليه و آله سيّدا شباب أهل الجنه، إمامين بنصّ النبي صلّى الله عليه و آله، و كانا أزهد الناس و أعملهم في زمانهم، و جاهدا في سبيل الله حتى قتلا، و لبس الحسن عليه السلام الصوف تحت ثيابه الفاخره، من غير أن يشعر أحداً بذلك.

و أخذ النبي صلّى الله عليه و آله يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن، و ولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام و قال: إن الله لم يكن

ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما، فقال ع: إذا مات الحسين بكيت عليه أنا و علي و فاطمه، و إذا مات إبراهيم بكيت أنا عليه، فاختر موت إبراهيم فمات بعد ثلاثه أيام، فكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبله و يقول: أهلاً و مرحباً بمن فديته بابني إبراهيم!

و كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره و يقوم ليله و يتلو الكتاب العزيز، و يصلّي كلّ يوم و ليله ألف ركعه، و يدعو بعد كلّ ركعتين بالأدعية المنقوله عنه و عن آبائه عليهم السّلام، ثم يرمى الصحيفة كالمتمسّج و يقول: أنى لى بعباده علي عليه السلام! و كان يبكي كثيراً حتى أخذت الدموع من لحم خديه، و سجد حتى سمي ذا الثفّنات، و سمّاه رسول الله صلّى الله عليه و آله سيّد العابدين.

و كان قد حج هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف فوقف الناس له و تنحّوا عن الحجر حتى استلمه و لم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق الشاعر: هذا الذي تعرف البطحاء و طأته

لا يستطيع جوادٌ بُعْدَ غايتهم

من يعرفُ الله يعرفُ أولويّه ذا

فغضب هشام و أمر بحبس الفرزدق بين مكة و المدينة.

فبعث إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بألف دينار فردّها و قال: إنما قلت هذا غضباً لله و لرسوله، فما آخذ عليه أجراً! فقال على بن الحسين عليه السلام: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منا، فقبلها الفرزدق.

و كان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً و لا يعرفون ممن هو، فلمّا مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم، و عرفوا به أنه كان منه عليه السّلام.

و كان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً و عبادة، بقر السجود جبهته، و كان أعلم أهل وقته، و سمّاه رسول الله صلّى الله عليه و آله الباقر: جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه و هو صغير في الكتاب فقال له: جدّك رسول الله صلّى الله عليه و آله يُسَلِّم عليك فقال: و على جدّي السّلام، فقبل لجابر: كيف هذا؟ قال: كنت جالساً عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و الحسين في حجره و هو يلعبه فقال: يا جابر! يولد له مولود اسمه على، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين فيقوم و لَدُهُ، ثم يولد له مولود اسمه محمد الباقر، إنه يبقر العلم بقرّاً، فإذا أدركته فاقرئه منى السلام.

روى عنه أبو حنيفة و غيره.

و كان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه و أعبدهم، قال علماء السيره: إنه انشغل بالعباده عن طلب الرياسه. قال عمرو بن أبى المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

و هو الذى انتشر منه فقه الإماميه و المعارف الحقيقه و العقائد اليقنيه.

و كان لا يخبر بأمر إلا وقع، و به سمّوه الصادق الأمين.

و كان عبد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعه لولده، فقال له الصّادق عليه السلام: إن هذا الأمر لا يتم! فاغتاظ من ذلك، فقال الصّادق عليه السلام: إنه لصاحب القباء الأصفر، و أشار بذلك إلى المنصور، فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يخبر به، و علم أن الأمر يصل إليه. و لما هرب كان يقول: أين قول صادقهم؟ و بعد ذلك انتهى الأمر إليه.

و كان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح، كان أعبد أهل وقته يقوم الليل و يصوم النهار. سمى الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، و نقل فضله المخالف و المؤلف.

قال ابن الجوزى من الحنابله: عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجاً فى سنه تسع و أربعين و مائه فنزلت القادسيه، فإذا شابٌ حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشمله، فى رجليه نعلان، و قد جلس منفرداً عن الناس، فقلت فى نفسى: هذا الفتى من الصوفيه يريد أن يكون كلاً على الناس، و الله لأمضين إليه و أوبخنه! فدنوت منه فلما رآنى مقبلاً قال: يا شقيق «اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثمٌ» فقلت فى نفسى: هذا عبد صالح قد نطق على ما فى خاطرى، لألحقنه و لأسأله أن يحللىنى، فغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصه إذا به يصلّى و أعضاؤه تضطرب و دموعه تتحادر، فقلت: أمضى إليه و أعتذر، فأوجز فى صلاته ثم قال: يا شقيق: «وَ إِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»، فقلت: هذا من الأبدال، قد تكلم على

سرى مرتين! فلما نزلنا زباله إذا به قائم على البئر وبيده ركوه يريد أن يستقى ماء، فسقطت الركوه فى البئر، فرفع طرفه إلى السماء وقال: أنت ربى إذا ظمئت إلى الماء و قوتى إذا أردت الطعاما

يا سيدى ما لى سواها! قال شقيق: فو الله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها، فأخذ الركوه و ملأها و توضأ و صلى أربع ركعات ثم مال إلى كتيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده و يطرحه فى الركوه و يشرب. فقلت: أطعمنى من فضل ما رزقك الله و أنعم الله عليك! فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهره و باطنه، فأحسن ظنك برّبك. ثم ناولنى الركوه، فشربت منها فإذا سويق و سكر، ما شربت و الله ألدّ منه و أطيب ريحاً، فشبع و رويت، و أقمت أياماً لا أشتهى طعاماً و لا شراباً! ثم لم أره حتى دخل مكة، فرأيته ليله إلى جانب قبه الشراب نصف الليل يصلى بخشوع و أنين و بكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل.

فلما طلع الفجر جلس فى مصلاه يسبح ثم قام إلى صلاة الفجر و طاف بالبيت أسبوعاً و خرج، فتبعته فإذا له حاشيه و أموال و غلمان و هو على خلاف ما رأيت فى الطريق، و دار به الناس يسلمون عليه و يتبركون به! فقلت لبعضهم: من هذا؟ فقال:

موسى بن جعفر! فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد! رواه الحنبلى.

و على يده عليه السلام تاب بشر الحافى، لأنه اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاهى و أصوات الغناء و القصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جاريه و بيدها قمامه البقل فرمت بها فى الدرب: فقال لها: يا جاريه! صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟ فقالت:

بل حرّ، فقال: صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت قال مولاه و هو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثنى رجل بكذا و كذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده.

و كان ولده على الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه و أعلمهم، و أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، و تولاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال و الفضل.

و عظم يوماً أخاه زيدا فقال له: يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِذَا سَفَكَتِ الدَّمَاءَ وَ أَخْفَتِ السَّبِيلَ وَ أَخَذَتِ المَالَ مِنْ غَيْرِ حَلِّهِ، غَوَّكَ حُمَقَاءُ أَهْلِ الكُوفَةِ! وَ قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: إِن فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرَجَهَا فَحَرَّمَ اللهُ ذَرْيَتَهَا عَلَى النَّارِ، وَ اللهُ مَا نَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ اللهِ، فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَنَالَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ مَا نَالُوهُ بِطَاعَتِهِ، إِنَّكَ إِذَا لَأَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ!

و ضرب المأمون اسمه على الدراهم و الدينانير، و كتب إلى الآفاق ببيعته، و طرح السواد و لبس الخضرة.

و قيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال: قيل لى أنت أفضل الناس طراً

و كان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه فى العلم و التقوى و الجود، و لما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه و دينه و وفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوجه ابنته أم الفضل و كان قد زوج أباه الرضا عليه السلام بابنته أم حبيب، فغلظ ذلك على العباسيين و استكبروه، و خافوا أن يخرج الأمر منهم، و أن يتابعه كما تابع أباه، فاجتمع الأدنؤن منه و سألوه ترك ذلك و قالوا إنه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به فإن شئتم فامتحنوه، فرضوا بذلك و جعلوا ليحيى بن أكنم مالاً كثيراً على امتحانه فى مسألة يعجزه فيها، فتواعدوا إلى يوم.

فأحضره المأمون و حضر القاضى و جماعه العباسيين فقال القاضى: أسألك عن

شىء؟ فقال له عليه السلام: سل. فقال: ما تقول فى محرم قتل صيداً؟ فقال له الإمام عليه السلام: أقتله فى حل أو حرم؟ عالماً كان أو جاهلاً؟ مبتدئاً بقتله أو عائداً؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ عبداً كان المحرم أو حراً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟! فتحيّر يحيى بن أكثم و بان العجز فى وجهه، حتى عرف جماعه أهل المجلس أمره! فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟!

ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أ تخطب؟ فقال نعم. فقال أخطب لنفسك خطبه النكاح، فخطب و عقد على خمسمائه درهم جياذاً مهر جدّته فاطمه عليها السلام، ثم تزوّج بها.

و كان ولده على الهادى عليه السلام و يقال له: العسكرى، لأن المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثم منها إلى سر من رأى فأقام بموضع عندها يقال له العسكر، ثم انتقل إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة و تسعه أشهر.

و إنما أشخصه المتوكّل لأنه كان يبغض علياً عليه السلام فبلغه مقام على بالمدينة و ميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمه فأمره بإشخاصه فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة فى المسجد، فحلف لهم يحيى أنه لا مكروه عليه، ثم فّتش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف و أدعيه و كتب العلم، فعظم فى عينه و تولّى خدمته بنفسه. فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق ابن إبراهيم الطاهرى والى بغداد فقال له: يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله صلّى الله عليه و آله و المتوكّل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله خصمك! فقال له يحيى: و الله ما وقعت منه إلّا على خير. قال: فلما دخلت على المتوكّل أخبرته بحسن سيرته و زهده و ورعه فأكرمه المتوكّل.

ثم مرض المتوكّل فنذر إن عوفى تصدّق بدراهم كثيره، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى على الهادى عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثه

و ثمانين درهماً، فسأله المتوكل عن السبب فقال: لقوله تعالى: «لَقَدْ نَصَّيْرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ»، و كانت المواطن هذه الجملة، فإن النبي صَلَّى الله عليه و آله غزا سبعمائة و عشرين غزاه و بعث ستاً و خمسين سرية.

قال المسعودي: نَمِيَ إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، و أنه عازم على الملك، فبعث إليه جماعه من الأتراك فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا شيئاً، و وجدوه في بيت مغلق عليه و هو يقرأ و عليه مدرعه من صوف، و هو جالس على الرمل و الحصباء، متوجه إلى الله تعالى يتلو القرآن، فحمل على حالته تلك إلى المتوكل، فأدخل عليه و هو في مجلس الشراب و الكأس في يد المتوكل فأعظمه و أجلسه إلى جانبه و ناوله الكأس، فقال: و الله ما خامر لحمي و دمي قط فاعفني فأعفاه، و قال له: أسمعني صوتاً فقال عليه السلام: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ ..» الآيات..

فقال: أنشدني شعراً فقال: إنني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بد من ذلك، فأنشده: باتوا على قُلل الأَجبال تحرسُهم

فبكى المتوكل حتى بَلَّت دموعه لحيته.

و كان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامه كثيراً.

و ولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي

اسمه كاسمى و كنيته كنىتى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي».

فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغايه فى الكمال، و لم يتخذوا ما اتّخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك و أنواع المعاصى و الملاهى و شرب الخمر و الفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإماميه: فالله يحكم بيننا و بين هؤلاء و هو خير الحاكمين، و ما أحسن قول بعض الناس: إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

و ما أظن أحداً من المحضّلين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير مذهب الإماميه باطناً، و إن كان فى الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس و الربط و الأوقاف حتى تستمر لبنى العباس الدعوه، و يشيدوا للعامه اعتقاد إمامتهم!

و كثيراً ما رأينا من يدين فى الباطن بمذهب الإماميه و يمنع عن إظهاره حبّ الدنيا و طلب الرياسه.

و قد رأيت بعض أئمه الحنابله يقول: إنى على مذهب الإماميه، فقلت له: لم تُدرّس على مذهب الحنابله؟ فقال: ليس فى مذهبكم البغلات و المشاهرات!

و كان أكبر مدرسى الشافعيه فى زماننا، حيث توفى أوصى بأن يتولّى أمره فى غسله و تجهيزه بعض المؤمنين، و أن يدفن فى مشهد الكاظم عليه السلام، و أشهد عليه أنه على دين الإماميه!

إن الإماميه لم يذهبوا إلى التعصّب في غير الحق، فقد ذكر الغزالي و المتولى و كانا إمامين للشافعيه: أن تسطيح القبور هي المشروع، لكن لما جعلته الرافضه شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسليم!

و ذكر الزمخشري-و كان من أئمه الحنفيه-في تفسير قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ»، أنه يجوز بمقتضى هذه الآيه أن يصلّى على آحاد المسلمين، لكن لما اتخذت الرافضه ذلك في أئمتهم منعناه!

و قال مصنف الهدايه من الحنفيه: المشروع التختم في اليمين، لكن لما اتخذته الرافضه عادةً جعلنا التختم في اليسار! و أمثال ذلك كثير! فانظر إلى من يغيّر الشريعة و يبدّل الأحكام التي ورد بها حديث النبي صلّى الله عليه و آله، و يذهب إلى ضدّ الصواب معاندةً لقوم معيّنين، هل يجوز اتّباعه و المصير إلى أقواله؟

مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعه و أن النبي صلّى الله عليه و آله قال: «كلّ بدعه ضلاله و كلّ ضلاله فإن مصيرها إلى النار». و قال صلّى الله عليه و آله: «من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ عليه». و لو ردّوا عنها كرهته نفوسهم و نفرت قلوبهم:

كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صلّى الله عليه و آله و لا- في زمن أحد من الصحابه و التابعين، و لا في زمن بنى أميه و لا في صدر ولايه العباسيين! بل هو شيء أحدثه المنصور لما وقع بينه و بين العلويه فقال: و الله لأرغمنّ أنفى و أنوفهم و أرفع عليهم بنى تيم و عدى! و ذكّر الصحابه في خطبته. و استمرت هذه البدعه إلى هذا الزمان!

و كمسح الرجلين الذي نصّ عليه الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»، قال

ابن عباس: عضوان مغسولان و عضوان ممسوحان. فغَيَّرُوهُ و أَوْجِبُوا الْغَسْلَ!

و كَالْمُنْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَرَدَ بِهِمَا الْقُرْآنُ، فَقَالَ فِي مَتَعِهِ الْحَجَّ: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَيْدِي». وَ تَأَسَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى فَوَاتِهَا لَمَّا حَجَّ قَارِنًا وَ قَالَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَّا سَقَتِ الْهَيْدِي». وَ قَالَ فِي مَتَعِهِ النَّسَاءَ:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ». وَ اسْتَمَرَّ فَعَلَهَا مَدَّةَ زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ مَدَّ خِلَافَهُ أَبِي بَكْرٍ وَ بَعْضَ خِلَافِهِ عُمَرَ، إِلَى أَنْ صَعِدَ الْمَنْبِرَ وَ قَالَ: مَتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَا أَنَهَى عَنْهُمَا وَ أَعَاقَبَ عَلَيْهِمَا!

وَ مَنَعَ أَبُو بَكْرٍ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ إِرْتِهَابًا فَقَالَتْ لَهُ: «يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ أَ تَرِثُ أَبَاكَ وَ لَا أَرِثُ أَبِي!»! وَ التَّجَأَ فِي ذَلِكَ إِلَى رِوَايَةِ انْفِرَادِهَا وَ كَانَ هُوَ الْغَرِيمَ لَهَا، لِأَنَّ الصَّدَقَةَ تَحَلَّى لَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً، عَلَى مَا رَوَاهُ عَنْهُ! وَ الْقُرْآنُ يَخَالِفُ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ»، وَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ خَاصًّا بِالْأُمَّةِ دُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ. وَ كَذَّبَ رِوَايَتُهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: «وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ». وَ قَالَ تَعَالَى عَنْ زَكَرِيَّا: «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ».

وَ لَمَّا ذَكَرَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ هَبَهَا فَذَكَأَ قَالَ لَهَا: هَاتِ أَسْوَدَ أَوْ أَحْمَرَ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ! فَجَاءَتْ بِأَمِّ أَيْمَنَ فَشَهِدَتْ لَهَا بِذَلِكَ فَقَالَ:

امْرَأَةٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهَا! وَ قَدْ رَوَوْا جَمِيعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: «أُمُّ أَيْمَنَ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَجَاءَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَشَهِدَ لَهَا فَقَالَ: هَذَا بَعْلُكَ يَجْرَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَ لَا نَحْكُمُ بِشَهَادَتِهِ لَكَ! وَ قَدْ رَوَوْا جَمِيعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: «عَلَى مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ»! فَغَضِبَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ عِنْدَ ذَلِكَ وَ انصرفت و حلفت أن لا تكلمه و لا صاحبه حتى تلقى أباهما و تشكو إليه.

فلما حضرتها الوفاه أوصت علياً أن يدفنها ليلاً، ولا يدع أحداً منهم يصلّي عليها، وقد رووا جميعاً أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «يا فاطمه إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك». و رووا جميعاً أنه صلّى الله عليه وآله قال: «فاطمه بضعه مني، من آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله!»!

و لو كان هذا الخبر حقاً لما جاز له ترك البغله التي خلفها النبي صلّى الله عليه وآله، و سيفه و عمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، و لما حكم بها له لما ادّعاها العباس! و لكان أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى في كتابه عن الرجس عليهم السلام مرتكبين ما لا يجوز، لأن الصدقه عليهم محرمة.

و بعد ذلك، جاء إليه مال البحرين و عنده جابر بن عبد الله الأنصاري فقال له: إن النبي صلّى الله عليه وآله قال لي: إذا أتى مال البحرين حثوت لك ثم حثوت لك ثلاثاً، فقال له: تقدم فخذ بعدتها، فأخذ من مال بيت المسلمين من غير بينه، بل لمجرد الدعوى.

و قد روت الجماعه كلهم أن النبي قال في حق أبي ذر: «ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبي ذر»، و لم يسموه صديقاً و سموأ أبا بكر بذلك، مع أنه لم يرو مثل ذلك في حقه!

و سموه خليفه رسول الله صلّى الله عليه وآله مع أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يستخلفه في حياته، و لا بعد وفاته عندهم! و لم يسموا أمير المؤمنين عليه السلام خليفه رسول الله مع أنه استخلفه في عده مواطن، منها أنه استخلفه على المدينه في غزاه تبوك و قال له: «إن المدينه لا تصلح إلا بي أو بك أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى».

و أمر أسامه على الجيش الذين فيهم أبو بكر و عمر و مات و لم يعزله، و لم يسموه خليفه! و لما تولّى أبو بكر غضب أسامه و قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمرني

عليك فمن استخلفك عليّ؟ فمشى إليه هو و عمر حتى استرضياه، و كانا يسميانه مدّه حياتهما أميراً.

و سمّوا عمر الفاروق و لم يسمّوا عليّاً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال فيه: «هذا فاروق أمتي يفرق بين الحق و الباطل». و قال ابن عمر: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إلّا ببغضهم عليّاً».

و عَظّموا أمر عائشه على باقى نسوانه، مع أنه صَلَّى الله عليه و آله كان يكثر من ذكر خديجه بنت خويلد و قالت له عائشه: إنك تكثر من ذكرها و قد أبدلك الله خيراً منها! فقال لها: «و الله ما بُدِّلْتُ بها من هو خير منها: صدقتني إذ كذّبنى الناس، و آوتني إذ طردني الناس، و أسعدتني بمالها، و رزقني الله الولد منها و لم أرزق من غيرها!»

و أذاعت سرّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و قال لها النبي صَلَّى الله عليه و آله:

«إنك تقاتلين عليّاً و أنت ظالمه».

ثم إنها خالفت أمر الله تعالى فى قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»، و خرجت فى ملاءم الناس تقاتل عليّاً عليه السلام على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان و كانت هى كلّ وقت تأمر بقتله و تقول: أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، فلمّا بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولّى الخلفه؟ فقالوا: على عليه السلام فخرجت لقتاله على دم عثمان! فأى ذنب كان لعلى عليه السلام على ذلك؟!

و كيف استجاز طلحه و الزبير مطاوعتها على ذلك؟ و بأى وجه يلقون رسول الله صَلَّى الله عليه و آله مع أن الواحد منّا لو تحدّث مع امرأه غيره و أخرجها من منزله و سافر بها، كان أشدّ الناس عداوه له. و كيف أطاعها على ذلك عشرات الألوف من المسلمين و ساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، و لم ينصر أحدٌ منهم بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لَمّا طلبت حقها من أبى بكر، و لا شخصٌ واحد بكلمه واحده!

و سَمَّوْهَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَمْ يَسْمُوا غَيْرَهَا بِذَلِكَ!

و لَمْ يَسْمُوا أَخَاهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ عَظْمِ شَأْنِهِ وَ قَرَبِ مَنْزِلَتِهِ مِنْ أَبِيهِ وَ مِنْ أُخْتِهِ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، خَالَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ سَمَّوْا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ أُخْتَهُ أُمَ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سَفْيَانَ بَعْضَ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ! وَ أُخْتِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَ أَبَوِهِ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ مِنْ أُخْتِ مَعَاوِيَةَ وَ مِنْ أَبِيهَا! مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَعَنَ مَعَاوِيَةَ الطَّلِيْقَ بْنَ الطَّلِيْقِ اللَّعِينِ وَ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنبَرِي فَاقْتُلُوهُ! وَ كَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَ قَاتَلَ عَلِيًّا وَ هُوَ عِنْدَهُمْ رَابِعُ الْخُلَفَاءِ إِمَامٌ حَقٌّ، وَ كُلٌّ مِنْ حَارِبٍ إِمَامٌ حَقٌّ فَهُوَ بَاغٍ ظَالِمٌ! وَ سَبَبَ ذَلِكَ مَحَبَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَفَارَقَتَهُ لِأَبِيهِ وَ بَغْضَ مَعَاوِيَةَ لِعَلِيِّ وَ مَحَارِبَتَهُ لَهُ.

و سَمَّوْهُ كَاتِبَ الْوَحْيِ وَ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنَ الْوَحْيِ بَلْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ رِسَائِلًا، وَ قَدْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَفْسًا يَكْتُبُونَ الْوَحْيَ، أَوْلَاهُمْ وَ أَحْصَاهُمْ بِهِ وَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مَعَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَزَلْ مُشْرِكًا مَدَّةَ كَوْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَبْعُوثًا يَكْذِبُ بِالْوَحْيِ وَ يَهْزَأُ بِالشَّرْعِ! وَ كَانَ بِالْيَمَنِ يَوْمَ الْفَتْحِ يَطْعَنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ يَكْتُبُ إِلَى أَبِيهِ صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ يَعْتِيْرُهُ بِإِسْلَامِهِ، وَ يَقُولُ لَهُ: أَ صَبَوْتَ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ، وَ كَتَبَ إِلَيْهِ: يَا صَخْرُ لَا تُسَلِّمُنِي طَوْعًا فَتَفْضَحُنَا

وَ الْفَتْحِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَثْمَانَ سَنِينَ مِنْ قَدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْمَدِينَةَ، وَ مَعَاوِيَةَ حِينَئِذٍ مُقِيمٌ عَلَى الشَّرْكِ، هَارِبٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِأَنَّهُ قَدْ هَدَرَ دَمَهُ فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ لَهُ مَأْوَى صَارَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

و كان إسلامه قبل موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَ طَرَحَ نَفْسَهُ عَلَى الْعَبَّاسِ فَسَأَلَ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فَعَفَا عَنْهُ ثُمَّ شَفَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَشْرَفَهُ وَ يَضِيفَهُ إِلَى جَمَلَةِ الْكُتَّابِ، فَأَجَابَهُ وَ جَعَلَهُ وَاحِداً مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ. فَكَمْ كَانَ يَخْصُهُ مِنَ الْكُتَّابِ فِي هَذِهِ الْمَدَةِ لَوْ سَلَّمْنَا أَنَّهُ كَانَ كَاتِبَ الْوَحْيِ، حَتَّى اسْتَحَقَّ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ!

مع أن الزمخشري من مشايخ الحنفية ذكر في ربيع الأبرار أنه ادعى بنوته أربعة نفر!

على أن من جملة كتبه الوحي ابن أبي سرح و ارتدّ مشركاً و فيه نزل: «وَ لَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

و قد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فسمعتة يقول:

«يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي!» فطلع معاوية.

و قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يوماً يخطب، فأخذ أبو سفيان بيد ابنه يزيد و خرج و لم يسمع الخطبة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «لَعَنَ اللَّهُ الْقَائِدَ وَ الْمَقُودَ! وَ أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ مَعَاوِيَةَ ذِي الْإِسْتَاهِ؟!».

و بالغ في محاربه على عليه السلام و قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة، و لعنه على المنابر، و استمر سبّه مدة ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز.

و سمّ الحسن.

و قتل ابنه يزيد مولانا الإمام الحسين.

و كسر جدّه نبيّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و أكلت أمّه كبد حمزه عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و سمّوا خالد بن الوليد سيف الله، عناداً لأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أحق بهذا الإسم حيث قتل بسيفه الكفار، و ثبتت بواسطه جهاده قواعد الدين، و قال فيه

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَلِيُّ سَيْفُ اللهِ وَسَيْفُهُمُ اللهُ. وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ: أَنَا سَيْفُ اللهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَرَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ.

و خالد لم يزل عدواً لرسول الله مكذباً له، وهو كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد و في كسر ربايعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قتل حمزه عمّه. و لما تظاهر بالإسلام بعثه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى بنى خزيمة ليأخذ منهم الصدقات فخانه و خالفه على أمره، و قتل المسلمين فقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أصحابه خطيباً بالإنكار عليه، رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهده بياض إبطيه و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أنفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام لتلافي فارطته و أمره أن يسترضى القوم ففعل».

و لثَمَّ قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْفَذَهُ أَبُو بَكْرٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، قَتَلَ مِنْهُمْ أَلْفًا وَ مِائَتِي نَفْسٍ مَعَ تَظَاهِرِهِمْ بِالْإِسْلَامِ! وَ قَتَلَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ صَبْرًا وَ هُوَ مُسْلِمٌ، وَ عَرَّسَ بِأَمْرَاتِهِ! وَ سَمَّوْا بَنِي حَنِيفَةَ أَهْلَ الرَّدِّ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْمِلُوا الزَّكَاةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوا إِمَامَتَهُ! وَ اسْتَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ نَسَاءَهُمْ حَتَّى أَنْكَرَ عَمْرٌ عَلَيْهِ. فَسَمَّوْا مَانِعَ الزَّكَاةِ مُرْتَدًّا وَ لَمْ يَسَمَّوْا مَنْ اسْتَحَلَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَ مُحَارَبِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُرْتَدًّا، مَعَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ حَرَبُكَ حَرَبِي وَ سَلْمُكَ سَلْمِي». وَ مُحَارِبَ رَسُولِ اللهِ كَافِرًا بِالْإِجْمَاعِ.

و قد أحسن بعض العقلاء في قوله: شرُّ من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعته و جرى معه في ميدان معصيته! و لا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة و كان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة! و لما خلق الله تعالى آدم و جعله خليفه في الأرض و أمره بالسجود فاستكبر! فاستحق الطرد و اللعن.

و معاويه لم يزل في الإشراك و عباده الأصنام إلى أن أسلم بعد ظهور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ اسْتَكْبَرَ عَنِ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى فِي نَصْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ

السلام إماماً و تابعه الكلّ بعد عثمان و جلس مكانه فكان شراً من إبليس!

و تمادى البعض فى التعصّب حتى اعتقد إمامه يزيد بن معاوية مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحة، من قتل الإمام الحسين عليه السلام و نهب أمواله و سبى نسائه و الدوران بهم فى البلاد على الجمال بغير قتب، و مولانا زين العابدين عليه السلام مغلول اليدين! و لم يقنعوا بقتله عليه السلام حتى رضوا أضلاعه و صدره بالخيل و حملوا رؤوسهم على القنا!

مع أن مشايخهم رووا أن يوم قتل الحسين عليه السلام قطرت السماء دمًا!

و قد ذكر الرافعى فى شرح الوجيز و ذكر ابن سعد فى الطبقات أن الحمره ظهرت فى السماء يوم قتل الحسين عليه السلام و لم تر قبل ذلك!

و قال أيضاً: ما رفع حجر فى الدنيا إلا و تحته الدم عييط! و لقد مطرت السماء مطراً بقى أثره فى الثياب مده حتى تقطعت.

قال الزهرى: ما بقى أحد من قاتلى الحسين إلا و عوقب فى الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك فى مده يسيره!

و قد كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يكثر الوصيه للمسلمين فى ولديه الحسن و الحسين عليهما السلام و يقول لهم: «هؤلاء و ديعتى عندكم»، و أنزل الله تعالى فيهم: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

و توقف جماعه ممن لا يقول بإمامته فى لعنه! مع أنه عندهم ظالم بقتل الحسين و نهب حريمه، و قد قال الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

و قال أبو الفرج بن الجوزى من شيوخ الحنابلة: عن ابن عباس قال: «أوحى الله تعالى إلى محمد صلّى الله عليه و آله إنى قتلت بيحى بن زكريا سبعين ألفاً و إنى قاتل بابتك فاطمه سبعين ألفاً و سبعين ألفاً».

و حكى السدى -و كان من فضلائهم- قال: نزلت بكر بلاء و معى طعام للتجاره

فنزّلنا على رجل فتعشينا عنده و تذاكرنا قتل الحسين و قلنا: ما شرك أحد في قتل الحسين إلا و مات أقيح موته! فقال الرجل: ما أكذبكم! أنا شركت في دمه و كنت فيمن قتله فما أصابني بشيء. قال: فما كان في آخر الليل إذا بالصياح! قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبغه، ثم دبّ الحريق في جسده فاحترق! قال السدي: فأنا و الله رأيت أنه كأنه حممه!

و قد سأل مهنا بن يحيى أحمد بن حنبل عن يزيد فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت: و ما فعل؟ قال: نهب المدينة! و قال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد فقال: يا بني و هل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر؟ فقلت: لم لا تلعه؟ فقال: و كيف لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: و أين لعن يزيد؟ فقال: في قوله:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ». فهل يكون فساداً أعظم من القتل.

و نهب المدينة ثلاثه أيام و سبى أهلها و قتل جمعاً من وجوه الناس فيها من قريش و الأنصار و المهاجرين يبلغ عددهم سبعمائه؟ و قتل من لم يُعرف من عبد أو حرّ أو امرأة عشره آلاف، و خاض الناس في الدماء، حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و امتلأت الروضة و المسجد! ثم ضرب الكعبه بالمناجق و هدمها و أحرقها.

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إن قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا، و قد شدّت يداه و رجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم، له ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة تنن ريحه، و هو فيها خالد ذائق للعذاب الأليم، كلّها نضجت جلودهم بدّل الله لهم الجلود حتى يذوقوا العذاب لا يفترونهم ساعة و يسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز و جل». و قال صلّى الله عليه و آله: «اشتدّ غضب الله تعالى و غضبي على من أهرق

دمى و آذانى فى عترتى».

فلينظر العاقل أى الفريقين أحق بالأمن:الذى نزه الله تعالى و ملائكته و أنبياءه و أئمته،و نزهوا الشرع عن المسائل الردييه،و من يبطل الصلاه بإهمال الصلاه على أئمتهم و بذكر أئمه غيرهم،أم الذى فعل ضد ذلك و اعتقد خلافه؟

الوجه السادس

إشاره

إن الإماميه لثما رأوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام و كمالاته لا تحصى،قد رواها المخالف و المؤلف،و رأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابه مطاعن كثيره و لم ينقلوا فى على عليه السلام طعناً البته! اتبعوا قوله و جعلوه إماماً لهم حيث نزهه المخالف و المؤلف،و تركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته.و نحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم و نقلوه فى المعتمد من كتبهم،ليكون حجه عليهم يوم القيامه:

فمن ذلك: ما رواه أبو الحسن الأندلسى فى الجمع بين الصحاح الستة:موطأ مالك،و صحيحى مسلم و البخارى،و سنن أبى داود،و صحيح الترمذى،و صحيح النسائى،عن أم سلمه زوج النبى صلى الله عليه و آله أن قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»،أنزلت فى بيتى و أنا جالسه عند الباب فقلت:يا رسول الله أ لست من أهل البيت؟فقال:إنك على خير إنك من أزواج رسول الله.قالت:و فى البيت رسول الله و على و فاطمه و حسن و حسين فجللهم بكساء و قال:اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و نحوه رواه أحمد بن حنبل.

و قال فى قوله تعالى: «إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ»،قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:ما عمل بهذه الآيه غيرى و بى خفف الله

تعالى أمر هذه الآية.

و عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه من بنى عبد الدار و عباس بن عبد المطلب و على بن أبي طالب عليه السلام فقال طلحة بن شيبه: معى مفتاح البيت و لو أشاء بئ فيه! و قال العباس: أنا صاحب السقايه و القائم عليها، و لو أشاء بئ في المسجد. و قال على عليه السلام: ما أدري ما تقولان! لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس و أنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: «أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَشِجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

و منها: ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي من وصيه! فقال له سلمان: يا رسول الله من وصييك؟ فقال: يا سلمان، من كان وصى موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: وصيى و وارثى يقضى دينى و ينجز موعدى، على بن أبي طالب.

و عن أبي مريم عن على عليه السلام قال: انطلقت أنا و النبي صلى الله عليه و آله حتى أتينا الكعبة فقال لى رسول الله صلى الله عليه و آله: إجلس! فصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفاً فنزل و جلس لى نبى الله صلى الله عليه و آله و قال:

إصعد على منكبى فصعدت على منكبى قال: فنهض بى قال: فإنه تخيل لى أنى لو شئت لثلت أفق السماء حتى صعدت على البيت، و عليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه و عن شماله و بين يديه و من خلفه، حتى إذا استحكمت منه، قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله: إقذف به فقدفت به فتكسّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت و انطلقت أنا و رسول الله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشيه أن يلقانا أحد من الناس.

و عن معقل بن يسار أن النبى صلى الله عليه و آله قال لفاطمه: ألا- ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً، و أكثرهم علماً و أعظمهم حلاًماً؟

و عن ابن أبي لیلی قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: الصديقون ثلاثة:

حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: «يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ»، و حزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ»، و علي بن أبي طالب، و هو أفضلهم.

و عن عمرو بن ميمون قال: لعلی عشر خصال ليست لغيره:

قال له النبي صَلَّى الله عليه و آله: لأبعثن رجلاً - لا - يخزيه الله أبداً، يحب الله و رسوله فاستشرف لها من استشرف قال: أين علي؟ قالوا: هو في الرحي يطحن، قال:

و ما كان أحدكم يطحن! قال: فجاء و هو أرمد لا يكاد أن يبصر قال: فنفت في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً، فأعطاها إياه. قال: ثم بعث أبا بكر بسوره التوبه فبعث علياً عليه السلام خلفه فأخذها منه و قال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منى و أنا منه.

و قال صَلَّى الله عليه و آله لبنى عمّه: أيكم يواليني في الدنيا و الآخرة؟ قال و علي معهم جالس، فأبوا فقال علي: أنا أو اليك في الدنيا و الآخرة! قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: أيكم يواليني في الدنيا و الآخرة فأبوا! فقال علي: أنا أو اليك في الدنيا و الآخرة، فقال: أنت وليي في الدنيا و الآخرة.

قال: و كان علي أول من أسلم من الناس بعد خديجه.

قال: و أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ثوبه فوضعه على علي و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً».

قال: و شرى علي نفسه و لبس ثوب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ثم نام مكانه و كان المشركون يرمونه بالحجاره.

و خرج النبي صَلَّى الله عليه و آله في غزوه تبوك فقال له علي عليه السلام: أخرج معك؟ فقال: لا، فبكى علي فقال: أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا

أنك لست بنبي، لا ينبغي أن أذهب إلا و أنت خليفتي.

قال: و قال له رسول الله: أنت وليي في كل مؤمن بعدى.

قال: و سدّ أبواب المسجد غير باب علي، قال: فيدخل المسجد جنباً و هو طريقه ليس له طريق غيره.

و قال له: من كنت مولاه، فإن مولاه علي.

و عن النبي صلّى الله عليه و آله مرفوعاً: أنه بعث أبا بكر ببراءة إلى أهل مكة، فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي عليه السلام إحققه فردّه و بلّغها أنت ففعل، فلما قدم أبو بكر على النبي صلّى الله عليه و آله بكى و قال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: لا، و لكن أمرت ألا يبلغه إلا أنا أو رجل مني.

و منها: ما رواه أخطب خوارزم عن النبي صلّى الله عليه و آله أنه قال: يا علي لو أن عبداً عبد الله عز و جل مثل ما قام نوح في قومه، و كان له مثل أُجْر ذهاباً فأنفقه في سبيل الله، و مَدَّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا و المروه مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي، لم يشم رائحة الجنة و لم يدخلها!

و قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبك لعليّ! قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني و من أبغض عليّاً فقد أبغضني.

و عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له و لمحبيّه إلى يوم القيامة.

و عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «من أحبّ عليّاً قبل الله منه صلاته و صيامه و قيامه و استجاب دعاءه، ألا و من أحبّ عليّاً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينه في الجنة. ألا و من أحبّ آل محمد أمن من الحساب و الميزان و الصراط. ألا و من مات على حبّ آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء. ألا و من أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمه الله».

و عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ آمَنَ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ وَهُوَ يَبْغِضُ عَلِيًّا، فَهُوَ كَاذِبٌ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ».

و عن أبي برزّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ ذَاتَ يَوْمٍ:

و الذى نفسى بيده لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله تبارك و تعالى عن أربع: عن عمره فيم أفناه، و عن جسده فيم أبلاه، و عن ماله ممّ كسبه و فيم أنفقه، و عن حينا أهل البيت. فقال له عمر: فما آية حبكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس على عليه السلام و هو إلى جانبه فقال: «إن حبي من بعدى حبّ هذا».

و عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَدْ سئِلُ: «بِأَيِّ لُغَةٍ خَاطَبْتُكَ رَبِّكَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟» فَقَالَ: خَاطَبْتَنِي بِلُغَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَلْهَمَنِي أَنْ قُلْتُ: يَا رَبِّ أَنْتَ خَاطَبْتَنِي أُمِّ عَلِيٍّ؟ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، أَنَا شَيْءٌ لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ لَا أَقَاسُ بِالنَّاسِ وَلَا أَوْصَفُ بِالْأَشْيَاءِ، خَلَقْتَكَ مِنْ نُورٍ وَ خَلَقْتَ عَلِيًّا مِنْ نُورِكَ، فَاطَّلَعْتَ عَلَيَّ سِرَائِرَ قَلْبِكَ فَلَمْ أَجِدْ إِلَى قَلْبِكَ أَحَبَّ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَخَاطَبْتُكَ بِلِسَانِهِ كَيْمَا يَطْمِئِنُّ قَلْبُكَ».

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرَ مِدَادٌ وَ الْجَنَّ حِسَابٌ وَ الْإِنْسَ كِتَابٌ، مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

و بالإسناد قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِأَخِي عَلِيِّ فَضَائِلَ لَا تَحْصِي كَثْرَهُ، فَمَنْ ذَكَرَ فَضِيلَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ مَقْرَأً بِهَا غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تَأَخَّرَ، وَ مَنْ كَتَبَ فَضِيلَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ لَتَلْكَ الْكِتَابَةَ رَسْمًا، وَ مَنْ اسْتَمَعَ فَضِيلَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا، وَ مَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابٍ مِنْ فَضَائِلِهِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا. ثُمَّ قَالَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِبَادَةٌ وَ ذِكْرُهُ عِبَادَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِيْمَانَ عَبْدٍ إِلَّا بِوَلَايَتِهِ وَ الْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ».

و عن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنه قَالَ: «لمبارزه على بن أبي طالب لعمر و بن عبد و د يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

و عن سعد بن أبي وقاص قَالَ: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بالسبِّ فأبى، فقال:

ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: «ثلاث قالهن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فلن أسبه لأن يكون لي واحده منهن أحبَّ إليّ من حُمْر النعم، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يقول لعلي و قد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء و الصبيان؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبَّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، فتناولنا فقال: أدعوا لي علياً فأتاه و به رمد فبصق في عينيه فدفع الراية إليه ففتح الله عليه. و أنزلت هذه الآية: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

و عن عامر بن واثله قَالَ: كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى، فسمعت علياً عليه السلام يقول لهم: لأحتجَّن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم و لا عجميتكم تغيير ذلك! ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعاً: أفيكم أحدٌ و حُدَّ اللهُ تعالى قبلي؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له أخ مثل أخي جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له عم مثل عمي حمزه أسد الله و أسد رسوله سيد الشهداء، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيده نساء أهل الجنة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له سبطان مثل سبطي الحسن و الحسين سيدي

شباب أهل الجنة غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات و قدم بين يدي نجواه صدقه، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، ليبلغ الشاهد الغائب، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك و إلى و أشدهم لك حباً و لى حباً، يأكل معى هذا الطائر، فأتاه فأكل معه، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الزايه رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيرى منهزماً، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبنى وليعه:

لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً نفسه كنفسى طاعه طاعتى و معصيه معصيتى يفصلكم بالسيف، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذب من زعم أنه يحبني و يبغض هذا، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه فى ساعه واحده ثلاثه آلاف من الملائكه، منهم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، حيث جئت بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من القلب، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودى به من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على، غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبرئيل:هذه هي المواساة فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:إنه منى و أنا منه.فقال جبرئيل عليه السلام و أنا منكما،غيرى؟ قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:تقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين على لسان النبى صَلَّى الله عليه و آله غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:إنى قاتلت على تنزيل القرآن و تقاتل على تأويل القرآن،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ردّت عليه الشمس حتى صَلَّى العصر فى وقتها،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أن يأخذ براءه من أبى بكر،فقال له أبو بكر:يا رسول الله أنزل فىّ شىء؟فقال له:إنه لا يؤدى عنى إلا على،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:لا- يحبّيك إلما مؤمن و لا- يبغضك إلا منافق،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله أ تعلمون أنه أمر بسدّ أبوابكم و فتح بابى،فقلتم فى ذلك،فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:ما أنا سدّدت أبوابكم و لا أنا فتحت بابه بل الله سدّ أبوابكم و فتح بابه،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله،أ تعلمون أنه ناجانى فى يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقلتم:ناجاه دوننا! فقال:ما أنا انتجيته بل الله انتجاه،غيرى؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله،أ تعلمون أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال:الحق مع على و على مع الحق،يدور الحق مع على كيفما دار؟قالوا:اللهم نعم.

قال:فأنشدكم بالله،أ تعلمون أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال:إني تارك فيكم الثقلين:كتاب الله و عترتي لن تضلوا ما استمسكتم بهما،و لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض؟قالوا:اللهم نعم.

قال:فأنشدكم بالله،هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه و اضطجع في مضجعه،غيري؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله،هل فيكم أحد بارز عمرو بن ودّ العامري حيث دعاكم إلى البراز،غيري؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله،هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول:«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً» غيري؟قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله،هل فيكم أحد قال له رسول الله:أنت سيد العرب غيري؟ قالوا:اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله،غيري؟قالوا:اللهم لا.

و منها:ما رواه أبو عمر الزاهد،عن ابن عباس،قال:لعلی أربع خصال ليس لأحد من الناس غيره:هو أول عربي و عجمي صَلَّى مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله،و هو الذي كان لواؤه معه في كلّ زحف،و هو الذي صبر معه يوم حنين،و هو الذي غسّله و أدخله قبره.صَلَّى الله عليهما.

و عن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال:«مررت ليله المعراج بقوم تشرشر أشداقهم فقلت:يا جبرئيل من هؤلاء؟قال هؤلاء الذين يقطعون الناس بالغيبة.قال:مررت بقوم ضأضؤوا فقلت:يا جبرئيل من هؤلاء؟قال:هؤلاء الكفار،قال:ثم عدلنا عن ذلك الطريق،فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت علياً يصلي،فقلت لجبرئيل:يا جبرئيل، أ هذا على قد سبقنا؟قال:لا،ليس هذا علياً.قلت:فمن هو؟قال:إن الملائكة المقربين

و الملائكة الكروبيين، لما سمعت فضائل علي عليه السلام و بخاصه سمعت قولك فيه:

أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا- أنه لا نبي بعدي، اشتاقت إلى علي، فخلق الله لها ملكاً على صورته علي، فإذا اشتاقت إلى علي نظرت إلى ذلك الملك، فكأنها قد رأت علياً!

و عن ابن عباس قال: إن المصطفى صلى الله عليه و آله قال ذات يوم و هو نشيط:

«أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى! قال: فقوله: أنا الفتى، يعنى هو فتى العرب بإجماع، أى سيدها و قوله: ابن الفتى، يعنى إبراهيم الخليل عليه السلام، من قوله عز و جل: «قَالُوا سَجِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»، و قوله: أخو الفتى، يعنى علياً عليه السلام و هو قول جبرئيل عليه السلام فى يوم بدر و قد عرج إلى السماء بالفتح و هو فرح و هو يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي».

و عن ابن عباس قال: رأيت أبا ذر و هو متعلق بأستار الكعبه و هو يقول: من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا أبو ذر، لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، و صليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم ذلك حتى تحبوا علياً عليه السلام!

و منها: ما نقله صاحب الفردوس فى كتابه: عن معاذ عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «حبّ علي بن أبى طالب عليه السلام حسنه لا تضرّ معها سيئه، و بغضه سيئه لا تنفع معها حسنه».

و عن ابن مسعود، قال: «حبّ آل محمد خير من عباده سنه و من مات عليه دخل الجنة».

و عن أنس قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه و آله إذ أقبل علي فقال النبي صلى الله عليه و آله: «أنا و هذا حجه الله على خلقه».

و عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «لو اجتمع الناس على حبّ علي لم يخلق الله النار».

و منها: ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعي بإسناده عن أبي برزّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَىٰ عَهْدًا فِي عِلِّيِّ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ بَيْنَهُ لِي فَقَالَ: إِسْمِعْ فَقُلْتُ: سَمِعْتُ فَقَالَ: إِنَّ عَلِيًّا رَأْيَهُ الْهُدَىٰ وَ إِمَامُ الْأَوْلِيَاءِ وَ نُورٌ مِنْ أَطَاعَنِي، وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ، مِنْ أَحِبِّهِ أَحْبَبُنِي وَ مِنْ أَبْغَضِهِ أَبْغَضُنِي فَبَشَّرَهُ بِذَلِكَ! فَجَاءَ عَلِيٌّ فَبَشَّرْتَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فِي قَبْضَتِهِ فَإِنْ يَعِزُّنِي فَبِذَنُوبِي وَ إِنْ يَتِمُّ لِي الَّذِي بَشَّرْتَنِي بِهِ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِبْعَةَ الْإِيمَانِ! فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ فَعَلْتَ بِهِ ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَىٰ أَنَّهُ سَيَخْصُهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخْصُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَخِي وَ صَاحِبِي فَقَالَ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ، إِنَّهُ مَبْتَلَىٰ وَ مَبْتَلَىٰ بِهِ».

و رواه صاحب كتاب حليه الأولياء.

و عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَوْصِي مِنْ آمَنَ بِي وَ صَدَّقَنِي بَوْلَايِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَوْلَاهُ فَقَدْ تَوْلَانِي وَ مِنْ تَوْلَانِي فَقَدْ تَوْلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ مِنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي وَ مِنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهُ وَ مِنْ سَبَّ اللَّهُ أَكْبَهُ عَلِيٌّ مَنْخَرِيهِ فِي النَّارِ!»

و الأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى، لكن اقتصرنا في هذه المختصر على هذا القدر.

المطاعن في الجماعه

و أما المطاعن في الجماعه: فقد نقل أتباعهم الجمهور منها شيئاً كثيراً، حتى صنّف الكلبي كتاباً كلّه في مثالب الصحابه، و لم يذكر فيه منقصه واحده لأهل البيت عليهم السّلام. و قد ذكر غيره منهم أشياء كثيره، و نحن نذكر شيئاً يسيراً منها:

منها: ما رووه عن أبي بكر أنه قال على المنبر: إن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله كان يعصم بالوحي و إن لي شيطاناً يعتريني فإن استقمت فأعينوني و إن زغت فقوموني.

و كيف تجوز إمامه من يستعين بالرعيه على تقويمه مع أن الرعيه تحتاج إليه!

و قال: أفيكوني فلست بخيركم! فإن كانت إمامته حقاً كانت استقالته منها معصيه، و إن كانت باطله لزم الطعن.

و قال عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. و لو كانت إمامته صحيحه لم يستحق فاعلها القتل، فيلزم تطرّق الطعن إلى عمر، و إن كانت باطله لزم الطعن عليهما معاً!

و قال أبو بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ و هذا يدلّ على أنه في شك من إمامته و لم تقع صواباً.

و قال عند احتضاره: ليت أمي لم تلدني! يا ليتني كنت تبنة في لبنة! مع أنهم نقلوا عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا و يرى مقعده من الجنة أو النار.

و قال أبو بكر: ليتني في ظلّ بني ساعده ضربت يدي على يد أحد الرجلين و كان هو الأمير و كنت الوزير! و هو يدلّ على أنه لم يكن صالحاً يرتضى نفسه للإمامه.

و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله في مرض موته مره بعد أخرى مكرراً لذلك:

أنفذوا جيش أسامه، لعن الله المتخلف عن جيش أسامه! و كان الثلاثه معه. و منع أبو بكر عمر من ذلك.

و أيضاً، لم يولّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله أبا بكر عملاً. البتة في وقته، بل ولى عليه عمرو بن العاص تاره و أسامه أخرى، و لما أنفذه بسوره براءه ردّه بعد ثلاثه أيام بوحى من الله تعالى! و كيف يرتضى العاقل إمامه من لا يرتضيه النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله بوحى من الله تعالى لأداء عشر آيات من براءه؟!

و قطع أبو بكر يسار سارق و لم يعلم أن القطع لليد اليمنى!

و أحرق الفجاءه السلمى بالنار و قد نهى النبى صَلَّى الله عليه و آله عن الإحراق بالنار و قال: لا يعذب بالنار إلا ربّ النار!

و خفى عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلاله، و قال: أقول فيها برأى، فإن كان صواباً فمن الله و إن كان خطأ فمنى و من الشيطان.

و قضى فى الجدّ سبعين قضيه و هو يدلّ على قصوره فى العلم!

فأى نسبه له إلى من قال: سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى عن طرق السماء فإنى أعرف بها من طرق الأرض؟! قال أبو البحرى: رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفه و عليه مدرعه كانت لرسول الله متقلداً بسيف رسول الله متعمماً بعمامه رسول الله فى إصبغه خاتم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقعد على المنبر و كشف عن بطنه فقال: سلونى قبل أن تفقدونى، فإنما بين الجوانح منى علم جم، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، هذا ما زقنى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله زقاً من غير وحى أوحى إالىّ، فو الله لو تُبَيِّت لى و ساده فجلست عليها لأفتيت أهل التوراه بتوراتهم، و أهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراه و الإنجيل فتقول: صدق علىّ قد أفتاكم بما أنزل الله فىّ، و أنتم تتلون الكتاب، أ فلا تعقلون؟!!

و روى البيهقى فى كتابه بإسناده عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى تقواه، و إلى إبراهيم فى حلمه، و إلى موسى فى هيبته، و إلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السلام». فأثبت له ما تفرّق فيهم.

قال أبو عمرو و الزاهد: قال أبو العباس ثعلب: لا- نعلم أحداً قال بعد نبىّه: سلونى من شيث إلى محمد صَلَّى الله عليه و آله إلا علياً، فسأله الأكابر: أبو بكر و عمر و أشباههما حتى انقطع السؤال، ثم قال بعد هذا كله: يا كميل بن زياد! إن هاهنا لعلماً جمّاً لو وجدت

و أهمل أبو بكر حدود الله، فلم يقتص من خالد بن الوليد و لا حدّه حين قتل مالك بن نويرة و كان مسلماً و تزوّج امرأته من ليله قتله و ضاجعها! و أشار عليه عمر بقتله فلم يقبل!

و خالف أمر الله تعالى في توريث بنت النبي صَلَّى الله عليه و آله و منعها فدكاً.

و تسمى بخليفه رسول الله من غير أن يستخلفه.

و منها: ما رووه عن عمر: روى أبو نعيم الحافظ في كتاب حليه الأولياء: أنه لما احتضر قال: «يا ليتني كنت كبشاً لقومي فسموني ما بدا لهم ثم جاءهم أحبّ قومهم إليهم فذبحوني، فجعلوا نصفى شواء و نصفى قديداً فأكلوني، فأكون عذره و لا أكون بشراً!! هل هذا إلا مساو لقول الله تعالى: «و يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً»؟

و قال لابن عباس عند احتضاره: لو أن لي مل الأرض ذهباً و مثله معه لافتديت به نفسى من هول المطلع! و هذا مثل قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ»!

فلينظر المنصف العاقل قول الرجلين عند احتضارهما، و قول على عليه السلام:

متى ألقاها، متى يبعث أشقاها، متى ألقى الأحبه محمداً و حزبه؟ و قوله حين قتل: فُزْتُ وَ رَبِّ الكعبة!

و روى صاحب الجمع بين الصّيحات السنّة، من مسند ابن عباس أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال في مرض موته: «إئتوني بدواه و بياض لأكتب لكم كتاباً لا تضلّون به من بعدى، فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله! و كثر اللّغظ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: أخرجوا عنى لا ينبغى التنازع لديّ!» فقال ابن عباس:

الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

و قال عمر لما مات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: و الله ما مات محمد و لا يموت

حتى يقطع أيدي رجال و أرجلهم! فلما نبهه أبو بكر و تلا عليه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، و قوله: «فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ»، قال: كأني ما سمعت بهذه الآية.

و لَمَّا وَعَظَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ فِي فَدَكٍ كَتَبَ لَهَا بِهَا كِتَابًا وَ رَدَّهَا عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيهَا عُمَرُ فَخَرَّقَ الْكِتَابَ، فَدَعَتْ عَلَيْهِ بِمَا فَعَلَهُ أَبُو لَوْلُؤُهُ بِهِ.

و عَطَّلَ حَدَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَحِدِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شَعْبَةَ.

و كَانَ يُعْطَى أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي، فَكَانَ يُعْطَى عَائِشَةَ وَ حَفْصَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دَرَاهِمًا.

و غَيَّرَ حَكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَتَعَتَيْنِ.

و كَانَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْكَامِ: أَمْرُ بَرَجَمٍ حَامِلٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَانَ لَكَ عَلَيْهَا سَبِيلٌ فَلَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيَّ مَا فِي بَطْنِهَا. فَأَمْسَكَ، وَ قَالَ: لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ.

و أَمْرُ بَرَجَمٍ مَجْنُونِهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ الْقَلَمُ رَفَعَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، فَأَمْسَكَ، وَ قَالَ: لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ.

وَ قَالَ فِي خُطْبِهِ لَهُ: مَنْ غَالَى فِي مَهْرِ امْرَأَةٍ جَعَلْتَهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ:

كَيْفَ تَمْنَعَا مَا أَعْطَانَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: «وَ آتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنْطَارًا»، فَقَالَ: كُلُّ أَفْقِهِ مِنْ عُمَرٍ حَتَّى الْمَخْدَرَاتِ.

وَ لَمْ يَحْدِدْ قَدَامَهُ بَنُ مَطْعُونٍ فِي الْخَمْرِ لِأَنَّهُ تَلَا- عَلَيْهِ: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا»، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ قَدَامَهُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَ أَمْرُهُ بِحَدِّهِ، فَلَمْ يَدْرِكْ يَحْدَهُ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حُدَّهُ ثَمَانِينَ، إِنْ شَارَبَ الْخَمْرَ إِذَا شَرِبَهَا سَكَرَ وَ إِذَا سَكَرَ هَدَى وَ إِذَا هَدَى افْتَرَى.

وَ أَرْسَلَ إِلَى حَامِلٍ يَسْتَدْعِيهَا فَأَجْهَضَتْ خَوْفًا، فَقَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ: نَرَاكَ مُؤَدِّبًا وَ لَا شَيْءَ عَلَيْكَ، ثُمَّ سَأَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَوْجَبَ الدِّيَةَ عَلَيَّ عَاقِلَتِهِ.

وَ تَنَازَعَتْ امْرَأَتَانِ فِي طِفْلِ، فَلَمْ يَعْلَمْ الْحَكْمَ وَ فَرَعَ فِيهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ

السلام، فاستدعى المرأتين و وعظهما فلم ترجعا، فقال عليه السلام: إئتوني بمنشار! فقالت المرأتان له: ما تصنع؟ قال: أقده نصفين تأخذ كل واحد نصفاً، فرضيت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لا بد من ذلك قد سمحت به لها، فقال عليه السلام: الله أكبر هو ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقت عليه! فاعترفت الأخرى أن الحق مع صاحبها، وفرح عمر و دعا لأمير المؤمنين عليه السلام.

و أمر برجم امرأه ولدت لسته أشهر فقال له على عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك! إن الله تعالى يقول: «وَ حَمَلُهُ وَ فَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» و قال:

«وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» ، فحلى سبيلها.

و كان يضطرب فى الأحكام، فقضى فى الجدد بمائه قضيه.

و كان يفضل فى الغنيمه و العطاء و أوجب الله تعالى التسويه.

و قال بالرأى و الحدس و الظن.

و جعل الأمر شورى من بعده و خالف فيه من تقدمه، فإنه لم يفوض الأمر فيه إلى اختيار الناس و لا نص على إمام بعده، بل تأسف على سالم مولى حذيفه و قال: لو كان حياً لم يختلجنى فيه شك! و أمير المؤمنين على عليه السلام حاضر! و جمع فى من يختار بين المفضل و الفاضل و من حق الفاضل التقدم على المفضل، ثم طعن فى كل واحد ممن اختاره للشورى. و أظهر أنه يكره أن يتقدم أمر المسلمين ميثاً كما تقدمه حياً، ثم تقلده بأن جعل الإمامه فى سته، ثم ناقض فجعلها فى أربعة، ثم فى ثلاثة ثم فى واحد، فجعل إلى عبد الرحمن بن عوف الإختيار بعد أن وصفه بالضعف و القصور! ثم قال: إن اجتمع أمير المؤمنين و عثمان فالقول ما قالاه، و إن صاروا ثلاثة فالثلاثة فالقول للذين فىهم عبد الرحمن، لعلمه أن علياً و عثمان لا يجتمعان على أمر، و أن عبد الرحمن لا يعدل بالأمر عن أخيه و هو عثمان و ابن عمه! ثم أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعه ثلاثة أيام، مع أنهم عندهم من العشره المبشره بالجنه، و أمر بقتل من خالف

الثلاثة الذين منهم عبد الرحمن، وكل ذلك مخالف للدين. وقال لعلى عليه السلام: إن وليتها و ليسوا فاعلين، لتركبهم على المحجة البيضاء، وفيه إشاره إلى أنهم لا يولونه إياها. وقال لعثمان: إن وليتها لتركبن آل أبي معيط على رقاب الناس و لئن فعلت لتقتلن، وفيه إشاره إلى الأمر بقتله.

و أما عثمان، فإنه ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق و من بعضهم الخيانه. و قسّم الولايات بين أقاربه و عوتب على ذلك مراراً فلم يرجع. و استعمل الوليد بن عقبه حتى ظهر منه شرب الخمر، و صلّى بالناس و هو سكران. و استعمل سعيد بن العاص على الكوفه، فظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفه منها. و ولى عبد الله بن أبي سرح مصر حتى تظلم منه أهلها، و كاتبه أن يستمر على ولايته سراً خلاف ما كتب إليه جهراً، و أمره بقتل محمد بن أبي بكر.

و ولى معاويه الشام فأحدث من الفتن ما أحدث. و ولى عبد الله بن عامر العراق ففعل من المناكير ما فعل. و ولى مروان أمره و ألقى إليه مقاليد أموره و دفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان فحدث من الفتنه بين الأمه ما حدث.

و كان يؤثر أهله بالأموال الكثيره من بيت مال المسلمين، حتى أنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربع مائه ألف دينار، و دفع إلى مروان ألف ألف دينار.

و كان ابن مسعود يطعن عليه و يكفره، و لما علم ضربه حتى مات! و ضرب عماراً حتى صار به فتق و قد قال فيه النبي صلّى الله عليه و آله: «عمار جلده بين عيني تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة!» و كان عمار يطعن عليه.

و طرد رسول الله صلّى الله عليه و آله الحكم بن أبي العاص عمّ عثمان عن المدينة و معه ابنه مروان، فلم يزل طريداً هو و ابنه في زمن النبي صلّى الله عليه و آله و أبي بكر و عمر، فلما ولي عثمان آواه و رده إلى المدينة و جعل مروان كاتبه و صاحب تدبيره، مع أن الله تعالى قال: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حادّ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ».

و نفى أبا ذر إلى الربذه و ضربه ضرباً وجيعاً، مع أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال في حقه: «ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر. و قال:

إن الله تعالى أوحى إليّ أنه يحبّ أربعة من أصحابي و أمرني بحبهم فقبل له: من هم يا رسول الله؟ قال: على سيدهم و سلمان و المقداد و أبو ذر».

و ضيّع حدود الله، فلم يُقدِّ عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه، و كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد الله لإقامه القصاص عليه فلحق بمعاويه. و أراد أن يعطل حد الشرب في الوليد بن عقبه حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام و قال: لا يبطل حدُّ الله و أنا حاضر.

و زاد الأذان الثانى يوم الجمعة و هى بدعه و صار سنّه إلى الآن، و خالفه المسلمون كلّهم حتى قتل، و عابوا فعالة و قالوا له: غبت عن بدر و هربت يوم أحد و لم تشهد بيعه الرضوان! و الأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

و قد ذكر الشهرستاني - و هو أشدّ المبغضين للإماميه -: أن مثار الفساد بعد شبهه إبليس الإختلافات الواقعة في مرض النبي صَلَّى الله عليه و آله.

فأول تنازع وقع في مرضه فيما رواه البخارى بإسناده إلى ابن عباس قال: لما اشتدّ بالنبي مرضه الذى توفى فيه قال: «إئتوني بدواه و قرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى فقال عمر: إن صاحبكم ليهجر حسبنا كتاب الله! و كثر اللّغط فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله: قوموا عني لا ينبغى عندي التنازع».

و الخلاف الثانى في مرضه صَلَّى الله عليه و آله: أنه قال: جهّزوا جيش أسامه، لعن الله من تخلف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، و أسامه قد برز عن المدينة، و قال قوم: اشتد مرضه و لا يسع قلوبنا المفارقة.

و الثالث فى موته صلى الله عليه و آله. قال عمر: من قال أن محمداً قد مات قتلتة بسيفى هذا، و إنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم. و قال أبو بكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، و من كان يعبد إله محمد فإنه حتى لا يموت.

الرابع فى الإمامة: و أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة: إذ ما سئل سيفاً فى الإسلام على قاعده دينيه مثلما سئل على الإمامة، فى كل زمان، و اختلف المهاجرون و الأنصار فقالت الأنصار: منّا أمير و منكم أمير، و اتفقوا على رئيسهم سعد بن عباده الأنصارى، فاستدرك عمر و أبو بكر بأن حضرا سقيفه بنى ساعده، و مدّ عمر يده إلى أبى بكر فبايعه فبايعه الناس. و قال عمر: إنما كانت فلتته و قى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! و أمير المؤمنين عليه السلام مشغول بما أمر النبى صلى الله عليه و آله من دفنه و تجهيزه و ملازمه قبره و تخلف هو و جماعه عن البيعه.

الخامس فى فدك و التوارث عن النبى صلى الله عليه و آله: دفعها أبو بكر بروايته عن النبى: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه.

و السادس فى قتال مانعى الزكاه، فقاتلهم أبو بكر و اجتهد عمر فى أيام خلافته فرد السبايا و الأموال إليهم و أطلق المحبوسين.

السابع فى تنصيب أبى بكر على عمر بالخلافه: فمن الناس من قال: وليت علينا فظاً غليظاً.

الثامن فى أمر الشورى: و اتفقوا بعد الإختلاف على إمامه عثمان. و وقعت اختلافات كثيره: منها: رده الحکم بن أميه إلى المدينه بعد أن طرده رسول الله و كان يسمّى طريد رسول الله صلى الله عليه و آله، و بعد أن تشفع إلى أبى بكر و عمر أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، و نفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

و منها: نفيه أبا ذر إلى الربذه، و تزويجه مروان بن الحکم ابنته، و تسليمه خمس غنائم أفريقيه له، و قد بلغت مائتى ألف دينار.

و منها: إيوأؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد أن أهدر النبي صَلَّى الله عليه و آله دمه و توليته إياه مصر، و توليته عبد الله بن عامر البصره حتى أحدث فيها ما أحدث.

و كان أمراء جنوده: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام، و سعيد بن العاص عامل الكوفه، و بعده عبد الله بن عامر، و الوليد بن عقبه عامل البصره.

التاسع فى زمن أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإتفاق عليه و عقد البيعه له، فأولها خروج طلحه و الزبير إلى مكه، ثم حمل عائشه إلى البصره، ثم نصب القتال معه و يعرف ذلك بحرب الجمل. و الخلاف بينه و بين معاوية و حرب صفين، و مغادره عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري. و كذا الخلاف بينه و بين الشراه المارقين بالنهروان.

و بالجمله: كان عليٌّ مع الحق و الحق مع على عليه السلام. و ظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس، و مسعود بن مذكى التميمي، و زيد بن حصين الطائي و غيرهم. و ظهر فى زمانه الغلاه كعبد الله بن سبأ، و من الفريقين ابتدأت البدعه و الضلاله، و صدق فيه قول النبي صَلَّى الله عليه و آله: «يهلك فيك اثنان محب غال و مبغض قال».

فانظر بعين الإنصاف إلى كلام هذا الرجل، هل خرج موجب الفتنة عن المشائخ، أو تعدّاهم!؟

إشاره

على بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله
الأدله في ذلك كثيره لا تحصى، لكن نذكر المهم منها، و نلظمه أربعه مناهج.

المنهج الأول: في الأدله العقليه

و هي خمسه:

الأول

إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، و متى كان كذلك كان الإمام هو على عليه السلام.

أما المقدمه الأولى، فلأن الإنسان مدنى بالطبع لا يمكن أن يعيش منفرداً، لافتقاره في بقائه إلى مأكل و ملبس و مسكن لا يمكنه
بنفسه، بل يفتقر إلى مساعده غيره، بحيث يفرع كل منهم لما يحتاج إليه صاحبه حتى يتم نظام النوع. و لما كان الاجتماع في مظنه
التغالب و التناوش، فإن كل واحد من الأشخاص قد يحتاج إلى ما في يد غيره، فتدعوه قوته الشهويه إلى أخذه و قهره عليه و ظلم
فيه، فيؤدى ذلك إلى وقوع الهرج و المرج و إثارة الفتن، فلا بد من نصب إمام معصوم يصدّهم عن الظلم و التعدى و يمنعهم عن

التغلب و القهر و ينتصف للمظلوم من الظالم و يوصل الحق إلى مستحقه، لا يجوز عليه الخطأ و لا السهو و لا المعصية، و إلا لافتقر إلى إمام آخر! لأن العلة المحوجه إلى نصب الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام، فإن كان معصوماً كان هو الإمام، و إلا لزم التسلسل.

و أما المقدمه الثانيه فظاهره، لأن أبا بكر و عمر و عثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً، و على عليه السلام معصوم، فيكون هو الإمام.

الثاني

إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لما بينا من بطلان الإختيار و أنه ليس بعض المختارين لبعض الأمة أولى من البعض المختار للآخر، و لأدائه إلى التنازع و التناحر، فيؤدى نصب الإمام إلى أعظم الفساد التي لأجل إعدام الأقل منها أوجبنا نصبه. و غير على عليه السلام من أئمتهم لم يكن منصوباً عليه بالإجماع، فتعين أن يكون هو الإمام.

الثالث

إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه و آله، و قصور الكتاب و السنه عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعه إلى يوم القيامه، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى معصوم من الزلل و الخطأ، لئلا يترك بعض الأحكام أو يزيد فيها عمداً أو سهواً، و غير على عليه السلام لم يكن كذلك بالإجماع.

الرابع

إن الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، و الحاجه للعالم داعيه إليه و لا مفسده فيه، فيجب نصبه. و غير على عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً. فتعين أن يكون الإمام هو على عليه السلام.

أما قدره فظاهره، و أما حاجه فظاهره أيضاً، لما بينا من وقوع التنازع بين العالم، و أما انتفاء المفسده فظاهر أيضاً، لأن المفسده لازمه لعدمه، و أما وجوب نصبه، فلأنه عند ثبوت قدره و الداعى و انتفاء الصارف يجب الفعل.

الخامس

إن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيتيه، و على عليه السلام أفضل أهل زمانه على ما يأتى، فيكون هو الإمام، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً- و نقلاً. قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ!»

المنهج الثانى: فى الأدله المأخوذه من القرآن

و البراهين الداله على إمامه على عليه السلام من الكتاب العزيز أربعون برهاناً:

الأول

قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ». و قد أجمعوا على أنها نزلت فى على عليه السلام. قال الثعلبى بإسناده إلى أبى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله بهاتين و إلّا فضمتا، و رأيته بهاتين و إلّا فعميتا، يقول: «على قائد البرره و قاتل الكفره، منصور من نصره مخذول من خذله». أما إنى صلّيت مع رسول الله يوماً صلاه الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء و قال: اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله، فلم يعطنى أحد شيئاً! و كان على عليه السلام راکعاً فأوماً إليه بخنصره اليمنى و كان يتختم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، و ذلك بعين النبى صلى الله عليه و آله، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم إن موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي

وَ اِخْلَلْ عُقْدَهُ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ اَهْلِي هَارُوْنَ اَخِي اَشْدُدْ بِهِ اَزْرِي وَ اَشْرِكُهُ فِي اَمْرِي»، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: «سَيَنْشُدُّ عَضُدَكَ بِاَخِيكَ وَ نَجْعِلُ لَكُمْ سَيِّدًا فَلَائِيكُمْ يَصِيْرُونَ اِيْكُمْ بِاَيَاتِنَا اَنْتُمْ وَ مِنْ اَتَّبَعَكُمْ اَغْلَابُونَ». اللهم و أنا محمد نبيك و صفيك، اللهم فاشرح لي صدري و يسر لي أمري، و اجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اشدد به ظهري! قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه و آله حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ، قال: و ما اقرأ؟ قال: اقرأ:

«اِنَّمَا وُئِيْدُكُمْ اللهُ وَ رَسُوْلُهُ وَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُوْنَ»! و نقل الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام. و الولي هو المتصرف، و قد أثبت له الولاية في الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه و لرسوله صلى الله عليه و آله.

البرهان الثاني

قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا اُنزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ اِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

اتفقوا على نزولها في علي عليه السلام. روى أبو نعيم الحافظ من الجمهور بإسناده عن عطيه قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه و آله في علي بن أبي طالب عليه السلام.

و من تفسير الثعلبي قال: معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله بيد علي و قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

و النبي صلى الله عليه و آله مولى أبي بكر و عمر و باقي الصحابة بالإجماع، فيكون علي عليه السلام مولاهم، فيكون هو الإمام.

و من تفسير الثعلبي قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله بغدير خم نادى

الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، فشاع ذلك و طار في البلاد، و بلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها و عقلها و أتى النبي و هو في ملاء من أصحابه فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقبلناه منك، و أمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه منك، و أمرتنا أن نركب أموالنا فقبلناه منك، و أمرتنا أن نحج البيت فقبلناه! ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك فضصلمته علينا و قلت: من كنت مولاه فعلى مولاه! فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال: و الذي لا إله إلا هو إنه من أمر الله! فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته و هو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته و خرج من دبره فقتله، و أنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

و قد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور في تفسيره.

البرهان الثالث

قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً». روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: إن النبي صلى الله عليه و آله دعا الناس إلى علي في غدير خم، و أمر بما تحت الشجر من الشوك فقم، و دعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه و آله ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً»، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «الله أكبر علي إكمال الدين و إتمام النعمة و رضا الرب برسالتى و بالولاية لعلي من بعدى» ثم قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و انصر من نصره و اخذل من خذله!»

قوله تعالى: «وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ». روى الفقيه على بن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فتيه من بنى هاشم عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِذْ انْقَضَ كَوْكَبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: مَنْ انْقَضَ هَذَا النَّجْمُ فِي مَنْزِلِهِ فَهُوَ الْوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي! فَقَامَ فَتِيهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَنظَرُوا الْكَوْكَبَ قَدْ انْقَضَ فِي مَنْزِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ غَوَيْتَ فِي حَبِّ عَلِيٍّ! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ».

قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» .

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن وائل بن الأسقع قال: طلبت علياً عليه السلام في منزله فقالت فاطمة: ذهب يأتي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فجاءاً جميعاً فدخلوا و دخلت معهما، فأجلس علياً عن يساره و فاطمة عن يمينه و الحسن و الحسين بين يديه، ثم التفت عليهم ثوبه و قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». اللهم إن هؤلاء أهلي، اللهم هؤلاء أحق. و عن أم سلمة قالت: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كان في بيتها فأتته فاطمة ببرنه فيها حريره فدخلت بها عليه قال: أدعى لي زوجك و ابنيك قالت: فجاء علي و حسن و حسين عليهم السلام فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريره، و هو و هم علي منام له علي دكان تحته كساء خيبرى، قالت: و أنا في الحجره أصلى فأنزل الله تعالى هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، قالت: فأخذ فضل الكساء و كساهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء و قال: «هؤلاء أهل بيتي و خاصتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً»، و كرر ذلك قالت: فأدخلت رأسي و قلت: و أنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير إنك إلى خير.

و فى هذه الآيه دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظ إنما، و يادخال اللام فى الخبر، و الاختصاص فى الخطاب بقوله: أهل البيت، و التكرير بقوله: يطهركم، و التأكيد بقوله:

تطهيراً. و غيرهم ليس بمعصوم فتكون الإمامة فى على عليه السلام.

و لأنه ادعاها فى عدّه من أقواله كقوله: و الله لقد تقمّمصها ابن أبى قحافة و هو يعلم أن محلّى منها محلّ القطب من الرحى.

و قد ثبت نفى الرجس عنه فيكون صادقاً. فيكون هو الإمام.

البرهان السادس

قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزَفَّعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ رِجَالٌ...». قال الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك و بريده قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله هذه الآية فقام رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و آله هذا البيت منها؟ يعنى بيت على و فاطمه؟ قال: نعم من أفاضلها.

و وصف فيها الرجال بما يدل على أفضليتهم فيكون على هو الإمام، و إلّا لزم تقديم المفضول على الفاضل.

البرهان السابع

قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». روى أحمد فى مسنده عن ابن عباس قال: لما نزل: «قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»، قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على و فاطمه و ابناهما.

و كذا فى تفسير الثعلبي، و نحوه فى الصحيحين.

و غير على عليه السلام من الصحابه الثلاثة لا- تجب مودّته. فيكون على عليه السلام أفضل فيكون هو الإمام، لأن مخالفته تنافى المودّة و امتثال أوامره يكون مودّه فيكون واجب الطّاعة، و هو معنى الإمامة.

قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ». قال الثعلبي: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لما أراد الهجره خَلَفَ على بن أبي طالب عليه السلام لقضاء ديونه و رَدَّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليله خرج إلى الغار-وقد أحاط المشركون بالدار-أن ينام على فراشه فقال له: يا علي إْتَشِحْ بِبُرْدِي الحَضْرَمِي الأَخْضَرِ و نم على فراشي، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عز و جل، ففعل ذلك.

فأوحى الله عز و جل إلى جبرئيل و ميكائيل: إنى قد آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأَيُّكما يؤثر صاحبه بالحياه؟ فاختر كلاهما الحياه، فأوحى الله عز و جل إليهما: ألا كنتما مثل على بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه و بين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياه، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا- فكان جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه، فقال جبرئيل: بخ بخ! من مثلك يا ابن أبي طالب يباهى الله بك الملائكه عليهم السّلام! فأنزل الله على رسوله و هو متوجه إلى المدينه فى شأن على بن أبي طالب عليه السلام: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ».

و قال ابن عباس: إنها نزلت فى على بن أبي طالب عليه السلام لما هرب النبي صَلَّى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار.

و هذه فضيله لم تحصل لغيره و تدلّ على أفضليته على جميع الصحابه، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ بَبَّهْلٍ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

الْكَاذِبِينَ». نقل الجمهور كافه أن (أبناءنا) إشاره إلى الحسن و الحسين، و(نساءنا) إشاره إلى فاطمه عليها السلام، و(أنفسنا) إشاره إلى على بن أبي طالب عليهم السلام.

و هذه الآيه أدل دليل على ثبوت الإمامه لعلی علیه السلام، لأنه تعالى قد جعله نفس رسول الله صلى الله عليه و آله و الاتحاد محالاً، فيبقى المراد المساوى، و له صلى الله عليه و آله الولايه العامه، فكذا لمساويه. و أيضاً، لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم فى استجابته الدعاء لأمره الله تعالى بأخذهم معه لأنه فى موضع الحاجه، و إذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامه فيهم. و هل تخفى دلالة هذه الآيه على المطلوب إلا على من استحوذ الشيطان عليه و أخذ بمجامع قلبه، و خُيِّل له حب الدنيا التى لا ينالها إلا بمنع أهل الحق عن حقهم؟

البرهان العاشر

قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ». روى الفقيه ابن المغازلى الشافعى بإسناده عن ابن عباس قال: «سئل النبى صلى الله عليه و آله عن الكلمات التى تلقها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأله بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين إلا تبت على، فتاب عليه!»

و هذه فضيله لم يلحقه أحد من الصحابه فيها، فيكون هو الإمام لمساواته النبى صلى الله عليه و آله فى التوسل به إلى الله تعالى.

البرهان الحادى عشر

قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي...» روى الفقيه ابن المغازلى الشافعى عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

انتهت الدعوه إلى و إلى على، لم يسجد أحدنا لصنم قط، فاتخذنى نبياً و اتخذ علياً وصياً!

و هذا نص فى الباب.

ص: ٧١

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا». روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي عليه السلام قال: و الودُّ محبته في قلوب المؤمنين.

و عن تفسير الثعلبي: عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ قُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا وَاجْعَلْ لِي فِي صَدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً!» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا».

و لم يثبت لغيره من الصحابه ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث عشر

قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

من كتاب الفردوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا المنذر و على الهادي، و بك يا علي يهتدى المهتدون».

و نحوه رواه أبو نعيم.

و هو صريح في ثبوت الولاية و الإمامه.

البرهان الرابع عشر

قوله تعالى: «وَ قَفُوهُمْ إِتِّهَمُوا مِنِّي فَيَقُولُوا مَا لَكُم بَأْسًا وَعَلَى اللَّهِ عِلْمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». من طريق الحافظ أبي نعيم عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله تعالى: «وَ قَفُوهُمْ إِتِّهَمُوا مِنِّي فَيَقُولُوا مَا لَكُم بَأْسًا وَعَلَى اللَّهِ عِلْمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، قال: عن ولاية علي بن أبي طالب.

و كذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

و إذا سئلوا عن الولاية و جب أن تكون ثابتة له، و لم يثبت لغيره من الصحابه ذلك فيكون أفضل، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ...». روى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن أبي سعيد الخدرى فى قوله تعالى: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ»، قال: ببغضهم علينا!

و لم يثبت لغيره من الصحابه ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ». روى أبو نعيم الحافظ عن ابن عباس قال فى هذه الآية: سابق هذه الأمة على بن أبى طالب.

و روى الفقيه ابن المغازلى الشافعى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»، قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى و صاحب يس إلى عيسى، و سبق على إلى محمد صلى الله عليه و آله.

و هذه الفضيله لم تثبت لغيره من الصحابه، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». روى رزين بن معاوية فى الجمع بين الصحاح الستة أنها نزلت فى على لما افتخر طلحه بن شيبه و العباس.

و هذه فضيله لم تحصل لغيره من الصحابه، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». من طريق الحافظ أبى نعيم إلى ابن عباس قال: إن الله حرم كلام رسول الله صلى الله عليه و آله إلا بتقديم الصدقه و بخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه و تصدق على و لم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره!

و من تفسير الثعلبي، قال ابن عمر: كان لعلی علیه السلام ثلاثه لو كانت لی واحده منهن كانت أحبّ إلی من حُمْرِ النعم: تزويجه بفاطمه، و إعطاؤه الرايه يوم خيبر، و آيه النجوى.

و روى رزين العبدري فى الجمع بين الصحاح الستة عن على علیه السلام: ما عمل بهذه الآيه غيرى، و بى خفف الله تعالى عن هذه الأمه.

و هذا يدلّ على أفضليته عليهم، فيكون أحق بالإمامه.

البرهان التاسع عشر

قوله تعالى: «و سِئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ». قال ابن عبد البر - و أخرجه أبو نعيم أيضاً - قال: إن النبى صَلَّى الله عليه و آله ليله أسرى به جمع الله تعالى بينه و بين الأنبياء عليهم السّلام ثم قال له: سلهم يا محمد على ما ذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهاده أن لا إله إلا الله و على الإقرار بنبوتك و الولاية لعلی بن أبى طالب.

و هذا تصريح بثبوت الإمامه لعلی علیه السلام.

البرهان العشرون

قوله تعالى: «و تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاَعِيَّةٌ». فى تفسير الثعلبي قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: سألت الله عز و جلّ أن يجعلها أذنك يا على.

و من طريق أبى نعيم قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «يا على إن الله عز و جلّ أمرنى أن أدنيك و أعلمك لتعى و أنزلت هذه الآيه: أذن و اعيه، فأنت أذن و اعيه للعلم».

و هذه الفضيله لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الحادى و العشرون

سوره هل أتى. فى تفسير الثعلبي من طرق مختلفه قال: مرض الحسن و الحسين

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَادَهُمَا جَدَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَامَّهُ الْعَرَبُ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَوْ نَذَرْتَ عَلَيَّ وَلَدِيكَ، فَنَذَرَ صَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَكَذَا نَذَرْتَ أُمَّهُمَا فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَجَارِيَتَهُمْ فَضَهَ، فَبَرَأَ وَ لَيْسَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، فَاسْتَقْرَضَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَةَ أَصْوَعٍ مِنْ شَعِيرٍ.

فَقَامَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ إِلَى صَاعٍ فَطَحْتَهُ وَ اخْتَبَزَتْ مِنْهُ خَمْسَةَ أَقْرَاصٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَرِصًا.

و صَلَّى عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزَلَ فَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِذْ أَتَاهُمْ مَسْكِينٌ فَوْقَ الْبَابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، مَسْكِينٌ مِنْ مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ أَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ اللَّهُ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ، فَسَمِعَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ فَأَعْطَوْهُ الطَّعَامَ وَ مَكْتَوْا يَوْمَهُمْ وَ لَيْلَهُمْ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاءَ الْقِرَاحَ. فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي، قَامَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاخْتَبَزَتْ صَاعًا وَ صَلَّى عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَتَى الْمَنْزَلَ فَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَتَاهُمْ يَتِيمٌ فَوْقَ الْبَابِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، يَتِيمٌ مِنْ أَوْلَادِ الْمُهَاجِرِينَ اسْتَشْهَدَ وَالِدِي يَوْمَ الْعَقْبَةِ، أَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ اللَّهُ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ، فَسَمِعَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ فَأَعْطَوْهُ الطَّعَامَ وَ مَكْتَوْا يَوْمِيْنِ وَ لَيْلَتِيْنِ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاءَ الْقِرَاحَ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ قَامَتْ فَاطِمَةُ إِلَى الصَّاعِ الثَّلَاثَ فَطَحْتَهُ وَ اخْتَبَزْتَهُ، وَ صَلَّى عَلَيَّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَتَى الْمَنْزَلَ فَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ أَتَاهُمْ أُسَيْرٌ فَوْقَ الْبَابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، تَأْسَرُونَا وَ تَشْدُونَا وَ لَا تَطْعَمُونَا؟ أَطْعَمُونِي فَإِنِّي أُسَيْرٌ مُحَمَّدٌ أَطْعَمَكُمْ اللَّهُ عَلَيَّ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ! فَسَمِعَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ فَأَعْطَوْهُ الطَّعَامَ.

وَ مَكْتَوْا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ لَيْالِيهَا لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاءَ الْقِرَاحَ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ وَ قَدْ وَفَوْا نَذْرَهُمْ، أَخَذَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَسَنَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى

و الحسين بيده اليسرى و أقبل على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و هم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلما بصر به النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: يا أبا الحسن ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم! إنطلق بنا إلى منزل ابنتي فاطمه، فانطلقوا إليها و هي في محرابها قد لصق ظهرها بيطنها من شدّة الجوع و غارت عيناها، فلما رآها النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: وا غوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً! فهبط جبرئيل عليه السلام على محمد صَلَّى الله عليه و آله فقال: يا محمد، خذ ما هناك الله في أهل بيتك قال: و ما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً...».

و هي تدلّ على فضائل جمّه لم يسبق إليها أحد و لا يلحقها أحد، فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثاني و العشرون

قوله تعالى: «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ...» من طريق أبي نعيم عن مجاهد في قوله تعالى: «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ»: محمد. «وَ صَدَّقَ بِهِ» قال: علي بن أبي طالب.

و من طريق الفقيه الشافعي عن مجاهد في قوله تعالى: «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ»، قال: جاء به محمد صَلَّى الله عليه و آله و صدق به علي عليه السلام.

و هذه فضيله اختص بها عليه السلام، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث و العشرون

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ». من طريق أبي نعيم عن أبي هريره: قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله و حد لا شريك له، محمد عبدي و رسولي أيّده بعلي بن أبي طالب، و ذلك قوله تعالى في كتابه: «هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ»، يعنى علي بن أبي طالب.

و هذه من أعظم الفضائل التي لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». من طريق أبي نعيم قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

و هذه فضيله لم تحصل لأحد من الصحابه غيره، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...». قال الثعلبي: إنها نزلت في علي عليه السلام.

و هذا يدل على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...». روى أحمد بن حنبل بإسناده إلى ابن أبي ليلى عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصادقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار مؤمن آل يس، الذي قال: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» و حزقيل مؤمن آل فرعون، الذي قال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» و علي بن أبي طالب عليه السلام الثالث و هو أفضلهم».

و نحوه رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي، و صاحب كتاب الفردوس.

و هذه فضيله تدل على إمامته.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً». من طريق أبي نعيم الحافظ بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي كان معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً و بالنهار درهماً، و في السرّ درهماً، و في العلانيه درهماً.

و كذا رواه الثعلبي في تفسيره.

و لم يحصل لغير علي عليه السلام ذلك، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

ما رواه أحمد حنبل عن ابن عباس، قال ليس من آية في القرآن: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، إلا وعلیُّ رأسها و أميرها و شريفها و سيدها، و لقد عاتب الله عز و جل أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عليه و آله في القرآن و ما ذكر علياً إلا بخير.

و هذا يدلُّ على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا». من صحيح البخارى عن كعب بن عجرة قال: سألتنا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد و على آل محمد كما صلَّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

و من صحيح مسلم: «قلنا يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد و آل محمد كما صلَّيت على إبراهيم و آل إبراهيم».

و لا شك في أن علياً أفضل آل محمد، فيكون أولى بالإمامه.

قوله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ». من تفسير الثعلبي و طريق أبي نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» قال: عليٌّ و فاطمه. «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»: النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله. «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ»: الحسن و الحسين صَلَّى اللهُ عليه و آله.

و لم يحصل لغيره من الصحابه هذه الفضيله، فيكون أولى بالإمامه.

قوله تعالى: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ». من طريق الحافظ أبى نعيم عن ابن الحنفية قال: هو على بن أبى طالب عليه السلام و فى تفسير الثعلبى عن عبد الله بن سلام قلت: من هذا الذى عنده علم الكتاب؟ فقال: إنما ذلك على بن أبى طالب.

و هذا يدل أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان الثانى و الثلاثون

قوله تعالى: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ». روى أبو نعيم مرفوعاً إلى ابن عباس قال: أول من يُكسى من حلال الجنه إبراهيم لخلته من الله و محمد صلى الله عليه و آله لأنه صفوه الله ثم على يزف بينهما إلى الجنان. ثم قرأ ابن عباس: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، قال: على و أصحابه.

و هذا يدل على أنه أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث و الثلاثون

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ». روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «هم أنت و شيعتك، تأتى أنت و شيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، و يأتى عدوك غضاباً مقمحين».

و إذا كان خير البرية، و جب أن يكون هو الإمام.

البرهان الرابع و الثلاثون

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا». فى تفسير الثعلبى عن ابن سيرين قال: نزلت فى النبى صلى الله عليه و آله و على بن أبى طالب زوج فاطمه عليها و هو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صهراً و كان ربك قديراً.

و لم يثبت لغيره ذلك، فكان أفضل، فكان هو الإمام.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». أوجب الله تعالى علينا الكون مع المعلوم فيهم الصدق، وليس إلا المعصوم، لتجوز الكذب في غيره، فيكون هو علياً إذ لا معصوم من الأربعة سواه.

في حديث أبي نعيم، عن ابن عباس: إنها نزلت في علي عليه السلام.

قوله تعالى: «وَ اذْكُرُوا مَعَ الزَّاكِيْنَ». من طريق أبي نعيم عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله و علي عليه السلام خاصة، وهما أول من صلى و ركع.

و هو يدل على أفضليته فیدل على إمامته.

قوله تعالى: «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِى». من طريق أبي نعيم عن ابن عباس قال:

أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب و بيدي و نحن بمكة و صلى أربع ركعات. ثم رفع يده إلى السماء فقال: «اللهم إن موسى بن عمران سألك، و أنا محمد نبيك، أسألك أن تشرح لي صدري و تحلل عقده من لساني يفقهوا قولي و اجعل لي وزيراً من أهلي، علي بن أبي طالب عليه السلام أخي، اشدد به أزرى و أشركه في أمرى».

قال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادى: يا أحمد قد أوتيت ما سألت.

و هذا نص في الباب.

قوله تعالى: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». من مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله مسجده فذكر قصه مؤاخاه رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فقال علي: لقد ذهب روحى و انقطع ظهري حين

فعلت بأصحابك ما فعلت، غيري! فإن كان هذا من سخط على فلک العتبي و الكرامه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «و الذى بعثنى بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسى، فأنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، و أنت أخى و رفيقى و أنت معى فى قصرى فى الجنة مع ابنتى فاطمه، و أنت أخى و رفيقى، ثم تلا- رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ». و المتحابون فى الله ينظر بعضهم إلى بعض».

و المؤاخاه تستدعى المناسبه و المشاكلة، فلما اختص على بمؤاخاه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله كان هو الإمام.

البرهان التاسع و الثلاثون

قوله تعالى: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...»

الآيه.. من كتاب الفردوس لابن شيرويه يرفعه عن حذيفه بن اليمان قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «لم يعلم الناس متى سمى على أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمى أمير المؤمنين و آدم بين الروح و الجسد، قال الله عز و جل: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» قالت الملائكة: بلى، فقال تبارك و تعالى: أنا ربكم و محمد نبيكم و على أميركم». و هو صريح فى الباب.

البرهان الأربعون

قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ». أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو على.

و روى أبو نعيم بإسناده إلى أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقرأ هذه الآيه: «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، قال: صالح المؤمنين على بن أبى طالب.

و اختصاصه بذلك يدلّ على أفضليّته، فيكون هو الإمام.

و الآيات المذكوره فى هذا المعنى كثيره، اقتصرنا على ما ذكرناه للإختصار.

المنهج الثالث: فى الأدله المستنده إلى السنه المنقوله عن النبى و هى اثنا عشر:

الأول

ما نقله الناس كافه أنه لما نزل قوله تعالى: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ». جمع رسول الله صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب و هم أربعون رجلاً، و أمر أن يصنع لهم فخذ شاه مع مريد من البر، و يُعَدَّ لهم صاعاً من اللبّن، و كان الرجل منهم يأكل الجذعه فى مقعد واحد و يشرب الفزق من الشراب فى ذلك المقام، فأكلت الجماعه كلّها من ذلك اليسير حتى شبعوا و لم يتبين ما أكلوا، فبهرهم بذلك و تبين لهم آيه نبوته. ثم قال: «يا بنى عبد المطلب إن الله بعثنى بالحق إلى الخلق كافه، و بعثنى إليكم خاصه فقال: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، و أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان، تملكون بهما العرب و العجم، و تنقاد لكم بهما الأمم، و تدخلون بهما الجنة و تنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله، فمن يجبنى إلى هذا الأمر و يؤازرنى على القيام به، يكن أخى و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى؟ فلم يجب أحد منهم. فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله أوأزرک على هذا الأمر فقال: «إجلس»، ثم أعاد القول على القوم ثانيه فأصمتوا و قمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: «إجلس»، ثم أعاد على القوم مقالته ثالثه فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أوأزرک يا رسول الله على هذا الأمر! فقال: «إجلس فأنت أخى و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى!» فنهض القوم و هم يقولون لأبى طالب: ليهنك اليوم أن دخلت فى دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك.

الخبر المتواتر عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، خَطَبَ النَّاسَ فِي غَدِيرِ خَمٍّ وَقَالَ لِلْجَمْعِ كُلِّهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَلَسْتُ أَوْلَىٰ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَىٰ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ وَانصَرَ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْتَذَلَ مِنْ خِذْلِهِ! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:

بِخٍ بَخٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ!

و المراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف، لتقدم التقرير منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؟

الثالث

قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنْتَ مِنْى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِىَ».

أُثْبِتَ لَهُ جَمِيعَ مَنَازِلِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِلْإِسْتِنَاءِ.

و مِنْ جَمَلِهِ مَنَازِلَ هَارُونَ أَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً لِمُوسَىٰ وَ لَوْ عَاشَ بَعْدَهُ لَكَانَ خَلِيفَةً أَيْضًا، وَ إِلَّا لَزِمَ تَطَرُّقُ النِّقْصِ إِلَيْهِ، وَ لِأَنَّهُ خَلِيفُهُ مَعَ وَجُودِهِ وَ غَيْبَتِهِ مَدَّةَ سِيرِهِ، وَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ طَوَّلِ الْغَيْبَةِ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَكُونَ خَلِيفَهُ.

الرابع

أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَعَ قَصْرِ مَدَّةِ الْغَيْبَةِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَ لَيْسَ غَيْرُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَتَهُ لَهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ إِجْمَاعًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْزَلْهُ عَنِ الْمَدِينَةِ فَيَكُونَ خَلِيفَتَهُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِيهَا، وَ إِذَا كَانَ خَلِيفَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ، كَانَ خَلِيفَتَهُ فِي غَيْرِهَا إِجْمَاعًا.

الخامس

مَا رَوَاهُ الْجُمْهُورُ بِأَجْمَعِهِمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْتَ أَخِي وَ وَصِييَ وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي وَ قَاضِي دِينِي».

وَ هُوَ نَصٌّ فِي الْبَابِ.

المؤاخاه: روى أنس قال: لما كان يوم المباهله و آخى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، وَ عَلِيٌّ وَاقِفٌ يَرَاهُ وَ يَعْرِفُ مَكَانَهُ، وَ لَمْ يُوَآخِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَحَدٍ، فَانصَرَفَ عَلِيُّ بَاكِيًا الْعَيْنَ فَافْتَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ: «مَا فَعَلَ أَبُو الْحَسَنِ؟» قَالُوا: انصَرَفَ بَاكِيًا الْعَيْنَ، قَالَ: «يَا بِلَالُ إِذْهَبْ فَائْتِ بِهِ»، فَمَضَى إِلَيْهِ وَ قَدْ دَخَلَ مَنْزِلَهُ بَاكِيًا الْعَيْنَ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَا يَبْكِيكَ لَا أَبْكِي اللَّهُ عَيْنِيكَ؟ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ أَنَا وَاقِفٌ يَرَانِي وَ يَعْرِفُ مَكَانِي وَ لَمْ يُوَآخِ بَيْنِي وَ بَيْنَ أَحَدٍ!

قَالَتْ: لَا يَحْزَنُكَ اللَّهُ، لَعَلَّهُ إِنَّمَا ادَّخَرَكَ لِنَفْسِهِ.

فَقَالَ بِلَالٌ: يَا عَلِيُّ أَجِبِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ: مَا يَبْكِيكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ فَقَالَ: آخَيْتُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَنَا وَاقِفٌ تَرَانِي وَ تَعْرِفُ مَكَانِي وَ لَمْ تُوَآخِ بَيْنِي وَ بَيْنَ أَحَدٍ، قَالَ: «إِنَّمَا إِدَّخَرْتَكَ لِنَفْسِي، أَلَا يَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ أَخَا نَبِيِّكَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي لِي بِذَلِكَ.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَرْقَاهُ الْمَنْبِرَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ، أَلَا إِنَّهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، أَلَا مِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ!

فَانصَرَفَ عَلِيُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ. فَاتَّبَعَهُ عُمَرُ فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ!

وَ الْمُؤَآخَاهُ تَدَلُّ عَلَى الْأَفْضَلِيَّةِ، فَيَكُونُ هُوَ الْإِمَامَ.

السابع

مَا رَوَاهُ الْجُمْهُورُ كَافَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَمَّا حَاصَرَ خَيْبَرَ تِسْعًا وَ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَ كَانَتْ الرَّايَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَحِقَهُ رَمْدٌ أَعْجَزَهُ عَنِ

الحرب، وخرج مرحب يتعرض للحرب، فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد و لم يغن شيئاً و رجع منهزماً. فلما كان من الغد تعرّض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يجيئ أصحابه!

فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله: جيئوني بعلي عليه السلام. فقيل: إنه أرمد. فقال:

أرونيه تُروني رجلاً يحب الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله ليس بفرار. فجاءوه بعلي، فتفل في يده و مسحها على عينيه و رأسه فبرئ، و أعطاه الراية ففتح الله على يده و قتل مرحباً!

و وصفه عليه السلام بهذا الوصف يدلّ على انتفائه عن غيره، و هو يدلّ على أفضليته، فيكون هو الإمام.

الثامن

خبر الطائر: روى الجمهور كافه أن النبي صَلَّى الله عليه و آله أتى بطائر فقال:

«اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليّ يأكل معي من هذا الطائر». فجاء على عليه السلام فدقّ الباب فقال أنس بن مالك: إن النبي صَلَّى الله عليه و آله على حاجه. فانصرف. ثم قال النبي صَلَّى الله عليه و آله كما قال أولاً، فدقّ على عليه السلام الباب، فقال أنس: أ و لم أقل لك إن النبي صَلَّى الله عليه و آله على حاجه؟ فانصرف. فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله كما قال في الأولين، فجاء على عليه السلام فدقّ الباب أشدّ من الأولين، فسمعه النبي صَلَّى الله عليه و آله و قد قال له أنس إنه على حاجه، فأذن له بالدخول و قال: «يا على، ما أبطأك عنى؟» قال: جئت فردّنى أنس ثم جئت فردّنى! فقال صَلَّى الله عليه و آله: «يا أنس ما حملك على هذا؟» فقال: رجوت أن يكون الدعاء لأحد من الأنصار! فقال: «يا أنس، أ فى الأنصار خيرٌ من على؟ أو فى الأنصار أفضل من على؟»

و إذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى، ووجب أن يكون هو الإمام.

ص: ٨٥

ما رواه الجمهور من أنه عليه السلام أمر أصحابه بأن يسلموا على علي بإمره المؤمنين، وقال: «إنه سيد المسلمين وإمام المتقين و قائد الغر المحجلين»، وقال: «هذا ولئي كل مؤمن بعدى»، وقال في حقه: «إن علياً منى و أنا منه، و هو ولي كل مؤمن و مؤمنه» فيكون عليُّ بعده كذلك.

و هذه نصوص فى الباب.

العاشر

ما رواه الجمهور من قول النبى صلى الله عليه و آله: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». و قال صلى الله عليه و آله: «مئل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق».

و هذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته عليهم السلام و سيدهم على عليه السلام فيكون واجب الطاعة على الكل، فيكون هو الإمام دون غيره من الصحابه.

الحادى عشر

ما رواه الجمهور من وجوب محبته و موالاته. روى أحمد بن حنبل فى مسنده:

أن رسول الله صلى الله عليه و آله أخذه بيده حسن و حسين و قال: «من أحبني و أحب هذين و أباهما و أمهما، كان معى فى درجتى يوم القيامة».

و روى ابن خالويه عن حذيفه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «من أحب أن يتمسك بقصبه الياقوت التى خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتول على بن أبى طالب من بعدى».

و عن أبى سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى: «حبك إيمان و بغضك نفاق و أول من يدخل الجنة محبك، و أول من يدخل النار مبغضك، و قد

جعلك أهلاً لذلك، فأنت مني و أنا منك و لا نبي بعدى».

و عن شقيق بن سلمه عن عبد الله قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و هو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام و هو يقول: «هو وليي و أنا وليه، عاديُّ من عادى و سالمٌ من سالم».

و روى أخطب خوارزم عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:

«جاءني جبرئيل من عند الله عز و جلّ بورقه خضراء مكتوب فيها بياض: إنى افترضت محبّه علي بن أبي طالب عليه السلام على خلقى فبلّغهم ذلك عنى».

و الأخبار فى ذلك لا تحصى كثره من طرق المخالفين، و هذا يدلّ على أفضليته و استحقاقه للإمامه.

الثانى عشر

روى أخطب خوارزم بإسناده إلى أبى ذر الغفارى قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «من ناصب علياً الخلافه بعدى فهو كافر!»!

و عن أنس قال: كنت عند النبي صَلَّى الله عليه و آله، فرأى علياً عليه السلام مقبلاً فقال: «أنا و هذا حجّجه على أمتى يوم القيامة».

و عن معاوية بن حيدّه القشيري قال: سمعت النبي صَلَّى الله عليه و آله يقول لعلى: «يا على لا يبالي من مات و هو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً».

قالت الإماميه: إذا رأينا المخالف لنا يورد مثل هذه الأحاديث، و نقلنا نحن أضعافها عن رجالنا الثقات، و جب علينا المصير إليها و حرم العدول عنها.

ص: ٨٧

الأول

أنه عليه السلام كان أزهد الناس بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و طَلَّق الدنيا ثلاثاً، و كان قوته جريش الشعير و كان يختمه لئلا يضع الإمامان عليهما السلام فيه أدمًا، و كان يلبس خشن الثياب و قصيرها، و رَفَع مدرعته حتى استحيا من راقعها، و كانت حمائل سيفه من الليف، و كذا نعله.

روى أخطب خوارزم عن عمار قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول: «يا على إن الله تعالى زَيْنَكَ بزينة لم يزَيْن العباد بزينة أحب إليه منها: زهيدك في الدنيا و بغضها إليك، و حَبب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً و رضوا بك إماماً. يا على طوبى لمن أَحَبَّكَ و صدَّق عليك، و الويل لمن أبغضك و كذب عليك. أما من أَحَبَّكَ و صدَّق عليك فأخوانك في دينك و شركاؤك في جنتك، و أما من أبغضك و كذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذابين».

قال سويد بن غفلة: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام القصر، فوجدته جالساً بين يديه صحفه فيها لبن حازر أجد ريحه من شدة حموضته، و في يديه رغيف أرى قشار الشعير في وجهه و هو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته فطرحه فيه، فقال: أدن فأصب من طعامنا هذا! فقلت: إني صائم! فقال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيهِ كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة و يسقيه من شرابها. قال: فقلت لجاريته و هي قائمه بقرب منه: ويحك يا فضة، ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخاله؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا ألا ننخل له طعاماً! قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال: بأبي و أمي من لم ينخل له

طعام و لم يشع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز و جل!

و اشترى يوماً ثوبين غليظين فخير قبراً فيها، فأخذ واحداً و لبس هو الآخر، و رأى فى كَمّه طولاً عن أصابعه فقطعه.

قال ضرار بن ضميره: دخلت على معاوية بعد قتل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: صف لى علياً فقلت: أعفنى! فقال: لا بد أن تصفه، فقلت: أما إذا لا- بد، فإنه كان و الله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً و يحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها، و يأنس بالليل و وحشته، غزير العبره طويل الفكره، يقلب كفه و يعاتب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن و من الطعام ما جشب. و كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه و يأتينا إذا دعونا، و نحن و الله مع تقريبه لنا و قربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له، يُعظّم أهل الدين و يقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله و لا يياس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيتة فى بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله و غارت نجومه، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم و يبكى بكاء الحزين و يقول: يا دنيا غرّى غيرى، أبى تعرّضت أم لى تشوّفت؟ هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثاً لا رجعه فيها، فعمرك قصير و خطررك يسير و عيشك حقير. آه من قله الزاد و بعد السفر و وحشه الطريق!

فبكى معاوية و قال: رحم الله أبا الحسن كان و الله كذلك!

قال معاوية: كيف كان حبيك له؟ قال: كحبّ أم موسى لموسى! قال: فما حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها، فلا ترقأ عبرتها، و لا يسكن حزنها!

و بالجمله، فزهده لم يلحقه أحد فيه، و لا يسبقه أحد إليه.

و إذا كان أزهده الناس كان هو الإمام، لامتناع تقدّم المفضول عليه.

أنه عليه السلام كان أعبد الناس يصوم النهار و يقوم الليل، و منه تعلم الناس صلاه الليل و نوافل النهار، و أكثر العبادات و الأدعيه المأثوره عنه تستوعب الوقت. و كان يصلّى فى نهاره و ليلته ألف ركعه، و لم يُخَلِّ بصلاه الليل حتى فى ليله الهرير.

قال ابن عباس: رأيتُه فى حربِه و هو يرقب الشمس فقلت: يا أمير المؤمنين ما ذا تصنع؟ فقال: أنظر إلى الزوال لأصلّى، فقلت: فى هذا الوقت؟ فقال: إنما نقاتلهم على الصلاه!

فلم يغفل عن فعل العباده فى أوّل وقتها فى أصعب الأوقات.

و كان إذا أريد إخراج شىء من الحديد من جسده ترك إلى أن يدخل فى الصلاه فىبقى متوجهاً إلى الله تعالى غافلاً عما سواه، غير مدرك للآلام التى تفعل به.

و جمع بين الصلاه و الزكاه فتصدّق و هو راکع، فأنزل الله تعالى فيه قرآناً يتلى.

و تصدّق بقوته و قوت عياله ثلاثه أيام حتى أنزل فيه و فيهم: هل أتى....

و تصدّق ليلاً و نهاراً و سرّاً و جهاراً.

و ناجى الرسول فقدم بين يدي نجواه صدقه فأنزل الله تعالى فيه قرآناً.

و أعتق ألف عبد من كسب يده.

و كان يؤجّر نفسه و ينفق على رسول الله صلّى الله عليه و آله فى الشّعب.

و إذا كان أعبد الناس كان أفضل، فيكون هو الإمام.

الثالث

أنه كان أعلم الناس بعد رسول الله، قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أقضاكم علىّ. و القضاء يستلزم العلم و الدين.

و فيه نزل قوله تعالى: «وَ تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْهُ».

و لأنه عليه السلام كان فى غايه الذكاء و الفطنه شديد الحرص على التعلّم، و لازم

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ مَلَاظِمَهُ شَدِيدُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ صَغُرِهِ إِلَى وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْعِلْمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحِجْرِ. فَتَكُونُ عُلُومُهُ أَكْثَرَ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِ، لِحَصُولِ الْقَابِلِ الْكَامِلِ، وَالْفَاعِلِ التَّامِ.

وَمِنْهُ اسْتِفَادَ النَّاسُ الْعِلْمَ:

أَمَّا النَّحْوُ، فَهُوَ وَاضِعُهُ، قَالَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ: الْكَلَامُ كُلُّهُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: إِسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ... وَعَلَّمَهُ وَجُوهَ الْإِعْرَابِ.

وَأَمَّا الْفِقْهُ، فَالْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، أَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّهَا أَخَذُوا عِلْمَهُمْ مِنْهُ وَمِنْ أَوْلَادِهِ. وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَكَذَلِكَ، أَمَّا أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ كَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدَ وَزُفَرَ، فَإِنَّهُمْ أَخَذُوا عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ قَرَأَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَعَلَى مَالِكِ فَرَجَعَ فَقْهُهُ إِلَيْهِمَا. وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَقَرَأَ عَلَى الشَّافِعِيِّ، فَرَجَعَ فَقْهُهُ إِلَيْهِ، وَفَقْهُ الشَّافِعِيِّ رَاجِعٌ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ قَرَأَ عَلَى الصَّادِقِ، وَالصَّيِّدِاقُ قَرَأَ عَلَى الْبَاقِرِ، وَالْبَاقِرُ قَرَأَ عَلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَزَيْنُ الْعَابِدِينَ قَرَأَ عَلَى أَبِيهِ، وَأَبُوهُ قَرَأَ عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا مَالِكُ فَقَرَأَ عَلَى رَبِيعَةَ الرَّأْيِ، وَقَرَأَ رَبِيعَةُ عَلَى عِكْرَمَةَ، وَعِكْرَمَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ تَلْمِيزُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ، فَهُوَ أَصْلُهُ وَمِنْ خُطْبَةِ اسْتِفَادَةِ النَّاسِ، وَكُلُّ النَّاسِ تَلْمِيزُهُ، فَإِنَّ الْمَعْتَزِلَةَ انْتَسَبُوا إِلَى وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ وَكَانَ تَلْمِيزُ أَبِي هَاشِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَأَبُو هَاشِمٍ تَلْمِيزُ أَبِيهِ، وَأَبُوهُ تَلْمِيزُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْأَشْعَرِيَّةُ تَلْمِيزُهُ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بْنِ أَبِي بَشَرَ الْأَشْعَرِيِّ، وَهُوَ تَلْمِيزُ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِيِّ، وَهُوَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْمَعْتَزِلَةِ.

وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ إِلَيْهِ يَعْزَى، لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ تَلْمِيزُهُ فِيهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَفْسِيرِ الْبَاءِ مِنْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ.

وَأَمَّا عِلْمُ الطَّرِيقَةِ، فَإِلَيْهِ مَنْسُوبٌ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ كُلَّهُمْ يَسْتَدُونَ الْخَرْقَةَ إِلَيْهِ.

و أما علم الفصاحه،فهو منبعه حتى قيل فى كلامه أنه فوق كلامه المخلوق و دون كلام الخالق،و منه تعلم الخطباء.و قال:سلونى قبل أن تفقدونى،سلونى عن طرق السماء فإنى أعلم بها من طرق الأرض!

و إليه يرجع الصحابه فى مشكلاتهم،و رووا فى عمر قضايا كثيره قال فيها:لو لا على لهلك عمر.و أوضح كثيراً من المشكلات:

جاء إليه شخصان كان مع أحدهما خمسه أرغفه و مع الآخر ثلاثه،فجلسا يأكلان فجاءهما ثالث فشاركهما،فلما فرغوا رمى لهما ثمانيه دراهم،فطلب صاحب الأ-كثر خمسه فأبى عليه صاحب الأقل،فتخاصما و رجعا إلى على عليه السلام فقال:قد أنصفك فقال:يا أمير المؤمنين إن حقى أكثر و أنا أريد مَرّ الحق،فقال:إذا كان كذلك فخذ درهماً واحداً و أعطه الباقي.

و وقع مالكا جاريه عليها جهلاً فى طهر واحد فحملت،فأشكل الحال فترافعا إليه فحكم بالقرعه فصوّبه رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال:الحمد لله الذى جعل لنا أهل البيت من يقضى على سنن داود.يعنى به القضاء بالإلهام.

و ركبت جاريه أخرى فنخستها ثالثه فوقعت الراكبه فماتت،فقضى بثلثى ديتهما على الناخسه و القامصه،و صوّبه النبى صلّى الله عليه و آله.

و قتلت بقره حماراً،فترافع المالكان إلى أبى بكر فقال:بهيمه قتلت بهيمه لا- شىء على ربها! ثم مضيا إلى عمر فقضى بذلك أيضاً،ثم مضيا إلى على عليه السلام فقال:إن كانت البقره دخلت على الحمار فى منامه فعلى ربّها قيمه الحمار لصاحبه،و إن كان الحمار دخل على البقره فى منامها فقتلته فلا- غرم على صاحبها! فقال النبى صلّى الله عليه و آله:لقد قضى على بن أبى طالب بينكما بقضاء الله عز و جلّ.

و الأخبار العجيبه فى ذلك لا تحصى كثرةً.

و إذا كان أعلم و جب أن يكون هو الإمام،لقوله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ!

الرابع

أنه كان أشجع الناس، و بسيفه ثبتت قواعد الإسلام و تشيّدت أركان الإيمان، ما انهزم في موطن قطّ و لا ضرب بسيفه إلا قطّ، و طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لم يفرّ كما فرّ غيره.

و وقاه بنفسه لما بات على فراشه مستتراً بإزاره فضّته المشركون و قد اتفقوا على قتل رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه هو، فأحدقوا به و عليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه فيذهب دمه و يعدو كلّ قبيل إلى رهطه. و كان ذلك سبب حفظ دم رسول الله صلّى الله عليه و آله و تمت السّلامه و انتظم به الغرض في الدعاء إلى الملّة، فلما أصبح القوم و أرادوا الفتك به ثار إليهم فتفرقوا عنه حين عرفوه، و انصرفوا و قد ضلّت حيلتهم و انتقض تدبيرهم.

و في غزاه بدر و هي أول الغزوات، كانت على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، و عمره سبعة و عشرون سنة، قتل عليه السلام منهم ستة و ثلاثين رجلاً بانفراده، و هم أعظم من نصف المقتولين، و شرك في الباقيين.

و في غزاه أحد انهزم الناس كلّهم عن النبي صلّى الله عليه و آله إلا على بن أبي طالب عليه السلام وحده! و رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله نفرّاً يسيراً أولهم عاصم بن ثابت و أبو دجانة و سهل بن حنيف، و جاء عثمان بعد ثلاثة أيام، فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله لقد ذهبت فيها عريضه! و تعجبت الملائكة من ثبات على عليه السلام و قال جبرئيل و هو يعرج إلى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على! و قتل على عليه السلام أكثر المشركين في هذه الغزاه، و كان الفتح فيها على يديه عليه السلام.

روى قيس بن سعد عن أبيه قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: أصابتنى يوم

أحد ست عشره ضربه،سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ،فجاءني رجل حسن الوجه حسن الكلم طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثم قال:أقبل عليهم فإنك في طاعه الله و طاعه رسوله،فهما عنك راضيان.قال على:فأتيت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فأخبرته فقال:يا على أما تعرف الرجل؟قلت:لا و لكن شبيته بدحيه الكلبى،فقال:يا على أقرّ الله عينك كان جبرئيل عليه السلام.

و في غزاه الأحزاب و هي غزاه الخندق،لما فرغ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله من عمل الخندق أقبلت قريش يقدمها أبو سفيان و كنانه و أهل تهامه في عشره آلاف، و أقبلت غطفان و من تبعها من أهل نجد،و نزلوا من فوق المسلمين و من تحتهم كما قال تعالى: «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» ،فخرج النبي صَلَّى الله عليه و آله بالمسلمين و هم ثلاثة آلاف و جعل الخندق بينهم،و اتفق المشركون مع اليهود و طمع المشركون بكثرتهم و موافقه اليهود.و ركب عمرو بن عبد ود و عكرمه بن أبي جهل و دخلوا من مضيق في الخندق إلى المسلمين و طلب المبارزه،فقام عليّ و أجابه فقال له النبي صَلَّى الله عليه و آله إنه عمرو،فسكت.ثم طلب المبارزه ثانياً و ثالثاً،و كل ذلك يقوم على و يقول له النبي صَلَّى الله عليه و آله:إنه عمرو،فأذن له في الرابعه.فقال له على عليه السلام:كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلتين إلا أخذتها منه،و أنا أدعوك إلى الإسلام،قال:لا حاجه لى بذلك،قال:أدعوك إلى النزال! قال:ما أحبّ أن أقتلك! فقال له على عليه السلام:و لكنى أحبّ أن أقتلك! فحمى عمرو و نزل عن فرسه و تجاوا لا فقتله على و ولده و انهزم عكرمه،ثم انهزم باقى المشركين و اليهود!

و عنه قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:قتل على لعمر بن ود أفضل من عباده الثقلين!

و في غزاه بنى النضير قتل على عليه السلام رامى قبه النبي صَلَّى الله عليه و آله

بسهم، و قتل بعده عشره منهم فانهزموا.

و فى غزاه السلسله، جاء أعرابى فأخبر النبى صَلَّى الله عليه و آله أن جماعه من العرب قصدوا أن يبيتوا النبى صَلَّى الله عليه و آله بالمدينه، فقال صَلَّى الله عليه و آله:

من للوادى؟ فقال أبو بكر: أنا له، فدفع إليه اللّواء و ضمّ إليه سبعمائه، فلما وصل إليهم قالوا له: إرجع إلى صاحبك فإننا فى جمع كثير، فرجع!

فقال صَلَّى الله عليه و آله فى اليوم الثانى: من للوادى؟ فقال عمر: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الرايه، ففعل كالأول!

فقال صَلَّى الله عليه و آله فى اليوم الثالث: أين على بن أبى طالب؟ فقال: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الرايه، فمضى إلى القوم فلقبهم بعد صلاه الصبح، فقتل منهم سته أو سبعة و انهزم الباقون، و أقسم الله تعالى: بفعل أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«و العاديات ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا...».

و قتل من بنى المصطلق مالكاً و ابنه، و سبى كثيراً من جملتهم جويريه بنت الحارث بن أبى ضرار، فاصطفاها النبى صَلَّى الله عليه و آله، فجاء أبوها فى ذلك اليوم فقال: يا رسول الله ابنتى كريمه لا تسبى، فأمره بأن يخيّرهما فاخترت النبى صَلَّى الله عليه و آله فقال: أحسنت و أجملت. ثم قال: يا بنيه لا تفضحى قومك! فقالت: اخترت الله و رسوله صَلَّى الله عليه و آله!

و فى غزاه خيبر، كان الفتح فيها على يد أمير المؤمنين عليه السلام. دفع صَلَّى الله عليه و آله الرايه إلى أبى بكر فانهزم، ثم إلى عمر فانهزم، ثم إلى على عليه السلام و كان أرمدا العين فتفل فى عينه و خرج فقتل مرحباً فانهزم الباقون و غلّقوا عليهم الباب، فعالجه أمير المؤمنين عليه السلام فقلعه و جعله جسراً على الخندق، و كان الباب يغلقه عشرون رجلاً، و دخل المسلمون الحصن و نالوا الغنائم، و قال عليه السلام: و الله ما قلعت باب خيبر بقوّه جسمانيه، بل بقوّه ربانيه.

و كان فتح مكة بواسطته عليه السلام.

و فى غزاه حنين، خرج رسول الله صلى الله عليه و آله متوجها إليهم فى عشره آلاف من المسلمين فعانينهم أبو بكر و قال: لن نغلب اليوم من كثره، فانهزموا و لم يبق مع النبى صلى الله عليه و آله غير تسعه من بنى هاشم، و أيمن ابن أم أيمن! و كان أمير المؤمنين بين يديه يضرب بالسيف، و قتل من المشركين أربعين نفراً فانهزموا!

الخامس

إخباره بالغائب و الكائن قبل كونه:

فأخبر بأن طلحه و الزبير لما استأذناه فى الخروج إلى العمرة: لا و الله ما يريدان العمرة و إنما يريدان البصره، فكان كما قال!

و أخبر و هو بذى قار جالس لأخذ البيعه: يأتيكم من قبل الكوفه ألف رجل لا يزيدون و لا ينقصون يباعدونى على الموت، فكان كذلك و كان آخرهم أويس القرنى.

و أخبر بقتل ذى الثديه و كان كذلك.

و أخبره شخص بعبور القوم فى قضيه النهروان فقال: لم يعبروا، ثم أخبره آخر بذلك، فقال: لم يعبروه و إنه و الله مصرعهم، فكان كذلك!

و أخبر بقتل نفسه الشريفه.

و أخبر جويريه بن مسهر بأن اللعين يقطع يديه و رجليه و يصلبه، ففعل به معاويه ذلك.

و أخبر ميثم التمار بأنه يصلب على باب عمرو بن حريث عشره هو أقصرهم خشبه، و أراه النخله التى يصلب عليها، فوقع كذلك!

و أخبر رشيد الهجرى بقطع يديه و رجليه و صلبه و قطع لسانه، فوقع!

و أخبر كميل بن زياد بأن الحجاج يقتله فوقع، و أن قبراً يذبحه الحجاج، فوقع!

ص: ٩٤

و قال للبراء بن عازب: إن ابني الحسين يقتل ولا تنصره، فكان كما قال. و أخبر بموضع قتله.

و أخبر بملك بني العباس و أخذ الترك الملك منهم، فقال: ملك بني العباس عُشِيرٌ لا يسرّ فيه، لو اجتمع عليهم الترك و الديلم و السند و الهند و البربر و الطليسان على أن يزيلوا ملكهم لما قدروا أن يزيلوه حتى يشدّ عنهم مواليهم و أرباب دولتهم، و يُسلط عليهم ملك من الترك يأتي عليهم من حيث بدأ ملكهم لا يمرّ بمدينه إلا فتحها، و لا ترفع له رايه إلا نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر، ثم يدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق و يعمل به. و كان الأمر كذلك حيث ظهر هولاءكو من ناحيه خراسان، و منه ابتداء ملك بني العباس، حيث بايع لهم أبو مسلم الخراساني.

السادس

أنه كان مستجاب الدعاء:

دعا على بسر بن أرطاه بأن يسلبه الله عقله، فحولط فيه!

و دعا على العيزار بالعمى فعمى.

و دعا على أنس بن مالك لما كتم شهادته بالبرص، فأصابه.

و على زيد بن أرقم بالعمى، فعمى!

السابع

أنه لما توجه إلى صفين، لحق بأصحابه عطشٌ شديد، فعدل بهم قليلاً فلاح لهم دَيْرٌ فصاحوا بساكنه و سألوه عن الماء؟ فقال: بينى و بينه أكثر من فرسخين، و لو لا أنى اوتى بما يكفينى كلّ شهر على التقصير لتلفت عطشاً، فأشار أمير المؤمنين إلى مكان قريب من الدير و أمر بكشفه، فوجدوا صخره عظيمه فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده ثم شربوا الماء، فنزل إليه الراهب و قال له: أنت نبى مرسل أو ملك مقرب؟ قال: لا،

و لكنى وصى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلم على يده وقال: إن هذا الدير بنى على طلب قالع هذه الصخره و مخرج الماء من تحتها، وقد مضى جماعه قبلى و لم يدركوه، و كان الراهب من جمله من استشهد معه، و نظم القصه السيد الحميرى فى قصيدته المذهبه. و لقد سرى فيما يسير بليله بعد العشاء بكر بلاء فى موكب

الثامن

ما رواه الجمهور أن النبى صلى الله عليه وآله لما خرج إلى بنى المصطلق جنّب عن الطريق و أدركه الليل، فنزل بقرب واد وعر، فهبط جبرئيل عليه السلام آخر الليل و أخبره أن طائفه من كفار الجن قد استوطنوا الوادى يريدون كيدته و إيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعلى عليه السلام و عوّذ و أمره بنزول الوادى، فقتلهم.

التاسع

رجوع الشمس له مرتين، إحداهما فى زمن النبى صلى الله عليه وآله، و الثانية بعده.

أما الأولى، فروى جابر و أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل عليه جبرئيل يوماً يناجيه من عند الله تعالى، فلما تغشاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلى على عليه السلام العصر بالإيماء، فلما استيقظ النبى صلى الله عليه وآله قال له: سل الله تعالى يرّد عليك الشمس لتصلّى العصر قائماً، فدعا فردّت الشمس، فصلى العصر قائماً.

و أما الثانية، فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم، و صلى بنفسه فى طائفه من أصحابه العصر، و فوات كثيراً منهم، فتكلموا فى ذلك فسأل الله تعالى ردّ الشمس فردّت. و نظمه السيد الحميرى فى قصيدته المذهبه، فقال:

رُدَّتْ عليه الشمس لَمَّا فَاتَهُ

العاشر

ما رواه أهل السيرة: أن الماء زاد فى الكوفه و خافوا الغرق، ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فركب بغله رسول الله صلى الله عليه وآله و خرج الناس معه، فنزل على شاطئ الفرات فصلى ثم دعا و ضرب صفحه الماء بقضيب فى يده، فغاض الماء و سلم عليه كثير من الحيتان، و لم ينطق الجرّى و الزمّار و المارماهى، فسئل عن ذلك فقال: أنطق الله لى ما طهر من السموك، و أصمت ما حرمه و نجسه و أبعدته.

الحادى عشر

روى جماعه أهل السيره: أنه عليه السلام كان يخطب على منبر الكوفه، فظهر ثعبان فرقى المنبر، فخاف الناس و أرادوا قتله فمنعهم، فخاطبه ثم نزل! فسأل الناس عنه فقال: إنه حاكم من حكام الجن التبس عليه قضيه فأوضححتها له! و كان أهل الكوفه يسمّون الباب الذى دخل منه باب الثعبان، فأراد بنو أميه إطفاء هذه الفضيله فنصبوا على ذلك الباب فيلاً مده طويله حتى

سمى:باب الفيل.

الثانى عشر

الفضائل:إما نفسانيه أو بدنيّه أو خارجيه،و على التقديرين الأولين،فإما أن تكون متعلّقه بالشخص نفسه أو بغيره،و أمير المؤمنين عليه السلام جمع الكلّ!

أما فضائله النفسانيه المتعلّقه به كعلمه و زهده و كرمه و حلمه،فهى أشهر من أن تخفى،و المتعلّقه بغيره كذلك كظهور العلوم عنه و استفاده غيره منه.

و كذا فضائله البدنيه كالعباده و الشجاعه و الصدقه.

و أما الخارجيه فكالنسب،و لم يلحقه أحد فيه لقربه من رسول الله صلّى الله عليه

ص:٩٨

و آله و تزويجه إياه بابنته سيده النساء.

و قد روى أخطب خوارزم من كبار السنّه بإسناده عن جابر قال: لما تزوّج علي فاطمه زوجه الله إياها من فوق سبع سماوات و كان الخاطب جبرئيل، و كان ميكائيل و إسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، فأوحى الله تعالى إلى شجره طوبى أن انثرى ما فيك من الدرّ و الجواهر ففعلت، و أوحى الله تعالى إلى الحور العين أن القطن، فلقطنَ فهنّ يتهادين بينهن إلى يوم القيامة.

و أورد أخباراً كثيرة في ذلك.

و كان أولاده عليهم السلام أشرف الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و بعد أبيهم.

عن حذيفه بن اليمان قال: رأيت النبي صلّى الله عليه و آله آخذاً بيد الحسين بن علي صلّى الله عليه و آله و قال: أيها الناس، هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه و فضلوه، فو الله لجده أكرم على الله من جدّ يوسف بن يعقوب صلّى الله عليه و آله هذا الحسين بن علي جدّه في الجنه، و جدّته في الجنه، و أمّه في الجنه، و أبوه في الجنه، و عمّه في الجنه، و عمّته في الجنه، و خاله في الجنه، و خالته في الجنه، و أخوه في الجنه، و هو في الجنه، و محبّوهم في الجنه، و محبو محبّيهم في الجنه.

و عن حذيفه بن اليمان قال: بُتُّ عند النبي صلّى الله عليه و آله ذات ليله، فرأيت عنده شخصاً فقال لي: هل رأيت؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: هذا ملكٌ لم ينزل إلى منذ بعثت، أتاني من الله فبشرني أن الحسن و الحسين سيديا شباب أهل الجنه!

و الأخبار في ذلك كثيرة.

و كان محمد بن الحنفية فاضلاً عالماً، حتى ادّعى قوم فيه الإمامه.

لنا فى ذلك طرق:

أحدها

النص، و قد تواترت به الشيعة فى البلاد المتباعدة خلفاً عن سلف عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال للحسين عليه السلام: هذا ابنى إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم، اسمه اسمى و كنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

و قد روى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى، اسمه كاسمى، و كنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي.

رواه ابن الجوزى الحنبلى عن أبى داود و صحيح الترمذى.

الثانى

أنا قد بينا أنه يجب فى كل زمان إمام معصوم، و غير هؤلاء عليهم السلام إجماعاً ليس بمعصوم.

الثالث

الفضائل التى اشتمل كل واحد منهم عليها عليهم السلام، الموجه لكونه إماماً.

ص: ١٠١

الفصل الخامس: في أن من تقدمه لم يكن إماماً

و يدلّ عليه وجوه:

الأول

قول أبي بكر: إن لي شيطاناً يعتريني فإن استقممت فأعينوني و إن زغت فقوموني! و من شأن الإمام تكميل الرعيه، فكيف يطلب منهم الكمال؟!

الثاني

قول عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتته وقي الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! و كونها فلتته يدلّ على أنها لم تنبع عن رأى صحيح، ثم سأل وقايه شرّها، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها. و كلّ ذلك يوجب الطعن فيه.

الثالث

قصورهم في العلم و الالتجاء في أكثر الأحكام إلى على عليه السلام.

الرابع

الوقائع الصادره عنهم، و قد تقدّم أكثرها.

الخامس

قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، أخبر بأن عهد الإمامه لا يصل إلى الظالم و الكافر لقوله تعالى: «وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و لا شكّ في أن الثلاثة كانوا كفاراً

ص: ١٠٣

يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

السادس

قول أبي بكر: أقبلوني فلست بخيركم! ولو كان إماماً لم يجز له طلب الإقالة.

السابع

قول أبي بكر عند موته: ليتني كتب سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هل للأَنْصار في هذا الأمر حق؟ وهذا يدل على شكه في صحته بيعه نفسه، مع أنه الذي دفع الأَنْصار يوم السقيفة لما قالوا: منا أمير و منكم أمير، بما رواه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الأئمة من قريش!

الثامن

قوله في مرضه: ليتني كنت تركت بيت فاطمه لم أكشفه، ولتيتني في ظلّ بني ساعده كنت ضربت على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير و كنت الوزير! وهذا يدل على إقدامه على بيت فاطمه عليها السلام عند اجتماع أمير المؤمنين و الزبير و غيرهما فيه! و على أنه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه!

التاسع

أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جهّز جيش أسامه و كرّر الأمر بتنفيذه، و كان فيهم أبو بكر و عمر و عثمان، و لم يُنْفَذ أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أراد منعهم من التوثّب على الخلفه بعده، فلم يقبلوا منه.

العاشر

أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال، و ولى غيره.

الحادى عشر

أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنفذه لأداء سوره براءه ثم أنفذه إليه علياً عليه السلام و أمره برده و أن يتولّى هو ذلك! و من لا يصلح لأداء سوره أو بعضها كيف يصلح للإمامه العامه

الثانى عشر

قول عمر: أن محمداً لم يمت! و هو يدلّ على قلّه علمه! و أمر برجم حامل فنهاء على عليه السلام فقال: لو لا على لهلك عمر! و غير ذلك من الأحكام التى غلط فيها و تلوّن فيها.

الثالث عشر

أبدع التراويح مع أن النبى صلّى الله عليه و آله قال: «يا أيها الناس إن الصّلاه بالليل فى شهر رمضان فى النافله جماعه بدعه، و صلاه الضحى بدعه، ألا فلا تجمعوا ليلاً فى شهر رمضان فى النافله، و لا تصلّوا صلاه الضحى، فإن قليلاً فى سنّه خير من كثير فى بدعه، ألا و إن كلّ بدعه ضلاله و كلّ ضلاله سييلها إلى النار!»

و خرج عمر فى شهر رمضان ليلاً فرأى المصاييح فى المساجد فقال: ما هذا؟ فقيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاه التطوع، فقال: بدعه و نعمت البدعه! فاعترف بأنها بدعه.

الرابع عشر

أن عثمان فعل أموراً لا- يجوز فعلها، حتى أنكر عليه المسلمون كافه، و أجمعوا على قتله أكثر من إجماعهم على إمامته و إمامه صاحبيه.

احتجوا بوجوه:

الأول

الإجماع. والجواب منع الإجماع، فإن جماعه من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك، وجماعه من أكابر الصحابه كسلمان و أبي ذر و المقداد و عمار و حذيفه و سعد بن عباده و زيد بن أرقم و أسامه بن زيد و خالد بن سعيد بن العاص..حتى أن أباه أنكر ذلك و قال: من استخلف الناس؟ فقالوا: ابنك فقال: و ما فعل المستضعفان إشاره إلى على و العباس؟ فقالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله، و رأوا أن ابنك أكبر الصحابه سنًا، فقال: أنا أكبر منه! و كبنى حنيفه كافه، لم يحملوا الزكاه إليه حتى سمّاهم أهل الردّه و قتلهم و سباهم، و أنكر عمر عليه و ردّ السبايا أيام خلافته.

و أيضاً، الإجماع ليس أصلاً في الدلاله، بل لا بدّ أن يستند المجمعون إلى دليل على الحكم حتى يجمعوا عليه و إلا لكان خطأ، و ذلك الدليل إما عقلي و ليس في العقل دلاله على إمامته، و إما نقلی و عندهم أن النبي صلّى الله عليه و آله مات عن غير وصيه و لا نص على إمامته و القرآن خال منه. فلو كان الإجماع متحققاً كان خطأً فتنتفى دلالته.

و أيضاً، الإجماع، إما أن يعتبر فيه قول كلّ الأمه، و معلوم أنه لم يحصل، بل و لا إجماع أهل المدينه أو بعضهم، و قد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان. و أيضاً، كلّ

ص: ١٠٧

واحد من الأمة يجوز عليه الخطأ، فأى عاصم لهم عن الكذب عند الإجماع؟

و أيضاً، قد ثبت النص الدال على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام فلو أجمعوا على خلافه كان خطأ، لأن الإجماع الواقع على خلاف النص يكون خطأ عندهم.

الثانى

ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.

و الجواب: المنع من الرواية، و من دلالتها على الإمامه، فإن الإقتداء بالفقهاء لا يستلزم كونهم أئمة.

و أيضاً، فإن أبا بكر وعمر اختلفا فى كثير من الأحكام، فلا يمكن الإقتداء بهما.

و أيضاً، فإنه معارض بما رووه من قوله: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، مع إجماعهم على انتفاء إمامتهم.

الثالث

ما ورد فيه من الفضائل.

كآية الغار وقوله تعالى: «وَسَيَجْجِبُهَا أَتَقَى» ، وقوله تعالى: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ» ، و الداعى هو أبو بكر. و أنه كان أنيس رسول الله صلى الله عليه وآله فى العريش يوم بدر، و أنفق على النبي صلى الله عليه وآله، و تقدم فى الصلاة.

و الجواب: أنه لا فضيلة له فى الغار لجواز أن يستصعبه حذراً منه لثلاث يظهر أمره!

و أيضاً، فإن الآيه تدل على نقصه لقوله: لا تحزن، فإنه يدل على خوره و قلبه صبره و عدم يقينه بالله تعالى، و عدم رضاه بقضاء الله و قدره! لأن الحزن إن كان طاعه استحاله أن ينهى النبي صلى الله عليه وآله عنه، و إن كان معصيه كان ما ادعوه فضيله رذيله.

ص: ١٠٨

و أيضاً، فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، شَرَك معه المؤمنين، إلا في هذا الموضع، و لا نقص أعظم منه.

و أما قوله تعالى: «و سَيُجَنَّبُهَا الَّذِينَ الَّذِينَ...».

فإن المراد به أن أبا الدحداح حيث اشترى نخله شخص لأجل جاره، و قد عرض النبي صَلَّى الله عليه و آله على صاحب النخل نخله في الجنة فأبى، فسمع أبو الدحداح فاشتراها ببستان له و وهبها للجار، فجعل له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بستاناً عوضها في الجنة.

و أما قوله تعالى: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ».

فإنه أراد الذين تخلّفوا عن الحديدية، و التمس هؤلاء أن يخرجوا إلى غنيمه خبير فمنعهم الله بقوله: «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا..» الآية، لأنه تعالى جعل غنيمه خبير لمن شهد الحديدية ثم قال: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ..» يريد أنه ساندعوكم فيما بعد إلى قتال قوم أولى بأس شديد، و قد دعاهم النبي صَلَّى الله عليه و آله إلى غزوات كثيرة، كمؤته و حنين و تبوك و غيرها، و كان الداعي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

و أيضاً، جاز أن يكون علياً عليه السلام حيث قتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و كان رجوعهم إلى طاعته إسلاماً لقوله: «يا على حربك حربى»، و حرب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله كفر.

و أمّا كونه أنيسه في العريش يوم بدر. فلا فضل فيه، لأن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان أنسه بالله تعالى مغنياً له عن كل أنيس، لكن لما عرف النبي صَلَّى الله عليه و آله أن أمره لأبى بكر بالقتال يؤدي إلى فساد الحال، حيث هرب عدّه مرّات في غزواته. فأئماً أفضل: القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه و ماله في سبيل الله؟

و أمّا إنفاقه على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله. فكذب، لأنه لم يكن ذا مال، فإن أباه كان فقيراً في الغايه، و كان ينادى على مائه عبد الله بن جدعان بمُدّ في كل يوم

يقتات به، فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه!

و كان أبو بكر فى الجاهليه معلماً للصبيان، و فى الإسلام كان خياطاً، و لما ولى أمر المسلمين منعه الناس من الخياطه فقال: إنى أحتاج إلى القوت! فجعلوا له فى كل يوم ثلاثه دراهم من بيت المال! و النبى صلى الله عليه و آله كان قبل الهجره غنياً بمال خديجه، و لم يحتج إلى الحرب و تجهيز الجيوش، و بعد الهجره لم يكن لأبى بكر شىء البتة على حال من الأحوال!

ثم لو أنفق، لوجب أن ينزل فيه قرآن كما نزل فى على: هَيْلُ أَتَى.. و من المعلوم أن النبى صلى الله عليه و آله كان أشرف من الذين تصدق عليهم أمير المؤمنين عليه السلام و المال الذى يدعون إنفاقه كان أكثر، فحيث لم ينزل شىء دل على كذب النقل.

و أما تقدّمه فى الصلاه. فخطأ، لأن بلالاً لما أذن بالصلاه أمرت عائشه أن يقدم أبو بكر، فلما أفاق النبى صلى الله عليه و آله سمع التكبير فقال: من يصلى بالناس؟ فقالوا أبو بكر فقال: أخرجونى! فخرج بين على عليه السلام و العباس فنحاه عن القبلة و عزله عن الصلاه، و تولّى هو الصلاه.

فهذا حال أدله هؤلاء!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف و يقصد طلب الحق دون اتباع الهوى، و يترك تقليد الآباء و الأجداد، فقد نهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك، و لا تلهه الدنيا عن إيصال الحق إلى مستحقه، و لا يمنع المستحق عن حقه.

فهذا آخر ما أردنا إثباته فى هذه المقدمه، و الله الموفق للصواب.

فرغت من تسويده فى جمادى الأولى من سنه تسع و سبعمائه بناحية خراسان، و كتب حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب.

و الحمد لله رب العالمين

و صلى الله على سيد المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين

شرحُ منهاج الكرامه و الردُّ على منهاج ابن تيميه

اشاره

ص: ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنه الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد؛ فإن الشيخ أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (٧٢٦)، علّامه الشيعة على الإطلاق في جميع الآفاق، ومؤلفاته من عمدته المراجع في المذهب في مختلف العلوم، من الفقه والأصول والكلام والفلسفه وغيرها. وله قدس سرّه كتب قيمه، منها هذا الكتاب (منهاج الكرامه في معرفه الإمامه)، الذي حوى -على صغره- أمّهات المسائل الخلافية التي أشار إلى أدلّه الإماميه فيها، تاركاً الحكم بعد ذلك للقارئ البصير الباحث المنصف.

وهذا الكتاب هو الذي ردّ عليه الشيخ أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني المعروف بابن تيميه (٧٢٨)، بكتاب (الردّ على الرافضی) الذي عرف فيما بعد ب(منهاج السنّه).

ولأهميته كتاب العلّامه قدس سرّه و ضروره مناقشه كلمات ابن تيميه، عمدتُ إلى شرحه، وإثبات مطالبه، وإزاحه الشبهات التي أثّرت حولها. فجاء مقارنه للمنهجين، جامعاً للأقوال والأدلّه من كتب علماء الفريقين المشهوره المعتمده، مع تحقيقات قيمه و مطالب عاليه لا تخفى قيمتها عن أهلها.

و هذا أوان الشروع فى (شرح منهاج الكرامه فى معرفه الإمامه)الذى أرجو أن يكون النافع لى فى يوم القيامه،و الله أسأل أن يوفّقنى لإتمامه،و ينفع به الباحثين عن الحق المبين بمحمد و آله الطاهرين الطيبين،إنه سميع مجيب.

على الحسينى الميلانى

ص: ١١٤

قال المؤلف قدس سره: أما بعد؛ فهذه رسالته شريفه و مقاله لطيفه، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، و أشرف مسائل المسلمين، و هي مسأله الإمامه.

الشرح:

مكانه الإمامه في الدين

وصف المؤلف قدس سره الإمامه بـ «أهم المطالب في أحكام الدين، و أشرف مسائل المسلمين... و هي أحد أركان الإيمان»، ثم استشهد على ذلك بالحديث النبوي الآتي. و هذا السياق ظاهر بل صريح في أن المراد هو الأهم في حدود الدين و بالإضافة إلى غيرها من (مسائل المسلمين). و هل يتحقق (الدين) و يصدق عنوان (المسلمين) إلا (بالإيمان بالله و رسوله)؟ فالمراد: كون (الإمامه) أهم المطالب بعد الإيمان بالله و رسوله صلى الله عليه و آله، و الإمامه كما عرفها الشيعة و السنه- كما في شرح المواقف و غيرها-: «رئاسه في الدين و الدنيا لشخص نيابه عن النبي صلى الله عليه و آله» (١).

ص: ١١٥

و لم يكن هذا بذاك الغموض حتى لا يفهمه ابن تيميه، فيورد عليه بما لا طائل تحته، و يستدلّ-على أن الإيمان بالله و رسوله أهمّ (١)-بما لا حاجة إليه.

قال قدس سره: التي يحصل بسبب إدراكها نيلُ درجة الكرامه.

الشرح:

قال الله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (٢) فبالتقوى و الكون مع الصادقين تُنال درجة الكرامه، و كلما يكون الإنسان أقرب إلى الصادقين بالجنان و الجوارح يكون أكثر عبودية لله و امتثالاً له في أوامره و نواهيه، فيكون أتقى، و من كان أتقى كان أكرم، كما في الآية المباركه «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (٣).

و بالجممله، إذا أدرك الإمامه و عرف الإمام ائتمّ به، فكان هذا الإدراك سبباً لنيل درجة الكرامه، و كلما كان الانقياد أكثر كانت درجة الكرامه أعلى و أرفع.

فهذا شرح هذا الكلام و الدليل عليه، و هكذا يسقط قول ابن تيميه من «أنّ مجرد معرفه إمام وقته و إدراكه لا يستحق به الكرامه...».

قال قدس سره: و هي أحد أركان الإيمان، المستحقّ بسببه الخلود في الجنان، و التخلّص من غضب الرحمن....

الشرح:

و هذه هي الكرامه التي لا تحصل، بعد الإيمان بالله و رسوله صلّى الله عليه و آله إلا بإدراك (الإمامه)، و لذا كانت أحد أركان الإيمان، بحيث تنتفي (الكرامه) بانتفاء أحدها.

فإن قيل: فالإمامه آخر المراحل، فكيف تكون أهمّ و أشرف؟

ص: ١١٦

١-١) منهاج السنه ٧٥/١.

٢-٢) سوره التوبه: ١١٩.

٣-٣) سوره الحجرات: ١٣.

قلنا: قد أشرنا إلى أن الإمامه نيابه النبوه، والنبوه من الله، كما أشرنا من قبل إلى أن الإمامه أهم المطالب في أحكام الدين، والدين هو الإيمان بالتوحيد والرسالة، فسقط السؤال المذكور.

قال قدس سره: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه» .

الشرح:

حديث: «من مات...» من أصح الأحاديث المتفق عليها، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا أحد ألفاظه، وهو موجود في كتب الفريقين (1)، وله ألفاظ أخرى، ولا بد أن ترجع كلها إلى معنى واحد ومقصد فارد، وهو ما صرح به ونص عليه اللفظ الأول. فتأمل.

كقوله: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليه».

وقوله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليه».

وقوله: «من مات وليس عليه طاعة إمام مات ميتة جاهليه».

وقوله: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليه».

وقوله: «من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليه» (2).

وهذا الحديث أحد الأدلة النقلية على أن الإمامه «أحد أركان الإيمان..» مع أدله عقلية ونقلية أخرى مذكوره في مظانها.

ص: ١١٧

١- ١) راجع من كتب أهل السنه: شرح المقاصد ٢/٢٧٥ و شرح العقائد النسفيه: ٢٣٢.

٢- ٢) مسند أحمد ١/٢٩٧ و ٣١٠ و ٧٠/٢ و ٨٣ و ٩٤ و ١٢٣ و ١٥٤ و ٣/٤٤٥ و ٤٤٦ و ٩٦/٤. صحيح مسلم ٢٢، ٢١/٦. مجمع الزوائد ١/٣٢٤ و ٢١٨/٥ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥.

قال قدس سره: خدمت بها خزانة السلطان الأعظم....

الشرح:

السلطان محمد أولجايتو خان خدابنده ابن أرغون بن ابقا خان بن هولاقو بن تولى بن جنكيز خان المغولى، و(أولجايتو) لقب له، ومعناه: السلطان الكبير المبارك، و(خدابنده) أى: عبد الله، وقيل: (خربنده)، أى: كبير العباد. ولد سنة ٦٨٠ و توفى سنة ٧١٦. و كان تشييعه على المشهور على يد العلامة سنة ٧٠٨ فى خبر ذكر فى ترجمه العلماء من كتب التراجم. فراجع كتاب: أعيان الشيعة (١) وغيره.

و قد أشار إلى الخبر الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الدرر (٢).

ص: ١١٨

١-١) أعيان الشيعة ٤٠٠/٥.

٢-٢) الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنة ٧٢/٢.

إشاره

ص: ١١٩

قال قدس سره: ذهبت الإماميه إلى أن الله تعالى عدلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يُخلُّ بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمه، وأنه لا يفعل الظلم ولا العيب، وأنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأُنفع، وأنه تعالى كلفهم تخييراً لا إجباراً، و وعدهم بالثواب و توعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه و رسله المعصومين عليهم السّلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ و لا النسيان و لا المعاصي؛ و إلّا لم يبق وثوق بأقوالهم....

الشرح:

الإشارة إلى اصول الدين عند الاماميه

اعترض ابن تيميه على التعرّض لمسائل القدر و نحوها: بأن «إدخال مسائل القدر و التعديل و التجويز في هذا الباب كلام باطل من الجانين؛ لأنها مسائل لا تتعلّق بالإمامه...» (١).

قلت: صحيح أن هذه المسائل لا- علاقه لها مباشره بالإمامه، و لذا لم يتعرّض لها العلّامه في هذا الكتاب و لم يفصّل الكلام في إثباتها فيه، فإنه مُصنّفٌ في الإمامه، غير أنه أشار إلى تلك المسائل هنا مقدّمه للقول بوجود نصب الإمام على الله تعالى، فإن

ص: ١٢١

مذهب الإمامية أن مقتضى عدل الباري و حكمته و أنه لا يفعل قبيحاً و لا يخلّ بواجب، أن ينصب الإمام كما يقتضى أن يرسل رسولاً.. و شرح ذلك موكول إلى الكتب المفصلة المصنفة في هذا الشأن (١).

فهذا مراد العلامة و هو ظاهر لمن تأمل كلامه، فلا يرد عليه الاعتراض بما ذكر.

و كذا اعتراضه بأن: «ما نقله عن الإمامية ليس تمام قولهم...» ساقط.

نصب الإمام لطف

قال قدس سره: ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلى الله عليه و آله بالأئمة عليهم السلام فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلطهم و سهوهم و خطئهم....

الشرح:

و اعترض عليه: «إن أراد بقوله: نصب... أنه مكنهم و أعطاهم القدره على سياسه الناس حتى ينتفع الناس بسياستهم، فهذا كذب واضح و هم لا يقولون بذلك، بل يقولون: إن الأئمة مقهورون مظلومون. و إن قيل: المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم، فإذا أطاعوهم هدوهم، لكن الخلق عصوهم. فيقال: فلم يحصل بمجرد ذلك...» (٢).

قلت: قول العلامة «ليأمن» تعليل لاشتراط العصمه، و «لئلا...» تعليل للنصب.

ثم إن (النصب) شيء و (التصرف) شيء آخر، فلا وجه لأن يراد (التصرف) من (النصب)، كما أنه ليس المراد (بنصبهم) أنه أوجب على الخلق طاعتهم، بل المراد من

ص: ١٢٢

١-١) منها كتابه: نهج الحق و كشف الصدق.

٢-٢) منهاج السنه ١/١٣١.

(النصب) هو الإقامه و الجعل، قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» (١)، فالله تعالى أوجدهم و جعلهم الأدلاء عليه لطفاً و رحمه بالعباد، كما تنصب الرّايات فى الطرقات لاهتداء العابرين بها لطفاً و رحمه بهم. فحال الإمام حال الرايه، من خالف ضلّ، و من اهتدى بلغ الغايه.. و لا- ملازمه حتى يقال: «فلم يحصل بمجرد ذلك فى العالم لا لطف و لا رحمه». كما لا ينكر اهتداء أقوام من الناس بهم، فقول ابن تيميه: «إن ما حصل تكذيب الناس لهم و معصيتهم إياهم» كذب. فهذا سرّ التعبير (النصب).

ثم إن من الأئمه من حصل له التمكن و منهم من لم يحصل، كما كان الحال بالنسبه إلى الأنبياء و المرسلين، و منهم من سيحصل له ذلك، و هو المهدى المنتظر المتفق على القول به بين المسلمين، و به فسّر قوله عز و جل: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» (٢)، و قوله: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ..» (٣) و غيرهما من آيات الكتاب، حيث يحصل من وجوده و تصرفه النفع العام للعالم كله، كما كان إيجاده و نصبه إماماً لطفاً و رحمه بالعباد.

مضافاً إلى أن طوائف من الناس انتفعوا به فى غيبته فى قضايا شخصيه أو وقائع عامه أثبتها المحدثون الأثبات فى كتبهم الخاصيه به.

و بهذا المجمل يسقط قول ابن تيميه: «و أيضاً، فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به و لا حصل لهم به لطف...».

قال قدس سره: فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلق الله تعالى العالم من لطفه و رحمته. و أنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه و آله قام بنقل الرساله، و نصّ على أن الخليفه بعده على بن أبى طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكى ثم

ص: ١٢٣

١-١) سورة الأنبياء: ٧٣.

٢-٢) سورة النور: ٥٥.

٣-٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين...و أن النبي صَلَّى الله عليه و آله لم يمت إلّا عن وصيه بالإمامه.

الشرح:

ستعرف ذلك بالتفصيل، حيث نذكر النصوص و البراهين على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام.

الإشارة إلى اصول الدين عند أهل السنّه

إشاره

قال قدس سره: و ذهب أهل السنّه إلى خلاف ذلك كلّ، فلم يثبتوا العدل و الحكمه في أفعاله تعالى!....

الشرح:

و اعترض عليه ابن تيميه: «أن قوله عن أهل السنّه إنهم لم يثبتوا...نقل باطل عنهم من وجهين:

أحدهما: إن كثيراً من أهل السنّه-الذين لا يقولون في الخلافه بالنص على على و لا بإمامه الاثنى عشر-يثبتون ما ذكره من العدل و الحكمه على الوجه الذى قاله هو، و شيوخه عن هؤلاء أخذوا ذلك، كالمعتزله و غيرهم ممن وافقهم من متأخرى الرافضه على القدر، فنقله عن جميع أهل السنّه-الذين هم في اصطلاحه و اصطلاح العامه من سوى الشيعه-هذا القول كذب بيّن منه.

الوجه الثانى: إن سائر أهل السنّه الذين يقرون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل، و لا- من يقول إنه ليس بحكيم، و لا- فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجباً و لا أن يفعل قبيحاً، فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذى من أطلقه كان كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين...» (١).

ص: ١٢٤

أقول: و كلا الوجهين جهل أو تجاهل؛

أمّا الأوّل، فيبطله أن مقصود العلماء من (أهل السنّه) هنا خصوص (الأشاعره)، و يشهد به قوله في نفس هذه المسأله في كتاب آخر: «قالت الإماميه و متابعوهم من المعتزله... و قال الأشاعره: ليس جميع أفعال الله...» (١).

و أما الثاني، فيكذّبه ما نصّ عليه الحافظ ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ في الفصل:

١٦٠/٣، و الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ في الملل و النحل: ٩٢/١، و القاضي العضد المتوفى سنة ٧٥٦ في المواقف، و سيأتي تفصيل الكلام عليه في الفصل الثاني.

قال قدس سره: و أنه تعالى لا- يفعل لغرض، بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض، و لا لحكمه ألّبتّه، و أنه تعالى يفعل الظلم و العبث، و أنه لا يفعل ما هو الأصح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقه....

الشرح:

أقول: سيأتي مزيد من الكلام على هذا كلّ في الفصل الثاني من الكتاب.

و قد ذكر الفخر الرازي بتفسيره ما نصّه: «أن العبد لا يستحق على الطاعه ثواباً، و لا على المعصيه عقاباً استحقاقاً عقلياً و اجباً. و هو قول أهل السنّه و اختيارنا» (٢).

لكن ابن تيميه يقول في جواب العلماء في هذا الموضوع: «فهذا فريه على أهل السنّه» (٣)، فانظر من المفترى؟

و أمّا أن أفعاله ليست لغرض.. فلم ينكره ابن تيميه، و استدلل له الرازي عقلاً- و نقلاً قال: «أمّا النصوص فأكثر من أن تعدّ، و هي على أنواع، منها ما يدلّ على أن الإضلال بفعل الله...، و منها ما يدلّ على أن الأشياء كلّها بخلق الله...» (٤)، و قال: «قول أصحابنا:

ص: ١٢٥

١-١) نهج الحق و كشف الصدق: ٧٣.

٢-٢) التفسير الكبير ١٢٨/٢.

٣-٣) منهاج السنه ١/٤٦٦.

٤-٤) التفسير الكبير ٢٨/٢٣٣.

و هو أنه يحسن منه كلما أراد، ولا يعلل شيء من أفعاله بشيء من الحكمة و المصالح» (١).

قال قدس سره: و أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ و الزلل و الفسوق و الكذب و السهو، و غير ذلك!

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بأن «ما نقله عنهم أنهم يقولون أن الأنبياء غير معصومين فهذا الإطلاق نقل باطل عنهم؛ فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى» (٢).

قلت: قد ذكر العلامة مذهب الإمامية و مخالفاتهم في هذه المسألة على الإجمال، فقال: بأن الإمامية ذهبوا إلى وجوب عصمتهم «بحيث لا يجوز عليهم الخطأ و لا النسيان و لا المعاصي؛ و إلا لم يبق وثوق بأقوالهم و أفعالهم فتنتفى فائده البعثة»، و أن أهل السنة ذهبوا إلى «أن الأنبياء غير معصومين...» فأجمل القول في الموردين، و لم يفصل أن هذه العصمة متى هي؟ و في أى شيء؟ و عن أى شيء؟ نعم، ظاهر عبارته في طرف مذهب الإمامية هو الإطلاق، و هو كذلك، فإن مذهبهم أنه لا يقع من الأنبياء السهو و لا النسيان، و لا تصدر منهم المعصية، لا الصغيره و لا الكبيره، لا سهواً و لا عمداً، و لا فرق في ذلك كله بين حال قبل النبوة و حال بعدها، فيما يبلغونه عن الله تعالى و في غيره.

و قد نفى هذا الإطلاق عن أهل السنة، لا- أنه نسب إليهم كونهم غير معصومين مطلقاً، حتى يقال بأنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى..، و سيأتى بعض التفصيل في المسألة في الفصل الثاني.

ص: ١٢٤

١-١) التفسير الكبير ١١/١٧.

٢-٢) منهاج السنه ١/٤٧٠.

قال قدس سره: و أن النبي صَلَّى الله عليه و آله لم ينص على إمام بينهم.

الشرح:

أجاب ابن تيمية: «ليس هذا قول جميعهم، بل قد ذهبت طوائف من أهل السنّة إلى أن إمامه أبي بكر ثبت بالنص» (١).

أقول: هذا كذب، فإن ما ذكر العلامة قول جميعهم -إلا البكريّة، ولا عبره بهم؛ لأنهم شرذمه شاذّة تعصّبوا لأبي بكر، و اختلقوا في فضله و خلافته النصوص كما ستعرف -ففي المواقف و شرحها: «و الإمام الحقّ بعد النبي صَلَّى الله عليه و آله أبو بكر، ثبتت إمامته بالإجماع و إن توقّف فيه بعضهم... و لم ينصّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله على أحد، خلافاً للبكريّة، فإنهم زعموا النص على أبي بكر، و للشيعة، فإنهم يزعمون النص على علي كرم الله وجهه، إمّا نصّاً جليّاً و إمّا نصّاً خفياً. و الحقّ عند الجمهور نفيهما» (٢)، و به اعترف أهل الحديث كالمناوى (٣).

فقوله: «ليس هذا قول جميعهم بل قد ذهبت طوائف...» كذب. نعم هو مذهب البكريّة، لكن النصّ الذي يزعمونه من وضعهم و لا أصل له عن النبي صَلَّى الله عليه و آله، قال الحافظ ابن الجوزي: «قد تعصّب قوم لا خلاق لهم يدعون التمسك بالسنّة، فوضعوا لأبي بكر فضائل» (٤)، و هؤلاء هم (البكريّة) بالتحديد كما في كلام ابن أبي الحديد، قال:

«فلما رأَت البكريّة ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه

ص: ١٢٧

١- ١) منهاج السنّة ١/٤٨٦.

٢- ٢) شرح المواقف ٨/٣٥٤.

٣- ٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/٧٢.

٤- ٤) الموضوعات ١/٣٠٣.

الأحاديث، نحو: (لو كنت متخذاً خليلاً)، فإنهم وضعوه في مقابله حديث الإخاء.

و نحو: (سد الأبواب)، فإنه كان لعلى عليه السلام فقلبتة البكريه إلى أبى بكر. و نحو:

(إيتونى بدواه و بياض أكتب فيه لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان، ثم قال: يا أبى الله و المسلمون إلّا أبى بكر)، فإنهم وضعوه فى مقابله الحديث المروى عنه فى مرضه:

(إيتونى بدواه و بياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبداً، فاختلفوا عنده، و قال قوم منهم: لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله). و نحو حديث: (أنا راض عنك فهل أنت عنى راض؟)، و نحو ذلك» (١).

و لا يخفى أن هذه الأحاديث هى النصوص التى ربّما يستدلّون بها على خلافه أبى بكر، ثم يدعون بعدم اعتبارها سنداً أو سنداً و دلالة، و منها حديث: «اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر» حيث استدللّ به فى بعض كتب الأصوليين، و قد نصّ غير واحد من محققهم - كالزار و ابن حزم و العبرى و الحفيد - على أنه موضوع.. و قد حقّقنا ذلك فى رساله مفرده جيده، طبعت - و الحمد لله - فى كتابنا (الرسائل العشر فى الأحاديث الموضوعه).

قال قدس سره: و أنه مات عن غير وصيته.

الشرح:

قد عرفت من عبارته المواقف و شرحها - و هما من أجلّ الكتب الكلاميه عندهم -: أن أهل السنّه - عدا البكريه - على أن خلافه أبى بكر ثبتت بالإجماع، و فيه ما فيه، و أنه لا نصّ و لا وصيه.. و الأصل فى قولهم بعدم الوصيه هو قول عمر، و قد قيل له:

لو استخلفت: «إن استخلف فقد استخلف أبو بكر، و إن لم استخلف لم يستخلف رسول الله صلّى الله عليه و آله» (٢).

ص: ١٢٨

١- ١) شرح نهج البلاغه ٤٩/١١.

٢- ٢) مسند أحمد ٤٧/١، صحيح البخارى ١٢٦/٨، صحيح مسلم ٥/٦، سنن الترمذى ٣٤١/٣.

و لا يخفى ما فى القول بموت النبى صلى الله عليه و آله بلا وصيه، و لعله من هنا اضطرب بعضهم فى تصحيحه و حاولوا توجيهه و التخلّص منه، و لو بخلط الغث بالسمين.. لكن حاشاه من أن يترك الأئمّه و يفارقها بلا وصيه، و هو على علم بما سيكون من بعده من المنافقين و الأئمّه المضلّين.. و قد أمر الله سبحانه فى محكم كتابه و هو عليه و آله الصّلاه و السلام فى الأحاديث المتّفق عليها بالوصيه.

من الشواهد على عدم النص على أبى بكر

ثم إنه يشهد بما ذهب إليه جمهورهم من عدم النصّ و الوصيه فى خلافة أبى بكر أمور، نكتفى هنا بالإشارة إليها، و ستعرّض لها بالتفصيل فيما بعد:

١- النزاع فى السقيفه بين المهاجرين و الأنصار، و إباء جماعه من أعلام المهاجرين، و على رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام و بنو هاشم عن البيعه لأبى بكر.

٢- أنه على فرض وجود النصّ أو الوصيه و خفاء ذلك على من أبى البيعه أو نازع، لكان من الواجب على أبى بكر أو غيره العالم بذلك إظهاره؛ حسماً للنزاع و إخماداً للفتنه و رفعاً للخلاف.

٣- قول أبى بكر: «أقيلونى...».

٤- قول عمر: «كانت بيعه أبى بكر فلتة».

٥- ما روى عن عائشه أنها سئلت: «من كان رسول الله صلى الله عليه و آله مستخلفاً لو استخلف؟» [\(١\)](#).

و أورد ابن تيميه أحاديث فى كلام طويل يتضمّن وجود النصّ و الوصيه على خلافة أبى بكر، و لكن ذلك خفى عليه و على ابنته و عمر و سائر المهاجرين و الأنصار!!

ص: ١٢٩

و هل من عاقل يرتضى هذا القول؟! و كيف ظهر لهذا القائل ما خفى على أولئك القوم؟! هذا...و يناقضه ما جاء بعده من أن «التحقيق: أن النبي صَلَّى الله عليه و آله دَلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، و أرشدهم إليه بأمر متعدده من أقواله و أفعاله، و أخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، و عزم على أن يكتب بذلك فى مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابه اكتفاء بما علم أن الله يختار و المؤمنون من خلافه أبى بكر، فلو كان التعيين ممّا يشتبه على الأئمة لبيّنه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلّهم دلالات متعدده على أن أبا بكر هو المتعين و فهموا ذلك، حصل المقصود...و لم ينكر ذلك منهم منكر، و لا قال أحد من الصحابه أن غير أبى بكر من المهاجرين أحقّ بالخلافه منه، و لم ينازع أحد فى خلافته إلا- بعض الأنصار؛ طمعاً فى أن يكون من الأنصار أمير و من المهاجرين أمير...و لم يقل قطّ أحد من الصحابه أن النبي صَلَّى الله عليه و آله نصّ على غير أبى بكر...» (١).

أقول:

أولاً، أن الكلام فى (النصّ) و (الوصية) و هما غير (الدلاله) و (الإرشاد).

و ثانياً: إن كان دلّهم و أرشدهم فكيف خفى عليهم؟ و إن كان أخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد عليه، فلما ذا أبوا عن بيعته أو نازعوه خلافته؟

و ثالثاً: إن كان عزم على أن يكتب له بالخلافه، فما الذى منعه عن ذلك؟ و لما ذا ترك؟ و الخلافه أهمّ الأمور، و هو يعلم بأنه سيطلبها عدّه من الناس؟ و سيقع النزاع بينهم بل القتال حولها؟

و رابعاً: إن كان علمه بأن المسلمين يجتمعون عليه هو السبب فى ترك الكتاب،

ص: ١٣٠

فقد علم-و علم الكل-بانتفاء هذا الاجتماع،حتى أن بعض المسلمين بقى على معارضته حتى آخر لحظه من حياته،فكان عليه أن يكتب،و إذ وجدناه لم يكتب،علمنا أنه لم يكن من عزمه ذلك.

و خامساً: إن كان قد ترك الكتاب اكتفاء بالاجماع كما زعم،فلما ذا عزم على الكتاب مرّه أخرى فى مرضه يوم الخميس؟

و سادساً: من أين علم هذا الرجل أن الذى أراد أن يكتبه يوم الخميس فحصل لبعضهم شك فيه...كان الوصيه و النص على خلافه أبى بكر؟و لما ذا حصل لهم الشك؟ و لما ذا حالّ عمر بن الخطاب و من تبعه دون كتابه الوصيه فى حق أبى بكر،سواء كانت من جهه المرض أو هو قول يجب اتباعه،و أنت تدعى إجماع القوم على خلافه أبى بكر و دلالة النبى صلّى الله عليه و آله المسلمين عليها؟

إن حديث القرطاس،و ما كان يوم الخميس..ذو شجون..و سنتعرض له فى محلّه المناسب له،استناداً إلى أخبار القوم الموثوقه عندهم.

و سابغاً: قوله:«فلو كان التعيين قاطعاً للعدر...»إعتراف بعدم وجود البيان القاطع للعدر من رسول الله فى خلافه أبى بكر.

و ثامناً: إن ما روى عن أبى بكر و عمر و عائشه و غيرهم،و الوجوه الدالّه على عدم النص و الاستخلاف،مثل ما كان من على و بنى هاشم و أتباعهم،و ما كان من سعد بن عباده،دليل على أن التعيين ممّا يشتهه على الأئمّه..لكن النبى صلّى الله عليه و آله لم يبيّن البيان القاطع فيما زعم!

و تاسعاً: إنه و إن هون أمر نزاع الأنصار لكثته ذكره،أمّياً إباء على و بنى هاشم و من تابعهم عن البيعه،فلم يذكره و لم يشر إليه أصلاً.

و عاشراً: إن كلمات هذا الرجل متهافته،فهو من جهه ينفى وجود أيّه شبهه بين الأئمّه فى تعيين النبى صلّى الله عليه و آله أبا بكر،حتى أنه لم يجد حاجه إلى كتابه ذلك،

و من جهه، يعترف بأن سعد بن عباده كان يطلب الولايه لنفسه، و أن جماعه من الأنصار طلبوا توليه غير أبى بكر، حتى أنه جعل يدفع هذا بقوله:

«ففى الجملة: جميع من نقل عنه من الأنصار من بنى عبد مناف أنه طلب توليه غير أبى بكر لم يذكر حجّه ديتيه شرعيّه، و لا ذكر أن غير أبى بكر أحقّ بها و أفضل من أبى بكر، و إنما نشأ كلامه عن حبّ لقومه و قبيلته، و إرادته منه أن تكون الإمامه فى قبيلته.

و معلوم أن مثل هذا ليس من الأدلّه الشرعيّه و لا الطرق الدينيّه، و لا هو ممّا أمر الله و رسوله المؤمنين باتّباعه، بل هو شعبه جاهليّه و نوع عصبيّه للأنسب و القبائل. و هذا مما بعث الله محمداً بهجره و إبطاله» (١).

قلت: و هل هذا إلا تفسيق لجماعه كبيره من الصحابه؟

هذا؛ و لا يخفى ما فى هذا الكلام من الإقرار بأن الإمامه لا بدّ و أن تستند إلى حجّه ديتيه، و أنه يعتبر فيها الأحقيّه و الأفضليّه.

ثم قال: «و معلوم أن هذا العلم الذى عندهم بفضله و تقدّمه إنما استفادوه من النبى صلّى الله عليه و آله بأمر سمعوها و عاينوها، و حصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصديق أحقّ الأئمّه بخلافه نيّهم و أفضلهم عند نيّهم، و أنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج فى ذلك إلى مناظره. و لم يقل أحد من الصحابه أن عمر بن الخطاب أو عثمان أو عليّاً أو غيرهم أفضل من أبى بكر أو أحقّ بالخلافه منه....»

حتى أن أعداء النبى صلّى الله عليه و آله من المشركين و أهل الكتاب و المنافقين يعلمون أن لأبى بكر من الاختصاص ما ليس لغيره، كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد... حتى أنى أعلم طائفه من حدّاق المنافقين ممن يقول أن النبى صلّى الله عليه و آله كان رجلاً عاقلاً أقام الرياسه بعقله و حذقه يقولون: إن أبى بكر كان مباطناً له على ذلك،

ص: ١٣٢

يعلم أسراره على ذلك» (١).

أقول:

أولاً: إن كان هذا العلم موجوداً عندهم و حاصلاً لهم من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فلما ذا لم يعملوا به؟ و خالفوه؟

و ثانياً: نفيه قول أحد من الصحابه بأفضليته غير أبي بكر منه، مردود بأن جماعه من كبار الصحابه قالوا بأفضليته أمير المؤمنين عليه السلام منه و من جميع الصحابه، نصّ على ذلك كبار الحفاظ.

قال الحافظ ابن عبد البر: «و روى عن سلمان، و أبي ذر، و المقداد، و خباب، و جابر، و أبي سعيد الخدرى، و زيد بن أرقم أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أوّل من أسلم، و فضّله هؤلاء على غيره» (٢).

و قال: «اختلف السلف أيضاً فى تفضيل على و أبى بكر» (٣).

«و أمّا اختلاف السلف فى تفضيل على، فقد ذكر ابن أبى خيثمه فى كتابه من ذلك ما فيه كفايه» (٤).

و عزا ابن حزم القول بأنه أفضل الأئمه بعد النبى إلى (بعض أهل السنّه) و (بعض المعتزله) و (بعض المرجئه) و (جميع الشيعة) و (جماعه من التابعين و الفقهاء) قال:

«و روينا عن نحو عشرين من الصحابه أن أكرم الناس على رسول الله على ابن أبى طالب» (٥).

ص: ١٣٣

١- ١) منهاج السنه ١/٥٢٢-٥٢٤.

٢- ٢) الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ٣/١٠٩٠.

٣- ٣) نفس المصدر ٣/١١١٦.

٤- ٤) نفس المصدر ٣/١١١٧.

٥- ٥) الفصل فى الأهواء و الملل و النحل ٤/١١١.

و ثالثاً: نفيه قول أحد من الصحابه بأحقّيّه أحد بالخلافه من أبى بكر، مردود بقول جماعه من الأنصار بأحقّيّه سعد بن عباده، و قول بنى هاشم و جماعه من المهاجرين و الأنصار بأحقّيّه على عليه السلام... و كلّ ذلك مذكور فى أخبار كيفّيّه أخذ البيعه لأبى بكر.

و رابعاً: إستدلّاه بقول أبى سفيان يوم أحد: «أ فى القوم محمد... أ فى القوم أبو بكر...» عجيب جدّاً، لأنّه غير معلوم ثبوته، و إن عزا روايته إلى كتابى البخارى و مسلم، و لأنّه لو ثبت قول كافر لا يدرى معنى الفضيله و ما تثبت به الأفضليّه فى الإسلام، كما أنا لا نعلم أنّه على أى وجه قاله.

على أنّه قد نصّ فى موضع من كتابه - كما سيأتى - بأنّ «الكافر لا يقبل قوله فى دين المسلمين» فبين كلاميه فى الموضوعين تناقض ظاهر.

ثم إنه إن كان أبو سفيان يعتمد على قوله كافراً، فلما ذا لا يعتمد على قوله حال إسلامه ظاهراً، فإن أبا سفيان كان من المعترضين على تولّى أبى بكر، حتى أنه جاء إلى أمير المؤمنين ليبيعه و يعاهده على النصره، كما هو مذكور فى كتب التاريخ.

و خامساً: إستناده إلى قول حدّاق المنافقين!! عجيب كذلك، و من أين حصل له العلم بمقاله هؤلاء؟ و ما العلاقه بينه و بين حدّاق المنافقين!؟

إمامه أبى بكر كانت بيعه عمر

قال قدس سره: و أن الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله أبو بكر بن أبى قحافه....

الشرح:

و هو: عبد الله - و قيل عتيق - بن أبى قحافه عثمان بن عامر التيمى، ولد - كما فى

ص: ١٣٤

تاريخ الخلفاء (١)- بعد مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَنَتَيْنِ وَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَ أُسْلِمَ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ شَخْصاً فِيمَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (٢)، وَ بُويعَ بِالْخِلَافَةِ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَ تُوْفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنْ الْهَجْرَةِ.

قال قدس سره: لمبايعه عمر بن الخطاب له برضا أربعه....

الشرح:

اعترض عليه ابن تيميه بأنه «ليس هذا قول أئمه أهل السنّه، وإن كان بعض أهل الكلام يقولون: إن الإمامه تنعقد ببيعه أربعه، كما قال بعضهم: تنعقد ببيعه اثنين، و قال بعضهم: تنعقد ببيعه واحد، فليست هذه أقوال أئمه السنّه. بل الإمامه عندهم تثبت بموافقه أهل الشوكه عليها، و لا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكه الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامه، فإن المقصود من الإمامه إنما يحصل بالقدرة و السلطان، فإذا بويع ببيعه حصلت بها القدرة و السلطان صار إماماً، و لهذا قال أئمه السنه:

من صار له قدره و سلطان يفعل بهما مقصود الولاية هو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم... و لو كان جماعه في سفر، فالسنّه أن يؤمروا أحدهم كما قال النبي... فإذا أمره أهل القدرة منهم صار أميراً.

فكون الرجل أميراً و قاضياً و والياً و غير ذلك من الأمور التي مبناه على القدرة و السلطان، متى حصل ما يحصل به في القدرة و السلطان حصلت، و إلا فلا....

و لهذا قال أحمد في رساله عبدوس بن مالك العطار: أصول السنه عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ إِلَى أَنْ قَالَ - وَ مِنْ وَ لِي الْخِلَافَةِ

ص: ١٣٥

١- ١) تاريخ الخلفاء: ٣٠.

٢- ٢) تاريخ الطبري ٣١٦/٢.

فأجمع عليه الناس و رضوا به، و من غلبهم بالسيف حتى صار خليفه و سَمِيَ أمير المؤمنين، فدفع الصّيدقات إليه جائز، برّاً كان أو فاجراً. و قال- فى روايه إسحاق بن منصور- و قد سئل عن حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهليه ما معناه؟ فقال: تدرى ما الإمام؟ الإمام الذى يجمع عليه المسلمون، كلهم يقول: هذا إمام، فهذا معناه» (١).

أقول: الواقع- يوم السقيفه- ما ذكره العلامة، فقد روى المحدثون و المؤرّخون عامّه عن عمر أنه قال- و هو يحكى توجّهه مع أبى بكر نحو السقيفه حيث اجتمع الأنصار و اتفقوا على رئيسهم سعد-: «كنت أزور فى نفسى كلاماً فى الطريق، فلمّا وصلنا إلى السقيفه أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر. فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر ما كنت أزوره فى نفسى كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته...».

و على هذا الأساس، قال أهل الكلام منهم بانعقاد الإمامه ببيعه واحد و رضا أربعة - كما اعترف به الرجل- و قال به القاضى أبو يعلى الحنبلى (٢).

و قال التفتازانى: «اختيار أهل الحلّ و العقد و بيعتهم من غير أن يشترط إجماعهم على ذلك، و لا عدد محدود، بل ينعقد بعقد واحد منهم» (٣).

و قال القاضى العضايد: «و إذا ثبت حصول الإمامه بالاختيار و البيعه فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقدّم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد و الاثنان من أهل الحلّ و العقد كاف، لعلمنا أن الصحابه مع صلابتهم فى الدين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبى بكر، و عقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان...» (٤).

ص: ١٣٦

١-١) منهاج السنه ١/٥٢٦-٥٢٩.

٢-٢) الأحكام السلطانيه: ٢٣.

٣-٣) شرح المقاصد ٢/٢٨١.

٤-٤) المواقف ٣/٥٩٠.

و أما قوله: «بل الإمامه عندهم تثبت بموافقه أهل الشوكه عليها...» ففيه:

أولاً: أنه ظاهر في عدم لزوم النص، ولا أقل من ظهوره بل صراحته في عدم كفايه النص لانعقادها.

و ثانياً: إنه لا فرق بين ما نسبه إلى (أهل السنه) و ما نسبه إلى (أهل الكلام)، إذ ليس المراد من (أهل الشوكه) إلا (أهل الحلّ و العقد) في اصطلاح أهل الكلام، فلا يريد القائل بانعقادها بموافقه واحد مطلق الواحد و لو من سوقه المسلمين الذين لا أثر لبيعه الآلاف منهم... و يوضح ذلك قوله: «فالإمامه ملك و سلطان، و الملك لا يصير ملكاً بموافقه واحد و لا اثنين و لا أربعة، إلا أن تكون موافقه هؤلاء تقتضى موافقه غيرهم، بحيث يصير ملكاً بذلك، و هكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونه عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه».

و ثالثاً: إن الإمامه ما هي إلا نيابه عن النبوه في كل ما هو من شؤونها، و هل تتوقف النبوه على موافقه أهل الشوكه؟ إنه لو تم ما ذكره، لزم إنكار نبوه الأنبياء الذين لم يوافقهم أهل الشوكه بل حاربوهم و قتلوهم.

و رابعاً: إن المقصود من الإمامه استمرار وظائف النبوه، يقوم بها الإمام نيابه عن النبي صلى الله عليه و آله، و من الواضح أن هذا المقصود لا يعتمد على القدره و السلطان، بل القدره و السلطان من أسباب حصوله، و هذا صريح الآيه المباركه: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ» (١).

و خامساً: إن أمر النبي صلى الله عليه و آله بتأشير المسافرين أحدهم إرشادى، و ليس معنى قوله فيما روى عنه: «لا يحلّ لثلاثه يكونون في سفر إلا أن يؤمروا واحداً

ص: ١٣٧

منهم» حرمة ترك ذلك، بالإجماع... فلا- يكوننّ هذا و نحوه دليلاً- على أن الإمامه بيد الناس، و أنها تتحقق لكلّ من أمره سواء كان عادلاً أو فاسقاً، فبطل الاستدلال بالحديث لما ذهب إليه و قال: «فإذا أمره أهل القدره منهم صار أميراً».

و أمّا ما حكاه عن أحمد، فهو على فرض صدوره و ظهوره فيما يدّعيه، باطل بالوجه المذكوره. على أن ما حكاه ثانياً عنه شاهد بعدم صحّ النقل الأول عنه؛ لأنّ التعريف الذى ذكره لا يصدق على (من غلب المسلمين بالسيف براً كان أو فاجراً) فأى إمام من الأئمه (أجمع عليه المسلمون، كلّهم يقول هذا إمام)، و كان قد غلبهم بالسيف و هو فاجر؟ أن هذا غير جائز و غير واقع.

ثم قال هذا الرجل: «و الكلام هنا فى مقامين أحدهما: فى كون أبى بكر كان هو المستحقّ للإمامه و أن مبايعتهم له ممّا يحبه الله و رسوله. فهذا ثابت بالنصوص و الإجماع. و الثانى: أنه متى صار إماماً فذلك بمبايعه أهل القدره له».

أقول: هذا الكلام ليس هنا موضعه، بل سيأتى بالتفصيل، و إنما أشار العلامة فى هذا المقام إلى مبنى القوم فى انعقاد الإمامه. و أمّا البحث التفصيلى عن إمامه الثلاثة فليس فى مقامين بل مقامات.

و أمّا «كون أبى بكر كان هو المستحقّ للإمامه» فأول الكلام، و من الضرورى البحث أولاً: عن أن الإمامه تحصل بالتفضّل أو الإستحقاق؟، ثم عمّا لا بدّ من اتصاف الشخص به من الأوصاف أو توقّره فيه حتى يكون إماماً، ثم نرى هل كان أبو بكر كذلك حتى يكون هو الإمام؟

و أمّا «أن مبايعتهم له ممّا يحبه الله و رسوله» فهل مرجع الضمير خصوص (أهل الشوكه) أو (عموم المسلمين)؟ إن كان المراد الأوّل، فقد عرفت ما فيه، و إن كان المراد الثانى، فهو كذب. و الظاهر أنه يريد الأوّل، لاعترافه بعد ذلك بأنه «لو قدر أن بعض الناس كان كارهاً للبيعه لم يقدح ذلك فى مقصودها» و قال: «و أمّا أبو بكر فتحلّف عن

بيعته سعد» (١) مع كونه من (أهل القدره)!!، وكان الرجل قد غفل عمّا استدلّ به من كلام أحمد من أن «الإمام، الذي يجمع عليه المسلمون كلّهم يقول: هذا إمام»!!

تراجم الذين انعقدت خلفه أبي بكر برضاهم

قال قدس سره: أبي عبيده، و سالم مولى أبي حذيفه، و أسيد بن حضير، و بشير ابن سعد .

الشرح:

أبو عبيده بن الجراح، قيل: اسمه عامر بن الجراح، و قيل: عبد الله بن عامر بن الجراح، و الصحيح: عامر بن عبد الله، شهد بدرًا و ما بعدها من المشاهد، و هو أحد العشرة المبشّره بالجنّه - فيما يروون - و من كبار الصحابه. توفى و هو ابن ثمان و خمسين سنه في طاعون عمواس سنه ١٨ بالأردن و بها قبره (٢).

و سالم بن معقل، مولى أبي حذيفه بن عتبه. كان من أهل فارس من إصطخر، و قيل: إنه من عجم الفرس في كرمد. و كان من فضلاء الموالى و من كبار الصحابه، و كان عمر يفرط في الثناء عليه. شهد بدرًا و قتل يوم اليمامة سنه ١٢ من الهجره (٣).

و أسيد بن حضير الأنصارى، أحد أصحاب الرأى عندهم. توفى في شعبان سنه ٢٠ و قيل ٢١. صلّى عليه عمر و كان قد أوصى إليه (٤).

و بشير بن سعد الأنصارى، شهد العقبه و بدرًا و المشاهد، و يقال: إنه أوّل من بايع أبا بكر يوم السقيفه من الأنصار. قتل - و هو مع خالد بن الوليد - بعين التمر في

ص: ١٣٩

١-١) منهاج السنّه ٥٣٦/١.

٢-٢) الإستيعاب في معرفه الأصحاب ١٧١٠/٤ - ١٧١١.

٣-٣) المصدر السابق ٥٦٧/٢.

٤-٤) المصدر السابق ٩٢/١.

خلافه أبي بكر (١).

أقول: روى سليم بن قيس الهلالي: أنه لما انطلقوا بعلى عليه السلام إلى أبي بكر، كان عمر قائماً بالسيف على رأسه، و خالد بن الوليد، و أبو عبيده بن الجراح، و سالم مولى أبي حذيفه، و معاذ بن جبل، و المغيرة بن شعبه، و أسيد بن حضير، و بشير ابن سعد، و سائر الناس جلوساً، حول أبي بكر، عليهم السلاح (٢).

هذا؛ و أخبار السقيفة و كيفية البيعة لأبي بكر، مذكوره في كتب التواريخ و الإمامه بالتفصيل، و قد أفردنا بعض علماء الإسلام بالتأليف و التحقيق، و لعل من أحسنها من المعاصرين كتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر. فراجعوه. و لعلنا نتعرض فيما سيأتي لطرفٍ من أخبار تلك القضية، استناداً إلى روايه الكتب الموثوق بها عند الجمهور.

إمامه عمر بنصّ أبي بكر

قال قدس سره: ثم من بعده عمر بن الخطاب بنصّ أبي بكر عليه.

الشرح:

هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، ولد - كما في تاريخ الخلفاء (٣) عن النووي - بعد الفيل بثلاث عشره سنه، و أسلم في السنه السادسة من النبوه، كما فيه عن الذهبي. و أوصى له أبو بكر بالخلافه بالرغم من مخالفه رجال من أهل الحلّ و العقد. و توفي آخر سنه ثلاث و عشرين بعد أن طعنه أبو لؤلؤه.

قال ابن تيميه: «و أمّا عمر، فإن أبا بكر عهد إليه، و بايعه المسلمون بعد موت

ص: ١٤٠

١-١) الإستيعاب ١/١٧٢.

٢-٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٥١.

٣-٣) تاريخ الخلفاء: ١٠٨.

أبى بكر فصار إماماً لَمَّا حصلت له القدره و السلطان بمبايعتهم» (١).

أقول: سيأتى الكلام حول إمامه عمر كذلك. و لكن نقول هنا: إنهم قد جعلوا الأساس فى خلافه عمر: (نص) أبى بكر عليه، و لم يتعرضوا ل(الإستحقاق) و ادّعوا أيضاً أنه (بايعه المسلمون) و لم يتعرضوا لمخالفه من خالف و اعتراض من اعتراض و إن كان من (أهل القدره)... و لا- بدّ من البحث: هل النص عليه من أبى بكر ثابت؟ و على فرضه، فهل كان له أن يستخلف؟ و على فرضه، فهل كان عمر مؤهلاً له؟ و هل أجمع عليه المسلمون كلّهم يقول: هذا إمام، على حدّ تعبير أحمد الذى استدلّ به الرجل؟

البيعه لعثمان فى الشورى

قال قدس سره: ثم عثمان بن عفان بنصّ عمر على سته هو أحدهم، فاختره بعضهم .

الشرح:

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص الأموى، وولد- كما فى تاريخ الخلفاء (٢)- فى السنه السادسة من الفيل، و أسلم بعد أبى بكر، و استخلف ببيعه عبد الرحمن بن عوف فى الشورى، ثم كان عبد الرحمن من المقاطعين لعثمان مع أعلام المهاجرين و الأنصار لأمر كثيره نعموها عليه، حتى قاموا ضده و قتل فى سنه خمس و ثلاثين.

و أهل الشورى هم: أمير المؤمنين على بن أبى طالب، و عثمان بن عفان، و طلحه بن عبيد الله، و الزبير بن العوام، و سعد بن أبى وقاص، و عبد الرحمن بن عوف.

نعم اختاره بعضهم، لكن عمر كان قد أوصى أنه إذا اختلف القوم كان القول قول الذين يكون فيهم عبد الرحمن بن عوف؛ لعلمه بأن عبد الرحمن لا يختار علياً عليه

ص: ١٤١

١- ١) منهاج السنه ١/ ٥٣٢.

٢- ٢) تاريخ الخلفاء: ١٤٧.

السلام فى حال من الأحوال. ثم إن عبد الرحمن احتال على على عليه السلام بطريقه تمكّنه من العدول عنه إلى عثمان، و ذلك أنه لما عرض عليه الأمر اشترط عليه السير بسيره الشيخين، و هو يعلم بإبائه عن أن يُشرط له ذلك... فبايع عبد الرحمن عثمان و تبعه الآخرون. و هذا مذكور فى جميع الكتب و لا يمتري فيه أحد.

و به يظهر ما فى قول ابن تيميه: «عثمان لم يصبر إماماً باختيار بعضهم، بل بمبايعه الناس له، و جميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، لم يتخلف عن بيعته أحد... فلما بايعه ذوو الشوكه و القدره صار إماماً، و إلّا لو قدّر أن عبد الرحمن بايعه و لم يبايعه على و لا غيره من الصحابه أهل الشوكه لم يصبر إماماً...» (١).

قلت:

أولاً: قد أشرنا إلى أن عمر قد جعل الأمر فى الحقيقه- إلى عثمان، لأنه قد أحاله إلى رأى عبد الرحمن، و هو يعلم بأن عبد الرحمن سوف لا يعدل عن عثمان، و قد أشرنا إلى أنه قد زوى الأمر عن على بأسلوب يتخيل الناظر أن علياً هو الذى أغضى عن الأمر! بل سنورد فى محله من الكتاب بعض الشواهد القويّه على ما ذكرنا، فانتظر.

ثانياً: إن بيعه المسلمين لعثمان بن عفان إنما كانت متابعه لما انتهى إليه الأمر، و هم يظنون أنه كان عن شورى حقيقه، إذ لم يطلع على واقع الحال إلا- أفراد من بينهم أعداد سمعوا مناشدات أمير المؤمنين عليه السلام، فكانوا من الموالين المقدمين له على غيره، كأبى الطفيل عامر بن واثله الذى روى خبر المناشده، و عرف فى كتب معرفه الصحابه بالولاء؛ و لذا وصف بالتشيع و الرفض.

ثالثاً: إن أهل الشورى، و هم الصحابه أهل الشوكه... عدلوا عن عثمان فيما بعد و قاطعوه... و تلك قضاياهم مذكوره فى التواريخ.

ص: ١٤٢

و رابعاً: إن جماعه من أعلام السلف و كبار الصحابه يفضّلون عليّاً عليه السلام على أبي بكر فضلاً عن عثمان، و منهم من يفضّله على عثمان.

ثم إن القوم لم يتعرّضوا هنا أيضاً ل(الإستحقاق) و لا لحكم(الشورى) فى أمر الخلافه، و أنه هل كان لعمر أن يصيرها شورى؟ و لما ذا بين هؤلاء السنّه دون غيرهم....

و يقول الرجل: «عثمان لم يصّر إماماً باختيار بعضهم بل بمبايعه الناس له، و جميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفّان...».

إذن، لم يكن إماماً لانتخابه فى الشورى التى جعلها عمر، كما لم تكن إمامته لنصّ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله... فلما ذا حمل أعضاء الشورى على البيعه بالسيف بوصيه من عمر؟ و لما ذا لم يترك الأمر إلى المسلمين؟

و إذا كانت إمامته بمبايعه الناس، فإنّهم إنّما بايعوه متابعه لأصحاب الشورى، إذ من الواضح أنه كان بينهم لكلّ منهم أنصار و أتباع، فهل بقى عثمان على ما بايع القوم عليه؟ هذه الأمور كلّها يجب أن تبحث، و ستأتى إن شاء الله....

إمامه على عليه السلام ببيعه المسلمين

قال قدس سره: ثم على بن أبى طالب لمبايعه الخلق له.

الشرح:

قال ابن تيميه: «و أمّا قوله: ثم على لمبايعه الخلق له. فتخصيصه عليّاً بمبايعه الخلق له دون أبى بكر و عمر و عثمان، كلام ظاهر البطلان» (١).

أقول: سيأتى من العلامه ذكر طرف من الأدلّه العقلية و النقلية على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبى صلّى الله عليه و آله بلا فصل. أما هنا، فإنه بصدد

ص: ١٤٣

بيان مذاهب السنّه باختصار حيث قال: «و ذهب أهل السنّه إلى خلاف ذلك كلّ...و أن الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أبو بكر لمبايعه عمر...ثم من بعده عمر بن الخطاب...ثم عثمان...ثم على بن أبي طالب...فهو لا يريد الاستدلال (بمبايعه الخلق له) حتى يقال بأن «تخصيصه عليّاً بمبايعه الخلق له...كلام ظاهر البطلان» بل إن دليل أهل السنّه على جعله الخليفه بعد عثمان (مبايعه الخلق له) لإنكارهم النصّ عليه مطلقاً، و جحدهم حقّه في الخلافه بعد النبي صلّى الله عليه وآله.

و كأن الرجل لم يفهم مراد العلّامه، فانبرى للدفاع عن الثلاثة، بأن مبايعه الناس لهم كانت أعظم من مبايعتهم له...توهماً منه بأن العلّامه يريد الطعن في خلافه القوم من هذه الناحيه.

أقول: إن كان المعيار للخلافه (مبايعه الخلق)، فإن المبايعه مع على كانت في المسجد بمنظر و مسمع من عموم المسلمين، و أمّا المبايعه مع أبي بكر فقد طبخت في السقيفه و دبّرت بليل، و مع عمر، كانت لما زعموه من نصّ أبي بكر عليه، و ما علم به إلا عثمان، و مع عثمان لمبايعه أهل الشورى له كما مهّد له عمر من قبل.

و لو كان عدم مبايعه بعض الصحابه - كعبد الله بن عمر - مع على مضرّاً بإمامته، فقد نازع سعد و أتباعه أبا بكر الخلافه، و اعترض طلحه - و من كان على رأيه - على استخلاف أبي بكر لعمر الذي جعلها شوري، لتنتهي إلى عثمان الذي كتب اسم عمر في وصيّيه أبي بكر عند ما أغمى عليه في الأثناء.

هذا؛ و قد ثبت ندم ابن عمر على تركه البيعه، بخلاف سعد بن عباده و من تبعه، فقد ثبت عنه الإباء عن البيعه حتى قُتل.

ثم إنه، بعد أن أطال الكلام في هذا المقام بما هو خارج عن المقصود، و لا علاقته له بالبحث هنا أصلاً، تنبه إلى ما قلناه في بيان مراد العلّامه فأورده هكذا:

«فإن قال: أردت أن أهل السنّه يقولون إن خلافته انعقدت بمبايعه الخلق له

لا- بالنص، فلا- ريب أن أهل السنّة و إن كانوا يقولون بالنص على أن عليّاً من الخلفاء الراشدين لقوله: (خلافه النبوه ثلاثون سنه)، فهم يروون النصوص الكثيره فى صحه خلافه غيره، وهذا أمر معلوم عند أهل الحديث، يروون فى صحه خلافه الثلاثه نصوصاً كثيره، بخلاف خلافه على فإن نصوصها قليله...» (١).

و أقول: إن أهمّ الأمور و أولها هو البحث عن أدلّه الإمامه من العقل و النقل كتاباً و سنّه، و أما الأشياء الأخرى التى يذكرها الرجل، فلا اعتبار بها و لا أثر لها، و لذا لم يذكرها غيره من علماء أهل السنّه فى الكتب الكلاميه، و كان هو المنفرد بها... نعم، لا بدّ من طرح تلك الأدلّه و النظر فيها سنداً و دلالة على ضوء قواعد البحث و آداب المناظره، و هذا ما سيفعله العلّامه و نوضّحه إن شاء الله، فإن النصوص القرآنيه و النبويه هى الطريق الصحيح و المستقيم المؤدّى إلى ما فيه رضى الله و رسوله....

قال قدس سره: ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام....

الشرح:

هو: الإمام السبط الزكى الحسن بن على، وولد سنه ثلاث من الهجره، و استشهد بالسّم على يد جعده بنت الأشعث، بدسّ من معاويه، سنه خمسين.

قال قدس سره: و بعضهم قال: إنه معاويه بن أبى سفيان! ثم ساقوا الإمامه فى بنى أميه، إلى أن ظهر السفاح من بنى العباس، فساقوا الإمامه إليه، ثم انتقلت الإمامه منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامه فى بنى العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!

الشرح:

سيأتى بعض الكلام حول نسب معاويه، و وقت إسلامه، و منكراته زمن حكومته.

ص: ١٤٥

و أبو العباس السفّاح هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أول ملوك بني العباس. توفي سنة ١٣٦.

قول أهل السنّة بإمامه بنى أميه و بنى العباس

قال ابن تيمية: «أهل السنّة لا يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذى يجب أن يولّى دون من سواه، ولا يقولون إنه تجب طاعته فى كلّ ما يأمر به، بل أهل السنّة يخبرون بالواقع و يأمرّون بالواجب، فيشهدون بما وقع و يأمرّون بما أمر الله و رسوله...» (١).

أقول: لا يخفى الإضطراب فى كلمات الرجل.. فلا يثبت ما قاله العلّامة و لا ينكره، و الجواب عمّا قاله فى هذا المقام:

أولاً: إن أهل السنّة يقولون بإمامه الذين ذكرهم العلّامة، و تشهد بذلك كتبهم المؤلّفة فى أحوال الخلفاء، فللسيوطى كتاب (تاريخ الخلفاء و أمراء المسلمين).

و ثانياً: إن ما حكاه عن أحمد من أن «أصول السنه عندنا... و من ولى الخلافه...» صريح فى اعتقاد أهل السنّة بإمامه بنى أميه ثم بنى العباس، كما نسب إليهم العلّامة.

و ثالثاً: لقد قيل كبار علماء أهل السنّة و قضاتهم المناصب و الرواتب من هؤلاء عن رغبه و رضا، و هل قبول ذلك إلا القول بإمامتهم؟.

و رابعاً: هل المطلوب من أهل السنّة هو الإخبار و الشهاده بالواقع، أو الإخبار عن اعتقادهم بما يجب أن يكون و موقفهم تجاه ما كان؟.

و خامساً: سلّمنا أنهم لا- يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذى يجب أن يولّى دون من سواه، و لا- يقولون إنه تجب طاعته، لكننا نسألهم: هل انقطعت الإمامه بعد

ص: ١٤٦

الخلفاء الأربعة و بقيتم بلا إمام؟ و إن كانت مستمره، فمن الذى يجب أن يولّى دون من سواه و يجب طاعته بعد الخلفاء؟ و بمن تقتدون و تأتمون بعد أولئك؟ و بأى ملاك؟ أ بنصّ أو شورى أو بيعه عامّه؟.

و سادساً: إن صريح كلماته فى المواضيع المختلفه، يقتضى اعتقاده هو و أهل السنّه بإمامه بنى أميه و بنى العباس، من ذلك قوله: «فليست هذه أقوال أئمه أهل السنّه، بل الإمامه عندهم تثبت بموافقه أهل الشوكه عليهم، و لا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكه...».

و بالجمله، لقد تحاشى الرجل من أن يعترف بصراحه و وضوح بإمامه ملوك بنى أميه و بنى العباس؛ لأن الإلتزام بإمامه هؤلاء يستتبع الإلتزام بلوازمها، ثم إنا نسأله:

من الذى مكّن يزيد بن معاويه—مثلاً—من رقاب المسلمين؟ و من الذى سلط من مكّنه عليهم؟.

و مع ذلك كله يقول الرجل: «و من المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاه، و أنه لو تولّى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمه لكان ذلك خيراً من عدمهم، كما يقال:

ستون سنه مع إمام جائر خير من ليله واحده بلا إمام. و يروى عن على رضى الله عنه أنه قال: «لا بدّ للناس من إماره بره كانت أو فاجره. قيل له: هذه البره قد عرفناها، فما بال الفاجره؟ قال: يؤمن بها السبيل و يقام بها الحدود و يجاهد بها العدوّ و يقسم بها الفئ». .

ذكره على بن سعيد فى كتاب الطاعه و المعصيه» (١).

و كأنه يتغافل عن أن البحث فى الإمام الحق و الإمامه الشرعيّه عن الله و رسوله؛ لكونها خلافيه و نيابه عنه. و بعبارة أخرى: إن الكلام فى الإمام الذى أمر الله و رسوله بطاعته و ترك معصيته فى جميع أوامره و نواهيه، لا فيمن تسلّط على رقاب المسلمين

ص: ١٤٧

بمال أو عشيره أو مؤازره من ذوى القدره و السلطان، فخلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً، فهذا ليس بإمام و لا يجوز تولّيه، و إن ترتب على وجوده آثار حسنه فقليل بأن وجوده خير من عدمه.

فهل الأئمه الذين أمر الله و رسوله بطاعتهم هم الأئمه الإثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام، أولهم على بن أبى طالب، و آخرهم الخلف الحجج المنتظر كما يقول الإماميه الإثنا عشرية، أو أن الأئمه بعد النبي صلى الله عليه و آله أبو بكر و عمر و عثمان ثم على بن أبى طالب ثم معاويه ثم بنو أميه و بنو العباس، و من بعدهم ممن تولّى و كان له قدره و سلطان؟.

إن البحث فى الإمامه الحقه و الولايه الشرعيه نيابه عن الله و رسوله صلى الله عليه و آله، فهل يقول بإمامه بنى أميه و بنى العباس أم لا؟ إن كان يقول بإمامتهم، فقد شاركهم فى آثامهم و جرائمهم، و أدخله الله فى الآخره مدخلهم؛ لأن من قال بإمامه أحد، فقد تولّاه و اعتقد بحقيته و رضى بأفعاله و حشر معه كما دلّت عليه الأخبار المتفق عليها، و إن كان لا يقول بإمامتهم، فمن هم أئمه بعد الأربعة؟ و بمن يقتدى و يأتى فى جميع هذه الأزمنه حتى زمانه، فمن كان إمامه فى عصره؟ و من هم أئمه آباءه و أبناء مذهبه الذين كانوا قبله؟ و قد اتفق الفريقان على أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه».

ثم إن مقام (الإمامه) لا يزول بإعراض الناس و عدم مساعده أهل الشوكه منهم له، كما لم تزل نبوه الأنبياء بذلك.

و أيضاً: لا يزول مقام الإمامه بغيبه الإمام عن الناس إذا دعت الضروره إلى ذلك، كما لم تزل نبوه نبينا صلى الله عليه و آله بغيته فى الشعب....

و أيضاً: لا يثبت المقام المذكور لأحد بحصول القدره و سلطان الشوكه، فلا توجب القدره و السلطه وجوب الإطاعه و حرمة المعصيه من قبل الله و رسوله.

نعم، عند ما يكون الإمام الحق ذا قدره و شوكة و سلطان، تتحقق مصلحه جعل الله عز و جلّ إياه إماماً لعموم الخلق، و إلا تحققت به مقاصد الإمامه بقدر ما بيده من القدره و السلطان.

و لكن الذين سلبوا أئمة الحق سلطانهم هم المسمّون ب«أهل السنّه» لا سيما أهل الشوكه منهم، و هذا ما اعترف به الرجل حيث قال: «و من المعلوم أن أهل السنّه لا- ينازعون في أنه كان بعض أهل الشوكه بعد الخلفاء الأربعة يؤلّون شخصاً و غيره أولى بالولاية منه... و حينئذ، فأهل الشوكه الذين قدّموا المرجوح و تركوا الراجح، و الذى تولّى بقوّته و قوّه أتباعه ظلماً و بغياً، يكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مع قدرته على فعله أو أعان على الظلم، و أما من لم يظلم و لا- أعان ظالماً و إنما أعان على البرّ و التقوى، فليس عليه من هذا شيء...» (١).

أقول: فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يفصّل (هؤلاء الملوك الظلمه) كما وصفهم (٢) على إمام من أئمة أهل البيت مع إساءه الأدب تجاهه و التهريج بمن يعتقد بإمامته، فيقول: «و كلّ من تولّى كان خيراً من المعدوم و المنتظر الذى تقول الرفضه أنه الخلف الحجه، فإن هذا لم يحصل بإمامته شيء من المصلحه لا- في الدنيا و لا- في الدّين أصلاً، و لا- فائده في إمامته، إلّا الاعتقادات الفاسده و الأمانى الكاذبه و الفتن بين الأمه... بل هو معدوم».

فإن هذا الكلام لا يصدر إلا من متعصب عنيد أو معتوه لا يفقه ما يقول:

أمّا أولاً: فلائن من كان ذا عقل أو دين، لا يفصّل يزيد بن معاويه و عبد الملك ابن مروان، و هارون، و المتوكل، و أمثالهم، على إمام ثبتت إمامته بالأدله القويمه التى

ص: ١٤٩

١-١) منهاج السنه ١/٥٥٠.

٢-٢) المصدر ١/٥٤٧-٥٤٨.

سند ذكر بعضها في موضعها.

و أما ثانياً: فإن المهدي المنتظر حتى موجود و ليس بمعدوم، و لا يختص القول بوجوده بالشيعة الإماميه... كما ستعلم.

و أما ثالثاً: فإنه قد حصلت و تحصل بإمامه المهدي و وجوده - هو غائب - مصالح كثيره في الدنيا و الدين، علنا نذكر طرفاً منها فيما سيأتي... و لكن المنافقين لا يفقهون.

و أما رابعاً: فإن الاعتقاد بإمامه المهدي فرض من الله و رسوله، و القول بعدم الفائده في إمامته... تكذيب لله و رسوله.

و أمراً خامساً: فلقد اعترف الرجل: بأن كثيرين ممن كانت لهم الأولويه و الأحقيه بالولاية لم يتولوا؛ لأن أهل الشوكه لم يكونوا موافقين على ذلك، فيكون عليهم الإثم في ولايه أولئك الظلمه، و في عدم ولايه الذين جعلهم الله أئمه العباد و ساسه البلاد.

و كذا الكلام في قوله بالنسبه إلى آباء المهدي، و كلهم أئمه بالكتاب و السنه: «و أما آباؤه...» (1) و ذلك:

أولاً: لأن القدره و سلطان الأمه، ليس من شرائط منصب الإمامه كما تقدم.

ثانياً: إن آباءه عليهم السلام حتى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كانوا منابع العلم و أعلام الدين....

ثالثاً: إن إمامه هؤلاء ليست كإمامه من وصفه أهل السنه بالإمامه في العلم و الدين كأئمه المذاهب و غيرهم عندهم، ليرجع إليهم في الحديث و الفتيا و نحو ذلك فقط، بل هي رئاسه الدين و الدنيا نيابه عن النبي، و أساسها (النص) عليهم المستتبع لوجوب إطاعتهم و حرمة معصيتهم في جميع أوامرهم و نواهيهم مطلقاً.

ص: ١٥٠

و أما اعتذاره عمّن يرجع إلى الحاكم الجاهل أو الظالم أو المفضل ففيه نظر.

أمّا أولاً: فلأنّ الله عز و جلّ يقول: «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ...» (١) وقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عَشْرِهِ أَنْفَسَ عِلْمٌ أَنْ فِي الْعَشْرَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ، فَقَدْ غَشَّ اللَّهَ وَ غَشَّ رَسُولَهُ وَ غَشَّ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ» (٢) وقال صلّى الله عليه و آله: «مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عَصَابِهِ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لَلَّهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنِينَ» (٣).

و أمّا ثانياً: فلأنّ التحاكم إلى سلطان الجور و دفع الأموال إليه و الصّلاه خلفه...

تشديد لحكومته و تقويه لسلطانه، و حينئذ يتمكن من الظلم و الاستمرار في غضب الحق من أهله.

و أمّا قوله: «و أهل السنّه يقولون: ينبغي أن يولّى الأصلح للولاية إذا أمكن، إما وجوباً عند أكثرهم و إما استحباباً عند بعضهم، و إن من عدل عن الأصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم، و من كان عاجزاً عن توليه الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور.

و يقولون: من تولّى فإنه يستعان به على طاعه الله بحسب الإمكان، و لا يعان إلا على طاعه الله و لا يستعان به على معصيه الله، و لا يعان على معصيه الله تعالى» (٤).

فيقال له: إن كان المراد من (الولاية) هو (الإمامه) فليس أمر الإمامه بيد الخلق فيولّوا الأصلح لها دون الصالح و غيره، بل هي كالنبوه: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (٥) و على الأمة -وجوباً- الانقياد له كما ينقادون للنبي صلّى الله عليه

ص: ١٥١

١- ١) سورة النساء: ٦٠.

٢- ٢) كنز العمال ١٩/٦ الحديث ١٤٦٥٣.

٣- ٣) كنز العمال ٢٥/٦ رقم: ١٤٦٧٨.

٤- ٤) منهاج السنه ٥٥١/١.

٥- ٥) سورة القصص: ٦٨.

و آله. و إن كان المراد منها (الإماره) و (السلطنه) الفعلية، بمعنى التمکن له، فليس بواجب و لا مستحب، بل حرام قطعاً؛ لأن ذلك من شؤون الإمام المنصوب من قبل الله و رسوله.

و بالجمله، فإن (الإمامه) هي (الخلافه) و (النيابه) عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و (الإمام) هو من يقوم مقام النبي و ينوب عنه، و يتولى الأمور الدنيويه و الدينيه بنص منه و تعيين من الله: «و ما كان لمؤمنٍ و لا مؤمنهٍ إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيره» (١).

أفليس هذا القول خيراً من قول القوم بأن كل من تسلط على رقاب المسلمين و تغلب على الحكم، فكان له القدره و السلطان، فهو خليفه الله و أمير المؤمنين، و إن كان جائراً فاجراً جاهلاً؟!

ص: ١٥٢

١-١) سورة الأحزاب: ٣٦.

قال قدس سره: لأنه لما عمّت البليّة على كافّة المسلمين بموت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اختلف الناس بعده....

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد جعل المسلمين بعد نبيهم أربعة أصناف، وهذا من أعظم الكذب، فإنه لم يكن في الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف الأربعة، فضلاً عن أن لا يكون فيهم أحد إلا من هذه الأصناف، إما طالب للأمر بغير حق كأبي بكر في زعمه، وإما طالب للأمر بحق كعلي في زعمه، وهذا كذب على علي رضي الله عنه و علي أبي بكر، فلا- علي طلب الأمر لنفسه قبل قتل عثمان، ولا- أبو بكر طلب الأمر لنفسه، فضلاً عن أن يكون طلبه بغير حق. و جعل القسامين الآخرين إما مقلداً لأجل الدنيا، وإما مقلداً لقصوره في النظر. و ذلك أن الإنسان يجب أن يعرف الحق و أن يتّبعه، و هذا هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين و الصّديقين و الشهداء و الصالحين غير المغضوب عليهم و لا الضالّين....

و إذا كان الصراط المستقيم لا بدّ فيه من العلم بالحق و العمل به، و كلاهما واجب، لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك، و هذه الأمة خير الأمم، و خيرها القرن الأول؛ أكمل الناس في العلم النافع و العمل الصالح.

و هؤلاء المفترّون و صفوهم بنقيض ذلك، بأنهم لم يكونوا يعلمون الحق

و يتبعونه، بل كان أكثرهم يعلمون الحق و يخالفونه، كما يزعمونه في الخلفاء الثلاثة و جمهور الصحابه و الأئمه، و كثير منهم عندهم لا يعلم الحق، بل اتبع الظالمين تقليداً، لعدم نظرهم المفضى إلى العلم، و الذى لم ينظر قد يكون تركه النظر لأجل الهوى و طلب الدنيا، و قد يكون لقصوره و نقص إدراكه... فإذا كان هذا في حكايته لما جرى عقب موت النبي من اختلاف الأئمه، فكيف سائر ما ينقله و يستدلّ به؟» (١).

أقول:

نعم إن الإنسان يجب أن يعرف الحق و من يهدى إليه، و أن يتبعه و يهتدى بهداه «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٢)، فهل كان المسلمون بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يعرفون الحق؟ و هل اتبعوه؟

إن العلامه يخبر هنا بالواقع بحسب الأدله.. فقد أصبح المسلمون بعد نبئهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أربعه أصناف... و المهم هو البحث عمّن طلب الأمر لنفسه بغير حق - و هو أبو بكر من المهاجرين، و سعد بن عباده من الأنصار - و من طلب الأمر لنفسه بحق، و هو على عليه السلام.. و فى أى شىء يشكك ابن تيميه؟

أما الإختلاف بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فى الخلافه عنه، فلا سبيل إلى التشكيك فيه، بل إنه رأس الخلافات و أعظمها....

قال أبو الفتح الشهرستاني: «و أعظم خلاف بين الأئمه خلاف الإمامه، إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعده دينيه مثل ما سلّ على الإمامه فى كلّ زمان، و قد سهّل الله تعالى ذلك فى الصدر الأول، فاختلف المهاجرون و الأنصار فيها، فقالت الأنصار: مآ

ص: ١٥٦

١- ١) منهاج السنه ١١/٢-١٦.

٢- ٢) سوره يونس: ٣٥.

أمير و منكم أمير، و اتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادہ الأنصاري، فاستدركه أبو بكر و عمر-رضى الله عنهما- في الحال، بأن حضرا سقيفه بنى ساعده، و قال عمر: كنت أزور في نفسي كلاماً في الطريق، فلما وصلنا إلى السقيفه أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر:

مه يا عمر. فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر ما كنت أفدّره في نفسي، كأنه يخبر عن غيب.

فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته و بايعه الناس، و سكنت الفتنة.

الأ- إن بيعه أبي بكر كانت فلتة وقي الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأبى رجل بايع رجلاً من غير مشوره من المسلمين فإنهما تغره يجب أن يقتلا.

و إنما سكنت الأنصار عن دعواهم لروايه أبي بكر عن النبي صَلَّى الله عليه و آله:

الأئمة من قريش. و هذه هي البيعه التي جرت في السقيفه.

ثم لما عاد إلى المسجد انثال الناس عليه و بايعوه عن رغبه، سوى جماعه من بنى هاشم، و أبى سفيان من بنى أميه، و أمير المؤمنين على بن أبي طالب-رضى الله عنه- كان مشغولاً بما أمره النبي صَلَّى الله عليه و آله من تجهيزه و دفنه و ملازمه قبره، من غير منازعه و لا مدافعه» (١).

و أمّا أن بعضهم طلب الأمر لنفسه، فتلك أخبار السقيفه و إباء على عليه السلام و أتباعه بيعه أبي بكر، في كتب الحديث و السير و التاريخ... و تلك عباره الشهرستاني مرّت عليك آنفاً...

و أمّا أن طلب أبي بكر-فضلاً عن غيره- كان بغير حق، و أن طلب على عليه السلام كان بحق، فستقف على الأدله الداله على ذلك في غضون الكتاب... إن كلّ هذا واقع، و أيّ ذنب لمن يخبر عمّا وقع على ضوء الأدله و الأخبار الصحيحه؟

و نحن أيضاً نقول: «الصراط المستقيم لا بدّ فيه من العلم بالحق و العمل به،

ص: ١٥٧

و كلاهما واجب لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك»، و لكن لم تكن الأمة كلها بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كذلك.

و أما قوله: «هذه الأمة خير الأمم» فهو إشارة إلى قوله تعالى «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (١)، لكن هذه الأمة خير أمم ما دامت تعرف المعروف و تعمل به، و تعرف المنكر و تنتهى عنه و تنهى عنه، و إلا فهي منقلبه على أعقابها، و ذلك ما أخبر به عز و جل بقوله «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ...» (٢).

فيكون المعنى: كنتم خير أمم أخرجت للناس ما لم تقلبوا على أعقابكم بعد نبيكم عليه و آله الصّلاه و السلام.

و قوله: «خيرها القرن الأول» إشارة إلى ما يروونه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أنه قال: «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم» (٣) لكنه -بعد الغضب عن سنده و الكلام فى مدلوله- ليس على إطلاقه بل مقيد -بالإتفاق- بما إذا لم يرتدوا، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فى أحاديث صحيحة أخرجوها: ليردّ على الحوض غداً رجال من أصحابى ثم ليختلجنّ عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابى. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك. فأقول: سحقا سحقا... (٤).

فيكون المعنى: خير القرون قرنى ما لم يرتدوا على أدبارهم، و لم يحدثوا من بعدى. و هل الإرتداد إلا الإعراض عن الحق بعد معرفته؟.

فظهر أن ما ورد فى الكتاب و السنه فى مدح هذه الأمة أو الصحابه، فهو أيضاً من

ص: ١٥٨

١-١) سورة آل عمران: ١١٠.

٢-٢) سورة آل عمران: ١١٤.

٣-٣) جامع الأصول ٤٠٤/٩.

٤-٤) جامع الأصول ١٢٠/١١.

الأدلة التي يخبر بها عن الواقع و يصدق بها ما كان، فضلاً عن أن يكون مانعاً عن القول بالحق، أو دليلاً لرفع اليد عن الحقيقة و بيانها....

فهذا موجز الكلام على ما قاله ابن تيميه.

ثم إنه شرع في الجواب التفصيلي بزعمه عما قال العلامة قدس سره: فقال: «قوله:

(تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم). فيكونون كلهم متبعين أهواءهم، ليس فيهم طالب حق، ولا مرید لوجه الله تعالى و الدار الآخرة، و لا من كان قوله عن اجتهاد و استدلال، و عموم لفظه يشمل علياً و غيره. و هؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله تعالى عليهم هو و رسوله، و رضی عنهم و وعدهم الحسنی...» (١).

أقول: هذا مردود من وجوه:

١- إن (الأهواء) في اللغة جمع (هوى) و هو (الحب) أو (ميل النفس) يكون في الخير و الشرّ، كما نصّ عليه ابن الأثير في النهاية، و الفيروز آبادي في القاموس، و شارحه الزبيدي (٢)، و غيرهم... فمراد العلامة تعدد (ميلهم) و (أفكارهم) و (عقائدهم) و ما شابه ذلك... فما ذكره ابن تيميه وهم، و ما فرّع عليه بقوله: «فيكونون متبعين أهواءهم ليس فيهم...» وهم آخر.

٢- إن العلامة قسّم الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى الأصناف الأربعة - كما هو صريح كلامه و اعترف به المعترض - و من الأقسام من ذكره بقوله:

«و بعضهم طلب الأمر لنفسه بحق...» يعني به علياً كما اعترف الرجل كذلك، فليس (كلهم متبعين أهواءهم ليس فيهم طالب حق...) كما توهم.

٣- و بما ذكرنا يتضح: أنه لو فرض إرادته العلامة من لفظه (الأهواء) البدع و إرادته

ص: ١٥٩

١- ١) منهاج السنّة ١٧/٢.

٢- ٢) تاج العروس في شرح القاموس ٤١٥/١٠.

النفس بالمعنى المذموم، فإن لفظه لا يشمل علياً عليه السلام، لأن التقسيم قاطع للشركه.

٤- إن هذا التقسيم الذى ذكره العلامة هو واقع الحال، الذى يصدق الكتاب و أخبار القوم، فكما يوجد فى القرآن الكريم آيات تتضمن الثناء على أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله، كذلك فيه آيات تتضمن أن بينهم منافقين، بل فيه (سوره المنافقين)، و كما يوجد فى أخبار القوم بطرقهم أحاديث فى الثناء عليهم عن النبى صلى الله عليه و آله، كذلك يوجد فيها ما يتضمن الذم الشديد، كقوله: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (١) و قوله: «ليردن على الحوض..» (٢) و كذا إخباره أنه سيكون بعده أقوام يكذبون عليه (٣). فظهر صحه تقسيم العلامة.

و فيما ذكرناه غنى و كفايه.

و لقد أطال الرجل، فذكر آيات زعم أنها «تتضمن الثناء على المهاجرين و الأنصار»، و آثاراً رواها عن الصحابه أنفسهم فى مدح الصيحابه... و فى كثير من ذلك بحث و نظر ليس هذا موضعه... و من ذلك قوله: «و قال للمؤمنين: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...» ، «إِنَّمَا وَثِقُكُمْ اللَّهُ...» و قد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى: إن هذه الآية نزلت فى على لما تصدق بخاتمه فى الصلاه. و هذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل، و كذبه بين من وجوه كثيره...» (٤).

قلت: هذا كله خروج عن البحث فى هذا المقام، و سيجىء إن شاء الله تعالى الكلام على هذه الآية، ليعلم الباحث المنصف أن الحديث الوارد ليس حديثاً مفترى، و أن

ص: ١٦٠

١-١) جامع الأصول ١٠/٤٢٧.

٢-٢) جامع الأصول ١١/١٢٠.

٣-٣) و الأخبار فى هذا المعنى كثيره بألفاظ مختلفه.

٤-٤) منهاج السنه ٢/٢٩-٣٠.

الاستدلال بالآيه لإمامه أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل تام، غير قابل للنقاش...

و حيثئذ، يعرف المنصف الطائفة التي «ليس في الطوائف المنتسبه إلى القبله أعظم افتراء للكذب على الله و تكذيباً للحق منهم»
(١) و التي «لا يوجد أكثر المنافقين إلّا فيهم» (٢).

في أن أبا بكر طلب الأمر لنفسه

قال قدس سره: فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق، و بايعه أكثر الناس طلباً للدنيا....

الشرح:

قال ابن تيميه: «قوله: فبعضهم طلب الأمر لنفسه... و هذا إشاره إلى أبي بكر، فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس، و من المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه، لا بحق و لا بغير حق، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب و إما أبا عبيده. قال عمر: فو الله لأن أقدم فتضرب عنقي لا- يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. و هذا اللفظ في الصحيحين.

و قد روى عنه أنه قال: أقبلوني أقبلوني. فالمسلمون اختاروه و بايعوه لعلمهم بأنه خيرهم، كما قال له عمر يوم السقيفه بمحضر من المهاجرين و الأنصار: أنت سيدنا و خيرنا و أحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله. و لم ينكر ذلك أحد. و هذا أيضاً في الصحيحين.

و المسلمون اختاروه كما قال النبي صلى الله عليه و آله في الحديث الصحيح لعائشه: أدعى لى أباك و أخاك حتى أكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من

ص: ١٦١

١-١) منهاج السنه ٣٤/٢.

٢-٢) المصدر ٤٦/٢.

بعدي. ثم قال: يا بى الله و المؤمنون أن يتولّى غير أبى بكر.

فإنّ الله هو و لاه قدرأ و شرعأ، و أمر المؤمنين بولايته، و هداهم إلى أن و لوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه» (1).

أقول:

من المعلوم أن أبا بكر قد طلب الأمر لنفسه، فهو الذى احتجّ على الأنصار فخصمهم كما يدّعون.

فإن قيل: الإحتجاج على القوم أمر و طلب الأمر لنفسه أمر آخر. قلنا: إذا لم يكن أبو بكر طالباً شيئاً لنفسه، فلما ذا رجع من السنح و من جيش أسامه مخالفاً لله و رسوله؟

فإن قيل: إنما رجع للوداع مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و قد بلغه شدّه و جعه. قلنا: و هل كان للرسول فى رجوعه -حتى للوداع معه- رضى؟

ثم لمّا توفى صلّى الله عليه و آله فلما ذا لم يحضر تجهيزه، بل أسرع و معه عمر و أبو عبيده نحو السقيفه حيث اجتمع الأنصار للنظر فى أمر الخلافة؟

و بعد، فقد ناقض ابن تيميه نفسه بتصريحه بأن أبا بكر -و كذا عمر و عثمان- ادّعوا الإمامه و طلبوا الأمر و دعوا الناس إلى طاعتهم، و سيأتى نصّ كلامه فى البحث حول آيه المودّه.

و أمّا قوله: «أقولونى» الذى ذكره الرجل بقوله: «و قد روى عنه» و لم يذكر راويه فما معناه؟ و ما لفظه الكامل؟ و متى قاله؟ و سيأتى الكلام عليه فى محلّه.

و أمّا قوله: «فالمسلمون اختاروه و بايعوه لعلمهم بأنه خيرهم». فكذب، لأن المسلمين لم يختاروه... و تلك قضايا السقيفه و الصراع بين المهاجرين و الأنصار الحاضرين فيها، و أين كان سائر المسلمين؟ نعم، بايعه عمر و أبو عبيده، ثم حُمِل الناس

ص: ١٦٢

على ذلك فبايعه أكثرهم، ولم يبايعه كثيرون من أعلام المسلمين... ولعلنا نتعرض لوقائع السقيفة بشيء من التفصيل في الموضوع المناسب.

و الاستدلال بقوله المخرج في الصحيحين مردود، لأن أخبار الصحيحين ليست بحجة. وإذا كان الملاك للتقدم هو الأحييه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والأفضليته والسياده، كما يروون عن عمر مخاطباً لأبي بكر... فهذه الصفات مجتمعه في علي عليه السلام، للأحاديث الصحيحه المرويّه في كتب القوم، كحديث خبير، و حديث الطائر المشوى و غيرهما مما سيأتى في محلّه.

و أما الحديث «إنه قال لعائشه...» ففيه:

أولاً: إن أحاديث الصحيحين ليست بحجة.

و ثانياً: إن عائشه متهمه في النقل في أمثال المقام في الأقل.

و ثالثاً: إن هذا الحديث بالخصوص موضوع في مقابله حديث القرطاس الصحيح عند الفريقين.

هذا، و ممّا يشهد بأنه إنما رجع إلى المدينة لطلب الأمر لنفسه، و أن النبي صلى الله عليه وآله ما قال لعائشه: «ادعى لى أباك...» بل أعرض عنه لدى حضوره عنده... و أنه لم يكن أحبّ الناس إليه صلى الله عليه وآله: ما أخرجه جماعه من أكابر القوم من أنه صلى الله عليه وآله لما حضره الموت قال: «ادعوا لى حبيبي» أو «علياً» فدعوا له أبا بكر «فوضع رأسه» أو «سكت»... ثم أعاد الكلمه، فدعى له عمر، فصنع ما صنع أولاً... حتى دعى له على... و أمر بانصراف القوم من حوله... (1).

ص: ١٦٣

١ - ١) مسند أحمد ٣٥٦/١، تاريخ الطبرى ٤٣٩/٢، الرياض النضرة ١٨٠/٢، ذخائر العقبى: ٧٢.

قال قدس سره: كما اختار عمر بن سعد ملك الرى أياماً يسيره لَمَّا خُيِّرَ بينه و بين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن فى قتله النار....

الشرح:

هو: قائد جيوش يزيد بن معاويه لقتل سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام، و هو ابن سعد بن أبى وقاص الزهرى. و من القوم من دعتة العصبية و البغضاء للرسول و أهل بيته إلى توثيقه و الروايه عنه... لكن عن ابن معين، من أكابر القوم و أئمتهم فى الجرح و التعديل: «كيف يكون من قتل الحسين ثقته؟» (١).

قتله المختار بن أبى عبيده الثقفى سنة خمس و ستين.

و أما شعره المذكور، فمعروف جداً، تجده فى كتب الأخبار و التواريخ و البلدان، مع الإختلاف زياده و نقيصه فى عدد الأبيات (٢)... و رأيت فى بعض الكتب ثمانيه أبيات هى: فوالله ما أدرى و إنى لحائر

ص: ١٦٤

١- ١) تهذيب الكمال ٣٥٧/٢١، ميزان الاعتدال ١٩٩/٣، تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧.

٢- ٢) الكامل فى التاريخ ٥٣/٤، معجم البلدان: الرى ١١٨/٣.

و إن كذبوا فزنا بدنيا عظيمه و ملك عظيم دائم الحجلين

قال ابن تيميه: «تمثيل هذا بقصه عمر بن سعد طالباً للرياسه و المال، مقدماً على المحرّم لأجل ذلك، يلزم منه أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال.

و هذا أبوه سعد بن أبى وقاص كان من أزهّد الناس فى الإمارة و الولاية، و لما وقعت الفتنة اعتزل الناس فى قصره بالعقيق... فإذا لم يحسن أن يشبّهه بابنه عمر أ يشبّهه به أبو بكر و عمر و عثمان؟

هذا، و هم لا- يجعلون محمد بن أبى بكر بمنزله أبيه، بل يفضّلون محمداً و يعظّمونه و يتولّونه، لكونه آذى عثمان و كان من خواصّ على لأنه كان ربيبه، و يسبّون أباه أبا بكر و يلعنونه، فلو أن النواصب فعلوا بعمر بن سعد مثل ذلك فمدحوه على قتل الحسين، لكونه كان من شيعة عثمان و من المنتصرين له، و سبّوا أباه سعداً لكونه تخلف عن القتال مع معاويه و الانتصار لعثمان، هل كانت النواصب لو فعلت ذلك إلّا من جنس الرافضه.

بل الرافضه شرّ منهم، فإن أبا بكر أفضل من سعد، و عثمان كان أبعد من استحقاق القتل من الحسين، و كلاهما مظلوم شهيد رحمه الله....

ثم غايه عمر بن سعد و أمثاله، أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصيه يعترف أنها معصيه، و هذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين» (1).

أقول:

أولاً: لقد شبّه العلامة حال (البعض الذى طلب الأمر بغير حق) بحال عمر بن سعد، و لم يشبّهه حال السابقين الأولين بحاله حتى «يلزم أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال»، فما قاله هذا الرجل باطل.

ص: ١٦٥

و ثانياً: إن سعد بن أبي وقاص ممن تنازل عن الإمارة في الشورى لعثمان بن عفان، ثم لما حاصر المسلمون-من الصحابه و التابعين-عثمان خذله و لم ينصره،حتى قتل عثمان و سعد مختف في خارج المدينه في(قصره)خوفاً من المسلمين الثائرين...

و من كان هذا حاله لا- يوصف بأنه«أزهد الناس في الإمارة و الولاية» كما لا يوصف من كان له(قصر)في ذلك الزمان بالزهد مطلقاً.

و من طرائف الأخبار: ما حكاه الحافظ ابن حجر بترجمه محمد بن مسلمه:«أنه كان عند عمر معداً لكشف الأمور المعضله في البلاد،و هو كان رسوله في الكشف عن سعد بن أبي وقاص حين بنى القصر بالكوفه.قال:و قال ابن المبارك في الزهد...بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتّخذ قصرًا و جعل عليه باباً و قال:انقطع الصوت،فأرسل محمد بن مسلمه-و كان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما يريد بعثه- فقال له:إئت سعداً فأحرق عليه بابه،فقدم الكوفه،فلما وصل إلى الباب أخرج زنده فاستورى ناراً ثم أحرق الباب،فأخبر سعد فخرج إليه فذكر القصة»(١).

و من هذا الخبر تظهر أمور منها:إن سعداً كان يحبّ العيش في القصور أينما كان، و أين هذا من الزهد؟

و ثالثاً: إنه لا يقاس عمر بن سعد بمحمد بن أبي بكر،و لا فعله بفعله،كما لا يقاس عثمان بسيدنا الحسين سيّد شباب أهل الجنه و سبط الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله.

فأمّا محمد بن أبي بكر،فقد ورد في حقّه ما لم يرد في حق عمر بن سعد عشر معشاره،و قد اشترك-إن ثبت-مع الصحابه و سائر المسلمين في النهي عن المنكر، لا طلباً للدنيا بل عن علم و اعتقاد بأنه جهاد في سبيل الله،بخلاف عمر بن سعد،فإن

ص:١٦٦

صريح أشعاره-التي لم ينكرها ابن تيميه و لا- غيره-«علمه بأن في قتل الحسين النار» و أنه اختار ذلك بعد أن خيّر بينه و بين الرئاسة و ملك الري....

و أيضاً: فإن محمد بن أبي بكر، كان قد أمر عثمان بقتله مع أصحابه في كتاب أرسله إلى عامله، في قصه مشهوره، و عمر بن سعد لم يكن بالنسبه إليه- و لا إلى غيره- شيء من الحسين عليه السلام.

على أن القوم-سواء كان فيهم محمد أو لم يكن- ما تعمدوا قتل عثمان، و إنما طالبوه بأن يخلع نفسه، لما ظهر من أحداثه، فعند ما ألح حاصروه، ولكنه أبي و اغترّ باجتماع نفر من أوباش بني أميه يدفعون عنه، حتى انتهى الأمر بالتدريج إلى القتل و كان ما كان. و عمر بن سعد يصرّح في أشعاره بأنه جاء ليقتل الحسين مع علمه بأن في قتله النار، بغيه الوصول إلى ملك الري... و كذلك كان أصحابه و جنوده....

و رابعاً: إن السبب الأهمّ في تعظيم المسلمين و تجليلهم لمحمد بن أبي بكر ليس مشاركته في قتل عثمان-بناء على صحه الخبر، فإن جماعه من أهل العلم نفوه كما في الإستيعاب- و إنما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه و تفضيله. قال ابن عبد البر:

«و كان على بن أبي طالب يثني على محمد بن أبي بكر و يفضّله، لأنه كانت له عباده و اجتهاد» (١).

و خامساً: عدم الطعن في عمر بن سعد لما فعل بل الاعتذار له بما ذكر، يكشف عن نصب شديد و عداة مقيتة، إذ لا يتفوّه مسلم بأن غايه الأمر في هذا الباب أنه اعترف بأنه طلب الدنيا بمعصيه يعترف بها، و لا يعبر عن قتل المسلم بغير حق ب(معصيه) فضلاً عن قتل ابن رسول الله و أولاده و أصحابه....

و سادساً: إن قتل الحسين عليه السلام ذنب لا يقاس به شيء من الذنوب الكبائر،

ص: ١٦٧

فضلاً عن غيرها، حتى يقال: «هذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين». فلو أن أهل العالم بأسره اشتركوا في قتل نبي من الأنبياء أو وصي من الأوصياء لأدخلهم الله النار. و من الواضح أن تهوين هذا الفعل الشنيع الفظيع رضياً به، و من رضى بفعل قوم أشرك معهم فيه.

ثم قال ابن تيمية: «و أما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام و معاداة النبي عليه السلام، كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية و أمثالهم من الداخلين في الشيعة... و أول هؤلاء بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيد الكذاب، فإنه كان أمين الشيعة، و قتل عبيد الله بن زياد، و أظهر الانتصار للحسين و قتل قاتله.

بل كان هذا أكذب و أعظم ذنباً من عمر بن سعد، فهذا الشيعي شرّ من ذلك الناصبي، بل و الحجاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيده، فإن الحجاج كان مبيراً كما سمّاه النبي صلى الله عليه و آله لم يسفك الدماء بغير حق، و المختار كان كذاباً يدعى الوحي و إتيان جبريل إليه...» (١).

أقول:

و هذا الفصل من كلامه أيضاً يشتمل على أكاذيب و دعاوى و افتراءات.. و كلّ ذلك ذنباً عن عمر بن سعد، بل هو في الحقيقة ذبّ و دفاع عمّن ولّاه و عمّن شيّد أركان سلطان بنى أمية الظالمين، و عمّن أسّس أساس الظلم و الجور في الإسلام! نعم، إن النواصب ليعلمون جيّداً بأن الطعن في عمر بن سعد طعن في معاويه، و الطعن فيه طعن في الأولين....

فمّن الباطنية؟ و ما فعلوا؟ و هل هم من الشيعة حقاً؟

ص: ١٤٨

و هل كان المختار بن أبي عبيده كذاباً؟

و هل كان مع ذلك أمين الشيعة؟

و كيف يكون قاتل قاتل الحسين أعظم ذنباً من قاتل الحسين عليهما السلام؟

و هل أن الحجاج الثقفي لم يسفك دمًا بغير حق؟

و هل كان خيراً من المختار؟

إن الدخول في البحث عن هذه القضايا يبعثنا عن المقصود، وإنما نريد التأكيد على أن هذا الرجل يحاول تبرير ما فعله أمراء حكام الجور، حتى لا ينتهي الطعن إلى الحكام أنفسهم... و يحاول الطعن في كل من انتصر لأهل البيت، لشده بغضه و عداؤه لهم و إن كان يحاول التستر على ذلك....

لقد ثبت تاريخياً- و شهد من أنصف- بأن الذين «قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام و معاداة النبي صَلَّى الله عليه و آله» هم غير الشيعة، كما لا يخفى على من راجع و لاحظ ما أحدثه بنو أمية و الزبير، و من تأخر عنهم من الملوك و الحكام، بل من تقدم عليهم، في دين الإسلام....

أ فهل حرم شيعي ما كان حلالاً على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله؟

و هل منع شيعي من الشهادة برسالته في الأذان؟

و هل صَلَّى شيعي صلاه الجمعة يوم الأربعاء؟

و هل رمى شيعي القرآن حتى مزقه؟

و هل هدم شيعي الكعبة و رماها بالمنجنيق؟

و ممّا يشهد بما ذكرنا من أن غرض الرجل الحمايه عن حكام الجور و عمّال الظلمه، لئلا ينتهي الطعن إلى أمراء الفاسقين أنفسهم... تناقضاته في كلماته، فتاره يقول بأن الحجاج «لم يسفك دمًا بغير حق»، و أخرى يقول- في تقديم الحجاج على المختار بزعمه-: «و هذا الذنب أعظم من قتل النفوس»، و ثالثه يصفه بأنه: «كان لا يقبل من

محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم!»! و تجد في (المدخل) بعض التفصيل.

الكثرة لا تستلزم الصواب

قال قدس سره: و بعضهم اشتبه الأمر عليه، و رأى طالب الدنيا مبيعاً له، فقلده و بايعه و قصر في نظره فخفى عليه الحق، و استحق المؤاخذه من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه بسبب إهمال النظر. و بعضهم قلّد لقصور فطنته، و رأى الجَمَّ الغفير فبايعهم....

الشرح:

اعترض عليه ابن تيميه أولاً: «الله تعالى قد حرّم القول بغير علم، فكيف إذا كان المعروف ضدّ ما قاله، فلو لم تكن نحن عالمين بأحوال الصحابه لم يجوز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد و الجهل بالمستحق... فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلاً و علماً و ديناً» (١).

و ثانياً: بأنه «هب أن الذين بايعوا أبا بكر كانوا كما ذكرت إمّا طالب دنيا و إمّا جاهل، فقد جاء بعد أولئك في قرون الأمه من يعرف كلّ أحد زكاهم و ذكاهم مثل... و هم كلّهم متفقون على تفضيل أبي بكر و عمر...» (٢).

أقول:

و يردّ الأول: بأن الذي قاله العلّامة ليس من القول بغير علم و لا من الشهاده بما لا يعلم... بل هو العلم بأحوالهم عن طريق أفعالهم و أقوالهم، فهو علم مستند إلى الحس. أما علم المعارض المدّعى حصوله له، فهو مستند إلى أخبار يروونها و اجتهادات لهم في الآيات يرونها... ألا ترى قوله: «فإنهم خير هذه الأمه كما تواترت

ص: ١٧٠

١-١) منهاج السنه ٧٦/٢.

٢-٢) المصدر ٨٢/٢.

بذلك الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث قال: خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وهم أفضل الأمم الوسط الشهداء على الناس...

لهم كمال العلم و كمال القصد. إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم. و أن لا يكونوا خير الأمم، و كلاهما خلاف الكتاب و السنه. لكن الحديث المزعوم تواتره غير وارد من طرفنا، و الآيه إنما تدلّ على كون هذه الأمة خير الأمم ما دامت تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر....

و بالجمله، فقول العلّامة علم مستند إلى الحسّ، و لا ريب في تقدم الحسّ على الحدس، بعد تسليم مستنده سنداً و دلاله.

و يردّ الثاني:

أولاً: بأن في الصحابه و التابعين و أئمه الحديث ممّن يرى تفضيل أمير المؤمنين عليهما مثل ذلك بل أكثر. و ثانياً: هب أن الذين قالوا بتفضيلهما كانوا كما ذكرت، فهل الكثره تستلزم الصواب، و الله سبحانه و تعالى يقول: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» (١)؟

طلب الإمام الأمر بحق

قال قدس سره: و بعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، و تابعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا و زينتها، و لم تأخذهم في الله تعالى لومه لائم، بل أخلصوا لله تعالى و اتبعوا ما امروا به من طاعه من يستحق التقديم.

الشرح:

قال ابن تيميه: «قولك: إنه طلب الأمر لنفسه بحق و بايعه الأقلون كذب على علي رضي الله عنه، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافه أبي بكر و عمر و عثمان، و إنما طلبه

ص: ١٧١

لما قتل عثمان و بويع، و حينئذ، فأكثر الناس كانوا معه، و لم يكن معه الأقلون، و قد اتفق أهل السنّة و الشيعة على أن عليّاً لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر و عمر و عثمان...».

أقول:

ليس المراد من (طلب الأمر لنفسه) أن يخرج إلى الناس و يدعوهم إلى بيعته، فإن هذا لم يكن منه، لا بعد أن توفي الله نبيه صلّى الله عليه و آله، و لا بعد أن قتل المسلمون عثمان بن عفان.

أمّا في اليوم الأوّل، فقد كان مشغولاً بالنبي صلّى الله عليه و آله، و ما كان بالذي يتركه على الأرض و يخرج فيخاصم الناس على سلطانه كما فعل غيره، غير أن بني هاشم و جماعه من المهاجرين و الأنصار كانوا في بيته ليباعوه و هم لا يشكّون في أنه الخليفة و الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و أمّا في اليوم الثاني، فإن الناس هم الذين طلبوه لأن يبايعوه، فإن كان قبول البيعه منهم طلباً، فلما ذا أنكرت نسبه الطلب إلى أبي بكر و أنت تدعى أن الناس بايعوه؟ إنه ليس على الإمام الحق إلا الاستعداد لتولّي الأمر و قبول البيعه.

و هذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام في اليومين، غير أنه في الثاني بايعه الأكثرون بل الكلّ، و في الأوّل- و الكلام حوله الآن- لم يبايعه إلا الأقلون الذين بقوا معه في الدار، معرضين عن الدنيا و أهلها....

و أيّ شيء أبلغ في الدلالة على الطلب، من قبول البيعه ممن بايع و الإيلاء عن البيعه للغير؟ نعم، لقد طلب الأمر لنفسه، و تحقق له، ببيعه أولئك الأقلين و قبول بيعتهم، و إلّا لخرج و بايع أبا بكر. هب أنه كان معذورا بانشغاله بأمر النبي صلّى الله عليه و آله ثم بجمع القرآن في الأيام الأولى، فلا أقل من أن يأمر أهله و ذويه بالمبادره إلى البيعه! و هلّا بايع بعد الفراغ ممّا كان يشغله؟ و هلّا أمر حليلته بضعه الرسول عليهما السلام- و هو يراها موشكّه على اللّحوق بأبيها- و هو يعلم بأن: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات»

ميتة جاهليه؟

كلما، لم يفعل شيئاً من ذلك، فلا هو بايع، ولا هي، ولا أحد من بنى هاشم و الذين كانوا معهم من غيرهم، مدّه حياه الصديقه الطاهره بعد النبي، و هي سته أشهر، في روايه القوم (1).

إلى غير ذلك من الشواهد العقلية و النقلية على صدق كلام العلامة طاب ثراه، و أن القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب الأمر لنفسه كذب عليه.

قال قدس سرّه: و حيث حصلت للمسلمين هذه البليّة، و جب على كلّ واحدٍ النظر في الحق و اعتماد الإنصاف....

الشرح:

لا- يخفى أن موضوع الكتاب (إثبات الإمامه)، و إنما تعرّض لمسائل التوحيد و العدل و النبوه مقدّمه للغرض الذي لأجله وضع الكتاب، فلكون هذه المسائل مقدّمه، و في كلامه إشاره لمجمل الدليل في كلّ مسأله منها، لم نر ضروره للشرح و البسط إلا لما يتعلّق بصلب الموضوع.

الأدله على وجوب اتباع مذهب الإماميه

اشاره

قال قدس سرّه: و إنما كان مذهب الإماميه واجب الاتباع لوجوه:

الوجه الأول

اشاره

لما نظرنا في المذاهب، وجدنا أحقّها و أصدقها و أخلصها عن شواء الباطل، و أعظمها تنزياً لله تعالى و لرسله و لأوصيائه عليهم السلام، و أحسنها في المسائل الاصولية و الفروعيه، مذهب الإماميه، لأنهم اعتقدوا: أنّ الله تعالى هو المخصوص

ص: ١٧٣

بالأزليته... وأنه ليس بجسم... وأنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم... وأن أفعاله محكمه واقعه لغرض و مصلحه و إنما كان عابثاً.. (١) وأنه أرسل الأنبياء عليهم السّلام لإرشاد العالم. وأنه تعالى غير مرئى ولا مدرك بشىء من الحواس... وأنه ليس فى جهه... وأن الأنبياء عليهم السّلام معصومون عن الخطأ و السهو و المعصيه، صغيرها و كبيرها، من أوّل العمر إلى آخره... وأن الأئمه معصومون كالأنبياء عليهم السّلام فى ذلك، لما تقدم. و لأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعيه عن الأئمه المعصومين عليهم السّلام الناقلين عن جدّهم رسول الله، الآخذ ذلك من الله تعالى بوحي جبرئيل عليه السلام إليه، يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف، إلى أن تتصل الروايه بأحد المعصومين عليه السلام، و لم يلتفتوا إلى القول بالرأى و الإجتهد و حرّموا الأخذ بالقياس و الاستحسان.

موجز عقائد الإماميه فى صفات البارى و الأنبياء و الأئمه

الشرح:

هذا موجز عقائد الإماميه، و كان غايه ما أجاب به ابن تيميه عمّا ذكره العلّامه رحمه الله من عقائد الإماميه هو: أن هذه عقائد فلان من المعتزله أو الطائفه الفلانيه منها أو من غيرها. لكن العلّامه لا ينفى أن يكون غير الإماميه مشاركاً لهم فى شىء من عقائدهم.

ثم إن هذا الرجل يورد فى عقائد الإماميه و مقالاتهم أشياء ليست فى شىء من كتبهم، و إنما يعتمد فى إيرادها على ما ذكره المصنّفون من أهل نحلته و خاصّه عن أبى الحسن الأشعري، و إذا استدللّ بحديث ردّاً أو تأييداً فهو حديث يرويه المحدثون من أهل مذهبه بطرقهم التى عليها يعتمدون... و من الواضح أن ذلك كلّه خروج عن أدب البحث و قانون المناظره.

ص: ١٧٤

و كثيراً ما ينسب إلى الإماميه-بل إلى أئمة أهل البيت عليهم السّلام-أشياء نسبه مجرّده عن الدليل و المستند الصحيح،فمّمّا قال مثلاً:«قدمائهم كانوا يقولون:القرآن غير مخلوق كما يقوله أهل السنّه و الحديث.و هذا هو المعروف عند أهل البيت، كعلى بن أبى طالب و غيره مثل أبى جعفر الباقر و جعفر الصادق و غيرهم،و لكن الإماميه تخالف أهل البيت فى عامّه أصولهم.

فليس من أئمة أهل البيت مثل:على بن الحسين و أبى جعفر الباقر و ابنه جعفر ابن محمد،من كان ينكر الرؤيه،و لا يقول بخلق القرآن،و لا- ينكر القدر،و لا يقول بالنصّ على على،و لا بعصمه الأئمة الاثنى عشر،و لا يسبّ أباً بكر و عمر.و المنقولات الثابته المتواتره عن هؤلاء معروفه موجوده،و كانت مما يعتمد عليه أهل السنّه (١).

و قد تخرج من فيه كلمات كبيره فى أئمة أهل البيت عليهم السّلام!

كقوله:«القوم المذكورون إنما كانوا يتعلّمون الحديث من العلماء به كما يتعلّم سائر المسلمين،و هذا متواتر عنهم» (٢).

فممن كانوا يتعلّمون،و كلُّ منهم أعلم أهل زمانه فى الحديث و غيره؟

و هذا متواتر عنهم،عند من؟

و لو فرض روايه أحدهم عن أحد الصحابه مثلاً فى قضيه فى واقعه،فهل يسمّى ذلك تعلّماً؟

و كقوله:«فليس فى هؤلاء من أدرك النبى صلّى الله عليه و آله و هو مميز إلا على كرم الله وجهه،و هو الثقة الصدوق فيما يخبر به عن النبى صلّى الله عليه و آله،كما أن

ص:١٧٥

١- (١) منهاج السنه ٣٦٨/٢.

٢- (٢) منهاج السنه ٤٥٤/٢.

أمثاله من الصحابه ثقات صادقون فيما يخبرون به أيضاً عن النبي...حتى بسر بن أبي أرطاه مع ما عرف منه،روى حديثين رواهما أبو داود...» (١).

فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان الواحد منهم يروى عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله...ثم هل أمير المؤمنين عليه السلام و سائر الصحابه-حتى بسر-سواء؟

و كقوله:«فالزهرى أعلم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله و أحواله و أقواله باتفاق أهل العلم من أبي جعفر بن علي و كان معاصراً له. و أما موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي،فلا يستريب من له من العلم نصيب أن مالك بن أنس، و حماد بن زيد و حماد بن مسلمه،و الليث بن سعد،و الأوزاعي،و يحيى بن سعيد، و وكيع بن الجراح و عبد الله بن المبارك،و الشافعي،و أحمد بن حنبل،و إسحاق بن راهويه.و أمثالهم،أعلم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله هؤلاء» (٢).

و كقوله:«لا- يشك عاقل أن رجوع مثل مالك،و ابن أبي ذئب،و ابن الماجشون، و الليث بن سعد،و الأوزاعي،و الثوري،و ابن أبي ليلى،و شريك و أبي حنيفة، و أبي يوسف،و محمد بن الحسن،و الحسن بن زياد اللؤلؤي،و الشافعي،و البويطي، و المزني،و أحمد بن حنبل،و أبي داود السجستاني،و الأثرم،و إبراهيم الحربي، و البخاري،و عثمان بن سعيد الدارمي،و أبي بكر ابن خزيمة،و محمد بن جرير الطبري،و محمد بن نصر المروزي،و غير هؤلاء،إلى اجتهادهم و اعتبارهم،مثل أن يعلموا سنّه النبي صلى الله عليه وآله الثابتة عنه،و يجتهدوا في تحقيق مناط الأحكام و تنقيحها و تخريجها،خير لهم من أن يتمسكوا بنقل الروافض عن العسكريين

ص: ١٧٤

١- ١) منهاج السنه ١/٤٥٦.

٢- ٢) منهاج السنه ٢/٤٦٠.

و أمثالهما، فإن الواحد من هؤلاء لأعلم بدين الله و رسوله من العسكريين أنفسهما، فلو أفتاه أحدهما بفتيا كان رجوعه إلى اجتهاده أولى من رجوعه إلى فتيا أحدهما، بل ذلك هو الواجب عليه» (١).

أقول:

أولاً: إن كل واحد من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام علمه من الله و موروث عن رسول الله صلى الله عليه و آله، فكيف يكون الواحد من هؤلاء أعلم من الواحد منهم؟ بل لو جمعت علوم كلهم لما بلغ عشر معشار علم الواحد منهم....

و ثانياً: لقد اعترف بإمامه أئمة أهل البيت عليهم السلام في العلم و غيره من الصفات - كثير من أئمة أهل السنه و مشاهير علمائهم... و لعننا نذكر بعض تلك الكلمات فيما سيأتي، حيث يذكر العلماءه رحمه الله موجزاً من أحوال الأئمة عليهم السلام... الأمر الذي يؤكد تعصب ابن تيميه و شدّه عناده لأهل البيت.

و ثالثاً: إنه لا اتفاق بين السنه على وصف هؤلاء الذين ذكرهم الرجل بما وصفهم به.. و هذا واضح لمن راجع تراجمهم و ما قيل فيهم في كتب الرجال.

و رابعاً: إن ما قاله الرجل في حق الأئمة عليهم السلام ليس شيئاً جديداً من المناوئين للعترة الطاهره، فلقد قالوا مثله فيمن هو خير من العسكريين و أفضل... و هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد في حقه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و عن الصحابه و التابعين و من بعدهم... ما ورد... و الذي قال في حقه عمر بن الخطاب:

«لو لا على لهلك عمر»... و الذي طالما رجع إليه الصحابه في المعضلات، و لم يرو أحد رجوعه إلى أحد أبداً... نعم، قالوا مثل هذا الكلام في حقه، بل فضّلوا عليه من ليس بأفضل من العلماء الذين ذكر الرجل أسماءهم...!!

ص: ١٧٧

و خامساً: لقد تعلّم مشاهير الصحابه و تلمّذوا على أمير المؤمنين عليه السلام فى العلوم المختلفه، و رجعوا إليه فى المشكلات، و هذا أمر مشهور كما اعترف به كبار العلماء، كالنووى فى (تهذيب الإسماء و اللغات) (١).

و الواجب على أهل كلّ زمان هو الرجوع إلى الإمام المعصوم فى ذلك الزمان، المنصوص عليه من قبل رسول الله صلّى الله عليه و آله، و التعلّم منه، و قد فعل ذلك جماعه من علماء القوم المعاصرين للأئمه الطاهرين، و فيهم بعض العلماء الذين ذكرهم هذا الرجل زاعماً أعلميتهم و وجوب تعلّم الأئمه منهم!! و سنرى ذلك فى تراجم الأئمه الأطهار فى هذا الكتاب.

و كيف يجوز أن يرجع أحد من طلّاب العلم-فكيف بالعسكريين الإمامين المعصومين- إلى أناس يستندون فى فتاواهم إلى القياسات و الاستحسانات، و يترك ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله عزّ و جل، بواسطة الأئمه المعصومين؟

و إذا كان هذا موقف ابن تيميه من أئمه أهل البيت الطاهرين عليهم السّلام، فما ظنّك بموقفه من شيعتهم؟ فإن كتابه مملوء-و لا سيّما فى هذه المواضع- بالسّبّ و الشتم و التكفير... و أمثال هذه الأشياء التى يلتجئ إليها عاده المبطلون إذا أخرجوا فى المسائل... أنظر إليه يقول فى موضع:

«...و هذا دأب الرافضه دائماً يتجاوزون عن جماعه المسلمين إلى اليهود و النصارى و المشركين فى الأقوال و الموالاته و المعاونه و القتال و غير ذلك، و من أضلّ من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار، و يوالون المنافقين و الكفار؟ و قد قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم

ص: ١٧٨

مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً «فذكر الآيات إلى آخرها (١).

موجز عقائد غير الإمامية و ما يرد عليها

قال قدس سره: أما باقى المسلمين فقد ذهبوا كل مذهب...

الشرح:

لا يخفى أن مراده من (باقى المسلمين) هو الأعم من الأشاعره و المعتزله.

و لم ينكر ابن تيميه ما نسبه العلامه رحمه الله من هذه المذاهب إلى طوائف أهل السنّه و علمائهم، حتى أنه قال فى موضع: «قد قلنا غير مره: نحن لا ننكر أن يكون فى بعض أهل السنّه من يقول الخطأ» (٢). إلا أنه يقول: هذه العقيدته ليست لجميع أهل السنّه، أو إن الزيديه تشاركهم فيها. لكن العلامه رحمه الله ذكر لكل فرقه من فرق أهل السنّه مذهبها، و لم ينسب مذهباً لأحدها إلى غيرها، كما أن مشاركه الزيديه لأهل السنّه فى بعض العقائد- إن ثبتت- لا يضرّ ما هو بصدده.

ثم إن عمدته ما ذكره العلامه رحمه الله عنهم مسأله أن الله جسم، و أن صفاته ليست ذاتيه... و قد اضطرب ابن تيميه فى هذا الموضوع اضطراباً شديداً، فشرق و غرب، و أردد و أبرق... و لكنه لم يأت بشيء.

و كان أهم ما تدرّع به و كرّره: أن التجسيم مضاف إلى بعض قدماء الإماميه، كهشام بن الحكم... إلا أنها فريه سبقه إليها غيره، و ما زال أبناء طائفته يرددونها ذاهلين عن حقيقته الحال أو متجاهلين واقع عقيدته هذا الرجل العظيم... فإن الذى ينقل عنه قوله بأن الله جسم لا كأجسام... و قد ثبت أنه لم يكن قائلاً بالتجسيم، و لا أن مقولته

ص: ١٧٩

١- ١) منهاج السنّه ٣/٣٧٤-٣٧٥.

٢- ٢) المصدر ٣/١١٠.

هذه دالّة عليه... بل ذكر أبو الحسن الأشعري-الذي طالما نقل عنه ابن تيمية و اعتمد على أقواله- ما نصّه: «حكى عنه أنه قال: هو جسم كالأجسام. ومعنى ذلك أنه شيء موجود» (١) أو أوضحه في موضع آخر حيث قال: «قال قائلون: هو جسم خارج عن جميع صفات الأجسام، ليس بطويل، ولا عريض، ولا عميق، ولا يوصف بلون ولا طعم ولا مجسّه ولا شيء من صفات الأجسام» (٢).

و من هنا نصّ شارح المواقف على أن هؤلاء لا يكفرون، لأنهم ينفون جميع خواصّ الجسم، وليس في مقالتهم إلا إطلاق لفظ الجسم، بخلاف المصرّحين بالجسميه (٣)، وقد بحثنا هذه المسألة في (المدخل).

قال قدس سره: فقال بعضهم و هم جماعه الأشاعره: إن القدماء كثيرون مع الله تعالى! و هي المعانى التى يثبتونها موجوده فى الخارج كالقدره و العلم....

الشرح:

الأشاعره هم أتباع الشيخ أبي الحسن على بن إسماعيل، ينتهى نسبه إلى أبى موسى الأشعري، له عقائد تبعه عليها قوم و أنكرها آخرون، له مؤلفات كثيره. مات ببغداد سنه نيف و ثلاثين و ثلاثمائة، له ترجمه فى أكثر كتب التراجم، خصّها بعضهم بالتأليف.

قال قدس سره: فجعلوه تعالى مفتقراً فى كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم! و فى كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدره، و غير ذلك! و لم يجعلوه قادراً لذاته، و لا عالماً لذاته، و لا رحيماً لذاته، و لا مدركاً لذاته، بل لمعان قديمه يفتقر فى هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً فى ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك

ص: ١٨٠

١-١) مقالات الإسلاميين ٢٥٧/١.

٢-٢) مقالات الإسلاميين ٢٦٠/١.

٣-٣) شرح المواقف ١٩/٨.

علوًّا كبيراً.

فلا يقولون هذه الصفات ذاتيه....

الشرح:

قد اعترف ابن تيميه بكلّ هذا.

و قال العضد: «ذهب الأشاعره إلى أن له صفات زائده، فهو عالم بعلم، قادر بقدره، مرید بإرادته، و على هذا...» (١). و كذا قال ابن روزبهان.

و قال الرازى: «يمتنع أن يكون علمه و قدرته نفس تلك الذات» (٢).

قال قدس سره: و اعترض شيخهم فخر الدين الرازى عليهم بأن قال: «إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثه، و الأشاعره أثبتوا قدماء تسعه!».

الشرح:

فخر الدين الرازى هو: محمد بن عمر الملقب عندهم بالإمام، صاحب التفسير الكبير و غيره من المصنفات، كان ذا يد طولى فى العلوم، لكن بعضهم ذمه لبعض أقواله و عقائده (٣) توفى سنه ٦٠٦هـ، و تجد الاعتراض المذكور فى تفسيره (٤).

قال قدس سره: و قال جماعه الحشويه و المشبهه إن الله تعالى جسم له طولٌ و عرضٌ و عمقٌ! و إنه يجوز عليه المصافحه! و إن المخلصين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا!.

الشرح:

حكاه الشهرستانى عن الأشعرى عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر

ص: ١٨١

١- (١) المواقف فى علم الكلام ٦٦/٣ و شرحها ٤٤/٨.

٢- (٢) التفسير الكبير ١٣٢/١. و لاحظ الملل و النحل ٨٦/١-٨٧.

٣- (٣) لسان الميزان ٤٢٦/٤.

٤- (٤) التفسير الكبير ١٣١/١.

و كهمس و أحمد الهجيمي (١)....

قال قدس سره: و حكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز رؤيته في الدنيا، و أن يزورهم و يزورونه!

الشرح:

الكعبي هو: أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، له (المقالات) توفي: سنة ٣١٩ و القول المذكور أورده الشهرستاني في كتابه (٢).

قال قدس سره: و حكى عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن اللّحية و الفرج و أسألوني عمّا وراء ذلك....

الشرح:

كذا اسمه في المخطوطه و المطبوعه، و عليه، فهو الذي تنسب إليه الطائفة الظاهريه التي تأخذ بظواهر الكتاب و السنّه و تعرض عن التأويل، توفي سنة ٢٧٠. لكن في (الملل و النحل) حيث يحكى ما أورده العلّامة: (داود الجواربي). و عنه في موضع آخر: (داود الحواري رئيس الحواريه). و في (منهاج ابن تيميه) (٣): «أمّا داود الجواهري فقد عرف عنه القول المنكر».

و انظر: المواقف ٣٩، و كذا الملل و النحل ١٠٥/١-١٠٦ تجد فيه أن ما نسبه العلّامة إلى داود المذكور و من كان على قوله من مشبهه أهل السنّه، إلى كلمه (أربع أصابع) محكى عن هذا الشخص و أتباعه. ثم لاحظ كلام ابن تيميه (٤) لتري الكذب و الافتراء بكلّ صراحه و وضوح و قلّه حياء!!

ص: ١٨٢

١-١) الملل و النحل ١٠٥/١.

٢-٢) الملل و النحل ١٠٥/١.

٣-٣) منهاج السنّه ٢٥٩/١ الطبعه القديمه.

٤-٤) منهاج السنّه ٦٢٠/٢-٦٢١.

قال قدس سره: و ذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كلّ ليله جمعه على شكل أمرد حسن الوجه، راكباً على حمار... و حكي عن بعض المنقطعين التاركين للدنيا من شيوخ الحشويه أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاطاً و معه أمرد حسن الصورة قَطَطُ الشعر، على الصفات التي يصفون ربّهم بها... و قالت الكراميه: إن الله تعالى في جهه فوق، و لم يعلموا أن كلّ ما هو في جهه فهو محدث، و محتاج إلى تلك الجهه .

الشرح:

الكراميه: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كزّام المتوفى سنة ٢٥٥. قال الشهرستاني: «نصّ أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقراراً، و على أنه بجهه فوق ذاتاً» (١)، و في المواقف عنه: «إن الله على العرش من جهه العلوّ» (٢).

و قد بلغ من شذوذ الحسابله و تجسيمهم أن أبا الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧- هو أحد أئمتهم-ردّ عليهم، و استنكر شذوذهم و افتراءاتهم على الله تعالى، في كتاب مفردٍ منتشر في العالم.

قال قدس سره: و ذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد! و آخرون إلى أنه لا يقدر على عين مقدور العبد!

الشرح:

قال التفتازاني: «فهو بكلّ شيء عليم و على كلّ شيء قدير، لا كما زعم البلخي أنه لا يقدر على مثل مقدور العبد، و عامّه المعتزله أنه لا يقدر على نفس مقدور العبد» (٣).

ص: ١٨٣

١-١ (١) الممل و النحل ١/١٠٨.

٢-٢ (٢) المواقف في علم الكلام ٣/٧١٦، و شرحها ٨/٣٩٩.

٣-٣ (٣) شرح العقائد النسفيه: ٧٣.

قال قدس سره: و ذهب الأكثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح....

الشرح:

هذه من فروع مسألة الحسن و القبح العقليين، فالإماميه و من وافقهم من المعتزله و غيرهم المثبتون لذلك يقولون: بأن الله تعالى لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب و الأشاعره المنكرون لذلك يلتزمون بجميع هذه الأمور و لوازمها.

قال قدس سره: و هذا يستلزم أشياء شنيعه:... قال أبو هذيل العلاف: حمار بشر أعقل من بشر....

الشرح:

أبو الهذيل العلاف: هو شيخ البصريين في الاعتزال، له كتب و مقالات، توفي سنة ٢٢٧. و بشر هو معاصره: بشر بن المعتمر البغدادي، المتوفى سنة ٢١٠، كان يقول:

الإنسان يخلق اللون و الطعم و الرائحة و السمع و البصر على سبيل التولد. كذا في المواقف (١) و غيرها.

كلام الإمام الكاظم عليه السلام في أن المعصية ممن؟

قال قدس سره: و منها: التقسيم الذي ذكره مولانا و سيدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، و قد سأله أبو حنيفة....

الشرح:

أبو حنيفة هو: النعمان بن ثابت إمام الحنيفة المتوفى سنة ١٥٠. و قد اعترض ابن تيميه بأن: هذه الحكاياه لم يذكر لها إسناد فلا تعرف صحتها، كيف و الكذب عليها ظاهر، فإن أبا حنيفة من المقرين بالقدر باتفاق أهل المعرفة به و بمذهبه، فكيف يحكى عن أبي حنيفة أنه استصوب قول من يقول أن الله لم يخلق أفعال العباد؟

ص: ١٨٤

و أيضاً: فموسى بن جعفر و سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر، و النقل عنهم بذلك ظاهر معروف، و قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر و الصفات، و إنما شاع فيهم ردّ القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه.

و أيضاً: فهذا الكلام المحكى عن موسى بن جعفر يقوله أصغر القدرية و صبيانهم، و هو معروف من حين حدثت القدرية، قبل أن يولد موسى بن جعفر، فإن موسى بن جعفر ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع و عشرين و مائه، قبل الدولة العباسية بنحو ثلاث سنين، و توفي ببغداد سنة ثلاث و ثمانين و مائه. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. و القدرية حدثوا قبل هذا التاريخ، بل حدثوا في أثناء المائة الأولى، في زمن الزبير و عبد الملك.

و ممّا يبين أن هذه الحكاية كذب، أن أبا حنيفة إنما اجتمع بجعفر بن محمد، و أمّا موسى بن جعفر فلم يكن ممن سأله أبو حنيفة و لا اجتمع به، و جعفر بن محمد هو من أقران أبي حنيفة، و لم يكن أبو حنيفة يأخذ عنه مع شهرته بالعلم، فكيف يتعلم من موسى بن جعفر. إنتهى كلامه (١).

أقول:

هذه الحكاية لها إسناد في كتب الإمامية، بل متنها يشهد بصحتها. لكن ليس من دأب المتكلمين ذكر الأخبار بأسانيدها في الكتب الكلامية. أمّا أهل السنة فلا يروون مثل هذا الخبر، لأنه طعن في مذهبهم، و مبين لجهل من يقولون بإمامته، و الإفحام له ممن كان في الظاهر صبيئاً، و هو من أئمة المسلمين بإعترافهم.

و كون أبي حنيفة من المقرين بالقدر بالإتفاق، لا ينافي صحّة الخبر و وقوعه، فكم من دليل متقن سمعه أبو حنيفة و غيره من أهل الضلالات و عجزوا عن الجواب عنه

ص: ١٨٥

و لم يرجعوا عن ضلالتهم، و لو كان عدم رجوع أبي حنيفة عن مقالته دليلاً على كذب الخبر، لكان عدم رجوع المشركين و الزنادقة الذين قرئ عليهم القرآن و أزموا بالأدلة و البراهين، دليلاً على كذب القرآن و بطلان أدله العقائد الحقّه.

أمّا أهل البيت و شيعتهم فهم على أنه «لا- جبر و لا- تفويض بل أمر بين الأمرين» و هذا شيء معروف متواتر عنهم، مذكور في كتبهم مثل الكافي للكليني و التوحيد للصدوق، و هو مذكور عنهم في كتب غيرهم أيضاً، أخذوه عن سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع مختلفه من كلماته، منها: ما قاله للرجل الشامي عند منصرفه من حرب صفين... فالكذب نسبه غير هذا المذهب إليهم.

و أمّا أن هذا الكلام و التقسيم المحكى عن الإمام عليه السلام يقوله أصاغر القدرية و صبيانهم و هو معروف من حين حدثت القدرية. فقد حكى حكاية لم يذكر لها إسناداً، و كأنه نسي ما أورده على العلامة قبل سطور!! لكننا نطالبه فقط بأسماء من وصفهم ب(أصاغر القدرية و صبيانهم) الذين حكى عنهم ذلك، بل باسم واحد منهم....

و(موسى بن جعفر عليه السلام) إمام من أئمة المسلمين، منصوص عليه من قبل جدّهم رسول رب العالمين صلّى الله عليه و آله، لكن القوم عدلوا عنه و عن آباءه، و والوا أناساً لا نسب لهم و لا علم و لا دين....

ثم إن أبا حنيفة تعلّم من الإمام جعفر بن محمد عليه السلام - كما سيأتي - لا- أنه اجتمع به فحسب، و سواء كان تعلّم من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أو لا، فإن في الحكاية أنه أتى - و معه محمد بن مسلم - الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فواجه غلاماً حدثاً، فقبل له: هذا موسى ابنه.

«فالتفت إليه قائلاً: يا غلام أين يضع الغريب في بلدكم هذه؟»

قال: يتوارى خلف الجدار، و يتوقّى أعين الجار و شطوط الأنهار، و مسقط الثمار، و لا يستقبل القبلة و لا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء.

ثم قال: يا غلام ممّن المعصيه؟

قال: يا شيخ، لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله و ليس من العبد شىء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن تكون من العبد و من الله، و الله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإما أن تكون من العبد و ليس من الله شىء، فإن شاء عفى و إن شاء عاقب..».

رواه الشيخ المفيد، و تلميذه السيد المرتضى، و الشيخ الطبرسى فى كتابه الذى صرح فى أوّله بشهره أسانيد الأخبار التى أوردها فيه (١).

قال قدس سره: و ذهب الأشاعره إلى أن الله تعالى مرثى بالعين مع أنه مجرّد عن الجهات و قد قال تعالى: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» و خالفوا الضروره فى أن المدرك بالعين يكون مقابلاً أو فى حكمه، و خالفوا جميع العقلاء فى ذلك.

الشرح:

ذكر ابن تيميه: «أما إثبات رؤيه الله تعالى بالأبصار فى الآخره، فهو قول سلف الأمه و أئمتها و جماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة و غيرها، و قد تواترت فيه الأحاديث عن النبىّ صلى الله عليه و آله عند علماء الحديث، و جمهور القائلين بالرؤيه يقولون يرى عياناً مواجهه كما هو المعروف بالعقل... و إذا كان كذلك، فتقدير أن يكون بعض أهل السنّه المشبته أخطأوا فى بعض أحكامها، لم يكن ذلك قدحاً فى مذهب أهل السنّه و الجماعه، فإننا لا ندعى العصمه لكلّ مصنّف منهم» (٢)!!

قال قدس سره: و ذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقه من....

الشرح:

قال ابن تيميه: «إن الأشعريّه تقول: إن الله قادر على أن يخلق بحضرتنا ما لا نراه

ص: ١٨٧

١-١) الفصول المختاره من العيون و المحاسن: ٧٢-٧٣، الإحتجاج على أهل اللجاج ١٥٨/٢ و ١٥٩.

٢-٢) منهاج السنه ٣/٣٤١-٣٤٢. و انظر: المواقف: ٤٣٠، و الممل و النحل ٩١/١.

و لا نسمعه من الأجسام و الأصوات، و أن يرينا ما بُعد منا. لا يقولون: إن هذا واقع...» (١).

و هذا اعتراف منه و قبول لما ذهبوا إليه، و العلامه لم ينسب إليهم الوقوع بل التجويز، و لو قالوا بالوقوع لحكم عليهم بالجنون المحض!!

قال قدس سره: و ذهبوا إلى أنه تعالى أمرٌ و ناهٍ في الأزل....

الشرح:

قد اعترف ابن تيميه بأنه مذهب الأشاعره و خاصه الكلايه (٢)، و هم أتباع:

عبد الله بن سعيد الكلابي القطان البصري المتوفى سنة ٢٤٠.

عقيدته أهل السنه في عصمه الأنبياء

قال قدس سره: و ذهب جميع من عدا الإماميه و الإسماعيليه إلى أن الأنبياء و الأئمه عليهم السلام غير معصومين، فجوزوا بعثه من يجوز عليه الكذب و السهو و الخطأ و السرقة!....

الشرح:

قد ذكر فيما تقدّم عقيدته الإماميه في العصمه، و تبعهم القائلون بإمامه إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. و ذكر العلامه هنا عقيدته أهل السنه.

و ممّا يدلّ على أن مذهبهم جواز صدور المعاصي حتى الكبائر عن الأنبياء حتى بعد البعثه: ما أخرجه البخاري و مسلم في كتابيهما (الصحيحين) - عند جمهورهم - عن أبي هريره من أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات (٣)... الأمر الذي بلغ في الفظاعه حدّاً جعل الفخر الرازي يقول: «نسبه الكذب إلى الراوي أولى من نسبه إلى

ص: ١٨٨

١-١ (١) منهاج السنه ٣/٣٤٩.

٢-٢ (٢) منهاج السنه ٣/٣٥٣.

٣-٣ (٣) البخاري ٤/١١٢، مسلم ٧/٩٨.

بل فى الكتائبن المذكورين و غيرهما من كتبهم المعتبره عندهم ما يدل على عدم عصمه الانبياء-حتى نبينا صلى الله عليه و آله- بما يوجب الكفر، و من ذلك حديث الغرائق الذى اخرجوه بطرق كثيره جداً، و نصّوا على توثيق رجاله و صحه أسانيده، فقالوا: إنه صلى الله عليه و آله صلى يوماً و قرأ فى سورة النجم عند قوله تعالى «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى. و هو اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها. و هى مقالة توجب الشرك.

و لذا اضطرّ بعضهم إلى أن يقولوا فى هذه الأحاديث-التي رواها: البزار، الطبرانى، ابن جرير، ابن المنذر، السيهقى، ابن أبى حاتم، الهيثمى، السيوطى...-: «إنها من وضع الزنادقة» أو نحو هذه العبارة (٢).

و هل تنزيه الانبياء عليهم السلام عن الكفر بالله و الشرك به و عن معصيته فى جميع الأحوال غلوّ؟ و هل معنى ذلك اتخاذهم أرباباً من دون الله؟ و إذا كان جوابك: لا، فما تقول لابن تيمية القائل:

«و أما الرافضة فأشبهوا النصارى، فإن الله تعالى أمر الناس بطاعه الرسل فيما أمروا به، و تصديقهم فيما أخبروا به، و نهى الخلق عن الغلوّ و الإشراك بالله تعالى، فبدلت النصارى دين الله تعالى، فغلووا فى المسيح، فأشركوا به... و كذلك الرافضة غلووا فى الرسل بل فى الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً دون الله» (٣).

لكن القول بأن الرسل يعصون الله فى جميع الكبائر و الصغائر-حاشا الكذب فى

ص: ١٨٩

١- ١) تفسير الرازى ١٤٨/٢٦.

٢- ٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٢٤/٢، تفسير الرازى ٤٩/٢٣، مجمع الزوائد ١١٥/٧، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣٦٨/٤.

٣- ٣) منهاج السنه ١/٤٧٣-٤٧٤.

التبليغ فقط الذى هو مذهب الأشاعره و بعض المعتزله (١) و اختاره ابن تيميه و هو قول اليهود و النصارى كما نصّ عليه ابن حزم (٢).

فلاحظ من المبدّل لدين الله؟!!!

عقيدته أهل السنّه فى الأئمه و الإمامه

قال قدس سره: و لم يجعلوا الأئمه محصورين فى عدد معين، بل كلّ من تابع قرشياً انعقدت إمامته عندهم و وجبت طاعته على جميع الخلق....

الشرح:

قال ابن تيميه: «هذا حق، و ذلك أن الله تعالى قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» و لم يوقّتهم بعدد معين، و كذلك النبى صلّى الله عليه و آله فى الأحاديث الثابته عنه المستفيضه لم يوقّت ولاه الأمور فى عدد معين» (٣).

ثم نقل أحاديث عن كتابى البخارى و مسلم عن معاويه و ابن عمر و أنس و أبى هريره، منها ما يفيد وجوب الطاعه لمن تولّى الأمر مثل: «إسمعوا و أطيعوا و إن استعمل عليكم عبد حبشى»، و منها ما يفيد وجوب الطاعه لقريش مثل: «الناس تبع لقريش فى الخير و الشر».

أقول:

الحق أن الأئمه الذين ينوبون رسول الله صلّى الله عليه و آله فى جميع شؤونه إلما النبوه، محصورون فى عدد معين هو اثنا عشر، للأخبار المعتره المستفيضه المتفق

ص: ١٩٠

١-١) تفسير الرازى ٩/١٨، ٧/٣.

٢-٢) الفصل فى الملل و النحل ٥/٤.

٣-٣) منهاج السنّه ٣٨١/٣.

عليها بين الفريقين، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَكُونُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً» (١)، و كقوله: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ» (٢)، و فِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا» (٣).

و تجده بهذه الألفاظ أو ما يقاربها في مواضع أخرى من الكتب المذكورة و في غيرها من الصِّحاح و المسانيد و الكتب... و كلها تشتمل على عدد (الاثنى عشر).

و لصحَّه هذا الحديث و شهرته بل تواتره، لم يتمكّن القوم من ردّه، و لَمَّا كَانَ مِنْطَبِقًا و موافقًا لما تذهب إليه الإمامية، حاروا في معناه و توجيهه بحيث يخرج عن الدلالة على مذهب الإمامية، و لو أردنا نقل كلماتهم لطال بنا المقام. فراجع (٤) كي ترى التأويلات الفاسده و الاحتمالات الباردة التي جعلت بعضهم يعترف بعجزه عن فهم معناه!

فيقول ابن العربي المالكي: «لم أعلم للحديث معنى».

و يقول ابن بطلال عن المهلب: «لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث بشيء معين».

و يقول ابن الجوزي: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث و تطلبت مظانه و سألت عنه فلم أقع على المقصود به».

و على كلّ حال، فإن هذا الحديث حصر الأئمة في عدد، فبطل القول بأنهم غير محصورين في عدد معين، و به يقيد إطلاق الآيه الكريمة و الأحاديث التي استدلت بها لعدم الحصر... فيكون مفاد الآيه: وجوب إطاعه الله و إطاعه الرسول و أولى الأمر الاثنى عشر.

ص: ١٩١

١-١) مسند أحمد ١٠٦/٥.

٢-٢) صحيح مسلم ٤/٦.

٣-٣) صحيح البخاري ١٢٧/٨.

٤-٤) شرح الترمذي لابن العربي المالكي ٦٨/٩، البدايه و النهايه ٢٢١/٦ و ٢٧٩، فتح الباري ١٨١/١٣.

و بما أن الآيه الكريمة تدلّ على عصمه أولى الأمر بلا خلاف- كما اعترف الرازي بتفسيرها (١)- و لم تثبت العصمه إلا للأئمه الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام، لآيه التطهير و غيرها من الأدله، فالمراد من أولى الأمر هم الأئمه الاثنا عشر عليهم السلام من أهل البيت.

هذا، مضافاً إلى الأحاديث الواردة التي فيها النصّ على إمامتهم بأسمائهم عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه و آله.

فإن قلت: إنه لم يتولّ منهم إلّا الواحد أو الاثنان.

قلت: ليس المراد الاستيلاء على الأمور بالفعل، حتى إذا لم يتحقق ذلك انتفت إمامتهم، لأن الواجب على الأئمه هو الرجوع إلى الإمام المنصوص عليه و تفويض الأمور إليه، و ليس تركهم لهذا الواجب يوجب سقوط الإمام عن الإمامه، كما أن خروج الناس عن الطاعه لله و للرسول لا يضّرّ الألوهيّة و رساله شيئاً.

ثم إن الرجل لم ينكر ما ذكره العلّامة، بل ذكر أحاديث ثم قال: «فهذا أمر بالطاعه مع ظلم الأمير»، و قال: «هذا نهى عن الخروج على السلطان و إن عصي» (٢).

أقول:

و هل تنهى هذه الأحاديث على فرض صحتها، عن المخالفه و تأمر بالطاعه حتى مع القدره على الخروج و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟ إن كان كذلك، فهي أحاديث مخالفه للكتاب و السنّه، و لا بدّ من ضربها عرض الجدار، لكنها أحاديث موضوعه بأمر من أمراء الجور و سلاطين الباطل أنفسهم، و تفصيل الكلام في محلّه.

و لذا نقرأ بتراجم كثيرين من أئمتهم كأبي حنيفه و جوب القيام ضدّ أئمه الباطل و خلفاء الجور، و أن كثيرين منهم قاموا و خرجوا بالفعل، فراجع.

ص: ١٩٢

١-١) تفسير الرازي ١٠/١٤٤.

٢-٢) منهاج السنه ٢/٨٧.

قال قدس سره: و ذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس و الأخذ بالرأى، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه!

الشرح:

أمّا ذهابهم إلى القول بالقياس و الأخذ بالرأى، فقد اعترف به ابن تيميه، و نصّ -بعد أن ذكر أسماء كبار الفقهاء عندهم- على أن رجوع هؤلاء إلى اعتباراتهم و استنباطاتهم مثل أن يعلموا سنّه النبي صلّى الله عليه و آله الثابته عنه، و إن شئت الوقوف على إدخالهم في دين الله ما ليس منه، و تحريفهم أحكام الشريعة الطاهره.

فراجع كتب الحافظ ابن حزم الأندلسي في الفقه و الأصول، فقد ذكر من هذا القبيل موارد كثيره.

و أمّا المذاهب عندهم فكثيره، و لا- شىء منها كان في زمان النبي صلّى الله عليه و آله و أصحابه، لكنهم أحدثوا المذاهب الأربعة- و هي: المالكيه، و الحنفيّه، و الحنبليّه، و الشافعيّه- و حصروا المذاهب فيها بأمر من السيّلاطين، و حرّموا التعبد بغيرها بل عاقبوا عليه، لأغراض سياسيّه، حتى انقرضت مذاهب كثيره كان أصحابها أعلم من أصحاب المذاهب الأربعة و أجلّ... فكان من عمدته ما اعتمدوا عليه في فتاواهم القياس و الاستحسان و الاعتبار الظنيّه، مع أن أصحابه نصّوا على ترك القياس.

و من هنا وقع الخلاف بين الأصوليين منهم في جواز العمل به كما لا- يخفى على من يراجع كتبهم كالمستصفي للغزالي و غيره، بل ألف بعضهم في ذمّه و المنع منه كابن حزم. و من نصوص الصحابه ما عن أمير المؤمنين على عليه السلام: «لو كان الدين بالقياس لكان المسح على باطن الخفّ أولى من ظاهره»، و هو خبر متفق عليه و قد ذكره

الأصوليون في بحث القياس كالغزالي (١) حيث رواه عن علي و عثمان.

و عن أبي بكر في مواضع كثيرة منها: لما سئل عن معنى (الكلاله): «أى سماء تظلنى و أى أرض تقلنى إذا قلت برأى».

و عن عمر: «إياكم و أصحاب الرأى؛ فإنهم أعداء الدين أعتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأى، فضّلوا و أضلّوا» (٢).

و عن ابن عباس: «إن الله لم يجعل لأحد أن يحكم فى دينه برأيه» (٣).

و عنه أيضاً: «و قال الله تعالى لنبىه عليه السلام: «لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ»، و لم يقل بما رأيت.

و عنه أيضاً: «إياكم و المقاييس فما عبت الشمس إلا بالمقاييس».

و عن ابن عمر: «ذرونى من رأيت و رأيت».

و عن ابن مسعود: «قرأؤكم و صلحاؤكم يذهبون و يتخذ الناس رؤساء جهالاً يقيسون ما لم يكن بما كان».

قال الغزالي: «و كذلك أنكر التابعون القياس» (٤).

إضطرارهم إلى القول بأمر شيعه

قال قدس سره: و ذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شيعه، كإباحه البنت المخلوقه من الزنا....

ص: ١٩٤

١- ١) المستصفى فى علم الأصول: ٢٨٩.

٢- ٢) المصدر السابق: ٢٨٩.

٣- ٣) المصدر السابق: ٢٨٩.

٤- ٤) المصدر السابق: ٢٨٩.

الشرح:

فى الإستذكار: جواز نكاح البنت المتولده من الزنا، و فى المغنى: قال مالك و الشافعى فى المشهور من مذهبه: يجوز ذلك كله؛ لأنها أجنبيه منه و لا تنسب إليه شرعاً. و فى الشرح الكبير و المبسوط: و عند الشافعى لا يكون حراماً (١).

قال قدس سره: و سقوط الحدّ عمّن نكح أمه و أخته و بنته....

الشرح:

راجع المغنى، و الشرح الكبير و فيه: «و قال أبو حنيفة و الثورى لا حدّ عليه، لأنه وطئ تمكنت الشبهه منه فلم يوجب الحدّ».

و المبسوط و فيه: «رجل تزوّج امرأه ممن لا يحلّ له نكاحها فدخل بها، لا حدّ عليه، سواء كان عالماً بذلك أو غير عالم».

و فى مجمع الأنهر و الدر المنتقى فى هامش مجمع الأنهر: «و لا يحدّ بوطئ محرم تزوّجها و وطئها بعد العقد و العلم بأنها أخته. و قال أبو حنيفة: اسم العقد يمنع من وجوب الحدّ، فإذا وطئ أمه أو أخته أو معتدّه بعقد نكاح، لم يجب الحدّ على واحد منهما».

و فى بدائع الصنائع: «إذا نكح محارمه لا حدّ عليه عند أبي حنيفة و إن علم بالحرمة» (٢).

قال قدس سره: و عمّن لفّ على ذكره خرقة و زنا بأمه أو بنته!....

الشرح:

قال فى الإستذكار: «و قال أبو حنيفة و داود: يعذر الوطئ و لا حدّ عليه».

ص: ١٩٥

١- ١) الإستذكار ١٩٦/١٦-١٩٨، المغنى ٤٨٥/٧، الشرح الكبير ٤٨٣/٧، المبسوط فى فقه الحنفيه ٢٠٦/٤.

٢- ٢) راجع المغنى ١٥٢/١٠، الشرح الكبير ١٨٦/١٠، مجمع الأنهر ٥٩٥/١، بدائع الصنائع ٣٥/٧.

و انظر المغنى، و الشرح الكبير و فيه: «و قال الحكم و أبو حنيفة لا حدّ عليه؛ لأنه ليس بمحل للوط أشبه غير الفرج».

و فى المبسوط: «و كذلك اللواط عند أبى حنيفة يوجب التعزير».

و فى حليه العلماء: «و قال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

و فى مجمع الأنهر: «فإنه يعزر و لا يحد».

و فى الحاوى الكبير: «و قال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

و فى بدائع الصنائع: «و كذلك الوطء فى الدبر فى الأنثى أو الذكر لا يوجب الحدّ عند أبى حنيفة» (١).

قال قدس سره: و إلحاق نسب المشرقيه بالمغربى... بل لو حبسه السلطان من حين العقد و قيده و جعل عليه حَفَظَه مده خمسين سنه، ثم وصل إلى بلد المرأة فرأى جماعه كثيره من أولادها و أولادها إلى عده بطون، التحقوا كلهم بالرجل الذى لم يقرب هذه المرأة و لا غيرها البته!

الشرح:

قال الزحيلي: «فلو تزوّج مشرقى مغربيّه و لم يلتقيا فى الظاهر مده سنه، فولدت ولداً لسته أشهر من تاريخ الزواج، ثبت النسب، لاحتمال تلاقيهما من باب الكرامه، و كرامات الأولياء حق، فتظهر الكرامه بقطع المسافه البعيده فى المده القليله، و يكون الزوج من أهل الحظوه الذين تطوى لهم المسافات البعيده» (٢).

قال قدس سره: و إباحه النيذ مع مشاركته للخمر فى الإسكار، و الوضوء.

ص: ١٩٦

١- ١) الإستذكار ٨٣/٢٤، المغنى ١٠/١٦١، الشرح الكبير ١٠/١٧٦، المبسوط ٩/٧٧، حليه العلماء ٨/١٦، مجمع الأنهر ١/٥٩٥، الحاوى

الكبير ١٧/٦٠، بدائع الصنائع ٧/٣٤.

٢- ٢) الفقه الإسلامى ٧/٦٨٣.

الشرح:

أما إباحه النيذ:

ففى فتح القدير: «لأن المتخذ من التمر اسمه نيذ التمر لا السكر و هو حلال على قول أبى حنيفه و أبى يوسف».

و فى الهدايه: «و قال شريك بن عبد الله إنه مباح»، و كذا فى الإستدكار.

و فى المبسوط: «حدّثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمه أنه شرب عبد الله بن مسعود نييذاً مشتدّاً صلباً... و كذلك عمر كان يشرب المثلث و يأمر باتخاذه للناس».

و فى بدائع الصنائع: «و ذهب أبو حنيفه إلى أنه لا يحرم نيذ التمر، لأن القول بتحريمه تفسيق كبار الصحابه» (١).

و أما الوضوء به:

ففى مغيث الخلق فى ترجيح القول الحق لأبى المعالى الجوينى إمام الحرمين:

«و توضأ نيذ التمر».

و فى حليه العلماء: «و اختلف أصحابه فى النيذ الذى يجوز التوضؤ به، فقال أبو طاهر الدباس: يجوز التوضؤ بالنيذ النىء الحلو. و قال أبو الحسن الكرخى: لا يجوز التوضؤ إلا بالمطبوخ المشتد».

و فى المبسوط: «فكان الأوزاعى يقول بجواز التوضؤ بها بالقياس على نيذ التمر».

و فى الاغتسال بنيذ التمر فالأصح أنه يجوز».

و فى الجامع الصغير: «فإن لم يجد إلا نيذ التمر توضأ، و عند الأوزاعى يجوز التوضى بسائر الأنبذه بالقياس على نيذ التمر» (٢).

ص: ١٩٧

١- ١) فتح القدير ٣٠/٩، الهدايه ٣١/٨، الإستدكار ٣٠٤/٢٤، المبسوط ١٢/٢٤، بدائع الصنائع ١١٧/٥.

٢- ٢) مغيث الخلق: ٥٨، حليه العلماء ٧٤/١، المبسوط ٨٩/١، الجامع الصغير: ٧٤.

قال قدس سره: و الصّلاه في جلد الكلب، و على العذره اليابسه!

الشرح:

أنظر مغيث الخلق و فيه: «فلبس جلد كلب مدبوغ» (١).

فإن كانت النجاسه في موضع سجوده، فروى أبو يوسف عنه أن صلاته جائزه، كما في المبسوط.

و في مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: «و أما في موضع السجود في روايه أبي يوسف إنه يجوز».

و في الحاوى الكبير للماوردي: «فأما إذا لم يغسل البول عن الأرض حتى تقادم عهده و زالت رائحته بطلوع الشمس و هبوب الرياح فقال أبو حنيفه: قد طهرت الأرض و جازت الصّلاه عليها» (٢).

قال قدس سره: و حكى بعض الفقهاء لبعض الملوك و عنده بعض فقهاء الحنفية صفة صلاه الحنفى....

الشرح:

ثم صلّى ركعتين على ما يجوّزه أبو حنيفه، فلبس جلد كلب مدبوغ و لطح ربهه بالنجاسه، و توضّأ بنبيد التمر و أحرم بالصّلاه من غير نيّه، و أتى بالتكبير بالفارسيه، ثم قرأ آيه بالفارسيه «دُوبَرَكُ سَيِّئُ» ثم نقر نقرتين كنقرات الدّيك من غير فصل و من غير ركوع، و تشهد و شرط في آخره من غير سلام. كذا في مغيث الخلق.

و قد حكى صلاه القفال هذه غير واحد، منهم ابن خلكان (٣).

قال قدس سره: و أباحوا المغصوب لو غَيَّرَ الغاصب الصّفه....

ص: ١٩٨

١- ١) مغيث الخلق: ٥٨.

٢- ٢) المبسوط ٢٠٤/١، مجمع الأنهر ٥٨/١، الحاوى الكبير للماوردي ٢٥٩/٢.

٣- ٣) مغيث الخلق: ٥٨-٥٩، وفيات الأعيان ٢٦٧/٤.

الشرح:

أنظر المبسوط و فيه: «فأما الغزل إذا نسجه فهو في حكم عين آخر، فلهذا لو فعله الغاصب كان الثوب مملوكاً له». و فيه: «فعلى قول أبي حنيفة المخلوط يصير ملكاً للخالط سواء خلط الحنطة بالحنطة أو بالشعير». و فيه: «ألا ترى أن لو غصب عبناً فجعله زيبياً انقطع حق المغصوب منه في الاسترداد».

و في الفقه الإسلامي للزحيلي: «أو غصب حنطة فطحنها دقيقاً أو حديداً فاتخذته سيفاً، فإنه يزول ملك المغصوب منه عن المغصوب و يملكه الغاصب».

و في المجموع: «فإذا عمل اللوح المغصوب باباً أو حديداً فعمله درعاً، جعله أبو حنيفة مالكاً لذلك بعمله، و ذلك من أقوى الذرائع و المغريات للإقدام على المغصوب».

و في الحاوي الكبير للماوردي: «و قال أبو حنيفة: قد صارت بالطبخ للغاصب» (١).

قال قدس سره: و أوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذب الشهود و أسقطوه إذا صدقهم....

الشرح:

قال في حليه العلماء: «و قال أبو حنيفة: لا نرجمه إلا أن يكذبهم» (٢).

قال قدس سره: و أباحوا الكلب....

الشرح:

جاء في المغنى، و الشرح الكبير: «و قال أبو علي النجاد: ما حرم نظيره في البر فهو

ص: ١٩٩

١- ١) المبسوط ١٤/٢٤، ١١/٩١، ٩/١٦٦، الفقه الإسلامي ٥/٧٢٦ و ١٤/٢٧٢، الحاوي الكبير ٧/١٩٤.

٢- ٢) حليه العلماء ٨/٢٨.

حرام فى البحر، ككلب الماء و خنزيره و إنسانه، و هو قول اللبث إلا فى كلب الماء فإنه يرى إباحه كلب البرّ و البحر» (١).

قال قدس سره: و أبا حوا الملاهى كالشطرنج و الغناء....

الشرح:

و لذا اشتهر هذا عمّن ذكرنا من الصحابه و التابعين، و قد عمل به معهم من لا يحصى عددهم من علماء الأمصار و فضلائهم؛ لأن فيها تنبيهاً على مكائد الحرب و وجوه الحزم و تدبير الجيوش، و ما بعث على هذا إن لم يكن ندباً مستحباً فأحرى أن لا يكون حظراً محرّماً. قاله الماوردى فى كتاب الحاوى الكبير (٢).

فروى الخطيب عن مولى سليمان بن يسار قال: «كان عمر بن الخطاب يمرّ بنا و نحن نلعب بالشطرنج فيسلّم علينا و لا ينهانا».

و روى أبو راشد قال: «رأيت أبا هريره يدعو غلاماً فيلاعبه بالشطرنج».

و روى عن عبد الله بن عباس أنه كان يجيز الشطرنج و يلعب بها.

و روى عن عبد الله بن الزبير أنه كان يلعب بالشطرنج، فهؤلاء الصحابه.

و أما التابعون، فروى عن سعيد بن المسيب أنه كان يلعب بها.

و روى أبو لؤلؤة قال: «رأيت الشعبى يلعب بالشطرنج مع الغرماء».

و روى راشد بن كريب قال: «رأيت عكرمه مولى ابن عباس أقيم قائماً فى لعب الشطرنج».

و روى أن محمد بن سيرين كان يلعب بالشطرنج و قال: «هى لبُّ الرجال».

و فى المجموع: «و يكره اللعب بالشطرنج... و يكره الغناء».

ص: ٢٠٠

١- (١) المغنى ٨٥/١١، الشرح الكبير ٨٨/١١.

٢- (٢) الحاوى الكبير للماوردى ١٩٢/٢١-١٩٤.

و فى الشرح الكبير و المغنى: «و ذهب الشافعى إلى إباحه الشطرنج، و حكى ذلك أصحابه عن أبى هريره و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير، و احتجوا بأن الأصل الإباحه و لم يرد بتحريمهما نص».

و فيهما أيضاً: «فذهب أبو بكر الخلال و صاحبه أبو بكر عبد العزيز إلى إباحته، و الغناء و النوح معنى واحد مباح» (١).

و قد استباح قدامه بن مظعون شرب الخمر بقوله تعالى «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا» (٢) و قد قال: «قد اتقينا و آمننا فلا جناح علينا فيما شربنا»، فلم ينكره أحد من الصحابه.

و فى الحاوى الكبير: «و أحلها الحسن البصرى يعنى النرد»، و قال فى نفس الصفحه: «إن الشطرنج لا يحرم، إن الشطرنج موضوع لصحه الفكر و صواب التدبير و نظام السياسه» (٣).

و فى الغناء:

فأباحه أكثر أهل الحجاز، و استدلل من استباح الغناء بما روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه مرّ بجاريه لحسان بن ثابت تغنى فقال رسول الله: «لا حرج إن شاء الله».

و روى الزهرى عن عروه عن عائشه قالت: «كانت عندى جارتان تغتبان فدخل أبو بكر فقال: أ مزمور الشيطان فى بيت رسول الله! فقال رسول الله: دعهما فإنها أيام عيد».

و قال عمر: «الغناء زاد المسافر».

ص: ٢٠١

١-١) المجموع ٢٢٨/٢٠ و ٢٢٩، الشرح الكبير ٤٦/١٢ و ٥١، المغنى ٣٧/١٢ و ٤٢.

٢-٢) سوره المائده: ٩٣.

٣-٣) الحاوى الكبير ١٩٨/٢١.

و كان لعثمان جاريتان تغنيان في الليل.

و لأنه لم يزل أهل الحجاز يترخصون فيه و يكثرون منه و هم في عصر الصحابه و جلّه الفقهاء فلا ينكرونه عليهم و لا يمنعونهم منه، كالذى حكى أن عبد الله بن جعفر كان منقطعاً إليه و مكثراً منه، فبلغ ذلك معاويه فقال لعمر بن العاص: «قم بنا إليه»، فلما استأذنا عليه و عنده جواريه يغنين فأمرهنّ بالسكوت، فقال معاويه: «يا عبد الله مرهنّ يرجعن إلى ما كنّ عليه»، فرجعن يغنين، فطرب معاويه حتى حرّك رجله على السرير.

فقال عمرو: «إن من جئت تلحاه أحسن حالاً منك»، فقال معاويه: «إليك عنى يا عمرو، فإن الكريم طروب» (١).

قلت:

و أنت ترى أن لا- شىء من هذه الفتاوى الشنيعة و أمثالها- التى يقف عليها المتتبع فى كتب القوم، و لربما هناك أمور أشنع و أفظع لا يقف عليها لعدم العثور على كثير من كتبهم- بمنقول عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام، و حاشاهم من أن يقولوا شيئاً من هذا القبيل، فإنهم مهابط الوحى و معادن العلم الإلهى؛ و لذا أمرنا بالرجوع إليهم، و الأخذ عنهم، و التمسّك بهم، و الانقياد لهم، فإنهم لا يقولون شيئاً من عندهم، و لا يفتون بالرأى و القياس، و هم دائماً يستحضرون الشرائع و الأحكام و لا يخطئون، و لا يحتاجون إلى غيرهم فى شىء من ذلك، بل الكلّ محتاجون إليهم.

من موارد جهل الصحابه بالأحكام

و لا بأس بنقل نصّ عباره الحافظ ابن حزم الأندلسى الحاكيه لجهالات الصّحابه فى الأحكام الشرعيّه، و ليس فيها شىء عن أمير المؤمنين عليه السلام... فإنه قال:

ص: ٢٠٢

«و وجدنا صاحب من الصحابه رضى الله عنهم يبلغه الحديث فيتأول فيه تأويلا يخرج به عن ظاهره، و وجدناهم رضى الله عنهم يقرون و يعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، و هكذا الحديث المشهور عن أبى هريره: إن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، و إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم القيام على أموالهم، و هكذا قال البراء... قال: ما كل ما نحدّثكموه سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لكن حدثنا أصحابنا، و كانت تشغلنا رعيه الإبل.

و هذا أبو بكر رضى الله عنه لم يعرف فرض ميراث الجدّه و عرفه محمد ابن مسلمه و المغيره بن شعبه، و قد سأل أبو بكر رضى الله عنه عائشه: فى كم كفّن رسول الله صلّى الله عليه و آله؟

و هذا عمر رضى الله عنه يقول فى حديث الاستئذان: أخفى على هذا من أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ ألهانى الصفق فى السوق. و قد جهل أيضاً أمر إملاص المرأة و عرفه غيره، و غضب على عيينه بن حصن، حتى ذكره الحر بن قيس بن حصن بقوله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ». و خفى عليه أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله بإجلاء اليهود و النصارى من جزيره العرب إلى آخر خلافته، و خفى على أبى بكر رضى الله عنه قبله أيضاً طول مده خلافته، فلما بلغ عمر أمر بإجلائهم فلم يترك بها منهم أحداً. و خفى على عمر أيضاً أمره عليه السلام بترك الإقدام على الوباء، و عرف ذلك عبد الرحمن بن عوف.

و سأل عمر أبا واقد الليثى عمّا كان يقرأ به رسول الله صلّى الله عليه و آله فى صلاتى الفطر و الأضحى، هذا، و قد صلّاهما رسول الله صلّى الله عليه و آله أعواماً كثيره.

و لم يدر ما يصنع بالمجوس حتى ذكره عبد الرحمن بأمر رسول الله صلّى الله عليه و آله فيهم. و نسى قبوله عليه السلام الجزيه من مجوس البحرين و هو أمر مشهور،

و لعلّه رضى الله عنه قد أخذ من ذلك المال حظاً كما أخذ غيره منه.

و نسى أمره عليه السلام بأن يتيمم الجنب فقال: لا يتيمم أبداً و لا يصلّى ما لم يجد الماء، و ذكره بذلك عمّار.

و أراد قسمه مال الكعبة، حتى احتج عليه أبى بن كعب بأن النبى عليه السلام لم يفعل ذلك، فأمسك.

و كان يرذّ النساء اللواتى حضن و نفرن قبل أن يودّعن البيت، حتى أخبر بأن رسول الله صلّى الله عليه و آله أذن فى ذلك، فأمسك عن ردهن.

و كان يفاضل بين ديات الأصابع، حتى بلغه عن النبى صلّى الله عليه و آله أمره بالمساواه بينها، فترك قوله و أخذ المساواه.

و كان يرى الدية للعصبه فقط، حتى أخبره الضحّاك بن سفيان بأن النبى صلّى الله عليه و آله ورث المرأة من الدية، فانصرف عمر إلى ذلك.

و نهى عن المغالاه فى مهور النساء استدلالاً بمهور النبى صلّى الله عليه و آله، حتى ذكرته امرأة بقوله الله عز و جل: «وَ آتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَاراً»، فرجع عن نهيه.

و أراد رجم مجنونه حتى أعلم (1) بقول رسول الله صلّى الله عليه و آله: رفع القلم عن ثلاثه فأمر أن لا ترجم. و أمر برجم مولاه حاطب، حتى ذكره عثمان بأن الجاهل لا حدّ عليه فأمسك عن رجمها.

و أنكر على حسان الإنشاد فى المسجد، فأخبر هو و أبو هريره أنه قد أنشد فيه بحضره رسول الله صلّى الله عليه و آله، فسكت عمر.

و قد نهى عمر أن يسمّى بأسماء الأنبياء عليهم السلام و هو يرى محمد بن مسلمه

ص: ٢٠٤

١- ١) أعلمه أمير المؤمنين على عليه السلام، و الخبر بذلك مشهور، لكن ابن حزم لم يشأ أن يصرح بذلك و الحال أنه صرح فى الموارد الأخرى باسم القائل!!

يغدو عليه و يروح و هو أحد الصحابه الجله منهم، و يرى أبا أيوب الأنصاري و أبا موسى الأشعري و هما لا يعرفان إلا بكناهما من الصحابه، و يرى محمد بن أبي بكر الصديق و قد ولد بحضرة رسول الله صلى الله عليه و آله في حجه الوداع، و استفتته أمه إذ ولدته ما ذا تصنع في إحرامها و هي نفساء. و قد علم يقيناً أن النبي صلى الله عليه و آله علم بأسماء من ذكرنا و بكناهم بلا شك، و أقزهم عليها و دعاهم بها و لم يغير شيئاً من ذلك، فلما أخبره طلحه و صهيب عن النبي صلى الله عليه و آله بإباحه ذلك أمسك عن النهي عنه. و هم بترك الرمي في الحج، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه و آله فعله فقال:

لا يجب لنا أن نتركه.

و هذا عثمان رضى الله عنه، فقد رووا عنه أنه بعث إلى الفريعه أخت أبي سعيد الخدري يسألها عما أفتاها به رسول الله صلى الله عليه و آله في أمر عدتها و أنه أخذ بذلك. و أمر برجم امرأه قد ولدت لسته أشهر، فذكره على بالقرآن و أن الحمل قد يكون سته أشهر، فرجع عن الأمر برجمها....

و هذه عائشه و أبو هريره رضى الله عنهما خفى عليهما المسح على الخفين و على ابن عمر معهما، و علمه جرير و لم يسلم إلا قبل موت النبي صلى الله عليه و آله بأشهر، و أقرت عائشه أنها لا علم لها به، و أمرت بسؤال من يرجى عنده علم ذلك و هو على رضى الله عنه.

و هذه حفصه أم المؤمنين سئلت عن الوطى يجنب فيه الواطى أ فيه غسل أم لا؟ فقالت: لا علم لى.

و هذا ابن عمر توقع أن يكون حدث نهى عن النبي صلى الله عليه و آله عن كراء الأرض بعد أزيد من أربعين سنه من موت النبي صلى الله عليه و آله فأمسك عنها، و أقر أنهم كانوا يكرونها على عهد أبي بكر و عمر و عثمان، و لم يقل أنه لا يمكن أن يخفى على هؤلاء ما يعرف رافع و جابر و أبو هريره، و هؤلاء إخواننا يقولون فيما اشتهوا، لو

كان هذا حقاً ما خفى على عمر.

وقد خفى على زيد بن ثابت و ابن عمر و جمهور أهل المدينة إباحه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله للحائض أن تنفر، حتى أعلمهم بذلك ابن عباس و أم سليم فرجعوا عن قولهم.

و خفى على ابن عمر الإقامه حتى يدفن الميت، حتى أخبره بذلك أبو هريره و عائشه فقال: لقد فرطنا في فراريط كثيره. و قيل لابن عمر في اختياره متعه الحج على الأفراد: إنك تخالف أباك، فقال: أ كتاب الله أحق أن يتبع أم عمر؟ روينا ذلك عنه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر. و خفى على عبد الله بن عمر الوضوء من مس الذكر، حتى أمرته بذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بسره بنت صفوان، فأخذ بذلك... (١).

(قال): «و قد تجد الرجل يحفظ الحديث و لا يحضره ذكره حتى يفتى بخلافه، و قد يعرض هذا في آي القرآن، و قد أمر عمر على المنبر بأن لا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره، فذكرته امرأه بقول الله تعالى: «وَ آتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً» فترك قوله و قال: كل أحد أفقه منك يا عمر، و قال: امرأه أصابت و أمير المؤمنين أخطأ. و أمر برجم امرأه و لدت لسته أشهر، فذكره على بقول الله تعالى: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» مع قوله تعالى: «وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» فرجع عن الأمر برجمها.

و هم أن يسطو بعينه بن حصن إذ قال له: يا عمر ما تعطينا الجزل و لا تحكم فينا بالعدل، فذكره الحر بن قيس بن حصن بن حذيفه بقول الله تعالى: «وَ أَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ» و قال له: يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين، فأمسك عمر.

و قال يوم مات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله: و الله ما مات رسول الله و لا يموت

ص: ٢٠٦

حتى يكون آخرنا، أو كلاماً هذا معناه، حتى قرئت عليه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فسقط السيف من يده و خرّ إلى الأرض و قال: كَأَنى و الله لم أكن قرأتها قط.

قال الحافظ ابن حزم: فإذا أمكن هذا فى القرآن فهو فى الحديث أمكن و قد ينسأه ألبته، و قد لا ينسأه بل يذكره و لكن يتأول فيه تأويلاً فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنى مّياً، و كلّ هذا لا يجوز اتباعه إلا بنصّ أو إجماع؛ لأنه رأى من رأى ذلك، و لا يحلّ تقليد أحد و لا قبول رأيه...» (١).

ص: ٢٠٧

١-١) الإحكام فى أصول الأحكام ٢/٢٣٧-٢٣٨.

إشاره

قال قدس سره: الوجه الثاني فى الدلاله على وجوب اتباع مذهب الإماميه: ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجه نصير المله و الحق و الدين محمد بن الحسن الطوسى قدس الله روحه... قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ستفترق أمتى على ثلاث و سبعين فرقه، فرقه منها ناجيه و الباقي فى النار»....

الشرح:

استدلال النصير الطوسى

و هو المحقق العظيم، الفيلسوف المتكلم الكبير، المجمع على فضله و تقدمه فى العلوم. له مصنفات جليله. توفى سنة ٦٧٢هـ، و له تراجم حافظه فى غير واحد من كتب التراجم. و قد ذكرنا طرفاً منها فى (المدخل).

و هذا الحديث رواه المحدثون: كأحمد، و الترمذى، و أبى داود، و ابن ماجه.

و ذكره المؤلفون فى العقائد و الفرق: كالعضد و الشهرستانى.

و قد يدعى تواتره، فقد حكى الشيخ محمد أبو زهره عن العلامة المحدث صالح بن مهدى المقبلى أنه قال فى كتابه العلم الشامخ: «حديث افتراق الأمه إلى سبعين فرقه روايات كثيره يعضد بعضها بعضاً، بحيث لا تبقى ريبه فى حاصل معناه» (١).

قال قدس سره: و قد عيّن عليه السلام الفرقة الناجيه و الهالكه فى حديث آخر صحيح متفق عليه، و هو قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف غرق».

فوجدنا الفرقة الناجيه الإماميه، لأنهم باينوا جميع المذاهب.

ص: ٢٠٨

و جميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الشرح:

اعترض عليه ابن تيميه بعدّه صفحات (1) مملوءه بالتكفير و السبّ و الشتم للطّوسى و العلّامه و عامه الإماميه! فإنه بعد أن زعم أن الطوسى كافر قال: «و الكافر لا يقبل قوله فى دين المسلمين» ثم ذكر: «أنه كان وزير الملاحده الباطنيه الإسماعيليه بالألويت، ثم لما قدم الترك المشركون و هولاءكو أشار عليه بقتل الخليفه، و بقتل أهل العلم و الدّين».

قال: «و المشهور عنه و عن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام و محرّماته، و لا يحافظون على الفرائض كالصّلاه، و لا ينزعون عن محارم اللّٰه، من الخمر و الفواحش و غير ذلك من المنكرات».

ثم قال: «و مع هذا، فقد قيل: إنه كان فى آخر عمره يحافظ على الصلوات، و يشتغل بتفسير البغوى و الفقه و نحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد، فاللّٰه يقبل التوبه...».

قال: «لكن ما ذكره عنه هذا، إن كان قبل التوبه لم يقبل قوله، و إن كان بعد التوبه لم يكن قد تاب من الرفض بل من الإلحاد وحده، و على التقديرين، فلا يقبل قوله».

و الأظهر أنه إنما كان يجتمع به و بأمثاله لَمَّا كان منجماً للمغول المشركين، و الإلحاد معروف من حاله إذ ذاك.

فمن يقدح فى مثل أبى بكر و عمر و عثمان و غيرهم من السابقين الأوّلين من المهاجرين و الأنصار، و يطعن على مثل مالك و الشافعى و أبى حنيفه و أحمد بن حنبل و أتباعهم، و يعيّرهم بغلطات بعضهم فى مثل إباحه الشطرنج و الغناء، كيف يليق به أن

ص: ٢٠٩

يحتج لمذهبه بقول مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر، و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله، و لا يدينون دين الحق، و يستحلون المحرمات المجمع على تحريمها، كالفواحش و الخمر فى مثل شهر رمضان، الذين أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات، و خرقوا سياج الشرائع و استخفوا بحرمات الدين و سلكوا غير طريق المؤمنين».

قال: «و من العجب أن هذا المصنف الرافضى الكذاب المفتري، يذكر أبا بكر و عمر و عثمان و سائر السابقين و التابعين و سائر أئمة المسلمين من أهل العلم و الدين بالعظائم التى يفتريها عليهم هو و إخوانه، و يجيء إلى من قد اشتهر عند المسلمين محاربتة لله و رسوله يقول عنه: قال شيخنا الأعظم و يقول: قدس الله روحه، مع شهادته عليه بالكفر و على أمثاله، و مع لعنه طائفه من خيار المؤمنين من الأولين و الآخرين».

«هؤلاء الإماميه أوتوا نصيباً من الكتاب، إذ كانوا مقرّين ببعض ما فى الكتاب المنزل، و فيهم شعبة من الإيمان بالجبت و الطاغوت و السحر و ما يعبدون من دون الله، فإنهم يعظمون الفلسفه المتضمّنه ذلك، و يرون الدعاء و العباده للموتى و اتخاذ المساجد على قبورهم، و يجعلون السفر إليها حجّاً له مناسك و يقولون مناسك حج المشاهد. و حدثنى الثقات أن فيهم من يرى الحج إليها أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عباده الله. و هذا من أعظم الإيمان بالطاغوت...».

«إنهم خارجون عن الفرقة الناجيه، فإنهم خارجون عن جماعه المسلمين، يكفرون أو يفسقون أئمه الجماعه، كأبى بكر و عمر و عثمان، دعى معاويه و ملوك بنى أميه و بنى العباس، و كذلك يكفرون أو يفسقون علماء الجماعه و عبادهم، كمالك و الثورى...».

أقول:

هذه جمل من الأشياء التى ذكرها الرجل فى الاعتراض على هذا الوجه، و هى

ص: ٢١٠

أكثر وأكثر... وفي كثير من المواضع-التي لم نذكر شيئاً عن الرجل في ذيل كلام العلامه رحمه الله-لا نجد إلا أمثال هذه الجمل، فإنما نقلنا هذه الجمل هنا ليعلم القارئ النبيه ذلك ولا يتعجب من سكوتنا عليه، و ليرى الفرق بين كلام الإماميه و كلام غيرهم، فينصف و يتدبر و يتبع الحق و أهله!!

و تجد في (المدخل) بعض التفصيل.

و على الجمله، فإن مقتضى الجمع بين الحديثين المتفق عليهما بين الفريقين، هو ما ذكره الشيخ نصير الدين الطوسي، و مقابله ذلك بالسب و الشتم دليل على العجز عن الجواب العلمى المقبول، فيتم مقصود العلامه قدس سرّه.

ص: ٢١١

قال قدس سره: الوجه الثالث: أن الإمامية جازمون بحصول النجاه لهم و لأئمتهم قاطعون على ذلك، و بحصول ضدها لغيرهم، و أهل السنه لا يجزمون بذلك لا لهم و لا لغيرهم، فيكون أتباع أولئك أولى....

جزم الإمامية بحصول النجاه لهم

الشرح:

لم يأت ابن تيمية فى الجواب عن هذا الوجه بشىء يذكر، فإنه و إن أطنب كعادته و ذكر وجوهاً، لكنها ليست إلا تكراراً للسب و الشتم و الدعاوى العاطله و المزاعم الباطله، فلنورد كلامه بلفظه ملخصاً.

قال: «و الجواب على هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان أتباع الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة و أن ذلك يوجب النجاه واجباً، كان أتباع خلفاء بنى أمية-الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقه و يقولون: إن ذلك يوجب النجاه-مصيبين على الحق، و كانوا فى سبهم علياً و غيره و قتالهم لمن قاتلوه من شيعة على مصيبين، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبه فى كل شىء!!...بل أولئك أولى بالحجّه من الشيعة، لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله و نصبهم و أيدهم و ملكهم...و معلوم أن اللطف و المصلحه التى حصلت بهم أعظم من اللطف و المصلحه التى حصلت بإمام معدوم أو عاجز! فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب، إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، و يصدّونهم عن سبيل الله!!

الوجه الثانى: إن هذا المثل إنما يكون مطابقاً لو ثبت مقدّمتان، إحداهما: أن لنا إماماً معصوماً، و الثانى أنه أمر بكذا و كذا، و كلتا المقدّمتين غير معلومه بل باطله. دع المقدمه الأولى، بل الثانى، فإن الأئمة الذين يدعى فيهم العصمه قد ماتوا منذ سنين

كثيره، و المنتظر له غائب أكثر من أربعمائه و خمسين سنه، و عند آخرين هو معدوم لم يوجد، و الذين يطاعون شيوخ من شيوخ الرافضه... يأكلون أموالهم بالباطل و يصدّون عن سبيل الله، يأمرونهم بالغلوّ في ذلك الشيخ و في خلفائه، و أن يتخذوهم أرباباً... و إن قُدر أن طريق الشيعه صواب لما فيه من القطع و الجزم بالنجاه، فطريق المشايخيه صواب لما فيه من القطع بالنجاه، و حينئذ، فيكون طريق من يعتقد أن يزيد بن معاويه كان من الأنبياء الذين يشربون الخمر و أن الخمر حلال له لأنه شربها الأنبياء- و يزيد كان منهم طريقاً صواباً، و إذا كان يزيد نبياً كان من خرج على نبي كافراً، فيلزم من ذلك كفر الحسين و غيره!!....

الوجه الثالث:... لو كان كل من قال: إن طريقى آمن موصل يكون أولى بالتصديق ممن توقف، لكان كل مفتر و جاهل يدعى فى المسائل المشتبهه أن قولى فيها هو الصواب و أنا قاطع بذلك، فيكون أتباعى أولى... و كان ينبغى أن يكون أئمه الإسماعيليه كالمعز و الحاكم و أمثالهما أولى بالاتباع من أئمه الاثنى عشريه؛ لأن أولئك يدعون من علم الغيب و كشف باطن الشريعه و علوّ الدرجه، أعظم مما تدّعيه الإثنا عشريه لأصحابهم!!....

الوجه الرابع: أن يقال: قوله: إنهم جازمون بحصول النجاه لهم دون أهل السنّه كذب؛ فإنه إن أراد بذلك أن كل واحد ممن اعتقد اعتقادهم يدخل الجنه، و إن ترك الواجبات و فعل المحرّمات، فليس هذا قول الإماميه و لا يقوله عاقل، و إن كان حبّ على حسنه لا يضرّ معها سيئه، فلا يضرّه ترك الصلوات و لا الفجور بالعلويّات، و لا نيل أغراضه بسفك دماء بنى هاشم إذا كان يحبّ عليّاً. و إن أراد بذلك أنهم يعتقدون أن كل من اعتقد الاعتقاد الصحيح و أدى الواجبات و ترك المحرّمات، يدخل الجنه، فهذا اعتقاد أهل السنه...! ففى الجملة: لا يدعون علماً صحيحاً إلّا و أهل السنّه أحقّ به، و ما ادّعوه من الجهل فهو نقص، و أهل السنّه أبعد عنه....

الوجه الخامس: إن أهل السنّه يجزمون بحصول النجاه لأئمتهم أعظم من جزم الرافضه؛ وذلك أن أئمتهم بعد النبي صلّى الله عليه وآله هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم جازمون بحصول النجاه لهؤلاء، فإنهم يشهدون أن العشره في الجنه، ويشهدون أن الله قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، بل يقولون إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجره، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وآله، فهؤلاء أكثر من ألف و أربعمائنه إمام لأهل السنّه....

الوجه السادس: أن يقال: أهل السنّه يشهدون بالنجاه مطلقاً و إما معيّناً، شهاده مستنده إلى علم. و أمّا الرافضه فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون، أو شهدوا بالزور الذي يعلمون أنه كذب، فهم كما قال الشافعي رحمه الله: ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضه...!!

فقول الرافضه: لن يدخل الجنه إلّا من كان إماميّاً، كقول اليهود و النصارى: لن يدخل الجنه إلّا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين... و من المعلوم أن المنتظر الذي يدّعيه الرافضي لا يجب على أحد طاعته...» (١).

أقول:

فهذا غايه علم ابن تيميه و تقواه!!

أمّا الإماميه، فإنهم جازمون بحصول النجاه لهم و لأئمتهم، لأنهم متمسّكون بما أمر النبي صلّى الله عليه وآله بالتمسّك به و وعد بنجاه من فعل ذلك، في الحديث المقطوع بصدوره منه. و لأنهم راكبون السيفينه التي شبّهها بسفينه نوح في اليقين بنجاه من ركبها، في الحديث المقطوع بصدوره منه كذلك.

أمّا غير الإماميه، فبمن تمسّكوا؟ و بأيّ عهدٍ من رسول الله؟ و كيف يجزمون بالنجاه؟

ص: ٢١٤

قال قدس سره: الوجه الرابع: أن الإماميه أخذوا مذهبهم عن الأئمه المعصومين عليهم السلام، المشهورين بالفضل و العلم و الزهد و الورع... و منهم تعلم الناس العلوم....

تعريف مجمل بالأئمه الاثني عشر عليهم السلام

الشرح:

أخذ الإماميه مذهبهم عن الأئمه عليهم السلام، من الأمور الواضحه المتفق عليها بين المؤلف و المخالف، و هذه كتبهم في الحديث و الفقه و الرجال تشهد بذلك، فلا يصغى إلى قول ابن تيميه:

«لا نسلم أن الإماميه أخذوا مذهبهم من أهل البيت... و ليس للشيعة أسانيد بالرجال المعروفين مثل أسانيد أهل السنه حتى ننظر في إسنادها و عداله الرجال، و إنما هي منقولات منقطعه» (١).

ثم إنه رمى علماء الشيعة و رواتها بالكذب، و نفى العصمه عن أمير المؤمنين و الأئمه، و نسب إلى الشيعة آراء و فرقاً عديده... مما هو بالسكوت عليه أجدر، فالله حسيبه و الأئمه خصماؤه.

و أما تعلم الناس العلوم من الأئمه عليهم السلام، فستعلم ذلك بتراجمهم حيث نذكر تلمذ كبار العلماء عليهم.

و أما انتشار علوم الإسلام من أمير المؤمنين عليه السلام، فسيشرحه العلامة نفسه و نزيده بياناً إن شاء الله تعالى.

ص: ٢١٥

قال قدس سره: و نزل في حقهم: «هَيْلُ أَتَى»، و آية الطهاره، و إيجاب الموده لهم، و آية الإبتهاال، و غير ذلك. و كان على عليه السلام يصلّى في كلّ يوم و ليله ألف ركعه، و يتلو القرآن مع شدّه ابتلائه بالحروب و الجهاد....

الشرح:

هذه سورة الإنسان. و أشار رحمه الله إلى آيات سيأتي ذكر نزولها بشأن أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السّلام، مع الجواب عما قاله ابن تيميه.

كما سيأتي بيان صلاه أمير المؤمنين في كلّ يوم و ليله ألف ركعه، مع التعرّض لما قاله ابن تيميه.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

قال قدس سره: فأولهم على بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله، و جعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» .

و آخاه الرسول، و زوجته ابنته و فضلُهُ لا يخفى....

الشرح:

كونه أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله ثابت من الآيات الكريمة الواردة في حقّه، و من الأحاديث التي رواها القوم في فضله- و في بعضها التصريح بالأفضليّه- و من الصفات المتوفّره فيه دون غيره، و ستقف على ذلك كلّ في خلال بحوث الكتاب.

و من هنا ذهب جماعه من أعلام الصّحابه و التابعين إلى أفضليّته بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، كما تقدّم عن كتاب الإستيعاب و غيره، و سيأتي أيضاً.

أمّا آية المبالهه و أن المراد من «أَنْفُسَنَا» هو أمير المؤمنين عليه السلام، و حديث المؤاخاه، فسيأتي الكلام عليهما.

وقد زوّج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابنته الصّديقه الطاهره فاطمه الزهراء، ولا يخفى فضل هذا التزويج و دلالاته على أفضليته عليه السلام، لوجوه مستنده إلى روايات الفريقين في هذه القضيّه، ونحن نكتفى بالإشاره إلى بعضها إجمالاً:

فأما أولاً: فلأن الله تعالى هو الذى زوّج عليّاً بفاطمه و أمر بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث قال له: «إني قد زوّجت فاطمه ابنتك من علي بن أبي طالب فى الملاء الأعلى فزوّجها منه فى الأرض».

و أما ثانياً: فلأن أبا بكر و عمر و غيرهما خطبوا فاطمه فردّهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قائلاً: «لم ينزل القضاء بعد».

و أما ثالثاً: فلأن فاطمه عليها السلام أفضل من الشيخين، و هذا مما اعترف به بعض أكابر الأئمه و الحفاظ من أهل السنّه، كمالك بن أنس و أبى القاسم السّهيلى، لكونها بضعه من النبي، لكن عليّاً عليه السلام كفّوها، فلو لم يخلق ما كان لها كفؤ، فهو أفضل منهما من هذه الناحيه أيضاً.

راجع للوقوف على الأحاديث المشار إليها فى هذه الوجوه: مجمع الزوائد ٢٠٤/٩، الرياض النضرة ١٨٣/٢، ذخائر العقبى ٢٩، كنز العمال ١١٣/٧، ١٥٣/٦، فيض القدير ٤٢١/٤، ٢١٥/٢، كنوز الحقائق ١٢٤، ٢٩، الصواعق: ٧٤.

فهل يقاس (١) سائر بنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على القول بكونهنّ من صلبه-بفاطمه عليها السلام؟

و هل يقاس عثمان-على فرض كونه صهراً له على بنتيه-بعلى عليه السلام؟ حتى يعارض تزويج على بفاطمه بتزويج عثمان.

ص: ٢١٧

هذا، بغض النظر عما كان منه في حق رقيه، وأنه آذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليله وفاه أم كلثوم، حتى منعه من النزول في قبرها، وقد روى هذه القضية عامه أرباب الصحاح والسنن (١).

كثرة معجزاته

قال قدس سره: وظهرت عنه معجزات كثيرة، حتى ادعى قوم فيه الربوبية وقتلهم، و صار إلى مقاتلتهم آخرون إلى هذه الغاية، كالنصيرية والغلاة.

الشرح:

معجزاته لا تعدّ ولا تحصى، تدلّ دلالة واضحة على أفضليته وألويته بإمامه المسلمين وخلافه رسول رب العالمين... وقد روى طرفاً منها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، كقضيته دعوته على من كتم الشهادة بحديث الغدير، حيث استشهد به الأمير للنصّ على إمامته من النبيّ عن اللطيف الخبير، وقضايا أخرى مثلها... سيذكر العلماء بعضها، وأين هذه مما وضعه القضاة واصون ولّفقه الكذابون الأذلاء، من قصص سمّوها كرامات، لأناس مبطلين مضلّين سمّوهم بالأولياء!

و من هنا ادعى بعض الناس فيه عليه السلام الربوبية، لأنهم شاهدوا منه أشياء لم يشاهدوها من أحد من قبل، ولا تصدر إلا من أقرب الناس إلى الحق سبحانه وتعالى، و تبعهم أصحاب محمد بن نصير النميري الملعون على لسان الإمام علي بن محمد العسكري عليه السلام.

و هل يجوز ترك الإقتداء بمن كان هذا شأنه، و سلوك غير سبيل المؤمنين الذين قالوا بإمامته بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كما أمر بذلك رب العالمين!؟

ص: ٢١٨

١- (١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة ٥٧٠/٢ ح ١٢٥٢، دار القلم، مسند أحمد ١٢٦/٣، المستدرک على الصحيحين ٤٧/٤، السنن الكبرى ٥٣/٤، الإصابه ٤٨٩/٤، عمده القاري في شرح صحيح البخاري ٨٥/٤.

قال قدس سره: و كان ولداه سبطا رسول الله سيدا شباب أهل الجنة....

الشرح:

قال ابن تيمية: «و أما قوله: و كان ولداه سبطا رسول الله صلى الله عليه و آله سيدا شباب أهل الجنة إمامين بنصّ النبي صلى الله عليه و آله فيقال: الذي ثبت بلا شك عن النبي صلى الله عليه و آله في الصحيح أنه قال عن الحسن: إن ابني هذا سيد و إن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. و ثبت عنه صلى الله عليه و آله أنه كان يقعد و أسامه بن زيد على فخذه و يقول: اللهم إني أحبهما و أحب من يحبهما.

و هذا يدلّ على أن ما فعله الحسن من ترك القتال على الإمامه و قصد الإصلاح بين الناس، كان محبوباً عند الله و رسوله، و لم يكن ذلك مصيبه... و لم يكن الحسن أعجز عن القتال من الحسين... و أن الذي فعله الحسن هو الأحبّ إلى الله و رسوله ممّا فعله غيره، و الله يرفع درجات المتّقين المؤمنين بعضهم على بعض، و كلّهم في الجنة، رضی الله تعالى عنهم أجمعين.

و قد ثبت أنه صلى الله عليه و آله أدخلهما مع أبيهما تحت الكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و أنه دعاهما إلى المباهلة، و فضائلهما كثيرة، و هما من أجلاء سادات المؤمنين» (١).

أقول:

أولاً: لم يتعرّض لفضيله كونهما سبطى هذه الأمة، فإن ذلك معدود من جلائل

ص: ٢١٩

فضائلهما في الأحاديث الكثيره الوارده عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، كما في ذخائر العقبي (١) وغيره من كتب الحديث و الفضائل.

و ثانياً: لم يتعرض لحديث «إن الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة» أصلاً، مع أنه من أثبت فضائلهما الكثيره كما اعترف، فقد رواه أحمد، و الترمذى، و ابن ماجه، و النسائى، و الحاكم، و ابن حجر، و ابن الأثير، و الخطيب، و أبو نعيم، و المتقى عن عدّه من كبار الحفاظ، بل في فيض القدير عن السيوطى أنه حديث متواتر (٢).

و ثالثاً: قوله: «ثبت عنه صَلَّى الله عليه و آله أنه كان يقعه و أسامه بن زيد على فخذة».

أقول: إن الحسن عليه السلام ولد سنة ثلاث من الهجره على ما فى الإستيعاب (٣)، و أسامه ولد قبلها بعشر سنوات تقريباً، فلو كان الحسن حين كان يقعه النبى صَلَّى الله عليه و آله على فخذة ابن سنتين أو ثلاث، كان أسامه ابن ثلاث عشره سنه، و مثله لا يقعد على الفخذ....

بل الثابت أنه كان يجلس الحسين على فخذيه و يقول ذلك.

بل إن أسامه من رواه الخبر- فيمن رواه من الصحابه- كما فى الصواعق عن

ص: ٢٢٠

١- (١) ذخائر العقبي فى مناقب ذوى القربى: ١٣٠.

٢- (٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٥٥٠/٣، مسند أحمد ٣/٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢، ٣٩١/٥ و ٣٩٢، سنن الترمذى ٣٢١/٥ و ٣٢٦، سنن ابن ماجه ٤٤/١، خصائص على: ١٢٣، المستدرک ١٦٧/٣ و ٣٨١/٣، الإصابه: ترجمه الحسن بن على عليهما السلام ٦٣/٢، أسد الغابه: ترجمه الحسن عليه السلام ١١/٢، تاريخ بغداد ١٥٠/١ و ١٨١/٢ و ٤٢٩/٤ و ٣٦٩/٦ و ٢٣٠/٩ و ٢٣١، ٢٣٠/١٠ و ٩١/١١ و ٤/١٢، كنز العمال ٢٦/٧ و ٥٧٣/١١ و ٩٦/١٢ و ١٠٢ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ٦٤٠/١٣ و ٦٦١ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٧٧، حليه الأولياء ١٣٩/٤.

٣- (٣) الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ٣٨٤/١.

الترمذى (١) و فى كنز العمال، و فىض القدير عن الطبرانى (٢). فكأن الحديث الذى أورده الرجل محرف، و إن كان كذلك فى الكتب الموصوفه بالصحة.

و يشهد بما ذكرنا وروده فى مواضع بلفظ: «عن أسامه كان النبى صلى الله عليه و آله يأخذنى و الحسن فيقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما»، رواه جماعه منهم بترجمه أسامه أو الحسن.

و كأن راويه التفت إلى الإشكال فأبدل اللفظ إلى «يأخذنى».

و الذى يؤكد الإشكال و يوضح الحال: ما أخرجه الترمذى فى باب مناقبهما عن أسامه قال: «طرت رسول الله صلى الله عليه و آله ذات ليله لبعض الحاجه، فخرج النبى و هو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو. فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه؟ فكشف عنه فإذا حسن و حسين على وركيه فقال: هذان ابنائى و ابنا ابنتى، اللهم إنك تعلم أنى أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أنى أحبهما فأحبهما و أحب من يحبهما» (٣).

فكان أسامه -حينما كان الرسول يحتضن السبطين- بالغاً مبلغ الرجال، يطرق الرسول لبعض الحاجه.

فالسؤال هو: كيف خفى كل هذا على هذا المدعى و المعترض المغرض؟!

و نحن لا ننكر أنه صلى الله عليه و آله كان يحب أسامه، لكن الدعاء المذكور فضيله تختص بالحسين عليهما السلام، و لا ريب فى أن دعاءه صلى الله عليه و آله مستجاب، و ما ذكره الرجل كذب.

ص: ٢٢١

١-١) الصواعق المحرقة: ٨٢.

٢-٢) كنز العمال ٢٢١/٦، فىض القدير ٤١٥/٣.

٣-٣) صحيح الترمذى ٣٢٢/٥.

ورابعاً: إن من الأحاديث المتفق عليها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الحسن و الحسين إمامان إن قاما و إن قعدا»، و ممن رواه من أهل السنه: الصفورى فى نزّهه المجالس، و الصديق القنوجى فى السراج الوهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج فى باب المناقب، و فى الإتحاف بحب الأشراف: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال لهما: «أنتما الإمامان و لأتمكما الشفاعه» (١).

و قد ذكر العلامه فى الفصل الرابع من الكتاب أدلّه الإماميه على إمامه باقى الأئمه عليهم السّلام، فذكر فيها أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال للحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمه تسعه».

و حينئذ، يكون ما فعله الإمام الحسن عليه السلام و ما فعله الإمام الحسين عليه السلام مرضياً لله و رسوله بلا فرق أصلاً، فكلاهما إمام معصوم قام بما كان واجباً عليه فى زمان إمامته.

زهدهما و علمهما

قال قدس سره: إمامين بنصّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و كانا أزهد الناس و أعلمهم فى زمانهما.

الشرح:

و هذا أيضاً سكت عليه ابن تيميه، و كأنه معترف بمفاد الأحاديث التى ذكرناها، و على كلّ حال، فإن نصّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غير منحصر بهذه الأحاديث، و من أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه.

ثم قال ابن تيميه: «و أما كونهما أزهد الناس و أعلمهم فى زمانهما. فهذا قول بلا دليل» (٢).

ص: ٢٢٢

١- (١) الإتحاف بحب الأشراف: ١٢٩، نزّهه المجالس ١٨٤/٢، مناقب آل أبى طالب ١٦٣/٣.

٢- (٢) منهاج السنّه ٤١/٤.

أقول:

لو كان عنده دليل -و لو ضعيفاً- ينقض به ما ذكره العلامة، لأنني به، لأنه حاول الردّ حتى بالأباطيل و الأكاذيب كما فعل في مواضع كثيرة، فسكوته أقوى دليل.

و كيف يطالب بالدليل على الأزهدية و الأعلمية لهما، و هما إمامان بالنصوص المتواترة و البراهين المتقنه، و الإمام يجب أن يكون أزهد و أعلم أهل زمانه؟

و من مظاهر زهد الإمام الحسن عليه السلام، أنه قاسم الله ماله مرّتين أو ثلاث مرّات، و هذا من الأمور الثابتة التي رواها من لا يقول بإمامته، كأبي نعيم في حليته، و ابن عساكر في تأريخه (١).

و من ذلك: ما رواه ابن عساكر بترجمته من تأريخه، بسنده عن مدرّك بن زياد -أحد الصحابة- قال: «كنا في حيطان ابن عباس و حسن و حسين، فطافوا في البستان، فنظروا ثم جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مدرّك أ عندك غداء؟ قلت: قد خبزنا. قال: ائت به. قال: فجئته بخبز و شيء من ملح جريش و طاقتين من بقل، فأكل ثم قال: يا مدرّك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه -و كان كثير الطعام طيبه- فقال لي: يا مدرّك، إجمع لي غلمان البستان. قال: فقدم إليهم فأكلوا و لم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك كان أشهى عندي من هذا» (٢).

و من مظاهر زهد الإمام الحسين عليه السلام: ما رواه القوم أيضاً من أنه: «حجّ خمسه و عشرين حجّه ماشياً و إن النجائب تقاد معه».

و من ذلك أنه قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك؟ فقال: «لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا» (٣).

ص: ٢٢٣

١- ١) حليه الأولياء ٣٧/٢، تاريخ مدينه دمشق ٢٤٤، ١٣/٢٤٣، و سنن البيهقي ٣٣١/٤.

٢- ٢) تاريخ مدينه دمشق ١٣/٢٢٨-٢٣٩.

٣- ٣) مناقب آل أبي طالب ٢٤٤/٣.

أما أعلمتّهما من أهل زمانهما، ففي غاية الوضوح، فإنهما الوارثان لعلوم أبيهما باب مدينة علم النبي و أقضى الأمه من بعده، و من هنا كانا مستغنيين عن غيرهما و الكلّ محتاج إلى علمهما.

و قد روى: أنه استفتى أعرابي عبد الله بن الزبير و عمرو بن عثمان، فتواكلا، فقال:

اتقيا الله فإنني أتيتكما مسترشداً، أ مواكله في الدين! فأشارا عليه بالحسن و الحسين فأتاها (١).

جهادهما

قال قدس سره: و جاهدا في سبيل الله حتى قتلا. و لبس الحسن عليه السلام الصّوف تحت ثيابه الفاخره من غير أن يشعر أحداً بذلك.

الشرح:

قال ابن تيميه: «و أمّا قوله: و جاهدا في الله حق جهاده حتى قتلا. فهذا كذب عليهما، فإن الحسن تخلّى عن الأمر و سلّمه إلى معاويه و معه جيوش، و ما كان يختار قتال المسلمين قط، و هذه متواتره في فضائله. و أما موته فقيل: إنه مات مسموماً، و هذه شهاده له و كرامه في حقّه، لكن لم يمت مقاتلاً. و الحسين رضى الله عنه ما خرج مقاتلاً...» (٢).

أقول:

لقد ذكر العلّامة عن الإمامين السبطين أمرين، أحدهما: إنهما جاهدا في الله حق جهاده. و الآخر: إنهما قتلا حال كونهما مجاهدين في الله حق جهاده، فأيتهما كذب عليهما؟

كأن هذا الرجل يجهل أو يتجاهل أن (الجهاد) في الله لا يختص ب(القتال) و أن (القتل) في سبيل الله و (الشهاده) لا يختص ب(السيف)؟!

ص: ٢٢٤

١- (١) تاريخ دمشق ١٣/٢٣٨.

٢- (٢) منهاج السنه ٤/٤١-٤٢.

و إذا عرفت أن الوقوف مطلقاً أمام الكفر و الجور (جهاد) و أن الموت فى تلك الحال (شهادة) عرفت من الكاذب!!

ثم قال ابن تيميه: «و أما قوله عن الحسن إنه لبس الصوف تحت ثيابه الفاخره، فهذا من جنس قوله فى على إنه كان يصلى ألف ركعه. فإن هذا لا فضيله فيه، و هو كذب.

أقول:

إن هذا الرجل، إما لا يفهم معنى العباده و الزهد و جهاد النفس، و إما أن العناد لأهل البيت عليهم السلام يحمله على إنكار حتى مثل هذه المناقب و المراتب لهم....

لكن العلماء قد كتب لمن يفهم العباده و ترويض النفس، و يعترف بأن ذلك من الفضائل المؤهله لأصحابها للإقتداء بهم فى تلك الأعمال و غيرها، و ليشير إلى أن الفضل فى أن يلبس الإنسان الخشن لله فلا يعلم بذلك أحداً، لا أن يلبسه للخلق و يتظاهر بذلك بين الناس فيجلب قلوبهم و يشتهر بالزهد فيهم، كما كان يصنع غيرهم، حتى صار الزهد علماً لهم، و ألفت فى ضلالتهم الكتب، و جاء هذا الرجل يقول:

«و هذه كتب المسلمين التى ذكر فيها زهاد الأمه ليس فيهم رافضى!»

بين الحسين و إبراهيم ابن رسول الله

قال قدس سره: و أخذ النبى يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن و ولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام و قال: إن الله لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما....

الشرح:

قال ابن تيميه: «هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم، و لا يعرف له إسناد، و لا يعرف فى شىء من كتب الحديث، و هذا الناقل لم يذكر لنا إسناده و لا عزاه إلى كتب الحديث، لكن ذكره على عادته من روايته أحاديث سائبه، بلا زمام و لا خطام، و النقل

ص: ٢٢٥

المجّرّد بمنزله سائر الدعاوى، ثم يقال: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وهو من أحاديث الجهّال» (١).

أقول:

أولاً: قولك: هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث. كذب كما ستعلم.

و ثانياً: ليس من دأب المؤلّفين في الكتب الكلاميّة ذكر الأحاديث المستدلّ بها بالإسناد، فهذه كتب الكلام كالمواقف و شرحها، والمقاصد و شرحها، و كتب البيضاوى و غيرها، تذكر فيها الأحاديث بلا أسانيد، و من هنا جاء من بعدهم فألفوا الكتب في تخريج أحاديث تلك الكتب، فإن كان ما ذكرته حقاً توجّه إلى الجميع.

و ثالثاً: إنه كثيراً ما يعزو العلّامة الحديث إلى ناقله، فليس من عادته ما ذكرته.

و رابعاً: إذا كان النقل المجّرّد بمنزله سائر الدعاوى، فلما ذا تقتصر أنت في كثير من الموارد بالنقل المجّرّد؟

و خامساً: إن كان ما أورده العلّامة لم ينقله أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث، فلما ذا وصفته بالحديث و حكمت عليه بالوضع؟ و كيف قام الإتفاق من أهل المعرفة بالحديث على وضع ما ليس له وجود في شيء من كتب الحديث؟

و بعد؛ فمن رواه الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، و هو من أهل العلم عندهم! في كتابه تاريخ بغداد، و هو من كتبهم المعتره!

قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقرئ قال: نبأنا محمد بن الحسن النقاش قال: زيد بن الحباب قال: نبأنا سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن أبي العباس قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه و آله على فخذ الأيسر ابنه

ص: ٢٢٦

إبراهيم، و علي فخذة الأيمن الحسين بن علي، تاره يقبل هذا و تاره يقبل هذا، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام بوحي من ربّ العالمين، فلمّا سرى عنه قال: أتانى جبريل من ربي فقال لي: يا محمد، ربّك يقرأ عليك السلام و يقول لك: لست أجمعهما لك، فافد أحدهما بصاحبه. فنظر النبي صلّى الله عليه و آله إلى إبراهيم فبكى، و نظر إلى الحسين فبكى، ثم قال: إن إبراهيم أمّه أمه، و متى مات لم يحزن عليه غيرى، و أم الحسين فاطمه، و أبوه علي ابن عمى، لحمى و دمى، و متى مات حزنت ابنتى فاطمه و حزن ابن عمى و حزنت أنا عليه، و أنا أوثر حزنى على حزنهما. يا جبريل تقبض إبراهيم، فديته بإبراهيم. قال: فقبض بعد ثلاث. فكان النبي صلّى الله عليه و آله إذا رأى الحسين مقبلاً قبله و ضمّه إلى صدره و رشف ثناياه و قال: فديت من فديته بابنى إبراهيم» (١).

أقول:

و ابن تيمية راجلٌ فى علم الحديث، فيقلّد فى الأغلب- ابن الجوزى فى طعنه فى مناقب أهل البيت عليهم السّلام، و قد أدرج ابن الجوزى- كعادته- هذا الحديث فى كتاب الموضوعات (٢)، لأن روايه- و هو أبو بكر ابن النقاش- قد كذّبه الرجاليون.

و أهل العلم يعلمون بأنّ ابن الجوزى متسرّع فى رمى الأحاديث بالوضع، و لذا تكلم غير واحدٍ من الحفاظ فيه و فى كتابه المذكور، و ستتعرض لذلك فى محلّه المناسب.

هذا أوّلاً.

و ثانياً: لقد وجدناهم فى كثيرٍ من المواضع، يعتمدون على روايه النقاش و أقواله فى الأحاديث و الرجال، ممّا يدلُّ على أنّ لتكلمهم فيه سبباً آخر، فحاله حال الحافظ ابن خراش الذى تكلموا فيه و اعتمدوا عليه كثيراً.

و للكلام عن مثل هذه الامور مجال آخر.

ص: ٢٢٧

١- ١) تاريخ بغداد ٢/٢٠٠-٢٠١.

٢- ٢) كتاب الموضوعات ١/٤٠٧.

قال قدس سره: و كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره....

الشرح:

قال ابن تيمية: «و أما علي بن الحسين، فمن كبار التابعين و ساداتهم علماء و ديناً، أخذ عن: أبيه، و ابن عباس، و المسور بن مخرمه، و أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه و آله، و عائشه و أم سلمه و صفية أمهات المؤمنين، و عن مروان بن الحكم، و سعيد بن المسيب، و عبد الله بن عثمان، و ذكوان مولى عائشه، و غيرهم. رضى الله تعالى عنهم.

و روى عنه: أبو سلمه بن عبد الرحمن، و يحيى بن سعيد الأنصارى، و الزهرى، و أبو الزناد، و زيد بن أسلم، و ابنه أبو جعفر.

قال يحيى بن سعيد: هو أفضل هاشمى رأيت في المدينة.

و قال محمد بن سعد في الطبقات: كأن ثقه مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً.

و روى عن حماد بن زيد قال: سمعت علي بن الحسين - و كان أفضل هاشمى أدركته - يقول: يا أيها الناس أحبونا حبّ الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا.

و عن شيبه بن نعامه قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلمّا مات وجدوه يقوت مائه أهل بيت بالمدينة في السرّ. و له من الخشوع و صدقه السرّ و غير ذلك من الفضائل ما هو معروف.

حتى أنه كان من صلاحه و دينه يتخطى مجالس أكابر الناس و يجالس زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب - و كان من خيار أهل العلم و الدّين من التابعين - فيقال له:

تدع مجالس قومك و تجالس هذا؟ فيقول: إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه.

و أمّا ما ذكره من قيام ألف ركعه، فقد تقدّم أن هذا لا يمكن إلّا على وجه مكروه في

الشريعة، أو لا يمكن بحال، فلا يصلح ذكره لمثل هذا في المناقب.

و كذلك ما ذكره من تسميه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله له سيد العابدين، هو شيء لا أصل له، و لم يروه أحد من أهل العلم و الدين» (١).

أقول: هذا كلّ ما ذكره الرجل حول الإمام السّجّاد عليه السلام، أو رده بنصّه، فأقول:

أولاً: لقد سكت عن بعض ما ذكره العلّامة، و سكوته دليل القبول، لكنّ نفسه لم تسمح له بالتصريح، نعم، لقد كان الإمام على بن الحسين عليه السلام أعبد أهل زمانه عند الخاصّ و العام، يصوم نهاره، و يقوم ليله، و يتلو الكتاب العزيز، و يدعو بالأدعية المنقولة... ثم يرمى الصحيفة كالمضجّر... و كان يبكي كثيراً... و سجد حتى حشى مساجده... و عن الجواب عن كلّ هذا سكت الرجل، و كلّه ثابت سواء قبل أو أنكر...

و سكت أيضاً عن قضيه استلامه الحجر بعد أن لم يمكن ذلك لهشام، و شعر الفرزدق في هذه القضيه... و أنّي له أو لغيره إنكار قضيه تجاوزت حدّ الروايه و عدّت من ضروريات التأريخ!!

و ثانياً: لقد اعترف بكون الإمام عليه السلام من كبار التابعين و ساداتهم علماً و ديناً، و نقل كلمات عن بعض أكابر القوم في الثناء عليه.

و أقول: إن الإمام على بن الحسين عليه السلام إمام معصوم منصوص عليه، و الأدلّه النقليه و العقليّه على إمامته كثيره مذكوره في محلّها، فعده من (التابعين) إنما هو على اصطلاح أهل السنّه.

و لقد كان بإمكان الرجل نقل كلمات أخرى، لكن منعه عن ذلك بغضه و عناده، و إلّا فقد أظنّب في موارد كثيره بأباطيل و أكاذيب، و ربما كرّر المطلب الواحد أكثر من

ص: ٢٢٩

مرّه، و ربّما تعرّض في مواضع لبحوث خارجه عن المقصود فيها. بل لم تسمح له نفسه بإيراد كلّ ما نقله محمد بن سعد و أبو نعيم الحافظ بترجمته من الطبقات و الحليه، فنقل عنهما بعض ما ورد فيهما.

و ثالثاً: لقد أنكر ما ذكره العلّامة من صلاه الإمام في اليوم و الليله ألف ركعه، و ما ذكره من تسميه رسول الله صلّى الله عليه و آله له سيد العابدين و قال: «هو شيء لا أصل له و لم يروه أحد من أهل العلم و الدين».

أقول:

أمّا الصّلاه ألف ركعه في كلّ يوم و ليله. فكان ذلك عمله كأبيه و جدّه... كما ستعرف في محلّه من الكتاب.

و أمّا تسميه الرسول صلّى الله عليه و آله إيّاه سيّد العابدين. فذاك مروى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله في كتب الفريقين، و ميّن رواه من العامّه الحافظ سبط ابن الجوزى عن المدائني عن جابر بن عبد الله أنه قال لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «رسول الله يسلم عليك، فقيل لجابر: و كيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله و الحسين في حجره و هو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له ولد اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام» (١).

و قال ابن حجر المكي بترجمه ولده الإمام الباقر عليه السلام: «و كفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له و هو صغير: رسول الله صلّى الله عليه و آله يسلم عليك. فقيل له: و كيف ذاك؟ قال: كنت جالساً..» (٢).

و رواه أبو عمر الزاهد في كتابه (اليواقيت) عن الزهري.

ص: ٢٣٠

١- ١) تذكره الخواص من الأئمه: ٣٣٧.

٢- ٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

و فى الحليه: «و كان الزهرى إذا ذكر على بن الحسين يبكى و يقول:

زين العابدين» (١).

و لقد جاء وصفه عليه السلام ب(سيد العابدين) أو(زين العابدين) فى سائر الكتب المذكوره فيها أحواله و ترجمته (٢).

فهل يكفى هذا القدر لبيان كذب الرجل؟!

و رابعاً: لقد ذكر أشياء لا بدّ من التحقيق حولها:

أخذه عن أبيه و ابن عباس و... فإن الإمام زين العابدين أخذ عن أبيه الإمام الحسين الشهيد، و الحسين السبط أخذ عن والده أمير المؤمنين عليهم السّلام، و هو عن رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه و آله. و حسب السّجاد أخذه عن والده، فإنه حينئذ وارث علوم سيد النبيين صلّى الله عليه و آله، و غنّى عن الأخذ عن غيره، لأنّ الذين ذكرهم لم يدانوه فى العلم و الفضل أصلاً، بل فيهم من لا يعدّ من أهل العلم.

و لا- ريب فى أن أفضل من ذكر اسمه- بعد الحسين عليه السلام- هو ابن عباس، لكن كلّ ما عنده من العلم مأخوذ عن على و الحسين صلوات الله و سلامه عليهم، و هو بعض ما ورثه السّجاد عنهم....

و من الإفك ما ذكره ابن تيميه من أنه أخذ عن عائشه و مروان بن الحكم، فإن كلّ عاقل يعلم بأن لا نسبه بينه و بينهما فى العلم و الفضيله، و مع ما كان منهما بالنسبه إلى جدّه أمير المؤمنين و عمّه الحسن السبط الأكبر عليهم السّلام، و ما ورد فى مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين!!

كما أن ما ذكره من أنه كان يتخطّى مجالس أكابر الناس... كذب واضح، و لو كان

ص: ٢٣١

١- ١) حليه الأولياء ١٣٥/٣.

٢ - ٢) أنظر مثلاً: وفيات الأعيان ٢٦٦/٣، حليه الأولياء ١٣٣/٣، تذكره الحفاظ ٧٤/١، تهذيب التهذيب ٢٦٨/٧، طبقات الحفاظ: ٣٧، طبقات القراء ٥٣٤/١.

هناك مجالسه بينهما، فإن الأمر بالعكس، فقد عدّ زيد بن أسلم في كتبنا في أصحاب السجّاد عليه السلام، كما أن الرجل نفسه عدّه فيمن أخذ عنه عليه السلام، واللفظ الذي رواه الحافظ أبو نعيم: «كان علي بن الحسين يتخطّى حلق قومه حتى زيد بن أسلم فيجلس عنده، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه» (١). فهو الذي كان ينفع زيدا -بناءً على صحه هذا الخبر- لأنه كان يقول: «من كتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجراً رفاً فلا ينفعه أبداً» (٢).

أقول:

و كم كذبوا على هذا الإمام، كما كذبوا على آبائه و أبنائه عليهم السّلام!؟

فلقد جاء في أصحّ كتبهم أعنى البخارى: «و قال علي بن الحسين: يعنى مثنى أو ثلاث أو رباع»، قال شراحه: «و هذا من أحسن الأدلّه في الردّ على الرافضه، لكونه من تفسير زين العابدين، و هو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم و يعتقدون عصمتهم» (٣).

و حاصله نسبه القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، و هى نسبه كاذبه لا أساس لها من الصحه أبداً، بل الأمر بالعكس، فإن القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع منهنّ، منسوب إلى غير واحد من كبار فقهاءهم، مستدلّين بالآيه المباركه، كما لا يخفى على من راجع كتبهم فى الفقه و الحديث (٤).

بل فيهم من قال بجواز التزوّج بأى عدد شاء من النساء، و ذكره النيسابورى بتفسير الآيه من تفسيره (٥).

ص: ٢٣٢

١-١) حليه الأولياء ١٣٨/٣.

٢-٢) حليه الأولياء ١٤٠/٣.

٣-٣) فتح البارى ١١٤/٩، إرشاد السارى ٢٦/٨، عمده القارى ٩١/٢٠.

٤-٤) تبين الحقائق للزيلعى الحنفى ١٤٣/١، و نيل الأوطار للشوكانى ١٦٩/٦.

٥-٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٧٢/٤.

قال قدس سره: و كان قد حجّ هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له، فقال الفرزدق....

الشرح:

الفرزدق هو: همام بن غالب الدارمي التميمي البصري، كنيته: أبو فراس، ولد سنة ١٩، قدّمه أئمة الأدب على مثل جرير و الأخطل، و قال بعضهم: «لو لا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغه العرب».

اشتهر أخيراً بتجاهره بحبّ أهل البيت عليهم السلام و دفاعه عنهم.

و قصيدته الرائعة المشهوره من أقوى الشواهد على إيمانه بإمامتهم و ولايتهم بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله.

قال السيد المرتضى: «كان الفرزدق قد نزع في آخر عمره عمّا كان عليه من القذف و الفسق، و راجع طريقه الدّين، على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً عن الدّين جملة و لا مهملاً أمره أصلاً».

و توفي بالبصره سنة ١١٠ و قد قارب المائة (١).

رويت هذه القصّه و القصيده في كثير من مؤلّفات الفريقين، و نحن نكتفي بذكر عدّه من كتب أهل السنّه فقط:

١- حليه الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني ١٣٩/٣.

٢- تذكرة خواص الأمه لسبط ابن الجوزي الحنفي: ٣٢٩.

٣- وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٠٠/٢.

ص: ٢٣٣

١ - ١) توجد ترجمته في: أمالي المرتضى ١/٦٢، الأغاني ٢١/٢٩٩، الدرجات الرفيعه: ٥٤٢، معجم الأدباء ٧/٢٥٢، خزانه الأدب ١/٢٠٢، شذرات الذهب ١/١٤١ و غيرها.

٤-صفه الصفوه لابن الجوزى الحنبلى ٥٥/٢.

٥-تاريخ ابن كثير ١٠٨/٩.

٦-مرآه الجنان لليافعى ٢٣٩/١.

٧-مطالب السؤل لابن طلحه الشافعى: ٦٤.

٨-حياه الحيوان للدميرى ٩/١.

٩-شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ١٤٢/١.

١٠-زهر الآداب للقيروانى ١٠٢/١.

١١-شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطى: ٢٤٩.

١٢-كفايه الطالب للكنجى الشافعى: ٣٠٣.

١٣-شرح الحماسه للتبريزى ٨٢/٤.

١٤-الفصول المهمه لابن الصباغ المالكى: ١٩٣.

١٥-الصواعق المحرقه لابن حجر: ١٢٠.

١٦-قصص العرب لأحمد جاد المولى ٢٥٤/٢.

١٧-جواهر الأدب لأحمد الهاشمى ١٥/٢.

١٨-نور الأبصار للشبلنجى: ١٩٣.

وقد أورد ذلك ابن تيميه، ولم يتكلم عليه بشىء!

و تفاوتت روايتهم للقصيده فى أبياتها زياده و نقيصه.

قال قدس سره: و كان بالمدينه قوم يأتهم رزقهم ليلاً و لا يعرفون ممن هو، فلما مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم....

الشرح:

هذا مما اعترف به ابن تيميه، واتفق عليه المؤرخون من الفريقين (١).

ص: ٢٣٤

١-١) أنظر مثلاً: حليه الأولياء ١٣٩/٣ صفه الصفوه ٧٠/٢.

قال قدس سره: و كان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً و عباده، بقر السجود جبهته، و كان أعلم أهل وقته.

الشرح:

قال ابن تيميه: «و كذلك أبو جعفر محمد بن علي، من خيار أهل العلم و الدين، و قيل: إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته، و أمّا كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل، و الزهري من أقرانه و هو عند الناس أعلم منه» (١).

أقول:

لم يعترض على العلامة وصفه الإمام الباقر عليه السلام بـ «أعظم الناس زهداً و عباده» و لم يقره بصراحه حقداً و عناداً!

أمّا أنه سمي الباقر لأنه بقر العلم، فهذا ما يقوله العلماء، و سينقل الخبر فيه و إنها تسميه من النبي صلى الله عليه و آله، و إنما قال: «أعظم الناس زهداً و عباده، بقر السجود جبهته» لبيان كثرة عبادته، لكن في (الطبقات): «حدثني هارون بن عبد الله بن الوليد المصيصي قال: رأيت محمد بن علي بن علي جبهته و أنفه أثر السجود ليس بالكثير» (٢)، و الحافظ سبط ابن الجوزي الحنفي قال: «و إنما سمي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته، أي فتحها و وسعها، و قيل لغزاره علمه، قال الجوهري في الصحاح:

التبقر التوسع في العلم، قال: و كان يقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الباقر، لتبقره في العلم» (٣).

ص: ٢٣٥

١- ١) منهاج السنه ٥٠/٤-٥١.

٢- ٢) طبقات ابن سعد ٣٢٣/٥.

٣- ٣) تذكره خواص الأمه: ٣٦٦.

و أما قوله: «كونه أعلم أهل زمانه يحتاج إلى دليل، و الزهري من أقرانه و هو عند الناس أعلم منه» فيقال:

أولاً: لو أمكنه إنكار ذلك لباح بذلك، فإمسأكه عن الإنكار- مع ما هو عليه من العناد لآل البيت الأطهار- دليل.

و ثانياً: اشتهاره بالباقر- لأنه بقر العلم و وسّعه، و هذا الوجه في التسميه هو الذي ذكره- دليل آخر.

و ثالثاً: لو كان في عصره أعلم منه لاشتهر و عرف، و كيف و أئمة القوم- الذين ما زالوا يقلّدونهم- هم تلامذته كما ستعرف.

موجز ترجمه إمامهم الزهري

رابعاً: إنه قد ذكر الزهري في مقابله الباقر عليه السلام، لكنه نسب القول بأعلميته إلى الناس، و كأنه غير جازم بهذه الدعوى! لكن من هؤلاء الناس الذين يقولون بأعلميته الزهري من الباقر عليه السلام؟ لقد نسب هذا إلى «الناس» هنا، و كان من قبل نسبه إلى «اتفاق أهل العلم» حيث قال: «... فالزهري أعلم بأحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ أَحْوَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ باتفاق أهل العلم، من أبي جعفر محمد بن علي، و كان معاصراً له» (١).

إنه يريد الحطّ من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام! لكنه يعلم بأن آراءه لا قيمة لها، فينسب مزاعمه تارة إلى «أهل العلم» و إلى «الناس» أخرى! و هل يقول أحد- إذا كان من أهل العلم و الدّين حقاً- بأعلميته، و الكلّ يشهدون بأنه من الراويين و الآخذين عن الباقر فيمن أخذ و روى؟ و ما الذي يحمله على ذكر خصوص الزهري و التبجّح به في مقابله أئمة أهل البيت في غير موضع من كتابه؟

الحقيقه، أن الزهري من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين و أهل البيت الطاهرين

ص: ٢٣٦

عليهم السّلام، فالرجل إنما يذكره لكونه على رأيه و اعتقاده، على ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلى الحنفى، فإنه قال: «و كان الزهرى من المنحرفين عنه عليه السلام. و روى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبه قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهرى و عروه بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السلام فنالا. منه، فبلغ ذلك على ابن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروه، فإن أبى حاكم أباك إلى الله فحكم لأبى على أيبك. و أما أنت يا زهرى، فلو كنت بمكة لأريتك كير أيبك» قال: «و روى عاصم بن أبى عامر البجلي عن يحيى بن عروه قال: كان أبى إذا ذكر عليّاً نال منه» (١).

و يؤكّد هذا سعيه وراء إنكار مناقب الأمير عليه السلام، كمنقبه سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبد البر بترجمه زيد بن حارثه: «و ذكر معمر فى جامعه عن الزهرى قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثه. قال عبد الرزاق: و ما أعلم أحداً ذكره غير الزهرى» (٢).

و روايته عن عمر بن سعد اللعين قاتل الحسين بن على أمير المؤمنين عليه السلام، قال الذهبى: «عمر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، و عنه إبراهيم و أبو إسحاق، و أرسل عنه الزهرى و قتاده. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقته؟» (٣).

و كونه من عمال بنى أمية و مشيّدى سلطانهم، حتى أنكر عليه ذلك العلماء و الزهاد، فقد ذكر العلامة الدهلوى بترجمته من (رجال المشكاة): «أنه قد ابتلى بصحبه الأمراء بقّله الديانة، و كان أقرانه من العلماء و الزهاد يأخذون عليه و ينكرون ذلك منه، و كان يقول: أنا شريك فى خيرهم دون شرهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه و تسكت؟!».

و من هنا قدح فيه ابن معين، فقد حكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: «أجود الأسانيد الأعمش عن إبراهيم عن علقمه عن عبد الله. فقال له إنسان: الأعمش مثل

ص: ٢٣٧

١-١ شرح نهج البلاغه ١٠٢/٤.

٢-٢ الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ٥٤٦/٢.

٣-٣ تهذيب الكمال ٣٥٧/٢١ و تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧ و ميزان الاعتدال ١٩٩/٣.

الزهرى. فقال: تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهرى! الزهرى يرى العرض والإجازة، و يعمل لبنى أميه، والأعمش فقير صبور بجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن» (١).

و قال الذهبى: «أبو بكر ابن شاذان البغدادي، حدثنا على بن محمد السواق، حدثنا جعفر بن مكرم الدقاق، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبه قال: خرجت أنا و هشيم إلى مكه، فلما قدمنا الكوفه رأنى هشيم مع أبى إسحاق فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيح، فلما خرجنا جعلت أقول: حدثنا أبو إسحاق، قال: و أين رأيتة؟ قلت: هو الذى قلت لك:

شاعر السبيح. فلما قدمنا مكه مررت به و هو قاعد مع الزهرى فقلت: يا أبا معاويه من هذا؟ قال: شرطى لبنى أميه، فلما قفلنا جعل يقول: حدثنا الزهرى فقلت: و أين رأيتة؟ قال: الذى رأيتة معى. قلت: أرنى الكتاب، و أخرجه. فخرقته» (٢).

و قال الذهبى: «قال أحمد بن عبدويه المروزي: سمعت خارجه بن مصعب يقول: قدمت على الزهرى و هو صاحب شرط بنى أميه، فرأيتة ركب و فى يديه حربه، و بين يديه الناس فى أيديهم الكافر كوبات، فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه» (٣).

هذا؛ و لقد ورث الزهرى هذا العدا للإسلام و النبى و أهل بيت النبوه عليهم السّلام من آباءه! فقد ذكر ابن خلكان بترجمته: «و كان أبو جدّه عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرًا، و كان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلّى الله عليه و آله ليقتلنه أو ليقتلنّ دونه.

و روى: أنه قيل للزهرى: هل شهد جدّك بدرًا؟ فقال: نعم و لكن من ذلك الجانب.

يعنى أنه كان فى صفّ المشركين.

و كان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير.

ص: ٢٣٨

١- (١) تهذيب التهذيب ١٩٧/٤ ترجمه الأعمش.

٢- (٢) سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٧.

٣- (٣) ميزان الاعتدال ٦٢٥/١.

و لم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك، و كان يزيد بن عبد الملك قد استقضاها» (١).

سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ الْبَاقِرِ

قال قدس سره: و سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ الْبَاقِرِ، جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه....

الشرح:

هذا الخبر مما اتفق الطرفان على روايته، و قد مضى ذكره.

و قال ابن شهر آشوب: «حديث جابر مشهور معروف، رواه فقهاء المدينة و العراق كلهم» (٢).

و في (كشف الغم) نقله عن ابن الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال: «كنا عند جابر بن عبد الله، فأتاه علي بن الحسين و معه ابنه محمد و هو صبي...» (٣).

و روى ابن قتيبة: «أن هشاماً قال لزيد بن علي: ما فعل أخوك البقره؟ فقال زيد:

سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ بَاقِرِ الْعِلْمِ، و أنت تسميه بقر! فاختلفتما إذن» (٤).

و قال الزبيدي الحنفي في (الباقر): «قلت: و قد ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ لَهُ: يَوْشِكُ أَنْ تَبْقَى حَتَّى تَلْقَى وَلِداً لِي مِنَ الْحُسَيْنِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ، يُبْقِرُ الْعِلْمَ بَقْرًا، فَإِذَا لَقَيْتَهُ فَاقْرَأْهُ مِنْي السَّلَامَ. خَرَّجَهُ أئِمَّةُ النَّسَبِ» (٥).

ص: ٢٣٩

١-١) وفيات الأعيان ١٧٨/٤.

٢-٢) مناقب آل أبي طالب ٣٢٨/٣.

٣-٣) كشف الغم في معرفة الأئمة ٣٣٠/٢.

٤-٤) عيون الأخبار ٢١٢/١.

٥-٥) تاج العروس ٥٥/٣.

و هذا القدر كاف لتبيين كذب المفتري القائل: «و نقل تسميته بالباقر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعه. و كذلك حديث تبليغ جابر له السلام، هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث!!» هذا، و لا بدّ من التنبيه على أن جملة «و هو صغير في الكتاب» غير وارده في طرق الإماميه المعتمده.

روى عنه أبو حنيفة و غيره

قال قدس سره: روى عنه أبو حنيفة و غيره.

الشرح:

ذكر روايه أبى حنيفة و غيره عن الباقر عليه السلام الحافظ ابن حجر العسقلانى بترجمته (١). و بترجمه الباقر عليه السلام: «روى عنه: ابنه جعفر و أبو إسحاق السبيعى، و الأعرج، و الزهرى، و عمرو بن دينار، و أبو جهضم موسى بن سالم، و القاسم بن الفضل، و الأوزاعى، و ابن جريج، و الأعمش و...» (٢).

و قال أبو نعيم: «روى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، و عطاء بن أبى رباح، و جابر الجعفى، و أبان بن تغلب. و روى عنه من الأئمه و الأعلام: ليث بن أبى سليم، و ابن جريج، و حجاج بن أرطاه، فى آخرين» (٣).

و قال الذهبي: «الإمام الثبت الهاشمى العلوى المدنى، أحد الأعلام... حدّث عنه:

ابنه جعفر بن محمد، و عمرو بن دينار، و الأعمش، و الأوزاعى، و ابن جريج، و قره بن خالد، و خلق» (٤).

ص: ٢٤٠

١-١) تهذيب التهذيب ٤٠١/١٠.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٣١٢/٩.

٣-٣) حليه الأولياء ١٨٨/٣.

٤-٤) تذكرة الحفاظ ١٢٤/١.

قال قدس سره: و كان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه و أعبدهم.

الشرح:

قال ابن تيميه: «و جعفر الصادق رضى الله عنه من خيار أهل العلم و الدين. أخذ العلم عن جدّه أبى أمه أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، و عن محمد بن المنكدر، و نافع مولى ابن عمر، و الزهرى، و عطاء بن أبى رباح، و غيرهم.

و روى عنه: يحيى بن سعيد الأنصارى، مالك بن أنس، و سفيان الثورى، و سفيان بن عيينه، و ابن جريج، و شعبه، و يحيى بن سعيد القطان، و حاتم بن إسماعيل، و حفص بن غياث، و محمد بن إسحاق بن يسار. و قال عمرو بن أبى المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلاله النبيين.

و أمّا قوله: اشتغل بالعباده...» (١).

أقول:

لم يلتفت الرجل إلى كلمه العلماءه: «أفضل أهل زمانه و أعبدهم» لا بالنفى و لا بالإثبات... و لنورد كلمات عدّه من أئمه القوم تأكيداً لما ذكره العلماءه رحمه الله:

قال إمامهم مالك بن أنس: «جعفر بن محمد، اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال، إما مصلّ و إما صائم و إما يقرأ القرآن، و ما رأيته يحدث إلّا عن طهاره» (٢).

و قال إمامهم أبو حنيفه: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لَمّا أقدمه المنصور بعث إلى فقال: يا أبا حنيفه: إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهبي له من المسائل الشداد،

ص: ٢٤١

١- ١) منهاج السنّه ٥٢/٤-٥٣.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٨٩/٢.

فهيات له أربعين مسأله، ثم بعث إلى أبو جعفر- وهو بالحيره- فأتيته فدخلت عليه و جعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه و أوماً إلى، فجلست، ثم التفت إليه فقال:

يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال جعفر: نعم. ثم أتبعها قد أتانا- كأنه كره ما يقول فيه قوم إنه إذا رأى الرجل عرفه- ثم التفت المنصور إلى فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسألك. فجعلت ألقى عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، و أهل المدينة يقولون كذا، و نحن نقول كذا، فربما تبعناهم، و ربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسأله.

ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (١).

و قال ابن حبان: «كان من سادات أهل البيت فقهاً و علماً و فضلاً» (٢).

و قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: «ثقه لا يسأل عن مثله» (٣).

و قال ابن خلكان: «كان من سادات أهل البيت، و لقب بالصادق لصدقه في مقاله، و فضله أشهر من أن يذكر» (٤).

و قال أبو الفرج ابن الجوزي: «كان مشغولاً بالعباده عن حبّ الرياسه» (٥).

و قال أبو الفتح الشهرستاني: «جعفر بن محمد الصادق، هو ذو علم غزير في الدين، و أدب كامل في الحكمة، و زهد في الدنيا، و ورع تام عن الشهوات. و قد أقام بالمدينه مدّه يفيد الشيعة المنتمين إليه و يفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق و أقام بها مدّه، ما تعرّض للإمامه قط، و لا نازع في الخلافه أحداً. و من غرق في

ص: ٢٤٢

١-١) جامع مسانيد أبي حنيفة ٢٢٢/١، تذكره الحفاظ ١٦٦/١.

٢-٢) الثقات ١٣١/٦ و عنه تهذيب التهذيب ٨٩/٢.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٨٨/٢.

٤-٤) وفيات الأعيان ٣٢٧/١.

٥-٥) صفه الصفوه ٩٤/٢.

بحر المعرفة لم يطمع في شط، و من تعلّى إلى ذروه الحقيقه لم يخف من حط» (١).

و قال أبو نعيم: «جعفر بن محمد الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العباده و الخضوع، و أثر العزله و الخشوع، و نهى عن الرئاسة و الجموع» (٢).

و قال النووي: «اتفقوا على إمامته و جلالته» (٣).

و أما الذين ذكر أنهم أخذوا عنه، فهم بعض من كل، كما لا يخفى على من راجع ترجمته فى الكتب المذكوره و غيرها.

و أما أخذه عن الذين ذكرهم فكذب، و مما يوضح كذبه دعواه الأخذ عن الزهرى الذى عرف حاله.

قال قدس سره: قال علماء السيره: إنه انشغل بالعباده عن طلب الرياسه.

الشرح:

قال ابن تيميه: «و أما قوله: اشتغل بالعباده عن الرياسه، فهذا تناقض من الإماميه، لأن الإمام عندهم واجب أن يقوم بها و بأعبائها، فإنه لا إمام فى وقته إلا هو، فالقيام بهذا الأمر أعظم لو كان واجباً و أولى من الإشتغال بنوافل العبادات» (٤).

أقول:

إن الإمام المنصوص عليه بالإمامه يجب عليه قبولها و القيام بأعبائها متى ما أقبل عليه المسلمون و بايعوه و طلبوا منه ذلك، لكن هذا لم يكن من الناس، و على الجملة، فإن الحكومه و الرئاسة من شؤون الإمام الحق، فإن تمكّن منها وجبت عليه و إلّا لم

ص: ٢٤٣

١-١) الملل و النحل ١/١٦٦.

٢-٢) حليه الأولياء ٣/١٩٢.

٣-٣) تهذيب الأسماء و اللغات ١/١٥٥.

٤-٤) منهاج السنّه ٤/٥٣.

تجب عليه المطالبه بها، كما هو الحال بالنسبه إلى النبي. و في كلمات أئمه أهل البيت ممّا يشهد بذلك كثير، و من ذلك كلمات الأمير عليه السلام في (نهج البلاغه).

ثم إن الذي ذكره العلامة لم يكن منقولاً عن الإماميه حتى يكون تناقضاً منهم، بل إنه قال: «قال علماء السيره...» و قد وجدت هذا القول في الكلمات التي نقلناها، في عبارته ابن الجوزي، و أبي نعيم، و الشهرستاني... لكن الرجل نسب هذا إلى العلامة نفسه قائلاً: «و أما قوله...» حتى يشكل بالتناقض على زعمه!!

قال قدس سره: قال عمرو بن أبي المقدم: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلاله النبيين.

الشرح:

كلام عمرو بن أبي المقدم هذا، مذكور في ترجمه الإمام عليه السلام في (تهذيب التهذيب) و (تهذيب الأسماء و اللغات) و غيرهما، كما نقله المعترض نفسه أيضاً. ممّا يدلُّ على اعتنائهم به و بكلامه، إلا أنهم يتهمونه بالرفض لتقديمه علياً على الشيخين، و لهذا السبب رفض بعضهم الحديث عنه!!

انتشار العلوم منه

قال قدس سره: و هو الذي انتشر منه....

الشرح:

و أمّا انتشار العلوم المختلفه منه، فقد أشار إلى ذلك أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني في كلامه المتقدم، و قال اليافعي بترجمته: «له كلام نفيس في علوم التوحيد و غيرها. قد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقه، يتضمن رسائله و هي خمسمائه رساله» (١).

ص: ٢٤٤

و قال الآلوسى: «هذا أبو حنيفة-و هو من أهل السنّة-يفتخر و يقول بأفصح لسان:

لو لا السّتان لهلك النعمان» يعنى اللّتين جلس فيهما لأخذ العلم من الإمام جعفر الصّادق (1).

لكن الرجل لم يفهم مغزى هذا الكلام! فقال:

«و أمّا قوله: هو الذى نشر فقه الإماميّة و المعارف الحقيقيّة و العقائد اليقيّة. فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين: إمّا أنه ابتدع فى العلم ما لم يكن يعلمه من قبله، و إمّا أن يكون الذى قبله قصّر فيما يجب من نشر العلم. و هل يشك عاقل أن النبى صلّى الله عليه و آله بيّن لأمتة المعارف الحقيقيّة و العقائد اليقيّة أكمل بيان، و أن أصحابه تلقّوا عنه ذلك و بلغوه إلى المسلمين؟ و هذا يقتضى القدح إمّا فيه و إمّا فيهم، بل هو كذب على جعفر الصّادق، أكثر ممّا كذب على من قبله، فالآفة وقعت من الكذّابين عليه لا منه».

أقول:

بالله عليك! أى شىء قاله العلّامة رحمه الله حتى تتوجّه إليه هذه التّهم و الافتراءات؟! يقول العلّامة: «إن الصّادق عليه السّلام نشر المعارف الحقيقيّة و العقائد اليقيّة» و كلّ من يكون من أهل اللّغّه-إلا من فى قلبه مرض- يفهم من هذا الكلام أن الصّادق عليه السّلام علّم و بيّن و شرح و بلّغ المعارف الحقيقيّة و العقائد اليقيّة التى كان قد جاء بها رسول الله صلّى الله عليه و آله و تعلّمها منه عن طريق آباءه، فلا هو ابتدع أشياء، و لا أن النبى صلّى الله عليه و آله قصّر... و لا قدح فيه و لا فى أصحاب الرسول الذين تعلّموا منه شيئاً و بلغوا ما تعلّموا كما تعلّموا....

ص: ٢٤٥

(١- ١) مختصر التحفه الإثنا عشرية: ٨.

قال قدس سره: و كان لا يخبر بأمر إلا وقع، و به سمّوه الصّادق الأمين، و كان عبد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعه لولده فقال له....

الشرح:

حياته سلام الله عليه مليئه بالوقائع من هذا القبيل، فقد كان صادقاً، «مستجاب الدعوه»، إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا و هو بين يديه» (١)، و لا يخبر بشيء إلا و يقع، و من ذلك ما ذكره العلامة من أمر العلويين.

روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عمر بن شبه بأسانيد: إن جماعه من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء و فيهم: إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، و أبو جعفر المنصور، و صالح بن علي، و عبد الله بن الحسن بن الحسن، و ابنه محمد و إبراهيم، و محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان... فبايعوا جميعاً محمداً [بن عبد الله بن الحسن] و أرسل بذلك إلى جعفر بن محمد، قال عبد الله بن الحسن:

لا نريد جعفرًا لئلا يفسد عليكم أمركم....

و جاء جعفر فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فقال: لا تفعلوا؛ فإن هذا الأمر لم يأت بعد.

فغضب عبد الله و قال: لقد علمت خلاف ما تقول، و والله ما أطلعك الله على غيبه، و لكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: و الله ما ذاك يحملني، و لكن ذا و إخوته و أبناءهم دونكم - و ضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن - و قال: إنها - و الله - ما هي إليك و لا إلى ابنيك و لكنها لهم، و إن ابنيك لمقتولان.

ثم نهض و توكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: أ رأيت صاحب

ص: ٢٤٦

الزّداء الأصفر، يعنى أبا جعفر؟ قال: نعم. قال: فإننا-و الله-نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أ يقتل محمداً؟ قال: نعم.

قال: فقلت فى نفسى: حسده و ربّ الكعبه. قال: ثم و الله ما خرجت من الدنيا حتى رأيتہ قتلہما.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك نقض القوم فافترقوا و لم يجتمعوا بعدها، و تبعه عبد الصمد و أبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أ تقول هذا؟ قال: نعم أقوله و الله و أعلمه» (١).

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

قال قدس سره: و كان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح....

الشرح:

أنظر من أشهر كتب القوم المعتمده: صفوه الصفوه: ١٢٤/٢، مرآه الجنان:

٣٩٤/١، مطالب السؤل: ٧٦ تهذيب التهذيب: ٣٠٢/١٠، تاريخ بغداد: ٢٧/١٣، تهذيب الكمال: ٤٤/٢٩.

قال قدس سره: كان أعبد أهل وقته يقوم اللّيل و يصوم النهار. سمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال....

الشرح:

قال ابن تيميه: «و أمّا من بعد جعفر، فموسى بن جعفر، قال فيه أبو حاتم الرازى:

ثقه أمين صدوق من أئمة المسلمين. قلت: موسى ولد بالمدينه سنه بضع و عشرين و مائه، و أقدمه المهدي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينه و أقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمره، فحمل موسى معه إلى بغداد و حبسه بها إلى أن توفى فى

ص: ٢٤٧

(١ - ١) مقاتل الطالبين: ١٤٠-١٤٢ ملخصاً. و عنه الشيخ المفيد فى الإرشاد ١٩٠/٢، و مصادر أخرى.

حبسه. قال ابن سعد: توفي سنة ثلاث وثمانين و مائه، و ليس له كثير روايه. روى عن أبيه جعفر، و روى عنه أخوه علي، و روى له الترمذى و ابن ماجه» (١).

أقول:

هذا كلامه، فلم ينكر إلى هنا شيئاً مما ذكره العلامة و اكتفى بنقل كلمه أبي حاتم...
و لننقل كلمات أخرى تشييداً لما ذكره العلامة، ثم نشير إلى ما فى كلام ابن تيميه.

قال ابن حجر: «عنه أخواه علي و محمد. و أولاده: إبراهيم و حسين و إسماعيل و علي الرضى. و صالح بن يزيد و محمد بن صدقه العبرى. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. قال يحيى بن الحسين بن جعفر النسابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته و اجتهاده. و قال الخطيب: يقال إنه ولد بالمدينه فى سنة ثمان و عشرين و مائه... و مناقبه كثيره..» (٢).

و قال الخطيب: «كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته و اجتهاده، روى أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله فسجد سجده فى أول الليل، و سمع و هو يقول فى سجوده: عظم الذنب من عندى فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى و يا أهل المغفرة. فجعل يرددّها حتى أصبح. و كان سخياً كريماً، و كان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصره ألف دينار» (٣).

و نقل ابن خلكان كلام الخطيب المذكور، ثم نقل عن المسعودى ما سند كره.

و قال الذهبي: «موسى الكاظم (ت، ق)، الإمام القدوه... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين. قلت: له عند الترمذى و ابن ماجه حديثان... له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، و لولده علي بن موسى مشهد عظيم

ص: ٢٤٨

١- ١) منهاج السنّه ٥٥/٤.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٣٠٢/١٠-٣٠٣.

٣- ٣) تاريخ بغداد ٢٩/١٣.

بطوس. و كانت وفاه موسى الكاظم في رجب سنة ١٨٣» (١).

و قال ابن الجوزي: «موسى بن جعفر، كان يدعى العبد الصالح، و كان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال» (٢).

و قال القرمانى: «هو الإمام الكبير الأوحى الحجه، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين كاظماً، و هو المعروف بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط» (٣).

و قال ابن حجر المكي: «هو وارث أبيه علماً و معرفه و كمالاً و فضلاً، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه و حلمه، و كان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم» (٤).

و قال ابن طلحه: «هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجاد في الاجتهاد المشهور بالعباده، المواظب على الطاعات المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً و قائماً، و يقطع النهار متصدقاً و صائماً، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظماً، كان يجازى المسئى بإحسانه إليه، و يقابل الجانى بعفوه عنه، و لكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، و يعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله، لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، و تقضى بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزول و لا تزول» (٥).

هذه بعض كلمات المخالفين.

ص: ٢٤٩

١-١) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٦-٢٧٤.

٢-٢) صفه الصفوه ١٠٣/٢.

٣-٣) أخبار الدول: ١١٢.

٤-٤) الصواعق المحرقة: ١١٢.

٥-٥) مطالب السئول: ٤٤٧.

و أما مناقبه و فضائله في كتب الشيعة القائلين بإمامته فلا- تكاد تحصى، تجدها مرويه بالأسانيد المعتمده في (الإرشاد) للشيخ المفيد، و (المناقب) لابن شهر آشوب، و (إعلام الوري) للطبرسي، و (كشف الغمه) للإربلي، و (إثبات الهداه) للحرّ العاملي، و (بحار الأنوار) للمجلسي....

كما ألفت في أحواله و فضائله كتب خاصه.

ولد بالأبواء، قريه من قرى المدينه المنوره، و كانت سنه ولادته (١٢٨) و قيل (١٢٧) و قيل (١٢٩) و توفي سنه ١٨٣، و قيل غير ذلك، في سجن هارون و كان قد كتب إليه من السجن: «إنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء حتى ينقضى عنك يوم من الرخاء، حتى نفنى [نقضى] جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، و هناك يخسر المبطلون» (١).

و لم تكن وفاته حتف أنفه، و إنما توفي مسموماً.

و أما قول الرجل: «و ليس له كثير روايه، روى عن أبيه جعفر، و روى عنه أخوه على، و روى له الترمذى و ابن ماجه».

فأقول:

حسبه الروايه عن أبيه جعفر، فإن الصّيد كلّه في جوف الفرا.

و أما الرواه عنه فلا يُعدّون كثرةً، أمّا من أهل بيته فأخوه على بن جعفر و أولاده، و أمّا من غيرهم، فقد ذكر ابن حجر بعضهم مع أخويه و أولاده، و قال الخزرجي: «و عنه:

ابنه على الرضا، و أخواه على و محمد ابنا جعفر بن محمد، و طائفه» (٢).

و أما أصحابنا، فذكروا في الكتب الرجاليه أسامى كثيرين من تلامذته و الرواه عنه، يعدّون بالمتئات، و عن طريقهم امتلأت كتبهم الفقهيّه و غيرها بالأخبار في الأحكام

ص: ٢٥٠

١- ١) تهذيب الكمال ٥٠/٢٩، البدايه و النهايه ١٩٧/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٧٣/٦.

٢- ٢) خلاصه تذهيب تهذيب الكمال: ٣٩٠.

الشرعيه و المعارف الدينيه و العلوم الإسلاميه....

و أما الرجل، فقد حاول التقليل من أهميه الإمام الكاظم و الحط من شأنه و شأن الرواه عنه، حتى أنه يذكر روايه ولده الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام و أخذه عنه. و أما عدم روايه المؤلفين في الحديث من أهل السنّه عنه- عدا الترمذى و ابن ماجه- فهو من سوء حظهم و عدم توفيقهم، و انحرافهم عن أهل البيت و العتره الطاهره.

قال قدس سره: قال ابن الجوزى من الحنابله....

الشرح:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى الفقيه الحنبلى الحافظ الواعظ، قال ابن خلكان: «كان علامه عصره و إمام وقته» (١)، و قال الذهبي: «الإمام العلامه الحافظ عالم العراق و واعظ الآفاق» (٢)، له مؤلفات كثيره، توفي سنه ٥٩٧.

له ترجمه فى الوافى بالوفيات ٣٢١/٢، تذكره الحفاظ ١٣١/٤، النجوم الزاهره ١٧٤/٦ و غيرها.

قصه شقيق البلخى

قال قدس سره: عن شقيق البلخى....

الشرح:

قال أبو نعيم: «شقيق بن إبراهيم البلخى، أحد الزهاد فى المشرق» (٣).

و قال ابن حجر: «مناقب شقيق كثيره جداً» (٤).

ص: ٢٥١

١-١) وفيات الأعيان ١٤٠/٣.

٢-٢) تذكره الحفاظ ١٣٤٢/٤.

٣-٣) حليه الأولياء ٥٨/٨.

٤-٤) لسان الميزان ١٥٢/٣.

قال قدس سره: قال: خرجت حاجاً في سنة تسع و أربعين و مائه، فنزلت القادسيه، فإذا شاب حسن الوجه، شديد السمره، عليه ثوب صوف....

الشرح:

رواه أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٩ في كتابه صفه الصفوه:

١٢٥/٢، و رواه غيره أيضاً (١).

لكن ابن تيميه الذي لا يطيق سماع منقبه من مناقب أئمه العتره، و إن كان راويها من غير الشيعة يقول: «و أما الحكايه المشهوره عن شقيق البلخي فكذب»، ثم يعلل هذا التكذيب المنبعث من الحقد و العناد بقوله: «فإن هذه الحكايه تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، و موسى كان مقيماً بالمدينه بعد موت أبيه جعفر، و جعفر مات سنة ثمان و أربعين، و لم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق، حتى يكون بالقادسيه..» (٢).

عجيب! إنه يتكلم و كأنه محيط بجميع أيام الإمام و حالاته، و عارف بزمانه عليه السلام و خصوصياته... أكثر من غيره... إن هذه الحكايه رواها شيعته الذين هم أعرف الناس به و بما يتعلّق به، مضافاً إلى الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الذي هو عراقي بغدادى، و له كتاب (المنتظم فى تاريخ الأمم) من الكتب التاريخيه المعتمده، و مضافاً إلى غيره من الأعلام.

لكنه البغض و الحقد و العناد، فلو كانت هذه القضيه لزيد أو لعمر و ممن يتولّاهم الرجل، لتكلم فى إطرائها و تقريرها صاحبها صحائف عديده... هذه حال هذا الرجل فى هذه الحكايه، و على هذه فقس ما سواها.

ص: ٢٥٢

١- ١) أنظر: أخبار الدول: ١١٢، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٢٩، مطالب السؤل: ٤٤٩، نور الأبصار: ١٣٥، و غيرها.

٢- ٢) منهاج السنه ٥٧/٤.

قال قدس سره: و على يده عليه السلام تاب بشر الحافى....

الشرح:

قال الخطيب: «بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر، المعروف بالحافى، مروزي سكن بغداد، وهو ابن عمّ علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامه المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول... وكان كثير الحديث...» وأطال بذكر مناقبه وفضائله جداً (١).

وعنه ابن الجوزي وذكر أن له كتاباً في فضائل بشر (٢).

قال قدس سره: لأنه اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء....

الشرح:

وكذب ابن تيمية هذه الحكاياه كسابقتهما، وعلل تكذيبه للعلامة هذه المرّة بقوله المضحك المبكى: «وأما قوله: تاب علي يده بشر الحافى، فمن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر، فإن موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه، فلم يكن ممن يجتاز على دار بشر وأمثاله من العامه» (٣).

فإذا كان العلامة لا يعرف حال الإمام فمن العارف؟ إنه ليس لهذا الرجل أن يدعى المعرفة بأحوال أئمه أهل البيت بقدر ما يعرفه أفراد العوام من شيعتهم... وأصدق شاهد على جهله بأحوالهم نفس هذا الكلام- إن سلّمنا صدوره عن الجهل لا العناد

ص: ٢٥٣

١- ١) تاريخ بغداد ٧/٧١.

٢- ٢) المنتظم ١١/١٢٢-١٢٥.

٣- ٣) منهاج السنه ٤/٥٧.

لأنّهم عليهم السّلام- لأن الإمام عليه السلام قد أطلق سراحه من السجن بأمر من هارون، و كان في بغداد مدّة من الزمن، ثم عاد هارون فسجنه حتى لحق بآبائه مسموماً، و هذا مما اتفق عليه المؤرخون و فيه كرامه من كرامات الإمام عليه السلام.

فقد قال ابن خلكان بترجمته عليه السلام: «قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى فى كتاب مروج الذهب فى أخبار هارون الرشيد: إن عبد الله بن مالك الخزاعى كان على دار هارون الرشيد و شرطته، فقال: أتانى رسول الرشيد وقتاً ما جاءنى فيه قط، فانتزعنى من موضعى، و منعنى من تغيير ثيابى، فراعنى ذلك، فلمّا صرت إلى الدار سبقنى الخادم فعرف الرشيد خبرى، فأذن لى فى الدخول عليه فدخلت، فوجدته قاعداً فى فراشه، فسلمت عليه، فسكت ساعه، فطار عقلى، و تضاعف الجزع على، ثم قال:

يا عبد الله، أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت؟

قلت: لا و الله يا أمير المؤمنين.

قال: إنى رأيت الساعه فى منامى كأن حبشياً قد أتانى و معه حربه فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعه و إلا نحررتك فى هذه الساعه بهذه الحربه، فاذهب فخلّ عنه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر، ثلاثاً؟

قال: نعم، إمض الساعه حتى تطلق موسى بن جعفر، و أعطه ثلاثين ألف درهم و قل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب، و إن أحببت المضى إلى المدينه فالإذن فى ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس... و خلّيت سبيله و قلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً.

قال: فإنى أخبرك، بينما أنا نائم، إذ أتانى رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: يا موسى، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليله فى الحبس.

فقلت: بأبى و أمى ما أقول؟ قال: قل: يا سامع كلّ صوت و يا سابق كلّ فوت و يا كاسى العظام لحماً و مشرّها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى و باسمك الأعظم الأكبر

المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناه لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً و لا يحصى عدداً، فزج عنى، فكان ما ترى» (١).

و لقد كانت هذه الفتره فرصه لاستفاده المستفيدين منه، و هدايه المسترشدين على يده، و منهم بشر الحافى، الذى تاب حتى كان من خيره الصالحين على ما ذكروا بتراجمه.

و إذ سمعت هذا، فاحكم على هذا المعترض على العلامة بما شئت.

الإمام على الرضا عليه السلام

قال قدس سره: و كان ولده على الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه و أعلمهم.

الشرح:

قال ابن تيميه: «من المصائب التى ابتلى بها ولد الحسين، انتساب الرافضه إليهم و تعظيمهم و مدحهم لهم، فإنهم يمدحونهم بما ليس بمدح، و يدعون لهم دعاوى لا حجه لها، و يذكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من غير كلام الرافضه، لكان ما تذكره الرافضه بالقدح أشبه منه بالمدح!!» (٢).

أقول:

من المصائب التى ابتلى بها رسول الله و بضعته و أهل بيته عليهم السلام: وجود النواصب لهم فى كل زمان، و دعواهم الإسلام، و انتسابهم إلى العلم، و استناد مثلهم إلى كلامهم... هؤلاء الذين بلغ بهم العداً حداً يجعلون الوصف بالزهد و العلم و نحو ذلك مدحاً بما ليس بمدح، و أنه أشبه بالقدح!!

ص: ٢٥٥

١- ١) وفيات الأعيان ٣٠٩/٥-٣١٠.

٢- ٢) منهاج السنه ٤/٦٠.

قال: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّهُ كَانَ أَزْهَدَ النَّاسِ وَ أَعْلَمَهُمْ، فَدَعْوَى مَجْرَدِهِ بِلَا دَلِيلٍ» (١).

أقول: نعم، لا دليل على ذلك عند هذا الرجل و أمثاله!! لكن هناك في كلمات المحدثين و المؤرخين من غير شيعه أهل البيت عليهم السّلام ما يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة و تعتقد في أئمتها، و إليك بعض تلك الكلمات:

قال الحافظ السمهودي (٢): «على الرضا بن موسى الكاظم، كان أوحد أهل زمانه، جليل القدر، أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي....»

و قال له المأمون: بأيّ وجه صار جدّك على بن أبي طالب قسيم الجنة و النار؟

فقال: أ لم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: حبّ على إيمان و بغضه كفر؟

قال: بلى.

قال الرضا: فقسم الجنة و النار إذا كان على حبّه و بغضه.

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن. أشهد أنك وارث علم رسول الله صلّى الله عليه و آله» (٣).

و قال كمال الدين محمد بن طلحه (٤): «أبو الحسن على بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق.

قد تقدّم القول في أمير المؤمنين على، و في زين العابدين على. و جاء هذا على الرضا ثالثهما، و من أمعن نظره و فكره، و جده في الحقيقة و ارثهما، فيحكم بكونه ثالث العليين، نمي إيمانه، و علا شأنه، و ارتفع مكانه، و اتسع إمكانه، و كثر أعوانه، و ظهر

ص: ٢٥٦

١-١) منهاج السنّه ٦٠/٤.

٢-٢) هو: على بن عبد الله، المتوفى سنة: ٩١١.

٣-٣) جواهر العقدين ق ٢ ج ٢ ص ٤٢٧.

٤-٤) هو المحدث الفقيه الشافعي: المتوفى سنة: ٦٥٢.

برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، و فوّض إليه أمر خلافته، و عقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته.

و كانت مناقبه عليه، و صفاته الشريفه ستيه، و مكارمه حاتميه، و ششنته أخزميه، و أخلاقه عربيّه، و نفسه الشريفه هاشميه، و أرومته الكريمه نبويه، فمهما عدّ من مزاياه كان أعظم منه، و مهما فصّل من مناقبه كان أعلى مرتبه عنه» (١).

و قال الشبلنجي (٢): «قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال من كلّ شيء فيجيبه الجواب الشافي، و كان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صوم ثلاثه أيام من كلّ شهر و يقول: ذلك صيام الدهر. و كان كثير المعروف و الصّيدقه، و أكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمه. و كان جلوسه في الصيف على حصير و في الشتاء على مسح» (٣).

و قال الجويني (٤): «الإمام الثامن: مظهر خفيّات الأسرار، و مبرز خبيّات الأمور الكوامن، منبع المكارم و الميامن، و منبع الأعالى الحضارم و الأيامن، منبع الجناب، رفيع القباب، و سيع الرحاب، هموم السحاب، غزير الألفاف، عزيز الأكناف، أمير الأشراف، قره عين آل ياسين و آل عبد مناف، السيد الطاهر المعصوم، و العارف بحقائق العلوم، و الواقف على غوامض السر المكتوم، و المخبر بما هو آت و عمّا غبر و مضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، و لذا لقب بالرضا،

ص: ٢٥٧

١- ١) مطالب السئول: ٤٥٤.

٢- ٢) هو: الشيخ مؤمن بن حسن المتوفى بعد سنه: ١٣٠٨.

٣- ٣) نور الأبصار: ٣١٢.

٤- ٤) هو: الشيخ إبراهيم بن محمد، من مشايخ الذهبي. توفى سنه: ٧٣٠.

على بن موسى...» (١).

وقال ابن حجر المكي (٢): «وكان أولاد موسى بن جعفر حين وفاته سبعة و ثلاثين ذكراً و أنثى، منهم على الرضا، و هو أنبههم ذكراً، و أجلبهم قدراً، و من ثم أحله المأمون محلّ مهجته، و أنكحه ابنته، و أشركه في مملكته، و فوّض إليه أمر خلافته...» (٣).

فهذه طائفه مما قيل في مدحه... علماً و زهداً و جلاله... و سيأتي غيرها أيضاً.

أخذ الفقهاء عنه

قال قدس سره: و أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً.

الشرح:

قال ابن تيمية: «و لم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً، و لا روى له حديث في الكتب الستة، و إنما يروى له أبو الصلت الهروي و أمثاله نسخاً عن آبائه فيها من الأكاذيب ما قد نزه الله عنه الصادقين من غير أهل البيت فكيف بالصادقين منهم».

أمّا قوله: «إنه أخذ فقهاء الجمهور كثيراً» فهذا من أظهر الكذب....

و ما يذكره بعض الناس من أن معروفاً الكرخي كان خادماً له، و أنه أسلم على يديه، أو أن الخرقه متصله منه إليه، فكله كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن» (٤).

أقول: هنا أمور:

الأول: في أخذ فقهاء الجمهور عن الإمام الرضا عليه السلام. و يكفي في هذا المقام الكلمات التاليه:

قال الواقدي: «سمع على الحديث من أبيه و عمومته و غيرهم، و كان ثقة، يفتى

ص: ٢٥٨

١-١) فرائد السمطين ١٨٧/٢.

٢-٢) المتوفى سنه: ٩٧٢.

٣-٣) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

٤-٤) منهاج السنه ٦١/٤.

بمسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و هو ابن نيف و عشرين سنه، و هو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة» (١).

و قال الحاكم النيسابورى: «على بن موسى، أبو الحسن، ورد نيسابور سنه مائتين، و كان يفتى فى مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و هو ابن نيف و عشرين سنه. روى عنه من أئمة الحديث: المعلى بن منصور الرازى، و آدم بن أبى أياس العسقلانى، و محمد بن أبى رافع القصرى القشبرى، و نصر بن على الجهضمى، و غيرهم. و استشهد ب(سناباد) من طوس فى رمضان سنه ٢٠٣ و هو ابن تسع و أربعين سنه و سته أشهر» (٢).

و قال ابن الجوزى: «كان يفتى فى مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و هو ابن نيف و عشرين سنه» (٣).

و قال ابن كثير: «على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، القرشى الهاشمى العلوى، الملقب بالرضا. كان المأمون قد همّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله ولى العهد من بعده، كما قدمنا ذلك. توفى فى صفر من هذه السنه بطوس. و قد روى الحديث عن أبيه و غيره، و عنه جماعه منهم:

المأمون، و أبو الصلت الهروى، و أبو عثمان المازنى النحوى...» (٤).

و قال المزمى: «ق: على بن موسى... روى عنه: أبو بكر أحمد بن الحباب بن حمزه الحميرى النسابة، و أيوب بن منصور النيسابورى، و دارم بن قبيصه بن نهشل الصنعانى، و أبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف الغازى القزوينى له عنه نسخه، و سليمان بن جعفر، و عامر بن سليمان الطائى والد أحمد بن عامر أحد الضعفاء، له عنه

ص: ٢٥٩

١-١) تذكره خواص الأئمة: ٣٥١.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧، فرائد السمطين ١٩٩/٢، عن تاريخ نيسابور.

٣-٣) المنتظم ١٢٠/١٠.

٤-٤) البدايه و النهايه. حوادث ٢٧٣/١٠، ٢٠٣.

نسخه كبيره، و عبد الله بن علي العلوي، و أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، و أبو الصيملت عبد السلام بن صالح الهروي (ق)، و علي بن صدقه الشطبي الرقي، و علي بن علي الخزاعي الدعبل، و علي بن مهدي بن صدقه بن هشام القاضي، له عنه نسخه، و محمد بن سهل بن عامر البجلي، و ابنه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى، و أبو جعفر محمد بن حيان التمار البصري، و موسى بن علي القرشي، و أبو عثمان المازني النحوي» (١).

و قال الذهبي: «و روى عنه فيما قيل: آدم بن أبي أياس - و هو أكبر منه - و أحمد بن حنبل، و محمد بن رافع، و نصر بن علي الجهضمي، و خالد بن أحمد الذهلي الأمير» (٢).

و قال الذهبي: «علي بن موسى الرضا - ق، د، ت - أحد الأعلام. هو الإمام أبو الحسن ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، العلوي، الحسيني. روى عن: أبيه و عبد الله بن أرتاه. و عنه: ابنه أبو جعفر محمد، و أبو عثمان المازني، و المأمون، و عبد السلام بن صالح، و دارم بن قبيصه، و طائفه....»

و كان سيّد بني هاشم في زمانه و أجلّهم و أنبلهم، و كان المأمون يعظّمه و يخضع له و يتغالي فيه، حتى أنه جعله وليّ عهده من بعده، و كتب بذلك إلى الآفاق...» (٣).

و قال ابن حجر قال الحاكم: «سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة و عديله أبي علي الثقفى مع جماعه من مشايخنا - و هم إذ ذاك متوافرون - إلى زياره قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه - يعنى ابن خزيمة - لتلك البقعه و تواضعه لها و تبرّعه

ص: ٢٦٠

١- ١) تهذيب الكمال ١٤٨/٢١-١٤٩.

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٩.

٣- ٣) تاريخ الإسلام ٢٦٩/١٤-٢٧٠.

عندها ما تحيّرنا» (١).

و جاء في غير واحد من الكتب: إنه لما دخل الإمام نيسابور راكباً خرج إليه علماء البلد، و بأيديهم المحابر و الدوى، و تعلقوا بلجام دابته و حلفوه أن يحدّثهم بحديث عن آبائه فقال: «حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه... على بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي و قرّه عيني رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: حدّثني جبريل قال: سمعت رب العزه يقول: لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني و أمن من عذابي».

و في روايه: إنه روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سألت رسول الله: ما الإيمان؟ قال: معرفه بالقلب، و إقرار باللسان، و عمل بالأركان».

و عن أحمد: «إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برئ من جنونه».

هكذا، و قد كان على رأس العلماء الذين طلبوا من الإمام أن يحدّثهم: أبو زرعه الرازي، و محمد بن أسلم الطوسي، و ياسين بن النضر، و أحمد بن حرب، و يحيى بن يحيى... و قد عدّ أهل المحابر و الدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً (٢).

أقول: فمن الكاذب إذن!!

الثاني: في روايه أرباب الكتب الستة عنه.

و قد عرفت من الكلمات السابقه روايه ثلاثه منهم عن الإمام الرضا عليه السلام، فإن (ق) رمز لابن ماجه القزويني، و (د) لأبي داود السجستاني، و (ت) رمز للترمذي.

فقول الرجل: «و لا روى له حديث في الكتب الستة» كذب آخر.

هذا، و لا يخفى أنه قد حقق في محله أن ليس كلّ من روى له حديث في هذه الكتب بثقه، و ليس كلّ من لم يرو عنه فيها غير ثقه.

ص: ٢٤١

١-١) تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

٢-٢) أخبار إصبهان ١٣٨/١، المنتظم في أخبار الأئمّه ١٠/١٢٠، الصواعق المحرقة: ١٢٢ عن تاريخ نيسابور، الفصول المهمه في معرفه الأئمّه ١٠٠٢/٢.

أمّا أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم أعلام و أشرف من أن توزن أحاديثهم الصحيحة الثابتة عنهم بهذه الموازين، بل السعيد من أخذ عنهم و اتبعهم، و الشقى من أعرض عنهم و خالفهم.

ترجمه أبى الصلت الهروى

الثالث: فى بيان حال أبى الصلت الهروى:

كان أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى من أصحاب الإمام الرضا و الملازمين له، و الرواه لأحاديثه و أخباره، بل فى (تهذيب الكمال): (و هو خادم على بن موسى الرضا).

و قد ذكروا بترجمته أنه كان عالماً فقيهاً أديباً، يرّد على أهل الأهواء من المرجئه و الجهميه و الزنادقه و القدرية و يناظرهم، و فى كلّ ذلك كان الظفر له.

و ذكروا أيضاً: أنه كان يقدم أبا بكر و عمر و لا يذكر أصحاب النبى صلى الله عليه و آله إلا بالجميل.

و لهذه الأمور و غيرها، فقد وثّقه غير واحد من الأئمة، و على رأسهم إمام أهل الجرح و التعديل يحيى بن معين (١).

لكنهم مع ذلك رموه بالتشيع، لروايته عن الإمام الرضا و غيره بعض المناقب و الفضائل لأمر المؤمنين عليه السلام، الدالّ على أفضلّيته و إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، كحديث: أنا مدينة العلم و على بابها، ثم أفرط بعض المتعصّبين و جعل يتكلّم فى الرجل و يقع فيه. حتى قال الجوزجاني -المعروف بالنصب (٢)-:

«كان أبو الصلت الهروى زائغاً عن الحق مائلاً عن القصد».

ص: ٢٦٢

١- ١) كذا قالوا فى حقه، من ذلك: تقريب التهذيب ٣٥٨/٢.

٢- ٢) أنظر: لسان الميزان ١٦/١.

و قال ابن عدى: «له أحاديث مناكير فى فضل أهل البيت و هو متهم فيها».

و قال الدارقطنى: «كان رافضياً خبيثاً» (١).

و كل ذلك، كما توحى به كلماتهم، لروايته فضائل أهل البيت... وإلا فالرجل ثقة صدوق... وهذا ما نصّ عليه الحافظ ابن حجر حيث قال: «صدوق، له مناكير، و كان يتشيع، و أفرط العقيلى فقال: كذاب» (٢).

إسلام معروف الكرخى على يده

الرابع: فى إسلام معروف الكرخى على يد الإمام.

فقد كذب ابن تيميه (٣) خبر إسلام معروف على يد الإمام الرضا عليه السلام، كما كذب من قبل توبه بشر الحافى على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم... و قد جاء الخبر فى أكثر من كتاب و مصدر، من ذلك قول ابن خلكان: «و هو من موالى على بن موسى الرضا و قد تقدّم ذكره، و كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدّبهم و هو صبى، فكان المؤدّب يقول له: قل ثالث ثلاثه، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً، فهرب منه، و كان أبواه يقولان: ليتته يرجع إلينا على أى دين شاء فنوافقه عليه. ثم إنه أسلم على يد على بن موسى الرضا و رجع إلى أبويه، فصدقّ الباب فقيّل له: من بالباب؟ فقال: معروف. فقيّل له: على أى دين؟ فقال: على الإسلام. فأسلم أبواه» (٤).

أقول: لقد ذكروا بتراجمه كرامات عجيبة له، فحاولوا التكتّم على كونه من موالى الإمام و على إسلامه على يده عليه السلام، لئلا يكون ذلك فضيله له!!!....

ص: ٢٤٣

١- ١) لاحظ الكلمات بترجمته من الكتب الرجالية، كتهذيب الكمال ٧٣/١٨.

٢- ٢) تقريب التهذيب ٦٠٠/١.

٣- ٣) منهاج السنّه ٦١/٤-٦٢.

٤- ٤) وفيات الأعيان ٢٣١/٥.

فمنهم من لم يذكر كونه من مواليه و لا حكى إسلامه على يده، و لا روى عنه شيئاً مما سمعه من الإمام، كالحافظ أبى نعيم (١) و الحافظ ابن الجوزى (٢).

و منهم من اعترف بكونه من مواليه و لم يذكر عن إسلامه شيئاً، كالشعرانى (٣).

و منهم من حكى قصته مع المؤدب ثم رجوعه إلى أبويه بعد هربه و أنهما أسلما، و لم يزد على ذلك شيئاً، كالذهبي (٤)...

و منهم من حكى أنه كان حاجباً للإمام فكسروا ضلعه فمات (٥). و هذا ما كذبه الذهبي فقال: «فلعلّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق» (٦).

أقول: لكن مقامات أئمة أهل البيت عليهم السّلام لا تزيد و لا تنقص بإثبات شىء من هذا القبيل أو إنكاره، بل الغرض المهم بيان مدى مخالفه هؤلاء لأهل بيت النبى صلى الله عليه و آله، و سعيهم وراء التقليل من شأنهم و الحط من مقامهم!!

قال قدس سره: و تولاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال و الفضل.

الشرح:

هذا من الأمور الثابتة و القضايا الضرورية، و لو أمكن ابن تيميه إنكاره لفعل، لكنه سكت عنه و لم يتكلم عليه بشىء. و قد جاء بعض ذلك فى غير واحد ممّا تقدم من العبارات... و سنورد المزيد منها قريباً.

ص: ٢٤٤

١- (١) حليه الأولياء ٣٦٠/٨.

٢- (٢) المنتظم ٨٨/١٠.

٣- (٣) لواقح الأنوار ٧٢/١.

٤- (٤) سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٩.

٥- (٥) طبقات الصوفية: ٨٣.

٦- (٦) سير أعلام النبلاء ٣٤٣/٩.

قال قدس سره: و عظم يوماً أخاه زيدا فقال له: يا زيد، ما أنت قائل لرسول الله إذا سفكت الدماء و أخفت السبيل و أخذت المال من غير حلّه، غرّك حُمقاء أهل الكوفة! و قد قال رسول الله: إن فاطمه أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار....

الشرح:

زيد النار، كان يرى وجوب الخروج على السيلطه الحاكمه، فكان ممن خرج مع أبي السرايا ضدّ المأمون، و إنما قيل له (زيد النار) لإحراقه الدور و غيرها. و لما ظفر به المأمون عفا عنه و أرسله إلى الإمام الرضا عليه السلام، لكن الإمام حلف أن لا يكلمه أبداً. راجع أخباره (١).

حديث: «إن فاطمه أحصنت...».

هذا الحديث أيضاً كذب به ابن تيميه بل ادعى الإتفاق على أنه كذب، و هذا نصّ عبارته: «و الحديث الذي ذكره عن النبي صلّى الله عليه و آله عن فاطمه، و هو كذب باتفاق أهل المعرفه بالحديث.

و يظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً، فإن قوله: (إن فاطمه أحصنت فرجها فحرّمها الله و ذريتها على النار)، باطل قطعاً، فإن ساره أحصنت فرجها و لم يحرم الله جميع ذريتها على النار. قال تعالى: «و بَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ»

و أيضاً: فصفية عمّه رسول الله صلّى الله عليه و آله أحصنت فرجها، و من ذريتها محسن و ظالم. و فى الجملة، اللواتى أحصنت فروجهنّ لا يحصى عددهنّ إلا الله عز و جلّ، و من ذريتهنّ البرّ و الفاجر و المؤمن و الكافر.

و أيضاً: ففضيله فاطمه و مزيتها ليست بمجرد إحسان الفرج، فإن هذا تشارك فيه

ص: ٢٦٥

فاطمه و جمهور نساء المؤمنين، و فاطمه لم تكن سيده نساء العالمين بهذا الوصف بل بما هو أخص منه، بل هذا من جنس حجج الرافضة، فإنهم لجهلهم لا يحسنون أن يحتجوا و لا يحسنون أن يكذبوا.

و أيضاً: فليست ذريته فاطمه كلهم محرّمين على النار... فإن الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين و من والاه و شهدوا عليه بالكفر و الفسق، بل الرافضة أشدّ الناس عداوه -إمّا بالجهل و إمّا بالعناد- لأولاد فاطمه رضى الله عنها (١).

أقول:

كيف يكون هذا الحديث كذباً باتفاق أهل المعرفة بالحديث و قد رواه:

الحاكم، و الخطيب البغدادي، و أبو بكر البزار، و أبو يعلى الموصلي، و الطبراني، و أبو نعيم، و ابن حجر، و السيوطي، و المتقى الهندي... و غيرهم؟ و قال الحاكم:

«صحيح» (٢)؟

و هذه فضيله اختصت بها سيده نساء العالمين، و إن شاركتها في الوصف المذكور غيرها من فضليات النساء.

قال المناوي: «(فحرمها) أى بسبب ذلك الإحصان حرمها(الله و ذريتها على النار) أى حرّم دخول النار عليهم.

فأما هي و أبناؤها، فالمراد في حقهم التحريم المطلق، و أمّا من عداهم فالمحرّم عليهم نار الخلود، و أمّا الدخول، فلا مانع من وقوعه للبعض للتطهير. هكذا فافهم. و قد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق -رضى الله عنهم- خرج على المأمون... فذكر الخبر (٣).

ص: ٢٦٦

١- ١) منهاج السنّه ٤/٦٢-٦٤.

٢- ٢) المستدرک على الصحيحين ٣/١٥٢.

٣- ٣) فيض القدير- شرح الجامع الصغير ٢/٥٨٦-٥٨٧.

وقال الزرقانى بشرح(المواهب اللدنيه):«و روى عن ابن مسعود-رفعه-:إنما سميت فاطمه بإلهام من الله لرسوله-إن كانت ولادتها قبل النبوه،و إن كانت بعدها فيحتمل بالوحى-لأن الله قد فطمها-من الفطم وهو المنع،و منه فطم الصبى-و ذريتها عن النار يوم القيامة.أى:منعهم منها،فأما هى و ابناها فالمنع مطلق،و أما من عداهم فالمنوع عنهم نار الخلود،فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير.ففيه بشرى لآله صلى الله عليه و آله بالموت على الإسلام،و أنه لا يختم لأحد منهم بالكفر.

نظيره ما قاله الشريف السهمودى فى خبر الشفاعة لمن مات بالمدينه،مع أنه يشفع لكل من مات مسلماً.أو:إن الله يشاء المغفره لمن واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمه و أبيها صلى الله عليه و آله.أو:يوقفهم للتوبه النصوح و لو عند الموت و يقبلها منهم.أخرجه الحافظ الدمشقى ابن عساكر.

و روى الغسانى و الخطيب و قال:فيه مجاهيل،مرفوعاً:(إنما سميت فاطمه لأن الله فطمها و محيها من النار)ففيه بشرى عميمه لمن أحبها.و فيه التأويلات المذكوره.

و أما ما رواه أبو نعيم و الخطيب:(أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن حديث:إن فاطمه أحصنت فرجها فحرمها الله و ذريتها على النار.

فقال:خاصّ بالحسن و الحسين).و ما نقله الأخباريون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون....

فهذا من باب التواضع و الحث على الطاعات و عدم الاغترار بالمناقب و إن كثرت...و إلما فلفظ ذريته لا يخص بمن خرج من بطنها فى لسان العرب «و من ذريته داود و سليمان الآيه..»و بينهم و بينه قرون كثيره،فلا يريد بذلك مثل على الرضا مع فصاحته و معرفته لغه العرب.

على أن التقييد بالطائع يبطل خصوصيه ذريتها و محيها.إلا أن يقال:لله تعذيب الطائع،فالخصوصيه أن لا يعذبه إكراماً لها.و الله أعلم.

و الحديث الذى سئل عنه أخرجه أبو يعلى و الطبرانى و الحاكم و صححه عن ابن مسعود، و له شواهد.

و ترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزيه شأنها فى ذلك الوصف، مع الإلماح ببنت عمران، و لمدح وصف الإحصان، و إلا فهى محرّمه على النار بنصّ روايات أخر» (١).

روايات فى فضل زيد بن على

و أمّا «أن الرافضه رفضوا زيد بن على بن الحسين» ففريه شنيعه كزرها الرجل فى كتابه على الإماميه... فإن الشيعة الإماميه تعظم زيدا و تحترمه، و تروى عن النبى و الأئمه المدح و الثناء عليه.

كالحديث الذى رواه رئيس محدّثهم الشيخ الصدوق عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه قال للحسين: «يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو و أصحابه رقاب الناس يدخلون الجنه بغير حساب» (٢).

و عن الصّادق عليه السلام أنه قال: «إن زيدا كان عالما و كان صدوقا، و لم يدعكم إلى نفسه، و إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، و لو ظفر لوفى بما دعاكم إليه» (٣).

و عن الرضا عليه السلام: «كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل فى سبيله» (٤).

و أمّا كلمات المدح و الثناء و التعظيم من كبار علماء الطائفة فكثيره جدّا.

ص: ٢٤٨

١- ١) شرح المواهب اللدنيه ٢٠٣/٣.

٢- ٢) عيون أخبار الرضا ٢٢٤/٢.

٣- ٣) رجال الكشى: ١٨٤.

٤- ٤) عيون أخبار الرضا ٢٢٥/٢.

قال المفيد: «كان زيد بن علي بن الحسين عين أخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، و كان ورعاً عابداً فقيهاً سخياً شجاعاً، و ظهر بالسيف يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يطلب بثارات الحسين عليه السلام» ثم روى بأسانيدته أخباراً في فضله و قال: «لما قتل بلغ ذلك من أبي عبد الله عليه السلام كل مبلغ، و حزن له حزناً شديداً عظيماً حتى بان عليه، و فزق من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار» (١).

قال قدس سره: و الله ما نالوا ذلك إلا بطاعه الله، فإن أردت أن تنال بمعصيه الله ما نالوه بطاعته، إنك إذا لأكرم على الله منهم! الشرح:

روى هذا الخبر المناوى عن أهل السير (٢).

قال قدس سره: و ضرب المأمون اسمه على الدراهم و الدنانير، و كتب إلى الآفاق ببيعته، و طرح السواد و لبس الخضره. الشرح:

قال ابن تيميه: «و أمّا ما ذكره من توليه المأمون له الخلافه فهذا صحيح، لكن ذلك لم يتم... و لم يجعله وليّ عهده» (٣). أقول:

جاء ذلك في كافه كتب التاريخ و السير، و قد تقدّم النقل عن بعضها.

و قال ابن الجوزى: «و في هذه السنه جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وليّ عهد المسلمين و الخليفه من بعده، و سمّاه الرضى من آل محمد، و أمر جنده أن يطرح السواد و لبس ثياب الخضره، و كتب بذلك إلى الآفاق،

ص: ٢٦٩

١-١ (١) الإرشاد ١٧١/٢-١٧٣.

٢-٢ (٢) فيض القدير ٥٨٧/٢.

٣-٣ (٣) منهاج السنّه ٦٤/٤.

و ذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من رمضان هذه السنه.فكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد يخبره أن أمير المؤمنين قد جعل علي بن موسى الرضى وليّ عهده، و ذلك أنه نظر في بنى العباس و بنى علي، فلم يجد أحداً أفضل و لا أروع و لا أعلم منه، و أنه سماه الرضى من آل محمد، و أمر أن يأمر من قبله من الجند و القواد و بنى هاشم بالبيعه له...» ثم ذكر نصّ العهد الذى كتبه المأمون بخطّه للإمام عليه السلام، و ما كتبه الإمام، و الشهادات على ذلك (١).

و قد جاء الخبر كذلك قبله فى تاريخ الطبرى (٢) و عنه فى الكامل فى التاريخ (٣).

و كذا هو فى تاريخ ابن خلّكان قال: «و جعله وليّ عهده، و ضرب اسمه على الدينار و الدرهم، و كان السبب فى ذلك... أنه نظر فى أولاد العباس و أولاد علي بن أبى طالب، فلم يجد فى وقته أحداً أفضل و لا أحق بالأمر من علي الرضا، فبايعه...» (٤).

و اختصر السيوطى الخبر فقال: «و جعل وليّ العهد من بعده علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حمّله علي ذلك إفراطه فى التشيع، حتى قيل: إنه همّ أن يخلع نفسه و يفوض الأمر إليه، و هو الذى لقّبه الرضا، و ضرب الدراهم باسمه، و زوجته ابنته، و كتب إلى الآفاق بذلك، و أمر بترك السواد و لبس الخضره» (٥).

أقول: فانظر كيف ينكر الرجل الحقائق التاريخيه، و احكم عليه بما يوجهه الحق!!

ص: ٢٧٠

١- (١) المنتظم ٩٣/١٠-٩٩.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٥٥٤/٨.

٣- (٣) الكامل لابن الأثير ٣٢٦/٦.

٤- (٤) وفيات الأعيان ٢٦٩/٣-٢٧٠.

٥- (٥) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

قال قدس سره: وقيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال: قيل لى أنت أفضل الناس طُرّاً فى المعانى و فى الكلام البديه

الشرح:

قال ابن تيميه: «القوم جهّال بحقيقه المناقب و المثالب و الطرق التى يعلم بها ذلك، و لهذا يستشهدون بأبيات أبى نؤاس، و هى لو كانت صدقاً لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بشهاده شاعر معروف بالكذب و الفجور الزائد الذى لا يخفى على من له أدنى خبره بأيام الناس، فكيف و الكلام الذى ذكره فاسد، فإنه قال: قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه!

و من المعلوم أن هذا وصف مشترك بين جميع من كان من ذريّه الرسل... فإن الناس كلّهم من ذريّه نوح و من ذريّه آدم...»
(١).

أقول:

أولاً: هل جميع الذين يستند ابن تيميه إلى أقوالهم من شعر و غير شعر فى هذا الكتاب و غيره، و كذا غيره من علماء طائفته، عدول مبرّون من كلّ ذنب و عيب؟! لما ذا يتناسى الرجل استشهاده بكلام أبى سفيان الكافر، و بقول حُذّاق المنافقين؟!

ثانياً: إن الإماميّة لا يثبتون مناقب أئمتهم و فضائلهم بالاستناد إلى شعر هذا و ذاك، بل هم فى غنى عن ذلك بالأدله القويمه من الكتاب الكريم و السنّه الصحيحه المتفق عليها، و سيأتى قسم منها فى كتابنا إن شاء الله تعالى.

و ثالثاً: إن المعانى التى يتضمّن منها هذا الشعر و أمثاله، إنما هى أخبار و آثار وارده، و ليست بقضايا قد أنشأها الشاعر من عند نفسه، فالإستشهاد فى الحقيقه إنما هو

ص: ٢٧١

بالحديث الذى تضمّنه الشعر، ولا سيما إذا كان قائله من رواه الحديث أيضاً.

و رابعاً: إن هذا الشعر وغيره ممّا قاله أبو نؤاس فى مدح الإمام الرضا عليه السلام، مذکور بترجمه الإمام و لغرض المدح له، من قبل كبار العلماء الأجلّاء المتقدّمين على العلّامة رحمه الله و المعاصرين له و المتأخرين عنه كما سنرى، فلولا صحه الإستشهاد به عندهم، قولاً و قائللاً، لما كان ذلك منهم يقيناً.

و خامساً: إن السبب الحقيقى لكلام الرجل هذا-و مع الالتفات إلى الوجوه التى ذكرناها-هو: إن أبا نؤاس من الشعراء المحبّين لأهل البيت عليهم السّلام، و أشعاره فى الإمام الرضا و آبائه تدلّ على مدح عظيم لهم، و ابن تيميه يكره المحبّ لأهل البيت المتجاهر بالمدح لهم... و أمّا ما اشتهر عن أبى نؤاس من المجون و الخلاعه، فقد ذكروا أنه فى الأغلب مما لا أصل له، على أن ذلك لو كان، فقد كان فى أوّل العمر، و قد ثبت عنه التوبه فى آخره كما نصّ عليه ابن الجوزى.

ترجمه أبى نؤاس

و هو: الحسن بن هانى، ولد بالأهواز أو البصره فى سنه ١٣٦، أو ١٤٥، و تأدّب على أبى زيد و أبى عبيده، و قرأ كتاب سيبويه و لزم خلف الأحمر، و صحب يونس بن حبيب الجرمى النحوى، و تلا القرآن على يعقوب.

و روى الحديث عن: أزهر بن سعد، و حمّاد بن زيد، و حمّاد بن سلمه، و عبد الواحد بن زياد، و معتمر بن سليمان، و يحيى القطان.

و حدّث عنه جماعه من الأئمّه و مشاهير العلماء، منهم: الشافعى، و أحمد بن حنبل، و غندر. و كان يقال: الشافعى شاعر غلب عليه الفقه، و أبو نؤاس فقيه غلب عليه الشعر.

و قد أثنى عليه غير واحد من كبار الأدباء و المتكلّمين، كالأصمعى و الجاحظ

و النظام، و نظمه فى الذروه، و هو فى الطبقة الأولى من المولدين، و شعره عشره أنواع و هو مجيد فى العشره.

و قد اعتنى بشعره جماعه من الفضلاء منهم: أبو بكر الصولى، و قال يعقوب بن السكيت: «إذا رويت الشعر عن امرئ القيس و الأعشى من أهل الجاهليته، و من الإسلاميين جرير و الفرزدق، و من المحدثين عن أبي نؤاس، فحسبك».

ثم إنه اتصل بالخلفاء و الوزراء و عاشرهم و مدحهم، و لمّا كانت الخلاعه و المجون كثيره عندهم، فقد اتخذ شعره تلك الصبغه، حتى نقلت عنه أشياء كثيره لا حقيقه لها.

و لابن منظور الإفريقى صاحب لسان العرب جزء فى أخبار أبي نؤاس، و هو الثالث من مختار الأغانى المطبوع فى دمشق، و قد صدر بمقدمه جيده يبين فيها أن أغلب ما ينسب إلى أبي نؤاس من المجون و الخلاعه كذب ملفق لا تصح نسبتة إليه بحجج ناصعه و أدله واضحه، و مما يشهد بذلك استماع كبار الأئمه لأشعاره المختلفه، فقد أنشدوا سفيان بن عيينه قول أبي نؤاس: ما هوى إلا له سبب

فقال ابن عيينه: «آمنت بالذى خلقها».

و عن ثعلب قال: «دخلت على أحمد بن حنبل فقال: فى أى شىء نظرت من العلوم؟ فقلت: فى اللغه و الشعر. قال: رأيت بالبصره جماعه يكتبون عن رجل الشعر،

قيل لى هذا أبو نؤاس، فتخللت الناس ورائى فلما جلست إليه أملى علينا: إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتٌ و لكن فى الخلاء رقيب

و لا تحسبن الله يغفل ساعه

و عن الشافعى قال: دخلنا على أبى نؤاس فى اليوم الذى مات فيه و هو وجود بنفسه، فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول: تعاضمنى ذنبى فلما قرنته

و لقى شعبه أبا نؤاس فقال له: «يا حسن حدّثنا من طرفك. فقال: حدّثنا الخفاف عن وائل

فقال له شعبه: إنك لجميل الأخلاق، و إنى لأرجو لك».

و قال ابن خلكان: «و ما أحسن ظن أبى نؤاس بربه عز و جلّ حيث يقول: فكثّر ما استطعت من الخطايا

ص: ٢٧٤

تعصّ ندامه كفيك ممّا تركت مخافه النار سرورا»

و توفي أبو نؤاس ببغداد سنه خمس أو ست أو ثمانيه و تسعين و مائه.

روى الخطيب بإسناده عن محمد بن نافع قال: «كان أبو نؤاس لى صديقاً، فوقعت بينى و بينه هجره فى آخر عمره، ثم بلغنى وفاته فتضاعف على الحزن، فبينما أنا بين النائم و اليقظان إذا أنا به.

فقلت: أبو نؤاس؟

قال: لات حين كنيه.

قلت: الحسن بن هانى؟

قال: نعم.

قلت: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لى بأبيات قلتها هى تحت ثنى و سادتى.

فأتيت أهله، فلما أحسوا بى أجهشوا بالبكاء، فقلت لهم: هل قال أخى شعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواه و قرطاس و كتب شيئاً لا ندرى ما هو. قلت: ائذنوا لى أدخل، قال: فدخلت إلى مرقده، فإذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت و ساده لم أر شيئاً، ثم رفعت أخرى فإذا برقعته فيها مكتوب: يا رب إن عظمت ذنوبى كثره

أقول:

هذه ترجمه أبى نؤاس بإيجاز، و هى تفيد فى مجملها: أن الرجل كان فقيهاً محدثاً عالماً أديباً، و قد كانت تصدر منه أشياء، و لكن لم يكن بحيث يهجره الأئمه عليهم

ص: ٢٧٥

السِّيَلام و الفقهاء و أهل العلم و الدِّين و يقاطعونه، ثم إنه قد تاب من ذلك حتى قال ابن الجوزي: «لا- أوثر أن أذكر أفعاله المذمومه، لأنني قد ذكرت عنه التوبه في آخر عمره، و إنما كان لعبه في أول العمر» (١).

شعر أبي نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام

و قد ذكروا له شعراً كثيراً في مدح الإمام الرضا عليه السلام، فمن ذلك ما أورده العلامه رحمه الله، قال ابن الجوزي: «فقال الصولي: و مدحه أبو نؤاس فقال: قيل لي أنت واحد الناس في كلِّ

و قال الذهبي: «و لأبي نؤاس في علي رحمه الله عليه: قيل لي أنت أحسن الناس طراً

و قال الذهبي: «قال الصولي: حدّثنا أحمد بن يحيى أن الشعبي قال: أفخر بيت قيل: قول الأنصار في بدر:

ص: ٢٧٦

١- ١) تاريخ بغداد ٤٣٦/٧، المنتظم ١٦/١٠، وفيات الأعيان ٣٧٣/١، تاريخ ابن كثير ٢٢٧/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٩- و لاحظ الهامش- الوافي بالوفيات ٢٨٣/١٢ و غيرها.

و بيئر بدر إذ يردّ وجوههم جبريل تحت لوائنا و محمد

ثم قال الصولي: أفخر منه قول الحسن بن هانئ في علي بن موسى الرضا:

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ كلام... إلى آخر الأبيات (١).

و أوردها أيضاً الصفدى في الوافى (٢)، و ابن طولون (٣).

و قال ابن خلكان (٤) و كذا ابن طولون:

«و كان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمرأ و لا طردأ و لا معنى إلا قلت فيه شيئاً، و هذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: و الله ما تركت ذلك إلا إعظماً له، و ليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعه هذه الأبيات.»

و منها: ما رواه الحاكم النيسابورى في تاريخ نيسابور، و عنه الحافظ الحموينى الجوينى بإسناده قال: «أنبأنى الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن الزجاج، أنبأنا القاضى جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل، أنبأنا محمد بن الفضل أبو عبد الله و أبو القاسم زاهر بن طاهر إجازة قالاً: أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين قال: أنبأنا الإمام الحاكم البيع قال: حدثنى على بن محمد المذكر قال: حدثنا محمد بن على الفقيه قال: حدثنا الحسين بن إبراهيم، قال: أنبأنا على بن إبراهيم عن أبيه قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن يحيى الفارسى قال: نظر أبو نؤاس إلى أبى الحسن على بن موسى الرضا ذات يوم، و قد خرج من عند الخليفة، على بغله له، فدنا منه أبو نؤاس و سلم عليه و قال: يا ابن رسول الله، قد قلت أبياتاً فأحب أن تسمعها منى. قال:

ص: ٢٧٧

١-١ (١) سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٩.

١٥٥/٢٢. ٢-٢ (٢) الوافى بالوفيات

٩٩. ٣-٣ (٣) الأئمة الاثنا عشر:

٢٧١-٢٧٠/٣. ٤-٤ (٤) وفيات الأعيان

هات.فأنشأ أبو نؤاس يقول: مطهرون نقيات ثيابهم

فقال الرضا: قد جئت بأبيات ما سبقك إليها أحد. ثم قال: يا غلام هل معك من نفقتنا شي؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إياه. ثم قال: لعله استقلها. يا غلام سق إليه البغله» (١).

و قد ذكر هذا الشعر أيضاً ابن خلكان (٢) و ابن طولون (٣) قالوا: «و له ذكر في شذور العقود».

و قال الصفدى: «و فيه يقول أيضاً: مطهرون نقيات جيوبهم...» إلى آخرها (٤).

و منها: ما رواه الحاكم النيسابورى، و عنه الحموينى الجوينى، بإسناده عن الصولى عن المبرد قال: «خرج أبو نؤاس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه و لم ير وجهه فقيل: إنه على بن موسى الرضا، فأنشأ يقول: إذا أبصرتك العين من بعد غايه

ثم قال الصولى: «أفخر منه قول الحسن بن هانئ فى على بن موسى الرضا:

ص: ٢٧٨

١-١ (١) فرائد السمطين ٢/٢٠٠.

٢-٢ (٢) وفيات الأعيان ٣/٢٧١.

٣-٣ (٣) الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

٤-٤ (٤) الوافى بالوفيات ٢٢/١٥٥.

قيل لى أنت واحد الناس فى كلّ كلام...» إلى آخر الأبيات (١).

و أوردها أيضاً الصفدى فى الوافى (٢)، و ابن طولون (٣).

و قال ابن خلكان (٤) و كذا ابن طولون: «و كان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك! ما تركت خمراً و لا طرداً و لا معنى إلا قلت فيه شيئاً، و هذا على بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: و الله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، و ليس يقدر مثلى أن يقول فى مثله، ثم أنشد بعد ساعه هذه الأبيات.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

قال قدس سره: و كان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه....

الشرح:

قال الحافظ سبط ابن الجوزى: «فصل فى ذكر ولده محمد الجواد... و كان على منهاج أبيه فى العلم و التقى و الجود (٥).

و قال الصفدى: «كان من سرواه آل بيت النبوه، زوجه المأمون بابنته... و قد قدم على المعتصم فأكرمه و أجله...، و كان من الموصوفين بالسخاء، و لذلك لُقّب بالجواد، و هو أحد الأئمة الاثنى عشر» (٦).

و قال الذهبى: «كان يلقّب بالجواد و بالقانع و بالمرتضى. و كان من سرواه آل بيت

ص: ٢٧٩

١- ١) سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٩.

٢- ٢) الوافى بالوفيات ١٥٥/٢٢.

٣- ٣) الأئمة الإثنا عشر: ٩٩.

٤- ٤) وفيات الأعيان ٢٧٠/٣.

٥- ٥) تذكره خواص الأئمة: ٣٥٨، و سبط ابن الجوزى فقيه حافظ مفسر واعظ مؤرخ، توجد ترجمته فى: وفيات الأعيان، ١٥٣/٢، ١٤٢، و العبر حوادث: ٦٥٤، طبقات المفسرين ٣٨٢/٢ و غيرها.

٦- ٦) الوافى بالوفيات ٧٩/٤.

النبى صَلَّى الله عليه وآله...، و كان أحد الموصوفين بالسَّخَاءِ، و لذلك لقب بالجواد» (١).

و كان عليه السلام يروى الحديث عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، و كان يُرجع إليه فى معانى الأخبار و حقائق الأحكام، و قد روى الخطيب و غيره بترجمته عدّه من ذلك (٢).

و حكى الشيخ محمود الشىخانى القادري أنه قد وقع لبعض الخلفاء أنه لما مرض نذر على نفسه إن وهب الله له العافيه أن يتصدّق بمال كثير، مبهماً، فعوفى، فأحضر الفقهاء و استفتاهم عن مقدار مال كثير، فكلّ قال شيئاً. فقال محمد الجواد: إن كنت نويت الدنانير فتصدّق بثمانين ديناراً، أو الدراهم فتصدّق بثمانين درهماً. فقال الفقهاء:

ما نعرف هذا فى الكتاب و لا السنّه. فقال محمد الجواد: بلى، قال الله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فى مَواطِنَ كَثِيرَةٍ» و النصر من أقسام العافيه، فعدّوا وقائع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، فإذا هى ثمانون (٣).

هذا، و أخباره و قضاياه الدالّه على تفوّقه فى العلم و التقى و الجود كثيره، إلا أن القوم لا يذكرون ذلك فى كتبهم لئلا يعرف أئمه أهل البيت عليهم السّلام و تشتهر أحوالهم و منازلهم... غير أنهم يصرحون: «و له حكايات و أخبار كثيره» (٤)، بل إن كثيراً منهم لم يعنونوه فى تواريخهم أصلاً!!

قصه يحيى بن أكنم

قال قدس سره: و لما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثره

ص: ٢٨٠

١-١) تاريخ الإسلام ٣٨٥/١٥.

٢-٢) تاريخ بغداد ٥٤/٣، الوافى بالوفيات ١٠٦/٤، الأئمه الإثنا عشر: ١٠٣.

٣-٣) الصراط السوى فى مناقب آل بيت النبى -مخطوط.

٤-٤) وفيات الأعيان ١٧٥/٤.

علمه و دينه و وفور عقله مع صغر سنّه... و جعلوا ليحيى بن أكرم مالاَ- كثيراَ على امتحانه فى مسأله يعجزه فيها... فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟! ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أخطب؟ فقال: نعم. فقال: أخطب لنفسك خطبه النكاح. فخطب و عقد على خمسمائه درهم جياداَ، مهر جدّته فاطمه عليها السلام، ثم تزوّج بها.

الشرح:

يحيى بن أكرم المروزي، قاضى القضاء، ترجموا له و وصفوه بالإمامه فى الفقه و الحديث، و ذكروا أنه كان من أهل الشرب و اللواطه و غير ذلك من القبائح.

و أمّا فى الحديث:

فعن يحيى بن معين: «كان يكذب».

و عن ابن راهويه: «ذاك الدجال».

و عن ابن الجنيّد: «يسرق الحديث».

و عن أبى حاتم: «فيه نظر».

و ذكروا أنه تولّى ديوان الصدقات على الأضرّاء و لم يعطهم شيئاَ (١).

فهذا قاضى قضاتهم حسب تصرّياتهم!!

و أمّا القضيّه المذكوره، فهى من جمله قضاياه الثابته التى لم ينقلها القوم- كما هى عادتهم- غير أن سبط ابن الجوزى أشار إليها و أسندها إلى الإماميه حيث قال:

«و الإماميه تروى خبراً طويلاً فيه أن المأمون لما زوّجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين و أشهر، و أنه هو الذى خطب خطبه النكاح، و أن العباسيين شغبوا على المأمون و رشوا القاضى يحيى بن أكرم حتى وضع مسائل ليخطب بها محمد الجواد

ص: ٢٨١

١- (١) راجع: الجرح و التعديل ١٢٩/٩، سير أعلام النبلاء ٥/١٢، ميزان الاعتدال ٣٦١/٤ و غيرها.

و يمتحنه، و إن الجواد خرج عن الجميع، و هو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب الإرشاد، و الله أعلم» (١).

و هنا قال ابن تيميه: «و أمّا ما ذكره، فإنه من نمط ما قبله، فإن الرفضه ليس لهم عقل صريح و لا نقل صحيح، و لا يقيمون حقاً و لا يهدمون باطلاً، لا بحجّه و بيان و لا بيد و سنان، فإنه ليس فيما ذكره ما يثبت فضيله محمد بن علي فضلاً عن ثبوت إمامته.

فإن هذه الحكاياه التي حكاها عن يحيى بن أكثم من الأكاذيب التي لا يفرح بها إلا الجهّال، و يحيى بن أكثم كان أفقه و أعلم و أفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيداً، فإن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسأله، فليست من دقائق العلم و لا- غرائبه، و لا- مما يختصّ به المبرّزون في العلم، ثم مجرد ما ذكره ليس إلا في تقسيم أحوال القاتل، ليس فيه بيان حكم هذه الأقسام، و مجرد التقسيم لا يقتضى العلم بأحكام الأقسام» (٢).

أقول: ما أكثر المطالب التي كذبها الرجل بصراحه و أثبتناها، و الحمد لله.

و دلالة هذه القضيه على كونه عليه السلام أعلم و أفقه من قاضى قضائهم، و واضحه لا- ينكرها إلا مكابر... و الأعلّميه المطلقه تقتضى الإمامه المطلقه كما لا يخفى.

ثم إن العلامه رحمه الله قد اختصر الخبر، و لو راجع ابن تيميه (الإرشاد) للمفيد البغدادي أو غيره من الكتب، لوجد فيه بيان حكم الأقسام بطلب من المأمون، و أنه سأل بعد ذلك- بطلب منه كذلك- يحيى بن أكثم عن مسأله، فاعترف يحيى بجهله بها، و طلب من الإمام عليه السلام بيانها... و نحن نحيل القارئ إلى الكتاب المذكور لئلا يطول بنا المقام (٣).

ص: ٢٨٢

١- ١) تذكره الخواص: ٣٥٩.

٢- ٢) منهاج السنّه ٦٩/٤.

٣- ٣) الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد ٢/٢٨١.

قال قدس سره: و كان ولده علي الهادي عليه السلام، و يقال له العسكري....

الشرح:

قال الخطيب: «أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينه رسول الله إلى بغداد، ثم إلى سرّ من رأى، فقدمها و أقام بها عشرين سنه و تسعه أشهر» (١).

و قال سبط ابن الجوزي: «و إنما نسب إلى العسكري، لأن جعفر المتوكل أشخصه من المدينه إلى بغداد، إلى سرّ من رأى، فأقام بها عشرين سنه و تسعه أشهر، و يلقّب بالمتوكل و النقي» (٢).

و قال ابن خلكان: «و لما كثرت السعاه في حقّه عند المتوكل، أحضره من المدينه و كان مولده بها، و أقرّه بسرّ من رأى، و هي تدعى بالعسكر، لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره ف قيل لها العسكر، و لهذا قيل لأبي الحسن المذكور العسكري؛ لأنه منسوب إليها، فأقام بها عشرين سنه و تسعه أشهر» (٣).

و قال ابن حجر المكي: «سمى العسكري لأنه أشخص من المدينه النبويه إلى سرّ من رأى، و أسكن بها، و كانت تسمى العسكر، فعرف بالعسكري» (٤).

ما لاقاه من المتوكل

قال قدس سره: و إنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض علياً عليه السلام....

ص: ٢٨٣

١-١) تاريخ بغداد ٥٦/١٢.

٢-٢) تذكره خواص الأمه: ٣٥٩.

٣-٣) وفيات الأعيان ٢٧٣/٣.

٤-٤) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

الشرح:

و هذا مشهور لا يناع فيه أحد، وهو الذى هدم قبر الحسين عليه السلام و ما حوله من الدور، و أمر أن يزرع، و منع الناس من زيارته (١) فقال البسامى أبيتاً منها: أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتبعوه رميما

و قال الذهبى: «و كان المتوكل فيه نصب و انحراف» (٢).

و قال ابن الأثير فى حوادث ٢٣٦: «فى هذه السنه، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على عليه السلام، و هدم ما حوله من المنازل و الدور، و أن يبذر و يسقى موضع قبره، و أن يمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطه بالناس فى تلك الناحيه: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثه أيام حبسناه فى المطبق. فهرب الناس و تركوا زيارته، و حرث [خرّب] و زرع.

و كان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب عليه السلام و لأهل بيته، و كان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً و أهله بأخذ المال و الدم.

و كان من جمله ندمائه عباده المخنث، و كان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّه و يكشف رأسه و هو أصلع، و يرقص بين يدى المتوكل و المغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البدين، خليفه المسلمين! يحكى بذلك علياً عليه السلام! و المتوكل يشرب و يضحك» (٣).

و العجب أنه مع ذلك يصفه بعضهم قائلاً: «استخلف المتوكل فأظهر السنّه و تكلم بها فى مجلسه، و كتب إلى الآفاق برفع المحنه و بسط السنه و نصر أهلها» (٤).

ص: ٢٨٤

١ - ١) تاريخ الطبرى ٣٦٥/٧، الكامل لابن الأثير ٥٥/٧، البدايه و النهايه ٣٤٧/١٠، تاريخ الخلفاء: ٣٤٧، النجوم الزاهره ٢٣٥/٢ و غيرها.

٢ - ٢) سير أعلام النبلاء ٣٥/١٢.

٣ - ٣) الكامل فى التاريخ ٥٥/٧.

٤ - ٤) سير أعلام النبلاء ٣١/١٢ عن بعضهم.

و لعلهم يريدون من «السنة» القول بقدم القرآن.

و قال السيوطى بعد خبر: «استفدنا من هذا أن المتوكل كان متمذّباً بمذهب الشافعى، و هو أول من تمذهب من الخلفاء» (١).

ثم الأعبج ما جاء فيه-بعد حكايه ما فعل بابن السكيت و قصته مشهوره:-

«و كان المتوكل رافضياً» (٢).

لكنى لا أستبعد أن يكون التحريف من النسخ أو الناشرين للكتاب.

قال قدس سره: فبلغه مقام على بالمدينه و ميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمه، فأمره بإشخاصه، فضج أهل المدينه لذلك خوفاً عليه....

الشرح:

و شهد كثير من المخالفين له عليه السلام بفقعه و ورعه و عبادته.

قال اليافعى: «كان الإمام على الهادى متعبداً فقيهاً إماماً» (٣).

و بمثله قال ابن العماد الحنبلى (٤).

و قال ابن كثير: «قد كان عابداً زاهداً» (٥).

و ذكر كثيرون منهم إشخاص المتوكل إياه من المدينه المنوره إلى العراق، إلا أنهم -مع تصريحهم بنصب المتوكل- يحاولون التغطية على قبائحهم و ستر مظالمهم، فلا يذكرون تفصيل القضايا، ففى تاريخ يعقوبى:

«و كتب المتوكل إلى على بن محمد بن على الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد

ص: ٢٨٥

١-١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٢.

٢-٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩.

٣-٣) مرآه الجنان ١٦٠/٢.

٤-٤) شذرات الذهب ١٢٨/٢.

٥-٥) البدايه و النهايه ١٩/١١.

فى الشخوص من المدینه، و كان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمى قد كتب يذكر أن قومًا يقولون إنه الإمام، فشخص عن المدینه، و شخص يحيى بن هرثمه معه، حتى صار إلى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياصريه نزل هناك. و ركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه، فرأى تشوق الناس إليه و اجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، و دخل به الليل فأقام ببغداد بعض تلك الليله، ثم نفذ إلى سرّ من رأى» (١).

و قد وجدت الخبر كما شرحه العلماءه رحمه الله، فى كتاب (تذكره خواصّ الأمه)، و صاحبه حنفى المذهب و من المتقدّمين عليه، فإنه قال:

«قال علماء السير: و إنما أشخصه المتوكل من مدینه رسول الله إلى بغداد، لأن المتوكل كان يبغض عليًا و ذريّته، فبلغه مقام على بالمدینه و ميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمه و قال: اذهب إلى المدینه، و انظر فى حاله و أشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدینه، فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجًا عظيمًا ما سمع الناس بمثله، خوفًا على على، و قامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسنًا إليهم ملازمًا للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت أسكنهم و أحلف لهم أنى لم أوامر فيه بمكروه و أنه لا بأس عليه. ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف و أدعيه و كتب العلم، فعظم فى عينى و تولّيت خدمته بنفسى و أحسنت عشرته.

فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهرى -و كان واليًا على بغداد- فقال لى: يا يحيى، إن هذا الرجل قد ولّده رسول الله، و المتوكل من تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، و كان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: و الله ما وقفت منه إلا على كلّ أمر جميل.

ثم صرت به إلى سرّ من رأى، فبدأت بوصيف التركى، فأخبرته بوصوليه، فقال:

ص: ٢٨٤

و الله لئن سقط منه شعره لا يطالب بها سواك. فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق.

فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه، فأخبرته بحسن سيرته و سلامه طريقته و ورعه و زهادته، و أنى فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف و كتب العلم، و أن أهل المدينة خافوا عليه. فأكرمه المتوكل و أحسن جائزته و أجزل برّه و أنزله معه سرّ من رأى» (١).

قال قدس سره: ثم مرض المتوكل، فنذر إن عوفى تصدق بدراهم كثيره، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثه و ثمانين درهماً....

الشرح:

قال الخطيب البغدادي الحافظ: «أخبرني الأزهرى، حدّثنا أبو أحمد عبيد الله ابن محمد المقرئ، حدّثنا محمد بن يحيى النديم، حدّثنا الحسين بن يحيى قال: اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدّق بدنانير كثيره، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله. فقال: يتصدّق بثلاث و ثمانين ديناراً. فعجب قوم من ذلك، و تعصّب قوم عليه، و قالوا: تسأله -يا أمير المؤمنين- من أين له هذا؟ فردّ الرسول إليه فقال له:

قل لأمر المؤمنين: في هذا الوفاء بالندر، لأن الله تعالى قال «لَقَدْ نَصَّيْكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع و السرايا و الغزوات كانت ثلاثه و ثمانين موطناً، و أن يوم حنين كان الرابع و الثمانين. و كلّما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير كان أنفع له، و أجز عليه في الدنيا و الآخرة» (٢).

و رواه الحافظ ابن الجوزي عن أبي منصور القزاز عن الخطيب بإسناده كذلك (٣).

ص: ٢٨٧

١- ١) تذكره خواص الأمة: ٣٥٩-٣٦٠.

٢- ٢) تاريخ بغداد ٥٦/١٢-٥٧.

٣- ٣) المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ٧٤/١٢.

و رواه الصفدى بترجمته عليه السلام كذلك (١).

و رواه غير هؤلاء.

قال قدس سره: قال المسعودى: نُمى إلى المتوكل بعلى بن محمد أن فى منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، و أنه عازم على الملك، فبعث إليه....

الشرح:

هذا الخبر المذكور فى كثير من الكتب: كمروج الذهب- و عنه الحافظ سبط ابن الجوزى فى التذكرة- و وفيات الأعيان (٢)، و قد أرسله إرسال المسلم. و كذا الوافى بالوفيات ٧٢/٢٢، و الأئمة الإثنا عشر لابن طولون ١٠٧، و البدايه و النهايه لابن كثير ١٥/١٦، و المختصر فى أخبار البشر ٤٤/٤.

و رواه المتأخرون كصاحب الإتحاف بحب الأشراف ٢٠٠ قال: «قال بعض الثقات...».

قال ابن تيميه: بعد أن أورد كلام العلامة قال: «هذا الكلام من جنس ما قبله، لم يذكر منقبه بحجه صحيحه، بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل، فإنه ذكر فى الحكايه أن والى بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائى، و هذا من جهله، فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعى....»

و أمّا الفتيا التى ذكرها من أن المتوكل نذر إن عوفى يتصدق... فهذه الحكايه أيضاً تحكى عن على بن موسى مع المأمون، و هى دائره بين أمرين، إمّا أن تكون كذباً، و إمّا أن تكون جهلاً ممن أفتى بذلك، فإن قول القائل: له على دراهم كثيره، أو و الله لأعطين فلاناً دراهم كثيره، أو لأتصدقن دراهم كثيره، لا- يحمل على ثلاث و ثمانين، عند أحد من علماء المسلمين، و الحجه المذكوره باطله لوجه:

ص: ٢٨٨

١- (١) الوافى بالوفيات ٤٨/٢٢.

٢- (٢) وفيات الأعيان ٢٧٢/٣.

أحدها: إن قول القائل: إن المواطن كانت سبعاً و عشرين غزاه و ستا و خمسين سريه ليس بصحيح، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لم يغز سبعاً و عشرين غزاه باتفاق أهل العلم بالسير، بل أقلّ من ذلك.

الثانى: إن هذا الآيه نزلت يوم حنين، و الله قد أخبر بما كان قبل ذلك، فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك مواطن كثيره....

الثالث: إن الله لم ينصرهم فى جميع المغازى، بل يوم أحد تولّوا....

الرابع: إنه بتقدير أن يكون المراد بالكثير فى الآيه ثلاثاً و ثمانين، فهذا لا يقتضى اختصاص هذا القدر بذلك، فإن لفظ الكثير لفظ عام....

الخامس:... إن القلّه و الكثره أمر إضافى... و الخليفه يحمل الكثير منه على ما لا يحمل الكثير من آحاد العامه....

و الحكايه التى ذكرها عن المسعودى منقطعه الإسناد، و فى تاريخ المسعودى من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى...» (١).

أقول: يتلخّص المهم من كلام الرجل هنا فى أمور:

الأول: الاعتراض على علامه فى وصفه (إسحاق بن إبراهيم) ب(الطائى)، مع أنه (خزاعى).

و الثانى: إن الفتيا المذكوره تحكى عن على بن موسى الرضا مع المأمون، و هى إمّا كاذبه و إمّا جهل، لأن العدد المذكور فيها ليس مطابقاً للواقع.

و الثالث: الحكايه المذكوره عن تاريخ المسعودى كذب.

و الجواب أمّا عن الأول، فإنه يبتنى على وجود كلمه (الطائى) فى كتاب (منهاج الكرامه) لكن الكلمه فى نسختنا (الظاهرى) و فى تذكره خواص الأمه (الظاهرى) و قد

ص: ٢٨٩

ذكر فى هامش (منهاج السنه) أن فى بعض نسخ (منهاج الكرامه) هو الاسم (إسحاق بن إبراهيم) فقط، فلا- هذا و لا- ذاك و لا الطائى...فما الحامل لأن يتشبه الرجل بتلك الكلمه إلا العناد؟

و أما عن الثانى، فإن هذه الفتيا، سواء كانت من الإمام الهادى كما عرفت، أو الرضا كما يدعى الرجل، أو غيرهما من الأئمه عليهم السلام كما تقدم عن بعض الكتب-قد صدرت من (أهل البيت) الذى هم (أدرى بما فى البيت) حكماً أو واقعه، فيجب القبول و التسليم، كما حصل من فقهاء ذلك العصر، و حيثئذ، لا يسمع مكابره فيه أو تشكيك من زيد أو عمرو!!

و قوله: «فإن النبى لم يغز سبعاً و عشرين غزاه باتفاق أهل العلم بالسير» كذب و باطل.

قال الحافظ ابن سيد الناس: «ذكر الخبر عن عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه و آله و بعوثه: رويناه عن ابن سعد قال: أنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى، ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومى، و موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، و محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخى الزهرى، و موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعه بن الأسود، و عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمه الزهرى، و يحيى بن عبد الله بن أبى قتاده الأنصارى، و ربيعه بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمى، و إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيشه الأشهللى، و عبد الحميد بن جعفر الحكمى، و عبد الرحمن بن أبى الزناد، و محمد بن صالح التمار.

قال ابن سعد: و أنا رويم بن يزيد المقرئ، ثنا هارون بن أبى عيسى، عن محمد بن إسحاق قال: و أنا حسين بن محمد، عن أبى معشر. قال: و أنا إسماعيل بن عبد الله بن أويس المدنى، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبه، عن عمه موسى بن عقبه، دخل حديث بعضهم فى حديث بعض.

قالوا: كان عدد مغازى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التي غزا بنفسه سبعاً و عشرين» (١).

وقال الحلبي: «باب ذكر مغازيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذكر أن مغازيه، أى: و هي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعاً و عشرين» ثم عددها (٢).

وقال القسطلاني: «فجمع سراياه و بعوثة نحو ستين و مغازيه سبع و عشرون» (٣).

هذا، و لا يخفى أن الإمام عليه السلام قال بعد ذلك: «و كلما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير، كان أنفع له و أجرٌ عليه في الدنيا و الآخرة».

و أما عن الثالث، فوجوه:

١- هذا الخبر رواه غير المسعودى من العلماء و المؤرخين، ممن لا يتهمهم هذا الرجل.

٢- و في (مروج الذهب) أكاذيب، كغيره من كتب التاريخ و الحديث، حتى الموصوفه بالصحة و المشهوره بالاعتماد، لكن هذا الخبر رواه غير المسعودى أيضاً، مضافاً إلى القرائن الداله على صحته، و قد وجدت الأبيات في كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبه، المتوفى سنة ٢٧٦، أى قبل المسعودى بعشرات السنين، قال: «بلغنى أنه قرئ على قبر بالشام» (٤).

ترجمه المسعودى

٣- و قد ترجم الأكابر المسعودى و أثنوا عليه:

ص: ٢٩١

١- ١) عيون الأثر في المغازى و السير ٢٩٤/١.

٢- ٢) السيره الحلبيه ٣٤٢/٢.

٣- ٣) المواهب اللدنيه ١١٢/٣.

٤- ٤) عيون الأخبار ٣٠٣/٤ كتاب الزهد.

قال ياقوت: «على بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ، أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي...بغدادى الأصل...و له من الكتب: كتاب مروج الذهب و معادن الجواهر...» (١).

وقال الذهبي: «المسعودي، صاحب مروج الذهب و غيره من التواريخ...و كان أخبارياً صاحب ملح و غرائب و عجائب و فنون، و كان معتزلياً. أخذ عن أبي خليفه الجمحي و نبطويه و عدّه. مات فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٥» (٢).

و ذكره فى وفيات السنه المذكوره فى (تذكرة الحافظ) و (العبر) كذلك (٣).

وقال الكتبي: «المسعودي صاحب التاريخ...و كان أخبارياً علامه صاحب غرائب و ملح و نوادر. مات سنة ٣٤٦» (٤).

٤- بل كان الرجل فقيهاً مفتياً، عداده فى فقهاء الشافعيه، فقد أورده السبكي فى (طبقاته) قائلاً: «على بن الحسين بن علي المسعودي صاحب التواريخ: كتاب (مروج الذهب) فى أخبار الدنيا، و كتاب...و كان أخبارياً مفتياً علامه، صاحب ملح و غرائب، سمع من....

وقيل: إنه كان معتزلي العقيدة مات سنة ٤٥ أو ٣٤٦.

و هو الذى علق عن أبي العباس بن سريج (رساله البيان عن أصول الأحكام) و هذه الرساله عندي نحو ١٥ ورقه، ذكر المسعودي فى أولها أنه حضر مجلس لعياده أبي العباس فى علقته التى مات بها سنة ٣٠٦، و قد حضر المجلس لعياده أبي العباس جماعه من حدّاق الشافعيين و المالكيين و الكوفيين و الداوديين و غيرهم من أصناف المخالفين، فبينما

ص: ٢٩٢

١- ١) معجم الأدباء ٩٠/١٣.

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ٥٦٩/١٥.

٣- ٣) تذكرة الحفاظ ٨٥٧/٣، العبر ٧١/٢.

٤- ٤) فوات الوفيات ٨١/٢.

أبو العباس يكلّم رجلاً من المالكيين، إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم، فدفعه إلى القاضي أبي العباس فقرأه على الجماعة، فإذا هو من جماعه الفقهاء المقيمين ببلاد الشاش، يعلمونه أن الناس في ناحيتهم أرض الشاش و فرغانه مختلفون في أصول فقهاء الأمصار ممن لهم الكتب المصنفة و الفتيا، و يسألونه رساله يذكر فيها أصول الشافعي و مالك و سفيان الثوري و أبي حنيفة و صاحبيه و داود بن علي الأصبهاني، و أن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي. فكتب القاضي هذه الرساله، ثم أملى فيما ذكر المسعودي عليهم بعضها و عجز لضعفه عن إملاء الباقي، فقرأ عليه و المسعودي يسمع» (١).

٥- فهذه ترجمه المسعودي... و كتابه (مروج الذهب)... على لسان هؤلاء الأكابر، و أنت لا تجد فيها مطعناً فيه و لا في كتابه... بل إنه فقيه شافعي غلب عليه التاريخ و ذكر أخبار الناس....

و مع كلّ هذا... فقد أورده الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) لا لعب فيه و إنما لاشتمال كتبه على فضائل لعلي و أهل البيت عليهم السلام! قال:

«و كتبه طافحه بأنه كان شيعياً معتزلياً، حتى أنه قال في حق ابن عمر أنه امتنع من بيعه علي بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية و الحجاج لعبد الملك بن مروان. و له من ذلك أشياء كثيرة.

و من كلامه في حق علي ما نصّه: الأشياء التي استحقّ بها الصحابه التفضيل: السبق إلى الإيمان و الهجره مع النبي صلّى الله عليه و آله و النصر له و القرابه منه، و بذل النفس دونه، و العلم، و القناعه، و الجهاد، و الورع، و الزهد، و القضاء، و الفتيا. و إن لعلي من ذلك الحظ الأوفر و النصيب الأكبر، إلى ما ينضم إلى ذلك من خصائصه بآخرته و بأنه أحبّ الخلق، إلى غير ذلك» (٢).

ص: ٢٩٣

١- ١) طبقات الشافعيه الكبرى ٤٥٦/٣.

٢- ٢) لسان الميزان ٢٢٥/٤.

أقول: لم يذكره بكذب ولا ضعف ولا تدليس... ونحو ذلك... بل غايه الأمر أن يكون من القائلين بتقدّم على عليه السلام على الصحابه، وهذا قول كثير من الصحابه و التابعين و سائر المسلمين.

٦- وما ذكرنا ظهر الوجه و السبب فى تكلم ابن تيميه فى كتاب (مروج الذهب)...

فيظهر أن فيه و غيره من كتب المسعودى ما ليس على هوى هذا الرجل... و قد عرفناه بالتسرع فى الطعن فى الشخص إذا أحس منه أقل ميل إلى أهل البيت عليهم السلام!!

الإمام الحسن العسكرى عليه السلام

قال قدس سره: و كان ولده الحسن العسكرى عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامه كثيراً.

الشرح:

قال ابن تيميه: «فهذا من نمط ما قبله من الدعاوى المجرّده و الأكاذيب البيّنه، فإن العلماء المعروفين بالروايه الذين كانوا فى زمن الحسن بن على العسكرى ليس لهم عنه روايه مشهوره فى كتب أهل العلم، و شيوخ أهل الكتب الستة: البخارى و مسلم و أبى داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه، كانوا موجودين فى ذلك الزمان و قريباً منه و بعده. و قد جمع الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أخبار شيوخ النبل - يعنى شيوخ هؤلاء الأئمه - فليس فى هؤلاء الأئمه من روى عن الحسن بن على العسكرى مع روايتهم عن ألوف مؤلفه من أهل الحديث.

فكيف يقال: روت عنه العامه كثيراً؟ و أين هذه الروايات؟

و قوله: إنه كان أفضل أهل زمانه هو من هذا النمط» (١).

ص: ٢٩٤

أقول:

هو مولانا الإمام الزكى الحسن ابن الإمام على الهادى ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام على الرضا...عليهم الصلاه و السلام.و لقب ب(العسكرى)لكونه سكن (العسكر)مع والده،و كان الإمام من بعد والده الذى اغتاله المعتمد العباسى بالسّم.

و قد لاقى الإمام عليه السلام منذ نشأته فى حكومه المتوكل إلى آخر أيامه ما لاقاه والده عليه السلام من صنوف الظلم و ألوان الجور،بل كان زمانه أشد و أظلم،فقد كان المستعین مبغضاً لأهل البيت عليه السلام،حتى أنه أودعه السجن مدّه من الزمن،بعد أن كانت داره تحت الضغط و المراقبه الشديده.

بل قيل إنه كان عازماً على قتله بأن أمر بعض خدّامه بحمله إلى الكوفه و اغتياله فى الطريق كيلا يعلم أحد بواقع الأمر،لكن الله شاء أن يكون قتل المستعین على يد ذاك الخادم....

ثم تولّى المعتز بن المتوكل،و قد ورث من آبائه العدا و النصب لعتره الرسول صلّى الله عليه و آله،فعاد و أودع الإمام عليه السلام السجن،و ما مضت إلا برهه من الزمن حتى قتل على يد الأتراك و خلص الإمام من السجن،ثم تسلّم المهتدى زمام الأمر و هو -كآبائه-على أشدّ البغض و النصب لآل النبى،فأمر باعتقال الإمام،و قصد قتله فى السّجن لكن الله لم يمهل،إذ هجم عليه الأتراك بالخناجر و قتلوه و سفكوا دمه،و أراح الله منه.

فجاء المعتمد،و هو أيضاً على سيره المتقدمين عليه،فأمر باعتقال الإمام،حتى إذا اطمأن من أن لا قصد للإمام بالقيام ضدّه،أمر بإطلاق سراحه من السجن،لكنه بقى فى داره تحت المراقبه الشديده،إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وجنه المأوى سنة ٢٦٠ و له من العمر ثمان و عشرون سنه،و دفن إلى جنب والده فى الدار،حيث المشهد العظيم الذى يتتابه المؤمنون إلى هذا اليوم.و هكذا عاش الإمام العسكرى هذا العمر القصير....

فالإنصاف: أن هذا القدر الذى وصل إلينا من أحاديث الإمام العسكرى عليه السلام و أخباره مع قصر عمره الشريف، الذى قضاه فى السجن، و تحت المراقبة، مع منع الناس من الدخول عليه و نشر حديثه، و مطارده أصحابه و أقربائه، لكثير كثير...!!

و إن من الواضح أن لا- يقصد أتباع أولئك الطواغيت الإمام عليه السلام للأخذ منه و الروايه عنه، مع ما فى ذلك من تعريض النفس للخطر....

ثم جاء الذين ساروا على منهاج الملوك فى العدا و النصب لأهل البيت- هؤلاء الذين لا تلتأم جراحات ألسنتهم و أقلامهم- و جعلوا يتناولون على شأن الإمام و مقامه العظيم، و ينكرون كل شىء، حتى هذا القدر المنقول الموجود فى كتب الفريقين من أخباره و أحاديثه... الدال على علمه و جلالته و كونه أفضل أهل زمانه.

يريد النواصب ليطفئوا نور الله... قوم بالمحاربه و القتل و التعذيب، و قوم بعدم الروايه و النقل، و قوم بالإنكار و التكذيب... و يابى الله إلا أن يتم نوره....

فالملوك لم يفسحوا المجال للإمام عليه السلام لأن يتصل به العلماء و الناس و يستفيدوا من علومه و يستضيئوا بنوره، فقد كانت أيامه قليلة و مضى أكثرها فى السجن....

عجيب أمر هؤلاء... فإنهم عند ما يسألون عن السبب فى قله الروايه عن كبار الصحابه- لا سيما الثلاثة- فى تفسير القرآن و بيان الأحكام، قالوا: إن السبب تقدم وفاتهم، فقد قال السيوطى: «أما الخلفاء، فأكثر من روى عنه منهم على بن أبى طالب، و الروايه عن الثلاثة نزره جداً؛ و كأن السبب فى ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب فى قله روايه أبى بكر للحديث، و لا أحفظ عن أبى بكر فى التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تتجاوز العشره، و أما على، فروى عنه الكثير...» (1).

فهكذا يعتذرون لأولياءهم، و هو عذر باطل غير مقبول، أمّا بالنسبه إلى مثل الإمام

ص: ٢٩٦

العسكري، فلا يعتذرون بما هو الثابت الحق، بل لسانهم يطول....

و يقول الرجل: إن أحداً من مشايخ الحديث البخارى وغيره، لم يرو عن الإمام العسكري عليه السلام، إلا أنه لا يذكر السبب فى ذلك... وهو ما أشرنا إليه... فعدم روايتهم عنه كان لسوء حظهم و عدم توفيقهم، و لا دلالة فيه على ضعف فى الإمام عليه السلام و العياذ بالله، بشيء من الدلالات....

مع أنهم يقولون بإمامه البخارى بل يجعلونه إمام أئمتهم، و الحال أن أئمه عصره و فى بلده حرّموا السماع منه و الروايه عنه و أخرجوه من البلد و طردوه، فقد حكى الذهبي عن الحاكم قال: «سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخارى نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الدهلي و بين البخارى ما وقع فى مسأله اللفظ و نادى عليه و منع الناس عنه، انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم، فقال الدهلي يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحلّ له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم ردائه فوق عامته و قام على رؤوس الناس، و بعث إلى الدهلي ما كتب عنه على ظهر حمال، و كان مسلم يظهر القول باللفظ و لا يكتمه.

قال: و سمعت محمد بن يوسف المؤذن، سمعت أبا حامد ابن الشرفى يقول:

حضرت مجلس محمد بن يحيى فقال: ألا من قال لفظى بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج عن المجلس».

رواها أحمد بن منصور الشيرازى عن محمد بن يعقوب فزاد: و تبعه أحمد بن سلمه. قال أحمد بن منصور الشيرازى: «سمعت محمد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم و أحمد بن سلمه من مجلس الدهلي قال: لا يساكننى هذا الرجل فى البلد، فخشى البخارى و سافر» (1).

ص: ٢٩٧

١-١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٩-٤٦٠.

ثم إن العلماء رحمهم الله من كبار العلماء في معرفه الرجال و أصحاب الأئمة، و له في ذلك كتب، و قوله: «روت عنه العامه كثيراً» ليس جزافاً، و قد ذكر أسماء جماعه كبيره من أصحاب الإمام العسكري في كتابه (الخلاصه في علم الرجال) و كثيرون منهم من العامه.

و بعد،

فهذه أخبار و روايات و أقوال في كتب غير الشيعة تؤكد قول العلامة: «كان عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه، روت عنه العامه كثيراً»:

قال الحافظ أبو نعيم: «أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد القزويني ببغداد، قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني القاسم بن العلاء الهمداني، قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن محمد، قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله و أشهد لله قد حدثني أبي علي بن موسى قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي موسى بن جعفر قال:

أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي جعفر بن محمد قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن الحسين قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي الحسين بن علي قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن طالب -رضي الله تعالى عنهم- قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه و آله قال: أشهد بالله و أشهد لله، لقد قال لي جبريل عليه السلام يا محمد، إن مدمن الخمر كعابد الأوثان.

هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة، و لم نكتبه على هذا الشرط

بالشهادة بالله و لله إلا عن هذا الشيخ» (١).

و قال الحافظ سبط ابن الجوزى: «و كان عالماً ثقاه. روى الحديث عن أبيه عن جده. و من جملة مسانيد حديثه فى الخمر عزيز، ذكره جدى أبو الفرج فى كتابه المسمى ب (تحريم الخمر) و نقلته من خطه و سمعته يقول:

أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن على يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الرحمن بن أبى عبيد اليبهقى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد الدينورى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت محمد بن على بن الحسين العلوى يقول:

أشهد بالله، لقد سمعت أحمد بن عبيد الله السبيعى [الشيعى] يقول: أشهد بالله، لقد سمعت الحسن بن على العسكرى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى على بن محمد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى محمد بن على بن موسى الرضا يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى على بن موسى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى جعفر بن محمد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى محمد بن على يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى على بن الحسين يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبى الحسين بن على يقول: أشهد بالله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: أشهد بالله، لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله، لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله، لقد سمعت إسرافيل يقول:

أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد وثن.

و لما روى جدى هذا الحديث فى كتاب (تحريم الخمر) قال: قال أبو نعيم

ص: ٢٩٩

١ - ١) حليه الأولياء ٢٠٣/٣.

الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة الطاهرة، ورواه جماعة عن رسول الله...» (١).

وقال الحافظ ابن حجر: «ذ-أحمد بن عبد الله الشيعي-حدث عن الحسن بن علي العسكري. ثم ذكر بسند له مسلسل ب(أشهد بالله) إلى أن وصل إلى محمد بن علي ابن الحسين بن علي قال: أشهد بالله، لقد حدثني أحمد بن عبد الله الشيعي البغدادي قال: أشهد بالله، لقد حدثني الحسن بن علي العسكري قال: أشهد بالله، لقد حدثني أبي علي بن محمد، أشهد بالله، لقد حدثني أبي محمد بن علي موسى الرضا. فذكره مسلسلاً بآباء علي بن موسى إلى علي قال: أشهد بالله...» (٢).

وقال الحافظ عبد العزيز الجنازدي عن رجاله، عن الحافظ البلاذري: «حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى-إمام عصره عند الإماميه-بمكة، قال:

حدثني أبي علي بن محمد المفتي، قال: حدثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، قال حدثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر المرتضى، قال:

حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدثني أبي محمد بن علي الباقر، قال:

حدثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، قال: حدثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله عز وجل سيد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقر لي بالتوحيد دخل حصني و من دخل حصني أمن من عذابي» (٣).

ص: ٣٠٠

١- ١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي-مخطوط، تذكره خواص الأئمة: ٣٦٢.

٢- ٢) لسان الميزان ٢٠٩/١. ولا يخفى أن «ذ» رمز لذيلى ميزان الاعتدال للشيخ حافظ الوقت أبى الفضل بن الحسين، كما صرح ابن حجر فى لسان الميزان ٤/١. فىكون الراوى الأول للمسلسل هو هذا الحافظ.

٣- ٣) معالم العترة النبويه للحافظ عبد العزيز بن محمود المعروف بابن الأخضر الجنازدي المتوفى سنة: ٦١١ وصفه الذهبى بالإمام العالم المحدث الحافظ المعمر مفيد العراق، كان ثقة فهماً خيراً ديناً عفيفاً، وكذا عن غيره. سير أعلام النبلاء ٣١/٢٢. نقله عنه: العلامة الوزير على بن عيسى الإربلى المتوفى سنة ٦٩٣ والمترجم له فى الشذرات والوفى بالوفيات وغيرهما، فى كتاب: كشف الغمه فى معرفة الأئمة ٤٠٣/٢.

و روى غير واحد: أنه وقع في سر من رأى في زمن المعتمد قحط شديد و الإمام في السجن، فأمر المعتمد بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء و خرج معه النصارى و الرهبان، و كان فيهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثم خرجوا في الثاني و فعلوا كفعلهم أول يوم، فهطلت السماء بالمطر، فعجب الناس من ذلك، و داخل بعضهم الشك، و صبا بعضهم إلى دين النصرانية، فشقّ ذلك على المعتمد، فأنفذ صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس و اتنى به.

فلما حضر أبو محمد الحسن عند المعتمد قال له: أدرك أمه محمد صلى الله عليه و آله فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة، فقال أبو محمد: مرهم يخرجون غداً اليوم الثالث، فقال له: قد استغنى الناس عن المطر و استكفوا، فما فائده خروجهم؟ قال:

لأزِيل الشك عن الناس و ما وقعوا فيه.

فأمر الخليفة الجاثليق و الرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جارى عادتهم و أن يخرج الناس، فخرج النصارى و خرج معهم أبو محمد الحسن و معه خلق من المسلمين، فوقف النصارى على جارى عادتهم يستسقون، و خرج راهب معهم و مدّ يده إلى السماء و رفعت النصارى و الرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم، فغميت السماء في الوقت و نزل المطر، فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب و أخذ ما فيها، فإذا بين أصابعه عظم آدمى، فأخذه أبو محمد الحسن و لفّه في خرقة و قال لهم:

استسقوا. فانقشع الغيم و طلعت الشمس، فتعجب الناس من ذلك.

و قال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي الأنبياء، ظفر به هؤلاء من

قبور الأنبياء، و ما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر.

فاستحسنوا ذلك و امتحنوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمد إلى داره بسرّ من رأى، و قد أزال عن الناس هذه الشّبهه، و سرّ الخليفة و المسلمون بذلك.

و كَلّم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم و أطلقهم من أجله (١).

و قال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي عن بهلول قال: «بينما ذات يوم في بعض شوارع المدينة و إذا بالصبيان يلعبون بالجوز و اللوز، و إذا بصبيّ ينظر إليهم و يبكي.

فقلت: هذا صبي يتحسّر على ما في أيدي الصبيان و لا شيء معه. فقلت: أي بنى ما يبكيك؟ اشتر لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إلى و قال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا.

فقلت: فلم إذا خلقنا؟ قال: للعلم و العباده. قلت: من أين لك ذاك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ لِنِينَا لَا تُرْجَعُونَ». فقلت: يا بنى، أراك حكيماً، فعظني و أوجز، فأنشأ يقول: أرى الدنيا تجهز بانطلاق مشمره على قدم و ساق... الأبيات....

ثم رمق إلى السماء بعينه و أشار بكفّيه و دموعه تتحدّر على خديّه و أشار بقوله...

فلَمّا أتم كلامه خرّ مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجرى و نفضت التراب عن وجهه أفاق... فقلت له: أي بنى أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول: غفلت و حادى الموت فى أثرى يحدو و إن لم أرح يوماً فلا بد أن أغدو... الأبيات.

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً على و انصرف الصبى، فلما أفقت و نظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: و ما عرفته؟

ص: ٣٠٢

قلت: لا، قالوا ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب قال: فقلت: قد عجبت من أمره، وما تكون هذه الثمره إلا من تلك الشجره» (١).

و قال الحافظ سبط ابن الجوزى: «روى الحسن النصيبى قال: خطر فى قلبى عرق الجنب هل طاهر؟ فأتيت إلى باب أبى محمد الحسن لأسأله و كان ليلاً، فنمت، فلما طلع الفجر خرج من داره فرأنى نائماً فأيقظنى و قال: إن كان حلالاً فنعم، و إن كان من حرام فلا» (٢).

و روى ابن الصباغ المالكى بسنده عن عيسى بن الفتح قال: «لما دخل علينا أبو محمد السجن قال لى: يا عيسى لك من العمر خمس و ستون سنه و شهر و يومان، قال: و كان معى كتاب فيه تاريخ ولادتى، فنظرت فيه فكان كما قال. ثم قال لى: هل رزقت ولداً؟ فقلت: لا. قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد. ثم أنشد: من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الدليل الذى ليست له عضدٌ

فقلت له: يا سيدى، و أنت لك ولد؟ فقال: و الله سيكون لى ولد يملأ الأرض

ص: ٣٠٣

١ - ١) روض الرياحين فى حكايات الصالحين، جمع فيه خمسمائه حكايه. كشف الظنون ٩١٨/١، و هو للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى الشافعى المتوفى: ٧٦٨ صاحب مرآه الجنان و غيره من الكتب، توجد ترجمته فى الدرر الكامنه ٢٤٧/٢، طبقات السبكى ١٠٣/٦، البدر الطالع ٣٧٨/١ و غيرها. و قد نقلنا القصة باختصار فى الأشعار و غيرها، و هى مذكوره بترجمه الإمام الحسن العسكرى عليه السلام عن: جواهر العقدين - ق ٢ ج ٢/٤٣١، الصواعق المحرقة: ١٢٤، و سيله المال - مخطوط، نور الأبصار: ٣٣٨ عن درر الأصداف، جوهره الكلام فى مدح الساده الأعلام: ١٥٥، دائره المعارف للبستاني ٤٥/٧.

٢ - ٢) مرآه الزمان ٦/الورقه ١٩٢ و «الحسن النصيبى» ترجم له ابن حجر قال: من ذريه إسحاق بن جعفر الصادق، ذكره أبو المفضل الشيبانى فى وجوه الشيعة و قال: سمعت عليه حديثاً كثيراً، و له تصنيف فى طرق حديث الغدير، و روى عن محمد بن علي بن حمزه و غيره. انتهى كلامه فى كتاب لسان الميزان ١٩١/٢.

قسطاً و عدلاً، و أما الآن فلا. ثم أنشد متمثلاً: لعلك يوماً أن ترانى كأنما بنى حوالى الأسود اللّوابد

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً و هو فى الناس واحد» (١)

و روى ابن صباغ المالكى عن إسماعيل بن محمد بن على بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس قال: «قعدت لأبى محمد الحسن على باب داره حتى خرج، فقممت فى وجهه و شكوت إليه الحاجه و الضروره، و أقسمت أنى لا- أملك الدرهم فما فوقه، فقال: تقسم و قد دفنت مائتى دينار! و ليس قولى هذا دفعاً لك عن العطيّه، أعطه يا غلام ما معك. فأعطانى مائه دينار، شكرت له تعالى و وليت فقال: ما أخوفنى أن تفقد المائتى دينار أحوج ما تكون إليها.

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هى فى مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر و دفنتها من حيث لا- يطلع أحد، ثم قعدت مدّه طويله، فاضطرت إليها، فجنّت أطلبها فى مكانها فلم أجدها، فجنّت و شق ذلك على، فوجدت ابناً لى قد عرف مكانها و أخذها و أبعدها، و لم يحصل لى شىء، فكان كما قال» (٢).

و روى ابن الصباغ المالكى عن محمد بن حمزه الدورى قال: «كُتبت على يدى أبى هاشم داود بن القاسم- كان لى مؤاخياً- إلى أبى محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لى بالغنى، و كنت قد بلغت و قلّت ذات يدى و خفت الفضيحه، فخرج الجواب على يده:

أبشر، فقد أتاك الغنى عن الله تعالى، مات ابن عمك يحيى بن حمزه و خلف مائه ألف درهم و لم يترك وارثاً سواك و هى وارده عليك، عليك بالاعتصام و إياك و الإسراف.

فورد على المال و الخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل و زال عنى

ص: ٣٠٤

١- ١) الفصول المهمه فى معرفه الأئمه: ٢٨٨.

٢- ٢) الفصول المهمه فى معرفه الأئمه: ٢٨٦ و إسماعيل ذكره الشيخ الطوسى فى أصحاب العسكرى عليه الصلاه و السلام.

وقال ابن الصباغ: «مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دأله على أنه السريّ ابن السريّ، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، و اعلم أنه لو بيعت مكرمه فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع و نسيج وحده من غير منازع، و سيد أهل عصره و إمام أهل دهره، أقواله سديده و أفعاله حميده، و إذا كانت أفاضل زمانه قصيده فهو في بيت القصيده، و إن انتظموا عقداً كان مكانه الواسطه الفريده، فارس العلوم الذي لا يجارى، و مبيّن غوامضها فلا يحاول و لا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدث في سرّه بالأموال الخفيّات، الكريم الأصل و النفس و الذات» (٢).

وقال الحضرمي الشافعي: «كان عظيم الشأن، جليل المقدار، و قد زعمت الشيعة الرافضة أنه والد المهدي المنتظر...» (٣).

وقال أبو سالم محمد بن طلحه الشافعي: «إن المنقبه العليا و المزيّه الكبرى التي خصّه الله جلّ و علا بها فقلّمده فريدها و منحه تقليدها، و جعلها صفه دائمه لا يبلى الدهر جديدتها، و لا تنسى الألسن تلاوتها و ترديدها: أن المهدي محمداً نسله المخلوق منه و ولده المنتسب إليه و بضعته المنفصله عنه... و حسب ذلك منقبه و كفاه» (٤).

ص: ٣٠٥

١-١) الفصول المهمه في معرفه الأئمه: ٢٨٥.

٢-٢) الفصول المهمه في معرفه الأئمه: ٢٩٠.

٣-٣) وسيله المآل في عد مناقب الآل-مخطوط.

٤-٤) مطالب السئول في مناقب آل الرسول: ٤٧٦ و أبو سالم محمد بن طلحه فقيه كبير و محدث جليل، له مصنفات، توجد ترجمته و الثناء عليه و الشهاده ببراعته في المذهب الشافعي و ثقته و زهده و جلالته في ذيل الروضتين: ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٣، الوافي بالوفيات ٣/١٧٦، طبقات السبكي ٨/٦٣، ابن كثير ١٣/١٨٦، النجوم الزاهره ٧/٣٣، شذرات الذهب ٥/٢٥٩... توفي سنه ٦٥٢، و قد ذكر الكتاب في كشف الظنون و هديه العارفين و إيضاح المكنون و غيرها، و اعتمد عليه المتأخرون عنه في كتبهم و مؤلفاتهم.

وقال النبهاني: «الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام و ساداتهم الكرام، رضى الله عنهم أجمعين، ذكره الشبراوى فى (الإتحاف بحب الأشراف) ولكنه اختصر ترجمته، ولم يذكر له كرامات.

وقد رأيت له كرامه بنفسى، وهو أنى فى سنة ١٢٩٦ سافرت إلى بغداد من بلده كوى سنجق-إحدى قواعد بلاد الأتراك-و كنت قاضياً فيها، ففارقته قبل أن أكمل المدّة المعيّنه، لشده ما وقع فيها من الغلاء و القحط، اللذين عمّا بلاد العراق فى تلك السنه، فسافرنا على الكلک قبالة مدينه سامراء، و كانت مقرّ الخلفاء العباسيين، فأحبينا أن نزور الإمام الحسن العسكري، و خرجنا لزيارته، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لى روحانيه لم يحصل لى مثلها قط... و هذه كرامه له. ثم قرأت ما تيسّر من القرآن، و دعوت بما تيسّر من الدّعات و خرجت» (١).

أقول: و قد سبق الشبراوى فى اختصار ترجمته و عدم ذكر كرامات له قوم كالخطيب البغدادي و ابن الجوزى، بل لم يذكروا شيئاً من أخباره، بل منهم من لم يذكره فى كتابه أصلاً! مع ذكرهم كلّ من دبّ و درج و إيرادهم بتراجمهم الأكاذيب و الأباطيل الأعاجيب!

إن تواريخهم طافحه بأخبار الأتراك و الزنج و غيرهم من المفسدين، و لا يذكرون شيئاً أو يذكرون سطوراً معدوده من أخبار آل الرسول و الأئمه الهداه المهديين...! إنا لله و إنا إليه راجعون، و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

ص: ٣٠٦

١ - ١) جامع كرامات الأولياء ٣٨٩/١ و يوسف بن إسماعيل النبهاني، عالم فى الفقه و الحديث و أديب شاعر، و مصنف مكثّر، توفى سنة ١٣٥٠ توجد ترجمته فى معجم المؤلفين ٢٧٥/١٣.

قال قدس سره: وولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام....

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد ذكر محمد بن جرير الطبري و عبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب و التواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل و لا عقب.

و الإماميه الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء و هو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، و منهم من قال: ثلاث، و منهم من قال: خمس سنين.

و هذا لو كان موجوداً معلوماً، لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن و السنّه و الإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه، كأمه و أم أمّه و نحوهما من أهل الحضانه، و أن يكون ما له عند من يحفظ....

ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قدر وجوده أو عدمه لا يتفعون به....

هذا المنتظر لم يحصل لطائفه إلا الانتظار لمن لا يأتي و دوام الحسره و الألم و معاداه العالم....

ثم إن عُمرَ واحدٍ من المسلمين هذه المدّه أمر يعرف كذبه بالعاده المطّرده في أمّه محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام و عاش مائه و عشرين سنه، فضلاً عن هذا العمر، و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلّى الله عليه و آله أنه قال في آخر عمره:

أ رأيتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائه سنه منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد....

ثم أعمار هذه الأمه ما بين الستين إلى السبعين، و أقلّهم من يجوز ذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح. و احتجاجهم بحياه الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر، و الذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، و بتقدير

بقائه فليس هو من هذه الأمة....

و قوله: روى ابن الجوزى... فيقال: الجواب من وجوه:

أحدها: إنكم لا تحتجون بأحاديث أهل السنه، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائده. وإن قلتم: هو حججه على أهل السنه. فنذكر كلامهم فيه.

الثانى: إن هذا من أخبار الآحاد، فكيف يثبت به أصل الدين الذى لا يصح الإيمان إلا به؟

الثالث: إن لفظ الحديث حججه عليكم لا لكم، فإن لفظه: يواطئ اسمه اسمى و اسم أبيه اسم أبى. فالمهدى الذى أخبر به النبى صلى الله عليه و آله اسمه: محمد بن عبد الله، لا محمد بن الحسن. وقد روى عن على أنه قال: هو من ولد الحسن بن على لا من ولد الحسين.

و أحاديث المهدي معروفه، رواها الإمام أحمد و أبو داود و الترمذى و غيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى و اسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

الرابع: إن الحديث الذى ذكره و قوله: اسمه كاسمى و كنيته كنيتى، و لم يقل:

يوواطئ اسمه اسمى و اسم أبيه اسم أبى. فلم يروه أحد من أهل العلم بالحديث فى كتب الحديث المعروفه بهذا اللفظ.

فهذا الرافضى لم يذكر الحديث بلفظه المعروف فى كتب الحديث، مثل مسند أحمد، و سنن أبى داود، و الترمذى، و غير ذلك من الكتب، و إنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم.

و قوله: إن ابن الجوزى رواه بإسناده. إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيره أبا الفرج، فهو كذب عليه، و إن أراد سبطه يوسف بن قزأوغلى، صاحب التاريخ

ص: ٣٠٨

المسمّى بمرآة الزمان، وصاحب الكتاب المصنف في الاثنى عشر الذى سمّاه إعلام الخواص، فهذا الرجل يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغثّ و السّمين، و يحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفه و موضوعه، و كان يصنف بحسب مقاصد الناس، يصنّف للشيعة ما يناسبهم ليعوّضوه بذلك، و يصنّف على مذهب أبى حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه. فكانت طريقته طريقه الواعظ الذى قيل له: ما مذهبك؟ قال: فى أىّ مدينه؟ و لهذا يوجد فى بعض كتبه ثلث الخلفاء الراشدين و غيرهم من الصحابه- رضوان الله عليهم- لأجل مداهنه من قصد بذلك من الشيعة، و يوجد فى بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين و غيرهم.

و لهذا لمّا كان الحديث المعروف عند السّلف و الخلف أن النبى صلّى الله عليه و آله قال فى المهدي: يواطى اسمه اسمى أبيه اسم أبى، صار يطمع كثير من الناس فى أن يكون هو المهدي، حتى سمي المنصور ابنه محمداً و لقبه بالمهدي موآطاه لاسمه باسمه و اسم أبيه باسم أبيه، و لكن لم يكن هو الموعود به.

و أبو عبد الله محمد بن التومرت... و هذا الملقّب بالمهدي ظهر سنه بضع و خمسمائه، و توفّى سنه أربع و عشرين و خمسمائه...

و قد ادّعى قبله أنه المهدي: عبيد الله بن ميمون القداح... هو و أهل بيته كانوا ملاحده، و هم أئمه الإسماعيليه... و قد ظهر سنه تسع و تسعين و مائتين، و توفى سنه أربع و عشرين و ثلاثمائه، و انتقل الأمر إلى ولده... و انقرض ملك هؤلاء فى الديار المصريه سنه ثمان و ستين و خمسمائه، فملكوها أكثر من مائتى سنه، و أخبارهم عند العلماء مشهوره بالإلحاد و المحاده لله و رسوله و الرده و النفاق.

و الحديث الذى فيه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم، رواه ابن ماجه، و هو حديث ضعيف...» (١).

ص: ٣٠٩

أقول:

هذا كلام الرجل فى هذا المقام، و ما صدر منه- فى كتابه، حول الإمام المهدي- ممّا يخالف أدب أهل الدين و دأب المحصلين و المناظرين كثير....

كقوله: «و من حماقتهم أيضاً أنهم يجعلون للمنتظر عدّه مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذى بسامراء الذى يزعمون أنه غاب فيه، و مشاهد آخر، و قد يقيمون هناك دأبه- إما بغله و إما فرساً و إما غير ذلك- ليركبها إذا خرج، و يقيمون هناك إما فى طرفى النهار و إما فى أوقات آخر من ينادى عليه بالخروج: يا مولانا أخرج، يا مولانا أخرج، و يشهرون السّلاح و لا- أحد هناك يقاتلهم، و فيهم من يقوم فى أوقات الصلاه دائماً لا يصلّى خشيه أن يخرج و هو فى الصّلاه فيشتغل بها عن خروجه و خدمته، و هم فى أماكن بعيدة عن مشهده، كمدينه النّبى صلّى الله عليه و آله، إمّا فى العشر الأواخر من رمضان و إمّا فى غير ذلك، يتوجهون إلى المشرق و ينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

و من المعلوم أنه لو كان موجوداً و قد أمره الله بالخروج، فإنه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه، و إن لم يأذن له فهو لا يقبل منهم، و أنه إذا خرج فإن الله يؤيده و يأتيه بما يركبه و بمن يعينه و ينصره، لا يحتاج إلى أن يوقف له دائماً من الآدميين من ضلّ سعيهم فى الحياه الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

و الله سبحانه قد عاب فى كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه فقال تعالى:

«ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُبْنِيْكَ مِثْلُ خَبِيرٍ». هذا، مع أن الأصنام موجوده، و كان يوم فيها أحياناً شياطين تترأى لهم و تخاطبهم.

و من خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً و إن كان

جماداً، فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء...» (١).

أقول: و ما تكلم به حول الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من هذا النسق، و ما نسبه إلى الإماميه من هذا القبيل... كثير أوردنا قسماً منه في (المدخل)، و إنما نقلنا هذه الفقره من كلماته هنا ليظهر طرف من أكاذيبه و افتراءاته على هذه الطائفة و إمامها، و ليعلم أن الرجل لا يزرعه عن الكذب و البهتان دين و لا عقل.

إلا أن من الضروري البحث بإيجاز عن العقيدة الصحيحة حول الإمام المهدي عليه السلام، المستنده إلى الأدلة المقبولة لدى المسلمين، ليحيى من حى عن بينه و يهلك من هلك عن بينه، و الله هو المستعان.

١- الاعتقاد بالمهدي من ضروريات الدين

لقد كان الإخبار عن المهدي و أخباره من جملة المغيبات التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه و آله بالقطع و اليقين، و دعا الأمة إلى التصديق و الإذعان بها، فكان الاعتقاد بالمهدي من ضروريات الدين الإسلامي، و أن من أنكره فقد كذب النبي فيما أخبره، و ذلك كفر. قال ابن تيمية: «و أحاديث المهدي معروفه، رواها الإمام أحمد و أبو داود و الترمذي و غيرهم».

قلت: سنذكر طرفاً من تلك الأحاديث في الفصول الآتية. و المقصود هنا أن الاعتقاد بالمهدي يعدّ من ضروريات الإسلام، للأحاديث الكثيره الوارده عن النبي فيه، عند جميع الفرق الإسلاميه... و التي أفردتها جمع غفير من علماء الشيعة و السنّه بالتأليف.

ص: ٣١١

٢- من أشهر المؤلفين من أهل السنّه في المهدي

و كان من أشهر من ألف في ذلك من أهل السنّه، من السابقين و اللاحقين:

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب المعروف بابن أبي خيثمه، المتوفى سنة: ٢٧٩.

أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨.

أبو حسين ابن المنادي، المتوفى سنة ٣٣٦.

أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

أبو العلاء العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩.

عبد الغنى المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠.

محي الدين ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

سعد الدين محمد بن مؤيد الحموي الجويني، المتوفى سنة ٦٥٠.

أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي، المتوفى سنة ٦٥٨.

يوسف بن يحيى المقدسي، المتوفى سنة ٦٨٥.

ابن قيم الجوزيه، المتوفى سنة ٦٨٥.

بدر الدين النابلسي، المتوفى سنة ٧٧٢.

أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.

ولي الدين أبو زرعه الدمشقي، المتوفى سنة ٨٢٦.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

شهاب الدين ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٤.

علي بن حسام المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥.

نور الدين علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤.

مرعى بن يوسف المقدسى، المتوفى: ١٠٣٣.

ص: ٣١٢

محمد رسول الله البرزنجي، المتوفى سنة ١١٠٣.

محمد بن إسماعيل الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢.

علي بن محمد الجمالي المغربي، المتوفى سنة ١٢٤٨.

محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

شهاب الدين أحمد الحلواني، المتوفى سنة ١٣٠٨.

محمد حبيب الله الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٦٣.

أحمد بن صديق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠.

٣- من أشهر القائلين بصحة أخبار المهدي أو تواترها

بل إن كثيراً من أئمة القوم يصرحون بتواتر أخبار المهدي أو صحتها من طرقهم منهم:

محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٩٧.

محمد بن الحسين الأبري، المتوفى سنة ٣٦٣.

أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.

أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

أبو محمد الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٦، ٥١٠.

ابن الأثير الجزري صاحب النهاية، المتوفى سنة ٦٠٦.

جمال الدين المزي، المتوفى سنة ٧٤٢.

شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.

نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧.

شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

و تفيد الأحاديث المتواتره: أن المهدي من هذه الأمة، و عليه اعتقاد المسلمين قاطبه، من السلف و الخلف.

و أما حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» في سنن ابن ماجه، فقد نصّ أئمه الحديث و الرجال على ضعفه، قال ابن ماجه: «حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدّثنى محمد بن خالد الجندی، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: لا يزداد الأمر إلا شدّه و لا الدنيا إلا إدبار و لا الناس إلا شحاً، و لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، و لا مهديّ إلا عيسى بن مريم» (١).

قلت: هذا الحديث تكذبه أخبار المهدي عند أهل البيت عليهم السّلام و أحاديثه الوارده بالتواتر من طرق غيرهم، و لذا فقد ضعّفه الأئمه كالحاكم و البيهقي و غيرهما (٢)، و قد تكلم علماء القوم في رجاله، قالوا في سنده (محمد بن خالد الجندی) و هو المنفرد بروايته، و لذا أوردوه بترجمته: فقال المزي: «محمد بن خالد الجندی الصنعاني المؤذن، روى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس حديث: لا مهدي إلا عيسى بن مريم... روى له ابن ماجه حديث المهدي... قال أبو بكر بن زياد: و هذا حديث غريب... و قال الحافظ أبو بكر البيهقي: هذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندی. قال أبو عبد الله الحافظ: و محمد بن خالد رجل مجهول، و اختلفوا في إسناده...» (٣).

ص: ٣١٤

١- ١) سنن ابن ماجه ٢/١٣٤٠-١٣٤١.

٢- ٢) التاج الجامع للأصول ٥/٣٤١.

٣- ٣) تهذيب الكمال ٢٥/١٤٦-١٤٩.

و قال الذهبي: «محمد بن خالد الجندی، عن أبان بن صالح. روى عنه الشافعي.

قال الأزدي: منكر الحديث، و قال أبو عبد الله الحاكم: مجهول. قلت: حديثه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. و هو خبر منكر، أخرجه ابن ماجه...» (١).

و قال ابن حجر: «محمد بن خالد الجندی، بفتح الجيم و النون، المؤذن. مجهول.

من السابعة-ق» (٢).

قلت: و (أبان بن صالح) و إن وثقه الأئمة- كما قالوا- لكن عن الحافظين ابن عبد البر و ابن حزم أنهما ضعفاه (٣).

و قال الذهبي: «لكن قيل: إنه لم يسمع من الحسن، ذكره ابن الصلاح في أماليه» (٤).

و (الحسن) هو: الحسن البصري المعروف المشهور، و عداؤه في بعض الكتب في مبغضى على عليه السلام، و لذا ورد الدم فيه عن أهل البيت، بل قيل بتواتر ذلك عنهم (٥).

و أقرباً أهل السنه، فإنهم و إن رووا عنه في الصحاح الستة و عدوه من الزهيد الثمانيه، فقد نصوا على أنه كان كثير الإرسال و التدليس (٦).

قلت: و (يونس بن عبد الأعلى) و إن وثقوه إلا أنه متهم بالكذب في هذا الخبر، فقد قال الحافظ المزى: «و روى الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق بإسناده عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: حدثني أبو الحسن على بن عبيد الله الواسطي قال:

ص: ٣١٥

١-١) ميزان الاعتدال ٥٣٥/٣.

٢-٢) تقريب التهذيب ٧١/٢.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٨٢/١.

٤-٤) ميزان الاعتدال ٥٣٥/٣.

٥-٥) تنقيح المقال ٢٦٩/١.

٦-٦) تقريب التهذيب ١٦٥/١.

رأيت محمد بن إدريس الشافعي في المنام فسمعتة يقول: كذب علي يونس في حديث الجندی حديث الحسن عن أنس عن النبي صَلَّى الله عليه و آله في المهدي. قال الشافعي: ما هذا من حديثي و لا حدثت به، كذب علي يونس» (١).

هذا كله بالإضافة إلى أن الذهبي قال: و للحديث عله أخرى... فذكرها (٢).

هذا، و قد جاء في النصوص الصحيحة المتكاثرة: أن عيسى بن مريم ينزل و يصلّي خلف المهدي، و من ذلك ما أخرجه البخاري و مسلم بسندهما عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أنه قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم» (٣).

و ما أخرجه أحمد بسنده عنه أنه قال في حديث فيه ذكر الدجال: «فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصّلاه، فيقال له: تقدّم يا روح الله. فيقول: ليتقدّم إمامكم فليصلّ بكم» (٤).

قال المناوي: «فإنه ينزل عند صلاه الصبح على المناره البيضاء شرقى دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصّلاه فيحسّ به فيتأخر ليتقدّم، فيقدّمه عيسى عليه السلام و يصلّي خلفه. فأعظم به فضلاً و شرفاً لهذه الأمة» (٥).

قال أبو الحسن الأبري: «قد تواترت الأخبار و استفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صَلَّى الله عليه و سلم -يعنى في المهدي- و أنه من أهل بيته، و أنه يملك سبع سنين، و يملأ الأرض عدلاً، و أنه يخرج عيسى بن مريم فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين. و أنه يؤم هذه الأمة و عيسى -صلوات الله عليه- يصلّي خلفه، في

ص: ٣١٤

١-١) تهذيب الكمال ١٥٠/٢٥.

٢-٢) ميزان الاعتدال ٥٣٥/٣-٥٥٦.

٣-٣) صحيح البخاري ١٤٣/٤، صحيح مسلم ٩٤/١.

٤-٤) مسند أحمد ٣٦٨/٣.

٥-٥) فيض القدير- شرح الجامع الصغير ٢٣/٦.

طول من قصته و أمره» (١).

وقال السيوطي ردّاً على من أنكر هذا: «هذا من أعجب العجب، فإن صلاه عيسى خلف المهدي ثابتة في عدّه أخبار صحيحه، بإخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو الصادق المصدّق الذي لا يخلف خبره» (٢).

أقول: فظهر سقوط قول السعد التفتازاني: «فما يقال: إن عيسى يقتدى بالمهدي أو بالعكس، شيء لا مستند له، فلا ينبغي أن يعوّل عليه» (٣).

٥- المهدي من عتره النبي و أهل بيته

و هذا أيضاً مما تواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في أحاديث المسلمين، كما عرفت التصريح بذلك في بعض الكلمات... و من ذلك:

ما أخرجه أحمد و أبو داود و الترمذي و غيرههم -واللفظ للأول- قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» (٤).

و ما أخرجه ابن ماجه في باب خروج المهدي عن علي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليله» (٥).

و ما أخرجه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً و عدواناً قال: ثم يخرج رجل من

ص: ٣١٧

١-١) تهذيب الكمال ١٤٩/٢٥.

٢-٢) الحاوي للفتاوى ١٦٧/٢.

٣-٣) شرح المقاصد ٣٠٨/٢.

٤-٤) مسند أحمد ٣٧٦/١، سنن الترمذي ٣٤٣/٣، سنن أبي داود ٣٠٩/٢-٣١٠.

٥-٥) سنن ابن ماجه ١٣٦٧/٢.

عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و عدواناً» (١).

و أخرجه الحاكم بالسند بلفظ «أهل بيتي» و قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه».

و وافقه الذهبي في تلخيصه (٢).

و أخرجه عن أبي سعيد الخدري بلفظ «من عترتي» قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

و وافقه الذهبي (٣).

٦- المهدي من ولد فاطمه

و هو من ولد فاطمه بضعة النبي و سيده نساء العالمين عليها السلام.. و من الأحاديث في ذلك:

ما أخرجه أبو داود و ابن ماجه و غيرهما عن أم سلمه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «المهدي من عترتي من ولد فاطمه» (٤).

و أخرجه الحاكم و الذهبي عن سعيد بن المسيب عن أم سلمه أنها سمعت رسول الله يذكر المهدي فقال: «نعم هو حق، و هو من بني فاطمه» (٥).

و صحح في التاج سندی أبي داود و الحاكم (٦).

ص: ٣١٨

١-١) مسند أحمد ٣/٣٦.

٢-٢) المستدرک علی الصحیحین ٤/٥٥٧.

٣-٣) المستدرک علی الصحیحین ٤/٥٥٨.

٤-٤) سنن أبي داود ٢/٣١٠، المستدرک ٤/٥٥٧، سنن ابن ماجه ٢/١٣٦٨، التاج ٥/٣٤٣.

٥-٥) المستدرک علی الصحیحین ٤/٥٥٧.

٦-٦) التاج الجامع للأصول ٥/٣٤٣.

و تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن المهدي من ولد الإمام الشهيد السبط أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأخبارهم بذلك متواتره، و توافقت معها روايات أهل السنّه في قسم منها- فكان هذا القول هو المتفق عليه بين الفريقين، كما سيأتي ذكر أسماء جماعه من مشاهير أهل السنّه في الحديث و التاريخ و غيرهما القائلين بأن المهدي ابن الإمام الحسن الزكي العسكري عليه السلام، من ولد الحسين.

و انفردت كتب أولئك القوم بروايات تفيد أنه من ولد الإمام الحسن السبط الأكبر عليه السلام، و به قال جماعه منهم:

قال الشيخ علي القارى: «و اختلف في أنه من بنى الحسن أو من بنى الحسين.

و يمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسينين، و الأظهر أنه من جهة الأب حسنى، و من جانب الأم حسيني، قياساً على ما وقع في ولدى إبراهيم و هما إسماعيل و إسحاق عليهما السلام، حيث كان أنبياء بنى إسرائيل كلهم من بنى إسحاق، و إنما نبي من ذريته إسماعيل نبينا صلى الله عليه و آله و قام مقام الكل، و نعم العوض و صار خاتم الأنبياء، فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمه و أكابر الأئمه من ولد الحسين، فناسب أن ينجر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء و يقوم مقام سائر الأصفياء.

على أنه قد قيل: لما نزل الحسن رضى الله تعالى عنه عن الخلافه الصوريه- كما ورد في منقبتة في الأحاديث النبويه أعطى له لواء ولايه المرتبه القطبيه، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبه المهديويه المقارنه للنبوه العيسويه، و اتفاتها على إعلاء كلمه المله النبويه على صاحبها ألوف السلام و آلاف التحية.

و سيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح في

هذا المعنى. والله تعالى أعلم» (١).

أقول:

أولاً: إن قضيه (المهدى) من الأمور الغيبية التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله - كما أخبر عن القبر والقيامة وأحوالها، وعن الفتن والملاحم وعن أشراط الساعة وقضايا الدجال وغير ذلك - ولا يجوز الاعتماد في مثل هذه الأمور الإعتقادية إلا على الأخبار الصحيحة المتقنه الوارده عنه، فكيف بمثل ما ذكره القارى من الاستحسانات والتخييلات التي صنعتها الأفكار الفاسده والأوهام الكاسده.

و على الجملة، فإنه لا يجوز الإعتقاد بشيء استناداً إلى (القييل) و(المناسب أن يكون...) و ما هو من هذا القبيل.

و ثانياً: إن هذا الوجه الذى ذكره لأن يكون (المهدى) من ولد (الحسن) و هو (تنازل الحسن عن الخلافة) إن هو إلّا وجه اصطنعه القوم فى مقابل ما ورد فى أخبار أهل البيت عليهم السلام من أن الله سبحانه جعل (المهدى) من ولد (الحسين)، لاستشهاده فى سبيل الله و حفظاً لدينه من كيد المنافقين من بنى أميه و غيرهم.

و ثالثاً: قوله: «و سيأتى فى حديث أبى إسحاق...» يفيد أن الحديث المشار إليه هو عمده القائلين بأن (المهدى) من ولد (الحسن) لا (الحسين) و هذا هو الكلام عليه بالتفصيل:

فقد أخرج صاحب المشكاه عن أبى إسحاق قال: «قال على - و نظر إلى ابنه الحسن - قال: إن ابنى هذا سيد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، و سيخرج من صلب رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه فى الخلق و لا يشبهه فى الخلق. ثم ذكر قصه:

يملاً الأرض عدلاً. رواه أبو داود و لم يذكر القصه» (٢).

ص: ٣٢٠

١-١) المراقاه فى شرح المشكاه ١٧٩/٥.

٢-٢) مشكاه المصايح ١٥٠٣/٣.

قال القارى بشرحه:«فهذا الحديث دليل صريح على ما قدّمناه من أن المهدي من أولاد الحسن و يكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين،جمعاً بين الأدلّه،و به يبطل قول الشيعة:إن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر،فإنه حسيني بالإتفاق.

لا يقال:لعلّ عليّاً رضى الله تعالى عنه أراد به غير المهدي.

فإننا نقول:يبطله قصّه يملأ الأرض عدلاً،إذ لا يعرف في السّادات الحسينيّة و لا الحسنيه من ملأ الأرض عدلاً إلا ما ثبت في حق المهدي الموعود»(١).

أقول:إنه لا دليل في الأصول الستة المسّماه بالصّحيحاح عند القوم،على أن (المهدي)من ولد(الحسن)إلا هذا الحديث،و هو ليس إلا في (سنن أبي داود).

قال ابن الأثير:«[د-أبو إسحاق،عمرو بن عبد الله السبيعي رحمه الله قال:قال علي-و نظر إلى ابنه الحسن-فقال:...ثم ذكر قصه يملأ الأرض عدلاً] أخرجه أبو داود و لم يذكر القصه»(٢).

و قال الشيخ منصور:«عن علي رضى الله عنه قال و قد نظر إلى ابنه الحسن:إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي صلّى الله عليه و آله،و سيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيكم يشبهه في الخلق و لا يشبهه في الخلق.و عنه عن النبي صلّى الله عليه و آله قال:

يخرج رجل من وراء النهر...رواهما أبو داود»(٣).

أقول:إذا كان هذا هو الدليل الوحيد للقول بأن(المهدي)من ولد(الحسن)، فلا بدّ من التأمل فيه سنداً و لفظاً و مدلولاً:

أمّا سند الحديث،فقد جاء في سنن أبي داود:

ص:٣٢١

١-١) المرقاه في شرح المشكاه ١٤٨/٥.

٢-٢) جامع الأصول ٤٩/١١.

٣-٣) التاج ٣٤٣/٥-٣٤٤.

«قال أبو داود: حدثت عن هارون بن المغيرة قال: نا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال قال علي... ثم ذكر قصه يملأ الأرض عدلاً» (١).

و يكفى لو هنه ما فى أول السند و آخره.

أما أوله فأبو داود يقول: «حدثت عن هارون بن المغيرة» فمن الذى حدثه به؟

و أما فى آخره فأبو إسحاق السبىعى إنما رأى علياً عليه السلام رؤيه فقط، فلا بدّ و أنه حدث بذلك، فمن الذى حدثه به؟

هذا، و قد جاء فى حاشيه جامع الأصول عن الحافظ المنذرى: «قال المنذرى: هذا منقطع؛ أبو إسحاق رأى علياً رؤيه فقط. و قال فيه أبو داود: حدثت عن هارون بن المغيرة» كما جاء فى حاشيه المشكاه «إسناد الحديث ضعيف».

و أما لفظه فمختلف صدرأ و ذيلأ.

أمّا صدره، ففى أنه (الحسن) أو (الحسين)؟ فقد قال القندوزى الحنفى: «و عن أبى إسحاق قال: قال علي - و نظر إلى ابنه الحسين، قال: إن ابنى هذا سيد... ثم ذكر قصه يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود و لم يذكر القصه» (٢).

و هذا نفس ما جاء فى (جامع الأصول) و (المشكاه) نقلاً عن (أبى داود) إلا أنه بلفظ (الحسين) لا (الحسن).

هذا بالنسبه إلى حديث أبى داود.

و كذلك الأمر بالنسبه إلى حديث غيره من أحاديث الباب، الوارده فى بعض الكتب، فهذا السليمى الشافعى يروى فى كتاب (عقد الدرر فى أخبار المنتظر) عن الأعمش عن أبى وائل مثل حديث أبى إسحاق السبىعى، لكن النسخ مختلفه، فعن

ص: ٣٢٢

١-١) صحيح أبى داود ٣١١/٢.

٢-٢) ينابيع الموده ٢٥٩/٣.

النسخه الأصلية، وكذا المستنسخه عن خط المؤلف: «نظر إلى الحسين» وفي بعض النسخ الأخرى منه: «نظر إلى الحسن». وروى عن الحافظ أبي نعيم في (صفة المهدي) حديث حذيفه الآتي عن (ذخائر العقبى)، فكان في النسخه الأصلية و المكتوبه عن خطه أيضاً: «و ضرب بيده على الحسين»، لكن في بعض النسخ الأخرى: «الحسن» (١).

فهل وقع هذا الإختلاف عندهم من جهة الشبه بين لفظي (الحسن) و(الحسين) كتابه، أو كان هناك قصد و عمد من بعض المغرضين كيلا تصل الحقائق إلى الأمه كما هي، و كما تروى عن أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت؟

إنه و إن لم نستبعد الاحتمال الأول، لكن الذي يقوى في النظر هو الثاني، لقرائن كثيره عندنا تؤيدده، لا سيما فيما يتعلق بأهل البيت، و حتى في هذا المورد عثرنا على قرينه على أن القوم كانوا يحاولون كتم الحقيقه—و هي كون (المهدي) من ولد (الحسين)—أو كانوا يمتنعون من التصريح بها و الله العالم بسبب ذلك! و ذلك:

ما رواه الإمامان الحافظان أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي، و أبو عبد الله نعيم بن حماد، عن قتاده قال: «قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدي؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممن هو؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت:

من أي بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب. قلت: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمه. قلت: من أي ولد فاطمه؟ قال: حسبك الآن» (٢).

قلت: فلما ذا (حسبك الآن)؟ الله أعلم!

هذا فيما يتعلق بصدر حديث أبي داود.

و أمّا ذيله، فقد عرفت أن أبا داود يقول: «و ذكر قصه يملأ الأرض عدلاً» فمن الذي (ذكر)؟

ص: ٣٢٣

١- ١) عقد الدرر: ٢٣-٢٤.

٢- ٢) عقد الدرر: ٢٣.

و لما ذا لم يذكر أبو داود القصه، كما تبّه عليه ابن الأثير و صاحب المشكاه و غيرهما؟

ثم جاء صاحب (التاج) فلم يذكر قوله: «و ذكر قصه يملأ الأرض عدلاً» أصلاً، مما يؤكد أن هذه القطعه لم تكن من الحديث.

و زيده تأكيداً أن الحافظ البيهقي رواه في كتاب (البعث و النشور) عن أبي إسحاق كذلك، أى إلى قوله: «يشبهه فى الخلق و لا يشبهه فى الخلق» (١).

و أما مفاد الحديث و مدلوله، فإنه بعد ما عرفت الإضطراب فى لفظه و متنه لا يدلّ على شىء، فلا يبقى مجال لما ذكره القارى، و يسقط ما ادّعه من أن الحديث يبطل ما تذهب إليه الشيعة الإماميه!

و أيضاً: يبقى الإشكال الذى أورده بقوله: «لا يقال: لعلّ علياً...» على حاله، إذ قصه (يملأ الأرض عدلاً) لم يظهر كونها من الحديث عن على عليه السلام لو كان بلفظ (الحسن).

و تلخص: أن لا دلاله لحديث أبى داود على ما ذهب إليه بعض أهل السنّه من أن (المهدى) من ولد (الحسن) إن صحّ سنده....

و قد ثبت عندنا أن لا مستمسك لهذا القول فى الكتب المعتره المشتهره عندهم إلّا هذا الحديث الذى عرفت حاله سنداً و متناً و دلاله.

فما ذهب إليه أصحابنا- و وافقهم عليه من غيرهم كثيرون- من أنه من ولد (الحسين) هو الحق.

و به تواترت الأخبار عندهم، و من أخبار أهل السنّه فى ذلك:

قوله صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عز و جل

ص: ٣٢٤

ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدى، اسمه اسمى. فقام سلمان الفارسي -رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله، من أئى ولدك؟ قال: من ولدى هذا. و ضرب بيده على الحسين». أخرجه الطبراني فى الأوسط، و أبو نعيم فى الأربعين حديثاً فى المهدي، و غيرهما، و راجع: المنار المنيف لابن القيم: ١٤٨، عقد الدرر: ٢٤، فرائد السمطين ٣٢٥/٢، القول المختصر: ٧.

و قوله صلى الله عليه و آله لفاطمه بضعته فى مرض وفاته: «ما يبكيك يا فاطمه؟ أما علمت أن الله تعالى أطلع إلى الأرض إطلاعاً فاختار منها أباك فبعثه نبياً، ثم أطلع ثانية فاختار بعلك، فأوحى إلىى فأنكحته و اتخذته وصياً. أما علمت أنك بكرامه الله تعالى أباك زوجك أعلمهم علماً و أكثرهم حلاً و أقدمهم سلماً؟ فضحكت و استبشرت. فأراد رسول الله صلى الله عليه و آله - أن يزيدا مزيد الخير كله الذى قسمه الله لمحمد و آل محمد، فقال لها:

يا فاطمه، و لعلى ثمانيه أضراس يعنى مناقب، إيمان بالله و رسوله، و حكمته، و زوجته، و سبطاه الحسن و الحسين، و أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر. يا فاطمه: إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين و لا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت: نبينا خير الأنبياء و هو أبوك، و وصينا خير الأوصياء و هو بعلك، و شهيدنا خير الشهداء و هو حمزه عم أبيك، و منّا سبطا هذه الأمة و هما ابناك، و منّا مهدي الأمة الذى يصلّى عيسى خلفه.

ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة».

أخرجه الدارقطنى و أبو المظفر السمعانى. و انظر: البيان للكنجى الشافعى، و كفايه الطالب ٥٠١، و الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي ٢٩٥.

و عن عبد الله بن عمرو: «يخرج المهدي من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها و اتخذ فيها طرقاتاً».

أخرجه الحافظ نعيم بن حماد، و الحافظ الطبراني و الحافظ أبو نعيم. راجع: عقد الدرر للسلمي الشافعي ٢٢٣.

٨- ذكر بعض من قال بأن المهدي هو ابن الحسن العسكري

و لقد صرح جماعه كبيره من اعلام أهل السنه، بمن فيهم المحدثون و المؤرخون و العرفاء و الصوفيه، بأن (المهدي) هو ابن (الحسن بن علي العسكري) و نصوا على ولادته، و منهم:

أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩.

أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

أبو محمد عبد الله بن الخشاب، المتوفى سنة ٥٦٧.

ابن الأزرق المؤرخ، المتوفى سنة ٥٩٠.

ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

كمال الدين ابن طلحه، المتوفى سنة ٦٥٢.

سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.

صدر الدين القونوي، المتوفى سنة ٦٧٢.

صدر الدين الحموي، المتوفى سنة ٧٢٣.

عمر بن الوردى، المتوفى سنة ٧٤٩.

صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤.

شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣.

ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

الشيخ عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣.

ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.

الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.

الشيخ عبد الحق الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢.

شاه ولي الله الدهلوي، المتوفى سنة ١١٧٦.

الشيخ القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.

النظر في كلام ابن تيميه و الرد عليه

إذا عرفت ما ذكرناه في الفصول المتقدمه، ظهر لك ما في كلمات ابن تيميه في المقام، من المزاعم الباطله و الدعاوى العاطله:

أمّا قوله: «ذكر محمد بن جرير الطبري و عبد الباقي ابن قانع و غيرهما من أهل العلم بالأنساب و التواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل و لا عقب».

ففيه:

نسبه القول بأن الإمام العسكري لم يعقب إلى الطبري

أولاً: إن المرجع المعتمد عليه في مثل هذه الأمور هم (أهل البيت) و من كان منهم و من شيعتهم العارفين بأحوالهم، لا الأبعاد الذين لا يمتنون إليهم بصله، فكيف بالمقاطعين و المناوئين لهم!

و ثانياً: قد عرفت أن القائلين بولاده الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام من غير شيعتهم كثيرون.

و ثالثاً: لقد سبق و أن نسب هذا القول إلى الطبري و عبد الباقي و غيرهما من أهل العلم بالنسب، فقال محمد رشاد سالم في ذيله هناك ما هذا نصه: «قد أشار الأستاذ

ص: ٣٢٧

محب الدين الخطيب فى تعليقه على المنتقى من منهاج الاعتدال، تعليق ٣/٢) إلى واقعه حدث سنة ٣٠٢، وهى مذكوره فى تاريخ الطبرى، تبين أن الحسن العسكرى لم يعقب. وقد ذكر الواقعه عريب بن سعد القرطبى فى صله تاريخ الطبرى: ٣٤/٨ - القاهره - ١٩٣٩/١٣٥٨ (١).

فاكتفى هناك ب(الإشاره) إلى(الإشاره)، ثم أوضح ذلك هنا قائلاً: «أشرت هناك إلى أن عريب بن سعد القرطبى قد ذكر فى (صله تاريخ الطبرى) أن الحسن بن على العسكرى لم يعقب، وخلاصه هذه الواقعه فى (تاريخ الطبرى: ١١/٤٩ - كتاب الصله):

إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي فأمر المقتدر بإحضار ابن طومار نقيب الطالبين و مشايخ آل أبى طالب فسأله عن نسبه، فزعم أنه محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر الرضا، وأنه قدم من البادية، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. و كان قوم يقولون: إنه أعقب و قوم قالوا: لم يعقب... الخ» (٢).

ثم نقل كلام بعض المعاصرين و هو الدكتور أحمد صبحى!!

هذا غايه ما أمكن الرجل أن يذكره تشييداً و تأييداً لنسبه نفى الإعتقاد إلى الطبرى و غيره من علماء التواريخ و الأنساب!

فابن تيميه لم يذكر لا موضع كلام الطبرى و ابن قانع، و لا واحداً من أسماء غيرهما من أهل التاريخ و النسب!

و هذا الرجل الناشر لكتابه و المعلق عليه لم يأت بموضع كلام الطبرى و لا - غيره مطلقاً، و إنما أشار إلى وجود «واقعه» كما قال، أو ردها عريب بن سعد القرطبى فى كتاب (صله تاريخ الطبرى)! و هو تاره يكتفى ب«إشاره الأستاذ محب الدين...» إلى تلك

ص: ٣٢٨

١ - ١) منهاج السنه ١٢٢/١ هامش.

٢ - ٢) منهاج السنه ٨٧/٤.

«الواقعه» الحادته فى سنه ٣٠٢ و يدعى كونها مذكوره فى تاريخ الطبرى «لا بد أن تكون فى حوادث السنه المذكوره!» و هو يزعم أن الواقعه «تبين» أن الحسن العسكرى لم يعقب، ثم يضيف أنه «قد ذكر الواقعه عريب...» فكأنها مذكوره فى (تاريخ الطبرى) و (صله تاريخ الطبرى) معاً فى سنه ٣٠٢. و تاره أخرى: لا ينسب الخبر إلى (الطبرى) و إنما ينسبه إلى (عريب) و يقول من قبل: «إن عريب بن سعد القرطبى قد ذكر فى صله تاريخ الطبرى أن الحسن بن على العسكرى لم يعقب!! ثم إنه لم يذكر «الواقعه» بتمامها، و إنما ذكر «خلاصه هذه الواقعه...».

فنعول:

١- بغض النظر عن تكلمهم فى الطبرى و كتابه، فلم يقل فى (تاريخه) إن الحسن بن على العسكرى لم يعقب، فنسبه القول بذلك إليه كذب.

٢- إن (تاريخ الطبرى) ينتهى بحوادث سنه ٣٠٢ و ليس فيها الواقعه، فالقول بوجودها فيه كذب.

٣- و عبد الباقي بن قانع الأموى البغدادى - لو فرض كونه قائلاً بذلك، و فرض أيضاً كونه من أهل التاريخ و النسب - مجروح مقدوح فيه، أوردته الحافظان الذهبى و ابن حجر فى (الميزان) (١) و (لسان الميزان) (٢) و ترجم له الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) فلم ينقل فيه إلا كلمات الدم و التضعيف (٣)....

لكن الظاهر أنه لم يقل بذلك، و إلا لذكره المقلدون لابن تيميه، فالنسبه كاذبه.

٤- لم يذكر ابن تيميه اسم أحد من أهل التاريخ و النسب غير الرجلين... و لو كان لأبان ذلك مقلدوه، فالنسبه كاذبه.

ص: ٣٢٩

١- ١) ميزان الاعتدال ٥٣٢/٢.

٢- ٢) لسان الميزان ٣٨٣/٣.

٣- ٣) سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١٥.

٥- وعرب بن سعد (أو سعيد) صاحب (صلة تاريخ الطبري) مجهول، لا ذكر له في كتب الرجال و لا نقل عنه في كتب الحديث أصلاً، فالاعتماد على نقل هكذا شخص ل (واقعه) لنفي مطلب مثل ما نحن فيه باطل.

٦- وعرب القرطبي، هذا لم يذكر و لم يقل (أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب) فالنسبه كاذبه.

٧- (الواقعه) المحكيه في (صلة تاريخ الطبري) لا- سند لها، و الاستناد إلى واقعه هذا حالها لنفي أمر اعتقادي و للردّ على قول الإماميه، لا يصدر إلّا من جاهل لا يعرف طريقه الاستدلال، أو من متعصّب مبغض للنبي و الآل صلّى الله عليه و آله.

٨- على أن (الواقعه) لا علاقه لها ب (المهدى) و لا (الحسن بن علي العسكري)...

و لعلّه لذا لم يورد الدكتور المحقق القصّه و محلّ الشاهد منها... بل أضاف قبل ذكر خلاصتها جمله: «إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي» و سترى أن كلتا الجملتين كذب.

٩- (الواقعه) كما في (صلة تاريخ الطبري) في حوادث سنه ٣٠٢ هـ: «و فيها جاء رجل حسن البزّه، طيب الرائحه، إلى باب غريب خال المقتدر، و عليه دراعه و خف أحمر و سيف جديد بحمائل، و هو راكب فرساً و معه غلام، فاستأذن للدخول، فمنعه البواب، فانتهره و أغلظ عليه و نزل فدخل، ثم قعد إلى جانب الخال و سلّم عليه بغير الإمره. فقال له غريب، و قد استبشع أمره: ما تقول أعزّك الله؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبي طالب، و عندي نصيحه للخليفه لا يسعني أن يسمعها غيره... فاجتهد الوزير و الحاجب نصر و الخال أن يعلمهم النصيحه ما هي، فأبى حتى أدخل إلى الخليفه....

و أمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبين و مشايخ آل أبي طالب... فسأل ابن طومار عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا،

و أنه قدم من البادية.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن -و كان قوم يقولون: إنه أعقب و قوم قالوا: لم يعقب- فبقى الناس في حيره من أمره، حتى قال ابن طومار: هذا يزعم أنه قدم من البادية و سيفه جديد الحليه و الصنعه، فابعثوا بالسيف إلى دار الطاق و سلوا عن صانعه و عن نصله.

فبعث به إلى أصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه و احضروا رجلاً -ابتاعه من صيقل هناك، ف قيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال: لرجل يعرف بابن الضبعي، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات، و تقلد له المظالم بحلب، فأحضر الضبعي الشيخ، و جمع بينه و بين هذا المدعى إلى بني أبي طالب، فأقرّ بأنه ابنه، فاضطرب الدعى و تلجلج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه و وعده بأن يستوهب عقوبته و يحبسه أو ينفيه.

فضح بنو هاشم و قالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس و يعاقب أشدّ عقوبه. ثم حبس الدعى و حمل بعد ذلك على جمل و شهّر في الجانبين، يوم الترويه و يوم عرفه، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي» (1).

أقول: فهذه هي (الحكايه) الوارده في (صله تاريخ الطبرى) و هل هي (واقعه) أو لا؟ الله العالم.. و لكنها كما ترى لا -ذكر فيها ل(المهدى)، بل الرجل ادعى كونه (محمد بن الحسن بن على بن موسى بن جعفر الرضا) و هذا غير (المهدى) الذى تقول به الشيعة و يعترف به من غيرهم جماعه، فإنه (محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر الصادق) و الذى أنكر ابن طومار -و غيره ممن أنكر، بناء على صحه الخبر و اعتبار ما صدر عنهم من الإنكار -هو من أعقاب (الحسن بن على بن

ص: ٣٣١

و أى ربط لهذا بما نحن فيه، أيها (الدكتور) الأريب! و أيها (الأستاذ الخطيب)؟!!

و أما قوله: «و الإماميه الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء و هو صغير... فكيف يكون من يستحق الحجر عليه فى بدنه و ماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً، لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به».

أقول: و هذا واضح البطلان، فإن (الإمامه) مثل (النبوه) لا يعتبر فيها البلوغ. قال الله تعالى فى عيسى عليه السلام: «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (١).

و أما قوله: «ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قدر وجوده أو عدمه- لا ينتفعون به لا فى دين و لا فى دنيا...».

فأقول: هذا كذب، بل المتفق عليهم بينهم هو الانتفاع منه فى الدين و الدنيا، بل الانتفاع واقع مستمر، و لكن المنافقين لا يعلمون!

و على الجملة، فقد أثبت الأصحاب و قرروا فى محلّه من كتب الإمامه: أن الإمامه واجبه على الله من باب اللطف، و أن الأرض لا تخلو من إمام، و أن وجود الإمام لطف و تصرفه لطف آخر و عدمه منّا.

كما أن الرساله واجبه على الله كذلك، و أنه يرسل الرسل مبشرين و منذرين، لئلا يكون للناس على الله حجه، و ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه، فكانت الأمم كلما جاءهم رسول من عند الله و قتلوه بغير حق، أرسل إليهم غيره، فكان منهم من يقتل فى اليوم الأول من دعوته، حتى جاء نبينا صلى الله عليه و آله فحاربه

قومه و آذوه حتى قال: «ما أودى نبي بمثل ما أوديت»...و كان من ذلك أنهم حبسوه فى الشعب...لكن لم تبطل نبوته مدّه كونه فيه....

و كذلك الأئمة من بعده صلّى الله عليه و آله أودوا و قتلوا، فلم يكن إعراض الأمة عنهم -و اتباعهم لأهل الفسق و الفجور بعنوان الخلفاء عن الرسول- بمبطل لإمامتهم، كما ليس غيبه الثانى عشر منهم بمبطل لإمامته.

هذا موجز الكلام فى هذا المقام، و للتفصيل مجال آخر.

مسألة طول العمر

و أمّا قوله: «ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المدّة-أمر يعرف كذبه بالعادة المطرده فى أمه محمد، فلا يعرف أحد ولد فى دين الإسلام و عاش مائه و عشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر...».

أقول: إن الله عز و جل قادر على أن يبقى الإنسان-أى إنسان شاء-بأى مقدار شاء، و خوارق العادات فى العالم بإذنه و إرادته كثيرة لا تحصى...و هذا لا يختص بأمة دون أمة.

و من الذى يمكنه أن يستقرئ أحوال من ولد فى الإسلام من الأوّلين و الآخرين حتى يدعى أن لا يُعرف أحد ولد فى دين الإسلام و عاش مائه و عشرين سنة، حتى يحكم بخروجه عن هذا الدّين إذا وجدّه.

و هل هذا معنى ما رووه عن النّبي صلّى الله عليه و آله -و صححوه-أنه قال: «عمر أمتى من ستين إلى سبعين»؟

و على الجملة، فإن العمر بيد الله، فإن كانت المصلحة فى بقاء الإنسان مدّه مديده أبقاه، و إلّا أماته متى اقتضت، و لا فرق بين هذه الأئمة و غيرها، نعم، كان الغالب فى الأمم السّالفة طول العمر -و منهم من يموت فى شبابه-و الغالب فى هذه الأئمة عدم البلوغ إلى

المائه، و منهم من يبقى و يعمر أكثر من المائه بكثير، و تلك أخبار المعمّرين فى الكتب مسطوره، حتى أفردها بعضهم فألف كتاب (المعمّرون و الوصايا).

هذا، و قد تكلم غير واحد من أعلام أهل السنّه فى مسأله طول عمر المهدي و اعترض على الإماميه، و منهم من نفى وجود الإمام المهدي من هذا الطريق، و انبرى أصحابنا للجواب عن هذه الشبهه بوجه كافيه و أدله وافيه، فلاحظ الكتب المفصّله.

و أمّا قوله: «و احتجاجهم بحياه الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذى يسلم لهم بقاء الخضر، و الذى عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، و بتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمه».

أقول: الإحتجاج ببقاء الخضر إن هو إلا إحتجاج بمورد من الموارد التى اقتضت الحكمة الآليه بقاء شخص من الأشخاص فى هذا العالم، و قد قدّمنا أن هذا لا يختصّ بأمه دون أمه، إذ المناط القدره الإلهيه و الحكمة المقتضيه لذلك، أمّا القدره، فلا ينكرها مسلم مؤمن، و أمّا الحكمة، فالله العالم بها....

و الخضر واحد من بنى آدم، شاء الله عز و جل أن يبقى القرون الكثيره حتى زمن رسول الله صلّى الله عليه و آله، حيث روى غير واحد من الأئمّه حديث وروده دار النبي صلّى الله عليه و آله بعد وفاته لتعزيه، فإنه مما يفيد أنه حيّ موجود، كما صرح بعض الحفاظ (1).

بل لقد عنونه الحافظ ابن حجر فى (الإصابه فى معرفه الصحابه) قال: «و لم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره من تعميره و بقائه» فتكلم عن نسبه و نبوته و بقائه على نحو التفصيل جدّاً، و عبارته المذكوره صريحه فى ذهاب الأكثر إلى بقائه.

ص: ٣٣٤

و بهذا نصّ كثيرون من الأئمة- كما نقل عنهم- كالحسن البصرى و الثعلبى و النووى و أبى عمرو بن الصلاح و أبى عبد الرحمن السلمى و اليافعى و غيرهم، و لهم فى ذلك أخبار و حكايات أفردها بعضهم- كعبد المغيث بن زهير الحنبلى- بالتأليف.

قال النووى فى (تهذيبه): «قال الأكثرون من العلماء: هو حىّ موجود بين أظهرنا، و ذلك متفق عليه عند الصوفيه و أهل الصلاح و المعرفه، و حكايتهم فى رؤيته و الاجتماع به و الأخذ عنه و سؤاله و جوابه، و وجوده فى المواضع الشريفه و مواطن الخير، أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تذكر».

و قال أبو عمرو ابن الصلاح فى (فتاويه): «هو حىّ عند جماهير العلماء و الصالحين و العامه منهم. قال: و إنما شذ بإنكاره بعض المحدثين».

و قال الحافظ ابن حجر- فى آخر البحث-: «قلت: و ذكر لى الحافظ أبو الفضل العراقى شيخنا: أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى كان يعتقد أن الخضر حى. قال:

فذكرت له ما نقل عن البخارى و الحربى و غيرهما من إنكار ذلك، فغضب و قال: من يدعى أنه مات غضبت عليه. قال: فقلنا: رجعنا من اعتقاد موته. انتهى. و أدركنا بعض من كان يدعى أنه يجتمع بالخضر، منهم القاضى علم الدين البساطى الذى ولى قضاء المالكيه فى زمن الظاهر برقوق. و الله تعالى أعلم و بغيه أحكم».

هذا، و مثل الخضر فى البقاء فى هذا العالم: إلياس، فعن محمد بن جرير الطبرى:

«إن الخضر و إلياس باقيان يسيران فى الأرض» (1).

أمّا بقاء عيسى عليه السلام، فمن الضروريات. كما تواتر الخبر فى بقاء الدجال.

و أمّا قوله- ردّاً على العلّامة طاب ثراه، فى استدلاله بما رواه ابن الجوزى: «يقال:

الجواب عن وجوه...».

ص: ٣٣٥

١- ١) البيان فى أخبار صاحب الزمان ط مع كفايه الطالب فى مناقب على بن أبى طالب: ٥٢٢- و لا- يخفى أن ابن جرير الطبرى ممن يعتمد عليه ابن تيميه فى التواريخ و الأنساب و فى التفسير.

لنا هنا بحثان، أحدهما: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي» بدون «و اسم أبيه اسم أبي» رواه أحد من أهل العلم بالحديث، أو لا؟ والثاني: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي» من رواه؟ وما إسناده؟

البحث الأول:

نقول- كما قال ابن تيمية: أحاديث المهدي معروفه، رواها الإمام أحمد و أبو داود و الترمذي و غيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنه قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد...».

لكن الحديث عن ابن مسعود ليس كما ذكره ابن تيمية، وهذا نصه: «و في روايه أحمد في مسند عبد الله بن مسعود عن عمر بن عبيد عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: لا تنقضى الأيام و لا يذهب الدهر حتى يملكك رجل من أهل بيتي، اسمه يواطئ اسمي» (١).

و عن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قال: «لا تذهب الدنيا أو قال: لا تنقضى الدنيا حتى يملكك العرب رجل من أهل بيتي، و يواطئ اسمه اسمي» (٢).

و رواه بنفس السند و اللفظ مره أخرى (٣).

و عن عمر بن عبيد الطنافسي، عن عاصم عن زر عن عبد الله باللفظ (٤).

ص: ٣٣٦

١- ١) مسند أحمد ١/٣٧٦-٣٧٧.

٢- ٢) مسند أحمد ١/٣٧٧.

٣- ٣) مسند أحمد ١/٤٣٠.

٤- ٤) مسند أحمد ١/٤٤٨.

و فى روايه الترمذى: «حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشى الكوفى قال:

حدثنى أبى، حدثنا سفيان الثورى، عن عاصم بن بهدله، عن زر، عن عبد لله قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى، يواطئ اسمه اسمى. قال أبو عيسى: و فى الباب عن: على و أبى سعيد و أم سلمه و أبى هريره. و هذا حديث حسن صحيح» (١).

البحث الثانى:

و الحديث فى روايه أبى داود كذلك، غير أنه رواه فى أحد الأسانيد بزياده لفظ «و اسم أبيه اسم أبى» و هذا نص ما ذكره:

«حدثنا مسدد: أن عمر بن عبيد حدثهم. و ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر - يعنى ابن عياش - ح و ثنا مسدد، ثنا يحيى، عن سفيان، و ثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا زائده. ح و ثنا أحمد بن إبراهيم حدثنى فطر - المعنى واحد - كلهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبى صلى الله عليه و آله قال: لو لم يبق من الدنيا إلا - يوم، قال زائده: لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل منى أو من أهل بيتى، يواطئ اسمه اسمى و اسم أبيه اسم أبى. زاد فى حديث فطر: يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً. و قال فى حديث سفيان: لا تذهب أو لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى.

قال أبو داود: لفظ عمر و أبى بكر بمعنى سفيان» (٢).

فظهر التطابق فى الروايه لحديث عبد الله بن مسعود، بين روايه أحمد و الترمذى و أبى داود، و هو المطابق لما تذهب إليه الإماميه، و وافقهم عليه من غيرهم كثيرون من

ص: ٣٣٧

١- ١) صحيح الترمذى ٣/٣٤٣.

٢- ٢) سنن أبى داود ٢/٣٠٩-٣١٠.

أنه (محمد بن الحسن العسكري) فاسمه يواطئ اسم جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله. و انفراد أبو داود بروايه الحديث بسند فيه (زائده) بزيادة لفظ «و اسم أبيه اسم أبي».

و قد تكلم علماء الفريقين على هذا اللفظ سنداً و معنى، و أجابوا عنه بوجوه عديدة، لا حاجة بنا إلى التطويل بإيرادها بعد ما تقرّر لزوم طرح الشاذ النادر من الأخبار، و الأخذ بالمجمع عليه، لكون المجمع عليه لا ريب فيه.

و قد كرّر ابن تيمية دعواه في لفظ حديث عبد الله بن مسعود، و لم يعز روايته بلفظ (و اسم أبيه اسم أبي) إلى أحد غير أنه أن أورده كذلك قال:

«و رواه الترمذى و أبو داود من روايه أم سلمه» و ظاهره إخراجهما الحديث عنها بذاك اللفظ، و هو كذب في كذب. و لننقل عين عبارته:

«إن الأحاديث التي يحتجّ بها عن خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود و الترمذى و أحمد و غيرهم، من حديث ابن مسعود و غيره، كقوله صلّى الله عليه وآله في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلا- يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل منى أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً. و رواه الترمذى و أبو داود من روايه أم سلمه....»

و هذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفه أنكروها و احتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. و هذا الحديث ضعيف...».

أقول: قد عرفت أن (اللفظ المتفق عليه بين الأئمة) هو الحديث الخالي عن (و اسم أبيه اسم أبي) و أن هذا اللفظ ما رواه إلا أبو داود في أحد أسانيده، و فيه (زائده) و قد نصّ على أن هذه الزيادة من روايه هذا الرجل فحسب، و ما وافقه عليها أحد.

لكن ابن تيمية يحاول أن يوهم أن الزيادة هي المتفق عليه، و أن اللفظ الخالي عنها

من صنع الإماميه و تحريف للحديث!! بل يريد فى هذا الكلام أن يوهم أن اللفظ مع الزيادة مروى عن أم سلمه كذلك.

ثم إن ابن تيميه تعرّض لبعض ما قيل فى الجواب عن الزيادة، إذ حملوها على وجوه لغرض الجمع بينها و بين اللفظ المتفق عليه، فأورد كلام العلامة ابن طلحه الشافعى، و جعل يشنّع عليه و يرميه بالتحريف... و هذا عين عبارته:

«إن الاثنى عشرية الذين ادّعوا أن هذا هو مهديهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن، و المهدي المنعوت الذى وصفه النبى صلّى الله عليه و آله محمد بن عبد الله.

و لهذا حذف طائفه ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت.

و طائفه حرّفته، فقالت: جدّه الحسين و كنيته أبو عبد الله، فمعناه: محمد بن أبى عبد الله، و جعلت الكنيه اسماً، و ممن سلك هذا ابن طلحه فى كتابه الذى سمّاه (غايه السئول فى مناقب الرسول). و من له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله. فهل يفهم أحد من قوله: يواطئ اسمه اسمى، و اسم أبيه اسم أبى، إلا أن اسم أبيه عبد الله؟ و هل يدلّ هذا اللفظ على أن جدّه كنيته أبو عبد الله؟....

و أيضاً: فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن على لا من ولد الحسين، كما تقدّم لفظ حديث على» (1).

أقول: إن المنعوت الذى وصفه النبى صلّى الله عليه و آله هو (محمد بن الحسن) فإنه مفاد الحديث الصحيح المتفق عليه الذى لا كلام فيه، و أمّا الذى فيه ذكر الأب فليس من لفظ الرسول حتى يناقض ما ذهب إليه الاثنا عشرية، و إنما هو روايه واحد من الرواه و قد خالفه غيره فيه....

ص: ٣٣٩

و لكن العلماء- كما ذكرنا من قبل- أرادوا الجمع بينه و بين اللفظ الصحيح المتفق عليه فحملوه على بعض الوجوه، و هي سواء صحّت أو لم تصح محامل و لا يجوز التعبير عن تلك الوجوه ب(التحريف) إلا جاهل غيبي أو متعصب عنيد.

و قد كان من تلك الوجوه ما ذكره العلامة الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في كتاب(مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) (١) فإنه قال بعد ذكر الإشكال: «فالجواب: لا بدّ قبل الشروع في تفصيل الجواب من بيان أمرين يبتنى عليهما الغرض:

الأول: إنه من السايغ الشايغ في لسان العرب إطلاق لفظه(الأب) على(الجدّ الأعلى) و قد نطق القرآن الكريم بذلك فقال «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» و قال تعالى حكايه عن يوسف «وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ» و نطق به النبي و حكاه عن جبرئيل في حديث الإسراء أنه قال: قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم. فعلم أن لفظه الأب تطلق على الجدّ و إن علا، فهذا أحد الأمرين.

و الأمر الثاني: إن لفظه(الإسم) تطلق على(الكنيه) و على(الصفه) و قد استعملها الفصحاء و دارت بها ألسنتهم و وردت في الأحاديث، حتى ذكرها الإمامان البخاري و مسلم، كلّ واحد منهما يرفع ذلك بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي أنه قال عن علي:

و الله إن رسول الله سماه بأبي تراب و لم يكن له اسم أحبّ إليه منه. فأطلق لفظه الإسم على الكنيه. و مثل ذلك قال الشاعر: أجل قدرك أن تسمى مؤنته و من كناك قد سماك للعرب

و روى: و من يصفك. فأطلق التسميه على الكنايه و هو شائع في كلام العرب.

ص: ٣٤٠

١- ١) هكذا اسمه لا- ما ذكره ابن تيميه، و هو مطبوع. و قد ترجم لابن طلحة و أثنى عليه كبار العلماء، و عدّ من فقهاء الشافعيه المشاهير، توجد ترجمته في: العبر ٢١٣/٥، و النجوم الزاهره ٣٣/٧، و طبقات الشافعيه للسبكي و ابن قاضي شهبه و غيرها.

فإذا أوضح ما ذكرناه من الأمرين، فاعلم أيديك الله بتوفيقه:

إن النبي كان له سبطان: أبو محمد الحسن و أبو عبد الله الحسين، ولما كان الخلف الصالح الحجة من ولد أبي عبد الله الحسين، ولم يكن من ولد أبي محمد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي على الكنية لفظه بالإسم؛ لأجل المقابلة بالإسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظه الأب، فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمد و أنا محمد و كنية جده اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله و أبي عبد الله. لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعاً لتعريف صفاته و إعلماً أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز.

و حينئذ، تنتظم الصفات و توجد بأسرها مجتمعاً للحجة الخلف الصالح محمد.

و هذا بيان شاف كاف لإزاله ذلك الإشكال، فافهمه» (١).

أقول: هذا ما ذكره ابن طلحة الفقيه المحدث الشافعي في معنى اللفظ الذي شدَّ به (زائده) حتى لا يطرح الحديث، و هذا لا يسمى ب(التحريف) كما قال ابن تيمية، مع أنه -أعنى ابن تيمية- قد حرّف الكلام و لم ينقله بكامله.

فإن قبل ما ذكره هذا الشيخ أو غيره، فهو، و إلا سقط حديث (زائده).

و قوله: «و أيضاً، فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدم في لفظ حديث علي».

فيه: إنه قد تقدّم الكلام على الحديث الذي روى عن علي، فلا نعيد.

و على الجملة، فهذا الناصبي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث مثل: مسند أحمد و سنن أبي داود و الترمذي و غير ذلك من الكتب، و إنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم غير أبي داود و بسند واحد من أسانيد... و هذا ما يدكرنا

ص: ٣٤١

بالقول المعروف: «رمتني بدائها و انسلت».

بقى الكلام: في طعن ابن تيميه في (سبط ابن الجوزي) و هو ليس إلما تعصياً على الرجل لتأليفه كتاب (تذكرة خواص الأئمة في معرفه الأئمة) (١).

و هذا دأب ابن تيميه و ديدنه مع كل من ألف أو روى في مناقب أهل البيت.

قال قدس سره: فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغايه في الكمال، و لم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك و أنواع المعاصي و الملاهي و شرب الخمر و الفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإماميه: فالله يحكم بيننا و بين هؤلاء و هو خير الحاكمين، و ما أحسن قول بعض الناس: إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً الشرح:

اضطهاد الحكام لأهل البيت و شيعتهم

و هذه نصوص في الباب من الإماميه و غيرهم، تبين جانباً مما أجمله شيخنا العلامة رحمه الله.

كلام لأبي بكر الخوارزمي

قال أبو بكر الخوارزمي في كتاب له إلى جماعه الشيعة في نيسابور، لما قصدهم

ص: ٣٤٢

١- ١) هكذا اسم كتابه لا ما ذكره ابن تيميه، و هو مطبوع. و سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ توجد ترجمته و الثناء عليه و مع وصفه بالحفظ و الاعتماد عليه في كثير من الكتب.

واليها محمد بن إبراهيم: «سمعت-أرشد الله سعيكم و جمع على التقوى أمركم-ما تكلفكم به السلطان الذى لا- يحتمل إلا العدل، ولا يميل إلا على جانب الفضل، ولا يبالي بأن يمزق دينه إذا رفا دنياه، ولا يفكر فى أن لا يقدم رضا الله إذا وجد رضاه، وأنتم ونحن-أصلحنا الله وإياكم-عصابه لم يرض الله لنا الدنيا، فذخرنا للدار الأخرى، و رغب بنا عن ثواب العاجل فأعد لنا ثواب الأجل، وقسنا قسامين: قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شهيداً، فالحي يحسد الميت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى عليه.

قال أمير المؤمنين و يعسوب الدين عليه السلام: المحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدور.

و هذه مقاله أسيست على المحن، و ولد أهلها فى طالع الهزاهز و الفتن، فحياه أهلها نغص، و قلوبهم حشوها غصص، و الأيام عليهم متحامله، و الدنيا عنهم مائه، فإذا كنا شيعه أئمتنا فى الفرائض و السنن، و متبعي آثارهم فى ترك كل قبيح و فعل حسن، فينبغى أن نتبع آثارهم فى المحن.

غصبت سيدتنا فاطمه عليها السلام و على آله ميراث أبيها عليها السلام سراً.

و قتل أخوه عليه السلام جهراً.

و صلب زيد بن على بالكناسه.

و قطع رأس زيد بن على فى المعركه (1).

و قتل ابنه محمد و إبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى.

و مات موسى بن جعفر فى حبس هارون، و سُم على بن موسى بيد المأمون.

و هزم إدريس بفتح حتى وقع إلى الأندلس فريداً.

ص: ٣٤٣

و مات عيسى بن زيد طريداً شريداً.

و قتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان و الإيمان و بعد توكيد العهود و الضمان.

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلويه طبرستان، و غير قتل محمد بن زيد و الحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، و غير ما صنعه أبو السيثاح في علويه المدينة، حملهم بلا عطاء و لا وطاء من الحجاز إلى سامراء، و هذا بعد قتل قتيبه بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بابويه، و قد ستر نفسه و وارى شخصه، يصانع حياته و يدافع وفاته، و لا- كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة، و ما فعله مزاحم بن خاقان بعلويه الكوفه كافه.

و بحسبكم أنه ليست في بيضه الإسلام بلده إلا- و فيها لقتيل طالبي تربه، تشارك في قتله الأموى و العباسى، و أطبق عليهم العدنانى و القحطانى. فليس حى من الأحياء نعرفه

قادتهم الحميه إلى المتيه، و كرهوا عيش الذله، فماتوا موت العزه، و وثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانيه.

داس عثمان بن عفان بطن عمّار بن ياسر بالمدينه، و نفى أبا ذر الغفارى إلى الربذه، و أشخص عامر بن عبد قيس التميمى، و غزب الأشر النخعى و عدى بن حاتم الطائى، و سير عمر بن زراره إلى الشام، و نفى كميل بن زياد إلى العراق، و جفا أبى بن كعب و أقصاه، و عادى محمد بن حذيفه و ناواه، و عمل في دم محمد بن سالم ما عمل، و فعل مع كعب ذى الحطبه ما فعل.

و اتبعه في سيرته بنو أميه، يقتلون من حاربهم، و يغدرون بمن سالمهم، لا يحظون المهاجرى، و لا يصونون الأنصارى، و لا يخافون الله، و لا يحتشمون الناس، قد اتخذوا عباد الله خولاً، و مال الله دولاً، يهدمون الكعبه، و يستعبدون الصحابه،

و يعطلون الصلاه الموقوته، و يحطمون أعناق الأحرار، و يسيرون فى حرم الرسول سيرتهم فى حرم الكفار، و إذا فسق الأموى فلم يأت بالضلاله عن كلاله!

قتل معاويه حجر بن عدى الكندى و عمرو بن الحمق الخزاعى بعد الإيمان المؤكده و المواثيق المغلظه.

و قتل زياد بن سميّه الألوّف من شيعه الكوفه و شيعه البصره صبراً، و أوسعهم سبياً و أسراً، حتى قبض الله معاويه على أسوء أعماله، و ختم عمره بشرّ أحواله.

فأتبعه ابنه، يجهز على جرحاه و يقتل أبناء قتلاه، إلى أن قتل هانى بن عروه المرادى و مسلم بن عقيل الهاشمى أولاً، و عقب بالحرّ بن زياد الرياحى، و أبى موسى عمرو بن قرطه الأنصارى، و حبيب بن مظاهر الأسدى، و سعيد بن عبد الله الحنفى، و نافع بن هلال البجلي، و حنظله بن سعد الشافى، و عباس بن أبى شبيب الشاكرى، فى نيف و سبعين من جماعه شيعه الحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً.

ثم سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد، يصلبهم على جذوع النخل و يقتلهم ألوان القتل، حتى اجث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك، عظيم التبعه بحرimeهم الذى انتهك.

فانتبهت لنصره أهل البيت طائفه أراد الله أن يخرجهم من عهده ما صنعوا، و يغسل عنهم وضى ما اجترحوا، فصمدوا صمود الفئه الباغيه، و طلبوا دم الشهيد من ابن الزانيه، لا يزيدهم قلّه عددهم و انقطاع مددهم و كثره سواد أهل الكوفه يازائهم، إلا إقداماً على القتل و القتال، و سخاء بالنفوس و الأموال، حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعى، و المسيب بن نجبه الفزارى، و عبد الله بن واصل التميمى، فى رجال من خيار المؤمنين و عليه التابعين، و مصاييح الأنام و فرسان الإسلام.

ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز و العراق، فقتل المختار، بعد أن شفى الأوتار، و أدرك الثار، و أفنى الأشرار، و طلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، و نفى خاذله،

و اتبعوه أبا عمر بن كيسان، و أحمر بن شميطة، و رفاعه بن يزيد، و السائب بن مال، و عبد الله بن كامل، و تلقطوا بقايا الشيعة، يمثلون بهم كل مثله، و يقتلونهم شر قتله، حتى طهر الله من الزبير البلاد، و أراح من أخيه مصعب العباد، فقتلها عبد الملك بن مروان «وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية و أراد إحراقه، و نفى عبد الله بن العباس و أكثر إرهابه.

فلما خلت البلاد لآل مروان، سلطوا الحجاج على الحجازيين، ثم على العراقيين، فتلعب بالهاشميين، و أخاف الفاطميين، و قتل شيعة علي، و محا آثار بيت النبي، و جرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي.

و اتصل البلاء مدّه ملك المروانيه إلى الأيام العباسيه، حتى إذا أراد الله أن يختم مدّتهم بأكثر آثامهم، و يجعل أعظم ذنوبهم في آخر أيامهم، بعث علي بقيه الحق المهمل و الدّين المعطل زيد بن علي، فخذله منافقوا أهل العراق، و قتلته أحزاب أهل الشام، و قتل معه من شيعته: نصر بن خزيمة الأسدي، و معاوية بن إسحاق الأنصاري، و جماعه من شايعه و تابعه، و حتى من زوجته و أدناه، و حتى من كلمه و أثنائه.

فلما انتهكوا ذلك الحريم، و اقترفوا ذلك الإثم العظيم، غضب الله عليهم و أنزع الملك منهم، فبعث عليهم أبا مجرم لا- أبا مسلم، فنظر- لا نظر الله إليه- إلى صلابه العلويه و إلى لين العباسيه، فترك تقاه و اتبع هواه، و باع آخرته بدنياه، و افتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، و سلط طواغيت خراسان، و خوارج بجستان، و أكراد إصفهان على آل أبي طالب، يقتلهم تحت كلّ حجر و مدر، و يطلبهم في كلّ سهل و جبل، حتى سلط عليه أحب الناس إليه، فقتل كما قتل الناس في طاعته، و أخذه بما أخذ الناس في بيعته، و لم ينفعه أن أسخط الله برضاه و أن ركب ما يهواه.

و حلت من الدوانيقى الدنيا، فخطب فيها عسفاً و تقصى فيها جوراً و حيفاً، إلى أن مات و قد امتلأت سجونته بأهل بيت الرسالة و معدن الطيب و الطهاره، قد تتع غائبهم و تلقط حاضرهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسينى بالسند، على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبى، فما ظنك بمن قرب تناوله عليه و لامسه على يديه.

و هذا قليل فى جنب ما قتله هارون منهم، و فعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسين بن على بفخ من موسى، و ما اتفق على بن الأفظس الحسينى من هارون، و ما جرى على أحمد بن على الزيدى، و على القاسم بن على الحسينى من حبسه، و على بن غسان الخزاعى حين أخذ من قبله.

بالجملة: إن هارون مات و قد قصّر شجره النبوه و اقتلع غرس الإمامه.

و أنتم أصلحكم الله لستم أعظم نصيباً فى الدين من الأعمش فقد أخافوه، و من على بن يقطين فقد اتهموه.

فأما فى الصدر الأول، فقد قتل زيد بن صوحان العبدى، و عوقب عثمان بن حنيف الأنصارى، و أقصى حارثه بن قدامه السعدى، و جندب بن زهير الأزدى، و شريح بن هانى المرادى، و مالك بن كعب الأرحبى، و معقل بن قيس الرياحى، و الحارث الأعور الهمدانى، و أبو الطفيل الكنانى، و ما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً أو عاش فى بيته ذليلاً، يسمع شتمه الوصى فلا ينكر، و يرى قتله الأوصياء و أولادهم فلا يغير، و لا يخفى عليكم حرج عامتهم و حيرتهم، كجابر الجعفى، و كرشيد الهجرى، و كزراره بن أعين، ليس إلا أنهم -رحمهم الله- يتولون أولياء الله و يتبرءون من أعداء الله، و كفى به جرماً عظيماً عندهم و عيباً كبيراً بينهم.

و قل فى بنى العباس، فإنك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً، و جلّ فى عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً، يجبى فيهم فيفرق على الديلمى و التركى، و يحمل إلى المغربى و الفرغانى، يموت إمام من أئمه الهدى، و سيد من سادات المصطفى، فلا تتبع

جنازته و لا تجصّص مقبرته، و يموت ضراط لهم أو لاعب أو مسخره أو ضارب، فتحضر جنازته العدول و القضاء، و يعمر مسجد التعزیه عند القواد و الولاه، و سلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً، و لا يتعرّضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً و مانوياً، و يقتلون من عرفوه شيعياً، و يسفكون دم من سمى ابنه علياً.

و لو لم يقتل من شيعة أهل البيت عليهم السّلام غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن علي، و لو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، و نائره لا تطفأ، و صدعاً لا يلتئم، و جرحاً لا يلتحم!

و كفاهم أن شعراء قریش قالوا في الجاهليّيه أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام و يعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم و دوّنت أخبارهم، و روتها الرواه مثل الواقدي، و وهب بن منبه التميمي، و مثل الكلبي، و الشرفي بن قطامي، و الهيثم بن عدى و دأب بن الكناني!

و إن بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي صلّى الله عليه و آله فيقطع لسانه، و يمزق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي، و كما دمرّ علي دعبل بن علي الخزاعي، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصه اليمامي، و من علي بن الجهم الشامي، ليس إلا لغلوّهما في النصب، و استيجابهما مقت الرب.

حتى أن هارون بن الخيزران و جعفر المتوكّل علي الشيطان لا علي الرحمن، كانا لا يعطيان مالاً و لا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب و نصر مذهب النواصب، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري، و وهب بن وهب البختری، و من الشعراء مثل مروان بن أبي حفصه الأموي، و من الأدباء مثل عبد الملك بن قريب الأصمعي. فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري، و أبي السمط بن أبي الجون الأموي، و ابن أبي الشوارب العبشمي.

و نحن أرشدكم الله، قد تمسكنا بالعروة الوثقى، و آثرنا الدين على الدنيا، و ليس يزيدنا بصيره زياده من زاد فينا، و لن يحل لنا عقيدته نقصان من نقص منا، إن الإسلام بدء غريباً و سيعود كما بدء. كلمه من الله و وصيه من رسول الله، إن الأرض يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتقين. و من اليوم غد و بعد السبت أحد، قال عمار بن ياسر رحمه الله يوم صفين: لو ضربونا حتى نبليغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل.

و لقد هزم جيش رسول الله صلى الله عليه و آله ثم هزم، و لقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم «الم أ حسب الناس أن يُتركوأ أن يقولوا آمنا و هم لا- يُفتنون» و لو لا- محنه المؤمنين و قلتهم، و دوله الكافرين و كثرتهم، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد، و لما قال الله تعالى «و لكن أكثرهم لا يعلمون» و لما تبين الجزوع من الصبور و لا عرف الشكور من الكفور، و لما استحق المطيع الأجر، و لا احتقب العاصي الوزر.

فإن أصابتنا نكبه فذلك ما تعودناه، و إن رجعت لنا دوله فذلك ما قد انتظرناه، و عندنا بحمد الله تعالى لكل حاله آله، و لكل مقامه مقاله، فعند العسر الصبر، و عند النعم الشكر.

و لقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر، فما شككنا فى وصيته، و كذب محمد صلى الله عليه و آله بضع عشره سنه فما اتهمناه فى نبوته، و عاش إبليس مده على المدد فلم نرتب فى لعنته، و ابتلينا بفترة الحق و نحن مستيقنون بدولته، و دفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام و الرضا بعد الرضا و لا مريه عندنا فى صحه إمامته «و كان أمر الله مفعولاً»، «و كان أمر الله قدراً مقدوراً»، «كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون»، «و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»، «و لتعلمن نبأه بعد حين».

اعلموا رحمكم الله، إن بنى أميه الشجره الملعونه فى القرآن و أتباع الطاغوت

و الشيطان، جهدوا فى دفن محاسن الوصى، و استأجروا من كذب فى الأحاديث على النبى صلى الله عليه و آله، و حوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة، و الخلافة زعموا إلى دمشق عن الكوفة، و بذلوا فى طمس هذا الأمر الأموال و قلدوا عليه الأعمال، و اصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا على تحريف آيه من كتاب الله تعالى، و لا على دس أحد من أعداء الله فى أولياء الله.

و لقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العتره، و يُبَكِّتُ بعضهم بعضاً بالدليل و الحجة، لا تنفع فى ذلك عيبه، و لا يمنع منه رغبه و لا رهبه، و الحق عزيز و إن استدّل أهله، و كثير و إن قلّ حزبه، و الباطل و إن رصّع بالشبه قبيح، و ذليل و إن غطّى وجهه بكلّ مليح. قال عبد الرحمن بن الحكم و هو من أنفُس بنى أميه: سمّيه أمسى نسلها عدد الحصا و بنت رسول الله ليس لها نسل

غيره: لعن الله من يسبّ عليّاً و حسيناً من سوقه و إمام

و قال أبو دهبيل الجمحى، فى حميه سلطان بنى أميه و ولايه آل بنى سفيان: تبيت السكارى من أميه نوماً و بالطف قتلى ما ينام حميمها

و قال الكميّ بن زيد، و هو جار خالد بن عبد الله القسرى: فقل النبى أميه حيث حلّوا

و ما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤوسهم بالحق و إن كرهوه، و بتفضيل من نقصوه و قتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون: آل النبى و من يحبهم

و قال دعبل بن على، و هو صنيعه بنى العباس و شاعرهم: ألم تر أنى مذ ثمانين حجه

و قال على بن العباس الرومى، و هو مولى المعتصم: تألّيت أن لا يبرح المرء منكم

و قال إبراهيم بن العباس الصولى، و هو كاتب القوم و عاملهم، فى الرضا لما قرّبه المأمون: يمنّ عليكم بأموالكم و تعطون من مائه واحداً؟!!

و كيف لا ينقصون قوماً يقتلون بنى عمهم جوعاً و سغباً، و يملثون ديار الترك و الديلم فضه و ذهباً؟!!

يستنصرون المغربى و الفرغانى، و يجفون المهاجرى و الأنصارى، و يولّون أنباط السواد وزارتهم، و قلف العجم و الطماطم قيادتهم، و يمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم و فىء جدّهم؟

يشتهى العلوى الأ- كله فيحرمها، و يقترح على الأيام الشهوه فلا- يطعمها، و خراج مصر و الأهواز و صدقات الحرمين و الحجاز تصرف إلى أبى مريم المدينى، و إلى إبراهيم الموصلى، و ابن جامع السهمى، و إلى زلزل الضارب، و برصوما الزامر، و أقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل بلد، و جارى بغا التركى و الأفشين الأشروسى كفايه أمه ذات عدد.

و المتوكل، زعموا يتسرّى باثنى عشر ألف سريره، و السيد من سادات أهل البيت بزنجيه و سنديه، و صفوه مال الخراج مقصوره

علی أرزاق الصفاعنه، و علی موائد المخائنه، و علی طعمه الکلابین، و رسوم القرّادین، و علی مخارق و علویه المغنی،

ص: ۳۵۰

و على زرزرد و عمر بن بانه الملهي، و ييخلون على الفاطمي بأكله أو شربه، و يصارفونه على دانق و حبه، و يشترون العواده بالبدر، و يجرون لها ما يفي برزق عسكر، و القوم الذين أحلّ لهم الخمس، و حرمت عليهم الصدقه، و فرضت لهم الكرامه و المحبه، يتكفون ضرّاً و يهلكون فقراً، و ليرهن أحدهم سيفه، و يبيع ثوبه، و ينظر إلى فيئه، و جدّه النبي، و أبوه الوصي، و أمّه فاطمه، و جدّته خديجه، و مذهبه الإيمان، و إمامه القرآن» إلى آخر ما أفاد و أجاد (١).

كلام للسيد علي بن معصوم المدني

قال السيد علي بن معصوم المدني (٢): «إعلم رحمك الله تعالى: أن شيعة أمير المؤمنين و الأئمه من ولده عليه السلام لم يزالوا في كلّ عصر و زمان و وقت و أوان مختفين في زوايا الاستتار، محتجين احتجاج الأسرار في صدور الأحرار، و ذلك لما منوا به من معاداه أهل الإلحاد و مناواه أولى النصب و العناد، الذين أزالوا أهل البيت عن مقاماتهم و مراتبهم، و سعوا في إخفاء مكارمهم الشريفه و مناقبهم، فلم يزل كلّ متغلب منهم يبذل في متابعه الهوى مقدوره، و يلتهب حسداً ليطفى نور الله، و يأبى الله إلا أن يتم نوره.

كما روى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلّى الله عليه و آله أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قریش إيانا و تظاهرهم علينا، و ما لقي شيعتنا و محبّونا من الناس! إن رسول الله صلّى الله عليه و آله قبض و قد أخبر أنا أولى الناس بالناس،

ص: ٣٥٢

-
- ١- ١) رسائل أبي بكر الخوارزمي، المتوفى: ٣٩٣، و توجد ترجمته في كافة المصادر التاريخيه.
٢- ٢) من أكابر العلماء الأدباء، له آثار جليله في علوم مختلفه، توفي فيما بين سنه ١١١٧ و سنه ١١٢٠ على اختلاف الأقوال، و توجد ترجمته في: البدر الطالع ١/٤٢٨، نزهه الجليس ١/٢٠٩، أبجد العلوم ٨-٩، و هديه العارفين ١/٧٦٣.

فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحبّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبوع الحسن ابنه و عوهد ثم غدر به و أسلم، و وثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، و انتهب عسكره و خولجت خلاخل أمهات أولاده، فوادع معاويه و حقن دمه و دماء أهل بيته و هم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، و خرجوا عليه و بيعته في أعناقهم، فقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستذلّ و نستضام، و نقصى و نمتهن و نحرم، و نقتل و نخاف، و لا نأمن على دمائنا و دماء أوليائنا.

و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، و قضاه السوء و عمّال السيوء في كلّ بلده، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه، و رووا عنا ما لم نقله و ما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس، و كان عظم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن عليه السلام.

فقتلت شيعتنا في كلّ بلده، و قطّعت الأيدي و الأرجل على الظنه، من ذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن و نهب ماله و هدم داره. ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام.

ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتله و أخذهم بكلّ ظنه و تهمه، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له شيعة على عليه السلام.

و روى أبو الحسن على بن محمد بن أبي سيف المدائني (١) في كتاب (الأحداث)

ص: ٣٥٣

١ - ١) قال الذهبي بترجمته: «المدائني، الحافظ الصادق أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري، نزل بغداد، و صنف التصانيف، و كان عجباً في معرفه السير و المغازي و الأنساب و أيام العرب، مصداً فيما ينقله، عالي الإسناد.. و كان عالماً بالفتوح و المغازي و الشعر صدوقاً في ذلك» توفي سنة ٢٢٥، ٢٢٤. سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٠٠. و توجد ترجمته في تاريخ بغداد ٥٤/١٢، مرآة الجنان ٨٣/٢، معجم الأدباء ١٢٤/١٤، الكامل في التاريخ ٥١٦/٦ و غيرها.

قال: «كتب معاويه نسخه واحده إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذّمه ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب و أهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كوره و على كلّ منبر يلعنون علياً و يبرءون منه، و يقعون فيه و في أهل بيته، و كان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفه؛ لكثره من بها من شيعه علي، فاستعمل عليها زياد بن سمّيه و ضمّ إليه البصره، و كان يتبع الشيعه - و هو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي - فقتلهم تحت كلّ حجر و مدر، و أخافهم، و قطع الأيدي و الأرجل، و سمل العيون، و صلبهم على جذوع النخل، و طرّدهم و شرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاويه إلى عمّاله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعه علي و أهل بيته شهاده. و كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعه عثمان و محبّيه و أهل بيته، و الذين يروون فضائله و مناقبه، فأذنوا مجالسهم و قرّبوهم و أكرمواهم، و اكتبوا إلى بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان و مناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاويه من الصيّلات و الكساء و الجيّات و القطائع، و يفرضه في العرب منهم و الموالى، فكثرت ذلك في كلّ مصر، و تنافسوا في المنازل و الدنيا، فليس يجئ أحد بخير مزور من الأس إلا صار عاملاً من عمّال معاويه، و لا يروى في عثمان فضيله أو منقبه إلا كتب اسمه، و قرّبه، و شفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عمّاله: إن الحديث في عثمان قد كثر و فشا في كلّ مصر و في كلّ وجه و ناحيه، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الروايه في فضائل الصّحابه و الخلفاء

الأولين، و لا- يتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا و أتوني بمناقض له في الصحابه، فإن هذا أحبّ إليّ و أقرّ لعيني، و أدحض لحجه أبي تراب و لشيعته، و أشدّ عليهم من مناقب عثمان و فضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيره في مناقب الصحابه مفتعله لا حقيقه لها، و جدّ لها، و جدّ الناس في روايه ما يجرى هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، و القى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن، و حتى علموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخه واحده إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيئه أنه يحبّ عليّاً و أهل بيته، فامحوه من الديوان و أسقطوا عطائه و رزقه.

و شفع ذلك بنسخه أخرى: من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهدموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ و لا أكثر منه بالعراق، و لا- سيما بالكوفه، حتى أن الرجل من شيعة على ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه و يخاف من خادمه و مملوكه، و لا يحدث حتى أخذ عليه الأيمان الغليظه ليكتمنّ عليه. فظهر حديث كثير موضوع، و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاء و الولاه.

و كان أعظم الناس في ذلك بليّه القراء المرءون و المستضعفون الذين يظهرون الخشوع و النسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولا-تهم، و يتقرّبوا بمجالستهم و يصيبوا به الأموال و الضياع و المنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار و الأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلّون الكذب، فقبلوها و رووها و هم يظنّون أنها حق، و لو علموا أنها باطله لما رووها و لا تديّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على، فازداد البلاء و الفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك و الصّلاح و الدّين بيغض على و موالاه أعدائه، و موالاه من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه. فأكثروا فى الروايه فى فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغض من على، و من عيبه، و الطعن فيه، و الشنآن له.

حتى أن إنساناً وقف للحجاج، و يقال إنه جد الأصمعى عبد الملك بن قريب فصاح به: أيها الأمير: إن أهلى عتُونى فسمونى عليّ، و إنى فقير بئس و أنا إلى صله الأمر محتاج. فتضحك له الحجاج و قال: للطف ما توصلت به، قد وليناك موضع كذا.

و قد روى ابن عرفه المعروف بنفطويه (1) و هو من كبار المحدّثين و أعلامهم، فى (تاريخه) ما يناسب هذا الخبر و قال: إن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى أميه، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنف بنى هاشم.

قال المؤلّف عفا الله عنه: و لم يزل الأمر على ذلك سائر خلافه بنى أميه لعنهم الله، حتى جاءت الخلافه العباسيه، فكانت أدهى و أمر و أضرى و أضرّ، و ما لقيه أهل البيت عليهم السّلام و شيعتهم فى دولتهم أعظم مما مضوا به فى الخلافه الأمويه كما قيل: و الله ما فعلت أميه فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

ص: ٣٥٦

١ - ١) ترجم له الذهبى و قال: نفطويه. الامام الحافظ النحوى العلامه الاخبارى ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان العتكى الازدى الواسطى المشهور بنفطويه صاحب تصانيف و كان ذا سنه و دين و فتوه و مروه و حسن خلق و كيس مات سنه ٣٦٣ سیر اعلام النبلاء ٧٥/١٥ و توجد ترجمته ايضا فى: تاريخ بغداد ١٥٩/٦ وفيات الاعيان ١/٤٧ المنتظم ٢٧٧/٦ الوافى بالوفيات ١٣٠/٦ معجم الادباء ٢٥٤/١ و غيرها.

ثم شبَّ الزمان و هرم، والشأن مضطرب و الشنآن مضطرم، و الدهر لا يزداد إلا عبوساً، و الأيام لا تبدى لأهل الحق إلا بؤساً، و لا معقل للشيعة من هذه الخطة الشنيعة في أكثر الأعصار و معظم الأمصار إلا الإنزواء في زوايا التقية، و الانطواء على الصبر بهذه البلية (١):

كلام للسيد حيدر الآملي

و قال السيد حيدر الآملي: «ثم لا يغيب عن نظرك: أن الحاكم إذا لم يقتد بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي حركاته و سكناته التزم أضرارها، فيحتاج السلطان إلى المعاون و المعاوض و المشير و المساعد له على مقاصده و أغراضه و مطالبه و شهواته، في ارتكاب المحرّمات، و شرب المسكرات، و سماع الغناء، و الولوع بالمردان، و التهتك مع النسوان، و اجتذاب الأموال من غير حلّها، و عسف الرعيّه و ذلّها، فيضطرّ الملك و السلطان إلى شيطان يستره، و فقيه ينصره، و قاض يدلس له، و متشدّق يكذب لدولته، و رئيس يسكن الأمور، و طامع يشهد بالزور، و مشايخ تتباكا، و شباب تتراكا، و وجيه يهون الأحوال، و يثيره على حبّ المال، و زاهد يلين الصعاب، و فاسق ينادم على الشراب، و عيون تنظر، و ألسنه تفجر، حتى ينام الخليفة أمير المؤمنين سكراناً، و يجد على فسوقه أعواناً. و لا تقوم هذه المملكة إلا بدحض أضرارها، و لا تتم دعوه قوم إلا بهتك [بهلاك] أعدائها و عنادها.

نظّر و اعتبار

هل يجب إذا كانت هذه الدعوه لعلي بن أبي طالب عليه السلام و ملكها معاويه بن أبي سفيان، و وزيراه عليها عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه، و قد خصمه علي بن

ص: ٣٥٧

أبى طالب عليه السلام عليها مدّه إلى أن قتله معاويه، أن يرفع قدر الحسن و الحسين صلّى الله عليه و آله، و قدر محمد بن الحنفية، و قدر بنى هاشم و آل أبى طالب، و أن يكرم عبد الله بن العباس، و يراعى حال أصحاب على أحيائهم و الأموات منهم؟ هذا بعيد من القياس و السياسه الدنياويه.

بل يجب على معاويه أن يفعل ما فعل من التدبير فى قتل على عليه السلام و أولاده، و تشتيت شملهم، و سبّ على على المنابر، و تهوين أمره، و نسخ شرفه من صدور العوام، و بثّ ذلك فى العباد و البلاد، و تهديد من صبا إليهم، و التكيل بمن أثنى عليهم، هكذا مدّه دولته.

ثم أودع فى قلوب بنى أميه بغض على و بغض رجاله و آله عليهم السّلام، حتى أذى الحال إلى قتل الحسن بالسّم، و الحسين بالسيف الذى نهب فيه حرمه، و طيف برأسه فى العباد و البلاد.

و هل تمّ ذلك إلا برجال ألباء، عقلاء، علماء فقهاء، و مشايخ فقراء، و أعيان أغنياء، فيستعان بهم على تدبير العوام، و إلقاء الأوهام، و تخويف النفوس، و زجر المتكلمين عن الخوض فى الناموس؟

فلم يزل السبّ و اللّعن و الطرد و العزل فى على و أولاده و رجاله ألف شهر، نشأ فيها رجال و مات فيها رجال، و ابصّرت لهم لحا و اسودّت لحا، و ولدت صبيان و أولاد، و استوسقت بلاد و عباد، و ساد بمرضى بنى أميه من ساد، و انخذل أولاد على عليه السلام و رجاله و أتباعه و من يقتفى أثرهم فى المدن و الأقاليم، لا- ناصر لهم و لا معوان، و لا مساعد و لا إخوان، و بذلت على ذلك أموال، و نشأ عليه رجال، و قيلت فيه أقوال، و ركبت فيه أهوال، و آل الأمر فى الآل إلى ما آل. و جملة الباعه و الفلاحون غافلون عن مقاصد الملوك و السلاطين و كبار الشياطين، و انستر من ذلك خفايا و اشتهرت قضايا، و جرى من طباع أهل المدن و عوامهم ما أراداه الملك و تربّى الناس على أغراضه،

و أثمرت المحبه لما عند الملك و بغض آل محمد و رجالهم، و تحدّث السّوقه بذلك فى الأسواق، و جال بين الناس الشقاق، و صار أتباع الملك مستظهريين بالكلام و الجدل و الخصام، و من يكره الملك تحت السبّ و القتل و الطرد و الجلد، و انسقت المنافع إلى معاضد الملك بيده و لسانه، و احتكمت دوله بنى أميه و معاضدها، و ذلل بالقهر و الجور معاندها، و ستر المتقى عقيدته، و كتم العاقل عبادته، و استمرت الأمور بين الجمهور، و اشتدّت الأيام و العصور، و سارت الكتب المصنفة بذلك فى البلاد، و التبس ما فيها من المقاصد على أكثر العباد، و الناس عبيد الدنيا و فى طباعهم حبّ العاجله، و عند الملك السيف و القلم و الدينار و الدرهم، و آل محمد و أتباعهم تحت الخوف و بعضهم تحت السيف، و لا يكاد يخفى عن معرفتك سرعه إجابته العوام إلى أغراض الحكام خوفاً و طمعاً، يتقلّبون تحت إرادته كيف شاء، و أنى شاء، و متى شاء!

و مع ذلك، الصّيلموات قائمه، و الأذان مرتفع، و الصّوم معتبر، و المواقيت و الحج مستطاع، و الزكاه مأتية، و الجهاد قائم، و الناس على مراتبهم، و الأسواق منعقد، و السّبل مطرقه، و الملاهى بين العوام مبسوطه، و ليس فى البلاء و الشقاء و الخوف و الخفاء غير أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و أشياعه و أتباعه.

و لما استوثق الأمر لبنى مروان بسبب قتل عثمان مقت على بن أبى طالب عليه السلام و رجاله فى قلوب الناس، و ثبت بينهم هذا الالتباس، و نفخ الشيطان و قال باللسان هلك الملك و هان، و نشأ فى الشريعه أصول، و نما لها فروع، و بسقت لها أفنان، فأثمرت بها، ثم لم يغرسها الحق، و لا سقاها الرسول، و لا جناها العقل، و لا أكل ثمرها الأولياء، و لا طعمها الفقراء، فظهر بذلك مذاهب، و اختلفت فيه مسائل، و نسخت أخبار و طويت آثار، و استقر العالم على الخلاف و الاختلاف و عدم الإيتلاف، و الجبله الحيوانيه بحسب مرباها و منشأها، كما أخبر الصادق الأمين: يولد المولود على الفطره، و إنما أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه فينجسانه.

ثم تلاشت دوله بنى أميه و نشأت دوله بنى العباس، فوجدوا بنى أميه قد وطأوا لهم المملكه لأمر لا يحتاجون فيه إلى مصانعه آل على عليه السلام و مداراتهم، لعلمهم أن المملكه بالأصالة لهم، فأقروا الوظائف التي قررها بنو أميه فى إخماد نار الطالبين على حالها، و ساسوا الناس بها، و تناولوها هتية مرّيه، و أمّدوا العالم المعاون على أغراضهم بالأموال، و استخدموا على ذلك الرجال، و هبوا على ذلك مقامات و مراتب و ولايات و هبات و صدقات.

فلما أحسّ الطالبيون بولايه بنى عباس، و أخذت حقوقهم بغير حق، هاجروا إلى الأطراف و الأوساط، خوفاً من القتل و السياط، و خاطبواهم فى القيام عن هذا البساط.

فندب لهم العباسيون الرجال، و أعدّوا لهم القتال، و تولّاهم المنصور، حتى قتل منهم الألوف، و شرّد منهم الألوف، و من وقف على (مقاتل الطالبين) عرف ما جرى من بنى العباس على آل على عليه السلام.

حتى حطّموا شجرتهم، و فزقوا كلمتهم، و أفنوا أموالهم، و أبادوا رجالهم. و اضطر بنو العباس إلى إقامة دعوتهم، و نشر كلمتهم، و مراعاة مملكتهم، و حراستها من آل على عليه السلام، نسفاً على عناد بنى أميه. فلما استقرت دولتهم، و أهيت صولتهم، حتى فهموا أن شجره الطالبين متفرقه، و الأغصان ذابله، و الأفنان ناقصه الرى، مخضوده الشوك، يابسه الشرب. فعندها استقروا و سكنوا، و لم يأمنوا حتى علموا أن جميع الرعايا فى البلاد و الآفاق المشرقيه و المغربيه أعداء لآل محمد صلّى الله عليه و آله، يفضلون أصحابه عليهم، و لا يأنسون بذكرهم....

ثم انهمكت الخلفاء و الملوك من العرب و العجم فى استعمالهم الكذب و ارتكاب المنكرات، التي لا تجب لمثلهم على سبيل النبوه المحمديه و الخلافه العلويه التي فرضها الله تعالى و سنّها محمد صلّى الله عليه و آله و أمر بها و نصّ عليها.

فاضطّروا إلى وضع المدارس مشغله للعوام التي ألفت بالقلوب و الأوهام السمطات

الدمسه و الملابس الفاخره و الأنعام، و سموا كلّ رئيس من الرعاہ إماماً، ليصح لهم الخلفه المملوكه بينهم، و يصير الخليفه الغاصب لكلّ إمام منهم إماماً، و هم يعلمون أنهم يرتكبون الآثام و يأكلون الحرام، و أصلح الساكنين بالمدرسه داعى الخليفه الغاصب، قائماً بعرضه، مناوئاً لمعاديه، مرتقباً على من يطعن فيه، مكفراً لمن لا يواليه، يأخذ على ذلك الجوائز السنيه، و المساكن العليّ، و المراكب البهيّ، و المطاعم الشهيّ، و الملابس الفاخره، و المقامات الباهره، و التمتع و التلذذ فى المنام، و التقلب فى مستراح الحمام، و أعلا مكانه فى المدرسه أن يناقض و يعارض و يدعى قيام الحجّه على الروافض.

و تتابع الناس على ذلك طبقاً بعد طبق و جيلاً بعد جيل، و اندرجوا عليه خلفاً إثر سلف، و نشأ مذهب الجبريين بين العوام، و اندرج فى الخاصّ و العام، و استتر عمال الشياطين و مكراء الفراعنه من السلاطين، و العامى بعقده على هذه المذاهب أسرع من انعقاده على معرفه الله، و هو مذهب يغوث و يعوق و نسر، و اشتغل علماء الجمهور بالخلاف و الشقاق، و ألقوا من تابعهم من الباعه و الفلاحين فى يمين الطلاق، و غشيت المدارس و أحدث التفاضل و التنافس، و انتظم العالم على صورته من قال غيرها و إن كان صادقاً كفر، و من التبس بسواها احتقر» (١).

كلام لأبى جعفر الإسكافى

و قال الشيخ أبو جعفر الإسكافى فى الردّ على عثمانيه الجاحظ: «لو لا ما غلب على الناس من الجهل و حبّ التقليد، لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانيه، فقد علم الناس كافه: أن الدوله و السلطان لأرباب مقاتلهم، و عرف كلّ أحد أقدار شيوخهم و علمائهم و أمرائهم و ظهور كلمتهم و قهر سلطانهم و ارتفاع التقيه عنهم، و الكرامه

ص: ٣٦١

و الجائزه لمن روى الأخبار و الأحاديث فى فضل أبى بكر، و ما كان من تأكيد بنى أميه لذلك، و ما ولدّه المحدثون من الأحاديث، طلباً لما فى أيديهم. فكانوا لا يألون جهداً - فى طول ما ملكوا - أن يخملوا ذكر على و ولده، و يطفئوا نورهم، و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم، و يحملوا الناس على شتمهم و سبهم و لعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّه عددهم و كثره عدوهم، فكانوا بين قتيل و أسير و شريد و هارب و مستخف ذليل و خائف مترقب.

حتى أن الفقيه و المحدث و القاصّ و المتكلم ليقدم إليه و يتوعّد بغايه الإيعاد و أشدّ العقوبه أن لا يذكر من فضائلهم، و لا يرخّصوا لأحد أن يطيف بهم، حتى بلغ من تقيّه المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن على كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، و فعل رجل من قريش. و لا يذكر علياً و لا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها، من خارجى مارق، و ناصب حنق، و نابت مستبهم، و ناشئ معاند، و منافق مكذب، و عثمانى حسود يتعرض فيها و يطعن، و معتزلى قد نفذ فى الكلام، و أبصر علم الإختلاف، و عرف الشبهه، و مواضع الطعن، و ضروب التأويل، قد التمس الحيل فى إبطال مناقبه، و تأوّل مشهور فضائله، فمزه يتأوّلها بما لا يحتمل، و مّره يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، و لا تزداد مع ذلك إلا قوه و رفعه و وضوحاً و استناره.

و قد علمت أن معاويه و يزيد و من كان بعدهما من بنى مروان أيام ملكهم - و ذلك نحو ثمانين سنه - لم يدعوا جهداً فى حمل الناس على شتمه و لعنه و إخفاء فضائله و ستر مناقبه و سوابقه....

و قد تعلمون أن بعض الملوك ربّما أحدثوا قولاً - أو ديناً لهوى، فيحملون الناس على ذلك، حتى لا يعرفون غيره، كنعو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءه عثمان و ترك قراءه ابن مسعود و أبى بن كعب، و توعّد على ذلك، بدون ما صنع هو و جبابره

بنى أميه و طغاه بنى مروان بولد على و شيعته، و إنما كان سلطانه نحو عشرين سنه، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءه عثمان، و نشأ أبناؤهم و لا- يعرفون غيرها، لإمساك الآباء عنها، و كف المعلمين عن تعليمها، حتى لو قرئت عليهم قراءه عبد الله و أبي ما عرفوها و لظنوا بتأليفها الاستكراه و الاستهجان، لألف العاده و طول الجهاله، لأنه إذا استولت على الرعيه الغلبه، و طالت عليهم أيام التسلط، و شاعت فيهم المخافه، و شملتهم التقيه، اتفقوا على التخاذل و التناكب، فلا- تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، و تنقص من ضمائرهم، و تنقص من مرائرهم، حتى تصير البدعه التي أحدثوها غامره للسنة التي كانوا يعرفونها.

و لقد كان الحجاج و من ولاة كعبد الملك و الوليد و من كان قبلهما و بعدهما من فراعنه بنى أميه، على إخفاء محاسن على و فضائله و فضائل ولده و شيعته و إسقاط أقدارهم، أحرص منهم على إسقاط قراءه عبد الله و أبي، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم و فساد أمرهم و انكشاف حالهم، و فى اشتهاى فضل على عليه السلام و ولده و إظهار محاسنهم، بوارهم و تسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا و اجتهدوا فى إخفاء فضائله، و حملوا الناس على كتمانها و سترها.

و أبى الله أن يزيد أمره و أمر ولده إلا- استناره و إشراقاً، و حبهم إلا- شغفاً و شدة، و ذكرهم إلا- انتشاراً و كثرة، و حجتهم إلا- وضوحاً و قوه، و فضلهم إلا- ظهوراً، و شأنهم إلا- علواً، و أقدارهم إلا- إعظاماً، حتى أصبحوا يباهنتهم إياهم أعزاء، و ياماتتهم ذكرهم أحياء، و ما أرادوا به و بهم من الشرّ تحوّل خيراً.

فانتهى إلينا من ذكر فضائله و خصائصه و مزاياه و سوابقه ما لم يتقدمه السابقون، و لا ساواه فيه القاصدون، و لا يلحقه الطالبون، و لو لا- أنها كانت كالقبلة المنصوبه فى الشهره، و كالسنن المحفوظه فى الكثره، لم يصل إلينا منها فى دهرنا حرف واحد، و كان الأمر كما وصفناه».

قال قدس سره: وما أظن أحداً من المحصّين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير مذهب الإماميه باطنياً، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس و الربط و الأوقاف حتى تستمر لبنى العباس الدعوه، و يشيدوا للعامه اعتقاد إمامتهم....

الشرح:

هذا الذى ذكره العلماء طاب ثراه أمر ثابت فى التواريخ، لا يسع أحداً إنكاره إطلاقاً، لكن ابن تيميه قد عرف بإنكار الحقائق و الإباء عن قبولها و إن قال بها جميع الخلائق. و لنذكر طرفاً من تاريخ المدارس فى البلاد، ثم نتعرض للأوقاف و الرواتب و المشاهرات فى بعضها، و نورد نتفاً من الأخبار المتعلقة بذلك، فنقول:

إنه لم يسمح المؤسسون للمدارس فى مختلف البلدان الإسلاميه أن يتعلم أو يدرس أو يسكن فيها أحد من الشيعة، بل كانت المدارس كلها لأهل المذاهب الأربعة فقط، و هم المستفيدون من أوقافها، غير أن المدارس:

منها: ما كان يدرس فيها مذهب واحد من المذاهب الأربعة، كمدارس الشافعيه و أشهرها النظاميه ببغداد، و الحنفيه كمدرسه أبى حنيفه ببغداد، و الحنبلية كمدرسه عبد القادر الجيلي ببغداد، و المالكيه كمدرسه الصدرية بدمشق.

و منها: ما كان يدرس فيها مذهبان من المذاهب الأربعة، فلم يسمح تدريس غيرهما منها فيها، كالتى كانت للحنفيه و الشافعيه فقط. مثل مدرسه سعادة ببغداد، و الظاهريه بدمشق. و التى كانت للحنفيه و المالكيه فقط، مثل المدرسه التى بناها الأمير سيف الدين منكوتر بالقاهره سنه ٦٩٨. و التى كانت للشافعيه و المالكيه فقط، مثل المدرسه الحجازيه بالقاهره سنه ٧٦١. و التى كانت للشافعيه و الحنابله، مثل المدرسه

الشهابيه بالمدينه المنوره.و التي كانت للمالكيه و الحنابله،مثل المدرسه السيفيه بحلب.

و منها:ما كان يدرّس فيها ثلاثه مذاهب من المذاهب الأربعة،مثل المدرسه الفخريه بدمشق،التي شيّدت سنه ٨٢١،و كانت للحنفيه و المالكيه و الحنابله.

و منها:المدارس التي بنيت على المذاهب الأربعة،و من أشهرها المستنصريه التي بناها المستنصر العباسي ببغداد،و افتتحت في سنه ٦٣١.

و لَمّا كان العلّامه طاب ثراه في العراق،و قد عاصر أيام عظمه المستنصريه و ازدهارها،و شاهدتها و عرف أخبارها،فإننا نكتفي بالتكلّم حولها،فنقول:

ذكر الذهبي في حوادث سنه ٦٣١ من تاريخ الإسلام:«و فيها تكامل بناء المدرسه المستنصريه ببغداد،و نقل إليها الكتب،و هي مائه و ستون حملاً،و عدّه فقهاء مائتان و ثمانيه و أربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة،و أربعه مدرسين،و شيخ حديث،و شيخ نحو،و شيخ قرّاء،و شرط لكلّ مدرس أربعه معيدين،و يحضره اثنان و ستون فقيهاً».

قال:«ثم رأيت نسخه كتاب وقفها في خمسه كراريس،و الوقف عليها:عدّه ربيع، و حوانيت ببغداد،و عدّه قرى كبار و صغار ما قيمته تسعمائه ألف دينار فيما يخال إلي، و لا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً،سوى أوقاف جامع دمشق و قد يكون وقفها أوسع».

ثم ذكر الذهبي أوقاف المستنصريه من القرى و الضياع،ذاكراً أسماءها و مساحاتها،و نحن نذكر المساحات فقط: ٣٧٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٠٥ جريب.

٥٥٠٠ جريب. ٣٩٩٠ جريب. ٣٠٠٠ جريب. ٤١٨٠ جريب. ٨١٠٠ جريب.

٣١٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ١٠٠٠ جريب. ١٢٠٠ جريب.

٤٨٠٠ جريب. ٦٥٠٠ جريب. ٢٠٢٥٠ جريب. ٤٨٠٠ جريب. ٦٠٠٠ جريب.

٥٩٠٠ جريب. ٧٢٠٠ جريب. ٢٦٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٥٠٠ جريب.

قال الذهبي: «فالمرتزقه من أوقاف هذه المدرسه على ما بلغنى، نحو من خمسمائه نفر، المدرسون فمن دونهم، وبلغنى أن تبين الوقف يكفى الجماعه و يبقى مخل هذه القرى مع كرى الرباع فضله. فكذا فليكن البر و إلا فلا. و حدثنى الثقه: إن ارتفاع وقفها بلغ فى بعض السنين و جاء نيفاً و سبعين ألف مثقال ذهباً». و ذكر غير واحد من المؤرخين: «إن قيمه ما وقف عليها يساوى ألف ألف دينار، و أن وارداتها بلغت نيفاً و سبعين ألف مثقال من الذهب فى السنه» (١). و قال الخزرجى: «أنفق عليها من المال ما يعجز عنه الحصر، و وقف عليها وقفاً جليلاً» (٢).

هذا فيما يتعلّق بأوقاف المستنصرية.

ثم إنه قد عيّن رواتب للمدرّسين و للمعيدين و للطلبة فى مختلف العلوم، بعد أن جعل لكل طائفه منهم شروطاً، و نحن نكتفى بذكر ما يتعلّق بقسم الفقه فى المدرسه المستنصرية للاختصار:

لقد شرط المستنصر فى مدرسه الفقه الشروط الآتية (٣):

أن يكون لكل طائفه من الطوائف الأربع مدرس. و أن يكون لكل مدرس أربعة معيدين. و أن يكون لكل مدرس فى اليوم عشرون رطلاً من الخبز، و خمس أرطال من اللحم بخضرها و حوائجها و حطبها. و أن يكون لكل مدرس فيها اثنا عشر ديناراً فى الشهر.

هذا غير ما كان يصل المدرّسين من الخلع و العطايا و الصّلات.

و كان تعيين المدرس يتم بصدور توقيع من الخليفه، و بعد ذلك يخلع عليه خلعه

ص: ٣٦٦

١-١) تاريخ المستنصرية ١٦٧/٢.

٢-٢) تاريخ المستنصرية ٩٢/١.

٣-٣) تاريخ المستنصرية ١١٥/١-١١٦.

التدريس بدار الوزير، وقد يمطى بغله فيحضر إلى المدرسه بالخلعه، و يرافقه صاحب الديوان و معه الولاه و الحجاب و الصدور و الأكابر و صاحب البريد، و جميع أرباب المناصب، احتراماً له، ثم يجلس سده التدريس، فيلقى بحثه، و يحضر الأئمه و الفقهاء و الأعيان درسه الأول، و تكون عليه الطرحه- و هي لباس خاص يضعه المدرسون فوق العمامه- فإذا عزل عن التدريس توجه إلى داره بغير طرحه.

هذا بالنسبه إلى رواتب المدرسين و كيفية نصب المدرس. و جعل للمعدين و هم الذين يعيدون على الطلاب جميع ما يمليه عليهم المدرس، و قد تقدم أنه شرط أن يكون لكل مدرس أربعة معيدين- رواتب تخصصهم، و هي (١): أن يكون للمعيد في كل يوم أربعة أرطال خبزاً و غرفان طيخاً. و أن يكون لكل معيد ثلاثة دنانير في الشهر.

و أما الطلاب، فقد شرط المستنصر في طلاب مدرسته: أن يكون عدده الفقهاء (يعنى طلاب الفقه) مائتين و ثمانيه و أربعين رجلاً، و أن يكون من كل طائفه من المذاهب الأربعة اثنان و ستون رجلاً، و أن يكون لكل طالب في كل شهر ديناران، و أن يجرى لكل واحد منهم في كل يوم أربعة أرطال خبزاً و غرف طيخاً مما يطبخ في مطبخها، و أن يكون لكل طالب مقدار من اللحم و من الحلوى و الفاكهه و الصابون و الزيت و الفرش و التعهد.

و قد جعل لكل طالب في الفقه-بالإضافه إلى ما ذكر من الجرايات و الرواتب كلها- ديناراً إمامياً في كل شهر، و شرط أيضاً أن تضاعف المشاهرات في شهر رمضان (٢)، و ذكروا أن هذه الرواتب و المشاهرات كلها كانت بالإضافه إلى ما يهيأ لهم من: الحبر و الورق و الأقلام، و ما يحتاجون إليهم للكتابه و الاستنساخ من اللوازم (٣).

ص: ٣٦٧

١-١ (١) تاريخ المستنصره ٢٢٩/١.

٢-٢ (٢) تاريخ المستنصره ٢٦١/١-٢٦٢.

٣-٣ (٣) تاريخ المستنصره ٥٧/١.

و أنه رتب لجميع أرباب المشاهرات حمائماً يدخلون إليه متى احتاجوا وفيه من يقوم بخدمتهم (١).

و كان المريض من أرباب هذا الوقف يطبب مجاناً، و يعطى ما يوصف له من الأدوية و الأشربه و الأكحال السائله و السكر و الفراريج و غير ذلك (٢).

و قد رتب في المدرسه من الأمور الدالّه على تفقده لأحوال أهل العلم، و كثره فكرته فيما يقضى براحتهم و إزاحه عنهم مما هو معروف لمن شاهد و سمع به. هذا عدا ما كان من صلوات و صدقات إلى من يرد من العلماء و الزهاد و الأدباء و سائر الطبقات (٣).

أقول: هذه خلاصه ما كان في المدرسه المستنصريه الموقوفه على المذاهب الأربعة فقط، من الرواتب و المشاهرات و غيرها لطلاب مدرسه الفقه فيها.. و لم نتعرض لما كان يجرى لغيرهم فيها، من طلاب دار الحديث، و دار القرآن و غير ذلك.

و من الجدير بالذكر، و يشهد بما ذكره العلامة رحمه الله، أن هذه الرواتب و المشاهرات لما انقطعت و قيل للفقهاء و غيرهم: من يرضى بالخبز وحده و إلا فما عندنا غيره، ثاروا على من بيده و قوف المدرسه، و نالوا منه، و أسمعوه قبيح الكلام، فحماه منهم بعضهم، و خلّصه من أيديهم، فاتّصل ذلك بالحكام و عزلوا صدر الوقوف!! (٤).

و أيضاً، فقد ذكروا بترجمه الحافظ ابن النجار: أنه لما ورد بغداد كانت عنده أموال، فلم يسكن داراً و قفيّه عرض عليه سكنها، فلما فتحت المستنصريه عيّن عليه

ص: ٣٤٨

١-١) تاريخ المستنصريه ٧٣/١.

٢-٢) تاريخ المستنصريه ٥٨/١.

٣-٣) تاريخ المستنصريه ١٠٦/١.

٤-٤) تاريخ المستنصريه ٩٧/١، ١٢٧.

مشتغلاً في علم الحديث، فأجاب إلى ذلك (١).

قال قدس سره: و كان أكبر مدرسي الشافعيه في زماننا، حيث توفي أوصى بأن يتولى أمره في غسله و تجهيزه بعض المؤمنين، و أن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام، و أشهد عليه أنه على دين الإماميه!

الشرح:

بعض علمائهم على دين الإماميه في الباطن

قال ابن تيميه: «الحكاية التي ذكرها عن بعض الأئمة المدرسين ذكر لي بعض البغداديين أنها كذب مفتري...» (٢).

أقول: وجدنا في تراجم المدرسين الشافعيه في المدرسه المستنصريه رجلين دفنا في حضره الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

أحدهما: عماد الدين محمد المرندى الشافعي سابقاً، المتوفى سنة ٦٨٠ أو ٦٨٥، وردت ترجمته في كتاب الحوادث الجامعه: عماد الدين أبو ذى الفقار محمد بن الأشرف ذى الفقار أبو جعفر محمد بن أبي الصمصام ذى الفقار الحسنى المرندى الشافعي، مدرس المستنصريه. ولد بمرند سنة ٥٩٦، و توفي في شعبان في سنة ٦٨٠، و دفن في حضره الإمام موسى بن جعفر، و له من العمر ٨٤ سنة. و جاء في تاريخ الإسلام للذهبي و منتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥.

قال ابن الفوطى: كان شيخاً فاضلاً زاهداً، قدم بغداد في شعبان سنة ٦٣٠ و أنزل في رباط الخلاطيه. و لما فتحت المدرسه المستنصريه في رجب سنة ٣١ رتب فقيهاً بها، ثم عين عليه شرف الدين إقبال الشرابى مدرساً لمدرسته التي أنشأها بواسط سنة ٤٨،

ص: ٣٦٩

١- (١) تاريخ المستنصريه ٣٣٧/١.

٢- (٢) منهاج السنه ١٣٤/٤.

فانحدر إليها و درّس بها. و لما فتحت المدرسه المستنصريه بعد الواقعه سنه ٥٧ عيّن مدرّساً بها، و كان قد اشتغل على جدّه أبى الصمصام، و سمع صحيح البخارى على محمد ابن القطيعى شيخ دار المستنصريه. قال ابن الفوطى: و كتب لى بالإجازه، و اجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغه. و قد ورد ذكر عماد الدين فى المقامات الزينيه لابن الصيقل الجزرى، حيث وصف بأنه رئيس الأصحاب أى أصحاب الشافعى، و ركن الشريعه، و علم الهدى (١).

و الآخر: ابنه ذو الفقار القرشى المتوفى سنه ٦٨٥. ترجمته فى بغيه الوعاة للسيوطى، و هو ابن عماد الدين المتقدم ذكره، الذى كان مدرّساً للشافعيه بالمستنصريه أيضاً، و ولد بنحوى من آذربيجان فى صفر سنه ٦٢٣، و توفى فى يوم الجمعة ٢٧ شعبان سنه ٦٨٥، و دفن عند والده بالمشهد الكاظمى، و شيّعه قاضى القضاة و الجماعه إلى مدفنه. قال الذهبى: نحوى، سمع ببغداد من الكاشغرى و ابن الخازن، و درس بالمستنصريه. و قال ابن رافع: سمع من أبى بكر محمد بن سعيد ابن الخازن مسند الشافعى و معجم الإسماعيلى، و من إبراهيم بن عثمان الكاشغرى شيخ دار السنه بالمستنصريه، كتبت عنه. و كان كريم الصحبه جميل الأخلاق... و قد أجاز لأبى محمد عبد العزيز البغدادى و للحافظ علم الدين البرزالى. و قد سمع من المقامات الزينيه المجلس الأول فقط من منشئها ابن الصيقل الجزرى سنه ٦٧٦ برواق المدرسه المستنصريه (٢).

هذا، و لقد كان ابن تيميه أسوه لمقلّديه حتى فى إنكار وجود الأشخاص فى هذا العالم! و قد اتبعه مقلّدوه فى عصرنا فأنكر بعض الكتاب المعاصرين وجود الشيخ محمد مرعى الأنطاكى الحلبى، الذى اختار مذهب الشيعة الإماميه و كتب فى ذلك كتاباً

ص: ٣٧٠

١- (١) تاريخ المستنصريه ٢١٥/١-٢١٦.

٢- (٢) تاريخ المستنصريه ٢١٦/١-٢١٧.

أسماءه (لما ذا اخترت مذهب الشيعة). فكما أنكر ابن تيميه وجود الشيخ المرندى الشافعى ثم الشيعى مستنداً إلى من زعم أنه من البغداديين، كذلك هذا المعاصر أنكر وجود الشيخ الأنطاكى الحلبي مستنداً إلى شيخ فى حلب فقال: «أما الكتب التى وصفوها و أساسها الكذب، فمن أمثلتها كتاب (المراجعات) و سيأتى كشف ما فيه، و كتاب (لما ذا اخترت مذهب الشيعة) و هو يتضمن قصة مخترعه أو مؤامره مصنوعة تتضمن أن عالماً من كبار علماء السنّه يدعى (محمد مرعى الأمين الأنطاكى) قد ترك مذهب السنه و أخذ بمذهب الشيعة، بعد أن تبين له بطلان الأول، و هذا الأنطاكى يزعم أنه نزيل حلب، رغم أنه لا يعرفه من كبار علمائها أحد، و الكتاب ملئ بالبدسّ و الكذب و الافتراء و التجنى، مما لا يصدر إلا عن جاهل متعصب أو عن زنديق متستر بالتشيع».

ثم قال فى هامشه: «سألت عنه بعض كبار علماء حلب، كالشيخ عبد الفتاح أبو غده فأفاد أنه مجهول، مع زعم هذا الباطنى بأنه يشغل قاضى القضاء على مذهب السنه فى حلب» (1).

إلا أن الشيخ محمد مرعى الأنطاكى جاء إلى العراق بصحبه أخيه الشيخ أحمد أمين الأنطاكى، و نزلا فى مدينه كربلاء المقدسه ضيفين على والدنا العلّامة و كنّا نقوم بخدمتهما، و فى دارنا ألفت كتابه المذكور، و سمعنا منهما كيف اختارا مذهب الشيعة، و فى حوزتنا الآن صورته لهذا الشيخ، كما أن بعض زملائنا أخذ منه إجازة فى الحديث و هى موجوده الآن بخطّه عنده.

ص: ٣٧١

١- ١) مسأله التقريب بين أهل السنّه و الشيعة. تأليف: ناصر بن عبد الله بن على القفارى ١٣١/٢-١٣٢.

المجلد ٢

اشاره

ص: ١

تمه الفصل الثاني

تمه الادله على وجوب اتباع مذهب الاماميه

الوجه الخامس: من الوجوه الدالّه على أن مذهب الإماميه واجب الاتّباع

اشاره

ص: ٥

إن الإماميه لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق.

قال قدس سره: إن الإماميه لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق.

فقد ذكر الغزالي و الماوردي -و كانا إمامين للشافعية- أن تسطيح القبور هي المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه...!

الشرح:

الغزالي هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ. له مؤلفات كثيرة في العلوم، أشهرها إحياء علوم الدين، له ترجمه في كافة المصادر، وقد أفردت بالتأليف أيضاً.

و الماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد البصري الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، له الحاوي الكبير في فروع فقه الشافعي. له ترجمه في كافة المصادر كذلك، مثل: تاريخ بغداد ١٠٢/١٢، سير أعلام النبلاء ٦٤/١٨، طبقات السبكي ٢٦٧/٥ و غيرها.

منعهم سنن الشريعة لأنها شعار للشيعة

تسطيح القبور

و ما ذكره العلامة نصّ عليه الغزالي في كتابه (الوجيز) في الفقه، و أوضحه شارحه، و هذه عبارته: «التسنيم أفضل من التسطيح، مخالفه لشعار الروافض».

ص: ٧

«الأفضل فى شكل القبر التسطيح أو التسنيم؟ ظاهر المذهب: أن التسطيح أفضل، وقال مالك و أبو حنيفة رحمهم الله: التسنيم أفضل.

لنا: أن النبى صلى الله عليه و آله سَطَّح قبر ابنه إبراهيم. و عن القاسم بن محمد قال:

رأيت قبر النبى و أبى بكر و عمر مسطحه.

و قال ابن أبى هريره: إن الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنيم؛ لأن التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم و صيانته الميت و أهله عن الاتهام بالبدعه. و مثله ما حكى عنه أن الجهر بالتسميه إذا صار فى موضع شعاراً لهم فالمستحب الإسرار بها مخالفه لهم، و احتج له بما روى أن النبى صلى الله عليه و آله كان يقوم إذا بدت جنازه، فأخبر أن اليهود تفعل ذلك، فترك القيام بعد ذلك مخالفه لهم.

و هذا الوجه هو الذى أجاب به فى الكتاب و مال إليه الشيخ أبو محمد رحمه الله، و تابعه القاضى الرويانى.

لكن الجمهور على أن المذهب الأول، قالوا: و لو تركنا ما ثبت فى السنّه لإطباق بعض المبتدعه عليه لجرتنا ذلك إلى ترك سنن كثيره، و إذا اطرده جرينا على الشىء، خرج عن أن يعدّ شعاراً للمبتدعه» (١).

و قال ابن قدامه: «و تسنيم القبر أفضل من تسطيحه، و به قال مالك و أبو حنيفة و الثورى، و قال الشافعى: تسطيحه أفضل، قال: و بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه و آله سَطَّح قبر ابنه إبراهيم. و عن القاسم قال: رأيت قبر النبى و أبى بكر و عمر مسطحه. و لنا:

ما روى سفيان الثمّار أنه قال: رأيت قبر النبى مسنّماً. رواه البخارى بإسناده. و عن الحسن مثله، لأن التسطيح يشبه أبنيه أهل الدنيا، و هو أشبه بشعار أهل البدع، فكان

مكروهاً. و حديثنا أثبت من حديثهم و أصح، فكان العمل به أولى» (١).

و ذكر النووى القولين و أدلتهما فقال: «تسطيح القبر و تسنيمه و أيهما أفضل؟ فيه وجهان.

و الصحيح: التسطيح أفضل، و هو نصّ الشافعى فى الأم و مختصر المزنى، و به قطع جمهور أصحابنا المتقدمين، و جماعات من المتأخرين منهم الماوردى و الفورانى و البغوى و خلائق، و صحّحه جمهور الباين، كما صحّحه المصنّف، و صرّحوا بتضعيف التسنيم كما صرّح به المصنّف.

و الثانى: التسنيم أفضل، حكاه المصنّف عن أبى على الطبرى. و المشهور فى كتب أصحابنا العراقيين و الخراسانيين أنه قول على بن أبى هريره، و ممن حكاه عنه القاضى أبو الطيب و ابن الصباغ و الشاشى و خلائق من الأصحاب. و ممن رجّح التسنيم من الخراسانيين الشيخ أبو محمد الجوينى و الغزالى و الرّويانى و السرخسى، و ادّعى القاضى حسين اتفاق الأصحاب، و ليس كما قال، بل أكثر الأصحاب على تفضيل التسطيح، و هو نصّ الشافعى كما سبق، و هو مذهب مالك و داود.

و قال أبو حنيفه و الثورى و أحمد - رحمهم الله - التسنيم أفضل لكون التسطيح شعار الرافضه.

فلا يضرّ موافقه الرافضى لنا فى ذلك، و لو كانت موافقتهم لنا سبباً لترك ما وافقوا فيه لتركنا واجبات و سنناً كثيره.

فإن قيل: صحّحتم التسطيح، و قد ثبت فى صحيح البخارى رحمه الله عن سفيان التمار قال: رأيت قبر النبى مسنّماً.

فالجواب: ما أجاب به البيهقى - رحمه الله، قال: صحّت روايه القاسم بن محمد

ص: ٩

السِّيَاقه المذكوره فى الكتاب، و صحت هذه الروايه، فنقول: القبر عُيِّرَ عَمَّا كان، فكان أول الأمر مسطّحاً كما قال القاسم، ثم لما سقط الجدار فى زمن الوليد بن عبد الملك و قيل فى زمن عمر بن عبد العزيز، أصلح فجعل مسنماً.

قال البيهقى: و حديث القاسم أصح و أولى أن يكون محفوظاً، و الله أعلم» (١).

أقول:

فقد ظهر أن الأصل فى هذه البدعه هم بنو أميه، و هم الذين بدلوا دين الله، و عادوا أولياء الله، و خالفوهم حتى فى مثل هذه المسائل، و تبعهم من تبع من الفقهاء، و الله العاصم.

جواز الصلاه على آحاد المسلمين

قال قدس سره: و ذكر الزمخشرى و كان من أئمه الحنفيه فى تفسير قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...»

الشرح:

الزمخشرى و هو: محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى، صاحب (الكشاف) فى التفسير، و غيره من التوايف الكثيره الشهيره، و كان حنفى المذهب فى الفروع، و معتزلياً فى الأصول، توفى سنه ٥٣٨. توجد ترجمته فى: المنتظم: ١١٢/١٠، معجم الأدباء: ١٢٦/١٩، تذكره الحفاظ: ١٢٨٣/٤، طبقات الداوودى: ٣١٤/٢، سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢٠، و غيرها.

و قال ابن حجر: «تنبيه: اختلف فى السّلام على غير الأنبياء بعد الإتيان على مشروعيتّه فى تحيّته الحى، فقيل: يشرع مطلقاً، و قيل: بل تبعاً و لا يفرد لواحد، لكونه

ص: ١٠

صار شعاراً للرافضة، و نقله النووى عن الشيخ أبى محمد الجوينى «(١)».

التختم فى اليمين

قال قدس سره: و قال مصنف الهدايه من الحنفية: المشروع التختم فى اليمين، لكن لما اتّخذته الرافضة عادةً جعلنا التختم فى اليسار!

الشرح:

مصنف الهدايه هو: على بن أبى بكر عبد الجليل الفرغانى المرغينانى الحنفى، فقيه، محدّث، مفسّر، و له الهدايه فى الفقه الحنفى، و غيره من المصنفات، توفى سنة ٥٩٣.

قال قدس سره: و أمثال ذلك كثير!

كيفيه العمامه

الشرح:

كالسنة فى العمامه، فإنهم بعد أن رووا السنة النبويه فيها قال بعضهم: «و صار اليوم شعاراً لفقهاء الإماميه، فينبغى تجنبه لترك التشبه بهم» (٢). و هم فى جميع هذه البدع تبع لإمام أهل البغى معاويه، فقد ذكر الزمخشري أن أول من اتّخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاويه (٣).

ثم إن الغرض من مخالفه السنة النبويه فى جميع هذه المواضع هو بغض أمير المؤمنين المحافظ عليها و المروّج لها، و قد جاء التصريح بهذا فى بعض تلك

ص: ١١

١- ١ فتح البارى فى شرح البخارى ١١/١٤٦.

٢- ٢ شرح المواهب اللدنيه ٥/١٣.

٣- ٣ ربيع الأبرار ٤/٢٤.

المواضع، كقضيته ترك التلبيه.

فقد أخرج النسائي و البيهقي عن سعيد بن جبير قال: «كان ابن عباس بعرفه، فقال:

يا سعيد، ما لي لا أسمع الناس يلبون؟ فقلت: يخافون. فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاويه. اللهم عنهم فقد تركوا السنه من بغض علي» (١).

قال السندی فی تعليق النسائي: «أى لأجل بغضه. أى و هو كان يتقيد بالسنن، فهؤلاء تركوها بغضاً له» (٢).

فالقوم إنما يخالفون ما عليه الإماميه بغضاً للنبي و أمير المؤمنين عليه السلام، فأى القوم أحق بأن يسمى ب(أهل السنه) إن كان المراد هو السنه النبويه لا الأمويه؟!

قال قدس سره: فانظر إلى من يغير الشريعة و يبدل الأحكام التي ورد بها حديث النبي صلى الله عليه و آله و يذهب إلى ضد الصواب معاندةً لقوم معينين، هل يجوز أتباعه و المصير إلى أقواله؟

الشرح:

يعترف ابن تيميه بكل هذه المخالفات و التغييرات للشريعة المطهرة و أحكامها المحكمه، بل يوجهها بقوله: «ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فإنه و إن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهه لهم، فلا يتميز السنى من الرافضى، و مصلحه التميز عنهم لأجل هجرانهم و مخالفتهم أعظم من مصلحه هذا المستحب» (٣).

قلت: قد عرفت من (السنى) أى التابع لسنه النبي صلى الله عليه و آله، و من

ص: ١٢

١-١) سنن النسائي ٢٥٣/٥، سنن البيهقي ١١٣/٥.

٢-٢) حاشيه السندی على النسائي ٢٥٣/٥.

٣-٣) منهاج السنه ١٥٤/٤.

(الرافضي) أي الرفض لها.. فعرفت من يجب هجره و مخالفته!

إلا- أن الرجل يرمى الإماميه بالتعصب، و أنه لا يعلم طائفه أعظم تعصباً في الباطل منهم، ثم يذكر أمثله من تعصباتهم كقوله: «إن فيهم من حرم لحم الجمل لأن عائشه قاتلت على جمل» و «أنهم لا يذكرون اسم العشره، بل يقولون تسعه و واحد؛ لكونه قد سمي به عشره من الناس يبغضونهم» و «أنهم إذا وجدوا مسمى بعلي أو جعفر أو الحسن أو الحسين بادروا إلى إكرامه، مع أنه قد يكون فاسقاً» و «أنهم يبغضون أهل الشام؛ لكونهم كان فيهم أولاً من يبغض علياً» و أشياء من هذا القبيل!!

فانظر إلى هذا الرجل الذي يلقبه بعض متعصبيهم ب(شيخ الإسلام) كيف يعارض الأشياء التي ذكرها العلامة عن كبار أئمه القوم ممن (يغير الشريعة و يبدل الأحكام) مع ذكر أسماء القائلين.. بأشياء مضحكه يجلل علماء الإماميه من التفوه بها فضلاً عن ذكرها في الكتب و الفتيا بها!!

قال قدس سره: مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعه و أن النبي صلى الله عليه و آله قال: كل بدعه ضلاله و كل ضلاله فإن مصيرها إلى النار. و قال صلى الله عليه و آله: من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ و لو رُدُّوا عنها كرهته نفوسهم و نفرت قلوبهم.

الشرح:

لا ريب في حرمه الابتداع في الدين، و الأحاديث بهذا المعنى كثيره، راجع:

المعجم المفهرس للأحاديث النبويه (بدع).

و الحديث المذكور رواه أصحاب السنن و غيرهم و نصّوا على صحته. أنظر فيض القدير (1).

ص: ١٣

ذكر الخلفاء في الخطبه!

قال قدس سره: كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صَلَّى الله عليه و آله....

الشرح:

اعترض عليه ابن تيميه قائلاً: «الجواب من وجوه:

أحدها: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان عهد عمر بن عبد العزيز، بل قد روى أنه كان على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. و حديث ضبّه بن محصن من أشهر الأحاديث، فروى الطلمنكى من حديث ميمون بن مهران قال: كان أبو موسى الأشعري إذا خطب بالبصره يوم الجمعة -و كان والياً- صَلَّى على النبي صَلَّى الله عليه و آله، ثم ثنى بعمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعو له. فقام ضبّه بن محصن العنزي فقال: أين أنت من ذكر صاحبه قبله تفضّله عليه -يعنى أبا بكر-...؟ ثم قعد. فلما فعل ذلك مراراً أمحكه أبو موسى، فكتب أبو موسى إلى عمر رضى الله عنه أن ضبّه يطعن علينا و يفعل.

فكتب عمر إلى ضبّه يأمره أن يخرج إليه، فبعث به أبو موسى، فلما قدم ضبّه المدينه على عمر رضى الله عنه قال له الحاجب: ضبّه العنزي بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه قال: لا -مرحباً بضبّه و لا أهلاً. قال ضبّه: أما المرحب فمن الله، و أما الأهل فلا أهل و لا مال، فبم استحللت إشخاصى من مصرى بلا -ذنب أذنبت، و لا -شئ أتيت؟ قال: ما الذى شجر بينك و بين عاملك؟ قلت: الآن أخبرك... قال: فاندفع عمر باكياً و هو يقول:

أنت و الله أوفق منه و أرشد، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك؟ قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. ثم اندفع باكياً يقول: و الله ليليه من أبى بكر و يوم خير من عمر و آل عمر...».

قال: «الوجه الثانی: إنه قد قيل إن عمر بن عبد العزيز ذكر الخلفاء الأربعة لَمَّا كان بعض بنى أمیه يسبّون علياً، فعوّض عن ذلك بذكر الخلفاء و الترضى عنهم ليمحو تلك السنه الفاسده».

الوجه الثالث: «أن ما ذكره من إحداث المنصور و قصده بذلك باطل، فإن أبا بكر و عمر رضی الله عنهما توليا الخلافة قبل المنصور و قبل بنى أمیه، فلم يكن فى ذكر المنصور لهما إرغام لأنفہ و لأنوف بنى على، إلا لو كان بعض بنى تيم أو بعض بنى عدى منازعيهم فى الخلافة، و لم يكن أحد من هؤلاء ينازعهم فيها.

الوجه الرابع: «أن أهل السنّه لا يقولون إن ذكر الخلفاء فى الخطبه فرض..».

قال: «الوجه الخامس: إنه ليس كلّ خطباء السنّه يذكرون الخلفاء فى الخطبه، بل كثير من خطباء السنّه بالمغرب و غيرها يذكرون أبا بكر و عمر و عثمان و يربّعون بذكر معاويه و لا يذكرون علياً. قالوا: هؤلاء اتفق المسلمون على إمامتهم دون على. فإن كان ذكر الخلفاء بأسمائهم حسناً فبعض أهل السنّه يفعلہ، و إن لم يكن حسناً فبعض أهل السنّه يتركه. فالحق على التقديرين لا يخرج عن أهل السنّه».

الوجه السادس: «أن يقال: إن الذين اختاروا ذكر الخلفاء الراشدين على المنبر يوم الجمعة إنما فعلوه تعويضاً عن سبّ من يسبّهم و يقسح فيهم... فإنه قد صحّ عن النبی صلی الله عليه و آله أنه قال: عليكم بسنتى و سنّه الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسّكوا بها، و عضّوا عليها بالنواجذ، و إياكم و محدثات الأمور؛ فإن كلّ بدعه ضلاله. و الأحاديث فى ذكر خلافتهم كثيره. فلَمَّا كان فى بنى أمیه من يسبّ علياً -رضى الله عنه- و يقول: ليس هو من الخلفاء الراشدين. و تولّى عمر بن عبد العزيز بعد أولئك فقيل: إنه أوّل من ذكر الخلفاء الراشدين الأربعة على المنبر...». انتهى كلامه (1).

ص: ١٥

أقول:

أما قوله: «إن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز» فيبطله وجوه:

الأول: إن أحداً لم يذكر هذا الذى ادّعه الرجل بصيغه الجزم هنا و نسبه إلى (قيل) فى الوجهين الثانى و السادس، و لو كان لبان مع كثره الدواعى على نقله.

و الثانى: إن الكلام فى ذكر الخلفاء فى الخطبه، بأن يكون من فروضها أو سننها لا (على المنبر) مطلقاً.

و الثالث: إن المعروف عن عمر بن عبد العزيز، كما فى الكامل لابن الأثير و تاريخ الخلفاء للسيوطى، أنه أمر بجعل قوله تعالى: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» أو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» ضمن الخطبه بدلاً عما أمر به معاويه من التعرض لأمير المؤمنين عليه السلام فيها بالسب و اللعن (١)، الذى فعله عامه بنى أميه و عمّالهم و من والاهم، لا كما يقول الرجل: «كان فى بنى أميه من يسبّ علينا...».

و إن شئت فراجع: الإصابه و أسد الغابه، لترى الخبر عن شهر بن حوشب أنه قال:

«أقام فلان خطباء يشتمون علينا رضى الله عنه و أرضاه و يقعون فيه..» (٢).

و فى العقد الفريد: «كتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر» (٣).

و أخرج مسلم و غيره أنه أمر سعد بن أبى وقاص بسبّه فامتنع (٤).

و قد ذكر المؤرخون كأبى الفداء و الطبرى و ابن كثير و ابن الأثير و غيرهم، أن

ص: ١٦

١-١) تاريخ الخلفاء: ٢٤٣.

١-٢) الإصابه ٢٧٨/١، أسد الغابه ١/١٣٤.

٢-٣) العقد الفريد ٣٠١/٢.

٣-٤) صحيح مسلم ١٢٠/٧-١٢١.

الحسن بن علي عليه السلام اشترط في الصلح مع معاويه فيما اشترط: «أن لا يشتم علياً» (١) لكن معاويه لم يف بشيء من ذلك.

و في معجم البلدان: «لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق و الغرب، و لم يلعن علي منبر سجستان إلا مره، و امتنعوا إلى بني أميه حتى زادوا في عهدهم: و أن لا يلعن علي منبرهم أحد... و أئ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله علي منبرهم، و هو يلعن علي منابر الحرمين مكه و المدينه..» (٢).

فهذا ما فعله عمر بن عبد العزيز بدلاً عما فعله معاويه و بنو أميه.. تجاه أمير المؤمنين عليه السلام و سبّه و لعنه. أما من سب عثمان و معاويه فكان يجلدده كما ذكر ابن تيميه نفسه (٣).

و أما قوله: «بل قد روى أنه كان علي عهد عمر بن الخطاب» فيبطله وجوه:

الأول: إن هذا الحديث الذي وصفه بكونه «من أشهر الأحاديث» غير مخرج في شيء من الصحاح و لا السنن و لا المسانيد، و لا في شيء من الكتب المعثره عندهم المشهوره بين الناس، فالعجب منه كيف يردّ الحديث المعثر إذا كان يضرّه بحجه أنه ليس في الصحيحين، و سيأتي قريباً نصّ كلامه في أحد الموارد، و يعتمد هنا على هذا الحديث و يورده بطوله، و حاله كما عرفت؟

و الثاني: إن ما اشتمل عليه من الفضائل الموضوعه لأبي بكر يؤكّد أنه حديث مكذوب.

و الثالث: إنه على فرض صحّته يشتمل على مطاعن لعمر و أبي موسى الأشعري.

و الرابع: إنه بغض النظر عن كلّ ما ذكره، لا يدلّ على أن ذكر الخلفاء كان على عهد

ص: ١٧

١-١) لاحظ فيها حوادث سنه: ٤١.

٢-٢) معجم البلدان ١٩١/٣ «سجستان».

٣-٣) الصارم المسلول: ٢٧٢.

عمر من فروض أو سنن الخطبه في مساجد المسلمين و منايرهم، بل هو شيء كان يفعله أبو موسى وحده، و لم يكن معهوداً بين المسلمين.

و أما ما ذكره في الوجه الرابع، فيردّه: أن البدعه بذكره في الخطبه حاصله و إن لم تكن على سبيل الفرض.

و أما ما ذكره في الوجه الخامس عن كثير من خطبائهم بالمغرب.. فإنه - إن صحّ - ليس إلا تعصباً في بدعه، و بدعه عن تعصب، و هل يجوز الرجل حسناً فيما كان يفعله أولئك الخطباء حتى يكون الحق على التقديرين غير خارج عن أهل السنّه؟!!

و أما ما ذكره في الوجه السادس، فتكرار، و استدلاله بالحديث المذكور باطل:

أمّا أولاً: فلأن هذا الحديث يكذّبه واقع الحال بين الصيحابه أنفسهم، فلقد وجدناهم كثيراً ما يخالفون سنّه أبي بكر و عمر، و المفروض أنهما من الخلفاء الراشدين، بل لقد خالف الثاني منهما الأول في أكثر من مورد، و خالفهما ثالث القوم في موارد كثيره حتى نقم عليه ذلك، و أمير المؤمنين عليه الصيلاه و السّلام أبي في الشورى الإلتزام إلّا بسيره النبي صلّى الله عليه و آله، و سعى لرفع ما سنّه المتقدّمون عليه بين المسلمين كما هو معروف..

و على هذا، فلو كان هذا الحديث صادراً عن رسول الله حقاً، لما وقعت تلك الخلافات و المخالفات، و بهذا أشكال غير واحد من العلماء على هذا الحديث، و اضطروا إلى تأويله، و قد نصّ بعضهم على ضروره ذلك (١).

و أمّا ثانياً: فلأنه ينتهي بجميع طرقه و أسانيده إلى (العرباض بن ساريه) فهو الراوى الوحيد له، مع أنه - كما جاء في لفظ الحديث - وصيّ من النبي صلّى الله عليه و آله، خاطب بها الأصحاب في المسجد و بعد الصلاه، و كانت موعظه بليغه منه، ذرفت

ص: ١٨

منها العيون، ووجلت منها القلوب.. كما جاء في الحديث، فلما ذا لم يروه إلا (العرباض)؟!!

و أمّا ثالثاً: فلأن هذه الوصيّه لم يتناقلها إلا- أهل الشام و هم هم في الانحراف عن أهل البيت، و أكثر رواته أهل حمص منهم بالخصوص، و قد اشتهروا بالبغض و النصب لأمير المؤمنين عليه السلام في تلك العصور (١).

و أمّا رابعاً: فلأنه مما أعرض عنه البخارى و مسلم، و كذا النسائى من أصحاب السنن، و كثيراً ما يردّ ابن تيميه الحديث بحجه أنه ليس في الصحيحين، و من ذلك قوله في حديث افتراق الأئمّه على ثلاث و سبعين فرقه:

«هذا الحديث ليس في الصحيحين، بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم و غيره، و لكن قد أورده أهل السنن كأبى داود و الترمذى و ابن ماجه، و رواه أهل المسانيد كالإمام أحمد» (٢).

قلت: و من عجيب الإتفاق أن حديث: «عليكم بسنتى..» كذلك تماماً، فإنه (ليس في الصحيحين)، (بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث) كالحافظ القطن المتوفى سنة ٦٢٨ و نصّ على عدم صحّته (٣). (لكن قد أورده أهل السنن كأبى داود و الترمذى و ابن ماجه) أى: إلا النسائى (و رواه أهل المسانيد كالإمام أحمد).

و أمّا خامساً: فلأنه متكلم في رجال أسانيدهم كلّهم حتى (العرباض) الصحابى، و نحن نكتفى بالإشاره إلى أحوال رواته في الطبقة الأولى، إذ الرواه لهذا الحديث عن (العرباض) هم:

١- عبد الرحمن بن عمرو السلمى.

٢- حجر بن حجر.

ص: ١٩

١- ١) معجم البلدان- حمص.

٢- ٢) منهاج السنه ٤٥٦/٣.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦.

٣- يحيى بن أبي المطاع.

٤- معبد بن عبد الله بن هشام.

أما الرابع، فلم أجده إلا عند الحاكم حيث قال: «و منهم: معبد بن عبد الله بن هشام القرشي» ثم قال: «و ليس الطريق إليه من شرط هذا الكتاب فتركته» (١).

و أما الثالث، فلم يرو عنه إلا ابن ماجه (٢)، و قد قال ابن القطان: «لا أعرف حاله» (٣) و قد استبعد الأئمة لقيه العرباض.

قال الذهبي: «قد استبعد دحيم لقيه العرباض، فلعله أرسل عنه، فهذا في الشاميين كثير الوقوع، يروون عنّ لم يلقوهم» (٤).

و كذا قال ابن حجر (٥).

و سبقهما ابن عساكر (٦).

و أمّا الثاني، فهو من أهل حمص، لم يرو عنه إلا أبو داود، و ليس إلّا هذا الحديث، لكن مقروناً بآخر - و هو عبد الرحمن بن عمرو، الذي سنذكره - و قال القطان:

«لا يُعرف» (٧).

و أمّا الأوّل، فهو المعروف بروايته عن (العرباض)، و ليس له روايه في السنن إلّا هذا الحديث، قال ابن حجر: «و زعم القطان الفاسي إنه لا يصح لجهاله حاله» (٨).

ص: ٢٠

١- ١) المستدرک علی الصحیحین ٩٧/١.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٢٤٥/١١.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٢٤٥/١١.

٤- ٤) ميزان الاعتدال ٤١٠/٤.

٥- ٥) تقريب التهذيب ٣١٥/٢.

٦- ٦) تاريخ دمشق ١٨٦/١٨.

٧- ٧) تهذيب التهذيب ١٨٨/٢.

٨- ٨) تهذيب التهذيب ٢١٦/٦.

و أمّياً سادساً: فلأنه إن صحَّ، فالمراد من (الخلفاء الراشدين المهديين) فيه هم الإثنا عشر الذين عناهم بقوله في الحديث المتفق عليه: «الخلفاء بعدى اثنا عشر».

هذا، و لنا رساله مفرده فى تحقيق حال هذا الحديث، فمن شاء التفصيل فليرجع إليها.

و أما ما ذكره فى الوجه الثالث، فسوء فهم لكلام العلامة رحمه الله، فإن المنصور العباسى لمّا قام ضدّه العلويون من بنى الحسن السبط عليه السلام و ألقوه و اضطرب عليه الأمر، قصد تضعيف جانب العلويين و التقليل من قدرهم و الحطّ من شأنهم، برفع بنى تيم و عدى مطابقاً لاعتقاده، بل إن ذلك يقلل من شأن بنى العباس أيضاً فقال:

«لأرغمّن أنفى و أنوفهم».

فهذا معنى الكلام و السبب فى إحداث هذه البدعه التى استمرّ عليها الذين يسمّون أنفسهم بأهل السنّه.

غسل الرجلين فى الوضوء

قال قدس سره: و كمسح الرجلين الذى نص عليه الله تعالى فى كتابه العزيز فقال: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» ، قال ابن عباس: عضوان مغسولان، و عضوان ممسوحان. فعَيّروه و أوجبوا الغسل!

الشرح:

أجاب عنه ابن تيميه بقوله: «الذين نقلوا الوضوء عن النبى صلّى الله عليه و آله قولاً و فعلاً، و الذين تعلّموا الوضوء منه، و توضئوا على عهدّه، و هو يراهم و يقرّهم عليه و نقلوه إلى من بعدهم، أكثر من الذين نقلوا لفظ هذه الآيه... حتى نقلوا عنه من غير وجه فى الصحاح و غيرها أنه قال: ويل للأعقاب و بطون الأقدام من النار.

ص: ٢١

مع أن الغرض إذا كان مسح ظهر القدم كان غسل الجميع كلفه لا تدعو إليها الطبائع. فإن جاز أن يقال إنهم كذبوا و أخطئوا فيما نقلوه عنه من ذلك، كان الكذب و الخطأ فيما نقلوه من لفظ الآية أقرب إلى الجواز. و إن قيل: بل لفظ الآية ثبت بالتواتر الذى لا يمكن الخطأ فيه، فثبت التواتر فى لفظ الوضوء عنه أولى و أكمل.

و لفظ الآية لا- يخالف ما تواتر من السنّه، فإن المسح جنس تحته نوعان: الإسهال و غير الإسهال، كما تقول العرب: تمسّحت للصّلاه. فما كان بالإسهال فهو الغسل. و إذا خصّ أحد النوعين باسم الغسل فقد يخصّ النوع الآخر باسم المسح. فالمسح يقال على المسح العام الذى يندرج فيه الغسل، و يقال على الخاص الذى لا يندرج فيه الغسل....

و فى القرآن ما يدلّ على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذى هو قسيم الغسل، بل المسح الذى الغسل قسم منه. فإنه قال: «إلى الكعبيّن» و لم يقل إلى الكعاب، كما قال: «إلى المرافق». فدلّ على أنه ليس فى الرجل كعب واحد كما فى كلّ يد مرفق واحد، بل فى كلّ رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، و هذا هو الغسل، فإن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين.

و فى ذكره الغسل فى العضوين الأوّلين و المسح فى الآخرين التنبيه على أن هذين العضوين يجب فيهما المسح العام. فتارة يجزى المسح الخاصّ كما فى مسح الرأس و العمامه و المسح على الخفين، و تارة: لا بدّ من المسح الكامل الذى هو الغسل كما فى الرجلين المكشوفتين.

و قد تواترت السنّه عن النبى صلّى الله عليه و آله بالمسح على الخفين و غسل الرجلين، و الراضه تخالف هذه السنّه المتواتره....

و فى ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلّه الصبّ فى الرجل، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً....

و هذه الآيه فيها قراءتان الخفض و النصب، فالذين قرءوا بالنصب قال غير واحد منهم: أعاد الأمر إلى الغسل. أى: و امسحوا برؤوسكم، و اغسلوا أرجلكم إلى الكعبيين كالآيتين. و من قال أنه عطف على محلّ الجارّ و المجرور يكون المعنى: و امسحوا برؤوسكم و امسحوا أرجلكم إلى الكعبيين....

و فى الجملة: فالقرآن ليس فيه نفى إيجاب الغسل، بل فيه إيجاب المسح. فلو قدر أن السنه أوجبت قدراً زائداً على ما أوجبه القرآن، لم يكن فى هذا رفعاً لموجب القرآن، فكيف إذا فسّرتة و بيّنت معناه، و هذا مبسوط فى موضعه» (1).

أقول:

لا يخفى الاضطراب فى كلام الرجل على المتأمل فيه، بل هو فى الحقيقه اعتراف بالبدعه و مخالفه نصّ القرآن، و إلا:
فأى معنى لقوله: «الذين نقلوا الموضوع عن النبى... أكثر من الذين نقلوا لفظ هذه الآيه»؟

و أى وجه لدعوى: «أن المسح جنس تحته نوعان: الإساله و غير الإساله...» مع أن كلّ عربى يفهم التباين بين (الغسل) و (المسح)؟
و لما ذا هذا الاستحسان بأنه: «فى ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلبه الصبّ فى الرجل...»؟

كلّ هذا لا داعى له إلا توجيه البدعه و تأكيدها.. بعد الاعتراف بأن القرآن «فيه إيجاب المسح...» فهو معترف بما قال العلامة....

و لو كان الرجل فقيهاً أو متفقهاً لبحث عن المسأله بحثاً علمياً مستنداً إلى الكتاب و السنه اللّذين هما المعتمد فى جميع البحوث، لا سيما الأحكام الشرعيه، فإنها

ص: ٢٣

مستنبطه منهما و هما المرجع فيها، و هذه المسأله من هذا القبيل.

فلنشرح المسأله ببعض التفصيل، و لننقل أقوال علمائهم و ما اشتملت عليه من الاضطراب و التضليل، فيظهر أن الغسل بدعه و المسح هو الأصل الأصيل، فنقول:

ذهبت الشيعة الإثنا عشرية إلى أن الحكم في الأرجل هو المسح فرضاً معيناً، من غير خلاف بينهم، حتى أصبح من جملة شعائر مذهبهم التي بها يعرفون و عن غيرهم يتميزون.

و اختلف الآخرون، بين قائل بالمسح كذلك، و قائل بالجمع بين المسح و الغسل، و قائل بالتخيير بينهما، و قائل بالغسل على التعيين، و قد ظلّ هذا الخلاف قائماً بينهم، حتى استقرّ مذهب الجمهور من أهل السنّه على القول بالغسل، و ذلك في القرن الرابع، أى بعد الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠، و سنذكر رأيه في المسأله فيما بعد.

و المهم الآن التأكيد على وجود القول بالمسح بين أهل السنّه سابقاً، و هذا ما جاء في كلام غير واحد:

قال السرخسى: «من الناس من قال: وظيفه الطهاره في الرجل المسح» (١).

و قال ابن رشد: «اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء، و اختلفوا في نوع طهارتهما، فقال قوم: طهارتهما الغسل و هم الجمهور، و قال قوم: فرضهما المسح، و قال قوم: بل طهارتهما تجوز بالنوعين الغسل و المسح...» (٢).

و قال ابن كثير: «و قد روى عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح» (٣).

و يزيد ما ذكرناه تأكيداً و وضوحاً قول أحدهم: «إن القول بكلّ من الغسل و المسح

ص: ٢٤

١-١) المبسوط في فقه الحنفية ٨/١.

٢-٢) بدايه المجتهد ١٦/١.

٣-٣) تفسير القرآن العظيم ٢٧/٢.

مروى عن السلف من الصحابه و التابعين، و لكن العمل بال غسل أعمّ و أكثر، و هو الذى غلب و استمر» (١).

تجد فى هذه الكلمات أن القول بالمسح الذى عليه الشيعة، كان قولاً شائعاً بين الصحابه و التابعين و غيرهم، غير أن أهل السنّه (أوجبوا الغسل) على التعيين فى القرون المتأخره (و هو الذى غلب و استمر)!

فما فى ظاهر كلام بعضهم- كابن كثير- من اختصاص المسح بالشيعة و أنه ضلاله (٢) باطل.

بل لقد أفرط بعضهم، فنسب القول بالمسح إلى (أهل البدع)، كالشهاب الخفاجى حيث قال: «و من أهل البدع من جوّز المسح على الأرجل بدون الخفّ، مستدلاً بظاهر الآيه، و للشريف المرتضى كلام فى تأييده تركناه لإجماع أهل السنّه على خلافه» (٣).

و أقبح من ذلك كلام الآلوسى، فإنه كذب و شتم و أساء الأدب حيث قال: «و ما يزعمه الإماميه من نسبه المسح إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و أنس بن مالك و غيرهما، كذب مفترى عليهم... و نسبه جواز المسح إلى أبى العالیه و عكرمه و الشعبى، زور و بهتان أيضاً، و كذلك نسبه الجمع بين الغسل و المسح أو التخيير بينهما إلى الحسن البصرى عليه الرحمه، و مثله نسبه التخيير إلى محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ الكبير و التفسير الشهير.

و قد نشر رواه الشيعة هذه الأكاذيب المختلفه، و رواها بعض أهل السنّه ممن لم يميّز الصحيح و السقيم من الأخبار بلا تحقق و لا سند، و اتسع الخرق على الرافع» (٤).

ص: ٢٥

١-١ (١) تفسير المنار ٢٣٤/٦.

٢-٢ (٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨/٢.

٣-٣ (٣) حاشيه الشهاب على البيضاوى ٢٢١/٣.

٤-٤ (٤) روح المعانى ٧٧/٦-٧٨.

و أما ما أشار إليه العلامة طاب ثراه من دلالة الآية المباركة على المسح، فذاك ما اعترف به كبار أئمة القوم، غير أنهم زعموا دلالة السنّة على الغسل:

قال السرخسي: «و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزل القرآن بغسلين و مسحين، يريد به القراءة بالكسر فى قوله تعالى «وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» فإنه معطوف على الرأس. و كذلك القراءة بالنصب عطف على الرأس من حيث المحل، فإن الرأس محلّه من الأعراب النصب، و إنما صار مخفوضاً بدخول حرف الجر، و هو كقول القائل: معاوىَ إنا بشر فاسججِ فلسنا بالجبال و لا الحديداً

و لنا: إن النبي صلى الله عليه و آله واطب على غسل الرجلين» (١).

و قال ابن حزم: «فأما قولنا فى الرجلين، فإن القرآن نزل بالمسح، قال الله تعالى «وَأَمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ» و سواء قرئ بخفض اللّام أو بفتحها هى على كلّ حال عطف على الرؤوس، إما على اللفظ و إما على الموضع، لا يجوز غير ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يحال بين المعطوف و المعطوف عليه بقضيّه مبتدأه، و هكذا جاء عن ابن عباس: نزل القرآن بالمسح، يعنى فى الرجلين فى الوضوء.

و قد قال بالمسح على الرجلين جماعه من السلف منهم: على بن أبى طالب، و ابن عباس و الحسن و عكرمه و الشعبى، و جماعه غيرهم، و هو قول الطبرى، و رويت فى ذلك آثار» فذكر بعضها، ثم قال: «و إنما قلنا بالغسل لما حدّثنا...» فذكر حديث «ويل للأعقاب» الذى سنذكره... (٢).

و قال ابن الهمام فى شرح قول الماتن «و وجهه: إن قراءه نصب الرجل عطف على

ص: ٢٤

١- ١) المبسوط فى الفقه الحنفى ٨/١.

٢- ٢) المحلّى فى الفقه ٥٦/٢.

المغسول، وقراءه جَرَّها كذلك، والجَرُّ للمجاورة»، قال: «و عليه أن يقال: بل هو عطف على المجرور، وقراءه النصب عطف على محلّ الرؤوس، وهو محلّ يظهر في الفصيح، وهذا أولى لتخريج القراءتين به على المطرد، بخلاف تخريج الجرّ على الجوار (قال): إطباق رواه وضوئه صَلَّى اللهُ عليه وآله على حكاية الغسل ليس غيره، فكانت السنّة قرينه منفصله» (١).

وقال ابن قدامة: «و روى عن علي أنه مسح... و حكى عن ابن عباس... و روى عن أنس بن مالك... و حكى عن الشعبي... و لم يعلم من فقهاء المسلمين من يقول بالمسح على الرجلين غير من ذكرنا، إلا ما حكى عن ابن جرير أنه قال: هو مخير بين المسح و الغسل، و احتجّ بظاهر الآيه و بما روى عن ابن عباس... و لنا: إن عبد الله بن زيد و عثمان حكيا وضوء رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله..» (٢).

و قد اعترف إمامهم الرازي بأن الآيه دليل على وجوب المسح على كلتا القراءتين، و هذه عبارته:

«حجه من قال بوجوب المسح مبنّى على القراءتين المشهورتين في قوله:

«وَ أَرْجُلَكُمْ» فقرأ ابن كثير و حمزه و أبو عمرو و عاصم في روايه أبي بكر عنه بالجرّ، و قرأ نافع و ابن عامر و عاصم في روايه حفص عنه، بالنصب.

فنقول: أما القراءه بالجرّ، فهي تقتضى كون الأرجل معطوفه على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: هذا كسر على الجوار كما في قوله: جحر ضبّ خرب، و قوله: كبير أناس في بجاد مزمل.

ص: ٢٧

١- ١) شرح فتح القدير ١١/١.

٢- ٢) المغنى في الفقه الحنبلي ١٢٠/١-١٢١.

قلنا: هذا باطل من وجوه: الأول: إن الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر، وكلام الله يجب تنزيهه عنه. وثانيها: إن الكسر إنما يصرار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس، كما في قوله: جحر ضبّ خرب؛ فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتاً للضبّ بل للجحر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل. وثالثها: إن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب.

و أما القراءه بالنصب، فقالوا أيضاً: إنها توجب المسح؛ وذلك لأن قوله:

«وَ اَمْسِيْ حُوَا بِرُؤْسِيْكُمْ» فرؤوسكم في محلّ النصب و لكنها مجروره بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محلّ الرؤوس، و الجرّ عطفاً على الظاهر. و هذا مذهب مشهور للنحاه. إذا ثبت هذا فنقول:

ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله: «وَ اَرْجُلُكُمْ» هو قوله:

«وَ اَمْسِيْ حُوَا بِرُؤْسِيْكُمْ» و يجوز أن يكون هو قوله: «فَاعْسِيْ لُوَا» لكن العاملان إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى. فوجب أن يكون عامل النصب في قوله «وَ اَرْجُلُكُمْ» هو قوله: «وَ اَمْسِيْ حُوَا» فثبت أن قراءه «وَ اَرْجُلُكُمْ» بنصب اللعام توجب المسح أيضاً.

فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح.

ثم قالوا: و لا يجوز دفع ذلك بالأخبار، لأنها بأسرها من باب الآحاد، و نسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز.

قال: «و اعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلّا من وجهين.

الأوّل: أن الأخبار الكثيره وردت بإيجاب الغسل، و الغسل مشتمل على المسح و لا- ينعكس؛ فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط، فوجب المصير إليه. و على هذا الوجه يجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها.

و الثاني: أن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين و التحديد إنما جاء في المسح.

و القوم أجابوا عنه بوجهين، الأول: أن الكعب عباره عن العظم الذى تحت مفصل القدم. و على هذا التقدير فيجب المسح على ظهر القدمين. و الثاني: أنهم سلّموا أن الكعبين عباره عن العظمين الناتئين من جانبى الساق، إلا أنهم التزموا أنه يجب أن يمّسح ظهور القدمين إلى هذين الموضوعين؛ و حينئذ لا يبقى هذا السؤال «إنتهى كلامه بلفظه (١)».

أقول: يعنى: و يبقى السؤال الأول، و سيأتى الجواب عنه.

و قال السندي: «و إنما كان المسح هو ظاهر الكتاب؛ لأن قراءه الجرّ ظاهره فيه، و حمل قراءه النصب عليها يجعل النصب على المحلّ أقرب من حمل قراءه النصب، كما صرح به النحاه» (٢).

و قال الشيخ إبراهيم الحلبي: «و الصحيح أن الأرجل معطوفه على الرؤوس فى القراءتين، و نصبها على المحلّ و جرّها على اللفظ» (٣).

أقول:

و لنكتف بهذا القدر من تصريحات الأعلام بدلاله الآيه المباركه بكتلتا القراءتين على المسح دون الغسل، و أن جماعه من الصحابه و التابعين و غيرهم كانوا يقولون بالمسح، و أن الدليل على القول بالغسل هو السنّه لا الكتاب.

لكنّ جماعه من القائلين بالغسل لمّا علموا بأن رفع اليد عن دلاله (الكتاب) لا يكون إلا بدليل معتبر، و علموا عدم دلاله (السنّه) على الغسل، و لا أقلّ من سقوطها للتعارض كما سنين، حاولوا صرف الآيه المباركه عن المسح.

كأن تكون قراءه النصب دالّه على المسح، بزعم أنها بقرينه الأخبار ظاهره فى

ص: ٢٩

١-١ (١) تفسير الرازى ١١/١٦١-١٦٢.

٢-٢ (٢) الحاشيه على سنن ابن ماجه ٨٨/١.

٣-٣ (٣) غنيه المتملى: ١٦.

الغسل عطفاً على «وَجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِ» ، و تجعل بذلك راجحه على قراءه الجزّ الظاهره فى المسح (١).

لكنها محاوله يائسه، أما الأخبار فستتكلّم عليها، و أما العطف المذكور، فقد نصّ غير واحد من الأئمه على بطلانه، و جعلوه من القبيح الذى ينزّه كتاب الله تعالى عن هذا التخريج (٢).

و كأن يزعم بأن لفظ (المسح) مشترك، فلا دلالة لقراءه الجزّ أيضاً. قال القرطبي:

«قال النحاس: و من أحسن ما قيل فيه: أن المسح و الغسل واجبان جميعاً، فالمسح واجب على قراءه من قرأ بالخفض، و الغسل واجب على قراءه من قرأ بالنصب، و القراءتان بمنزله آيتين. قال ابن عطيه: و ذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح فى الرجلين هو الغسل. قلت: و هو الصحيح؛ فإن لفظ المسح مشترك، يطلق بمعنى المسح و يطلق بمعنى الغسل...» (٣).

و هى محاوله كسابقتها، فالعيني أورد هذا الوجه و قال: «و فيه نظر»، و قال الصاوى: «و هو بعيد» و قال صاحب المنار: «و هو تكلف ظاهر» (٤).

و كما أفرط بعضهم فزعم عدم دلالة الآيه بقراءه الخفض على المسح -مع أن ذلك متفق عليه بينهم، حتى اعترف به القائلون بدلاله قراءه النصب على الغسل (٥)-، بين قائل بالكسر على الجوار، كالعيني و أبى البقاء و الألوسى (٦). لكن ردّه آخرون و نصّوا

ص: ٣٠

١-١) بدايه المجتهد ١/١٥-١٦، أحكام القرآن لابن العربى المالكي ٢/٧٢.

٢-٢) البحر المحيط ٣/٤٥١، عمده القارى فى شرح البخارى ٢/٢٣٨، غنيه المتملى: ١٦.

٣-٣) تفسير القرطبي ٦/٩٦، و انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٧، البحر المحيط ٣/٤٥١، تفسير الخازن ٢/٤٤١.

٤-٤) عمده القارى ٢/٢٣٩، الصاوى على البيضاوى ١/٢٧٠، تفسير المنار ٦/٢٣٣.

٥-٥) المجموع فى شرح المهذب ١/٤١٨، تفسير ابن كثير ٢/٢٧، فتح البارى ١/٢٣٢.

٦-٦) عمده القارى ٢/٢٣٩، إملاء ما من به الرحمن ١/٢١٠، روح المعانى ٦/٧٥.

على أنه تأويل ضعيف جداً، وأنه قليل نادر مخالف للظاهر لا يجوز حمل الآيه المباركه عليه، وأنه غلط عظيم، ونحو ذلك من الكلمات (١)... وبين قائل: بأن الأرجل مجروره بفعل محذوف يتعدى بالباء، أى: و افعلوا بأرجلكم الغسل، ثم حذف الفعل و حرف الجرّ. وهذا لم أجده إلا من أبى البقاء (٢) وقال أبو حيان: «هذا تأويل فى غاية الضعف» (٣).

و جاء الزمخشري بفلسفه لا دليل عليها مطلقاً فقال: «قرأ جماعه «وَأَرْجُلُكُمْ» بالنصب، فدلّ على أن الأرجل مغسوله. فإن قلت: فما تصنع بقراءه الجرّ و دخولها فى حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثه المغسوله تغسل بصبّ الماء عليها، فكانت مظنه للإسراف المذموم، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح و لكن لئيبه على وجوب الاقتصاد فى صبّ الماء عليها...» (٤).

و هو كلام بارد جداً، و من التفسير بالرأى المحرّم قطعاً، و قال أبو حيان: «و هو كما ترى فى غاية التلغيق و تعميّه فى الأحكام» (٥).
أقول:

فالكتاب نصّ على وجوب مسح الرجلين، سواء قرئت الكلمه بالنصب أو بالجرّ، و كلّ هذه الأفاويل لصرف التنزيل عمّا يدلّ عليه أقوى دليل على عدم الدليل المعتبر من السنه على الغسل، كما سنرى بشيء من التفصيل، فنقول:

ص: ٣١

١- (١) البحر المحيط ٤٥١/٣، تفسير الخازن ٤٤١/٢، حاشيه السندى على ابن ماجه ٨٨/١، نيل الأوطار ٢٠٩/١، غنيه المتملى: ١٦، تفسير الرازى ١٦١/١١، النيسابورى ٥٣/٦، القرطبي ٩٤/٦، الشهاب على البيضاوى ٢٢١/٣، معانى القرآن للأخفش ٢٥٥/١، وغيرها.

٢- (٢) إملاء ما من به الرحمن ٤٥٢/٣.

٣- (٣) البحر المحيط ٤٥٢/٣.

٤- (٤) الكشاف ٥٩٧/١.

٥- (٥) البحر المحيط ٤٥٢/٣.

إن الأحاديث الواردة عند القوم بأسانيدهم عن (الذين نقلوا الوضوء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَالَّذِينَ تَعَلَّمُوا الْوَضُوءَ مِنْهُ، وَتَوَضَّؤُوا عَلَى عَهْدِهِ وَهُوَ يَرَاهُمْ وَيَقْرَهُمْ عَلَيْهِ وَنَقَلُوهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ) وَالصَّرِيحَةَ فِي (الْمَسْحِ) كَثِيرَةٌ، وَفِيهَا مَا أُخْرِجَ فِي الصَّحَاحِ أَوْ السَّنَنِ وَ مَا نَصَّ الْأَثَمَةَ عَلَى صِحَّتِهِ، وَ مِنْ ذَلِكَ:

١- خبر عباد بن تميم عن أبيه تاره و أخرى عن عمه: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَوَضَّأَ وَ مَسَحَ عَلَى الْقَدَمَيْنِ.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَ أَحْمَدُ، وَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَ ابْنُ أَبِي عَمْرٍو، وَ الْبَغْوِيُّ، وَ الْبَاوَرْدِيُّ، وَ غَيْرُهُمْ. وَ عَنْهُمْ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ وَ قَالَ: «رَجَالُهُ ثِقَاتٌ» (١).

وَ أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ (٢).

وَ رَوَاهُ الطَّحَاوِيُّ، وَ أَضَافَ: «وَ أَنْ عَرَوْهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ» (٣).

وَ رَوَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ (٤) وَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَ نَصَّ عَلَى صِحَّتِهِ (٥).

٢- خبر رفاعه بن رافع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّهَا لَا تَتِمُّ صَلَاةُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَسْبِغَ الْوَضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَغْسِلُ وَجْهَهُ وَ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ وَ يَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَ رَجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ».

قَالَ الْعَيْنِيُّ: «حَسَّنَهُ أَبُو عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ الْحَافِظُ، وَ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ، وَ أَبُو بَكْرٍ

ص: ٣٢

١- ١) الإصابه فى معرفه الصحابه ١/٤٩٠.

٢- ٢) عمدہ القارى ٢/٢٤٠.

٣- ٣) شرح معانى الآثار ١/٣٥.

٤- ٤) أسد الغابه ١/٢١٧.

٥- ٥) الإستيعاب ١/١٩٥.

البيزار، و صححه الحافظ ابن حبان، و ابن حزم» (١).

قلت: و أخرجه الطحاوى (٢) و ابن ماجه (٣) و البيهقى (٤)، و الحاكم و أصرّ على صحته، و وافقه الذهبى.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بعد أن أقام همام بن يحيى إسناده، فإنه حافظ ثقة، و كل من أفسد قوله فالتقول قول همام. و لم يخرجاه بهذه السياقه، إنما اتفقا فيه على عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبرى عن أبى هريره. و قد روى محمد بن إسماعيل هذا الحديث فى التاريخ الكبير عن حجاج بن منهال، و حكم له بحفظه ثم قال: لم يقمه حماد بن سلمه. حدثنا بصحه ما ذكره البخارى....

و قد أقام هذا الإسناد: داود بن قيس الفراء، و محمد بن إسحاق بن يسار، و إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير...» ثم أورد الحديث بإسناده بطريق كل منهم عن رفاعه بن رافع.. (٥).

٣- خبر ابن عباس مع الربيع بنت معوذ. قال السيوطى: «أخرج عبد الرزاق و ابن أبى شيبه و ابن ماجه عن ابن عباس قال: أبى الناس إلّا الغسل، و لا أجد فى كتاب الله إلّا المسح» (٦).

قلت: هو فى سنن ابن ماجه عنها، قالت: «أتانى ابن عباس فسألنى عن هذا الحديث، تعنى حديثها الذى ذكرت أن رسول الله صلّى الله عليه و آله توضأ و غسل

ص: ٣٣

١- ١) عمدہ القارى ٢/٢٤٠.

٢- ٢) شرح معانى الآثار ١/٣٥.

٣- ٣) سنن ابن ماجه ١/١٥٦.

٤- ٤) سنن البيهقى ١/٤٤.

٥- ٥) المستدرک على الصحيحين ١/٢٤٢.

٦- ٦) الدر المنثور ٢/٢٦٢.

رجليه، فقال ابن عباس: إن الناس أبوا إلا الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسح».

و في الزوائد: «إسناده حسن» (١).

٤-خبر أنس بن مالك و الحجاج بن يوسف. قال ابن كثير: «و قد روى عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح. قال ابن جرير: حدّثني يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن عليه، حدّثنا حميد قال: قال موسى بن أنس -و نحن عنده- يا أبا حمزة، إن الحجاج خطبنا بالأهواز و نحن معه، فذكر الطهور فقال: إغسلوا و جوهكم و أيديكم و امسحوا برؤوسكم و أرجلكم، و أنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما و ظهورهما و عراقيهما. فقال الناس: كذب الحجاج. قال الله تعالى:

«وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ» قال: و كان أنس إذا مسح قدميه بلهما.

إسناد صحيح إليه» (٢).

٥-خبر عثمان بن عفان. أخرجه أحمد في المسند، و أبو نعيم في الحلية، و البزار في مسنده، و أبو يعلى و صححه:

قال المتقي: «عن حمران قال: رأيت عثمان دعا بماء فغسل كفيه ثلاثاً و مضمض و استنشق و غسل وجهه ثلاثاً و ذراعيه ثلاثاً و مسح برأسه و ظهر قدميه، ثم ضحك، فقال: ألا تسألوني ما أضحكني؟ قلنا: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: أضحكني أن العبد إذا غسل وجهه حطّ الله عنه بكلّ خطيئه أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، و إذا مسح رأسه كان ذلك، و إذا طهر قدميه كان كذلك. حم، و البزار حل، ع، و صحح» (٣).

٦-خبر عبد الله بن زيد المازني: إن النبي صلّى الله عليه و آله «توضأ و مسح

ص: ٣٤

١-١) سنن ابن ماجه ١/١٥٦.

٢-٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٧.

٣-٣) كنز العمال ٩/٤٤٢.

بالماء على رجليه». قال المتقي: أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١).

٧- خبر عبد خير عن علي عليه السلام إنه «توضأ فمسح على ظهر قدميه و قال:

لو لا- أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فعله لكان باطن القدم أحق من ظاهره» أو: «لو كان الدين بالرأى لكان باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله مسح على ظاهرهما».

و ممن أخرجه: أحمد بن حنبل في المسند، ابن أبي شيبة، عبد الرزاق بن همام، الطحاوي، أبو داود، الدارمي، الدارقطني (٢).

٨- عن أنس بن مالك، أنه قال: «نزل القرآن بالمسح».

قال ابن كثير: «إسناده صحيح» (٣).

٩- عن أبي مالك الأشعري، أخرجه أحمد قال: «ثنا محمد بن جعفر، ثنا سعيد، عن قتاده، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري: إنه قال لقومه: اجتمعوا أصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما اجتمعوا قال:

هل فيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا إلا ابن أخت لنا. قال: ابن أخت القوم منهم. فدعا بجفنه فيها ماء، فتوضأ و مضمض و استنشق، و غسل وجهه ثلاثاً، و ذراعيه ثلاثاً ثلاثاً و مسح برأسه و ظهر قدميه، ثم صلى بهم...» (٤).

فهذه طائفه من الأحاديث الصحيحة و الآثار المعتمده في مسح الرجلين، و نحن نكتفي بهذا القدر.

ص: ٣٥

١- ١) كنز العمال ٩/٤٥١ رقم ٢٦٩٢٢.

٢- ٢) كنز العمال ٩/٤٤٤ و ٦٠٥.

٣- ٣) تفسير ابن كثير ٢/٢٥.

٤- ٤) مسند أحمد بن حنبل ٥/٣٤٢.

و بعد أن رأينا أن الآيه المباركه دالّه على المسح، والأحاديث الصحيحه الدالّه على المسح كثيره، نرى أتباع عثمان و بنى أميه يضطربون، فأول شىء فعلوه هو الوضع و التزوير و التلاعب بالأحاديث، فوضعوا أحاديث عن أمير المؤمنين و أتباعه فى القول بالغسل، مع ذكرهم الإمام عليه السلام فى أول القائلين بالمسح كما رأيت فى كلام ابن حزم و غيره، و حرّفوا غير واحد من الأحاديث و الأخبار الصحيحه التى ذكرناها.

و لنكتف بالكلام على واحد منها و هو الخبر التاسع الذى نقلناه عن مسند أحمد بسنده عن أبى مالك الأشعري، فقد جاء هذا الحديث فى مسند أحمد بأشكال خمسه..

أحدها: ما ذكرناه و فيه «المسح» و قد كان عن «محمد بن جعفر» و هو المعروف بغندر، عن «سعيد» و هو ابن أبى عروب، عن «قتاده»....

و الثانى: ما رواه و فيه «الغسل» و هو عن «عبد الرزاق عن معمر عن قتاده»..

قال أحمد: «فذكر حديث سعيد إلا أنه قال: و غسل قدميه» (١)!

و الثالث: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب...» و ليس فيه لـ (المسح) و لـ (الغسل)؛ إذ لم يبين كيفية الوضوء و لـ ذكر الوضوء، قال: «ثنا أبو النصر، ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى، عن شهر بن حوشب، ثنا عبد الرحمن بن غنم: أن أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: يا معشر الأشعريين اجتمعوا و اجمعوا نساءكم و أبناءكم أعلمكم صلاه النبى صلّى الله عليه و آله صلّى لنا بالمدينه، فاجتمعوا و جمعوا نساءهم و أبناءهم، فتوضأ و أراهم كيف يتوضأ، فأحصى الوضوء إلى أماكنه، حتى لما أن فاء الفئ و انكسر الظل قام فأذن..» (٢).

ص: ٣٦

١-١) مسند أحمد ٣٤٢/٥.

٢-٢) مسند أحمد ٣٤٣/٥.

و الرابع: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب...» وليس فيه ذكر الوضوء أصلاً:

قال: «ثنا محمد بن فضيل أنا داود بن أبي هند، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري: أنه قال لقومه: قوموا صلّوا حتى أصليّ لكم صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله. قال: فصفوا خلفه فكبر ثم قرأ ثم كبر ثم ركع ثم رفع رأسه فكبر، ففعل ذلك في صلاته كلّها» (١).

و الخامس: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب...» وليس فيه لا ذكر الوضوء، و لا كيفية الصّلاه!! قال: «ثنا أسود عن شريك، ثنا يحيى بن أبي كثير، و أبو النضر قالوا ثنا الأشجعي أو قال الأشعري قال أبو عبد الرحمن: وجدت في كتاب أبي بخط يده:

حدّث عن الفضل بن العباس الواقفي، يعني الأنصاري من بني واقف، عن قره بن خالد، ثنا بديل، ثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم قال: قال أبو مالك الأشعري: ألا حدّثكم بصلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: و سلّم عن يمينه و عن شماله، ثم قال: و هذه صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله. و ذكر الحديث» (٢).

أقول:

و المهم أن ننظر في الأوّل و الثاني، فالسند واحد و الحديث واحد، إلا أنه عن «سعيد بن أبي عروبه عن قتاده» (المسح) و عن «معمر بن راشد عن قتاده» (الغسل)، فأيهما الأثبت؟

لقد جاء في ترجمه (سعيد) (٣) إن «أثبت الناس في قتاده: سعيد بن أبي عروبه و هشام الدستوائي، و شعبه، فمن حدّثك من هؤلاء الثلاثة بحديث يعني عن قتاده، فلا تبالى أن لا تسمعه من غيره».

ص: ٣٧

١-١) مسند أحمد ٣٤٤/٥.

٢-٢) مسند أحمد ٣٤٤/٥.

٣-٣) تهذيب الكمال ٩/١١.

و جاء فيه: «كان سعيد بن أبي عروبه أحفظ أصحاب قتاده» و«كان أعلم الناس بحديث قتاده» و«أثبت أصحاب قتاده: هشام و سعيد».

و جاء فى ترجمه (معمر) (1) عن يحيى بن معين: «إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهرى و ابن طاووس فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفه و أهل البصره فلا». و لا يخفى أن (قتاده عراقى بصرى) و عن (العلل للدارقطنى): «سعى الحفظ لحديث قتاده و الأعمش».

عمده الدليل من السنه على الغسل

و قد لاحظنا أنهم، بعد الاعتراف بدلاله الكتاب على المسح، يقولون بضروره رفع اليد عن ذلك، للأخبار الحاكيه لأمره صلى الله عليه و آله بالغسل، و قد وجدنا النص على ذلك فى العبارات المنقوله عنهم سابقاً، و كان منهم الفخر الرازى.. فنقول:

أولاً: إنا لا- نسلم ورود الأخبار الكثيره حتى من طرقهم بإيجاب الغسل، سلمنا كثرتها، و لكنها أحاديث غير متواتره، إذ لو كانت متواتره لصرحوا بذلك، و الآحاد لا يجوز أن تنسخ الكتاب كما ذكر الرازى و غيره.

و من هنا يعلم أن الرازى أقرب إلى الحق و الإنصاف فى هذا الموضع من ابن تيميه الذى يقول: «فإن جاز أن يقال إنهم كذبوا و أخطئوا فيما نقلوه عنه من ذلك، كان الكذب و الخطأ فيما نقلوه من لفظ الآيه أقرب إلى الجواز» هذا كلامه و نعوذ بالله منه! قال: «و إن قيل: بل لفظ الآيه ثبت بالتواتر الذى لا يمكن الخطأ فيه، فثبت التواتر فى لفظ الوضوء عنه أولى و أكمل».

و هل يقابل القرآن المتواتر الدال على وجوب المسح، بدعوى التواتر فى (لفظ

ص: ٣٨

الوضوء) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَجوبِ الْغَسْلِ؟

و ثانياً: أن تلك الأخبار معارضة بأخبار صحيحة مثلها، و من أشهرها ما عن وصيِّ الرسول و ما عن حبر الأمة عبد الله بن عباس، و قد ذكر الرازي و غيره القول بوجوب المسح عنهما و عن أنس بن مالك و جماعه.

الكلام على حديث الأعقاب

ثم إن عمدته ما يستدلون به لوجوب الغسل، كما هو صريح جماعه (١) و تبعهم ابن تيميه، هو حديث «ويل للأعقاب من النار» حتى جعله القرطبي: «القاطع في الباب»... و قد أخرجه البخاري و مسلم في كتابيهما (٢) و نحن نكتفي بالتكلم على ما روياه:

أما سنداً، فمداره عند البخاري على «موسى بن إسماعيل التبوذكي» و هو ممن تكلم فيه من رجاله كما ذكر ابن حجر (٣) و نقل عن الحافظ ابن خراش قوله فيه: «تكلم الناس فيه» و هنا أورده الذهبي في ميزانه (٤).

و مداره عند مسلم على «جرير بن عبد الحميد الضبي» و هو أيضاً ممن تكلم فيه (٥) و ذكر ابن حجر بترجمته كلمات حوله (٦) و أورده الذهبي في ميزانه (٧).

ص: ٣٩

-
- ١ - ١) المبسوط ٨/١، معالم التنزيل ١٦/٢، المحلى ٥٦/٢، القرطبي ٩٤/٦، فتح الباري ٢١٣/١، أحكام القرآن لابن العربي ٧١/٢ - ٧٢، الكواكب الدراري ٨/٢ و غيرها.
 - ٢ - ٢) صحيح البخاري ٢١/١ و ٣٢ و ٤٩، صحيح مسلم ١٤٧/١ - ١٤٨.
 - ٣ - ٣) مقدمه فتح الباري: ٤٤٦.
 - ٤ - ٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٠٠/٤.
 - ٥ - ٥) مقدمه فتح الباري: ٣٩٢.
 - ٦ - ٦) تهذيب التهذيب ٦٥/٢.
 - ٧ - ٧) ميزان الاعتدال ٣٩٤/١.

و أما فقه الحديث و مدلوله، فيتوقف النظر فيه على ذكر متنه في الكتابين:

قال البخارى: «حدّثنا موسى قال: حدّثنا أبو عوانه، عن أبى بشر، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف النبى صلّى الله عليه و آله عنّا فى سفره سافرهاها، فأدر كنا و قد أرهقتنا العصر، فجعلنا نتوضأ و نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار. مرتين أو ثلاثاً».

و قال مسلم: «حدّثنى زهير بن حرب، حدّثنا جرير، و حدّثنا إسحاق، أخبرنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبى يحيى، عن عبد الله بن عمرو قال:

رجعنا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضأوا و هم عجال، فانتهينا إليهم و أعقابهم تلوح لم يمسه الماء، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء».

و لا- يخفى: أن فى لفظ مسلم ما يبيّن الإجمال الموجود فى لفظ البخارى، ففى البخارى: «فجعلنا نتوضأ..» و ليس فيه ذكر للأعقاب، لكنه عند مسلم «فانتهينا إليهم و أعقابهم تلوح لم يمسه الماء، فقال رسول الله: ويل للأعقاب من النار» فلفظ مسلم يكون قرينه على المراد من لفظ الحديث عند البخارى.

بل فى روايه ابن حجر للفظ مسلم كلمه تزيد المعنى وضوحاً، قال: «و فى أفراد مسلم: فانتهينا إليهم و أعقابهم بيض تلوح لم يمسه الماء...» (١).

و حينئذ يكون الحديث دالاً على (المسح) لا (الغسل) و لذا تمسك به من يقول بإجزاء المسح.

قال الحافظ ابن حجر: «فتمسك بهذا الحديث من يقول بإجزاء المسح» (٢).

ص: ٤٠

١-١ فتح البارى فى شرح البخارى ٢٣٢/١.

٢-٢ فتح البارى فى شرح البخارى ٢٣٢/١.

وقد اعترف بدلالته على المسح: ابن رشد بقوله: «فهو أدل على جوازه منه على منعه، لأن الوعيد إنما تعلق فيه بترك التعميم لا بنوع الطهارة، بل سكت عن نوعها، وذلك دليل على جوازها. و جواز المسح هو أيضاً مروى عن بعض الصحابة و التابعين» (١).

و إليه أشار القسطلاني أيضاً (٢).

و قال صاحب المنار، بعد أن قال بأن هذا الحديث أصح أحاديث المسألة، ما نصه:

«و قد يتجاذب الاستدلال بهذا الحديث الطرفان، فللقائلين بالمسح أن يقولوا: إن الصحابة كانوا يمسحون، فهذا دليل على أن المسح كان هو المعروف عندهم، و إنما أنكر النبي عليهم عدم مسح أعقابهم» (٣).

أقول:

و هذا ما دعا بعضهم إلى التصرف في لفظ الحديث، و إسقاط القصة منه أو عدم ذكرها كامله. فراجع و قارن (٤).

و منهم من حرّفه حتى جاء ظاهراً في الغسل!! قال النسفي: «و قد صحّ أن النبي صَلَّى الله عليه و آله رأى قوماً يمسحون على أرجلهم فقال: ويل للأعقاب من النار» (٥).

و أفرط الزمخشري في التحريف فجعل لفظ (الوضوء) بدل (المسح) قال: «و عن ابن عمر: كُنّا مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فتوضأ قوم و أعقابهم بيض تلوح فقال:

ويل للأعقاب من النار» (٦).

ص: ٤١

١- ١) بدايه المجتهد ١٧/١.

٢- ٢) إرشاد السارى فى شرح البخارى ٢٤٨/١.

٣- ٣) تفسير المنار ٢٢٨/٦.

٤- ٤) سنن أبى داود ١٥/١، صحيح الترمذى ٥٨/١، سنن النسائى ٨٩/١، سنن ابن ماجه ١٥٤/١.

٥- ٥) تفسير النسفى ٢٧١/١.

٦- ٦) الكشاف فى تفسير القرآن ٥٩٨/١.

و من عجائب الأمور: أن أحمد يروى هذا الحديث بنفس سند مسلم بلفظين آخرين غير لفظه، كى يخرج عن دلالة على المسح (١).

اللجوء إلى الاحتياط

و على الجملة: فإن هذا الحديث - وهو أصح ما فى الباب - لا يصلح للاستدلال على الغسل، و كأنَّ القوم ملتفتون إلى ذلك، فتراهم يلجأون إلى وجوه خارجه عن مقتضى الكتاب و السنه، فقال بعضهم بالاحتياط (٢).

قال الرازى: «و الغسل مشتمل على المسح و لا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه».

لكنه مردود بوجوه:

أحدها: أن (الغسل) و (المسح) أمران متباينان، و اشتمال الغسل على المسح لا يكفى فى الخروج عن عهده التكليف بالنسبه إلى المسح، و هل يقال بامثال من أمر بإحضار (إنسان) فجاء ب (حيوان)، بحجه أن (الحيوان) جنس يعم الإنسان و غيره؟

و كأنَّ ما ذكره الرازى هو المراد من قول ابن تيميه بعد الاعتراف بدلاله القرآن على وجوب المسح: «فلو قدر أن السنه أوجبت قدرًا زائدًا على ما أوجه القرآن لم يكن فى هذا رفعًا لموجب القرآن...».

و ثانيها: إذا كان المفروض رفع اليد عن الكتاب ب «أن الأخبار الكثيره وردت بإيجاب الغسل» كما ذكر، فالتكليف واضح متعين، و أى حجه إلى الاستدلال بالاحتياط؟ لكن هذا الاستدلال أيضاً يشهد بعدم كثره الأخبار الوارده بإيجاب الغسل

ص: ٤٢

١- ١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٢٠١، ٢/١٩٣.

٢- ٢) تفسير الرازى ١١/١٦٢، الجصاص ٢/٤٢١، روح المعانى ٦/٧٨.

بحيث تجوز رفع اليد عن القرآن.

و ثالثها: إن وصلت النوبه العمل بالاحتياط بسبب التعارض بين الآيه و الأخبار، فإن مقتضى الاحتياط ليس الغسل وحده، بل الجمع بين الغسل و المسح، كما ذكر هو عن داود الأصفهاني و الناصر للحق من أئمه الزيديه.

و تلخص: أن ما ذهب إليه القوم من إيجاب الغسل تغيير للحكم الإلهي الذي نصّ عليه في القرآن الكريم، و في وجود الإختلاف بينهم في وجوبه - حتى ذهب بعضهم إلى الاحتياط كما عرفت، و بعضهم إلى التخيير كما نقل الرازي عن الحسن البصري - دلاله على ذلك.

ثم إن ابن تيميه، العاجز عن توجيه البدعه في الغسل، ذكر أجزاء المسح على العمامه و على الخفين، و ادّعى تواتر السنّه عن النبي بالمسح على الخفين.

أقول:

أمّا المسح على العمامه، فقال الرازي: «المسأله السابعه و الثلاثون: لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامه. و قال الأوزاعي و الثوري و أحمد: يجوز لنا: أن الآيه دالّه على أنه يجب المسح على الرأس و مسح العمامه ليس مسحاً للرأس».

أقول: ما ذهب إليه هو الحق الذي عليه الإماميه و الدليل هو الدليل.

فقد ظهر أن الحق الذي دلّ عليه الكتاب و السنّه هو (المسح)، و أن (الغسل) بدعه ابتدعتها بعض القوم من السلف خلافاً لله و الرسول و عناداً لأهل البيت الأطهار، و روجها حكّام الجور و أئمه الباطل و الضلال، و تبعهم من كان على شاكلتهم، و حملوا الناس على تلك البدعه إلى يومنا هذا.

و قد بقي على (المسح) عملاً بما جاءت به الشريعه المقدّسه جماعه من أعلام الصّحابه و التابعين.. و اشتهر بذلك من الأئمه: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الإمام الشهير، صاحب المذهب المعروف عندهم، و مؤلّف التفسير و التاريخ الكبيرين.

ص: ٤٣

- و لقد شقَّ على القوم ذهاب ابن جرير إلى (المسح) كما رأيت في عبارة ابن حزم وغيره.
- فأبو حيان الأندلسي أخرج هذا الإمام من أهل السنَّة و جعله من علماء الإماميَّة! (١).
- و السليمانى لم ينكر كونه من أهل السنَّة و إنما قال: «كان يضع للروافض» (٢).
- و الذهبى نرَّه عمَّا قيل فيه، و ذكر أنه لم ير القول بالمسح في كتبه (٣).
- و الرازى و جماعه ينسبون إليه التخيير (٤).
- و آخرون ينسبون إليه الجمع (٥).
- و الزين العراقى و ابن حجر العسقلانى خلطا بينه و بين ابن جرير الإمامى (٦)!
- هذا، و قد قال بجواز المسح جماعه من الأئمة، كالشافعى (٧) و أحمد و الثورى و ابن جبير (٨) أيضاً، و ما ذلك إلا لدلاله الكتاب على المسح، و عدم وجود الدليل القاطع المجوِّز لرفع اليد عنه.
- و أما المسح على الخفَّين، فلا تجوِّزه الإماميه، و الدليل هو الدليل كذلك، لأن المسح على الخفَّين ليس مسحاً للرجلين.
- و هو المروى عن ابن عباس فإنه قال: «لأن أمسح على جلد حمار أحبَّ إلى من أن
- ص: ٤٤
-
- ١-١) لسان الميزان ١٠٠/٥.
- ٢-٢) ميزان الاعتدال ٤٩٩/٣.
- ٣-٣) سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٤.
- ٤-٤) تفسير الرازى ١٦١/١١.
- ٥-٥) كصاحب المنار ٢٢٨/٦.
- ٦-٦) ذيل ميزان الاعتدال: ٣٠٤، لسان الميزان ١٠٣/٥.
- ٧-٧) أحكام القرآن ٥٠/١.
- ٨-٨) مرقاه المفاتيح فى شرح مشكاه المصاييح ٣١٥/١، نيل الأوطار ١٦٣/١.

أمسح على الخفين».

و عن عائشه أنها قالت: «لأن تقطع قدماى أحب إلى من أن أمسح على الخفين».

ذكرهما الرازى و قال: «و أما مالك، فإحدى الروایتين عنه أنه أنكر جواز المسح على الخفين، و لا نزاع أنه كان فى علم الحديث كالشمس الطالع».

فأين التواتر الذى يدعيه ابن تيميه؟ و هل الإماميه هم المخالفون لهذه السنه المتواتره؟

تحریم المتعتين

قال قدس سره: و كالمعتين اللتين ورد بهما القرآن، فقال فى متعه الحج:

«فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». و تأسف النبى صلى الله عليه و آله على فواتها لما حج قارناً و قال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى. و قال فى متعه النساء: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ».

و استمر فعلها مدّه زمان النبى صلى الله عليه و آله، و مدّه خلافه أبى بكر، و بعض خلافه عمر، إلى أن صعد المنبر و قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما!»

الشرح:

أقول:

أما أن عمر نهى عن المتعتين، فهذا من الضروريات، و ستقف على بعض الأخبار فيه.

و أما أنه قال هذا القول أو نحوه، فلا ريب فيه، و قد ذكره أعلام القوم فى الفقه و الحديث و التفسير: كالرازى و الطحاوى و ابن خلّكان و البيهقى و ابن رشد و ابن حزم

ص: ٤٥

و الجصاص و السرخسى و القرطبى و ابن قدامه و ابن القيم و السيوطى و المتقى (١).

فمنهم من نص على صحته كالسرخسى، و منهم من نص على ثبوته كابن القيم.

و فى محاضرات الرّاغب الأصفهانى: «قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت فى جواز المتعه؟ قال: بعمر بن الخطاب. فقال: كيف هذا، و عمر كان أشدّ الناس فيها؟ قال: لأنّ الخبر الصحيح قد أتى أنه صعد المنبر فقال: إن الله و رسوله أحلاً لكم متعتين، و إنى أحزّمهما عليكم و أعاقب. فقبلنا شهادته و لم نقبل تحريمه» (٢).

و فى بعض الروايات: أن النهى كان عن المتعتين و (حى على خير العمل) فى الأذان (٣).

أما متعه الحج، فقد أمر بها الله عز و جل حيث قال: «أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و ذلك بأن ينشئ الإنسان بالمتعه إحرامه فى أشهر الحج من الميقات، فىأتى مكة و يطوف بالبيت ثم يسعى ثم يقصر و يحلّ من إحرامه، حتى ينشئ فى نفس تلك السفره إحراماً آخر للحج من مكة، و الأفضل من المسجد الحرام، و يخرج إلى عرفات ثم المشعر إلى آخر أعمال الحج، فىكون متمتعاً بالعمرة إلى الحج.

و إنما سمى هذا الإسم لما فيه من المتعه، أى اللذه بإباحه محظورات الإحرام فى

ص: ٤٦

١ - ١) تفسير الرازى ١٦٧/٥، شرح معانى الآثار ١٤٤/٢ و ١٤٦، وفيات الأعيان ١٥٠/٦، سنن البيهقى ٢٠٦/٧، بدايه المجتهد ٢٦٨/١، محلى ١٠٧/٧، أحكام القرآن ٣٣٨/١ المبسوط فى الفقه الحنفى ٢٧/٤، تفسير القرطبى ٣٩٢/٢، المغنى ٥٧٢/٧، زاد المعاد ٢٠٥/٢، الدر المنثور ١٤١/٢، كنز العمال ٥١٩/١٦ و ٥٢١ عن: ابن جرير، و سعيد بن منصور، و الطحاوى و ابن عساكر و غيرهم.

٢ - ٢) محاضرات الأدباء ٢١٤/٢.

٣ - ٣) شرح القوشجى على التجريد - باب الإمامه.

تلك المدّة المتخلّله بين الإحرامين. وهذا ما كرهه عمر و تبعه عليه غيره و على رأسهم عثمان و معاوية كما ستعلم.

و ستعرف بعض الكلام فى هذا المقام فى الجواب عمّا ذكره ابن تيميه الذى قال:

«و ما ذكره عن عمر رضى الله عنه فجوابه أن يقال:

أولاً: هب أن عمر قال قولاً خالفه فيه غيره من الصحابه و التابعين، حتى قال عمران بن حصين رضى الله عنه: تمتّنا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و نزل بها كتاب حتى قال فيها رجل برأيه ما شاء. أخرجاه فى الصحيحين. فأهل السنّه متفقون على أن كلّ واحد من الناس يؤخذ بقوله و يترك إلا- رسول الله صلى الله عليه و آله، و إن كان مقصوده الطعن على أهل السنّه مطلقاً، فهذا لا- يرد عليهم، و إن كان مقصوده أن عمر أخطأ فى مسأله، فهم لا ينزّهون عن الإقرار على الخطأ إلا رسول الله صلى الله عليه و آله، و إن أراد بالتمتع فسخ الحج إلى العمره، فهذه مسأله نزاع بين الفقهاء... و الصّحابه كانوا متنازعين فى هذا، فكثير منهم كان يأمر به، و نقل عن أبى ذر و طائفه أنهم منعوا عنه.. و إن قدحوا فى عمر لكونه نهى عنها، فأبوذر كان أعظم نهياً عنها من عمر، و كان يقول: إن المتعه كانت خاصّه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم و هم يتولّون أباً ذر و يعظّمونه. فإن كان الخطأ فى هذه المسأله يوجب القدح فينبغى أن يقدحوا فى أبى ذر، و إلا فكيف يقدح فى عمر دونه و عمر أفضل و أفقه و أعلم منه» (١).

أقول:

هذا الكلام ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: من قوله: «هب» إلى «و إن أراد بالتمتع فسخ الحج». و فيه:

أولاً: قوله: «هب أن عمر...» ظاهره التشكيك فى أصل تحريم عمر متعه الحج،

ص: ٤٧

و هذا ما سيصرّح به فى الجواب الثانى، و ستعرف كذبه.

و ثانياً: قوله: «قال قولاً خالفه فيه من الصحابه و التابعين» فيه:

١- أنه لم يقل قولاً، بل حكم حكماً و توعد من خالفه بالعقاب.

٢- أنه هو المخالف، لا أن غيره خالفه.

٣- أنه المخالف لله و للرسول، لا لغيره من الصحابه و التابعين....

فليظن العاقل المنصف: أليس فى هذا التعبير استهانه بالله و الرسول، و مخالفه لنصّ الكتاب و عمل النبى الكريم صلّى الله عليه و آله؟!!

و ثالثاً: ما رواه عن عمران بن حصين الصحابى-الذى نصّ ابن القيم على أنه أعظم من عثمان (١) و نصّ الحافظان ابن عبد البرّ و ابن حجر على أنه كان من فضلاء الصحابه و فقهاءهم، و ذكرا أنه كان يرى الحفظه و تكلمه و تسلّم عليه (٢)- من الإنكار على عمر منع التمتع، يعدّ من الأخبار القطعيّة الثابته، و لقد كان يؤكّد إنكاره و لم يزل يكرّره حتى فى مرض موته زمن معاويه، حيث كانت السنّه العمريه هى الجاريه بين المسلمين.

فقد أخرج مسلم: «عن مطرف قال: بعث إلى عمران بن حصين فى مرضه الذى توفى فيه فقال: إني محدّثك بأحاديث لعلّ الله أن ينفعك بها بعدى، فإن عشت فاكتم عليّ، و إن متّ فحدّث بها إن شئت، إنه قد سلّم عليّ، و اعلم أن نبى الله صلّى الله عليه و آله قد جمع بين حج و عمره، ثم لم ينزل فيها كتاب الله و لم ينه عنها نبى الله صلّى الله عليه و آله، فقال رجل برأيه فيها ما شاء» (٣).

قال الحافظ النووى بشرح أخبار إنكاره: «و هذه الروايات كلّها متفقّه على أن مراد عمران أن التمتع بالعمره إلى الحج جائز، و كذلك القران، و فيه التصريح بالإنكار على

ص: ٤٨

١- ١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ٢٠٨/١.

٢- ٢) الإستيعاب ١٢٠٨/٣، و أسد الغابه ١٣٧/٤.

٣- ٣) صحيح مسلم ٤٨/٤، صحيح البخارى ١٥٣/٢، مسند أحمد ٤٢٩/٤.

عمر بن الخطاب منع التمتع» (١).

و هذا التصريح بالإنكار مروى في الصحاح عن غير واحد من أعيان الصحابه:

منهم: أمير المؤمنين عليه السلام، أخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: «كان عثمان ينهى عن المتعه و كان على يأمر بها. فقال عثمان لعلى كلمه. ثم قال على: لقد علمت- يا عثمان- إنا متعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال عثمان: أجل» (٢).

و عن سعيد بن المسيب قال: «اجتمع على و عثمان بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعه و العمره. فقال له على: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا عنك. فقال على: إني لا أستطيع أن أدعك» (٣).

و في صحيح البخارى و سنن النسائى و البيهقى و مسند أحمد و غيرها- و اللفظ للأول- عن مروان بن الحكم قال: «شهدت عثمان و علياً و عثمان ينهى عن المتعه و أن يجمع بينهما. فلما رأى على أهل بهما: لبيك بعمره و حجه معاً. قال: ما كنت لأدع سنه النبي صلى الله عليه و آله لقول أحد» (٤).

و منهم: ابن عباس، فقد أخرج أحمد أنه قال: «تمتع النبي صلى الله عليه و آله فقال عروه بن الزبير: نهى أبو بكر و عمر عن المتعه. فقال ابن عباس: ما يقول عربيه!! قال:

يقول: نهى أبو بكر و عمر عن المتعه. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون؛ أقول: قال النبي، و يقولون: نهى أبو بكر و عمر» (٥).

و منهم: سعد بن أبى وقاص، أخرج الترمذى عن محمد بن عبد الله بن نوفل أنه

ص: ٤٩

١-١) المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٠٦/٨.

٢-٢) صحيح مسلم ٤٦/٤، صحيح البخارى: باب جواز التمتع.

٣-٣) مسند أحمد ١٣٦/١.

٤-٤) صحيح البخارى ١٥١/٢، مسند أحمد ٩٥/١.

٥-٥) مسند أحمد ٣٣٧/١.

سمع سعد بن أبي وقاص و الضحاك بن قيس - و هما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج - «فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا- من جهل أمر الله تعالى. فقال سعد: بئسما قلت يا ابن أخي؟ فقال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و صنعها معه. هذا حديث صحيح» (١).

و كذا أخرجه النسائي (٢).

منهم: أبو موسى الأشعري، أخرج أحمد: «إنه كان يفتى بالمتع. فقال له رجل:

رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في المتع، حتى لقيه أبو موسى بعد فسأله عن ذلك. فقال عمر: قد علمت أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قد فعله هو و أصحابه، و لكن كرهت أن يظّلوا بهن معرّسين في الأراك، ثم يروحون بالحج تقطر رؤوسهم» (٣).

و منهم: جابر بن عبد الله، أخرج مسلم و غيره عن أبي نضرة قال: «كان ابن عباس يأمر بالمتع، و كان ابن الزبير ينهى عنها. قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يدى دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله، فلمّا عمر قال: إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، و إن القرآن قد نزل منازل، فافصلوا حجكم من عمرتكم، و أبّتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتى برجل نكح امرأه إلى أجل إلا رجّمته بالحجارة» (٤).

و منهم: عبد الله بن عمر، أخرج الترمذى: «إن عبد الله بن عمر سئل عن متعه الحج. قال: هي حلال. فقال له السائل: إن أباك قد نهى عنها. فقال: أ رأيت إن كان أبى نهى عنها و صنعها رسول الله، أ أمر أبى نتبع أم أمر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله؟ فقال

ص: ٥٠

١- ١) سنن الترمذى ١٥٩/٢.

٢- ٢) سنن النسائي ١٥٢/٥-١٥٣.

٣- ٣) مسند أحمد ٥٠/١.

٤- ٤) صحيح مسلم ٣٨/٤، السنن الكبرى ٢١/٥، مسند أحمد ٥٠/١.

الرجل: بل أمر رسول الله. قال: لقد صنعها رسول الله» (١).

فظهر أنه لم يكن الذى كان من عمر «قولاً- خالفه فيه غيره من الصّحابه و التابعين» بل كان حكماً على خلاف القرآن و السنه النبويه، و لم يكن مجرد حكم بل هدد بالعقاب و الضرب و الرّجم لمن فعله، مع اعترافه بأن ما أتى به برأيه مخالف لمحكم التنزيل و ما أمر به الرسول و صنعه.

ثم إن عثمان و معاويه مشيا على بدعته تلك، و زادا فى التشدد على من لم يطع، حتى أصبح عمران بن حصين و أمثاله يكتمون السنه النبويه الشريفه خوفاً من السلطه الحاكمه.

و رابعاً: قوله: «فأهل السنّه... فهذا لا يرد عليهم» و اضح البطلان، فأهل السنّه متفقون على تعظيم أرباب البدع فى الدّين، و الاقتداء بهم فى الأصول و الفروع، و تقديمهم على الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أمر بتابعهم و التمسك بهم و الاهتداء بهديهم، و هم العتره الطاهره و أهل بيت النبوه عليهم السلام...

فالطعن وارد على المبدعين و أتباعهم.

و القسم الثانى، و هو من قوله: «و إن أراد بالتمتع فسوخ الحج إلى العمره...» يشتمل على أمور كلّها خارجه عن المقصود، إذ ليس (فسوخ الحج إلى العمره) مراداً لا- لعمر و عثمان و معاويه و غيرهم الذين حرّموا متعه الحج، و لا لأمير المؤمنين و غيره من عيون الصّحابه المدافعين عن السنّه النبويه و الدّاعين الناس إلى العمل بالكتاب و السنّه... و هذا واضح كلّ الوضوح من الروايات التى ذكرناها، فإن الموضوع فيها هو التمتع بالعمره إلى الحج، مضافاً إلى قول الصحابه: «صنعها رسول الله» و النبى صلّى الله عليه و آله لم يفسخ أبداً....

هذا تمام الكلام على جوابه الأوّل.

ص: ٥١

قال: «و يقال ثانياً: إن عمر رضى الله عنه لم يحرم متعه الحج، بل يثبت عنه أن الصبي بن معبد لما قال له: إني أحرمت بالحج و العمره جميعاً، فقال له عمر: هديت لسنة نبيك صلى الله عليه و آله. رواه النسائي و غيره. و كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأمر بالمتعه، فيقولون له: إن أباك نهى عنها. فيقول: إن أبى لم يرد ما تقولون، فإذا ألحوا عليه أن أباك نهى عنها، قال: أمر رسول الله أحق أن تتبعوا أم عمر؟ و قد ثبت عن عمر أنه قال: لو حججت لتمتعت.

و إنما كان مراد عمر رضى الله عنه أن يأمر بما هو أفضل، و كان الناس لسهوله المتعه تركوا العمره فى غير أشهر الحج، فأراد أن لا يعرى البيت طول السنه، فإذا أفردوا الحج اعتمروا فى سائر السنه، و الاعتماد فى غير أشهر الحج مع الحج فى أشهر الحج أفضل من المتعه، باتفاق الفقهاء الأربعة و غيرهم.

و لذلك قال عمر و على رضى الله عنهما أن يسافر للحج سفراً و للعمره سفراً، و إلا فهما لم ينشئا الإحرام من دويره الأهل، و لا فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و لا أحد من خلفائه.

و الإمام إذا اختار لرعيته الأمر الفاضل، فالأمر بالشىء نهى عن ضده. فكان نهيه عن المتعه على وجه الاختيار لا على وجه التحريم. و هو لم يقل: «أنا احرمها».

و قد قيل: إنه نهى عن الفسخ، و الفسخ حرام عند كثير من الفقهاء، و هو من مسائل الإجتهد، فالفسخ يحرمه أبو حنيفه و مالك و الشافعى، لكن أحمد و غيره من فقهاء الحديث لا يحرمون الفسخ، بل يستحبونه، بل يوجبه بعضهم، و لا يأخذون بقول عمر فى المسأله، بل بقول على و عمران بن حصين و ابن عباس و ابن عمر و غيرهم من الصحابه رضى الله عنهم» (1).

ص: ٥٢

أقول:

و هذا الكلام يتلخص في مطلبين:

أحدهما: «أن عمر لم يحرم متعه الحج» و هو لم يقل أنا أحرمهما» و إنما كان مراد عمر أن يأمر بما هو أفضل» و الإمام إذا اختار لرعيته الأمر الفاضل فالأمر بالشىء نهى عن ضده» فكان نهيه عن المتعه على وجه الاختيار لا على وجه التحريم».

و الثانى: «قيل إنه نهى عن الفسخ».

أمّا المطلب الثانى، فلا مورد له أصلاً كما تقدّم. و كأنه بنفسه ملتفت إلى سقوط هذا المطلب، لأنه ذكره تاره بعنوان «و إن أراد بالتمتع فسح الحج إلى العمره» و أخرى بعنوان «و قد قيل: إنه نهى عن الفسخ».

و أمّا المطلب الأول فهو كذب محض:

أما أولاً: فلأنه قد ثبت عن عمر قوله: «و أنا أحرمّهما و أعاقب عليهما» أو «أضرب عليهما». و قد ذكرنا جماعه ممن رواه من الأعلام فى كتبهم المعتمده فى العلوم المختلفه، و قد نصّ ابن القيم على ثبوت هذا القول من عمر.

و فى (المحلّى) رواه عن: أحمد بن محمد الطلمنكى بسنده عن أبى قلابه قال:

قال عمر بن الخطاب....

و (الطلمنكى) هذا هو الذى اعتمد ابن تيميه على روايته قصّه ضبّه بن محصن مع أبى موسى الأشعري.

و أمّا ثانياً: فلقوله فيما رواه جماعه ذكرنا بعضهم «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، و إن القرآن قد نزل منازل، فافصلوا حجكم من عمرتكم، فلن أوتى برجل نكح امرأه إلا رجتمه بالحجاره».

و أمّا ثالثاً: فلقول عبد الله بن عمر للشامى الذى سأله عن التمتع بالعمره إلى الحج: «هى حلال. فقال الشامى: إن أباك قد نهى عنها! فقال عبد الله بن عمر: رأيت إن

كان أبي نهى عنها و صنعها رسول الله...» (١).

و أمياً رابعاً: فلقول عمر: «و الله إنى لأنهاكم عن المتعه و إنها لفي كتاب الله، و لقد فعلها رسول الله صلى الله عليه و آله، يعنى العمره بالحج» (٢).

هذا؛ و لا- يعارض هذه الأخبار ما رواه عن النسائي عنه فى قصه الصبي بن معبد، لضعفه، و لا- ما ذكره عن عمر من قوله: «لو حججت لتمتعت» إذ لم يعرف راويه، و لا ما نسبه إلى عبد الله من قوله: «إن أبى لم يرد ما تقولون» مع أنه تحريف للحديث الوارد عنه فى الصحاح، و قد نقلناه آنفاً.

مضافاً إلى ما ذكره ابن كثير قال: «و كان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها: فيقول: خشيت أن يقع عليكم حجاره من السماء، قد فعلها رسول الله، أفسنه رسول الله تتبع أم سنه عمر بن خطاب»؟! (٣)

و لو سلمنا اعتبار هذه الأخبار الموضوعه قطعاً، أمكن الجمع بينها و بين الأخبار المتواتره بحملها على صدورها قبل صدر التحريم منه، فإن التمتع بالعمره إلى الحج كان يفتى به و يعمل كما أمر الله و رسوله به، حتى فتره من توليته أمر الخلافة، ثم حرّمه من بعد، يشهد به ما جاء عن أبى موسى الأشعري: أنه كان يفتى بالمتعه على عهد عمر.

فقال له رجل: رويدك، فإنك لا تدري ما أحدث عمر....

نعم، لقد (أحدث) عمر.. و ما أكثر ما أحدثوا! و لذا قال صلى الله عليه و آله: «إنه ليزادن عن الحوض رجال من أصحابى... فأقول: يا رب أصحابى! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك» (٤).

ص: ٥٤

١-١) صحيح الترمذى ١٥٩/٢.

٢-٢) صحيح النسائي ١٥٣/٥.

٣-٣) تاريخ ابن كثير ١٥٩/٥.

٤-٤) صحيح البخارى ١٩١/٥ و ١٩٥/٧، ٢٤٠، ٢٠٦ و ٢٠٧، ٨٧/٨.

و بالجمله.. فإن الرجل نهى عن المتعه هذه نهى تحريم، و إنكار ذلك من أى كان كذب.. و حينئذ، يسقط ما زعمه من أن مراد عمر كان كذا و كذا.. بل إن عمر قد ذكر بنفسه السبب الذى دعاه إلى النهى، حيث قال لأبى موسى، بعد اعترافه بالمخالفة لله و الرسول: «كرهت أن يظللوا بهنّ معرّسين فى الأراك ثم يروحون بالحج تقطر رؤوسهم».

و لقائل أن يقول: إن هذا الذى تذرّع به عمر هو ظاهر القضيّه، و أما فى الحقيقه، فإنه قد أراد إحياء سنّه الجاهليه؛ فإنهم (كانوا يرون العمره فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض) كما فى كتاب الحج من صحيح البخارى و صحيح مسلم.

و فى سنن البيهقى عن ابن عباس: «و الله ما أعمر رسول الله صلّى الله عليه و آله عائشه فى ذى الحجه إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك» (١).

و لذا صحّ عنه صلّى الله عليه و آله: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، و لو لا أن معى الهدى لأحللت. فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله هى لنا أو للأبىد؟ لا بل للأبىد» أخرجه أرباب الصحاح كلّهم، و عقد له البخارى فى صحيحه باباً.

هذا تمام الكلام فى متعه الحج بقدر ضروره.

و أما متعه النساء، فقد قال ابن تيميه ما نصّه:

«و أما متعه النساء المتنازع فيها، فليس فى الآيه نص صريح بحلّها، فإنه تعالى قال:

«وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِيَاتٍ غَيْرٍ مُّسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لَآ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَ مَنْ لَمْ يَشْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ . فقوله: «فَمَا

ص: ٥٥

إِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» يشمل كل من دخل بها، أما من لم يدخل بها فإنها لا تستحق إلا نصف المهر....

فإن قيل: في قراءة طائفه من السلف: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى.

قيل:

أولاً: ليست هذه القراءة متواتره، وغايتها أن تكون كأخبار الآحاد، ونحن لا ننكر أن المتعه أحلت في أول الإسلام، لكن الكلام في دلاله القرآن عليها.

الثاني: أن يقال: إن كان هذا الحرف نزل، فلا ريب أنه ليس ثابتاً من القراءة المشهوره، فيكون منسوخاً، و يكون لما كانت المتعه مباحه، فلما حرمت نسخ هذا الحرف، أو يكون الأمر بالإيتاء في الوقت تنبيهاً على الإيتاء في النكاح المطلق. و غايه ما يقال: إنهما قراءتان و كلاهما حق، و الأمر بالإيتاء في الاستمتاع إلى أجل واجب إذا كان ذلك حلالاً، و إنما يكون ذلك إذا كان الاستمتاع إلى أجل مسمى حلالاً. و هذا كان في أول الإسلام، فليس في الآية ما يدل على أن الإستماع بها إلى أجل مسمى حلال، فإنه لم يقل: و أحل لكم أن تستمتعوا بهن إلى أجل مسمى. بل قال: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» فهذا يتناول ما وقع من الاستمتاع سواء كان حلالاً أم وطى شبهه، و لهذا يجب المهر في النكاح الفاسد بالسنة و الاتفاق، و المتمتع إذا اعتقد حل المتعه و فعلها فعليه المهر، و أما الاستمتاع المحرم فلم تتناوله الآية، فإنه لو استمتع بالمرأه من غير عقد مع مطاوعتها لكان زنا و لا مهر فيه، و إن كانت مستكرهه، ففيه نزع مشهور.

و أما ما ذكره من نهى عمر عن متعه النساء، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه و آله أنه حرّم متعه النساء بعد الإحلال. هكذا رواه الثقات في الصحيحين و غيرهما عن الزهري عن عبد الله و الحسن ابني محمد بن الحنفية، عن أبيهما محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه أنه قال لابن عباس رضی الله عنه لما أباح المتعه: إنك

ص: ٥٦

امرؤ تائه، إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرَّمَ الْمَتْعَةَ وَلَحُومَ الْحَمْرِ الْأَهْلِيَّةِ عَامٍ خَيْرٍ.

رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة و أحفظهم لها أئمة الإسلام في زمنهم، مثل مالك بن أنس و سفيان بن عيينه و غيرهما، ممن اتفق على علمهم و عدلهم و حفظهم، و لم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح يتلقى بالقبول، ليس في أهل العلم من طعن فيه.

و كذلك ثبت في الصحيح أنه حَرَّمَهَا فِي غَزَاهُ الْفَتْحِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ....

و روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي.

فأهل السنة يتبعون عمر و علياً رضي الله عنهما و غيرهما من الخلفاء الراشدين، فيما رووه عن النبي صلى الله تعالى عليه و سلم، و الشيعة خالفوا علياً فيما رواه عن النبي صلى الله عليه و آله و اتبعوا قول من خالفه.

و أيضاً: فإن الله تعالى إنما أباح في كتابه الزوجه و ملك اليمين، و المتمتع بها ليست واحده منهما، فإنها لو كانت زوجة لتوارثا، و لوجب عليها عده الوفاء، و لحقها الطلاق الثلاث. فإن هذه أحكام الزوجه في كتاب الله تعالى، فلما انتفى عنها لوازم النكاح دلّ على انتفاء النكاح، لأن انتفاء اللّازم يقتضى انتفاء الملزوم.. فتكون حراماً بنص القرآن..» (1).

أقول:

و يتلخص كلام ابن تيميه هنا في نقاط:

١- الآيه الكريمة لا تدلّ على حلّيه نكاح المتعه.

٢- النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرَّمَ الْمَتْعَةَ بَعْدَ الْإِحْلَالِ.

ص: ٥٧

٣- أن الله أباح الزوجه و ملك اليمين و حرّم ما عداهما، و المتمتع بها ليست بزوجه، لانتفاء لوازم النكاح فيها. فالمتعّه حرام.

و لا بدّ من توضيح الحال، و ذكر دلائل الصّدق في كلام العلامه في فصول:

الفصل الأول:

حقيقه هذا النكاح هي: أن تزوّج المرأه الحرّه الكامله نفسها من الرجل المسلم، بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى فيقبل الرجل ذلك، و يعبّر عنه بالنكاح المؤقت، و يعتبر فيه جميع ما يعتبر في النكاح الدائم، من كون العقد جامعاً لجميع شرائط الصحه، و عدم وجود المانع من نسب أو سبب و غيرهما، و يجوز فيه الوكاله كما تجوز في الدائم، و يلحق الولد بالأب كما يلحق به فيه، و تترتب عليه سائر الآثار المترتبه على النكاح الدائم، من الحرمة و المحرميه و العده... إلا أن الافتراق بينهما يكون لا بالطلاق بل بانقضاء المدّه أو هبتها من قبل الزوج، و أن العده إن لم تكن في سنّ اليأس الشرعي قرءان إن كانت تحيض و إلا- فخمسه و أربعون يوماً، و أنه لا توارث بينهما، و لا نفقه لها عليه. و هذه أحكام دلّت عليها الأدله الخاصه، و لا تقتضى أن تكون متعه النساء شيئاً في مقابل النكاح مثل ملك اليمين.

هذه حقيقه متعه النساء.

و لا خلاف بين المسلمين في أن (المتعّه نكاح)، نصّ على ذلك القرطبي و ذكر طائفه من أحكامها حيث قال: «لم يختلف العلماء من السلف و الخلف أن (المتعّه نكاح إلى أجل) لا ميراث فيه، و الفرقه تقع عند انقضاء الأجل من غير طلاق». ثم نقل عن ابن عطيه كيفيه هذا النكاح و أحكامه (١).

و كذا الطبري في تفسير الآيه، حيث نقل عن السدي: «هذه هي المتعه، الرجل

ص: ٥٨

ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى...» (١).

و بالجمله، فإنه لا خلاف بين المسلمين في أن هذا الفعل نكاح، و أنه مشروع بالضرورة من دين الإسلام... و هذا أمر لا ينكره ابن تيميه.

الفصل الثاني:

إنه يدل على مشروعيه هذا النكاح قبل الإجماع: الكتاب و السنه.

أما الكتاب، فقد ورد في خصوص هذا النكاح قوله تعالى: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» (٢). و قد قال جماعه من كبار الصحابه و التابعين المرجوع إليهم في قراءه القرآن و أحكامه، بنزول هذه الآيه في المتعه و دلالتها عليها، حتى أنهم كانوا يقرأون الآيه: فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ.. و كتبوها كذلك في مصاحفهم... فتكون نصاً في المتعه. و من هؤلاء: عبد الله بن عباس، و أبي بن كعب، و عبد الله بن مسعود، و جابر بن عبد الله، و أبو سعيد الخدرى، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و السدى، و قتاده....

فراجع: الطبرى، و القرطبي، و ابن كثير، و الكشاف، و الدر المنثور... بتفسير الآيه المباركه... و راجع أيضاً: أحكام القرآن للجصاص، و سنن البيهقي، و شرح صحيح مسلم بن الحجاج، و المغنى لابن قدامه (٣).

بل ذكروا عن ابن عباس أنه قال: «و الله لأنزلها الله كذلك. ثلاث مرات».

و عنه و عن أبي التصريح بأنها غير منسوخه....

بل نصّ القرطبي على أن دلالتها على نكاح المتعه هو قول الجمهور، و هذه

ص: ٥٩

١- ١) تفسير الطبرى ١٨/٥.

٢- ٢) سورة النساء: ٢٤.

٣- ٣) احكام القرآن ١٨٥/٢، سنن البيهقي ٢٠٥/٧، شرح صحيح مسلم ١٧٩/٩، المغنى ٥٧١/٧.

عبارته: «و قال الجمهور: المراد نكاح المتعه الذي كان في صدر الإسلام».

لكن ابن تيميه أبهم الكلام لغرض التغطية على الواقع فقال:

«فإن قيل: ففي قراءة طائفه من السلف، فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى».

لكن ليس قراءة طائفه منهم فحسب، بل إنها قراءة الأئمه المرجوع إليهم في القرآن، فإنهم قرءوا و فسّروا الآيه كذلك، و قال الجمهور- لا طائفه من السلف فقط- بأن «المراد نكاح المتعه» فسقط قوله: «لكن الكلام في دلالة القرآن على ذلك».

على أن ابن عباس و ابناً و غيرهما نصّوا على أن الآيه غير منسوخه، و بقوا على حلّيه المتعه حتى وفاه النبي صلّى الله عليه و آله و حتى زمن معاويه، فسقط قوله:

«فيكون منسوخاً و يكون لما كانت المتعه مباحه، فلما حرّمت نسخ هذا الحرف».

فظهر سقوط دعواه أن الآيه الكريمة لا تدلّ على حلّيه نكاح المتعه.

الفصل الثالث:

إنه يدلّ من السنّه على مشروعّيه هذا النكاح: الأحاديث الكثيره المستفيضه المخرّجه في الصحاح و غيرها، و نحن نكتفي بإيراد واحد منها، أخرجه الشيخان و أحمد و غيرهم، عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نغزو مع رسول الله صلّى الله عليه و آله ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأه بالثوب إلى أجل. ثم قرأ عبد الله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» (١).

و لا يخفى ما يقصده ابن مسعود من قراءة الآيه بعد نقله الحديث، فإنه كان من المنكرين للتحريم و من القائلين بحلّيه المتعه.

ص: ٦٠

١-١) صحيح البخارى: ١٨٩/٥ و ١١٩/٦، صحيح مسلم: ١٣٠/٤، مسند أحمد ٤٥٠، ٤٣٢، ١/٤٢٠.

إنه قد ثبت نهى عمر عن نكاح المتعه، فقد ثبت عنه أنه قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما: متعه الحج و متعه النساء».

و عن عطاء عن جابر بن عبد الله: «استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و أبى بكر و عمر، حتى إذا كان فى آخر خلافه عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأه - سماها جابر فنسيتها - فحملت المرأه، فبلغ ذلك عمر فدعاها فسألها فقالت: نعم. قال:

من أشهد؟ قال عطاء: لا أدرى قالت: أمى أم وليها. قال: فهلاً غيرها. فذلك حين نهى عنها» (١).

و مثله أخبار أخرى، و قد جاء فيها التهديد بالرجم (٢).

فظهر أولاً: أن عمر بن الخطاب هو أول من نهى عن المتعه و ذلك فى آخر أيامه، فلا النبى صلى الله عليه و آله نهى عنها، و لا أبو بكر، و لا عمر... حتى أواخر أيامه. و فى خبر: أن رجلاً قدم من الشام، و مكث مع امرأه ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه خرج، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فأرسل إليه فقال: «ما حملك على الذى فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله ثم لم ينهانا عنه حتى قبضه الله، ثم مع أبى بكر فلم ينهانا حتى قبضه الله، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً. فقال عمر: أما و الذى نفسى بيده لو كنت تقدّمت فى نهى لرجمتك» (٣).

و ثانياً: إنه فى جميع الأخبار ينسبون النهى إلى عمر، فيقولون: «نهى عنها عمر» و «قال رجل برأيه ما شاء»، و لا يوجد فى شىء من الأخبار نسبة النهى إلى رسول الله

١- ١) المصنف ٤٩٧/٧، صحيح مسلم ١٣١/٤، مسند أحمد ٣/٣٠٤، سنن البيهقى ٢٣٧/٧، فتح البارى.

٢- ٢) المصنف ٥٠٣/٧، الموطأ، سنن البيهقى ٢١/٥ و ٢٠٦/٧، الدر المنثور ١٤١/٢، كنز العمال ٥١٩/١٦ و ٥٢٠ و ٥٢٢.

٣- ٣) كنز العمال ٥٢٢/١٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ. وَ لَوْ كَانَ ثَمَّ نَهَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَا كَانَ لِنَسَبِهِ النَّهْيُ وَ مَا تَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْآثَارِ الْفَاسِدَةِ إِلَى عَمْرٍ وَجْهَ أَصْلًا.

وَ قَدْ جَاءَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ لَا أَنَّ عَمْرًا نَهَى عَنِ الْمَتَعَةِ مَا زَنَى إِلَّا شَقِيًّا» (١).

وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَا كَانَتِ الْمَتَعَةُ إِلَّا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ، وَ لَوْ لَا نَهَى عَمْرًا عَنْهَا مَا زَنَى إِلَّا شَقِيًّا» (٢).

وَ لِهَذَا جَعَلُوا تَحْرِيمَ الْمَتَعَةِ مِنْ أَوْلِيَاتِهِ (٣).

بَلْ إِنْ عَمِرَ نَفْسَهُ يَقُولُ: «مَتَعْتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، وَ أَنَا أَنْهَيْتُهُمَا» فَلَا يَخْبِرُ عَنْ نَهْيِ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَ إِنَّمَا يَنْسَبُ النَّهْيَ إِلَى نَفْسِهِ وَ يَتَوَعَّدُ بِالْعِقَابِ.

بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ الرَّجُلَ الشَّامِيَّ لَمَّا أَجَابَهُ بِمَا سَمِعْتَ، بَلْ لَمَّا قَالَ لَهُ: «ثُمَّ مَعَكَ فَلَمْ تُحَدِّثْ لَنَا فِيهِ نَهْيًا» اعْتَرَفَ بِعَدَمِ النَّهْيِ مُطْلَقًا حَتَّى تَلْكَ السَّاعَةَ.

وَ لَا يَخْفَى مَا تَدَلَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ (تَحَدَّثْ)!

وَ ثَالِثًا: إِنْ السَّبَبُ فِي نَهْيِ عَمْرِ قَضِيَّةَ عَمْرٍ وَ بَنِ حَرِيثٍ أَوْ قَضِيَّةَ أُخْرَى تَشْبِهُهَا..

فَلَعَلَّهُ أَيْضًا لَمْ يَنْهَ عَنْهَا لَوْ لَا وَقُوعَ تَلْكَ الْقَضِيَّةِ وَ نَحْوَهَا..

وَ رَابِعًا: إِنَّهُ وَ إِنْ تَابَعَ عَمْرٌ فِي تَحْرِيمِهِ بَعْضَ السَّيْلِفِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، لَكِنْ ثَبِتَ عَلَى الْقَوْلِ بِحَلْيِهِ الْمَتَعَةَ تَبَعًا لِلْقُرْآنِ وَ السُّنَّةِ، أَعْلَامَ الصَّحَابَةِ، وَ عَلَى رَأْسِهِمْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «وَ قَدْ ثَبِتَ عَلَى تَحْلِيلِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّيْلِفِ. مِنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ: أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَ ابْنُ عَبَّاسٍ،

ص: ٦٢

١-١) الطبري، النيسابوري، الرازي، الدر المنثور، بتفسير الآيه المباركه.

٢-٢) تفسير القرطبي ١٣٠/٥.

٣-٣) تاريخ الخلفاء: ١٣٧.

و معاويه بن أبى سفيان، و عمرو بن حريث، و أبو سعيد الخدرى، و سلمه و معبد ابنا أميّه بن خلف. و رواه جابر عن جميع الصحابه مدّه رسول الله و مدّه أبى بكر و عمر إلى قرب آخر خلافه عمر».

قال: «و من التابعين: طاووس و عطاء و سعيد بن جبير و سائر فقهاء مكه أعزّها الله..» (١).

هذه عباره ابن حزم الذى طالما اعتمد عليه ابن تيميه فى كتابه. و لم يذكر ابن حزم عمران بن الحصين و بعض الصحابه، و ذكر ذلك القرطبى و أضاف عن ابن عبد البر قوله: «أصحاب ابن عباس من أهل مكه و اليمن كلهم يرون المتعه حلالاً على مذهب ابن عباس» (٢).

و من أشهر فقهاء مكه القائلين بالحليه: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكى المتوفى سنه ١٤٩، و هو من كبار الفقهاء و أعلام التابعين و ثقات المحدثين و من رجال الصحيحين، فقد ذكروا أنه تزوّج نحواً من تسعين امرأه بنكاح المتعه.

و ذكر ابن خلكان: أن المأمون أمر أيام خلافته بأن ينادى بحليّه المتعه. قال: فدخل عليه محمد بن منصور و أبو العيناء فوجداه يستاك و يقول و هو متغيظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله و عهد أبى بكر و أنا أنهى عنهما. قال: و من أنت يا جُعَل حتى تنهى عمّا فعله رسول الله و أبو بكر. فأراد محمد بن منصور أن يكلمه، فأوماً إليه أبو العيناء و قال:

رجل يقول فى عمر بن الخطاب ما يقول، نكلمه نحن؟ و دخل عليه يحيى بن أكثم فخلا- به و خوّفه من الفتنة، و لم يزل به حتى صرف رأيه (٣).

فظهر بذلك سقوط دعوى أن النبى صلّى الله عليه و آله حرّم المتعه بعد الإحلال.

ص: ٦٣

١- ١) المحلى ٥١٩/٩-٥٢٠.

٢- ٢) تفسير القرطبى ١٣٣/٥.

٣- ٣) وفيات الأعيان ١٤٩/٦.

إنه لا- يبقى ريب لدى العاقل المنصف، بعد الوقوف على ما ذكرنا، في أن ما رووه عن الزهري عن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما... موضوع مختلف... لكنه لما كان مخزجاً في الصحيحين وغيرهما، فلا بد من زياده توضيح بالبحث في جهات:

أولاً: بالنظر إلى الأدلة المتقدمه:

فبالنظر إلى ما ذكرنا في الفصول السابقه يظهر بطلان هذا الحديث و ذلك:

١- لأن أمير المؤمنين عليه السلام و أهل البيت كانوا على حليته المتعه، وقد تبعهم شيعتهم على القول بذلك حتى اليوم.

٢- لأن ابن عباس رضى الله عنه كان على القول بحليته المتعه حتى آخر أيامه، و هذا أمر ثابت، و به صرحت الروايات- و من روايه الزهري أيضاً:-

أخرج مسلم في باب نكاح المتعه عن عروه بن الزبير: «أن عبد الله بن الزبير قام بمكه فقال: إن أناساً- أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم- يفتون بالمتعه، يعرض برجل، فناده فقال: إنك لجلف جاف. فلعمري، لقد كانت المتعه تفعل في عهد إمام المتقين- يريد رسول الله صلى الله عليه و آله- فقال له ابن الزبير: فجرّب بنفسك، و الله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك.

قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله: أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعه فأمره بها. فقال له أبو عمره الأنصاري: مهلاً. قال: ما هي؟ و الله لقد فعلت في عهد إمام المتقين» (١).

و ابن عباس هو الرجل المعروض به، و كان قد كُفَّ بصره، فلذا قال ابن الزبير:

أعمى أبصارهم!

ص: ٦٤

و أخرج مسلم فى الباب المذكور و أحمد و غيرهما حديث أبى نصره قال: «كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس و ابن الزبير اختلفا فى المتعتين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثم نهانا عمر...» (١).

و هذا إنما كان فى زمن حكمه ابن الزبير بمكة، أى بعد حوالى عشرين سنة من وفاه أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ثبت أن ابن عباس كان مستمراً القول على جوازها و تبعه فقهاء مكة كما عرفت، و لا يجوز نسبة القول بما يخالف الله و الرسول و أمير المؤمنين إلى ابن عباس، لو كان النبى حرم و الإمام أبلغه حقاً؟

٣- لأن عمر بن الخطاب نفسه معترف بأنه هو الذى حرم ما كان حلالاً على عهد النبى صلى الله عليه و آله، و الصحابه كلهم بقوا على الحلته، و قد نسبوا كلهم التحريم إلى عمر.

أقول:

و بهذه الوجوه يسقط أيضاً كل ما رووه فى هذا الباب من التحريم فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله، كالحديث فى أنه حرمها فى غزاه فتح مكة، و كالحديث فى تحريمه فى قصه أخرى غير خيبر و الفتح.

فإن هذه الأحاديث -بغض النظر عما فى أسانيدها واحداً واحداً. فمثلاً الحديث الذى دل على التحريم فى فتح مكة، و الذى استند إليه ابن تيميه و قال: «و كذلك ثبت فى الصحيح أنه حرمها فى غزاه الفتح إلى يوم القيامة» غير صحيح سنداً، كما سيأتى عن تلميذه ابن القيم، و كذلك الحديث فى تحريمه فى تبوك كما سيأتى عن ابن حجر -باطله بالوجوه المذكوره، فإنها تقتضى أن لا يكون تحريم، لا فى عهد النبى و لا فى عهد أبى بكر و لا فى عهد عمر حتى أخريات أيامه.

ص: ٦٥

و باطله أيضاً بالتعارض الموجود فيما بينها، حتى اضطرب القوم-الذين يرون صحتها-في كيفية جمعها و تضاربت كلماتهم، فاضطروا إلى القول بأن المتعه أحلت ثم حرمت ثم أحلت ثم حرمت... فعنون مسلم «باب نكاح المتعه و بيان أنه أبيض ثم نسخ ثم أبيض ثم نسخ و استقرّ حكمه إلى يوم القيامة» لكن الأخبار لم تنته بذلك، بل جاءت بالتحليل و التحريم حتى سبعة مواطن كما زعم القرطبي (١). و هذا ما دعا ابن القيم-تلميذ ابن تيميه-إلى أن يقول: «و هذا النسخ لا عهد بمثله في الشريعة ألبته، و لا يقع مثله فيها» (٢).

كما أن خصوص خبر الزهري عن ابني محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام في التحريم، مروى عندهم بنفس هذا السند، و في بعضها أن التحريم كان في خيبر، و في آخر كان في فتح مكة، و في ثالث في حجة الوداع... و سترى.

و ثانياً: بالنظر إلى متنه. فيظهر كذبه أيضاً، و ذلك:

١- لأنه قال: «إنك امرؤ تائه! إن رسول الله نهى عنها يوم خيبر و عن أكل لحوم الحمير الإنسيه».

و قد قال ابن حجر بشرحه عن السيِّهيلي: «و يتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال، لأن فيه النهي عن نكاح المتعه يوم خيبر. و هذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير و رواه الأثر» (٣).

و قال العيني في شرحه: «قال ابن عبد البر: و ذكر النهي عن المتعه يوم خيبر غلط» (٤).

ص: ٦٦

١- ١) تفسير القرطبي ١٣١/٥.

٢- ٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ١٨٤/٢.

٣- ٣) فتح الباري ١٣٨/٩.

٤- ٤) عمده القارى ٢٤٦/١٧-٢٤٧.

و قال القسطلانى بشرحه: «و قال البيهقى: لا يعرفه أحد من أهل السير» (١).

و سيأتى ما قال ابن القيم تلميذ ابن تيميه فى هذه المسأله.

و بهذا يسقط عن الاعتبار كلّ حديث اشتمل على تحريم المتعه فى خير، كهذا الذى اتفقوا على روايته.

و كذا ما أخرجه مسلم فى باب نكاح المتعه، و أحمد فى مسنده بسند فيه الزهري أيضاً، عن سبره قال: «نهى رسول الله عن متعه النساء يوم خير» (٢).

و ما أخرجه البخارى فى كتاب النكاح بسنده عن الزهري أيضاً: «حدّثنا مالك بن إسماعيل قال: حدّثنا ابن عيينه أنه سمع الزهري يقول: أخبرنى الحسن بن محمد بن على و أخوه عبد الله عن أبيهما أن عليّاً قال لابن عباس: إن النبى صلّى الله عليه و آله نهى عن المتعه و عن لحوم الحمر الأهليه زمن خير» (٣).

و ما فى الترمذى (٤) و فى النسائى لكن مع إبهام ابن عباس!! فقال: «عن أبيهما أن عليّاً بلغه أن رجلاً لا يرى بالمتعه بأساً، فقال: إنك تائه، إنه نهانى رسول الله صلّى الله عليه و آله عنها و عن لحوم الحمر الأهليه يوم خير» (٥).

و ما فى المسند عن الزهري عنهما قال: و كان حسن أرضاهما فى أنفسنا: «إن عليّاً قال لابن عباس: إن رسول الله صلّى الله عليه و آله نهى عن نكاح المتعه و عن لحوم الحمر الأهليه زمن خير» (٦).

ص: ٦٧

١- ١) إرشاد السارى ٥٣٦/٦ و ٤١١/٨.

٢- ٢) صحيح مسلم ١٣٤/٤.

٣- ٣) صحيح البخارى ١٢٩/٦.

٤- ٤) سنن الترمذى ١٦٣/٣.

٥- ٥) سنن النسائى ١٢٥/٦-١٢٦.

٦- ٦) مسند أحمد ٧٩/١.

و ما أخرجه مالك عن الزهري عن عبد الله و الحسن عن أبيهما محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: «نادى منادى رسول الله يوم خيبر: ألا إن الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله ينهاكم عن المتعة» (١).

و كذا غيرها مما أخرجه في صحاحهم و مسانيدهم..

و كل هذا باطل بالإجماع كما عرفت.

و قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية: «و قصه خير لم يكن فيها الصحابه يتمتعون باليهوديات، و لا استأذنوا في ذلك رسول الله، و لا نقله أحد قط في هذه الغزوه، و لا كان للمتعه فيها ذكر ألبته، لا فعلاً و لا تحريماً» (٢).

و بما ذكرنا يظهر أن قول ابن تيمية: «و قد تنازع رواه حديث علي.. لا- يحل مشكلتهم، لأنها محاوله فاشله. قال ابن كثير: «و قد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي، بأنه وقع فيه تقديم و تأخير... و إلى هذا التقرير كان ميل شيخنا أبي الحجاج المزى. و مع هذا، ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحتها» (٣).

و أيضاً: فقول ابن تيمية: «و روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي» مردود بأنه حديث مكذوب عليه، و قد نصّ ابن كثير أيضاً على أنه ما رجع.

و قال ابن حجر عن ابن بطلال: «و روى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفه» (٤).

كما وضعوا عن جابر أيضاً حديثاً في تحريم النبي صلى الله عليه و آله المتعه في غزوه تبوك. و قد نصّ ابن حجر على أنه «لا يصح، فإنه من طريق عباد بن كثير،

ص: ٦٨

١- ١) الموطأ ٧٤/٢ بشرح السيوطي.

٢- ٢) زاد المعاد ١٨٤/٢.

٣- ٣) تاريخ ابن كثير ٢٢٠/٤.

٤- ٤) فتح الباري ١٣٩/٩.

و هو متروك» (١).

٢- لأنه معارض بما أخرجه الشيخان عن الحسن بن محمد عن سلمه و جابر:

ففى صحيح مسلم: «عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن سلمه بن الأكوع و جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه و آله أتانا فأذن لنا فى المتعه» (٢).

و فى صحيح البخارى عن عمرو عن الحسن بن محمد، عن جابر بن عبد الله و سلمه بن الأكوع، قال: «كنا فى جيش، فأتانا رسول رسول الله صلى الله عليه و آله أنه أذن لكم أن تستمتعوا» (٣).

و هل يعقل أن يروى الرجل عن هذين الصحابين حكم تحليل عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا يروى عنهما أو لم يخبراه النسخ بالتحريم لو كان؟!

٣- لأنه معارض بما رواه الزهرى عن عبد الله أنه نهى عنها فى تبوك، فقد جاء فى المنهاج: «و ذكر غير مسلم عن على: أن النبى نهى عنها فى غزوه تبوك من روايه إسحاق بن راشد، عن الزهرى، عن عبد الله بن محمد بن على، عن أبيه عن على».

قال نقلاً عن القاضى عياض: «و لم يتابعه أحد على هذا. و هو غلط منه» (٤).

أقول: فهذا غلط. و ما رواه من النهى عنها فى خيبر غلط كذلك.

٤- لأنه معارض بما رواه الطبرانى: «عن محمد بن الحنفية: قال تكلم على و ابن عباس فى متعه النساء، فقال له على: إنك رجل تائه، إن رسول الله نهى عن متعه النساء فى حجه الوداع» (٥).

ص: ٦٩

١- ١) فتح البارى ١٣٩/٩.

٢- ٢) صحيح مسلم ١٣٠/٤-١٣١.

٣- ٣) صحيح البخارى ١٢٩/٦.

٤- ٤) المنهاج فى شرح صحيح مسلم ١٨٠/٩.

٥- ٥) المعجم الأوسط ٣٤٥/٥، مجمع الزوائد ٢٦٥/٤.

و رواه الهيثمى عن الطبرانى فى الأوسط و قال: «رجالہ رجال الصحيح» لكن تعقبه بقوله: «قلت: فى الصحيح: النهى عنها يوم خبير» (١).

٥- لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول بمتعه الحج قطعاً كما عرفت بالتفصيل، لكنهم وضعوا عن عبد الله و الحسن ابني محمد خلاف ذلك، ففي سنن البيهقي بسنده: «عن عبد الله و الحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: يا بني أفرد بالحج فإنه أفضل» (٢).

فكما هذا كذب، كذلك حديث الزهري عنهما هنا كذب! و كما أن ما وضعوه عن ابن مسعود و جابر-المستمزين فى القول بالجواز حتى بعد زمان عمر- كذب كما عرفت، كذلك حديث الزهري.

و ثالثاً: بالنظر إلى سنده. و هو بالنظر إلى سنده أيضاً كذب و باطل، و ذلك:

١- لأن مداره على (الزهري) و قد عرفت سابقاً القدح و الطعن فيه بما يوجب الإعراض عما يرويه، و لا سيما فيما يخص علياً عليه السلام و بنيه.. فلا نعيد.

٢- و لأن مدار حديث (الزهري) على (عبد الله) و (الحسن) ابني محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى عليه.

أمّا (عبد الله)، فقد ذكروا أنه (كان شيعياً يجمع أحاديث السبائيه).

و أمّا (الحسن)، (فكان مرجئاً). أنظر ترجمتهما فى (تهذيب التهذيب) (٣) و غيره.

فكيف يستدلّ الرجل بحديث يرويه مرجئ، و قد نسبوا إلى النبي صلّى الله عليه و آله أنه قال: «صنفان من أمتي ليس لهما فى الإسلام نصيب: المرجئ و القدرية» (٤).

ص: ٧٠

١- ١) مجمع الزوائد ٢٦٥/٤.

٢- ٢) سنن البيهقي ٥/٥.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٢٧٦/٢ و ١٥/٦.

٤- ٤) صحيح الترمذى ٣٠٨/٤.

و آخر شيعي، و هم ما زالوا يطرحون أحاديث الرجل إذا رمى بالتشيع؟

فإن قلت: لعله يستند إلى هذا الحديث ليكون أبلغ في الحججه على الإماميه؟

قلت: كيف، و الراوى عنهما من أبغض الناس و أشدهم انحرافاً عن أمير المؤمنين صَلَّى الله عليه و آله؟

الفصل السادس:

إنه لا- يبقى ريب لدى العاقل المنصف بعد الوقوف على ما ذكرنا، في بطلان القول بأن: «المتمتع بها ليست بزوجه، لا تنفء لوازم النكاح فيها فالمتع حرام».

لأن المتعه (نكاح) قد ورد به الكتاب و السنه، و عمل به الأصحاب في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و عهد أبي بكر و عهد عمر، حتى حرّمه عمر في أخريات أيامه (لرأى رآه) في قصه (عمر و بن حريث الصحابي) أو غيره....

و أنت تجد التعبير عن ذلك بالنكاح و التزوج، و عن المستمتع بها بأنها (زوجه) في الأحاديث.. إلا أنه موقت، و يختلف عن الدائم في بعض الأحكام على اختلاف في بعضها، كالتوارث- مثلاً- حيث ذهب بعض الإماميه إلى ثبوته، كما لا يخفى على من راجع كتبهم في الفقه، مع مجامعته له في أكثرها، و من الواضح أن الأحكام قد تختلف بحسب الأدله، و ليست هي بلوازم حتى لا تقبل التخلف..

قال الزمخشري: «فإن قلت: هل فيه دليل على تحريم المتعه؟ قلت: لا، لأن المنكوحه بنكاح المتعه من جمله الأزواج إذ صح النكاح» (١).

و قال ابن عبد البر: «أجمعوا على أن المتعه نكاح لا إسهاد فيه، و أنه نكاح إلى أجل يقع فيه الفرقة بلا طلاق، و لا ميراث بينهما» (٢).

ص: ٧١

١- (١) الكشاف في تفسير القرآن ٢٦/٣-٢٧.

٢- (٢) تفسير القرطبي ١٣٢/٥.

و هناك كلمات تقدّمت.

و هذا ما لا- ريب فيه لأحد، و لذا لم نجد الإستدلال بانتفاء بعض الأحكام، فى كلمات عمر و لا غيره ممن تابعه فى النهى و التحريم.. و إنما حاول أتباعه فيما بعد أن يدافعوا عن عمر، فقال أكثرهم: بأن التحريم كان من النبى صَلَّى الله عليه و آله لا من عمر.. و قد عرفت بطلان هذه الدعوى و أنه ليس لها جدوى..

و كأنّ بعضهم قد التفت إلى بطلان ذلك، فاعترف بأن عمر هو المحرّم، لكن الواجب متابعتة!!

قال ابن القيم: «فإن قيل: فما تصنعون بما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقبضه من التمر و الدقيق الأيام على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبى بكر، حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث. و فيما ثبت عن عمر أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أنا أنهى عنهما: متعه النساء و متعه الحج؟ قيل: الناس فى هذا طائفتان:

طائفه تقول: إن عمر هو الذى حرّمها و نهى عنها، و قد أمر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون، و لم تر هذه الطائفه تصحيح حديث سبره بن معبد فى تحريم المتعه عام الفتح، فإنه من روايه عبد الملك بن الربيع بن سبره عن أبيه عن جدّه، و قد تكلم فيه ابن معين، و لم ير البخارى إخراج حديثه فى صحيحه مع شدّه الحاجه إليه و كونه أصلاً من أصول الإسلام، و لو صح عنده لم يصبر عن إخراجها و الإحتجاج به.

قالوا: و لو صح حديث سبره لم يخف على ابن مسعود، حتى يروى أنهم فعلوها و يحتج بالآيه.

قالوا: و أيضاً، فلو صحّ لم يقل عمر: إنها كانت على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أنا أنهى عنها و أعاقب عليها، بل كان يقول: إنه صَلَّى الله عليه و آله حرّمها و نهى عنها.

قالوا: لو صح لم تفعل على عهد الصديق و عهده عهد خلافه النبوه حقاً.

و الطائفه الثانيه: رأت صحه حديث سبره، و لو لم يصح فقد صحّ حديث على: إن رسول الله صلّى الله عليه و آله حرّم متعه النساء. و وجب حمل حديث جابر على أن الذى أخبر منه بفعلها لم يبلغه التحريم، و لم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلمّا وقع فيها النزاع ظهر تحريمها و اشتهر. و بهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها. و بالله التوفيق» (١).

قلت:

بما ذكرنا من الوجوه الكثيره على بطلان حديث الزهرى عن على عليه السلام و بما ذكره هو من الوجوه لقول الطائفه الأولى، و وضوح بطلان حمل حديث جابر على ما ذكره، و كيف يصدق هذا الحمل؟ و قد كان من أحاديثهم فى الباب أنه نادى منادى رسول الله فى خيبر بالتحريم؟ يظهر أن الحق مع الطائفه الأولى.. لكن من الواضح أنه يصعب عليهم الاعتراف بأن تحريم عمر بدعه فى الدين، فاضطروا إلى التمسك بالحديث الباطل المفترى «عليكم بسنتى و سنه الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى» هذا الحديث الذى ظهر كذبه حتى أفصح بعض حفاظهم - كالحافظ ابن القطان - عن ذلك و نصّ على بطلانه.

و كأنّ آخرين لا يجدون بداً من الاعتراف بثبوت التحريم عن عمر، فادّعوا أن تحريمه كان مستنداً إلى ثبوت النسخ عنده عن النبى صلّى الله عليه و آله.

قال الرازى بعد نقل قول عمر: «متعتان كانتا..». «فلم يبق إلا أن يقال: كان مراده أن المتعه كانت مباحه فى زمن الرسول صلّى الله عليه و آله و أنا أنهى عنها، لما ثبت عندى أنه صلّى الله عليه و آله نسخها» (٢).

ص: ٧٣

١- ١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ١٨٣/٢-١٨٤.

٢- ٢) تفسير الرازى ٥٤/٣.

و قال النووى: «محمول على أن الذى استمتع فى عهد أبى بكر و عمر لم يبلغه النسخ» (١).

لكن لم يبينوا كيف ثبت النسخ عند عمر فقط، و لم يثبت عند على عليه السلام و أبى بكر و ابن عباس و ابن مسعود و جابر.. و جمهور الصحابه..؟

و هلاً أخبر عن هذا النسخ الثابت عنده! حين قال له ناصحه و هو عمران بن سواده: «عابت أمتك منك أربعاً... قال: ذكروا أنك حرمت متعه النساء، و قد كانت رخصه من الله نستمتع بقبضه و نفارق عن ثلاثه. قال: إن رسول الله أحلها فى زمان ضروره، ثم رجع الناس إلى سعه...» (٢).

و لعلّ منهم من يجيب عن تحريمه متعه النساء بما أجاب ابن حجر عن تحريمه متعه الحج من «أنه منع منه سداً للذريعه» (٣).

لكنه فى الحقيقه التزام بالإشكال و اعتراف بالضلال!

مسأله فدى

قال قدس سره: و منع أبو بكر فاطمه عليها السلام إرثها فقالت له: «يا ابن أبى قحافه أترث أباك و لا أترث أبى!» و التجأ فى ذلك إلى روايه انفراد بها و كان هو الغريم لها لأن الصدقه تحلّ له: أن النبى صلّى الله عليه و آله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه، على ما رووه عنه!

و القرآن يخالف ذلك، لأن الله تعالى قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» (٤)،

ص: ٧٤

١- ١) المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٨٣/٩.

٢- ٢) تاريخ الطبرى حوادث سنه ٢٣، ٢٩٠/٣.

٣- ٣) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٣٣٢/٣.

٤- ٤) سوره النساء: ١١.

و لم يجعل الله تعالى ذلك خاصاً بالأئمة دونه صَلَّى اللهُ عليه و آله.

و كَذَّبَ رَوَايَتَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» (١). و قَالَ تَعَالَى عَنْ زَكَرِيَّا: «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» (٢).

و لما ذكرت فاطمه عليها السلام أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله وهبها فدكاً قال لها: هات أسود أو أحمر يشهد لك بذلك! فجاءت بأم أيمن فشهدت لها بذلك فقال: امرأه لا يقبل قولها! و قد رووا جميعاً أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله قال: «أم أيمن امرأه من أهل الجنة».

فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها فقال: هذا بعلك يجزه إلى نفسه و لا نحكم بشهادته لك! و قد رووا جميعاً أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله قال:

«على مع الحق و الحق مع على يدور معه حيث دار، لن يفترقا حتى يردا على الحوض»!

فغضبت فاطمه عليها السلام عند ذلك و انصرفت و حلفت أن لا تكلمه و لا صاحبه حتى تلقى أباهما و تشكو إليه.

فلما حضرتها الوفاه أوصت علياً أن يدفنها ليلاً، و لا يدع أحداً منهم يصلّي عليها!

و قد رووا جميعاً أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال: «يا فاطمه إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك». و رووا جميعاً أنه صَلَّى اللهُ عليه و آله قال: «فاطمه بضعه مني، من آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله»!

ص: ٧٥

١-١) سورة النمل: ١٦.

٢-٢) سورة مريم: ٦.

و لو كان هذا الخبر حقاً لما جاز له ترك البغله التي خلفها النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله، و سيفه و عمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، و لما حكم بها له لما ادّعاها العباس! و لكان أهل البيت الذين طهّهم الله تعالى في كتابه عن الرجس مرتكبين ما لا يجوز، لأن الصدقه عليهم محرّمه.

الشرح:

لقد كثر البحث منذ صدر الإسلام حول ما كان بين الزهراء الطاهره عليها السلام و أبي بكر، و جرت فيه المناظرات، و ألفت فيه الكتب.

و الذي ذكره العلّامه رحمه الله هو: أنها طلبت إرثها من أبي بكر فمنعها، و التجأ إلى روايه انفرد بها، و القرآن يخالف ذلك. و أنها ذكرت أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و هبها فداً، فطلب منها البيئه، فجاءت بأمر أيمن و أمير المؤمنين عليه السلام فردّهما، مع ما ورد في حقهما عن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله.

ثم ذكر رحمه الله ممّا كان بعد ردّه إياها: أنها غضبت و حلفت ألا تكلمه حتى تلقى أباهما و تشكو إليه، مع ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عليه و آله من التحذير من إغضابها و إيدائها. و أنها أوصت أن تدفن ليلاً. و أنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر و أنصاره.

ثم ذكر من وجوه الإيراد على حديث أبي بكر: النقض. ببغله النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سيفه و عمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، و الحكم بها للعباس لما ادّعاها، و الحكم لجابر فيما ادّعاها من مال البحرين، و أنه لو كان هذا الحديث حقاً لكان أهل البيت بأدعائهم مرتكبين ما لا يجوز لهم، لكنهم لا يرتكبون ذلك، لأن الله طهّهم من الرجس، فالحديث ليس بحق.

هذا خلاصه كلام العلّامه كما لا يخفى على من راجعه.

ص: ٧٦

و يتلخص كلام ابن تيميه فى الاعتراض عليه، كما لا يخفى على من راجعه كذلك (1) فى:

١- الإنكار و التكذيب، فقد قال: «إن فى هذا الكلام من الكذب و البهتان و الكلام الفاسد ما لا يحصى إلا بكلفه» و إليك موارد من ذلك بعبارة:

أ- «إن ما ذكر من قول فاطمه رضى الله عنها: (أ ترث أباك و لا أرث أبى) لا نعلم صحته عنها».

ب- «قوله: و التجأ إلى روايه انفراد بها. كذب».

ج- «قوله: و كان هو الغريم لها. كذب».

د- «ادعاء فاطمه رضى الله عنها ذلك (أن النبى وهبها فداً) كذب على فاطمه».

ه- «إن علياً شهد لها فردّ شهادته لكونه زوجها. فهذا مع كونه كذباً...».

و- «و أمّا الحديث الذى ذكره و زعم أنهم روه جميعاً (فى حق أم أيمن) فهذا الخبر لا يعرف فى شىء من دواوين الإسلام، و لا نعرف عالماً من العلماء رواه... فهو كذب عليه صلى الله عليه و آله و على أهل العلم».

ز- «قوله: إنهم روه جميعاً أن رسول الله قال: على مع الحق و الحق يدور معه..».

من أعظم الكلام كذباً و جهلاً. فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبى، لا بإسناد صحيح و لا ضعيف، فكيف يقال: إنهم جميعاً روه هذا الحديث؟ و هل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابه و العلماء أنهم روه حديثاً و الحديث لا يعرف عن أحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب... و هو كذب قطعاً... فإنه كلام يتزّه عنه رسول الله».

ص: ٧٧

ح- «إن ما ذكره عن فاطمه أمر لا يليق بها، ولا يحتج بذلك إلا رجل جاهل، يحسب أنه يمدحها وهو يجرحها، فإنه ليس فيما ذكر ما يوجب الغضب عليه، إذ لم يحكم- لو كان صحيحاً- إلا بالحق الذي لا يحلّ لمسلم أن يحكم بخلافه. ومن طلب أن يحكم له بغير حكم الله ورسوله فامتنع فغضب و حلف أن لا يكلم الحاكم، ولا صاحب الحاكم، لم يكن هذا ممّا يحمد عليه ولا ممّا يذمّ به الحاكم، بل هذا إلى أن يكون جرحاً أقرب منه إلى أن يكون مدحاً. ونحن نعلم أن ما يحكى عن فاطمه وغيرها من الصحابه من القوادح كثير منها كذب و بعضها كانوا فيه متأولين، وإذا كان بعضها ذنباً فليس القوم معصومين، بل هم مع كونهم أولياء الله من أهل الجنة، لهم ذنوب يغفرها الله لهم. وكذلك ما ذكر من حلفها أنها لا تكلمه ولا تصاحبه حتى تلقى أباهما و تشتكى إليه، أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمه، فإن الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى».

ط- «و أمّا قوله: رويوا جميعاً أن النبي قال: يا فاطمه إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك. فهذا كذب منه. ما رويوا هذا عن النبي، ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروف، ولا الإسناد معروف عن النبي، لا صحيح ولا حسن».

ي- «و أمّا قوله: رويوا جميعاً أن فاطمه بضعه... فإن هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ، روي بغيره. كما ذكر في حديث خطبه على لابنه أبي جهل».

ك- «من نقل أن أبا بكر و عمر حكما بذلك لأحد (في البغلة...) و تركا ذلك عند أحد على أن يكون ملكاً له؟ فهذا من أبين الكذب عليهما».

ل- «و كذلك ما ذكره من إيصائها أن تدفن ليلاً و لا يصلّى عليها أحد منهم».

لا- يحكيه عن فاطمه و يحتج به إلا رجل جاهل، يطرق على فاطمه ما لا يليق بها. و هذا لو صحّ لكان بالذنب المغفور أولى منه بالسعى المشكور...».

م- «أمّا قصه فاطمه رضى الله عنها، فما ذكره من دعواها الهبه و الشهاده المذكوره و نحو ذلك، لو كان صحيحاً، لكان بالقدح فيمن يحتجون له أشبه بالمدح».

٢- الإفتراء و الكذب: كفريه خطبه أمير المؤمنين عليه السلام ابنه أبي جهل، فإنه يعتمد عليها في غير موضع، و يدعى أنها السبب في قوله صلى الله عليه و آله: فاطمه بضعه منى... و ينسب روايه ذلك إلى على بن الحسين... و هذه عباراته المشتمله عليها و على أباطيل أخرى:

«و لو دار الحق مع على حيثما دار لوجب أن يكون معصوماً كالنبي صلى الله عليه و آله، و هم من جهلهم يدعون ذلك. و لكن من علم أنه لم يكن بأولى بالعصمه من أبي بكر و عمر و عثمان و غيرهم، و ليس فيهم من هو معصوم، علم كذبهم، و فتاويه من جنس فتاوى أبي بكر و عمر و عثمان، ليس هو أولى بالصواب منهم، و لا- في أقوالهم من الأقوال المرجوحه أكثر مما قاله، و لا كان ثناء النبي صلى الله عليه و آله و رضاه عنه، بأعظم من ثنائه عليهم و رضائه عنهم، بل لو قال القائل: إنه لا يعرف من النبي أنه عتب على عثمان في شيء و قد عتب على على في غير موضع لما أبعد. فإنه لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل و اشتكت فاطمه لأبيها و قالت: إن الناس يقولون إنك لا تغضب لبناتك فقام خطيباً، و قال: إن بنى المغيره استأذنونى أن يزوجوا بنتهم على بن أبى طالب، و إنى لا- آذن ثم لا- آذن، إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى و يزوج ابنتهم، فإنما فاطمه بضعه منى.. و هو حديث ثابت صحيح أخرجاه فى الصحيحين».

«أما قوله: رووا جميعاً أن فاطمه بضعه منى من آذاها آذانى و من آذانى آذى الله.

فإن هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ بل روى بغيره، كما ذكر فى حديث خطبه على لابنه أبى جهل، و السبب داخل فى اللفظ قطعاً، إذ اللفظ الوارد على السبب لا يجوز إخراج سببه منه، بل السبب يجب دخوله بالاتفاق، و قد قال فى الحديث: (يرينى ما رابها و يؤذينى ما آذاها) و معلوم قطعاً أن خطبه ابنه أبى جهل عليها رابها و آذاها، و النبي رابه ذلك و آذاه، فإن كان هذا وعيداً لاحقاً بفاعله، لزم أن يلحق هذا الوعيد على بن أبى طالب، و إن لم يكن وعيداً لاحقاً بفاعله، كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من على. و إن

قيل: إن علياً تاب من تلك الخطبه و رجع عنها. قيل: فهذا يقتضى أنه غير معصوم. و إذا جاز أن من راب فاطمه و آذاها يذهب بتوبته، جاز أن يذهب بغير ذلك من الحسنات الماحيه، فإن ما هو أعظم من هذا الذنب تذهبه الحسنات الماحيه و التوبه و المصائب المكفّره».

«إن فاطمه إنما عظم أذاها لما فى ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها و أذاها، كان الاحتراز عن أذى أبيها واجب. و هذا حال أبى بكر و عمر، فإنهما احتزرا أن يؤذيا أباهما أو يريانه بشىء. فإنه عهد عهداً و أمر أمراً، فخانا إن غيرا عهده و أمره أن يغضب، لمخالفه أمره و عهده و يتأذى بذلك، و كلّ عاقل يعلم أن رسول الله إذا حكم بحكم و طلبت فاطمه أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم، كان مراعاة حكم النبى أولى، فإن طاعته واجبه و معصيته محرّمه، و من تأذى لطاعته كان مخطئاً فى تأذيه بذلك، و كان الموافق لطاعته مصيباً فى طاعته. و هذا بخلاف من آذاها لغرض بعينه لا لأجل طاعه الله و رسوله.

و من تدبّر حال أبى بكر فى رعايته لأمر النبى، و أنه إنما قصد طاعه الرسول لا لأمر آخر، علم أن حاله أكمل و أفضل و أعلى من حال على.. المقصود أنه لو قدر أن أبى بكر آذاها فلم يؤذها لغرض نفسه، بل ليطيع الله و رسوله، و يوصل الحق إلى مستحقه، و على رضى الله عنه كان قصده أن يتزوج عليها، فله فى آذاها غرض، بخلاف أبى بكر.

فعلم أن أبى بكر كان أبعد أن يذمّ بأذاها من على، و أنه إنما قصد طاعه الله و رسوله بما لا حظّ له فيه، بخلاف على، فإنه كان له حظّ فيما رابها به....

٣- التشكيكات الواهيه و المناقشات الباردة فى معانى الآيات الصّيريه فى توريث الأنبياء، و الأحاديث فى فضل الزهراء و أمير المؤمنين عليهم السلام و غيرها.

٤- التكرار لما سبق فى أوائل الكتاب، من دعوى وجوب الطاعه لمن يتولّى الأمر و يستولى على شؤون المسلمين و إن كان غاصباً جائراً... يقول: «إن النصوص الوارده عن النبى فى طاعه و لاه الأمور و لزوم الجماعه و الصّبر على ذلك، مشهوره كثيره، بل لو

قال قائل: إن النبي أمر بطاعه ولاة الأمور و إن استأثروا، و الصبر على جورهم، و قال:

إنكم ستلقون بعدى إثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض. و قال: أدوا إليهم حقهم و سلوا الله حَقَّكم، و أمثال ذلك. فلو قدر أن أبا بكر و عمر كانا ظالمين مستأثرين بالمال لأنفسهما، كان الواجب مع ذلك طاعتهما، و الصبر على جورهما...».

أقول:

و يتلخص كلامنا فى هذا المقام فى مطالب، يظهر من خلالها الدليل على صدق العلماء فيما ذكره و كذب ابن تيمية فيما أنكره، فنقول:

قول الزهراء لأبى بكر: أترث أباك..؟

فهو من خطبتها المشهورة، التى يغنى النظر فى متنها عن السؤال عن إسنادها، و هذه الخطبة رواها الإماميه و غيرهم بالأسانيد المتصلة، و من رواتها من علماء الجمهور المتقدمين:

أحمد بن أبى طاهر البغدادى المعروف بابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ (١)، رواها فى كتابه (بلاغات النساء).

و أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣، رواها فى كتابه (السقيفة وفدك) كما فى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد. قال: «و أبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون و رووا عنه مصنفاته» (٢).

و أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤، بسنده عن عروه عن عائشه، كما فى (الشافى فى الإمامه) (٣) و (شرح النهج) (٤).

ص: ٨١

١- ١) ترجم له الخطيب فى تاريخه ٤/٤٣٣ و أثنى عليه، و كذا غيره.

٢- ٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٦/٢١٠.

٣- ٣) الشافى فى الإمامه ٤/٦٩.

٤- ٤) شرح النهج ١٦/٢٤٩.

و الحديث أخرجه أحمد بلفظ: أنها قالت لأبي بكر: «أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ قال: لا بل أهله» (١).

و الحلبي بلفظ: «أ في كتاب الله أن ترثك ابنتك و لا أرث أبي؟ قال: «فاستعبر أبو بكر باكياً، ثم نزل فكتب لها بفدك. و دخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمه بميراثها من أبيها. قال: فما ذا تنفق على المسلمين و قد حاربتك العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه» (٢).

حديث «لا نورث» رواه انفراد بها أبو بكر

و هذا ما نصّ عليه كبار الحفاظ و المحدثين من أهل السنه، كأبي القاسم البغوي المتوفى سنة ٣١٧ و أبي بكر الشافعي المتوفى ٣٥٤ و ابن عساكر المتوفى ٥٧١ و الجلال السيوطي المتوفى ٩١١ و ابن حجر المكي المتوفى ٩٧٣ و المتقي الهندي المتوفى ٩٧٥.

قال السيوطي: «أخرج أبو القاسم البغوي و أبو بكر الشافعي في فوائده و ابن عساكر عن عائشه قالت: اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه و آله، فما وجدوا عند أحد في ذلك علماً. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث» (٣).

و قال ابن حجر المكي: «اختلفوا في ميراث النبي صلى الله عليه و آله، فما وجدوا عند أحد في ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله...» (٤).

ص: ٨٢

١-١) مسند أحمد ٤/١.

٢-٢) إنسان العيون ٣/٤٨٨.

٣-٣) تاريخ الخلفاء: ٢٨.

٤-٤) الصواعق المحرقة: ٢٠.

و قال المتقى الهندي: «حم م د و ابن جرير ه ق» (١).

و نصّ عليه كبار الأئمة الأصوليين في مباحث خبر الواحد من كتبهم الأصولية، و جعلوه من أهم أخبار الأحاد التي انفرد بها آحاد من الصحابه، و لنقل طائفه من عباراتهم كذلك:

قال القاضي عضد الدين الإيجي بشرح قول ابن الحاجب: «يجب العمل بخبر الواحد العدل، خلافاً للقاساني... لنا: تكرر العمل به كثيراً من الصحابه و التابعين شائعاً ذائعاً من غير تكبير...» قال: «قد ثبت جواز التعبد بخبر الواحد، و هو واقع، بمعنى أنه يجب العمل بخبر الواحد، و قد أنكره القاساني و الرافضه و ابن داود. و القائلون بالوقوع قد اختلفوا في طريق إثباته، و الجمهور على أنه يجب، بدليل السمع، و قال أحمد و الففال و ابن سريج و أبو الحسين البصرى: بدليل العقل. لنا: إجماع الصحابه و التابعين، بدليل ما نقل عنهم من الاستدلال بخبر الواحد، و عملهم بها في الوقائع المختلفه التي لا تكاد تحصى، و قد تكرر ذلك مره بعد أخرى، و شاع و ذاع بينهم، و لم ينكر عليها أحد، و إلا نقل، و ذلك يوجب العلم العادى باتفاقهم كالقول الصريح، و إن كان احتمال غيره قائماً في كل واحد واحد.

فمن ذلك: أنه عمل أبو بكر بخبر المغيره في ميراث الجدّه، و عمل عمر... و عمل الصحابه بخبر أبي بكر: الأئمه من قريش، و: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. و: نحن معاشر الأنبياء لا نورث... إلى غير ذلك ممّا لا يجدى استيعاب النظر فيه إلا التطويل...» (٢).

و قال الرازى في المسأله: «المسلك الرابع: الإجماع، العمل بالخبر الذى لا يقطع

ص: ٨٣

١-١) كنز العمال ٥/٥٠٥.

٢-٢) شرح المختصر ٢/٥٩.

بصحة مجمع عليه بين الصحابه، فيكون العمل به حقاً. إنما قلنا: إنه مجمع عليه بين الصحابه، لأن بعض الصحابه عمل بالخبر الذي لا يقطع بصحته، و لم ينقل عن أحد منهم إنكار على فاعله، و ذلك يقتضى حصول الإجماع. و إنما قلنا: إن بعض الصحابه عمل به. لوجهين: الأول: و هو أنه روى بالتواتر: أن يوم السقيفه لمّا احتج أبو بكر رضى الله عنه على الأنصار بقوله عليه الصّلاه و السلام: الأئمة من قريش، مع أنه مخصّص لعموم قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قبلوه و لم ينكر عليه أحد....

الثانى: الاستدلال بأمر لا ندعى التواتر فى كلّ واحد منها، بل فى مجموعها و تقريره: أن نبين أن الصحابه عملوا على وفق خبر الواحد، ثم نبين أنهم إنما عملوا به لا بغير. أما المقام الأول فبيانه من وجوه:

الأول: رجوع الصحابه إلى خبر الصديق فى قوله عليه الصّلاه و السلام: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. و فى قوله: الأئمة من قريش. و فى قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث... (١).

و قال الغزالي: «و كلام من ينكر خبر الواحد و لا يجعله حجه، فى غايه الضعف، و لذلك ترك توريث فاطمه- رضى الله عنها- بقول أبى بكر: نحن معاشر الأنبياء لا نورث الحديث. فنحن نعلم أن تقدير كذب أبى بكر و كذب كلّ عدل، أبعد فى النفس من تقدير كون آيه الموارث مسوقه لتقدير الموارث، لا للقصد إلى بيان حكم النبى عليه الصّلاه و السلام...» (٢).

و قال الأمدى فى مبحث حجيه خبر الواحد: «و يدلّ على ذلك ما نقل عن

ص: ٨٤

١- (١) المحصول فى علم الأصول ٣٦٧/٤-٣٦٩.

٢- (٢) المستصفى فى علم الأصول ٢٤٩/٢.

الصحابه من الوقائع المختلفه الخارجه عن العَدِّ و الحصر، المتفقه على العمل بخبر الواحد و وجوب العمل به، فمن ذلك ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه عمل بخبر المغيره... و من ذلك عمل جميع الصحابه بما رواه أبو بكر الصديق من قوله: الأئمه من قريش، و من قوله: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. و من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه...» (١).

و قال فى مبحث تخصيص الكتاب بخبر الواحد: «و خصّوا قوله تعالى:

«يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» الآية، بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: لا يرث القاتل... و بما رواه أبو بكر من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه...» (٢).

و قال علاء الدين البخارى: «و كذلك أصحابه عملوا بالآحاد، و حاجوا بها فى وقائع خارجه عن العَدِّ و الحصر، من غير نكير منكر و لا مدافعه دافع...»

و منها: رجوعهم إلى خبر أبى بكر رضى الله عنه فى قوله عليه السّلام: الأنبياء يدفنون حيث يموتون، و قوله عليه السلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه..» (٣).

و قال عبد العلى الأنصارى: «و لنا ثانياً: إجماع الصحابه على وجوب العمل بخبر العدل... فمن ذلك أنه عمل الكلّ من الصحابه بخبر خليفه رسول الله أبى بكر الصديق:

الأئمه من قريش، و نحن معاشر الأنبياء لا نورث...» (٤).

و قال نظام الدين الأنصارى فى مبحث وجوب قبول خبر الواحد، من (شرح المنار): «و لهم أيضاً: الإجماع، و تفصيله على ما فى التحرير أنه تواتر عن الصحابه

ص: ٨٥

١- ١) الإحكام فى أصول الأحكام ٢/٦٤-٦٦.

٢- ٢) الإحكام فى أصول الأحكام ٢/٣٢٢-٣٢٣.

٣- ٣) كشف الأسرار فى شرح أصول البزدوى ٢/٦٨٨.

٤- ٤) فواتح الرحموت- شرح مسلم الثبوت- هامش المستصطفى ٢/١٣٢.

رضوان الله تعالى عليهم فى وقائع خرجت عن الإحصاء يفيد مجموعها إجماعهم على وجوب القبول... فلنعد جملة: منها: عمل أمير المؤمنين أبى بكر الصديق بخبر المغيرة....

و أيضاً: إن الإجماع قد ثبت على قبول خبر أبى بكر: الأئمة من قريش. و: نحن معاشر الأنبياء لا نورث....

و هاهنا دغدغه: فإن ذلك يستلزم أن ينسخ الكتاب بخبر الواحد، فإنه قبل انعقاد الإجماع كان خبراً واحداً محضاً، و فى الكتاب توريث بنت مطلق. نعم، إن أبى بكر إذ سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله فلا شبهه عنده فإنه أتم من التواتر، فصح له ذلك مخصياً صاً أو نسخاً، بخلاف مغیره فإنه إنما خص أو نسخ بخبر الواحد. و بعد الإجماع فإنما الإنساح و التقييد بخبر الواحد عند المحققين. و الجواب: إن عمل أمير المؤمنين أبى بكر بمنزله قوله و قول غيره من الصحابة: إن هذا منسوخ، و هو حجه فى النسخ، مع أن طاعه أولى الأمر واجبه..

أقول: و المتكلمون أيضاً يعترفون فى كتبهم الكلامية بانفراد أبى بكر فى روايه هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و نحن نكتفى بذكر كلام بعضهم:

قال القاضى الإيجى و شارحه الشريف الجرجانى ما نصّه:

«شرائط الإمامه ما تقدم، و كان أبو بكر مستجمعاً لها، يدلّ عليه كتب السير و التواريخ، و لا نسلم كونه ظالماً. قولهم: كان كافراً قبل البعته، تقدم الكلام فيه، حيث قلنا: الظالم من ارتكب معصيه تسقط العدالة بلا توبه و إصلاح، فمن آمن عند البعته و أصلح حاله لا يكون ظالماً. قولهم: خالف الآيه فى منع الإرث. قلنا: لمعارضتها بقوله عليه السلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه. فإن قيل: لا- بدّ لكم من بيان حجه ذلك الحديث الذى هو من قبيل الآحاد و من بيان ترجيحه على الآيه. قلنا: حجه خبر الواحد و الترجيح مما لا حجه لنا إليه هاهنا، لأنه رضى الله عنه كان حاكماً بما

سمعه من رسول الله، فلا اشتباه عنده في سنده» (١).

وقال سعد الدين التفتازاني: «فمما يقدح في إمامه أبي بكر-رضي الله عنه- أنه خالف كتاب الله تعالى في منع إرث النبي، بخبر رواه وهو: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه، وتخصيص الكتاب إنما يجوز بالخبر المتواتر دون الآحاد.

والجواب: إن خبر الواحد-و إن كان ظني المتن- قد يكون قطعي الدلالة، فيخصيص به عام الكتاب، لكونه ظني الدلالة و إن كان قطعي المتن، جمعاً بين الدليلين، و تمام تحقيق ذلك في أصول الفقه. على أن الخبر المسموع من رسول الله إن لم يكن فوق المتواتر فلا خفاء في كونه بمنزلة، فيجوز للسامع المجتهد أن يخصص به عام الكتاب» (٢).

أقول: هذا كله بغض النظر عما جرى على لسان بعض كبار أئمتهم في الحديث و الرجال، من أن الخبر من أصله موضوع، فاستمع إلى ما قاله الذهبي بترجمه الحافظ ابن خراش:

«ابن خراش الحافظ البارع الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش المروزي ثم البغدادي، سمع... حدث عنه: أبو سهل القطان و أبو العباس بن عقده و بكر بن محمد الصيرفي و غيرهم.

قال بكر بن محمد: سمعته يقول: شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات. و قال أبو نعيم: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش. قال ابن عدي الجرجاني: ذكر بشيء من التشيع و أرجو أنه لا يتعمد الكذب، سمعت ابن عقده يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئاً من باب التشيع يقول: هذا لا ينفق إلا عندي و عندك. و سمعت عبدان يقول:

ص: ٨٧

١- ١) شرح المواقف ٣٥٥/٨.

٢- ٢) شرح المقاصد ٢٩٢/٢.

حمل ابن خراش إلى بندار كان عندنا جزئين صنفهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفى درهم بنى له بها حجره، فمات إذ فرغ منها.

وقال أبو زرعه محمد بن يوسف: خرج ابن خراش مثالب الشيخين، وكان رافضياً.

وقال ابن عدى: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: حديث ما تركنا صدقه؟ قال: باطل، أتتهم مالك بن أوس بالكذب.

ثم قال عبدان: وقد روى مراسيل وصلها وواقيف رفعها.

قلت: جهله الرافضه لم يدروا الحديث ولا السيره ولا كيف ثم! فأما أنت-أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في الترحال-فما عذرک عند الله مع خبرتك بالأموار؟ فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضى الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمه الله سنة ٢٨٣» (١).

وقال بترجمته أيضاً بعد أن أورد ما تقدم: «قلت: هذا معثر مخذول، كان علمه وبالاً وسعيه ضلالاً، نعوذ بالله من الشقاء» (٢).

وقال أيضاً: «قلت: هذا والله الشيخ المعثر الذى ضلّ سعيه، فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحله الواسعه و الاطلاع الكثير و الإحاطه، و بعد هذا فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضه و حواثر جزين و مشغرا» (٣).

تنبيه

ترجم الحافظ الخطيب ابن خراش، فذكر مشايخه و الرواه عنه، و قال فى وصفه:

«و كان أحد الرحالين فى الحديث إلى الأمصار بالعراق و الشام و مصر و خراسان،

ص: ٨٨

١-١) تذكره الحفاظ ٢/٦٨٤-٦٨٥.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٥١٠.

٣-٣) ميزان الاعتدال ٢/٦٠٠.

و ممن يوصف بالحفظ و المعرفة».

فلم ينقل كلامه في حديث: نحن معاشر الأنبياء، و إنما أورد ما رواه الذهبي عن ابن عدى عن عبدان، و لكنه حرّف الكلام، فقال: «أنبأنا أبو سعد الماليني أخبر أن عبد الله بن عدى قال: سمعت عبدان يقول: أجاز بندار ابن خراش بألفي درهم، فبنى بذلك حجره ببغداد ليحدث بها، فما متّع بها و مات حين فرغ منها» (١).

و ابن الجوزي لم يورد لا هذا و لا ذاك، و إنما قال في ترجمته: «و كان أحد الرخّالين في الحديث إلى الأمصار، و ممن يوصف بالحفظ و المعرفة، إلا أنه ينبز بالرفض» (٢).

و ترجم له السيوطي أيضاً، فأورد كلامه في الحديث لكن محرّفاً، قال: «قال عبدان: قلت له: حديث ما تركنا صدقه؟ قال: باطل. قال: و قد روى مراسيل...» (٣).

فأسقط من الكلام: «أتهم مالك بن أوس بالكذب».

أقول: و يشهد بكذب روايه أبي بكر عدم قبول الزهراء عليها السلام، و تكذيب على عليه السلام و العباس كما ستعرف، و كذا عدم علم زوجات النبي صلى الله عليه و آله به، حيث أرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألن ميراثهنّ من النبي صلى الله عليه و آله، و أخرج أرباب الصحاح (٤).

بل منه استفاد عدم علم عثمان أيضاً، و إلا لردّهنّ و لم يبلغنّ طلبهنّ إلى أبي بكر، و كذا من سكوته في حديث آخر سنذكره.

بل إن أبا بكر قد كذب نفسه بكتابه بفدك... كما عرفت.

ص: ٨٩

١-١ (١) تاريخ بغداد ٢٧٩/١٠.

٢-٢ (٢) المنتظم ٣٦٢/١٢.

٣-٣ (٣) طبقات الحفاظ: ٣٠١.

٤-٤ (٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد ١٥٣/٥.

و ما أجود قول الفخر الرازي: «إن المحتاج إلى معرفه هذه المسأله ما كان إلّما فاطمه و على و العباس، و هؤلاء كانوا من أكابر الزهاد و العلماء و أهل الدّين، و أمّا أبو بكر فإنه ما كان محتاجاً إلى معرفه هذه المسأله ألبته، لأنه ما كان ممن يخطر بباله أنه يرث من الرسول، فكيف يليق بالرسول أن يبلغ هذه المسأله إلى من لا حاجه له إليها، و لا يبلغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجه» (١).

إنه كان هو الغريم لها، أي متهماً في روايته.

فهذا مما لا ريب فيه، فلولا اتهام فاطمه عليها السلام إياه لما أصرت على طلبها، و لما هجرته بعد أن ردّها...

و أيضاً، كان أبو بكر متهماً عند أمير المؤمنين عليه السلام و أم أيمن، حيث شهدا بكون الحق مع فاطمه عليها السلام.

و كذا عنده و عند العباس باعتراف عمر بن الخطاب، كما في حديث أخرجه مسلم عن مالك بن أوس قال قال عمر لهما: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه و آله قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله، فجتتما أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لا- نورث ما تركناه صدقه، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، و الله يعلم أنه لصادق بارّ راشد تابع للحق. ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه و آله و ولي أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً» (٢).

و في آخر أخرجه أحمد و البزار و قال: حسن الإسناد، عن ابن عباس قال: «لما قبض رسول الله و استخلف أبو بكر، خصم العباس علياً في أشياء تركها رسول الله

ص: ٩٠

١-١) التفسير الكبير ٢١٠/٩.

٢-٢) صحيح مسلم ١٥٢/٥.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: شَيْءٌ تَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمْ يَحْرِّكْهُ فَلَا - أَحْرَكَهُ، فَلَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمَرَ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: شَيْءٌ لَمْ يَحْرِّكْهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَا - أَحْرَكَهُ، فَلَمَّا اسْتَخْلَفَ عُثْمَانَ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ، فَسَكَتَ عُثْمَانُ وَنَكَسَ رَأْسَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَشِيتُ أَنْ يَأْخُذَهُ أَبِي، فَضْرِبَتْ بِيَدِي بَيْنَ كَتْفَيْ الْعَبَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا أَبْتَ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا سَلَّمْتَهُ» (١).

تنبیه

حَرَّفَ الْبُخَارِيُّ الْحَدِيثَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى: «فَرَأَيْتُمَا كَاذِبًا آثِمًا غَادِرًا خَائِنًا...» فَتَصَرَّفَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ:

فَأَخْرَجَهُ فِي بَابِ فِرَاضِ الْخُمْسِ: «قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ أَمَارَتِي، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِمَا عَمَلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ» (٢).

وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي، بِبَابِ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ: «ثُمَّ تَوَفَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَبَضَهُ أَبُو بَكْرٍ فَعَمِلَ بِهِ بِمَا عَمَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ - فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَقَالَ - تَذَكَّرَانِ أَنْ أَبَا بَكْرٍ فِيهِ كَمَا تَقُولَانِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهِ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَابِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتَهُ سَنَتَيْنِ مِنْ أَمَارَتِي أَعْمَلُ فِيهِ بِمَا عَمَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ وَابُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي فِيهِ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ» (٣).

ص: ٩١

١-١) كنز العمال ٥٨٦/٥-٥٨٧.

٢-٢) صحيح البخاري ٤٤/٤.

٣-٣) صحيح البخاري ٥/٢٤.

و أخرجه في كتاب النفقات، باب حبس نفقه الرجل قوت سنته: «ثم توفى الله نبيّه صَلَّى الله عليه و آله، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقبضها أبو بكر يعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و أنتما حينئذ- و أقبل على علي و العباس- تزعمان أن أبا بكر كذا و كذا، و الله يعلم أنه فيها صادق بارّ راشد تابع للحق. ثم توفى الله أبا بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبي بكر، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبو بكر» (١).

و أخرجه في كتاب الفرائض، باب قول النبي صَلَّى الله عليه و آله: لا- نورث ما تركناه صدقه: «فتوفى الله نبيه صَلَّى الله عليه و آله، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، ثم توفى الله أبا بكر فقلت: أنا وليّ و وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقبضتها سنتين أعمل فيها ما عمل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبو بكر» (٢).

و أخرجه في كتاب الإعتصام، باب ما يكره من التعمق و التنازع: «ثم توفى الله نبيّه صَلَّى الله عليه و آله، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل فيها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و أنتما حينئذ- و أقبل على علي و عباس- فقال: تزعمان أن أبا بكر فيها كذا، و الله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق. ثم توفى الله أبا بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبي بكر، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل به رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبو بكر» (٣).

هذا، و قد باح شراح البخارى بما حاول أن يكتبه، و هذا من آيات علو الحق، كالحافظ ابن حجر العسقلانى، فإنه ذكر تفسير ما أبهمه البخارى استناداً إلى ما وقع في

ص: ٩٢

١-١ صحیح البخاری ١٩١/٦.

٢-٢ صحیح البخاری ٤/٨.

٣-٣ صحیح البخاری ١٤٧/٨.

روايه مسلم (١).

ادعاء فاطمه أن النبي وهبها فدكاً، و أن علياً شهد لها فردّ شهادته.

فهذا ما روته الرواه، قال الشهرستاني: «الخلايف السادس فى أمر فدك و التوارث عن النبي عليه السلام، و دعوى فاطمه عليها السلام وراثه تاره و تمليكاً أخرى...» (٢).

فالزهراء عليها السلام ادعت أن النبي صَلَّى الله عليه و آله وهبها فدكاً.. أما دعواها فصادقه، و ذلك أن النبي صَلَّى الله عليه و آله لَمَّا أنزل الله عز و جل عليه: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» (٣) أنحل فاطمه فدكاً، و قد روى هذا الخبر كبار الحفاظ و الأئمه المحدثين من أهل السنه (٤)، و منهم:

أبو بكر البزار المتوفى سنه ٢٩١.

و أبو يعلى الموصلى المتوفى سنه ٣٠٧.

و ابن أبى حاتم الرازى المتوفى سنه ٣٢٧.

و ابن مردويه الأصبهاني المتوفى سنه ٤١٠.

و الحاكم النيسابورى المتوفى سنه ٤٠٥.

و أبو القاسم الطبرانى المتوفى سنه ٣٦٠.

و ابن النجار البغدادى المتوفى سنه ٦٤٣.

و نور الدين الهيثمى المتوفى سنه ٨٠٧.

و شمس الدين الذهبى المتوفى سنه ٧٤٨.

و جلال الدين السيوطى المتوفى سنه ٩١١.

ص: ٩٣

١- ١) فتح البارى فى شرح البخارى، باب فرض الخمس، و انظر ٢٣٨/١٣.

٢- ٢) الممل و النحل ٢٥/١.

٣- ٣) سوره الروم: ٣٨.

٤- ٤) راجع: الدر المنثور ١٧٧/٤ و مجمع الزوائد: ٤٩/٧ و ميزان الاعتدال ١٣٥/٣ و كتر العمال ٧٦٧/٣.

و على المتقى الهندي المتوفى سنة ٩٧٥.

فكانت فدك في يدها على حياه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حتى انتزعتها أبو بكر منها بعده.

حضورها عند أبي بكر و مطالبتها ثم شهاده أمير المؤمنين و أم أيمن.

فقد روى القصة غير واحد من أعلام أهل السنه: كالرازي في تفسير آيه الفء (١) و ابن حجر المكي (٢)، و الحلبي في سيرته (٣)، و ياقوت الحموي (٤) و السهمودي (٥) و غيرهم....

و قد ذكر الكل أن علياً شهد لها بذلك، فرد أبو بكر شهادته كشهاده أم أيمن.

و بالجملة، فقد تجاوز الخبر حد الروايه و بلغ حد الدرايه، و أضحى من الضروريات.

الحديث في شأن أم أيمن..

فمن رواه ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠. قال: «أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا فضيل بن مرزوق عن سفيان بن عقبه قال: كانت أم أيمن تلطف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و تقوم عليه. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من سره أن يتزوج امرأه من أهل الجنه فليتزوج أم أيمن. فتزوجها زيد بن حارثه، فولدت له أسامه بن زيد» (٦).

و رواه الحافظ ابن حجر بترجمتها عنه (٧).

ص: ٩٤

١-١ (١) التفسير الكبير ٢٨٤/٢٩.

٢-٢ (٢) الصواعق المحرقة: ٢١.

٣-٣ (٣) السيره الحلبيه ٤٨٦/٣.

٤-٤ (٤) معجم البلدان ٢٣٨/٤.

٥-٥ (٥) وفاء الوفا ٩٩٥/٣.

٦-٦ (٦) الطبقات الكبرى ٢٢٤/٨.

٧-٧ (٧) الإصابه في معرفه الصحابه ٣٥٩/٨.

حديث: «علي مع الحق...»

فهو من الأحاديث القطعية الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وقد رواه أكثر من عشرين صحابي، منهم:

أمير المؤمنين، أبو بكر، أبو ذر، عمار، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، سلمان، أبو أيوب الأنصاري، جابر بن عبد الله، سعد بن أبي وقاص، عائشه، أم سلمه....

و رواه أكثر من مائه حافظ و محدث و عالم... من أهل السنه.

فمن رواه قبل ابن تيميه:

الترمذي، في حديث بسنده عن علي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد جاء فيه:

«رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (١).

و الحاكم النيسابوري، رواه بسنده كذلك. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه» (٢).

و أخرج بسنده عن عمره بنت عبد الرحمن قالت: «لما سار علي إلى البصره، دخل علي أم سلمه زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يودعها فقالت: سر في حفظ الله و في كنفه، فو الله إنك لعلی الحق و الحق معك، و لو لا أني أكره أن أعصى الله و رسوله- فإنه أمرنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك، و لكن و الله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي و أعزّ علي من نفسي، ابني عمر».

قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: «هذه الأحاديث الثلاثه كلّها صحيحه على شرط الشيخين و لم يخرجها».

و وافقه الذهبي (٣).

ص: ٩٥

١-١) سنن الترمذي ٢٩٧/٥.

٢-٢) المستدرک علی الصحيحین ١٢٤/٣-١٢٥.

٣-٣) المستدرک علی الصحيحین ١١٩/٣.

و أبو يعلى، عن أبي سعيد الخدرى قال: «كنا عند بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الْمَوْفُونَ الْمُطِيبُونَ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَفَى التَّقَى. قَالَ: وَ مَرَّ عَلِيٌّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: الْحَقُّ مَعَ ذَا، وَ الْحَقُّ مَعَ ذَا» (١).

و البزار، عن سعد بن أبي وقاص في كلام له مع معاوية: «سمعت رسول الله يقول:

علي مع الحق و الحق مع علي حيث كان. قال: من سمع ذلك؟ قال: قاله في بيت أم سلمة.

قال: فأرسل إلي أم سلمة فسألها فقالت: قد قاله رسول الله في بيتي...» (٢).

و الطبراني، عن أم سلمة: أنها كانت تقول: «كان علي علي الحق، من اتبعه أتبع الحق و من تركه ترك الحق، عهد معهود قبل يومه هذا» (٣).

و الخطيب البغدادي، روى بسنده «عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت علي أم سلمة، فرأيتها تبكي و تذكر علياً و قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ، وَ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

و ابن عساکر «عن أبي ثابت مولى أبي ذر، قال: دخلت علي أم سلمة..» (٥).

و الزمخشري، روى حديث أبي ثابت المذكور بزياده مهمه. و ذلك أنه استأذن علي أم سلمة «فقال: مرحباً بك يا أبا ثابت. ثم قالت: يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً. قالت: ووقت، و الذي نفسي بيده لقد سمعت

ص: ٩٤

١-١ (١) مجمع الزوائد ٢٣٤/٧-٢٣٥.

٢-٢ (٢) مجمع الزوائد ٢٣٥/٧-٢٣٦.

٣-٣ (٣) مجمع الزوائد ١٣٤/٩-١٣٥.

٤-٤ (٤) تاريخ بغداد ٣٢٢/١٤.

٥-٥ (٥) تاريخ دمشق ٤٢/٤٤٩.

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: «على مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي و لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» (١).

أقول: و من الحديث الأخير يعلم اتحاد الحديثين: «على مع الحق والحق مع علي» و «على مع القرآن والقرآن مع علي»، مع أن كلاً منهما عبارته أخرى عن الآخر، وقد أخرجه كثير من الأئمة باللفظ الثاني، و منهم: الحاكم النيسابوري و الذهبي مصححين إياه (٢).

أنها غضبت و حلفت أن لا تكلمه

و لم تزل مهاجرة له إلى أن توفيت... فهو من الأخبار الثابتة كذلك، و يكفي أن نورد ما أخرجه البخاري و مسلم عن عائشة قالت:

«إن فاطمه عليها السلام بنت النبي صَلَّى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك و ما بقى من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقه، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، و إنى و الله لا أغير شيئاً من صدقه رسول الله عن حالها التي كان عليها فى عهد رسول الله، و لأعملنّ فيها بما عمل بها رسول الله.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً. فوجدت فاطمه على أبي بكر فى ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت. و عاشت بعد النبي ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً، و لم يؤذن بها أباً بكر، و صَلَّى عليها. و كان لعلى من الناس وجه حياها فاطمه» (٣).

ص: ٩٧

١-١ (١) ربيع الأبرار ١/٨٢٨.

٢-٢ (٢) المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٤.

٣-٣ (٣) صحيح البخارى ٥/٨٢، صحيح مسلم ٥/١٥٣.

حديث: يا فاطمه، إن الله يغضب لغضبك..

فمن رواه: الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام كما في مسنده (١).

و الحافظ أبو موسى ابن المثنى البصرى المتوفى سنة ٢٥٢ في معجمه (٢).

و الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧ (٣).

و الحافظ أبو يعلى الموصلى المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده (٤).

و الحافظ أبو القاسم الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ في معجمه (٥).

و الحافظ الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ (٦).

و الحافظ أبو سعد الخركوشى المتوفى سنة ٤٠٦ في شرف النبوه (٧).

و الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ في فضائل الصحابه (٨).

و الحافظ أبو الحسن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ (٩).

و الحافظ محب الدين ابن النجار البغدادى المتوفى سنة ٦٤٣ (١٠).

و الحافظ أبو المظفر سبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ (١١).

ص: ٩٨

١- (١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٣٩.

٢- (٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٣٩.

٣- (٣) الإصابه في معرفه الصحابه ٢٦٦/٨، شرح المواهب اللدنيه ٢٠٢/٣.

٤- (٤) كنز العمال ١١١/١٢.

٥- (٥) المعجم الكبير ١٠٨/١.

٦- (٦) المستدرک على الصحيحين ١٥٤/٣.

٧- (٧) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٣٩.

٨- (٨) كنز العمال ١١١/١٢.

٩- (٩) أسد الغابه في معرفه الصحابه ٥٢٢/٥.

١٠- (١٠) كنز العمال ٦٧٤/١٣.

- و الحافظ محب الدين الطبرى المتوفى سنه ٦٩٤ (١).
- و الحافظ أبو الحجاج المزى المتوفى سنه ٧٤٢ (٢).
- و الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنه ٨٥٢ (٣).
- و الحافظ ابن حجر المكى المتوفى سنه ٩٥٤ (٤).
- و الحافظ أبو عبد الله الزرقانى المالكى المتوفى سنه ١١٢٢ (٥).
- و الحافظ على المتقى الهندى المتوفى سنه (٦).

حديث: فاطمه بضعه منى....

فقد اتفق عليه أرباب الصحاح و المسانيد المعتبره، فقد أخرج:

البخارى فى صحيحه (٧).

و مسلم فى صحيحه (٨).

و الترمذى فى صحيحه (٩).

و النسائى فى خصائمه (١٠).

و أبو داود فى سننه (١١).

ص: ٩٩

-
- ١- (١) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ٣٩.
- ٢- (٢) تهذيب الكمال ٢٥٠/٣٥.
- ٣- (٣) الإصابه فى معرفه الصحابه ٢٦٦/٨، تهذيب التهذيب ٣٩٢/١٢.
- ٤- (٤) الصواعق المحرقة: ١٠٥.
- ٥- (٥) شرح المواهب اللدنيه ٢٠٢/٣.
- ٦- (٦) كنز العمال ١١١/١٢ و ٦٧٤/١٣.
- ٧- (٧) صحيح البخارى ٢١٠/٤.
- ٨- (٨) صحيح مسلم ١٤١/٧.
- ٩- (٩) صحيح الترمذى ٣٥٩/٥، ٣٦٠.

١٠-١٠) الخصائص: ١٢٠.

١١-١١) سنن أبي داود ٤٦٠/١.

و أحمد فى مسنده (١).

و الحاكم فى مستدرکه (٢).

و البيهقى فى سننه (٣).

و أبو نعيم فى حليته (٤).

و هذا القدر يكفى....

حكم أبى بكر و عمر فى بغله النبى و سيفه و عمامته

فقد أخرج أحمد فى مسنده ما هو صريح فى أن النبى صلى الله عليه و آله ترك أشياء عند على أمير المؤمنين عليه السلام.

قال أحمد: «حدّثنى يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانه، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى العباس، عن ابن عباس قال: لَمَّا قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و استخلف أبو بكر، خاصم العباس علياً فى أشياء تركها صلى الله عليه و آله، فقال أبو بكر رضى الله عنه: شىء تركه رسول الله صلى الله عليه و آله فلم يحركه فلا - أحركه، فلمّا استخلف عمر اختصما إليه، فقال: شىء لم يحركه أبو بكر فليست أحركه. قال: فلمّا استخلف عثمان رضى الله عنه اختصما إليه قال: فأسكت عثمان و نكس رأسه. قال ابن عباس: فخشيت أن يأخذه، فضربت يدي بين كتفى العباس فقلت: يا أبت أقسمت عليك إلا سلّمته لعلّى. قال: فسلمه له» (٥).

ففى هذا الحديث لم يصرّح بالأشياء التى تركها النبى عند أمير المؤمنين، إلا أنه قد

ص: ١٠٠

١-١) مسند أحمد بن حنبل ٣٢٨، ٤/٣٢٦.

٢-٢) المستدرک على الصحيحين ١٥٩/٣.

٣-٣) سنن البيهقى ٣٠٨، ٧/٣٠٧.

٤-٤) حليه الأولياء ١٧٤ و ٢/٤٠.

٥-٥) مسند أحمد ١٣/١، و تقدم سابقاً أيضاً.

صَرَّحَ فِي الروايات الأخرى و كلمات العلماء ببعض تلك المتروكات، فالقاضي عبد الجبار المعتزلي أرسل تركه صَلَّى الله عليه و آله (السيف و البغلة و العمامه و غير ذلك) إرسال المسلم، و ذكر لذلك جواباً عن أبي على الجبائي و أجاب السيد المرتضى عن الجواب (١).

و أورد ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢).

و قال القاضي الفقيه أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨- وهو الذي اعتمد عليه ابن تيميه في مواضع في مبحث صدقات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:

«فأما صدقات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فمحصوره، لأنه قبض عنها فتعينت، و هي ثمانيه» فذكرها، ثم قال: «فأما ما سوى هذه الصدقات الثمانيه من أمواله...» فذكر أشياء إلى أن قال: «و أما دور أزواج رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بالمدينه، فكان قد أعطى كل واحد منهنّ الدار التي تسكنها و وصّى بذلك لهنّ، فإن كان ذلك منه عطيه تمليك فهي خارجة من صدقاته، و إن كان عطيه سكنى و إرفاق فهي من جملة صدقاته، و قد دخلت اليوم في مسجده و لا أحسب منها ما هو خارج عنه» قال: «و أما رحل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقد روى هشام الكلبي عن عوانه بن الحكم: أن أبا بكر دفع إلى علي آله رسول الله و رايته و حذاءه، و قال: ما سوى ذلك صدقه. و روى الأسود عن عائشه رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و درعه مرهونه عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير، فإن كانت درعه المعروفة بالبراء، فقد حكى أنها كانت على الحسين بن علي يوم قتل.. و أما البرده... و أما القضيبي... و أما الخاتم... فهذا شرح ما قبض عنه رسول الله من صدقته و تركته. و الله أعلم» (٣).

و في شرح النهج عن كتاب السقيفه لأبي بكر الجوهري أنه قال أبو بكر: «قد

ص: ١٠١

١- (١) المغنى في الإمامه ٢٠ ق ٣٣١/١، الشافى في الإمامه ٨٢/٤.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه ٢٦١/١٦.

٣- (٣) الأحكام السلطانيه: ١٩٩-٢٠٣.

دفعت آله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و دابته و حذاءه إلى على عليه السلام...» (١).

و قد أذعن الفضل ابن روزبهان بالخبر فلم ينكره، إلا- أنه حاول الإجابة عن الإشكال، فكان أقرب إلى الإنصاف من ابن تيميه المنكر لأصل الخبر.

و فى تاريخ ابن كثير: «باب آثار النبى صَلَّى الله عليه وآله التى كان يختصّ بها فى حياته، من ثياب و سلاح و مراكب» فذكر «الخاتم» و «السيف» و «النعل» و «القدح» و «المكحلة» و «البرده» و «الأفراس» و «المراكب».

إلا أنه أجمل الكلام جدًّا، و لم يشأ أن يصرّح بما كان من أمرها من بعد وفاه النبى، مع أنه روى عن البيهقى: أن فى الروايات أنه صَلَّى الله عليه وآله مات عن بخلته البيضاء، و عن سلاحه، و عن أرض، و عن ثيابه و بخلته و خاتمه. نعم، ذكر: أن بخلته و هى الشهباء، قد عمرت بعده حتى كانت عند على بن أبى طالب فى أيام خلافته.. (٢).

أنها أوصت أن تدفن ليلاً و لا يصلى عليها أحد منهم

فهذا أيضاً من ضروريات تاريخ الإسلام، و من رواته:

البخارى فى باب فرض الخمس.

و مسلم فى كتاب الجهاد و السير.

ابن سعد (٣).

الطحاوى (٤).

الطبرى (٥).

ص: ١٠٢

١-١) شرح نهج البلاغه ٢١٤/١٦.

٢-٢) البدايه و النهايه ١١-٣/٦.

٣-٣) الطبقات الكبرى ٣٠-٢٩/٨.

٤-٤) تاريخ الطبرى ١٦٢/٣.

٥-٥) تاريخ الطبرى ٤٤٨/٢.

الحاكم النيسابورى (١).

البيهقى (٢).

أبو نعيم الإصفهاني (٣).

ابن عبد البر القرطبي (٤).

محيى الدين النووى (٥).

أبو بكر الهيثمى (٦).

ابن الأثير الجزرى (٧).

ابن حجر العسقلانى (٨).

خطبه على ابنه أبى جهل خبرٌ مفتعل

و إذ قد عرفت كذب الرجل فى تكذباته، لم يبق عندك ريب فى بطلان مناقشاته و تشكيكاته، لكن من الضرورى إظهار حقيقه الأمر فيما افتروه على أمير المؤمنين عليه السلام من خطبه ابنه أبى جهل، هذه الفريه التى أصرّ عليها ابن تيميه فى هذا الموضع، و ردّ على أساسها على استدلال العلّامه بالحديث الوارد فى أن فاطمه بضعه من النبى صلّى الله عليه و آله....

ص: ١٠٣

١-١) المستدرک على الصحيحين ١٦٢/٣.

٢-٢) السنن الكبرى ٣٠٠/٦.

٣-٣) حليه الأولياء ٤٣/٢.

٤-٤) الإستيعاب ١٨٩٨/٤.

٥-٥) تهذيب الأسماء و اللغات ٣٥٣/٢.

٦-٦) مجمع الزوائد ٢١١/٩.

٧-٧) أسد الغابه ٥٢٤/٥.

٨-٨) الإصابه ٣٧٨/٤.

فبقول: لا بدّ من تحقيق هذا الخبر من جهات:

الجهة الأولى: سند الخبر:

إن أسانيد خبر هذه الخطبة في كتب القوم كلّها تنتهي إلى:

١- المسور بن مخرمه.

٢- عبد الله بن العباس.

٣- علي بن الحسين - وهو الإمام زين العابدين عليه السلام -.

٤- عبد الله بن الزبير.

٥- محمد بن علي - وهو ابن الحنفية -.

٦- عروه بن الزبير.

٧- سويد بن غفلة.

٨- عامر الشعبي.

٩- ابن أبي مليكة.

١٠- رجل من أهل مكة.

و كلّ هذه الأسانيد ساقطه علي ضوء كتب الرجال و القواعد المسلّمة..

الحديث عن (عبد الله بن العباس)

رواه البزار و الطبراني، و عنهما الهيثمي و قال: «فيه: عبيد الله بن تمام، و هو ضعيف» (١).

قلت: و هذا الرجل ذكره الحافظ ابن حجر، و ذكر من مناكيره هذا الخبر، قال:

«ضعفه الدارقطني و أبو حاتم و أبو زرعه و غيرهم، و قال أبو حاتم: ليس بالقوي، روى أحاديث منكروه. و قال الساجي: كذاب يحدث بمناكير. و ذكره ابن الجارود و العقيلي في

الضعفاء، و أورد له عن خالد عن عكرمه عن ابن عباس: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فبعث إليه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله: إن كنت متزوجاً فردّ علينا ابنتنا» (١).

و الحديث عن (على بن الحسين)

رواه ابن حجر العسقلاني، ثم قال: «و أصل الحديث فى الصحيح من حديث المسور أنه حدّث به على بن الحسين» (٢). فالإمام عليه السلام يرويه -فيما يزعمون- عن المسور. و سيأتى الكلام عليه.

و الحديث عن (عبد الله بن الزبير)

رواه الترمذى و أحمد و الحاكم عن: أيوب السخيتانى عن ابن أبى مليكة عنه (٣).

قال الترمذى: يحتمل أن يكون ابن أبى مليكة سمعه من المسور و عبد الله ابن الزبير جميعاً. قال ابن حجر: «و رويح الدارقطنى و غيره طريق المسور، و هو أثبت بلا ريب، لأن المسور قد روى فى هذا الحديث قطعه مطوّله قد تقدّمت فى باب أصهار النبى. نعم، يحتمل أن يكون ابن الزبير سمع هذه القطعه فقط، أو سمعها من المسور فأرسلها» (٤).

قلت: إن كان عبد الله بن الزبير قد سمعها من المسور فأرسلها، فالكلام على حديث مسور سيأتى بالتفصيل. و إن كان هو الراوى بأن يكون قد سمع الخبر من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و هو طفل، فإن عبد الله لا تسمع روايته مثل هذا الخبر؛ لأن عبد الله بن الزبير كان من أعداء أهل البيت، و هو السبب فى انحراف والده الزبير عن على عليه السلام، قال أمير المؤمنين: «ما زال الزبير يعدّ منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله» (٥).

ص: ١٠٥

١-١) لسان الميزان ٩٧/٤.

٢-٢) المطالب العالیه بزوائد المسانيد الثمانية ٦٧/٤.

٣-٣) سنن الترمذى ٣٦٠/٥، مسند أحمد ٥/٤، المستدرک ١٥٩/٣.

٤-٤) فتح البارى -شرح صحيح البخارى ٦٨/٧.

٥-٥) الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ٩٠٦/٣.

و الحديث عن (عروه بن الزبير)

رواه أبو داود بإسناده عن الزهري عنه (١). و هو مرسل، لأن عروه ولد في خلافه عمر.

مضافاً: إلى أن عروه من أشهر المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام.. كما لا يخفى، و إلى ما سيأتي من الكلام حول الزهري الراوى عنه.

و الحديث عن (محمد بن علي)

رواه أحمد عن سفيان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، عنه (٢)، و هو مرسل كذلك، حسب اصطلاح القوم، فإن محمداً لم يسنده.

و أيضاً: عمرو بن دينار لم يسمع من محمد. و قال ابن حجر: «قال البخاري: لم يسمع عمرو بن دينار عن ابن عباس حديثه عن عمر في البكاء على الميت. قلت:

و مقتضى ذلك أن يكون مدلساً» (٣).

و الحديث عن (سويد بن غفله)

رواه الحاكم عن أحمد بسنده عن الشعبي عنه، ثم صححه (٤). و هو مرسل كذلك، إذ لم يدرك سويد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، كما لا يخفى على من راجع ترجمته.

و الحديث عن (عامر الشعبي)

رواه أحمد في الفضائل، و هو في كثر العمال عن عبد الرزاق (٥). و هو مرسل كذلك، إذ المشهور أن مولد الشعبي كان لست سنين خلت من خلافه عمر (٦).

ص: ١٠٦

١-١) سنن أبي داود ٣٢٣/١-٣٢٤.

٢-٢) كتاب الفضائل: ٢٤١ رقم ٣٧٧.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٢٧/٨.

٤-٤) المستدرک علی الصحیحین ١٥٨/٣.

٥-٥) كثر العمال ٦٧٧/١٣.

٦-٦) تهذيب التهذيب ٥٩/٥.

هذا بغض النظر عن قوادحه، و عن الكلام في رجال السند، إذ الراوى عنه فيه:

زكريا بن أبي زائده، وقد نصوا على أنه كان يدلّس عن الشعبي ما لم يسمع منه (١).

و الحديث عن (ابن أبي مليكة)

رواه المتقى (٢) و هو مرسل، كما هو واضح.

و الحديث عن (رجل من أهل مكة)

رواه أحمد بلفظ: «عن أبي حنظله أنه أخبره رجل من أهل مكة». و رواه الحاكم بلفظ: «عن أبي حنظله رجل من أهل مكة». و لا يخفى وهنه.

الكلام على حديث مسور:

و هو الخبر الذى اتفقوا على نقله، و الذى لم يخرج الشيخان سواه، و إذا ما راجعنا أسانيدهم وجدناها تنتهى إلى:

١- على بن الحسين، و هو الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢- عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة.

و الراوى عن الإمام زين العابدين ليس إلّا: محمد بن شهاب الزهرى.

و الراوى عن ابن أبي مليكة: الليث بن سعد و أيوب بن أبي تميمه السخيتانى.

ثم إن البخارى و مسلماً و غيرهما يروونه عن: أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهرى. و عن: الوليد بن كثير، عن محمد بن عمر بن حلحلة، عن الزهرى.

و يرويه مسلم عن: النعمان، عن الزهرى.

و قبل أن نتكلّم فى (الزهرى) و (ابن أبي مليكة) و (المسور) نفسه، لا بدّ من إشاره عابره إلى حال بعض هؤلاء، فنقول:

(أبو اليمان) هو (الحكم بن نافع) و (شعيب) هو (شعيب بن حمزه) كاتب

ص: ١٠٧

(١-١) تهذيب التهذيب ٢٨٥/٣.

(٢-٢) كتنز العمال ٦٧٨/١٣.

(الزهرى) وراويته، وقد تكلم العلماء فى روايه أبى اليمان عن شعيب، حتى قال بعضهم: لم يسمع منه ولا كلمه (١). و هما من أهل حمص، وقد كانوا حينذاك من أشد الناس على على و أكثرهم عداوه له (٢).

و كان (الوليد بن كثير) أباضياً (٣).

و (النعمان) و هو (النعمان بن راشد الجزرى): ضعفه القطان جداً، و قال أحمد:

مضطرب الحديث، و قال ابن معين: ضعيف، و قال البخارى و أبو حاتم: فى حديثه و هم كثير، و قال ابن أبى حاتم: أدخله البخارى فى الضعفاء، و قال أبو داود: ضعيف، و كذا قال النسائى و العقيلى (٤).

ثم إن (ابن أبى مليكه) كان قاضى عبد الله بن الزبير، و مؤذنه (٥).

و إن (الزهرى) من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين كذلك، فقد كان هو و عروه بن الزبير يجلسان فى المسجد النبوى و ينالان من الإمام عليه السلام (٦). و مما يشهد بذلك:

أولاً: روايته عن يزيد بن معاوية (٧).

و ثانياً: سعيه وراء إنكار خصائص أمير المؤمنين، قال ابن عبد البر: «و ذكر معمر فى جامعه عن الزهرى قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثه. قال عبد الرزاق: و ما أعلم أحداً ذكره غير الزهرى» (٨).

ص: ١٠٨

١-١ تهذيب التهذيب ٣٨٠/٢.

٢-٢ معجم البلدان ٣٠٤/٢.

٣-٣ تهذيب التهذيب ١٣١/١١.

٤-٤ تهذيب التهذيب ٤٠٤/١٠.

٥-٥ تهذيب التهذيب ٢٨٦/٥.

٦-٦ شرح نهج البلاغه ١٠٢/٤.

٧-٧ الكاشف عن رجال الكتب الستة ٣١١/٢.

٨-٨ الاستيعاب ٥٤٦/٢.

و ثالثاً: وضعه الحديث عن لسان أهل البيت في الوقيعه و الشغب بينهم، من ذلك ما وضعه على لسان ابني محمد بن الحنفية، عن أمير المؤمنين أنه قال لابن عباس، و قد بلغه أنه يقول بالمتعه: «إنك رجل تائه، إن رسول الله نهى عنها يوم خيبر و عن أكل لحوم الحمر الإنسيه». هذا الحديث الذي حكم ببطلانه كبار أئمه القوم، كالبيهقي، و ابن عبد البر، و السهيلي، و ابن القيم، و القسطلاني، و ابن حجر العسقلاني، و غيرهم.

و رابعاً: كونه من عمّال بني أميه و مشيدي سلطانهم، فقد ذكر الذهبي عن بعض الأئمه أنهم وصفوه بأنه كان شرطياً لبني أميه (١).

و ذكروا بترجمه الأعمش عن ابن معين أنه قال: «تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري؟ الزهري يرى العرض و الإجازة و يعمل لبني أميه، و الأعمش فقير صبور مجانب للسلطان، و ورع، عالم بالقرآن» (٢)....

بل جاء بترجمه الزهري في (رجال المشكاه) للشيخ عبد الحق المحدّث الدهلوي: «إنه قد ابتلى بصحبه الأمراء بقّله الديانه، و كان أقرانه من العلماء و الزهاد يأخذون عليه و ينكرون ذلك منه، و كان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرهم، فيقولون: ألا ترى ما هم فيه و تسكت؟».

و قد خاطبه الإمام زين العابدين عليه السلام في كتاب له إليه يعظه فيه و يذكره الله و الدار الآخرة، و يتبّه على الآثار السيئه المترتبه على كونه في قصور السلاطين و قد جاء فيه: «إن أدنى ما كتمت و أخف ما احتملت أن آنست و حشه الظالم، و سهلت له طريق الغي... جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، و جسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، و سلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم... إحذر فقد ثبتت، و بادر فقد أجلت... أما ترى ما أنت فيه من الجهل و الغرّه.. فأعرض عن كلّ ما أنت فيه.. ما لك

ص: ١٠٩

١-١) سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٧، ميزان الاعتدال ١/٦٢٥.

٢-٢) تهذيب التهذيب ١٩٧/٤.

لا تتبه من نعستك؟ ولا تستقيل من عثرتك...؟» (١).

أقول: فإذا كان هذا حال الزهري، وهذا موقف الإمام عليه السلام مما هو فيه، كيف تصدق أن يكون قد حدّثه بهكذا حديث و فيه تنقيص على جدّه الرسول الأمين و أمّه الزهراء، و أبيه أمير المؤمنين؟

و أما (المسور) فقد كانت أمارات النصب و العداة لأمير المؤمنين مجتمعه فيه:

١- كان مع ابن الزبير، و كان ابن الزبير لا يقطع أمراً دونّه، و قد قتل في واقعه رمى الكعبه بالمنجنيق، بعد أن قاتل دون عبد الله، و لى ابن الزبير غسله.

٢- كانت الخوارج تعشاه و يتحلونه.

٣- و كان إذا ذكر معاويه صلّى عليه (٢).

هذا، و قد ذكروا أنه قد ولد بعد الهجره بستين، فكم كانت سنى عمره فى وقت خطبه النبى صلّى الله عليه و آله فى القضية؟

الجهه الثانيه: متن الخبر:

و فى متنه عن المسور فى الكتابين المعروفين بالصحيحين إشكالات، ذكرها الشراح و اضطربت كلماتهم و تناقضت فى الإجابة عليها:

أحدها: فى قول (مسور): «و أنا يومئذ محتمل».

و الثانى: فى مناسبه هذه الحكايه لطلب السيف من الإمام السجاد؟

و الثالث: فى أنه لما طلب السيف من الإمام، ذكر له أنه سيئذ نفسه دون السيف رعايه لخاطره، مع أنه لم يراع خاطره فى أنه حدّثه بما فيه غضاضة عليه و على جدّه!

ص: ١١٠

١- ١) جاء النص الكامل لهذا الكتاب فى كتاب: تحف العقول عن آل الرسول: ٢٧٤-٢٧٧ لابن شعبه أحد قدماء الإماميه، و فى إحياء العلوم للغزالي ١٤٣/٢ لكنه قال: «لما خالط الزهري السلطان كتب أخ له فى الدين إليه»!

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣٩١، تهذيب التهذيب ١٠/٧.

قال ابن حجر بشرح البخارى: «فى روايه الزهرى، عن على بن حسين، عن المسور-الماضيہ فى فرض الخمس-: يخطب الناس على منبره هذا و أنا يومئذ محتلم.

قال ابن سيد الناس: هذا غلط... والمسور لم يحتلم فى حياه النبى صلى الله عليه و آله، لأنه ولد بعد ابن الزبير، فيكون عمره عند وفاه النبى صلى الله عليه و آله ثمان سنين» (١).

و قال فى ترجمه المسور بعد ذكر الحديث: «و هو مشكل المأخذ، لأن المؤرخين لم يختلفوا أن مولده كان بعد الهجره، و قصه خطبه على كانت بعد مولد المسور بنحو ست سنين أو سبع سنين، فيكف يسمى محتلماً (٢).

هذا بالنسبه إلى الإشكال الأول.

و بالنسبه إلى الثانى، قال الكرمانى: «فإن قلت: ما وجه مناسبه هذه الحكايه لطلب السيف؟ قلت: لعل غرضه منه أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يحترز مما يوجب الكدوره بين الأقرباء، و كذلك أنت أيضاً ينبغي أن تحترز منه، و تعطينى هذا السيف حتى لا يتجدد بسببه كدوره أخرى.

أو: كما أن رسول الله صلى الله عليه و آله يراعى جانب بنى أعمامه العشميه، أنت راع جانب بنى أعمامك النوفليه، لأن المسور نوفلى.

أو: كما أنه صلى الله عليه و آله يحب رفاهيه خاطر فاطمه، أنا أيضاً أحب رفاهيه خاطر ك فأعطينه حتى أحفظه لك» (٣).

و أورد ابن حجر العسقلانى هذه الوجوه، بعد أن أشكل على الثانى منها بأن المسور زهرى لا- نوفلى، قال: «و هذا الأخير هو المعتمد، و ما قبله ظاهر التكلف» (٤).

ص: ١١١

١- ١ فتح البارى شرح صحيح البخارى ٢٦٩/٩.

٢- ٢ تهذيب التهذيب ١٣٨/١٠.

٣- ٣ الكواكب الدرارى ٨٨/١٣.

٤- ٤ فتح البارى ١٥٠/٦.

لكن العيني لم يرض بهذا الوجه المعتمد! فقال: «إنما ذكر المسور قصه خطبه على بنت أبي جهل ليعلم على بن الحسين زين العابدين بمحبته في فاطمه و في نسلها، لما سمع من رسول الله» (١).

لكنه كلام بارد جداً، لأنه لا يجب عن السؤال عن وجه المناسبه و لا يرفع الإشكال بعد وجودها، فالإمام عليه السلام كان قادماً من العراق، مع تلك النسوة و الأطفال، و بعد تلك الحوادث الرهيبة، و هل كان خاطره في رفايته إلا من طرف السيف، فأراد المسور رفايته خاطره من هذه الناحية أيضاً؟

و بالنسبه إلى الإشكال الثالث، قال ابن حجر في آخر كلامه السابق:

«و سأذكر إشكالاً يتعلّق بذلك في كتاب المناقب» فقال في كتاب المناقب:

«و لا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في تعصّبه لعلي بن الحسين حتى قال:

إنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحداً منه حتى تزهر روحه، رعايه لكونه ابن ابن فاطمه، و لم يراع خاطره في أن في ظاهر سياق الحديث غضاظه على علي بن الحسين، لما فيه من إيهام غض من جدّه علي بن أبي طالب، حيث أقدم على خطبه بنت أبي جهل على فاطمه، حتى اقتضى أن يقع من النبي صلى الله عليه و آله في ذلك من الإنكار ما وقع؟

بل أتعجب من المسور تعجباً آخر أبلغ من ذلك و هو: أن يبذل نفسه دون السيف رعايه لخاطر ولد ابن فاطمه، و ما يبذل نفسه دون ابن فاطمه نفسه - أعني: الحسين، و والد علي الذي وقعت معه القصه - حتى قتل بأيدي ظلمه الولاة؟» (٢).

الجهه الثالثه: مدلول الخبر:

ثم إنه - بغض النظر عن التعارضات الموجوده في روايات القصه - لا بدّ من النظر

ص: ١١٢

١-١) عمده القارى ٣٤/١٥.

٢-٢) فتح البارى ٢٦٨/٩-٢٦٩.

فيها من الناحية الفقهيّة، و الناحية الأخلاقيّة، لننظر: ما صنع على عليه السلام، و ما فعلت فاطمه عليها السلام، و أى شىء صدر من النبي صلّى الله عليه و آله حسب هذه الروايات؟

تقول الروايات: إن عليّاً خطب بنت أبي جهل. فأتت فاطمه رسول الله صلّى الله عليه و آله فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، هذا على ناكح بنت أبي جهل، و رسول الله صعد المنبر و خطب الناس، و قد اشتمل كلامه على:

١- الثناء على صهر له من بنى عبد شمس.

٢- الخوف من أن تفتن فاطمه فى دينها!

٣- إنه ليس يحرم حلالاً و لا يحلّ حراماً... و لكن لا يأذن!

٤- لا تجتمع بنت رسول الله و بنت عدوّ الله. و فى لفظ: ليس لأحد أن يتزوَّج ابنه عدوّ الله على ابنه رسول الله. و فى ثالث: لم يكن ذلك له....

٥- إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنته و ينكح ابنتهم. و فى لفظ: إن كنت تزوّجتها فردّ علينا ابنتنا....

٦- فاطمه بضعه منى....

أ ترى من الجائر و قوع هذه الأمور؟

لقد حار الشّراح القائلون بصحّ هذه الأخبار، لكونها فى الصّحاح!

يقولون: إن عليّاً لم يأخذ إلا بعموم الجواز، و النبي صلّى الله عليه و آله ليس يحرم حلالاً، و ليس يعتبر الإذن من أبى الزوجه فى تزوّج الصهر بأخرى، كما ليس له حمله على طلاق زوجته إن تزوّج عليها.. و مع ذلك يقول صلّى الله عليه و آله: لا آذن، لا آذن، لا آذن!!!

إن هذه الأخبار إلّا أكاذيب، و إلّا فما الجواب؟

يقولون: إن فاطمه أخذتها الغيره، و النبي أخذته الغيره لابنته! و هذه افتراءات واضحة!

و لو سلّمنا.. فلما ذا صعد المنبر و أعلن القصّة و شهّر؟

يقول ابن حجر: «و إنما خطب النبي ليشيع الحكم المذكور بين الناس و يأخذوا به، إما على سبيل الإيجاب و إما على سبيل الأولويّة» (١).

و تبعه العيني (٢).

و المراد بالحكم: حكم الجمع بين بنت رسول الله و بنت عدوّ الله.

لكن ألفاظ الحديث مختلفه، ففي لفظ: «لا تجتمع» و في آخر: «ليس لأحد» و في ثالث: «لم يكن له ذلك».. و هنا اختلف العلماء في هذا الحكم:

قال النووي: «في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي صَلَّى الله عليه و آله بكلّ حال و على كلّ وجه، و إن تولّد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً و هو حي. و هذا بخلاف غيره.

قالوا: و قد أعلم صَلَّى الله عليه و آله بإباحه نكاح بنت أبي جهل لعلى بقوله: لست أحرم حلالاً، و لكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين.

إحداهما: أن ذلك يؤدى إلى أذى فاطمه فيتأذى حينئذ النبي صَلَّى الله عليه و آله فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقتة على على و على فاطمه.

و الثانيه: خوف الفتنة عليها بسبب غيره.

و قيل: ليس المراد به النهى عن جمعهما، بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، كما قال أنس بن النضر: و الله لا تكسر ثنيه الربيع.

و يحتمل: أن المراد تحريم جمعهما، و يكون معنى: لا أحرم حلالاً. أى: لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحلّ شيئاً لم أحرمه، و إذا حرّمه لم أحلّه و لم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتى تحليل له، و يكون من جمله محرّمات النكاح الجمع بين بنت

ص: ١١٤

١-١ فتح البارى ٦/٤٨٦.

٢-٢ عمده القارى ١٦/٢٣٠.

و قال العيني: «نهى عن الجمع بينها و بين فاطمه ابنته لعنتين منوصتين...» فذكر ما تقدّم كذلك.

أقول: و هل قوله: «إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق...» لا ينافي كمال شفقتة على و فاطمه؟

فاضطرّ ابن حجر إلى أن يقول بشرحه: «هذا محمول على أن بعض من يبغض علياً و شى به أنه مصمّم على ذلك، و إلا فلا يظنّ به أن يستمرّ على الخطبه بعد أن استشار النبي صلّى الله عليه و آله فمنعه. و سياق سويد بن غفله يدلّ على أن ذلك وقع قبل أن تعلم به فاطمه، فكأنه لما قيل لها ذلك و شكت إلى النبي صلّى الله عليه و آله بعد أن أعلمه على أنه ترك، أنكر عليه ذلك.

و زاد في روايه الزهرى: و إنى لست أحرم حلالاً و لا أحلل حراماً، و لكن و الله لا تجمع بنت رسول الله و بنت عدوّ الله عند رجل أبداً. و فى روايه مسلم: مكاناً واحداً أبداً. و فى روايه شعيب: عند رجل واحد أبداً.

قال ابن التين: أصح ما تحمل عليه هذه القصّه: إن النبي صلّى الله عليه و آله حرم على على أن يجمع بين ابنته و بين ابنه أبى جهل، لأنه علل بأن ذلك يؤذيه، و أذيته حرام بالاتفاق. و معنى قوله: لا أحرم حلالاً. أى: هى له حلال لو لم تكن عنده فاطمه، و أمّا الجمع بينهما، الذى لا يستلزم تأذى النبي صلّى الله عليه و آله لتأذى فاطمه به، فلا.

و زعم غيره: إن السّياق يشعر بأن ذلك مباح لعلّ، لكنه منعه النبي صلّى الله عليه و آله رعايه لخاطر فاطمه، و قبل هو ذلك امتثالاً لأمر النبي صلّى الله عليه و آله.

و الذى يظهر لى: إنه لا يبعد أن يعدّ فى خصائص النبي صلّى الله عليه و آله أن

لا يتزوج على بناته. و يحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمه عليها السلام» (١).

أقول:

أنظر إلى الاضطراب في كلماتهم، ومحاولتهم تصحيح معنى الحديث ومدلوله ب(لعل) و(يحتمل) و(يحمل) ونحوها.

لكن إمامهم الأكبر البخارى صاحب الصحيح! لم يرتض شيئاً من هذه الوجوه، فجعل كلام النبى صلى الله عليه وآله خلعاً، ولذا أورده في باب الشقاق من كتاب الطلاق!! فردّ عليه القوم بما يبطله بشده:

قال العينى: «قال ابن التين: ليس في الحديث دلالة على ما ترجم. أراد أنه لا مطابقه بين الحديث والترجمه. وعن المهلب: حاول البخارى بإيراده أن يجعل قول النبى صلى الله عليه وآله: (فلا آذن) خلعاً، ولا يقوى ذلك، لأنه قال في الخبر: (إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى) فدلّ على الطلاق، فإن أراد أن يستدلّ بالطلاق على الخلع فهو ضعيف.

وقيل في بيان المطابقه بين الحديث والترجمه: يمكن أن تؤخذ من كونه صلى الله عليه وآله أشار بقوله: (فلا آذن) إلى أن علياً رضى الله تعالى عنه يترك الخطبه، فإذا ساغ جواز الإشاره بعدم النكاح التحق به جواز الإشاره بقطع النكاح. انتهى.

وأحسن من هذا وأوجه ما قاله الكرمانى بقوله: «أورد هذا الحديث هنا، لأن فاطمه رضى الله تعالى عنها ما كانت ترضى بذلك، وكان الشقاق بينها وبين على رضى الله تعالى عنه متوقعاً، فأراد صلى الله عليه وآله دفع وقوعه. انتهى.

وقيل: يحتمل أن يكون وجه المطابقه من باقى الحديث وهو: (إلا أن يريد على أن يطلق ابنتى) فيكون من باب الإشاره بالخلع. وفيه تأمل» (٢).

ص: ١١٤

١-١ فتح البارى ٢٧٠/٩.

٢-٢ عمده القارى فى شرح البخارى ٢٠/٢٦٥.

و قال القسطلانى: «استشكل وجه المطابقه بين الحديث و الترجمه، و أجاب فى الكواكب فأجاد: بأن كون فاطمه ما كانت ترضى بذلك، فكان الشقاق بينها و بين على متوقّعاً، فأراد النبى صلّى الله عليه و آله دفع وقوعه بمنع على من ذلك بطريق الإيماء و الإشاره. و قيل غير ذلك ممّا فيه تكلف و تعسف» (١).

أقول: و هذا الوجه الذى استجوده القسطلانى من أردأ الوجه، لأن ما كان من النبى صلّى الله عليه و آله لم يكن بطريق الإيماء و الإشاره، بل كان بالخطبه و التنقيص و التهديد. و الحاصل: إن الوجه الذى استظهره البخارى باطل جدّاً، و الوجوه التى ذكرها القوم أيضاً كلّها ساقطه.

و تلخّص: أن هذا الحديث باطل سنداً و متناً و مدلولاً.. و إن القصّه إنما وضعها قوم نواصب، فجاء من بعدهم علماء الحديث عندهم، و حاولوا إصلاح الفاسد بأى وجه، لكنهم أخفقوا، وليتهم قالوا ببطلان القصّه و كذبها و اعترفوا....

ثم جاء ابن تيميه و جعل هذا الحديث الكذب أساساً يبنى عليه تقولاته فى غير موضع من كتابه.

إعطاء أبى بكر المال لجابر بلايينه

قال قدس سره: بعد ذلك جاء إليه مال البحرين و عنده جابر بن عبد الله الأنصارى، فقال له: إن النبى صلّى الله عليه و آله قال لى: إذا أتى مال البحرين حثوت لك ثم حثوت لك - ثلاثاً، فقال له: تقدّم فخذ بعدّها. فأخذ من مال بيت المسلمين من غير بينه، بل لمجرد الدّعى.

الشرح:

و هذا الموضع أيضاً من المواضع المشكله العديمه عن الجواب الصحيح.

ص: ١١٧

أمّا الخبر، فقد أخرجه البخارى و مسلم فى غير موضع من كتابيهما، منها: فى كتاب الخمس، و منها فى كتاب الكفاله، و منها فى خلافه أبى بكر، كما ستعلم.

و رواه السيوطى قائلاً: «أخرجه الشيخان عن جابر...» (١).

و قد أجاب ابن تيميه عن هذا الإشكال بقوله: «جابر لم يدّع حقاً لغير ينتزع من ذلك الغير و يجعل له، و إنما طلب شيئاً من بيت المال يجوز للإمام أن يعطيه إياه و لو لم يعده به النبى، فإذا وعد به كان أولى بالجواز، فلماذا لم يفتقر إلى بينه. و مثال هذا: أن يجئ شخص إلى عقار بيت المال فيدّعيه لنفسه خاصّه، فليس للإمام أن ينزعه من بيت المال و يدفعه إليه بلا حجّ شرعيّه، و آخر يطلب شيئاً من المال المنقول الذى يجب قسمه على المسلمين من مال بيت المال، فهذا يجوز أن يعطى بغير بينه. ألا ترى أن صدقه رسول الله الموقوفه و صدقه غيره على المسلمين لا يجوز لأحد تملك أصلها. و يجوز أن يعطى من ريعها ما ينتفع به. فالمال الذى أعطى منه جابر هو المال الذى يقسم بين المسلمين، بخلاف أصول المال... و الإمام إذا أعطى أحداً من مال الفئ و نحوه من مال المسلمين لا يقال إنه أعطاه مال المسلمين من غير بينه، لأن القسم بين المسلمين و إعطاءهم لا يفتقر إلى بينه، بخلاف من يدّعى أن أصل المال له دون المسلمين. نعم الإمام يقسم المال باجتهاده فى التقدير» (٢).

أقول:

قبل الورود فى البحث:

أولاً: لم يتمكّن الرجل من تكذيب الحديث كما هو ديدنه، لكونه من أحاديث كتابى البخارى و مسلم.

و ثانياً: ذكره جواز إعطاء الإمام و منعه، و أنه يعطى باجتهاده... و غير ذلك من

ص: ١١٨

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٧٩.

٢- (٢) منهاج السنّه ٢٦١/٤-٢٦٣.

الأحكام...خروج عن محلّ الكلام، كما لا يخفى على أولى الأفهام.

و ثالثاً:تفريقه بين طلب أصل المال و طلب منافعه،بلا وجه في محلّ الكلام.

ثم أقول:إنه لو تنزلنا عن أن عصمه الزهراء عليها السلام توجب قبول قولها بلا شاهد،و لو تنزلنا عن أنها صاحبه اليد و ليس عليها إقامة البينه،و لو تنزلنا عن كفايه شهاده أمير المؤمنين عليه السلام وحده،فكيف إذا انضم إليها شهاده غيره،لأن الله سبحانه قبل شهادته حيث قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» (١)و المراد بالشاهد هو على عليه السلام،كما روى السيوطى بتفسير الآيه:

«أخرج ابن أبى حاتم و ابن مردويه و أبو نعيم فى المعرفه عن على بن أبى طالب قال:ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفه من القرآن،فقال له رجل:ما نزل فيك؟ قال:أما تقرأ سورة هود: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»؟رسول الله على بينه من ربّه و أنا شاهد منه.

و أخرج ابن مردويه و ابن عساكر عن على فى الآيه قال:رسول الله صلّى الله عليه و آله على بينه من ربّه و أنا شاهد منه.

و أخرج ابن مردويه من وجه آخر عن على قال:قال رسول الله: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ» أنا، «و يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» على» (٢).

و كما قبل الله و رسوله شهاده خزيمة وحده فى قضيه معروفه،فسمّى لذلك بذى الشهادتين (٣).

لو تنزلنا عن ذلك و أمثاله..فإن الدليل الذى أقاموه لقبول أبى بكر دعوى جابر بن عبد الله الأنصارى بلا بينه،هو هو نفسه يقتضى قبول دعوى فاطمه الزهراء الصديقه،

ص:١١٩

١-١) سورة هود:١٧.

٢-٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢٤.

٣-٣) سنن أبى داود ٢/١٦٦-١٦٧.

بضعه الرسول الأكرم، حتى لو لم يشهد لها أحد أصلاً..

قال الكرماني بشرح البخاري نقلاً عن الطحاوي: «و أما تصديق أبي بكر جابراً في دعواه، فلقوله: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فهو وعيد، ولا يظن بأن مثله يقدم عليه» (١).

وقال ابن حجر بشرحه: «و فيه قبول خبر الواحد العدل من الصّحابة، و لو جرّ ذلك نفعاً لنفسه، لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهداً على صحّحه دعواه» (٢).

وقال العيني بعد نقل كلام ابن حجر: «قلت: إنما لم يلتمس شاهداً منه، لأنه عدل بالكتاب و السنّه، أمّا الكتاب فقوله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيّطاً». فمثل جابر إن لم يكن من خير أمّه فمن يكون؟ و أمّا السنّه فقوله: «من كذب عليّ متعمداً الحديث. و لا يظن ذلك بمسلم فضلاً عن صحابي. فلو وقعت هذه المسأله اليوم فلا تقبل إلا بيّنه» (٣).

فنقول: مثل الزهراء عليها السلام إن لم تكن من خير أمّه فمن يكون؟

و أن الكذب لا يظنّ بمسلم فضلاً عن صحابي فكيف بالزهراء عليها السلام؟

فهذا وجه استدلال الإماميه في هذا المقام بقصّه جابر، فهل يصلح ما ذكره ابن تيميه جواباً عنه؟

تسميه أبي بكر بالصدّيق

قال قدس سره: و قد روت الجماعه كلّهم أن النبي قال في حقّ أبي ذر: «ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبي ذر»، و لم يسمّوه

ص: ١٢٠

١- ١) الكواكب الدراري- شرح صحيح البخاري ١٠/١٢٥.

٢- ٢) فتح الباري- شرح صحيح البخاري ٤/٣٨٩.

٣- ٣) عمدته القاري- شرح صحيح البخاري ١٢/١٢١.

صَدِّيقًا و سَمُوا أَبَا بَكْرٍ بِذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَوْهُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ!

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا الحديث لم يروه الجماعة كلهم، ولا هو في الصحيحين، ولا هو في السنن، بل هو مروى في الجملة. وبتقدير صحته و ثبوته، فمن المعلوم أن هذا الحديث لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق، فإن هذا يلزم منه أن يكون أصدق من النبي و من سائر النبيين و من على بن أبي طالب، وهذا خلاف إجماع المسلمين كلهم من السنّة و الشيعة.

فعلم أن هذه الكلمه معناها: أن أبا ذر صادق، ليس غيره أكثر تحريماً للصّدق منه، ولا يلزم إذا كان بمنزله غيره في تحزّي الصدق أن يكون بمنزله في كثره الصّدق و التصديق بالحق و في عظم الحق الذي صدق فيه و صدّق به، و ذلك أنه يقال: فلان صادق اللّهجه إذا تحزّي الصّدق، و إن كان قليل العلم بما حدّث به الأنبياء.

و النبي لم يقل: ما أقلت الغبراء أعظم تصديقاً من أبي ذر، بل قال: أصدق لهجه، و المدح للصّدق الذي صدّق الأنبياء ليس بمجرد كونه صادقاً بل في كونه مصدّقاً للأنبياء، و تصديقه للنبي هو صدق خاص، فالمدح بهذا التصديق الذي هو صدق خاص نوع، و المدح بنفس كونه صادقاً نوع آخر، فكلّ صدّيق صادق و ليس كلّ صادق صدّيقاً.

فالصّدّيق قد يراد به الكامل في الصّدق، و قد يراد به الكامل في التصديق، و الصّدّيق ليس فضيلته في مجرد تحزّي الصدق، بل في أنه علم ما أخبر به النبي جملة و تفصيلاً، و صدّق ذلك تصديقاً كاملاً في العلم و القصد و القول و العمل، و هذا القدر لم يحصل لأبي ذر و لا لغيره.

فإن أبا ذر لم يعلم ما أخبر النبي كما علمه أبو بكر، و لا حصل له من التصديق المفصل كما حصل لأبي بكر، و لا حصل عنده من كمال التصديق معرفه و لا حال كما

حصل لأبى بكر، فإن أبا بكر أعرف منه و أعظم حباً لله و رسوله منه و أعظم نصراً لله و رسوله منه، و أعظم جهاداً بنفسه و ماله منه، إلى غير ذلك من الصفات التى هى كمال الصديقيه.

و فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله أحداً و معه أبو بكر و عمر و عثمان، فرجف بهم، فقال: أسكن أحد، و ضرب برجله و قال: ليس عليك إلا نبى و صديق و شهيدان.

و فى الترمذى و غيره عن عائشه قالت: يا رسول الله: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» أ هو الرجل يزنى و يسرق و يشرب الخمر و يخاف؟ قال: لا يا ابنه الصديق، و لكنه الرجل يصوم و يتصدق و يخاف أن لا يقبل منه» (١).

أقول:

أولاً: قوله: هذا الحديث لم يروه الجماعة، و لا هو فى الصحيحين و لا هو فى السنن. يكذبه أنه قد أخرجه من أصحاب السنن:

الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر. قال: و فى الباب عن أبى الدرداء و أبى ذر. قال: و هذا حديث حسن».

و بسنده عن أبى ذر: «قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء من ذى لهجه، أصدق و لا أوفى من أبى ذر شبه عيسى بن مريم عليه السلام. فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أ فنعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوه له. قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» (٢).

ص: ١٢٢

١- ١) منهاج السنه ٢٦٤/٤-٢٦٨.

٢- ٢) سنن الترمذى ٣٣٤/٥.

و ابن ماجه، بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجه من أبي ذر» (١).

و أخرجه أصحاب المسانيد، كأحمد حيث روى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر» (٢).

و هو في المستدرک من حديث أبي ذر، و عبد الله بن عمرو، و أبي الدرداء، قال:

«هذا حديث على شرط مسلم و لم يخرجاه».

و أقره الذهبي على التصحيح كما ذكره (٣).

و من رواه أيضاً: ابن سعد، و البغوي، و ابن عبد البر، و الهيثمي، و ابن حجر العسقلاني و غيرهم.

و ثانياً: قوله: «لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق، فإن هذا يلزم منه... و هذا خلاف إجماع المسلمين..».

فيقال في جوابه: نلتزم بكون معناه ذلك و نرفع اليد بقدر الإجماع، و أى مانع من ذلك؟

و ثالثاً: قوله: «التصديق قد يراد به الكامل في الصدق، و قد يراد به الكامل في التصديق».

اعتراف بصحة تسميه الكامل في الصدق (صديقاً). فلو كان المراد من الحديث هو (الكامل في الصدق) دون (الكامل في التصديق)، فلما ذا لم يسموا أبا ذر ب(الصدّيق) بالإعتبار الأول؟ و هذا هو الإشكال.

ص: ١٢٣

١-١) سنن ابن ماجه ٥٥/١.

٢-٢) مسند أحمد ١٦٣/٢.

٣-٣) المستدرک على الصحيحين ٣٤٢/٣.

و رابعاً: قوله: «فإن أبا ذر لم يعلم...».

توجيه لتسميتهم أبا بكر ب(الصدّيق) من عند أنفسهم، وإقرار بما ذكره العلّامة رحمه الله من أنهم لم يسمّوا أبا ذر بهذا اللقب، مع ورود الحديث الصحيح به، وأنهم سمّوا أبا بكر به من عند أنفسهم.

و أما الحديثان اللذان ذكرهما ابن تيميه، فليسا-على فرض صحتها عندهم- حجةً علينا، مع أن الوارد في حق أبي ذر متفق عليه.

لكن راوى الأوّل للبخارى هو(محمد بن بشار)وقد كذّبه الفلاس، و تكلم فيه غير واحد كما ذكر الذهبي (١)و ابن حجر العسقلاني (٢).

و هو عن(قتاده عن أنس).

فأما(قتاده)، فقد تكلم فيه غير واحد و قالوا: كان يدّلس (٣).

و أما(أنس)فانحرفه عن على، و كذبه في أكثر من مورد معروف.

و الحديث الثاني عن عائشه، و هي متّهمه في مثل هذه الموارد، و انحرفها عن على معروف كذلك.

على أن الراوى عنها:(عبد الرحمن بن سعيد بن وهب)لم يدر كها، كما نصّ الحفاظ (٤)فالروايه مرسله.

أقول:

إن أخبار القوم المشتمله على وصف أبي بكر ب(الصدّيق)كثيره، لكنها كلّها مكذوبه موضوعه، حتى اضطرّوا إلى درجها في أمثال(الموضوعات)و(اللاّلى

ص: ١٢٤

١-١) ميزان الاعتدال ٣/٤٩٠.

٢-٢) مقدمه فتح البارى: ٤٣٧.

٣-٣) ميزان الاعتدال ٣/٣٨٥، مقدمه فتح البارى: ٤٣٥.

٤-٤) تهذيب التهذيب ٦/١٦٩.

المصنوعه)، و منها ما ذكره الذهبى و كذب به فى (ميزان الاعتدال) و تبعه ابن حجر فى (لسان الميزان).

و قد وضعت تلك الأخبار فى مقابله الأحاديث الصحيحه المعتبره من طرق القوم، فى وصف أمير المؤمنين عليه السلام ب(الصدّيق) و(الصدّيق الأكبر).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا عبد الله و أخو رسوله و أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كذاب مفترى».

أخرجه الحاكم و صحّحه على شرط الشيخين و وافقه الذهبى، و هو بسند صحيح فى سنن ابن ماجه و الخصائص للنسائى (١).

و رواه الطبرى و ابن الأثير و ابن كثير فى تواريخهم فى ترجمه الإمام عليه السلام، و هو فى تهذيب الكمال و تاريخ ابن عساکر، و له مصادر أخرى كثيره.

تسميه أبى بكر (خليفه)

إشارة

قال قدس سره: و سمّوه خليفه رسول الله مع أن رسول الله صلّى الله عليه و آله لم يستخلفه فى حياته و لا بعد وفاته عندهم! و لم يُسمّوا أمير المؤمنين عليه السلام خليفه رسول الله مع أنه استخلفه فى عدّه مواطن، منها أنه استخلفه على المدينة فى غزاه تبوك و قال له: «إن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك. أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى».

الشرح:

أجاب عنه ابن تيميه بقوله: «إن الخليفه إمّا أن يكون معناه: الذى يخلف غيره و إن كان لم يستخلفه، كما هو المعروف فى اللغه، و هو قول الجمهور. و إمّا أن يكون معناه:

ص: ١٢٥

١- ١) المستدرک على الصحيحين ١١٢/٣، سنن ابن ماجه ١/٤٤، خصائص على: ٤٦.

من يستخلف غيره، كما قاله طائفة من أهل الظاهر و الشيعة و نحوهم.

فإن كان الأول فابو بكر خليفه رسول الله، لأنه خلفه بعد موته، و لم يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم أحد بعد موته إلا أبو بكر، فكان هو الخليفه دون غيره....

و أمّا إن قيل: إن الخليفه من استخلفه غيره كما قاله بعض أهل السنّه و بعض الشيعة. فمن قاله من أهل السنّه يقول: إن النبي استخلف أبا بكر إمّا بالنصّ الجلى كما قال بعضهم، و إمّا بالنصّ الخفى.. و على هذا التقدير فلم يستخلف بعد موته أحدًا إلا أبا بكر. فلهذا كان هو الخليفه، فإن الخليفه المطلق هو من خلفه بعد موته أو استخلفه بعد موته. و هذان الوصفان لم يثبتا إلا لأبى بكر. فلهذا كان هو الخليفه.

و أمّا استخلافه لعلى على المدينه فذلك ليس من خصائصه..» (١).

أقول:

إن (الخلافه) منصب إلهى كالنبوه، فكما لا يراد من (رسول الله) من ادعى الرساله أو من قال الناس برسالته، بل المراد من انتجبه الله لرسالته، كذلك لا يراد من (خليفه رسول الله) من ادعى الخلافه أو من قال الناس بخلافته، بل المراد من استخلفه الرسول.

فهل استخلف رسول الله صلى الله عليه و آله أبا بكر حتى يسمّى خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله؟

أمّا فى حياته، فلم يدّعه أحد أبداً، و أمّا بعد وفاته، فقد نصّوا على عدمه.

و قد رووا عن أمير المؤمنين عليه السلام التصريح بعدمه.

و كذا عن عمر. فقد أخرج الشيخان عنه أنه قال حين طعن: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى، يعنى أبا بكر، و إن أترككم فقد ترككم من هو خير منى، يعنى رسول الله».

ص: ١٢٤

و كذلك رووا عن عائشه، فقد سئلت: «من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر».

قال النووي بشرحه: «فيه دلالة لأهل السنّه أن خلفه أبي بكر ليست بنصّ من النبي على خلافته صريحاً، بل اجتمعت الصحابه على عقد الخلافه له و تقديمه لفضله، و لو كان هناك نصّ عليه أو على غيره لم تقع المنازعه من الأنصار و غيرهم أولاً، و لذكر حافظ النص ما معه، و لرجعوا إليه، لكن تنازعوا أولاً و لم يكن هناك نص، ثم اتفقوا على أبي بكر» (١).

و لذا قال ابن حجر المكي: «قال جمهور أهل السنّه و المعتزله و الخوارج: لم ينص على أحد» (٢).

و كذا قال غيره من الأعلام، كصاحب المواقف، و صاحب المقاصد (٣) و غيرهما.

إذن، لا نصّ و لا قائل به من أهل السنّه... فما ذكره ابن تيميه كذب، و تبين أن تسميه القوم أبا بكر ب (خليفه رسول الله) باطل.

و سنتعرض لكلام غير ابن تيميه فيما سيأتي.

أمّا النصوص التي يتمسك بها الإماميه لخلافه على عليه السلام، و منها ما قاله صلى الله عليه و آله له بعد ما استخلفه على المدينه، فسنذكرها في محلها.

و بما أشرنا إليه، من القول و الاستخلاف معاً عند خروجه إلى تبوك، يظهر أن ذلك من خصائص على عليه السلام، إذ لم يكن مجرد استخلاف كما كان لابن أم مكتوم و غيره فيما رووا، فلا تجوز المعارضه بتلك الاستخلافات، فلا تغفل.

و من الكذب: تكذيبه الحديث بقوله: «و أمّا قوله: إنه قال: إن المدينه لا تصلح إلا

ص: ١٢٧

١- ١) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١٥٤/١٥.

٢- ٢) الصواعق المحرقة ١/٦٩ الفصل الرابع من الباب الأول.

٣- ٣) شرح المواقف ٨/٣٥٤، شرح المقاصد ٢/٢٨٣.

بى أو بك. فهذا كذب على النبي، لا يعرف في كتب الحديث المعتمده».

فإن هذه الفقره موجوده فى سياق حديث: «أما ترضى أن تكون...» فى روايه جماعه من أكابر حفاظ القوم فى كتب الحديث المعتمده. منهم الحاكم فى (المستدرک) (١) و البزار فى (مسنده) و العاقولى فى (فوائده) (٢) و ابن مردويه، و آخرون.. و قد صححه الحاكم أيضاً.

و فى روايه أخرجه ابن سعد و عنه ابن حجر فى شرح البخارى و غيرهما أنه قال له: «لا بدّ من أن أقيم أو تقيم» (٣).

كان أبو بكر فى جيش اسامه

قال قدس سره: و أمر أسامه على الجيش الذين فيهم أبو بكر و عمر، و مات و لم يعزله، و لم يسمّوه خليفه! و لما تولّى أبو بكر غضب أسامه و قال: إن رسول الله صلّى الله عليه و آله أمرنى عليك فمن استخلفك على؟ فمشى إليه هو و عمر حتى استرضياه، و كانا يسمّيانه مدّه حياتهما أميراً.

الشرح:

أما أنه صلّى الله عليه و آله أمر أسامه على الجيش، و مات صلّى الله عليه و آله و لم يعزله عن إمارته، فهذا من ضروريات تاريخ صدر الإسلام، فلمّ لم يسموا من أمره رسول الله صلّى الله عليه و آله و مات و هو أمير (خليفه)؟

و أما كون أبى بكر و عمر فى الجيش الذين أمر عليهم رسول الله صلّى الله عليه و آله أسامه، فقد أنكره ابن تيميه بقوله:

ص: ١٢٨

١- ١) المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير ٣٣٧/٢.

٢- ٢) نفحات الأزهار ٢٦٩/١٨.

٣- ٣) طبقات ابن سعد ٢٤/٣، فتح البارى: ٦٠/٧.

«و أمّياً قوله: أنه أمر أسامه رضى الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر و عمر، فمن الكذب الذى يعرفه من له أدنى معرفه بالحديث، فإن أبا بكر لم يكن فى ذلك الجيش، بل كان النبى قد استخلفه من حين مرض إلى أن مات، و أسامه قد روى أنه قد عقد له الرايه قبل مرضه، ثم لمّياً مرض أمر أبا بكر أن يصلّى بالناس، فصلّى بهم إلى أن مات النبى. فلو قدّر أنه أمر بالخروج مع أسامه قبل المرض لكان أمره له بالصّلاه تلك المده-مع إذنه لأسامه أن يسافر فى مرضه-موجباً نسخ إمره أسامه عنه، فكيف إذا لم يؤمر عليه أسامه بحال» (١).

أقول:

أمّياً تكذيبه كون أبى بكر و عمر فى الجيش، فإنه هو الكاذب، لأن ذلك ممّا أجمع عليه المحدّثون و المؤرخون و أرباب السير كما سيأتى فيما بعد، و يكفى هنا أن ننقل عبارته ابن حجر فى شرح البخارى فى إثبات ذلك، فإنه قال:

«كان تجهيز أسامه يوم السبت قبل موت النبى صلّى الله عليه و آله بيومين... فبدأ برسول الله صلّى الله عليه و آله وجعه فى اليوم الثالث، فعقد لأسامه لواء بيده، فأخذه أسامه فدفعه إلى بريده و عسكر بالجرف، و كان ممن انتدب مع أسامه كبار المهاجرين و الأنصار، منهم: أبو بكر و عمر و أبو عبيده و سعد و سعيد و قتاده بن النعمان و سلمه بن أسلم، فتكلّم فى ذلك قوم... ثم اشتدّ برسول الله وجعه فقال: أنفذوا بعث أسامه... و قد روى ذلك عن: الواقدى و ابن سعد و ابن إسحاق و ابن الجوزى و ابن عساکر..» (٢).

و أمّياً دعواه أن النبى صلّى الله عليه و آله أمر أبا بكر بالصّلاه، فهذه دعوى تحتاج إلى إثبات. و سنبحث عن القضيّه فى محلّها المناسب بالتفصيل التام إن شاء الله، بما لا يدع مجالاً للشكّ فى كون هذه الدعوى كاذبه كسابقته.

ص: ١٢٩

١-١) منهاج السنّه ٢٧٦/٤-٢٧٧.

٢-٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ١١٥/٨.

اشاره

قال: وسمّوا عمر الفاروق و لم يسمّوا عليّاً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال فيه: هذا فاروق أمّتي، يفرق بين الحقّ و الباطل. و قال ابن عمر: ما كُنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلا ببغضهم عليّاً.

الشرح:

أجاب عنه ابن تيميه بقوله (١):

أولاً: أمّا هذان الحديثان، فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي، و لم يرو واحد منهما في كتب العلم المعتمده، و لا لواحد منهما إسناد معروف.

و يقال ثانياً: من احتج في مسأله فرعيّه بحديث، فلا بدّ له أن يسنده، فكيف في مسائل أصول الدّين؟ و إلا فمجرد قول القائل: قال رسول الله، ليس حجه باتفاق أهل العلم، و لو كان حجه لكان كلّ حديث قال فيه واحد من أهل السنّه قال رسول الله، حجه. و نحن نقنع في هذا الباب بأن يروى الحديث بإسناد معروف بالصدق من أى طائفه كانوا....

و يقال ثالثاً: من المعلوم لكّل من له خبره أن أهل الحديث من أعظم الناس بحثاً عن أقوال النبي... فلو ثبت عندهم أن النبي قال لعلى هذا لم يكن أحد من الناس أولى منهم باتّباع قوله....

و يقال رابعاً: كلّ من الحديثين يعلم بالدليل أنه كذب لا يجوز نسبته إلى النبي (٢).

ص: ١٣٠

١-١) منهاج السنّه ٢٨٦/٤.

٢-٢) منهاج السنّه ٢٩٠/٤.

أقول:

و حاصل هذه الوجوه الأربعة تكذيب الحديثين، و المطالبه بمن رواه من أهل العلم بالحديث مسنداً من أي طائفه، و أن دلالتهما على أولويّه أمير المؤمنين عليه السّلام تامّه. و الجواب:

من رواه الحديث الأوّل

لقد روى الحديث الأوّل جماعه كبيره من المحدثين الأعلام من المتقدّمين على الرجل و المتأخرين عنه، و نحن نذكر هنا أسماء بعض رواته الذين رووه مسنداً:

فمنهم: ابن عساكر الدمشقي، فإنه رواه بترجمه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق، بسنده عن أبي ليلي الغفاري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

«ستكون بعدى فتنه، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أوّل من يرانى و أوّل من يصفحنى يوم القيامة، و هو معى فى السماء الأعلى، و هو الفاروق بين الحق و الباطل (١).

و رواه بسند آخر عن سلمان و أبي ذر و لفظه: «... و هذا الصّديق الأكبر، و هذا فاروق هذه الأمه، يفرق بين الحق و الباطل...» (٢).

و منهم: ابن عبد البر، فإنه رواه بسنده بترجمه أبي ليلي الغفاري (٣).

و منهم: ابن الأثير، فإنه رواه بسنده كذلك (٤).

ص: ١٣١

١- (١) تاريخ دمشق ٤٢/٤٥٠.

٢- (٢) تاريخ دمشق ٤٢/٤١.

٣- (٣) الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ٤/١٧٤٤.

٤- (٤) اسد الغابه فى معرفه الصحابه ٥/٢٨٧.

و منهم: نور الدين الهيثمي، رواه عن الطبراني و البزار عن أبي ذر و سلمان (١).

و منهم: نور الدين الحلبي، رواه عن مسند البزار (٢).

و كلّ واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم حافظ عصره و إمام وقته، الموثوق به و المعتمد عليه و المرجوع إليه، كما لا يخفى على من راجع تراجمهم في كتبهم.

من رواه الحديث الثاني

و أما الحديث الثاني، فإن الوارد في كتبهم بمعناه لا يحصى كثره، لكننا نذكر هنا بعض من رواه باللفظ المذكور فقط:

*فمن رواه عن أبي سعيد الخدري:

الترمذي (٣).

و أحمد بن حنبل (٤).

و الخطيب البغدادي (٥).

و ابن الأثير (٦).

و النووي (٧).

و السيوطي (٨).

ص: ١٣٢

١-١) مجمع الزوائد ١٠١/٩.

٢-٢) السيره الحلبيه ٣٨٠/١.

٣-٣) صحيح الترمذي ٥٩٣/٥ رقم: ٣٧١٧.

٤-٤) فضائل الصحابه ٥٧٩/٢ رقم: ٩٧٩.

٥-٥) تاريخ بغداد ١٥٣/١٣.

٦-٦) جامع الأصول ٤٧٣/٩.

٧-٧) تهذيب الأسماء و اللغات ٣٤٨/١.

٨-٨) تاريخ الخلفاء: ١٧٠.

*و من رواته عن جابر بن عبد الله الأنصاري:

أحمد بن حنبل (١).

و ابن عبد البر (٢).

و الهيثمي، عن طريق الطبراني و البزار (٣).

و ابن حجر المكي، عن أحمد و الترمذي (٤):

*و من رواته عن أبي ذر:

الحاكم النيسابوري (٥)

و المحبّ الطبري (٦).

و المتقي الهندي (٧).

فهذه طائفة من مصادر الحديثين، فلما ذا لم يسمّوا علياً ب(الفاروق) و سمّوا عمر بهذا الاسم؟ و الحال أنه لم يرد ذلك في حديث و لو من طرقهم و في واحد من كتبهم.

و لا يخفى أن الرجل لم يتعرّض لهذه الناحية أصلاً، و كأنه قد أظنّب في كلامه لئلا يطالب بدليل معتبر على تسميتهم عمر ب(الفاروق).

بل قد ذكر الكاندهلوي عن عمر بن شبة أنه روى عن ابن شهاب أنه قال:

«بلغنا أن أهل الكتاب أول من قال لعمر الفاروق. و لم يبلغنا أن رسول الله صلى

ص: ١٣٣

١-١ فضائل الصحابة ٢/٦٣٩ رقم: ١٠٨٦.

٢-٢ الاستيعاب ٣/١١١٠.

٣-٣ مجمع الزوائد ٩/١٣٢٢.

٤-٤ الصواعق المحرقة: ١٧٢.

٥-٥ المستدرک علی الصحیحین ٣/١٢٩.

٦-٦ الرياض النضرة ١/٢١٤.

٧-٧ منتخب كنز العمال-هامش المسند-٣٦/٥.

اللّٰه عليه و سلّم ذكر من ذلك شيئاً، و لم يبلغنا أن ابن عمر قال ذلك» (١).

تعظيمهم عائشه و قضاياها مع النبي و علي

إشارة

قال قدس سرّه: و عظموا أمر عائشه على باقى نسوانه مع أنه صلّى اللّٰه عليه و آله كان يكثر من ذكر خديجه بنت خويلد و قالت له عائشه: إنك تكثر من ذكرها و قد أبدلك اللّٰه خيراً منها! فقال لها: و اللّٰه ما بدّلتُ بها من هو خير منها: صدقتني إذ كذّبنى الناس، و آوتني إذ طردني الناس، و أسعدتني بمالها، و رزقني اللّٰه الولد منها و لم أرزق من غيرها!

الشرح

هذا الخبر أخرجه بهذا اللفظ أو ما يقاربه ابن عبد البر، و ابن حجر العسقلاني بترجمتها، و كذا غيرهما من الأعلام، و ابن تيميه لم ينكره صراحة و لم يجب عنه فى الظاهر، غير أنه قال:

إن أهل السنّه ليسوا مجمعين على أن عائشه أفضل نساءه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من السنّه، و احتجّوا بما فى الصحيحين عن أبى موسى و عن أنس أن النبي صلّى اللّٰه عليه و سلّم قال: فضل عائشه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام....

و فى الصحيح عن عمرو بن العاص قال: قلت: يا رسول اللّٰه، أى النساء أحبّ إليك؟ قال: عائشه، قلت: و من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال عمرو: سمى رجلاً (٢).

فتراه يعترف بما ذكره العلّامة - لكن مع عزو ذلك إلى كثير من أهل السنّه!! - ثم يحتج لهم بما رواه البخارى عن أبى موسى الأشعري و أنس بن مالك و عمرو بن

ص: ١٣٤

١-١ (١) حياه الصحابه ٢٢/٢-٢٣.

٢-٢ (٢) منهاج السنّه ٣٠١/٤-٣٠٣.

إنه ينسب القول بذلك إلى كثير من أهل السنّه، ليردّ بذلك على العلّامة حيث نسبته إلى أهل السنّه عامه- كما هو ظاهر عبارته- لكنه يحتج له بما رواه المبطلون عن رجال البغي و العدوان، و لا يذكر قولاً آخر من أهل السنّه، بل يجيب عن الحديث في فضل خديجه- مع التشكيك في سنده- و هذه عبارته:

«و هؤلاء يقولون: قوله لخديجه: ما أبدلني الله خيراً منها- إن صح- معناه: ما أبدلني خيراً لي منها. فإن خديجه نفعته في أوّل الإسلام نفعاً لم يقرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، لكونها نفعته وقت الحاجة.

و عائشه صحبته في آخر النبوه و كمال الدين، فحصل لها من العلم و الإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أوّل النبوه، فكانت أفضل لهذه الزيادة، فإن الأمه انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، و بلغت من العلم و السنّ ما لم تبلغه غيرها، فخديجه كان خيرها مقصوراً على نفس النبي صلّى الله عليه و سلّم، لم تبلغ عنه شيئاً و لم تنتفع بها الأمه كما انتفعوا بعائشه.. و في الجملة: الكلام في تفضيل عائشه و خديجه ليس هذا موضع استقصائه» (١).

أقول:

و أوّل ما فيه: نسبه المعنى المذكور إلى النبي صلّى الله عليه و آله، و هو خلاف ظاهر الحديث، و هو و إن عزا الكلام إلى غيره لكن سكوته عنه قبول له، فكيف يجوز لأحد أن يشهد على رسول الله بما هو خلاف ظاهر كلامه؟

ثم إنه كلام باطل، إذ أنه يعترف بحصول نفع له من خديجه لم يحصل من غيرها، ثم يدعى أن النفع الحاصل من عائشه للأمه أكثر، و هل يفرق المسلم بين النفع الحاصل (له) و (للأمه)؟

ص: ١٣٥

ثم أى نفع حصل من عائشه للأمه لم يحصل من غيرها؟

و هل كان من غيرها من الأزواج ما كان منها من إثارة الفتن و إيقاع النفاق و الشقاق بين الأمه.

ثم إن تشكيكه فى صحه الحديث و تصحيحه لما رووه فى فضل عائشه، دليل آخر على أن الكلام المذكور له-و لا أقل من كونه موافقاً عليه-لكنه ينسبه إلى غيره لكونه عالماً ببطلانه،و أنه مخالفه صريحه لكلام الرسول صلى الله عليه و آله!

ثم إن الرجل بعد أن ذكر جملة من الأكاذيب فى فضل عائشه،و حمل الحديث فى فضل خديجه-مع التشكيك فى سنده-على خلاف المراد منه قال:

«الكلام فى تفضيل عائشه ليس هذا موضع استقصائه».

ثم عاد مره إلى نقل موضوعات أخرى فى فضل عائشه....

و كل ذلك أدله و شواهد على ما ذكره العلامة.

إذاعه عائشه سر رسول الله

قال قدس سره:و أذاعت سر رسول الله صلى الله عليه و آله

الشرح:

أجاب ابن تيميه عن هذا بقوله:

«أولاً: أهل السنه يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها و رفع الله درجاتهم بالتوبه.

و يقال ثانياً: بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشه و حفصه، فيكونان قد تابا منه، و هذا ظاهر لقوله تعالى «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» فدعاهما الله تعالى إلى التوبه، فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا، مع ما ثبت من علو درجاتهما.

و يقال ثالثاً: المذكور عن أزواجه كالمذكور عمّن شهد له بالجنه من أهل بيته

و غيرهم من أصحابه، فإن علياً لما خطب ابنه أبي جهل على فاطمه و قام النبي خطيباً....

و كذلك لما صالح النبي المشركين يوم الحديبيه..و أمر علياً أن يمحو اسمه فقال:

و الله لا أمحوك...» (١).

أقول:

قال الله تعالى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* وَ إِذْ أَسِيرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَيْدِيثًا فَلَمَّا تَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَدَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيْلُ وَ صَالِحٌ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ* عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ تَيَّابَاتٍ وَ أَبْكَارًا» (٢).

فأخرج البخارى (٣) فى كتاب المظالم و الغصب، و فى كتاب التفسير، و فى كتاب الرضاع، و فى كتاب النكاح و غيرها، و كذا مسلم (٤) فى الرضاع فى غير موضع، و كذا غيرهما من أرباب الصحاح و كبار المحدثين و المفسرين: (أنهما عائشه و حفصه).

و(التظاهر) هو(التعاون بالإيذاء).

و لم تكن هذه القصه هى المره الأولى و لا-الأخيره، حتى يقال بأن المرأتين تابتا إلى الله كما دعاها عزّ و جل..و لذا قال بعد ذلك «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ

ص: ١٣٧

١- ١) منهاج السنّه ٣١٣/٤-٣١٥.

٢- ٢) سوره التحريم: الآيات ١-٥.

٣- ٣) صحيح البخارى ٧٠/٦-١٦٧ و ٢٣٢/٧.

٤- ٤) صحيح مسلم ١٨٥/٣.

وَ جَبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» فلو كانتا قد تابتا لم يكن حاحه إلى ذلك.

بل إن ما صنعه عائشه مع أمير المؤمنين عليه السلام-و هو نفس رسول الله عليهما السلام بالكتاب و السنّه-تظاهر عليه،و لعله لذا قال «وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» ،إذ المراد به فيما رواه القوم أنفسهم هو(على بن أبى طالب) (1).

ثم إن هذا التظاهر على النبي صلّى الله عليه و آله قد اقترن بأمر آخرى، فلم يكن ذنباً كسائر الذنوب التى يتاب منها فتكون كأن لم تكن،و لذا نزل فيه الوحي المبين المشتمل على التهديد.

لكن لم يكن من المرأتين-ولا- سيما عائشه-إلا- الاستمرار فى الإيذاء للرسول بأنحاء مختلفه،حتى أن فى بعض الموارد،حيث اطلع أبوها على ما فعلت،تناولها ضرباً شديداً و رسول الله صلّى الله عليه و آله حاضر، كما رواه أرباب الصحاح و السنن، و لو أردنا تفصيل الكلام فى ذلك لخرجنا عن المقصود.

و على الجملة،فإن عائشه ما تابت عمّا فعلت و ما صغى قلبها،بل استمرت فى نظائر ذلك الذى فعلت و نزل فيه القرآن المجيد....

فما ذكره الرجل دفاعاً عنها غير مفيد،و تنظير أفعال عائشه ببعض ما صدر من بعض الصحابه غير سديد.

و أمّا المعارضه بما وضعت يد الناصبه من خطبه أمير المؤمنين عليه السلام ابنه أبى جهل.فمردوده،بأن القصه موضوعه للكيد من رسول الله المصطفى و على المرتضى و الصديقه الكبرى، كما أثبتنا ذلك و الحمد لله.

و أمّا المعارضه بتوقف الإمام عليه السلام عن محو اسم النبي صلّى الله عليه و آله عن كتاب الصلح،فإنما تدلّ على سوء فهم الرجل أو شدّه تعصّبه،فالإعراض عن بيان

ص: ١٣٨

١- (١) فتح البارى ٢٧/١٣، الدر المنثور ٢٤٤/٦، كنز العمال ٥٣٩/٢ رقم: ٤٦٧٥، مجمع الزوائد ١٩٤/٩، الصواعق المحرقة: ١٤٤.

سقوطها أولى كما لا- يخفى، و يكفي أن نعلم بأن من علمائهم من يجعل هذه القصة مؤيِّده لما رووا من تراجع أبي بكر عن موضعه في الصَّلاه، مع أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنْ يَسْتَمِرَّ، قال الشوكاني: «تقرير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مَا قَالَه الْبَعْضُ مِنْ أَنَّ سَلُوكَ طَرِيقَ الْأَدَبِ خَيْرٌ مِنَ الْاِمْتِثَالِ، وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ عَدَمُ اِنْكَارِهِ عَلَى عَلِيٍّ لَمَّا اِمْتَنَعَ مِنْ مَحْوِ اسْمِهِ فِي قِصَّةِ الْحَدِيثِ» (١).

و من العجيب أنه يجعل توقّف الإمام عن محو الاسم في قصّة الحديث قديماً و يتناسى اعتراض عمر على صلح النبي و لا يجعل شكّه في نبوّته قديماً!

إخبار النبي بخروجها على علي

قال قدس سره: و قال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اِنْكَ تَقَاتِلِينَ عَلِيّاً وَ اَنْتِ ظَالِمَةٌ.

الشرح:

قال ابن تيمية: «و أمّا الحديث الذي رواه- و هو قوله لها: تقاتلين عليّاً و أنت ظالمة- فهذا لا- يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، و لا له إسناد معروف، و هو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشه لم تقاتل و لم تخرج لقتال، و إنما خرجت بقصد الاصلاح بين المسلمين..» (٢).

أقول:

لو سلّمنا أن لا حديث بهذا اللفظ يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، فلا ريب في أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَاها عَنْ ذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ نَبَاحِ كِلَابِ الْحَوَابِ.

و أيضاً: لا ريب في أنها خرجت مع الزبير الذي قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

ص: ١٣٩

١-١ (١) نيل الأوطار ١٦٩/٣.

٢-٢ (٢) منهاج السنّة ٣١٦/٤.

و آله مثل هذا الكلام، و هو حديث معروف موجود في الكتب المعتمده و له أسانيد معتبره، بل لقد جعل من شواهد علمه صَلَّى الله عليه و آله بالمغيبات، و أرسله غير واحد من الحفاظ في باب إخباره عن المغيبات إرسال المسلمات....

و نحن نذكر هنا كلام الحفاظ عياض بشرحه و به الكفايه، فإنه قال في الفصل الذي عقده لتلك الأمور: «و أخبر في حديث رواه البيهقي من طرق، و هو ممّا أخبر به من المغيبات بمحاربه الزبير لعلی و هو ظالم له، و كان صَلَّى الله عليه و سلّم رآهما يوماً - و كلّ منهما يضحك - فقال لعلی: أ تحبّه؟ فقال: كيف لا أحبّه و هو ابن عمّتي صفيّه و علی ديني؟

فقال للزبير: أ تحبّه؟ فقال: كيف لا أحبّه و هو ابن خالتي و علی ديني؟

فقال: أمّا أنك ستقاتله و أنت له ظالم.

فلما كان يوم الجمل قاتله، فبرز له علی -رضى الله تعالى عنه- و قال: ناشدتك الله، أ سمعت من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم قوله: إنك ستقاتلني و أنت لى ظالم؟

قال: نعم و لكن أنسيته. و انصرف عنه.

فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز و هو نائم فقتله، و أتى برأسه كما فضّله المؤرخون.

و ممّا أخبر به من المغيبات نباح كلاب الحوآب علی بعض أزواجه. يعني:

عائشه.. و أخبر في هذا الحديث أنه يقتل حولها ممن كان معها قتلى كثيره، قيل: كانوا نحو ثلاثين ألفاً، و تنجو أى تسلم هي بعد ما كادت أى قاربت عدم النجاه، فنبحت كلاب الحوآب علی عائشه عند خروجها إلى البصره.

و هذا الحديث صحيح كما مر، روى من طرق عديده.. (١).

ص: ١٤٠

١ - ١) نسيم الرياض - شرح شفاء القاضي عياض ١٦٥/٣. و حديث نباح كلاب الحوآب موجود في مسند أحمد ٩٧/٦، و المستدرک ١١٩/٣ و غيرهما، و نص ابن حجر في فتح الباری ١٦٥/٦، و الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٤/٧ علی صحته. و هذا القدر يكفي.

قال قدس سره: ثم إنها خالفت أمر الله تعالى في قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ».

الشرح:

نعم. إن عائشه خالفت في خروجها-مع طلحه و الزبير- إلى البصره أمر الله في قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» فهي خالفت أمر الله بالقرار في البيت، وليتها خالفت في غير ما خرجت له! لقد خالفت أمر الله في فعل سمعت من قبل نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ خُورُجِهَا مِنْ بَيْتِهَا، لَقَدْ خَالَفت أمر الله متلبسه بالظلم، و في إعانه (الظالم) بنص الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَقَدْ كَانَ فِي خُورُجِهَا مَفْسُده و أى مفسده، لا عليها فقط، بل على الإسلام و المسلمين..

لكن ابن تيمية يدعى تاره أنها خرجت «بقصد الإصلاح بين المسلمين» (١).

و أخرى يقول: إنها اجتهدت «و إذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب و السنه» (٢).

و ثالثه يقول: إنها ندمت على خروجها «فكانت إذا ذكرت خروجها تبكى حتى تبلّ خمارها» (٣).

أقول:

إن كانت تقصد الإصلاح بين المسلمين، فإن الإصلاح فرع النزاع و الخلاف، و هل كان بين على أمير المؤمنين و بين طلحه و الزبير نزاع على شىء، أو أنهما بايعاه ثم

ص: ١٤١

١- ١) منهاج السنه ٣١٦/٤.

٢- ٢) منهاج السنه ٣٢١/٤.

٣- ٣) منهاج السنه ٢٠٨/٦ و ٣١٦/٤.

خرجا إلى مكة ناكثين للبيعة و ناقضين للعهد؟

و أيضاً: إن كانت تقصد الإصلاح بين المسلمين، فهل كان يكون الإصلاح في البصره حتى تخرج إليها في ملأ من الناس؟

و أيضاً: إن كانت تقصد الإصلاح، فلما ذا ينهاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ و تنهاها أم سلمه أم المؤمنين؟ و ينهاها رجال المسلمين؟ و هلأ خرجوا معها و ساعدوها على الإصلاح؟

و إن كانت مجتهده مخطئه في اجتهادها فلا- خطأ، بل لها أجر و إن كان أقل من أجرها فيما لو كانت مصيبه، فلما ذا الندم و البكاء؟

لكن الرجل عند ما ادّعى أنها خرجت «بقصد الإصلاح» و أنها كانت «راكبه، لا قاتلت و لا أمرت بالقتال» قال: «هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار»!!

كأن الرجل يعلم بكذب ما يقول فيخرج عن عهده بنسبته إلى غيره!! و لننقل بعض «ما ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار» و لو أردنا شرح القضية بالتفصيل، لخرجنا عن المقصود فنقول:

قال الطبري و غيره إنه بعد أن تولّى أمير المؤمنين عليه السلام أمر المسلمين:

«سأل طلحه و الزبير أن يؤمّرها على الكوفه و البصره فقال: تكونان عندي فأتجمل بكما فإني وحش لفراقكما» ثم روى الطبري عن طلحه قوله: «ما لنا من هذا الأمر إلا كلعسه الكلب أنفه» (١).

قال الطبري: «ثم ظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، و ابن عامر بها يجزّ الدنيا، و قدم يعلى بن أميه معه بمال كثير، و زياده على أربعمائه بعير، فاجتمعوا في بيت عائشه، فأداروا الرأي، فقالوا: نسير إلى على فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقه بأهل

ص: ١٤٢

المدينة، و لكننا نسير حتى ندخل البصره و الكوفه، و لطلحه بالكوفه شيعه و هوى، و للزبير بالبصره هوى و معونه. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصره و إلى الكوفه» (١).

فقال أم سلمه لعائشه: «يا عائشه: إنك سده بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين أمته، حجابك مضروب على حرمة، و قد جمع القرآن ذلك فلا تندحيه، و سكن الله عقيرتك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمه، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهداً، بل قد نهاك عن الفرطه فى البلاد، ما كنت قائله لو أن رسول الله قد عارضك بأطراف الفلوات ناصه قلو صكك قعوداً من منهل إلى منهل؟ إن بعين الله مثواك و على رسول الله تعرضين...».

ثم إن عائشه سمعت فى الطريق نباح الكلاب فقالت: «أى ماء هذا؟
فقالوا: الحوآب.

فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون، إني لهي، قد سمعت رسول الله يقول - و عنده نساؤه -: ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب.
فأرادت الرجوع.

فأتاها عبد الله بن الزبير فقال: كذب من قال إن هذا الحوآب.

و لم يزل بها حتى مضت، فقدموا البصره» (٢).

قالوا: «لما قدمت عائشه البصره، كتبت إلى زيد بن صوحان:

من عائشه ابنه أبى بكر أم المؤمنين حبيبه رسول الله، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان: أما بعد، فإذا أتاك كتابى هذا فأقدم و انصرتنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذل عن على.

ص: ١٤٣

١-١) تاريخ الطبرى ٤/٤٥٢.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٤/٤٦٩.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشه ابنه أبي بكر حبيبه رسول الله، أما بعد: فإنى ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر و رجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين، أمرت أن تلزم بيتها و أمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به و أمرتنا به، و صنعت ما أمرنا و نهتنا عنه» (١).

ثم إنها كتبت إلى حفصه بنت عمر:

«أما بعد، فإنى أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار و أقام بها مرعوباً خائفاً، لما بلغه من عدتنا و جماعتنا، فهو بمنزله الأشفر، إن تقدم عقر و إن تأخر نحر.

فدعت حفصه جوارى لها يتغنين و يضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن فى غنائهن:

ما الخبر ما الخبر؟ على فى السفر، كالفرس الأشفر، إن تقدم عقر، و إن تأخر نحر!

و جعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصه و يجتمعن لسماع الغناء.

فبلغ أم كلثوم بنت على، فلبست جلابيبها و دخلت عليهن فى نسوه متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصه خجلت و استرجعت.

فقال أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل.

فقال حفصه: كفى رحمك الله، و أمرت بالكتاب فمزق، و استغفرت الله».

قال الطبرى: «فقدموا البصره و عليها عثمان بن حنيف. فقال لهم عثمان:

ما نقمتم على صاحبكم؟

فقالوا: لم نره أولى بها منا و قد صنع ما صنع.

ص: ١٤٤

قال: فإن الرجل أمرني، فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له، على أن أصلي بالناس حتى يأتينا كتابه.

فوقفوا عليه و كتب».

«فلما استوثق لطلحه و الزبير أمرهما، خرجا في ليله مظلمه ذات ريح و مطر و معهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع و ظاهرها فوقها بالثياب، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاه الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، و أقيمت الصلاه، فتقدم عثمان ليصلي بهم، فأخره طلحه و الزبير و قدموا الزبير، فجاءت السياجه -و هم الشرط حرس بيت المال- فأخروا الزبير و قدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير و أخروا عثمان.

و لم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع و صاح بهم أهل المسجد: ألا- تتقون الله يا أصحاب محمد و قد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلي بالناس.

فلما انصرف من صلاته صاح بأصحابه المتسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف.

فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أسر ضرب ضرب الموت، و نتف حاجباه و أشفار عينيه و كل شعره في رأسه و وجهه، و أخذوا السياجه -و هم سبعون رجلاً- فانطلقوا بهم و بعثمان بين حنيف إلى عائشه.

فقال لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله.

فنادى عثمان: يا عائشه و يا طلحه و يا زبير، إن أخي سهل بن حنيف خليفه على بن أبي طالب على المدينه، و أقسم بالله، إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بني أبيكم و أهلكم و رهطكم، فلا يبقى منكم أحداً.

فكفوا عنه و خافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم و أهلهم بالمدينه، فتركوه.

و أرسلت عائشه إلى الزبير: أن اقتل السياجه.

ص: ١٤٥

فذبحهم - والله - الزبير كما يذبح الغنم...».

«و كان الغدر بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الإسلام...».

أقول:

هذا هو الإصلاح بين المسلمين؟

و هل كانت راحته لا قاتلت و لا أمرت بالقتال؟

و هل كان بكاءها - بعد ذلك - عن ندم أو عن خيبة أمل؟

فلنكتف بهذا القدر، و من أراد المزيد فليرجع إلى كتب التاريخ....

خروجها تقود الجيوش!

قال قدس سره: و خرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان و كانت هي كل وقت تأمر بقتله و تقول: اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً.

الشرح

نعم، خرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب.

و قول ابن تيمية: «هذا كذب عليها، فإنها لم تخرج لقصد القتال» (1) هو الكذب، و إلا فما معنى: «نسير إلى علي فنقاتله»؟

و أى معنى لما كتبه إلى زيد بن صوحان؟

و أى معنى لما جاء في كتابها إلى حفصه؟

ثم أ لم تأمر بقتل عثمان بن حنيف بعد الغدر به؟

أ لم تأمر بقتل السباجه من غير ذنب؟

أ لم تحرض الأزدي و بنى ضبّه و القبائل الأخرى على القتال؟

ص: ١٤٦

ثم قال ابن تيميه: «و أما قوله: إن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان.

فجوابه من وجهين: أحدهما: أن يقال هذا من أظهر الكذب و أبينه، فإن جماهير المسلمين لم يأمرُوا بقتله و لا شاركوا في قتله و لا رضوا بقتله، و غاية ما يقال إنهم لم ينصروه حق النصرة، و أنه حصل نوع من الفتور و الخذلان، حتى تمكن أولئك المفسدون، و لهم في ذلك تأويلات» (١).

أقول:

لقد اعترف الرجل بأن المسلمين قتلوا عثمان، غير أن جمعاً منهم باسروا القتل، و أن الآخرين خذلوه، و هذا ليس إلا تهدياً للعبارة، و إلا - فمن المعلوم أن الجميع ما باسروا القتل، لأنه أمر غير ممكن... و على الجملة، فإن خيار المسلمين هم الذين قتلوا عثمان و سائر الناس تبع لهم....

و لو كان هذا الرجل يدعى أن الذين ثاروا على عثمان - و انتهى الأمر إلى قتله - هم الأقل، فليس لنا طائفه من الأكثر؟ و لما ذا لم يدفعوا أولئك الأقلية المفسدين حسب تعبيره؟

لقد قتله الكل بين مباشر و خاذل «و لهم في ذلك تأويلات» كما قال، فأين الكذب في كلام العلامة؟

قال: «و أمّا قوله: إن عائشه كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان و تقول في كل وقت: اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً، و لما بلغها قتله فرحت بذلك.

فيقال له أولاً: أين النقل الثابت عن عائشه بذلك؟

و يقال ثانياً: إن المنقول عن عائشه يكذب ذلك و يبين أنها أنكرت قتله، و ذمّت من قتله و دعت على أخيها محمد و غيره لمشاركتهم في ذلك.

و يقال ثالثاً: هب أن واحداً من الصحابه عائشه أو غيرها قال في ذلك كلمه على

ص: ١٤٧

وجه الغضب، لإنكاره بعض ما ينكر، فليس قوله حجه ولا يقدح في إيمان القائل ولا المقول له...» (١).

في أنها كانت من المحرّضين ضدّ عثمان

أقول:

أمّا أنها «كانت في كلّ وقت تأمر بقتل عثمان».

فمن ذلك قولها لمروان بن الحكم و قد طلب منها الإقامة بالمدينة لتدفع عن عثمان و هو محصور: «و الله لا أفعل، وددت- و الله- أنه في غراره من غرائري، و أنى طوقت حملة حتى ألقيه في البحر».

و قولها لابن عباس: «إياك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية».

و عن سعد بن أبي وقاص- و قد سئل: من قتل عثمان؟- «قتله سيف سلّته عائشه، و شحذه طلحه، و سمّه علي» قال الراوي: «قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده و صمت بلسانه».

و عن أم سلمه- لما جاءت إليها عائشه تخادعها على الخروج معها إلى البصره:-

«أنا أم سلمه، إنك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول، و ما كان اسمه عندك إلّا نعتلاً».

و عن الأحنف بن قيس لمّا قالت له: «ويحك يا أحنف بم تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتله أمير المؤمنين عثمان؟ أمن قلّه عدد؟ أو أنك لا تطاع في العشيره؟ قال:

«يا أمّ المؤمنين، ما كبرت السنّ و لا طال العهد، و إن عهدي بك عام أوّل تقولين فيه و تنالين منه».

و عن المغيرة بن شعبه في جواب قولها له: «يا أبا عبد الله، لو رأيتني يوم الجمل،

ص: ١٤٨

قد أنفذت النصل هودجى حتى وصل بعضها إلى جلدى».

قال: «وددت-و الله-أن بعضها كان قتلک.

قالت: یرحمک الله، و لم تقول هذا؟

قال: لعلها تكون كفاره فى سعيك على عثمان...».

و عن عمّار رضى الله عنه-و قد رآها باكيه على عثمان-: «أنت بالأمس تحرضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه؟».

و عن سعيد بن العاص أنه لقي مروان و أصحابه بذات عرق فقال: «أين تذهبون و تاركم على أعجاز الإبل؟ اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم، لا تقتلوا أنفسكم...».

و عن أمير المؤمنين عليه السلام-فى كتاب له إلى طلحه و الزبير و عائشه-:

«و أنت يا عائشه، فإنك خرجت من بيتك عاصيه لله و لرسوله، تطليبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين!

فخبريني، ما للنساء و قود الجيوش و البروز للرجال و الوقع بين أهل القبلة و سفك الدماء المحترمه!

ثم إنك طلبت-على زعمك-دم عثمان، و ما أنت و ذاك، و عثمان رجل من بنى أميه و أنت من تيم!

ثم أنت بالأمس تقولين فى ملاء من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، ثم تطليبين اليوم بدمه!

فاتقى الله و ارجعى إلى بيتك و أسبلى عليك سترك».

و أمّا أنها كانت تقول: «اقتلوا نعتلاً».

فقد رأيت فى بعض الكلمات المذكوره و الآتيه، رواه المؤرخون و المحدّثون حتى فى كتبهم فى اللغه. فراجع كلّاً من:

(النهايه فى غريب الحديث) و (لسان العرب) و (القاموس) و (تاج العروس)

و غيرها فى كلمه (نعثل).

و أما «أن المنقول عنها أنها أنكرت...».

فهذا صحيح، و لكن بعد ما قتل.. كما عرفت من الكلمات المتقدمه، فهذا لا يكذب ما ذكره العلامه، و الرجل يفهم هذا و لكن يغالط!

و كذا قوله: «هب أن واحداً...» فإنه مغالطه واضحه، فإن التحريض على القتل و تشبيه عثمان ب (نعثل) و هو رجل يهودى، و إخراجها قميص رسول الله و شعره و هى تقول: «هذا قميصه و شعره لم يبيل و قد بلى دينه»، و قولها لما بلغها قتله: «أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه و ما الله بظلام للعبيد» و أمثال ذلك... ليس «كلمه على وجه الغضب»، و لو كان كذلك لما اعترض عليها المعترضون قائلين: «إنك كنت بالأمس...».

قال قدس سره: فلما بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولى الخلافة؟ فقالوا: على عليه السلام فخرجت لقتاله على دم عثمان!

فأى ذنب كان لعلى عليه السلام على ذلك؟!!

الشرح:

نعم، لقد أجمع المؤرخون على أن عائشه إنما نادى بدم عثمان بعد ما أبلغت بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد تولى الخلافة، و ذلك لأنها تريدها لطلحه و لم تشك فى أنه هو صاحب الأمر:

قال الطبرى: «خرج ابن عباس، فمرّ بعائشه فى الصيّ لمصل فقالت: يا ابن عباس، أنشدك الله، فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً، أن تخذل عن هذا الرجل، و أن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم و أنهجت و رفعت لهم المنار و تحلبوا من البلدان لأمر قد جم، و قد رأيت طلحه بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال و الخزائن مفاتيح، فإن يسر بسيره ابن عمه أبى بكر».

و قال: «إن عائشه لما انتهت إلى سرف راجعه فى طريقها إلى مكه، لقيها عبد ابن أم

كلاب-و هو عبد بن أبي سلمه، ينسب إلى أمه-.

فقال له: مهيم؟

قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانياً.

قالت: ثم صنعوا ما ذا؟

قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب.

فقالت: و الله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. ردوني.

فانصرفت إلى مكة و هي تقول: قتل- و الله- عثمان مظلوماً، و الله لأطلبن بدمه.

فقال لها ابن أم كلاب: و لم؟ فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت، و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر.

قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، و قد قلت و قالوا، و قولي الأخير خير من قولي الأول...» (١).

قال قدس سره: و كيف استجاز طلحه و الزبير مطاوعتها على ذلك؟ و بأي وجه يلقون رسول الله صلى الله عليه و آله، مع أن الواحد منا لو تحدّث مع امرأه غيره و أخرجها من منزله و سافر بها، كان أشدّ الناس عداوه.

الشرح:

بل إنهما خدعاها و خذلاها، و كذا أتباعهما..

أمّا الزبير، فإنه لما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بما قال له رسول الله صلى الله عليه و آله، خرج عن الميدان و اعتزل الحرب، فقال له ابنه عبد الله: «أين تدعنا؟ فقال:

«يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته، فاخترت العار على النار...» (٢).

ص: ١٥١

١- (١) تاريخ الطبرى ٣/٤٣٤-٤٧٦.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٤/٤٥٩، مروج الذهب ٢/٦٥٢.

فهلما أرجع عائشه إلى بيتها الذى أخرجها منه؟ وكيف لم يخبرها بالحق الذى ذكر به عسى أن تكفّ هي أيضاً عن المقاتله، فلا يكون مزيد هتك و سفك دم!

و أمّا طلحه، فإنه بعد ما بعث إليه على أن ألقني، فلقيه، قال له: أنشدك الله أسمعك رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه؟ قال:

نعم. فقال له: فلم تقاتلني؟

و قال الطبرى: «قال له: يا طلحه، جئت بعرض رسول الله تقاتل بها و خبأت عرسك فى بيتك؟ أما بايعتنى؟ (١)». بعد هذا الذى لم ينفعه.. و اشتبكت الحرب.

قال مروان: لا أطلب بثارى بعد اليوم، ثم رماه بسهم فقتله و هو يقول: و الله إن دم عثمان عند هذا، هو كان أشدّ الناس عليه، و ما أطلب أثراً بعد عين. ثم التفت إلى أبان بن عثمان - و هو معه - فقال: لقد كفيتك أحد قتله أبيك «و كان طلحه أول قتيل...».

فهلما - أرجعوا عائشه إلى بيت خدرها؟ و هلا - رجعت هي بعد أن فقد الجيش الأُميرين القائدين: طلحه و الزبير، و قبل أن يقتل الآلاف من أولئك الأراذل الأجلاف؟

قال قدس سره: و كيف أطاعها على ذلك عشرات الألوف من المسلمين و ساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، و لم ينصر أحدٌ منهم بنت رسول الله صلى الله عليه و آله لما طلبت حقها من أبى بكر، و لا شخصٌ واحد بكلمه واحده!

الشرح:

قال ابن تيميه: «هذا من أعظم الحجج عليك! فإنه لا - يشك عاقل أن القوم كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه و سلم و يعظمونه، و يعظمون قبيلته و بنته أعظم مما يعظمون أبى بكر و عمر... فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال إن فاطمه - رضى

ص: ١٥٢

اللّٰه عنها-مظلومه،و لا أن لها حقاً عند أبى بكر و عمر،و لا أنهما ظلماها،و لا تكلم أحد فى هذا بكلمه واحده،دلّ ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومه..» (١).

أقول:

فإذن، كانت عائشه على حق و أنها ليست ظالمه! فلما ذا ندمت؟ و عمّا تابت كما زعمت؟

و كذا كان يزيد فى قتله الحسين بن على عليه السلام و أهل بيته و سبى ذراريه و نسوته..على حق،و أنه لم يكن ظالماً! لأن المسلمين كلهم كانوا معه بين من خاف مخالفته،و من باشر فى قتل الحسين بأمره،و بين من رضى بفعله و سكت و ما تكلم و لا بكلمه واحده..و لذا قال بعض النواصب:«إنه قتل بسيف جدّه»!

و كذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفى على حق،و لم يظلم أحداً،لأن أحداً من المسلمين لم يعترض على أفعاله و لا تكلم بكلمه!! و هكذا....

لقد نسب هذا الرجل إلى المسلمين كافة القول بأن فاطمه كانت ظالمه،لأنها إذا لم تكن مظلومه فهى ظالمه لأبى بكر و عمر،و إذا لم تكن فى دعواها عليهما صادقه فهى كاذبه آثمه!! كبرت كلمه تخرج من أفواههم...!!

إن هذا الرجل و إن كان يحاول فى الموارد المختلفه أن يخفى عداؤه لأهل البيت عليهم السلام،لكنه-كما عن أمير المؤمنين عليه السلام:«ما أضمر أحد شيئاً إلا و ظهر فى فلتات لسانه»-فى بعض الموارد يكشف عن باطنه و يعرف حقيقته،و هذا المورد من تلك الموارد.

عجباً لهذا الرجل!! لَمَّا يقال:«إن المسلمين قتلوا عثمان»يقول:بأن قتلته قليلون، و أمّا خيار المسلمين و سائر الناس فقد خذلوه.و لَمَّا يقال:«إن الناس قعدوا عن الدفاع

ص:١٥٣

عن حق الزهراء و لم يتكلم أحد بكلمه واحده» يقول: فإذا كانوا يرونها غير مظلومه، أى ظالمه!!

تسميتهم عائشه فقط بأُم المؤمنين

قال قدس سرّه: و سمّوها أمّ المؤمنين و لم يسمّوا غيرها بذلك! و لم يسمّوا أخاها محمد بن أبى بكر-مع عظم شأنه و قرب منزلته من أبيه و أخته عائشه ام المؤمنين-خال المؤمنين.

الشرح:

استنكر ابن تيميه هذا القول، و قال بأنه «من البهتان الواضح الظاهر لكلّ أحد» قال:

«و ما أدرى أ هذا الرجل و أمثاله يتعمدون الكذب، أم أعمى الله بصائرهم لفرط هواهم، حتى خفى عليهم أن هذا كذب....

و ذلك أنه من المعلوم أن كلّ واحده من أزواج النبي يقال لها أم المؤمنين عائشه حفصه.... و قد قال الله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» و هذا أمر معلوم للأمه علماء عامّاً.

و قد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته....

و لما كنّ بمنزله الأمّهات فى حكم التحريم دون المحرميه، تنازع العلماء فى إخوانهن هل يقال لأحدهم خال المؤمنين؟ فقيل: يقال لأحدهم خال المؤمنين، و على هذا، فهذا الحكم لا يختص بمعاويه....

و الذين أطلقوا على الواحد من أولئك أنه خال المؤمنين لم ينازعوا فى هذه الأحكام، و لكن قصدوا بذلك الاطلاق أن لأحدهم مصاهره مع النبي، و اشتهر ذكرهم لذلك عن معاويه، كما اشتهر أنه كاتب الوحي و قد كتب الوحي غيره....

و معاويه لما كان له نصيب من الصحبه و الاتصال برسول الله، و صار أقوام

يجعلونه كافراً أو فاسقاً و يستحلّون لعنه و نحو ذلك، احتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، ليرعى بذلك حق المتصلين برسول الله بحسب درجاتهم. و هذا القدر لو اجتهد فيه الرجل و أخطأ، لكان خيراً له من أن يجتهد في بغضهم و يخطئ...» (١).

أقول:

لقد فكّر الرجل و قدّر، و فرّ و كزّ، و أرعد و أبرق، ثم اعترف بالحق و وقع في المأزق.. يقول العلامة: إن جميع نساء النبي صَلَّى الله عليه و آله أمّهات المؤمنين بحسب الآيه المباركه، و الحكم المذكور منطبق على جميعهن بلا تفاوت، فلما ذا يسمّون «عائشه» ب «أم المؤمنين» و كذا ب «السيدة»، و لا يسمّون بذلك «أم سلمه» و أمثالها، بل يسمّون أم سلمه ب «الزوج النبي» و كذا غيرها، و هذا ما لا يخفى على من يراجع كتبهم في الحديث و السير، فانظر مثلاً ما يعنون به أحمد بن حنبل في مسنده لدى إيراد أخبارهنّ و النقل عنهنّ.

بل لقد تبادوا في ذلك حتى وضعوه على لسان النبي صَلَّى الله عليه و آله، فقد روى المحبّ الطبري في (الرياض النضرة) حديثاً عنه صَلَّى الله عليه و آله جاء فيه: «ثم قال: يا عائشه: أنا سيد المرسلين و أبوك أفضل الصّديقين و أنت أم المؤمنين» (٢).

فإنه يفيد اختصاصها بهذه المنزله كاختصاص النبي الأكرم بكونه «سيد المرسلين» و اختصاص أبيها بما ذكر....

فأعود و أقول: «ما أدري أ هذا الرجل و أمثاله يتعمّدون الكذب، أم أعمى الله بصائرهم لفرط هواهم؟! لأنهم إذا كانوا يرون جميع الأزواج أمّهات المؤمنين، فما معنى وضعهم مثل هذا الحديث؟ و ما معنى وصفهم لعائشه بذلك دون غيرها؟

ص: ١٥٥

١- ١) منهاج السنّه ٣٧٢/٤.

٢- ٢) الرياض النضرة في مناقب العشره ٣٥/١.

و يقول العلماءه رحمه الله: إنه بناء على صحه إطلاق «خال المؤمنين» على إخوه أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإن مقتضى القاعده أن يكون أخو التي جعلوها أفضلهنّ أحق بأن يشتهر بهذا اللقب و يدعى به من أخى غيرها....

و لَمَّا كانت عائشه أفضلهنّ عندهم و أشهرهن بلقب «أم المؤمنين» و «السيدة»، كان ينبغي أن يكون أخوها «محمد بن أبى بكر» الأحق و الأشهر بلقب «خال المؤمنين» لكنهم خصوا «عائشه» بلقب «أم المؤمنين» و جعلوا خال المؤمنين من بين إخوتهن «معاويه»، فلم يشتهر «محمد» باللقب المذكور، مع كونه أخا «عائشه» و ابن أبى بكر خليفتهم الأوّل، و مع كونه أفضل و أتقى من معاويه، مع ما ورد فى معاويه من اللعن و الذم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما سيأتى.

تسميتهن معاويه (خال المؤمنين)

إشارة

قال قدس سره: و سمّوا معاويه بن أبى سفيان خال المؤمنين، لأنّ اخته أمّ حبيبه بنت أبى سفيان بعض زوجات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و اخت محمد بن أبى بكر و أبوه أعظم من اخت معاويه و من أبيها.

الشرح:

لقد اعترف ابن تيميه باشتهار معاويه بهذا اللقب، و هذا هو الإشكال.

و قال فى وجه ذلك: إنه صار أقوام يجعلونه كافراً أو فاسقاً و يستحلّون لعنه و نحو ذلك، فاحتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و سلّم ليرعى بذلك حق المتصلين.

لكن يردّه:

أولاً: أن الذين كفّروه و لعنوه إنما اتّبَعوا فى ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و من لعنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقد برئ منه و أزال اتصاله به، فأى أهل علم يحتاج حينئذ

إلى أن يذكر ما له من الاتصال؟ اللهم إلا النواصب أعداء الرسول و أهل بيته!

و ثانياً: إن «محمداً» أيضاً له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه و آله، و صار أعداء الله يجعلونه فاسقاً و يستحلون دمه، فلما ذا لا يراعى حقه بذكر ما له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه و آله؟ و هذا هو الإشكال الذى ذكره العلامة.

و لا جواب له إلا ما ذكره العلامة من «محبته محمد بن أبى بكر لعلى عليه السلام و مفارقتة لأبيه، و بغض معاويه لعلى عليه السلام و محاربتة له».

لعن النبي معاويه

قال قدس سره: مع أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لعن معاويه الطليق ابن الطليق.

الشرح:

قال ابن تيميه: «أمياً قوله: أنه الطليق ابن الطليق. فهذا ليس نعت ذم، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة و أطلقهم النبي...» (١).

أقول:

قال ابن الأثير: «اللقاء هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة و أطلقهم، و لم يسترقتهم، و واحدهم طليق، فعيل بمعنى مفعول، و هو الأسير إذا أطلق سبيله» (٢).

أليس هذا نعت ذم؟ فمن لم يسلم طوعاً تلك السنين المتماديه منذ البعثة إلى فتح مكة فوقع أسيراً، فكان يكون رقاً، لكنه صلى الله عليه و آله لم يسترقت بل منّ عليه فأطلق سبيله، كيف لا يذم؟

بل فى عبارته الرجل نفسه إشاره إلى ذلك و إن كان لا يشعر! إنه يقول «... و أطلقهم

ص: ١٥٧

١- ١) منهاج السنه ٣٨١/٤.

٢- ٢) النهايه فى غريب الحديث: «طلق».

النبي «فلو لم يكن أسر و استرقاق فما معنى «و أطلقهم»؟

هذا، و لو لم يكن نعت ذم و نقص، فلما ذا قال عمر: «هذا الأمر في أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقى منهم أحد، ثم في كذا و كذا. و ليس فيها لطلق و لا لولد طليق، و لا لمسلمه الفتح شيء» (١).

و عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري: «و أى مدخل لمعاويه في الشورى، و هو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة؟ و هو و أبوه من رؤوس الأحزاب» (٢).

و فوق ذلك ما عن عائشه و قد قيل لها: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟ فقالت: «و ما تعجب من ذلك؟ و هو سلطان الله يؤتیه للبرّ و الفاجر، و قد ملك فرعون أهل مصر أربعمائيه سنه، و كذلك غيره من الكفار» (٣).

أمره بقتله

قال قدس سره: اللعين ابن اللعين. و قال صلى الله عليه و آله: إذا رأيتم معاويه على منبري فاقتلوه!

الشرح:

لعه رسول الله صلى الله عليه و آله غير مرّه في غير موقف، و إليك واحداً منها، و هو ما ذكره الإمام الحسن السبط و عبد الله بن عمر و محمد بن أبي بكر و غيرهم: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال- و قد رأى أبا سفيان على حمار و معاويه يقود به و يزيد ابنه يسوق به-: «لعن الله القائد و الراكب و السائق» (٤).

ص: ١٥٨

١-١) الطبقات الكبرى ٣ ق ٢٤٨/١، أسد الغابه ٣٨٧/٤.

٢-٢) الإستيعاب ٨٥١/٢، أسد الغابه ٣١٨/٣.

٣-٣) تاريخ ابن كثير ١٣١/٨.

٤-٤) وقعه صفين: ٢٤٧، تاريخ الطبري ٣٥٧/١١، مجمع الزوائد ٢٤٧/٧، مروج الذهب ٥٩/٢.

و لا يخفى أن ابن تيمية لم يتعرّض لكلمه العلامة هذه!

و إنما تكلم في الحديث المذكور فقال: «هذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل، و هو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي، و هذا الرفض الراوى له لم يذكر له إسناداً حتى ينظر فيه، و قد ذكره أبو الفرج ابن الجوزى في الموضوعات» (١).

أقول:

أولاً: هذا الحديث موجود في غير واحد «من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل» فهو في: (تاريخ بغداد) و (تاريخ الطبري) و (مسند الحسن بن سفيان) و (صحيح ابن حبان) و (كنوز الحقائق من كلام خير الخلائق للمناوى).

و ثانياً: إنه ليس «عند أهل المعرفة بالحديث كذباً موضوعاً مختلقاً على النبي صلى الله عليه و آله و سلم» فقد صححه الذهبي - و هو عندهم إمام أهل المعرفة في الحديث - في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) (٢).

و ثالثاً: إنا نذكر له إسناداً واحداً - فللحديث طرق متعددة - لينظر فيه كما قال، و هو الإسناد الذي صححه الذهبي، و هو ما أخرجه ابن حبان عن طريق عباد بن يعقوب عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود:

أمّا (عباد بن يعقوب) فمن رجال البخارى و الترمذى و ابن ماجه، و من مشايخ أبى حاتم، و البزار، و الحكيم الترمذى، و صالح جزره، و ابن خزيمة، و ابن صاعد، و ابن أبى داود، و القاسم المطرز، و غيرهم (٣).

و أمّا (شريك النخعي الكوفي) فمن رجال مسلم و البخارى في التعاليق

ص: ١٥٩

١- ١) منهاج السنّة ٣٨٠/٤.

٢- ٢) ميزان الاعتدال ٣٨٠/٢.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٩٥/٥.

و أصحاب السنن الأربعة (١).

و أمّا (عاصم بن بهدله الأسدي) فمن رجال الصحاح الستة (٢).

و أمّا (زر بن جيش) فمن رجالها كذلك (٣).

و أمّا (عبد الله بن مسعود) فمن أعظم الأصحاب عند المسلمين.

و رابعاً: ذكر أبي الفرج ابن الجوزي إياه في (الموضوعات) لا يقتضى سقوط الحديث.

أما أولاً: فلتصحیح الذهبي إياه - كما عرفت - و هو عندهم أتقن و أدق من ابن الجوزي.

و أمّا ثانياً: فلأذن ابن الجوزي متساهل في كتابه (الموضوعات)، و هذا ما نص عليه المحققون، قال النووي: «و قد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلدین، أعنى أبا الفرج ابن الجوزي، فذكر كثيراً ممّا لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف».

و قال السيوطي بشرحه: «قال الذهبي: ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسناً قويه» (٤).

و أمّا ثالثاً: فلأذن ابن الجوزي إنّما أورد الحديث من جهة قدحه في (عباد بن يعقوب الرواجني) و إذا عرفنا بطلان قدحه - لكون الرجل ثقة يعتمد عليه أرباب الصحاح و كبار الأئمة - ظهر لنا بطلان إخراج له في (الموضوعات).

و لعلّ هذا من جملة شواهد من حكم من الأئمة كالنووي و ابن حجر و السيوطي و غيرهم، على أن الرجل متساهل في الكتاب المذكور.

ص: ١٦٠

١-١) تقريب التهذيب ٣٥١/١.

٢-٢) تقريب التهذيب ٣٨٣/١.

٣-٣) تقريب التهذيب ٢٥٩/١.

٤-٤) تدريب الراوي - شرح تقريب النواوي ٢٣٥/١ - ٢٣٦.

ثم إن القوم المدافعين عن الظالمين و المحامين للمبطلين، قد حرّفوا لفظ هذا الحديث بجعل (معاويه) غير ابن أبي سفيان، أو جعل «فاقتلوه» لفظ «فاقبلوه». و لكن لفرط وضوح هذا التحريف و الكذب الشنيع على رسول الله صلى الله عليه و آله، اضطرّ ابن الجوزى إلى التصريح بأن ذلك محرّف مكذوب (١)!!

قال قدس سرّه: و كان من المؤلّفه قلوبهم.

الشرح:

إنّ من العجيب الغريب اعتراف ابن تيميّه بهذا المعنى، و الظاهر أنه لعدم الداعى الشديد عنده لإنكاره، و إلاّ فإنه طالما أنكر الحقائق الثابتة المرويه فى كتب أبناء مذهبه المعتمده!!

حارب الإمام الحق

قال قدس سرّه: و قاتل عليّاً عليه السلام، و هو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، و كلّ من حارب إمام حق، فهو باغ ظالم.

الشرح:

أمّا أن الإمام عليه السلام «رابع الخلفاء إمام حق» فربما يوجد فى بعض من يتولّاهم ابن تيميّه من ينكر ذلك و يقول بإمامه معاويه بعد عثمان، كما روى ذلك أبو داود عن مروان و حزبه (٢).

و قد ذكر ابن تيميّه أن بعض المغاربه لم يكن يذكر عليّاً فى خطبه الجمعة.

و ربما يوجد فى بعض من يتولّاهم الرجل من يدعو إلى خلع الإمام و جعل الأمر شورى، كما روى عن طلحه و الزبير و عائشه القول بذلك فى البصره....

ص: ١٦١

١-١) الموضوعات ٢/٢٦.

٢-٢) سنن أبي داود- كتاب السنه ٢/٢٦٤.

و لكن معاويه و فئته قد قاتلوا علياً عليه السلام، و لما كان ابن تيميه موالياً لهم جعل يدافع عنه بالأباطيل، فيقول:

أولاً- الباغي قد يكون متأولاً- معتقداً أنه على حق، و قد يكون متعمداً يعلم أنه باغ، و قد يكون بغيه من شبهه أو شهوه و هو الغالب. و على كل تقدير، فهذا لا يقدر فيما عليه أهل السنه، فإنهم لا ينزّهون معاويه و لا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد....

و يقال لهم ثانياً: إن قال الذابّ عن علي: هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاه، فقد ثبت في الصحيح أن النبي قال لعمار رضى الله عنه: «تقتلك الفئة الباغيه» و هم قتلوا عمّاراً. فهنا للناس أقوال:

منهم من قدح في حديث عمار.

و منهم من تأوله على أن الباغي الطالب، و هو تأويل ضعيف.

و أما السيلف و الأئمه، فيقول أكثرهم كأبي حنيفه و مالك و أحمد و غيرهم، لم يوجد شرط قتال الطائفه الباغيه، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداء، بل أمر إذا اقتلت طائفتان أن يصلح بينهما، ثم إن بغت إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغى، و هؤلاء قوتلوا ابتداء قبل أن يبتدوا بقتال.

فإن قال الذابّ عن علي: كان على مجتهداً في ذلك.

قال له منازعه: و معاويه كان مجتهداً في ذلك.

فإن قال: كان مجتهداً مصيباً.

ففى الناس من يقول له: و معاويه كان مجتهداً مصيباً أيضاً، بناء على أن كل مجتهد مصيب، و هو قول الأشعري.

و منهم من يقول: بل معاويه مجتهد مخطئ و خطأ المجتهد مغفور.

و منهم من يقول: بل المصيب أحدهما لا بعينه.

و من الفقهاء من يقول كلاهما كان مجتهداً، لكن على كان مجتهداً مصيباً و معاويه كان مجتهداً مخطئاً. و المصيب له أجران و المخطئ له أجر.

و من نازعه فى أنه كان إمام حق، لم يمكن الرفضه أن يحتجوا على إمامته بحجّه إلا نقضها ذلك المعارض، و من سلّم له أنه كان إمام حق - كأهل السنه - فإنه يقول: الإمام الحق ليس معصوماً، و لا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كلّ من خرج على طاعته.

و من قاتل علياً - إن كان باغياً - فليس ذلك بمخرجه عن الإيمان و لا بموجب له النيران، و لا مانع له من الجنان، فإن البغى إذا كان يتأوّل كان صاحبه مجتهداً. و لهذا اتفق أهل السنه على أنه تفسق واحده من الطائفتين و إن قالوا فى إحداهما أنهم كانوا بغاه، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، و المجتهد المخطئ لا يكفر و لا يفسق، و إن تعمد البغى فهو ذنب من الذنوب، و الذنوب يرفع عقابها بأسباب متعدده، كالتوبه و الحسنات الماحيه و المصائب المكفره و شفاعه النبي صلّى الله عليه و سلّم و دعاء المؤمنين و غير ذلك» (١).

تسميتهم معاويه (كاتب الوحي)

اشاره

قال قدس سرّه: و سمّوه كاتب الوحي و لم يكتب كلمه واحده من الوحي، بل كان يكتب له صلّى الله عليه و آله رسائل. و قد كان بين يدي النبي صلّى الله عليه و آله أربعه عشر نفساً يكتبون الوحي، أوّلهم و أخصّهم و أقربهم إليه صلّى الله عليه و آله على بن أبى طالب عليه السلام.

الشرح:

قال ابن تيميه: «فهذا قول بلا حجه و لا علم، فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمه

ص: ١٦٣

واحد من الوحي و إنما كان يكتب له رسائل؟» (١).

أقول:

هذا من فرط جهل الرجل أو تعصبه، إذ على المدعى أن يقيم الدليل المقبول على مدّعه لا على المنكر فيما ينكره، كما هو معلوم.

ثم إن الأصل في دعوى كتابه معاوية للنبي صلى الله عليه وآله هو: ما أخرجه مسلم، قال ابن حجر المكي في فضائل معاوية: «و منها: إنه أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم...» (٢).

و هو - لو صح - يفيد كونه كاتباً لا كاتباً للوحي، لكنه باطل موضوع كما صرح كبار الأئمة كما ستعرف، و لندكر نصّه عند مسلم:

«حدّثني عباس بن عبد العظيم العنبري و أحمد بن جعفر المعقري قالا: حدّثنا النضر - و هو ابن محمد اليماني - حدّثنا عكرمه، حدّثنا أبو زميل، حدّثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان و لا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبيّ الله، ثلاث أعطينهن.

قال: نعم.

قال: عندي أحسن العرب و أجمله أم حبيبه بنت أبي سفيان، أزوّجكها.

قال: نعم.

قال: و معاوية تجعله كاتباً بين يديك.

قال: نعم.

قال: و تؤمّرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين.

قال: نعم.

ص: ١٦٤

١- (١) منهاج السنّه ٤/٢٢٧.

٢- (٢) تطهير الجنان و اللسان - هامش الصواعق - : ١٩.

قال أبو زميل: ولو لا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه و سلم ما أعطاه، و ذلك لأنه لم يكن يسئل شيئاً إلا قال: نعم» (١).

و هذه كلمات أهل العلم بالحديث فيه:

قال النووي: «و اعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهوره بالإشكال..» (٢).

و قال ابن القيم: «إن حديث عكرمه في الثلاث التي طلبها أبو سفيان من النبي صلى الله عليه و سلم، غلط ظاهر لا خفاء فيه.

قال أبو محمد ابن حزم: هو موضوع بلا شك، كذبه عكرمه بن عمار.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث وهم من بعض الرواه، لا شك فيه و لا تردد.

و قد اتهموا به عكرمه بن عمار..» (٣).

و قال الذهبي: «و في صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس، في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان» (٤).

أقول:

فهذا هو الأصل في المسألة، و هذا حاله و هو في أحد الصحيحين!! ثم جاء بعد هؤلاء الوضاعين قوم استدلوا بتلك الموضوعات، و لربما زادوا عليها أشياء من وضعهم! كما في هذا الحديث الموضوع، حيث وضع السابقون كون معاويه «كان يكتب بين يدي رسول الله» فأضاف بعض الكاذبين أنه «كان يكتب الوحي»!

قال ابن حجر المكي: «و قال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، و كان معاويه يكتب للنبي صلى الله عليه و سلم فيما بينه و بين العرب. أي: من وحي و غيره،

ص: ١٦٥

١-١) صحيح مسلم- بشرح النووي-٦٣/١٦.

٢-٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦٣/١٦.

٣-٣) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢٧/١.

٤-٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٩٣/٣.

فهو أمين رسول الله على وحي ربه» (١).

والجملة «أى من وحي وغيره» إضافة من عند ابن حجر لكلام المدائني كذباً و تدليساً، إذ الكلام المذكور يوجد في المصادر السابقة على ابن حجر المكي وليس فيه هذه الجملة، قال ابن حجر العسقلاني: «وقال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي و كان معاوية يكتب للنبي صَلَّى الله عليه وآله فيما بينه وبين العرب». إنتهى (٢).

قال قدس سره: مع أن معاوية لم يزل مشركاً مدّه كون النبي صَلَّى الله عليه وآله مبعوثاً يكذب بالوحي و يهزأ بالشرع! و كان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و يكتب إلى أبيه صخر بين حرب يعيره بإسلامه، و يقول له: أ صبوت إلى دين محمد، و كتب إليه: يا صخرُ لا تُسلمنْ طوعاً فتفضحنا

و الفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صَلَّى الله عليه وآله المدينة، و معاوية حينئذ مقيم على الشرك هارباً من النبي صَلَّى الله عليه وآله لأنه قد هدر دمه فهرب إلى مكة، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله مضطراً فأظهر الإسلام، و كان إسلامه قبل موت النبي صَلَّى الله عليه وآله بخمسة أشهر، و طرح نفسه على العباس فسأل فيه رسول الله فعفا عنه، ثم شفع إليه أن يشرفه و يضيفه إلى جملة الكتاب، فأجابه و جعله واحداً من أربعة عشر.

فكم كان يخضه من الكتابه في هذه المدّه لو سلّمنا أنه كان كاتب الوحي حتّى استحقّ أن يوصف بذلك دون غيره.

ص: ١٦٦

١-١) تطهير الجنان و اللسان-هامش الصواعق-: ١٩.

٢-٢) الإصابه في معرفه الصحابه ٣/٤٣٤.

و هذه الأمور الثابتة يقيناً، كلّها قرائن على كذب تسميه معاوية بكاتب الوحي، و أنّ هذه التسميه من البدع الباقيه حتى الآن، و ما زال بعضهم يصرّ عليها تعصّباً و متابعهً للهوى.

و لقد تكلم ابن تيمية في هذا الموضوع و أطنب بما لا حاجة إلى إيراده، فإنّ العلامة طاب ثراه قد اقتدى بالإمام أبي محمد الحسن السبط الأ-كبر عليه الصّلاه و السّلام في الاستدلال بأشعار معاوية على موقفه من النبي و الإسلام-فيما رواه الزبير بن بكار، في مفاخره جرت بين الإمام بين رجالات من قریش، في مجلس معاوية-فإنه بعد أن تكلم عمرو بن العاص، و الوليد بن عقبه، و عتبه بن أبي سفيان، و المغيرة بن شعبه، و جعلوا يسبون عليّاً عليه السلام، قال الإمام أبو محمد:

«...أما بعد، يا معاوية، فما هؤلاء شتموني و لكنك شتمتني... أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه و أخوك عتبه يقوده، فرآكم رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: اللهم العن الراكب و القائد و السائق؟ أ تنسى-يا معاوية-الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا....

فو الله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت» (١).

هذا، و من المعلوم أن أبا سفيان لم يهجم بالإسلام قبل الفتح، فمعاوية قد كتب إليه بذلك بعد الفتح و هو هارب، و لا يكون تظاهره بالإسلام إلا بعد مدّة مديده من هذا الشعر.

و لا يخفى، أن الزبير بن بكار-الراوى للخبر-من ذريّه الزبير بن العوام، و عداده

فى المنحرفين عن على أمير المؤمنين عليه السلام.

قال قدس سره: مع أن الزمخشري من مشايخ الحنفية ذكر فى ربيع الأبرار أنه ادعى بنوّته أربعة نفر!

الشرح:

قال الزمخشري: «و كان معاويه يعزى إلى أربعة:

إلى مسافر بن أبى عمرو.

و إلى عماره بن الوليد.

و إلى العباس بن عبد المطلب.

و إلى الصّباح، مغنّ أسود كان لعماراه...» (١).

و الزمخشري عتّى عن التعريف، و كتبه فى العلوم المختلفه لا يستغنى عنها العلماء و أهل الفضل.

قال قدس سره: على أنّ من جمله كتبه الوحي: ابن أبى سرح، و ارتدّ مشركاً، و فيه نزل: «و لَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

الشرح:

قال ابن تيميه: «و أما قوله: إنه نزل فيه: «و لَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا» فهو باطل» (٢).

أقول:

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: «حدّثنا ابن حميد قال: ثنا سلمه عن ابن إسحاق قال: نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر و عياش بن أبى ربيعه و الوليد بن الوليد... و قال آخرون: بل نزلت هذه الآية فى شأن ابن أبى سرح.

ص: ١٦٨

١- ١) ربيع الأبرار و نصوص الأخبار ٥٥١/٣.

٢- ٢) منهاج السنّه ٤٤٣/٤.

ذكر من قال ذلك: حدّثني ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمه و الحسن البصرى قالوا فى سورة النحل... و هو عبد الله بن أبى سرح الذى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به النبى صلى الله عليه و سلم أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمر، فأجاره النبى صلى الله عليه و سلم» (١).

قلت: كذا فى النسخه: «فاستجار له أبو عمرو» و هو خطأ أو تحريف.

فلقد رواه الحافظ السيوطى عن ابن جرير و فيه: «فاستجار له أبو بكر و عمر و عثمان بن عفان، فأجاره النبى» (٢).

و روى الحافظ ابن حجر الخبر عن يزيد عن عكرمه فنقص منه نزول الآية فيه، و ذكر فيه: «فاستجار له عثمان فأجاره النبى» (٣).

أقول:

و كل هذه المحاولات-من التكذيب لأصل الخبر، و التحريف للفظه-إنما هى تغطيه لعار يلحق القوم، إذ الرجل كان أخا عثمان من الرضاعة، قالوا: أهدر النبى صلى الله عليه و آله دمه، و أمر بقتله فى جماعه و لو وجدوا تحت أستار الكعبه، لكن عثمان حافظ عليه فعيبه، حتى أتى به رسول الله فاستأمنه، فصمت عليه و آله الصلاه و السلام طويلاً. ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صممتُ إلا ليقوم أحدكم فيضرب عنقه (٤).

ص: ١٦٩

١-١ (١) تفسير الطبرى ١٢٤/١٤.

١-٢ (٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٣٢/٤.

٣-٣ (٣) الإصابه فى معرفه الصحابه ٣١٧/٢.

٤-٤ (٤) الإصابه ٣١٧/٢، الإستيعاب على هامش الإصابه ٣٧٦/٢.

قال قدس سرّه: وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فسمعتَه يقول: «يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي» فطلع معاويه.

الشرح:

قال ابن تيميه: «نحن نطالب بصرحه هذا الحديث... هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يرجع إليها في معرفه الحديث، ولا له إسناد معروف.. و عبد الله بن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابه...» (١).

أقول:

من الطبيعي أن لا يوجد هذا في شيء من الكتب التي صنّفها أنصار معاويه و آل أبي سفيان، و ما أكثر ما كتموا مما هو أقلّ منه في الدلاله على كفر القوم و ضلالتهم، و لكن تكفينا روايه واحد من «أهل المعرفة بالحديث»، و هو أبو جعفر الطبري، فقد رواه ضمن كتاب كتبه واحد من «خلفاء الرسول و أمراء المؤمنين» عندهم، و هو المعتضد بالله العباسي.

قال الطبري: «ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أميه. و تحدّث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاويه يقرأ بعد صلاه الجمعة على المنبر، فلما صلّى الناس الجمعة بادرُوا إلى المقصوره ليسمعوا قراءته فلم يقرأ، فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاويه، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخه هذا الكتاب، و ذكر أنها نسخه الكتاب الذي أنشأ للمعتضد بالله» و قد كان مما جاء فيه:

ص: ١٧٠

و كان مَمَّنْ عانده (يعنى النبى) و نابذه و كذبه و حاربه من عشيرته...أبو سفیان بن حرب و أشياعه من بنى أميه الملعونين فى كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله، فى عدّه مواطن و عدّه مواضع... و منه: قول الرسول عليه السلام- و قد رآه مقبلاً على حمار يقوده به و يزيد ابنه يسوق به-: «لعن الله القائد و الراكب و السائق..».

و منه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتى يحشر على غير ملتي، فطلع معاويه».

و منه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إذا رأيتم معاويه على منبرى فاقتلوه...» (١).

هذا، و قد رواه مسنداً عن عبد الله بن عمر: نصر بن مزاحم قال:

«شريك، عن ليث، عن طاوس، عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبى صلى الله عليه و سلم فسمعتة يقول: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت و هو على غير سنتى. فشقّ على ذلك، و تركت أبى يلبس ثيابه و يجىء، فطلع معاويه» (٢).

و رجال السند كلهم ثقات و من رجال الصحاح، و نصر بن مزاحم وثقه ابن حبان، و تكلم بعضهم فى أحاديثه كالعقيلي قال: «شيعى، فى حديثه اضطراب و خطأ كثير» (٣) و التكلّم فى الراوى أو فى حديثه من أجل التشيع غير مسموع.

و يؤكّد صحه هذا الحديث أن الحافظ البلاذرى رواه عن طاووس بطريقتين، فإنه قد رواه:

عن عبد الله بن صالح عن يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس.

و عن إسحاق عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه.

ص: ١٧١

١-١) تاريخ الطبرى ٥٤/١٠.

٢-٢) وقعه صفين: ٢١٩.

٣-٣) لسان الميزان ١٥٧/٦.

لكنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، لا عبد الله بن عمر بن الخطاب....

و السندان معتبران عندهم قطعاً.

و أمّا أن ابن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابه، فيردّه-بالإضافه إلى ثبوت الخبر المذكور عنه- ما يروى من وجوه عن جماعه من التابعين عن ابن عمر أنه قال حين حضرته الوفاه: «ما أجدنى آسى على شىء فاتنى فى الدنيا إلا أنى لم أقاتل مع على الفئه الباغيه» (١).

هذا، و لو لا ثبوت الخبر عن ابن عمر لما وضع الوضّاعون فى مقابله: «الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنه، فطلع معاويه...».

ذكره الذهبي و قال: «خبر باطل» (٢).

لعن الله القائد و المقود

قال قدس سرّه: و قام النبى صلّى الله عليه و آله يوماً يخطب، فأخذ معاويه بيد ابنه يزيد و خرج و لم يسمع الخطبه، فقال النبى صلّى الله عليه و آله: «لعن الله القائد و المقود. أى يوم يكون لهذه الأمه من معاويه ذى الأستاه».

الشرح:

لم يكذب ابن تيميه هذا الحديث بصراحه، و كذا ابن روزبهان، غير أنه أشار إلى احتمال كون «يزيد» فيه هو «ابن أبى سفيان»، لأن ابن معاويه لم يكن فى زمن النبى صلّى الله عليه و آله، و كيف كان، فإن يزيد بن معاويه ملعون كما سيأتى، و فى حديث لعن رسول الله صلّى الله عليه و آله أبا سفيان و ولديه معاويه و يزيداً، و هو الحديث الذى احتج به الإمام الحسن السبط فى مفاخرته فى مجلس معاويه، و أورده المعتضد

ص: ١٧٢

١- ١) المستدرک ١١٥/٣، الطبقات ١٢٧/٤، مجمع الزوائد ١٨٢/٣، أسد الغابه ٣٣/٤ و غيرها.

٢- ٢) ميزان الاعتدال ١٣٣/٢.

العباسى فى كتابه فى لعن بنى أميه،فمعاويه ملعون على لسانه على كل حال،وقد لعنه فى جماعه:أمير المؤمنين عليه السلام و رجال من الصحابه و المؤمنون إلى يوم يبعثون.

محاربتة علياً و قتله خيار الصحابه

قال قدس سره:و بالغ فى محاربه على عليه السلام،و قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابه.

الشرح:

أجاب ابن تيميه بما ملخصه بلفظه:«الذين قتلوا قتلوا من الطائفتين،قتل هؤلاء من هؤلاء و هؤلاء من هؤلاء...و كان فى العسكرين مثل الأشر النخعى و هاشم بن عتبه المرقال و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و أبى الأعور السِّلمى،و نحوهم من المحرضين على القتال»(١).

أقول:

أما محاربتة علياً عليه السلام،فقد أورثت عليه و على أصحابه اللعن إلى يوم الدين،لوجوه كثيره من الكتاب و السنّه و غيرهما.

و كلام العلامة فى قتله كثيراً من خيار الصحابه عام،لكن الرجل خصّه بالذين قتلهم فى الحرب فأجاب بما عرفت،فنقول:

أولاً:الذين قتلهم معاويه منهم صبيرا كثيرون،منهم:حجر بن عدى،قال ابن عبد البر:

«كان حجر من فضلاء الصحابه»(٢)فإن معاويه أول من قتل مسلماً صبراً،قتل حجراً و أصحابه..و قد اعترض عليه فى ذلك من الصحابه و التابعين كثيرون،بل حكى عن ابن سيرين قوله:بلغنا أن معاويه لما حضرته الوفاه جعل يقول:يومى منك يا حجر طويل.

ص:١٧٣

١-١) منهاج السنّه ٤/٤٦٨.

٢-٢) الإستيعاب فى معرفه الأصحاب ١/٢٣٩.

و بالجمله: فالأبرياء الذين قتلهم من الصحابه و سائر المسلمين فى غير ساحه الحرب من أهل الحرمين و اليمن و العراق و غيرهم، لا يحصون.

و ثانياً: إنه لم يذكر فى المحرّضين على القتال عمار بن ياسر، مع كونه مع أمير المؤمنين عليه السلام و من أشدّ الناس على معاويه و حزبه، حتى استشهد رضى الله تعالى عنه، فلما ذا لم يذكره؟ لأنّ النبى -صلى الله عليه و آله- قد أخبر فيما تواتر عنه: أنه تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنه و يدعوهم إلى النار (١).

فثبت بذلك أن معاويه باغ داع إلى النار، و من كان هذا حاله فهو من أهل النار، و عليه اللعنه من الله العزيز القهار، القائل «و جعلناهم أئمةً يدعون إلى النار و يوم القيامة لا يُنصرون» * و أتبعناهم فى هذه الدنيا لعنه و يوم القيامة هم من المقبوحين» (٢).

و كأن ابن تيميه يحاول -بعدم ذكر عمار- التملّص و التخلّص من هذا، كما حاول إمامه معاويه من قبل بما لا فائده له فيه.

لعنه أمير المؤمنين

قال قدس سره: و لعنه على المنابر، و استمرّ سبّه مدّه ثمانين سنه إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز

الشرح:

إن هنا أموراً نذكرها باختصار:

الأول: إن رسول الله صلى الله عليه و آله هو الذى سنّ بأمر من الله لعن معاويه و بنى أميه قاطبه، و قد قال تعالى: «لكنم فى رسول الله أسوة حسنة» فاقتدى به المؤمنون فى كلّ زمان، و كذا المنصفون من علماء العامه الأعيان.

ص: ١٧٤

١- ١) أخرجه أحمد و البخارى، كنز العمال ٧٢٢/١١ رقم: ٣٣٥٣١.

٢- ٢) سوره القصص: ٤٢.

الثانى: إن من المقطوع بصدوره عن النبى صلى الله عليه وآله قوله: «من سب علياً فقد سبني» (١). ولا ريب ولا خلاف فى أن من سبه-صلى الله عليه وآله-فهو كافر.

و الثالث: إن معاويه دأب على لعن أمير المؤمنين عليه السلام فى حياته و بعدها، و اتخذ ذلك سته جارياً فى الخطب و غيرها، حتى أنه كان يعترض على بعض كبار الصحابه إذا امتنع من سبه، فقد أخرج مسلم: «أمر معاويه سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبه، لأن تكون لى واحده منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له و قد خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله، خلقتنى مع النساء و الصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى.. و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الرايه.. و لما نزلت هذه الآيه «فَقُلْ تَعَالَوْا...» (٢).

أقول:

و من امتناع سعد بن أبى وقاص -و هو أحد العشره المبشره عندهم- يزيد فظاعه فعل معاويه ظهوراً و وضوحاً، و هذا ما حمل بعض أولياء معاويه على التلاعب بمتن الخبر كما سنبه عليه.

و الرابع: إنه قد ذكر الجاحظ فى كتابه الذى وضعه للنواصب و الرد على الإماميه:

إن معاويه كان يقول فى آخر خطبته: اللهم العن أبا تراب، فإنه ألحد فى دينك و صدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً و عذبه عذاباً أليماً. قال: و كتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز.

و روى فيه أيضاً: «إن قوماً من بنى أميه قالوا لمعاويه: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن هذا الرجل: فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير و يهرم

ص: ١٧٥

١- ١) أخرجه الحاكم و صححه و أقره الذهبى ١٢١/٣.

٢- ٢) صحيح مسلم ١٢٠/٧.

عليه الكبير، و لا يذكر له ذاكراً مفضلاً» (١).

و الخامس: قال الحافظ السيوطي و غيره: «كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب في الخطبه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله، و كتب إلى نوابه بإبطاله و قرأ مكانه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» الآية. فاستمرت قراءتها إلى الآن» (٢).

و بعد هذه الأمور التي ذكرناها بإيجاز، فقرأ ما يقول ابن تيميه و احكم عليه بما شئت، إنه يقول ما ملخصه:

«و أمّا ما ذكره من لعن علي، فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربه، و كان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، و هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم... و معاويه رضى الله عنه و أصحابه كانوا يكفرون علياً» (٣).

أمّا ابن روزبهان، فلم يجد جواباً و لا مناصاً إلا بإنكار أصل القضية فقال:

«أما سب أمير المؤمنين -نعوذ بالله من هذا- فلم يثبت عند أرباب الثقه، و بالغ العلماء في إنكار وقوعه..» (٤).

تنبيه:

قد تلاعب القوم بمتن خبر أمر معاويه سعد بن أبي وقاص بسب أمير المؤمنين و امتناعه عن ذلك، معتذراً بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله من خصائص الأمير عليه السلام، المتقدّم عن صحيح مسلم.

لقد تلاعبوا بمتنه و تصرّفوا بلفظه، فجاء في كتبهم بأنحاء مختلفه سنشير إليها فيما سيأتى إن شاء الله فانتظر.

ص: ١٧٤

١-١) النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه: ٩٠.

٢-٢) تاريخ الخلفاء: ٢٤٣.

٣-٣) منهاج السنّه ٤/٤٦٩.

٤-٤) إبطال الباطل

قال قدس سره: و سمّ الحسن

الشرح:

و أنكر ابن تيميه سمّ معاويه الحسن السبط الزكى عليه السلام فقال:

«هذا مما ذكره بعض الناس، و لم يثبت ذلك بيّنه شرعيّه أو إقرار معتبر و لا نقل يجزم به. و هذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم... و الحسن رضى الله عنه قد نقل أنه مات مسموماً... لكن يقال: إن امرأته سمّته، و لا ريب أنه مات بالمدينه و معاويه بالشام، فغايه ما يظن الظان أن معاويه أرسل إليها و أمرها بذلك، و قد يقال: بل سمّته امرأته لغرض آخر.. و قد قيل: إن أباهما الأشعث بن قيس أمرها بذلك... و إذا قيل:

إن معاويه أمر أباهما كان هذا ظناً محضاً، و النبى صلى الله عليه و سلم قال: إياكم و الظن فإن الظن من أكذب الحديث.. ثم إن الأشعث.. قد مات قبل الحسن بنحو عشرين سنين، فكيف يكون هو الذى أمر ابنته أن تسمّ الحسن. و الله سبحانه و تعالى أعلم بحقيقه الحال و هو يحكم بين عباده...» (١).

أقول:

إن هذا أحد المواضع التى يعرف فيها هذا الرجل على حقيقته، فإن كلّ هذا التشكيك و اللفّ و الدوران ليس إلا لتبرئه معاويه بن أبى سفيان، أو لتبرير ما فعله مع سيد شباب أهل الجنان، و إلا فقد قال ابن روزبهان هنا: «من يرضى بمتابعه معاويه؟ و من يجعله إماماً حتى يشنع عليه ابن المطهر؟ و قد ذكرنا أنه من الملووك و ليس علينا أن نذبّ عنه» (٢).

ص: ١٧٧

١- ١) منهاج السنّه ٤/٤٦٩.

٢- ٢) انظر: دلائل الصدق ٣/٣٨٨.

أقول:

إن الثابت عند أهل البيت- كما تفيد الأخبار الواردة عنهم- أن معاوية سمّ الحسن عليه السلام بواسطة زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس.. وهذا ما يجده المتتبع لكذب الجمهور، وإن حاولوا أن لا يفصحوا عنه و يتكتموا عليه، والذي جاء (1) فيها نقاط:

١- إنه سقى السمّ غير مرّه.

٢- كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سمّاً.

٣- إن جعده بنت الأشعث سقت الحسن السمّ في المرّه الأخيره، فاشتكى منه شكاه، فكان يوضع تحته طست و ترفع أخرى، نحواً من أربعين يوماً، تفتت فيها كبده و لفظها عليه السلام.

٤- فقال الحسين: يا أبا محمد، أخبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟

قال: أقتله و الله قبل أن أدفنك، و إن لا- أقدر عليه أو يكون بأرض تكلفت الشخصوص إليه. فقال: يا أخي، إنما هذه الدنيا ليال فانيه، دعه حتى ألتقى أنا و هو عند الله.

و أبي أن يسميه.

٥- و كانت جعده قد سمّت الحسن بتدسيس معاوية إليها، و قد وعدت من قبل معاوية و يزيد أنها إن سمّت الحسن فسيزوجها يزيد، فلما مات الحسن أرسل إليها مائه ألف درهم و أخبرها إنا نحب حياه يزيد، و لو لا ذلك لوفينا لك بتزويجه.

في قتل يزيد بن معاوية الحسين

قال قدس سره: و قتل ابنه يزيد مولانا الحسين عليه السلام و نهب نساءه .

ص: ١٧٨

١ - ١) الطبقات الكبرى لابن سعد- ترجمه الحسن بن علي: ٨٤، المستدرک علی الصحيحين ١٧٦/٣، مروج الذهب ٥٠/٢، مقاتل الطالبين: ٥٧، ترجمه الحسن بن علي من تاريخ دمشق: ٢١١، تهذيب الكمال ٢٥١/٦-٢٥٣، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/٣، الإستيعاب ٣٨٣/١، أسد الغابه ٩/٢ تهذيب التهذيب ٢٦٠/٢.

الشرح:

قال ابن تيميه: «إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، و لكن كتب إلى ابن زياد أن يمنع عن ولاية العراق. و الحسين رضى الله عنه كان يظن أن أهل العراق ينصرونه.. فقاتلوه حتى قتل شهيداً مظلوماً، رضى الله عنه. و لما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع على ذلك، و ظهر البكاء فى داره، و لم يسب له حريماً أصلاً، بل أكرم أهل بيته و أجازهم حتى ردهم إلى بلدهم....»

و قد اتفق الناس على أن معاوية رضى الله عنه وصى يزيد برعايه حق الحسين و تعظيم قدره.. و إذا قيل: إن معاوية رضى الله عنه استخلف يزيد و بسبب ولايته فعل هذا. قيل: استخلافه إن كان جائزاً لم يضره ما فعل، و إن لم يكن جائزاً فذلك ذنب مستقل و لو لم يقتل الحسين...» (١).

أقول:

قد تواترت أخبار الفريقين بأن النبى و أهل البيت و زوجات الرسول... كانوا على علم باستشهاد الإمام أبى عبد الله الحسين عليه السلام فى أرض الطف بالعراق، و حتى بعض الأبعاد كان قد بلغه الخبر، فقد أخرج ابن سعد بإسناده عن العربان بن الهيثم:

«كان أبى يتبدى، فينزل قريباً من الموضع الذى كان فيه معركة الحسين، فكنا لا نبدوا إلا وجدنا رجلاً من بنى أسد هناك.

فقال له أبى: أراك ملازماً هذا المكان؟

قال: بلغنى أن حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلى أصادفه فأقتل معه.

فلما قتل الحسين قال أبى: إنطلقوا ننظر هل الأسدى فيمن قتل؟

و أتينا المعركة فطوفنا، فإذا الأسدى مقتول» (٢).

ص: ١٧٩

١-١) منهاج السنه ٤/٤٧٣.

٢-٢) طبقات ابن سعد ترجمه الحسين بن على: ٥٠، تاريخ دمشق ١٤/٢١٦-٢١٧.

بل فى بعض الأخبار أن النبى صلى الله عليه وآله أعلن عن ذلك و أمر المسلمين بقوله: «فمن أدركه منكم فلينصره» (١).

و قال الحسين عليه السلام لابن عباس-لما نهاه عن التوجه إلى العراق:

«أبا العباس، إنك شيخ قد كبرت.. لأن أقتل بمكان كذا و كذا أحب إليّ أن تستحلّ بى -يعنى مكة- فبكى ابن عباس...» (٢).

و قال: «و الله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، و أيم الله لو كنت فى جحر هامه من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فى حاجتهم، و الله ليعتدنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت» (٣).

هذا، و من ضروريات تاريخ الإسلام أن قتله كان بأمر من يزيد بن معاويه، و دعوى «اتفاق أهل النقل» على نفي ذلك كاذبه، و هذا طرف من أخبار «أهل النقل» و أقوالهم فى ذلك:

قال اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢: «و ملك يزيد بن معاويه.. و كان غائباً، فلما قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبه بن أبى سفيان- و هو عامل المدينة-: إذا أتاك كتابى هذا، فأحضر الحسين بن على و عبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعه لى، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما و ابعث إليّ برؤوسهما، و خذ الناس بالبيعه، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم و فى الحسين بن على و عبد الله بن الزبير. و السلام» (٤).

و قال اليعقوبى: «و أقبل الحسين من مكة يريد العراق، و كان يزيد قد ولى عبيد الله بن زياد العراق و كتب إليه: قد بلغنى أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين فى

ص: ١٨٠

١- (١) تاريخ دمشق: ٢٢٤/١٤، أسد الغابه ١/١٤٦.

٢- (٢) طبقات ابن سعد- ترجمه الحسين: ٦١.

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٣٨٥/٥.

٤- (٤) تاريخ اليعقوبى ٢٤١/٢.

القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، و أيامك من بين الأيام، فإن قتلته و إلا رجعت إلى نسبك و إلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك» (١).

و قال ابن الأعمش المتوفى حدود سنة ٣٤١: «ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة: من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة: أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله من عباده، أكرمه الله و استخلفه و خوله و مكن له، ثم قبضه إلى روحه و ريحانه و رحمته و غفرانه.. و قد كان عهد إلى عهداً و جعلني له خليفه من بعده، و أوصاني أن آخذ آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق و طلاب العدل....»

ثم كتب إليه في صحيفه صغيره كأنها أذن فاره: أما بعد: فخذ الحسين بن علي و عبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصه، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه و ابعث إلى رأسه» (٢).

و قال الطبري المتوفى سنة ٣١٠: «و لم يكن ليزيد همّه حين ولي الأمر إلا - بيعة نفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعه يزيد، حين دعا الناس إلى بيعته و أنه وليّ عهده بعده، و الفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله، أكرمه الله و استخلفه و خوله و مكن له، فعاش بقدر و مات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً و مات برّاً تقياً. و السلام.

و كتب إليه في صحيفه كأنها أذن فاره: أما بعد، فخذ حسيناً و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصه حتى يبايعوا. و السلام» (٣).

ص: ١٨١

١-١ (١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤١.

١-٢ (٢) تاريخ ابن الأعمش المجلد ٣/٩.

١-٣ (٣) تاريخ الطبري ٥/٣٣٨.

و قال الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨: «كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله أكرمه و استخلفه و مكن له.. و أوصاني أن أحذر آل أبي تراب و جرأتهم على سفك الدماء، و قد علمت- يا وليد- أن الله تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق و ظلّاب العدل....»

ثم كتب صحيفه صغيره كأنها أذن فاره: أما بعد، فخذ الحسين و عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن الزبير بالبيعه أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصه، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه و ابعث إلى برأسه. و السلام» (١).

و قال ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧: «فلما مات معاوية كان يزيد غائباً فقدم فبويع له، فكتب إلى الوليد بن عتبة- و إليه على العراق- خذ حسينا و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر بالبيعه أخذاً شديداً ليست فيه رخصه حتى يبايعوا» (٢).

و قال الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨: «خرج الحسين، فكتب يزيد إلى ابن زياد نائبه:

إن حسيناً صائراً إلى الكوفة، و قد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، و بلدك من بين البلدان، و أنت من بين العمال، و عندها تعتق أو تعود عبداً. فقتله ابن زياد، و بعث برأسه إليه» (٣).

و قال السيوطي المتوفى سنة ٩١١: «و بعث أهل العراق إلى الحسين الرسل و الكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشرة ذى الحجة، و معه طائفه من آل بيته رجالاً و نساء و صبياناً. فكتب يزيد إلى و اليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص...» (٤).

ص: ١٨٢

١-١) مقتل الحسين ١/١٨٠.

٢-٢) الرد على المتعصب العنيد: ٣٤.

٣-٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٥.

٤-٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٧.

هذا، و سيأتي كلام الألوسى فى أن يزيد هو قاتل الحسين عليه السلام و أنه يلعن بلا كلام.

أقول:

لقد كان أمر يزيد بقتل سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام أمراً مسلماً به ضرورياً، لا يشك فيه إلا الناصبى العنيد، و إنما أوردنا النصوص المذكوره لمزيد التأكيد، كما أنه لا بأس بإيراد نص ما كتبه ابن عباس إلى يزيد، فيما رواه «أهل النقل» -على تأمل فى بعض ما جاء فيه- كابن الأثير الجزرى، حيث قال:

«و قال شقيق بن سلمه (١): لما قتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير، فدعا ابن عباس إلى بيعته فامتنع، و ظن يزيد أن امتناعه تمسك منه ببيعه فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغنى أن الملحدين ابن الزبير دعاك إلى بيعته و أنك اعتصمت ببيعتنا و فاء منك لنا، فجزاك الله من ذى رحم خير ما يجزى الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنس من الأشياء فلست بناس برك و تعجيل صلتك بالذى أنت له أهل، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فأعلمهم بحاله، فإنهم منك أسمع الناس، و لك أطوع منهم للمحل».

فكتب إليه ابن عباس:

«أما بعد، فقد جاءنى كتابك، فأما تركى بيعه ابن الزبير، فو الله ما أرجو بذلك برك و لا حمدك، و لكن الله بالذى أنوى عليهم. و زعمت أنك لست بناس برى، فاحبس أيها الإنسان برك عنى فإنى حابس عنك برى. و سألت أن أحب الناس إليك و أبغضهم و أخذلهم لابن الزبير، فلا و لا سرور و لا كرامه.

كيف؟ و قد قتلت حسيناً و فتيان عبد المطلب مصابيح الهدى و نجوم الأعلام،

ص: ١٨٣

١- (١) شقيق بن سلمه الأسدى، أبوا وائل، الكوفى، ثقة مخضرم. مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز، و له مائه سنه. ع. تقريب التهذيب

٣٥٤/١

غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرّلين بالدماء مسلوبين بالعراء، مقتولين بالظماء، لا مكفينين ولا مؤسدين، تسفى عليهم الرياح، وينشى بهم عرج البطاح، حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم و أجنوهم، و بى و بهم لو عززت و جلست مجلسك الذى جلست.

فما أنس من الأشياء فلست بناس أطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى حرم الله، و تسييرك الخيول إليه، فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فنزلت به خيلك عداوه منك لله و لرسوله و لأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. فطلب منكم الموادعه و سألكم الرجعه، فاغتنمتم قلبه أنصاره و استئصال أهل بيته، و تعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الشرك و الكفر.

فلا شىء أعجب عندى من طلبتك و دى، و قد قتلت ولد أبى، و سيفك يقطر من دمي، و أنت أحد تأرى، و لا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً. و السلام» (١).

و هذا ولده و وليّ عهده معاويه، الذى وصف بالشابّ الصالح... يصرح بأن قاتل الحسين عليه السلام هو أبوه، و قد جعل تصريحه بذلك من آثار صلاحه.

قال ابن حجر المكي: «لم يخرج إلى الناس و لا- صلى بهم، و لا- أدخل نفسه فى شىء من الأمور، و كانت مدّة خلافته أربعين يوماً....»

و من صلاحه الظاهر: أنه لما ولى صعد المنبر فقال: إن هذه الخلافة حبل الله، و إن جدّى معاويه نازع الأمر أهله و من هو أحقّ به منه على بن أبى طالب، و ركب بكم ما تعلمون، حتى أتته مئيتة فصار فى قبره رهيناً بذنوبه. ثم قلد أبى الأمر و كان غير أهل له، و نازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقصف عمره و انبتر عقبه و صار فى

ص: ١٨٤

قبره رهيناً بذنوبه.

ثم بكى و قال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه و بئس منقلبه، و قد قتل عتره رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أباح الخمر و خرب الكعبة. و لم أذق حلاوه الخلافة فلا أتقلد مرارتها، فشانكم أمركم. و الله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، و لئن كانت شراً فكفى ذريه أبى سفيان ما أصابوا منها.

ثم تغيب فى منزله حتى مات بعد أربعين يوماً على ما مر. فرحمه الله أنصف من أبيه، و عرف الأمر لأهله» (١).

أقول:

فقول القائل: «إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين» كذب. و دعوى «اتفاق أهل النقل» على ذلك كذب آخر، فقد عرفنا إلى الآن أمره بقتل الحسين السبط فى موضعين:

أحدهما: فى كتابه إلى و إليه على المدينة المنوره، يأمره بأخذ البيعه، فى بدء الأمر.

و الثانى: فى كتابه إلى و إليه على الكوفه، حين بلغه توجه الإمام إلى العراق.

تنبيه:

كما أنكر بعضهم أمر يزيد بقتل الحسين عليه السلام... فقد حاول بعضهم أن لا يرووا الكتابين على وجههما محاوله للتغطية على واقع الأمر:

فبالنسبه إلى كتابه إلى والى المدينة يقول البلاذرى: «فلما توفى معاويه رحمه الله للنصف من رجب سنه ستين، و ولى يزيد بن معاويه الأمر بعده، كتب يزيد إلى عامله الوليد بن عتبه بن أبى سفيان فى أخذ البيعه على الحسين و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير» (٢). فما ذكر شيئاً من القتل و غيره.

و أبو الفداء يقول: «أرسل إلى عامله بالمدينه بإلزام الحسين و عبد الله بن الزبير

ص: ١٨٥

(١-١) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

(٢-٢) أنساب الأشراف ١٥٥/٣.

و ابن عمر بالبيعه» (١).

لكن الطبرى و ابن الجوزى يذكران العبارة: «خذ حسيناً و... بالبيعه أخذاً شديداً ليست فيه رخصه حتى يبايعوا».

و يقول ابن خلدون: «فكتب إلى الوليد بموت معاويه، و أن يأخذ حسيناً و ابن عمر و ابن الزبير بالبيعه من غير رخصه» (٢).

لكن ابن سعد و المزى و ابن الأثير لم يذكروا القتل و لا الأخذ الشديد... بل ذكروا الرفق و الاستصلاح!! قالوا: «فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامرى -عامر بن لؤى- إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان -و هو على المدينة- أن ادع الناس فبايعهم، و ابدأ بوجوه قريش، و ليكن أول من تبدأ به الحسين به على، فإن أمير المؤمنين -رحمه الله- عهد إلى فى أمره الرفق به و استصلاحه.

فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن على و عنده عبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاه معاويه، و دعاهما إلى البيعه ليزيد، فقالا: نصبح و ننظر ما يصنع الناس» (٣).

و لا يخفى الاضطراب فى العبارة، فأى ارتباط بين «و ليكن أول من تبدأ به الحسين بن على» و بين «فإن أمير المؤمنين...»؟

ثم بعد ذلك كله.. لو كان المقصود هو الرفق به.. فلما ذا عزله بعد أن رفق به؟

لقد أجمعت المصادر على أن الوليد لم يقبل من مروان نصيحته بأخذ البيعه -منه و من الجماعه- فى المجلس و إلماً فالقتل، و قال: «سبحان الله، أقتل الحسين و ابن الزبير!» (٤). و الله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا

ص: ١٨٤

١-١) المختصر فى تاريخ البشر ١/١٨٩.

٢-٢) العبر فى خبر من غير ٥/٤٣.

٣-٣) ترجمه الحسين بن على من طبقات ابن سعد: ٥٥، تهذيب الكمال ٦/٤١٤.

٤-٤) تاريخ الإسلام. حوادث ٦٠ ص ١٧٠.

و ملكها و أن قتلت حسيناً إن قال لا أبايع، و الله إنى لأظن أن أمراً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة»
(١)... فترك القوم قائلاً للحسين: «انصرف على اسم الله» (٢) و «لم يشدد» (٣).

فلما بلغ الخبر يزيد كتب بعزل الوليد، نصّ على ذلك غير واحد:

قال ابن خلدون: «لما بلغ الخبر إلى يزيد بصنيع الوليد بن عتبة في أمر هؤلاء النفر، عزله عن المدينة و استعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق» (٤).

و قال ابن كثير: «عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمره المدينة، لتفريطه» (٥).

و أما بالنسبة إلى كتابه إلى عبيد الله بن زياد... فممنهم من لم يذكره أصلاً، و منهم من نسبه إلى غير يزيد، و منهم من أورده و ذكر فيه القتل، و منهم من أسقطه عنه و روى سائره.

هذا.. و قد جاء في غير واحد من كتب «أهل النقل» أن يزيد عزل عامله على الكوفة النعمان بن بشير، الذي تهاون في أمر مسلم بن عقيل نائب الإمام عليه السلام بالكوفة قائلاً: «أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله» فولّى ابن زياد و أمره بقتل مسلم (٦).

و قال البلاذري: «و لما كتب ابن زياد إلى يزيد بقتل مسلم، و بعثه إليه برأسه و رأس هاني بن عروه و رأس ابن صلح و ما فعل بهم، كتب إليه يزيد: إنك لم تعد أن كنت كما

ص: ١٨٧

١-١ (١) الطبري ٣٤٠/٥، الكامل ١٥/٤، ابن كثير ١٤٧/٨.

١-٢ (٢) تاريخ ابن كثير ١٤٧/٨.

٣-٣ (٣) سير أعلام النبلاء ٥٣٤/٣.

٤-٤ (٤) العبر ٤٥/٥.

٥-٥ (٥) تاريخ ابن كثير ١٤٨/٨.

٦-٦ (٦) أنساب الأشراف ٧٨/٢، المنتظم ٣٢٥/٥، الطبري ٣٥٧/٥.

أحب، عملت عمل الحازم وصلت صوله الشجاع، وحققت ظني بك. وقد بلغني أن حسيناً توجه إلى العراق، فضع المناظر و المسالخ و أذك العيون و احترس كل الاحتراس، فاحبس على الظن و خذ بالتهمة، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك، و اكتب إلي في كل يوم بما يحدث من خبر إن شاء الله» (١).

و في هذا الخبر أمور:

١- سروره بقتل مسلم و هانى و غيرها.

٢- أمره بالأخذ بالظن و التهمة.

٣- أمره بأن يكتب إليه كل يوم بما يحدث.

فإذن.. كان يزيد-مضافاً إلى الأدلة و الشواهد القائمة على أمره بقتل الحسين عليه السلام-عالمًا بكل ما حدث في كربلاء يوماً فيوماً، و لم نجد في المصادر ما يشير-بأقل إشارة-إلى انزعاجه و عدم رضاه من عمل من أعمال عبيد الله و عمر بن سعد و غيرها من أياديه... و بهذا أيضا يظهر كذب ما يقال إنه: «لما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع على ذلك».

بل ذكرت المصادر أنه أظهر السرور بقتل الحسين عليه السلام و جلس للتهنئة و قال: بأن الرجل-يعنى الحسين-لم يقرأ كتاب الله «تُوتَى الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعْزُ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدِلُّ مَنْ تَشَاءُ» ثم جعل ينكت بالخيزرانه بين شفتى الحسين و أنشأ يقول: يفلقن هاماً من رجال أعزّه علينا و هم كانوا أعق و أظلما

و جعل يقول: ما كنت أظن أبا عبد الله يبلغ هذا السن».

و روى الذهبى بإسناد له-نصّ على قوته-عن حمزه بن يزيد بن الحضرمي: إن

ص: ١٨٨

حاضنه يزيد قالت: «دخل رجل على يزيد فقال: أبشر، فقد أمكنك الله من الحسين، و جىء برأسه. قال: فوضع في طست، فأمر الغلام فكشف، فحين رآه خمر وجهه كأنه شمّ منه، فقلت لها: أقرع ثناياه بقضيب؟ قالت: إى و الله.

ثم قال حمزه: و قد حدّثني بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوباً بالشام ثلاثة أيام.

ثم إن أهله و نسائه أدخلوا عليه و قد قرنوا في الحبال، فوقفوا بين يديه» (١).

و روى ابن الجوزى بإسناده عن الليث عن مجاهد قال: «جىء برأس الحسين بن على، فوضع بين يدي يزيد بن معاويه، فتمثل بهذين البيتين: ليت أشياخى ببدر شهدوا

قال ابن الجوزى: «و لو أنه احترم الرأس حين وصوله، و صلّى عليه و لم يتركه في طست، و لم يضربه بقضيب، ما الذى كان يضزّه و قد حصل مقصوده من القتل؟ و لكن أحقاد جاهليه، و دليلها ما تقدم من إنشاده: ليت أشياخى ببدر شهدوا...».

هذا، و سيأتى له شعر آخر عن غير واحد من المصادر يدلّ هو الآخر على كفره.

نعم، ذكروا أنه ندم و جعل يلعن ابن مرجانه، و أمر بإكرام أهل البيت و إقامة المآتم على الحسين و أصحابه عليهم السلام.

و قد جمع غير واحد منهم بين أخبار السرور و الندم بما ترى:

قال الطبرى: «و حدّثني أبو عبيده معمر بن المثنى: أن يونس بن حبيب الجرمى حدّثه قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن على عليه السلام و بنى أبيه، بعث

ص: ١٨٩

١ - ١) ترجمه الحسين بن على من طبقات ابن سعد: ٨٣، الرد على المتعصب العنيد: ٤٥-٤٩، الطبرى ٤٦٣/٥-٤٦٥، المنتظم ٣٤١/٥-

٣٤٢، ابن كثير ١٩٠/٨-١٩٢، سير أعلام النبلاء ٣/٣١٩.

برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسرّ بقتلهم أولاً، وحسنت بذلك منزله عبيد الله عنده.

ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على قتل الحسين، فكان يقول: ما كان عليّ لو احتملت الأذى و أنزلته معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وكف و وهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه و سلم و رعايه لحقه و قرابته، لعن الله ابن مرجانه، فإنه أخرجه و اضطرّه، و قد كان سأله أن يخلى سبيله و يرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين، حتى يتوفاه الله عز و جل، فلم يفعل، فأبى ذلك و رده عليه و قتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، و زرع لي في قلوبهم العداوه، فبغضني البرّ و الفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً، ما لي و لابن مرجانه، لعنه الله و غضب عليه» (١).

و نقله الذهبي عن الطبري، و لم يتعقبه بشيء (٢).

و كذا ابن الأثير، قال: «و قيل: لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده و زاده و وصله و سره ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له و لعنهم و سبهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: ما كان عليّ لو احتملت الأذى..» (٣).

و قال السيوطي: «و لما قتل الحسين و بنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسرّ بقتلهم أولاً، ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك، و أبغضه الناس و حق لهم أن يبغضوه» (٤).

و قال ابن حجر: «و لما أنزل ابن زياد رأس الحسين و أصحابه جهزها مع سبايا

ص: ١٩٠

١-١ (١) تاريخ الطبري ٥٠٦/٥.

٢-٢ (٢) تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ص ٢٠، سير أعلام النبلاء ٣١٧/٣.

٣-٣ (٣) الكامل في التاريخ ٨٧/٤.

٤-٤ (٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

آل الحسين إلى يزيد، فلما وصلت إليه قيل: إنه ترحم عليه، و تنكر لابن زياد و أرسل برأسه و بقيه بنيه إلى المدينة. و قال سبط ابن الجوزي و غيره:

المشهور أنه جمع أهل الشام و جعل ينكت الرأس بالخيزران، و جمع بأنه أظهر الأول و أخفى الثاني، بقريته أنه بالغ في رفعه ابن زياد حتى أدخله على نسائه» (١).

قلت:

و لعلّ من أهمّ أسباب بغض الناس ليزيد و سبهم إياه و تفرّقهم عنه، حتى التجأ إلى إظهار الندم و لعن ابن مرجانه، إنشاده أشعار ابن الزبيرى، فقد نصّ غير واحد من «أهل النقل» بعد ذكر ذلك: «إنه و الله ما بقى فى عسكره أحد إلا تركه. أى عابه و ذمّه» (٢). قال ابن حجر: «قالت طائفة من أهل السنه بأنه كافر لذلك» (٣).

هذا، و مما يكشف عن أنه لم يكن صادقاً فى إظهاره الندم: عدم تسليمه الرأس الشريف إلى أهل البيت كى يلحقوه بجسده الطاهر، بل أرسله - فيما يروون - إلى عامله بالمدينة المنوره، الذى قال: «وددت أنه لم يبعث به إلى» (٤).

هذا، و قد لعنه غير واحد من الأئمة الأعلام: كالسعد التفتازانى (٥) و الجلال السيوطى (٦)، و جماعه من المتقدّمين، و قد ذكر جماعه منهم ابن الجوزى فى كتابه (الردّ على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد) الذى أورد فيه بعض الأدله على لعن يزيد.

و ممّن فضّل البحث فى هذا المقام: الألوسى البغدادى، إذ قال بتفسير قوله تعالى

ص: ١٩١

١-١) الصواعق المحرقة: ١١٩.

٢-٢) الرد على المتعصب العنيد: ٤٨، ابن كثير ١٩٢/٨.

٣-٣) الصواعق المحرقة: ١٣١.

٤-٤) تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ص ٢٠.

٥-٥) ستأتى عبارته.

٦-٦) تاريخ الخلفاء: ٢٠٧.

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...» بعد كلام له: «و على هذا القول لا توقف في لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة و ارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه... و الطامه الكبرى ما فعله بأهل البيت و رضاه بقتل الحسين-على جدّه و عليه الصلاه و السلام-و استبشاره بذلك و إهانتته لأهل بيته مما تواتر معناه، و إن كانت تفاصيله آحاداً....

و قد جزم بكفره و صرّح بلعنه جماعه من العلماء، منهم ناصر السنه ابن الجوزى و سبقه القاضى أبو يعلى، و قال العلّامه التفتازانى: لا تتوقف في شأنه بل في إيمانه، لعنه الله تعالى عليه و على أنصاره و أعوانه. و ممن صرّح بلعنه الجلال السيوطى عليه الرحمه.

و فى تاريخ ابن الوردى (١) و كتاب الوافى بالوفيات (٢): أن السبى لما ورد من العراق على يزيد خرج، فلقى الأطفال و النساء من ذريه على و الحسين رضى الله تعالى عنهما، و الرءوس على أطراف الرماح، و قد أشرفوا على ثنيه جيرون، فلما رأهم نعب غراب فأنشأ يقول: لما بدت تلك الحمول و أشرفت

يعنى: إنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم يوم بدر، كجدّه عتبه و خاله ولد عتبه و غيرهما، و هذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به.

و مثله تمثله بقول عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه:

ليت أشياخى.. الأبيات.

و أفتى الغزالي-عفا الله عنه-بحرمه لعنه، و تعقب السفاريني من الحنابله نقل

ص: ١٩٢

١-١) تتمه المختصر فى أخبار البشر حوادث: ٦٠.

٢-٢) الوافى بالوفيات ٤٢٦/١٢.

البرزنجي و الهيثمي السابق عن أحمد رحمه الله تعالى فقال:المحفوظ عن الإمام أحمد خلاف ما نقلنا،ففى الفروع ما نصّه:من أصحابنا من أخرج الحجاج عن الإسلام فيتوجه عليه يزيد و نحوه،و نص أحمد خلاف ذلك،و عليه الأصحاب،و لا يجوز التخصيص باللغه،خلافاً لأبى الحسين و ابن الجوزى و غيرهما.و قال شيخ الإسلام -يعنى و الله تعالى أعلم:ابن تيميه-ظاهر كلام أحمد الكراهه.

قلت:و المختار ما ذهب إليه ابن الجوزى و أبو حسين القاضى و من وافقهما.

إنتهى كلام السفارينى.

و أبو بكر ابن العربى المالكي-عليه من الله تعالى ما يستحق-أعظم الفريه،فزعم أن الحسين قتل بسيف جدّه،صلى الله عليه تعالى و سلّم.و له من الجهله موافقون على ذلك «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا».

قال ابن الجوزى-عليه الرحمه-فى كتابه السّرّ المصون:من الاعتقادات العاميه التى غلبت على جماعه منتسبين إلى السنه أن يقولوا:إن يزيد كان على الصواب،و إن الحسين-رضى الله تعالى عنه-أخطأ فى الخروج عليه،و لو نظروا فى السير لعلموا كيف عقدت له البيعه،و ألزم الناس بها،و لقد فعل فى ذلك كلّ قبيح.

ثم لو قدرنا صحه عقد البيعه،فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، و لا يميل إلى ذلك إلا كلّ جاهل عامى المذهب يظن أنه يغيب بذلك الرافضه.

و أنا أقول:الذى يغلب على ظنى أن الخبيث لم يكن مصدّقاً برساله النبى صلى الله تعالى عليه و سلّم،و أن مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى و أهل حرم نبّيه عليه الصّلاه و السلام و عترته الطيبين الطاهرين فى الحياه و بعد الممات،و ما صدر منه من المخازى،ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقه من المصحف الشريف فى قدر،و لا أظن أن أمره كان خافياً على أجله المسلمين إذ ذاك،و لكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.و لو سلّم أن الخبيث كان

مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان.

و أنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين.

و الظاهر أنه لم يتب، و احتمال توبته أضعف من إيمانه.

و يلحق به ابن زياد و ابن سعد و جماعه، فلعنه الله عز و جلّ عليهم أجمعين، و على أنصارهم و أعوانهم و شيعتهم، و من مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين.

و يعجبني قول شاعر العصر ذو الفضل الجلي عبد الباقي أفندي العمرى الموصلى، و قد سئل عن لعن يزيد اللعين: يزيد على لعنى عريض جنبه فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

و من كان يخشى القال و القيل من التصريح بلعن ذاك الضليل، فليقل: لعن الله عزّ و جلّ من رضى بقتل الحسين، و من آذى عتره النبي صلى الله عليه و سلم بغير حق، و من غصبهم حقهم، فإنه يكون لاعناً له، لدخوله تحت العموم دخولاً أوّلياً فى نفس الأمر.

و لا- يخالف فى جواز اللعن بهذه الألفاظ و نحوها سوى ابن العربى المارّ ذكره و موافقيه، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضى بقتل الحسين رضى الله تعالى عنه، و ذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذى يكاد يزيد على ضلال يزيد» (١).

أقول:

و قد تشبث هؤلاء المانعون بأشياء يحكم بوهنها كلّ من يقف عليها، و يفهم بأن السبب الأصلى للمنع ليس شىء منها، و لا يبعد أن يكون السبب ما ذكره السعد

ص: ١٩٤

التفتازانى بقوله:

«وَأَمَّا مَا جَرَى بَعْدَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمِنَ الظُّهُورِ بِحَيْثُ لَا مَجَالَ لِلإِخْفَاءِ، وَمِنَ الشَّنَاعَةِ بِحَيْثُ لَا إِشْتِبَاهَ عَلَى الْآرَاءِ، إِذْ تَكَادَ تَشْهَدُ بِهِ الْجَمَادُ وَالْعَجَمَاءُ. وَيَبْكِي لَهُ مِنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَتَنْهَدُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَنْشَقُّ الصَّخُورُ، وَيَبْقَى سُوءَ عَمَلِهِ عَلَى كَرِّ الشُّهُورِ وَمَرِّ الدُّهُورِ، فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَمَرَ أَوْ رَضِيَ أَوْ سَعَى «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى».

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لم يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً عن أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض على ما يروى في أدعيتهم ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية طريقاً إلى الاقتصاد في الاعتقاد، و بحيث لا تنزل الأقدام عن السواء ولا تضل الأفهام بالأهواء، وإلا فمن يخفى عليه الجواز والاستحقاق؟ وكيف لا يقع عليهما الاتفاق؟» (١).

قلت:

يشير إلى ما فى بعض أدعيتنا حيث نقول: اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد و آل محمد و آخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابه التى جاهدت الحسين و شايعة و بايعة و تابعت على ذلك، اللهم العنهم جميعاً.

إشاره إلى أبى سفيان و هند

قال قدس سره: و كسر جدّه ثنيه الرسول صلى الله عليه و آله. و أكلت امه كبد

ص: ١٩٥

١-١) شرح المقاصد ٣١١/٥.

حمزه عليه السلام .

الشرح:

قال ابن تيميه: «لا ريب أن أبا سفيان بن حرب كان قائد المشركين يوم أحد، و كسرت ذلك اليوم ثنيه النبي صلى الله عليه و سلم، كسرهما بعض المشركين، لكن لم يقل أحد أن أبا سفيان باشر ذلك...» (١).

أقول:

لم أتحقق بعد من كان المباشر لذلك.

أمّا قوله: «لم يقل أحد إن أبا سفيان باشر ذلك» فنحن لا نصدّقه، إذ كثيراً ما نسب إلى العلماء شيئاً أو نفى أن يكون أحد قاله، ثم وجدنا خلاف كلامه في الكتب المعتره.

و كيف كان، ففي كون أبي سفيان قائد الجيش في ذلك اليوم الذي كسرت فيه ثنيه النبي - كفايه، و لا حاجة إلى المباشره، و إلا فإن معاويه لم يباشر سمّ الحسن عليه السلام، و يزيد لم يباشر قتل الحسين عليه السلام.

و لم يتكلم ابن تيميه عن أكل هند كبد حمزه عليه السلام بشيء، و هذا منه عجيب!! لأن كثيراً من القضايا الضروريّه و الحوادث المسلّمه ناقش فيها بقله حياء!! غير أنه ذكر: «و كان هذا قبل إسلامهم، ثم بعد ذلك أسلموا و حسن إسلامهم و إسلام هند، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يكرمها» (٢).

و هذا كذب، فقد رووا أن النبي صلى الله عليه و آله لما بلغه إخراج هند كبد حمزه، سأل عما إذا دخل في جوفها شيء من الكبد، فقالوا: لا. فقال صلى الله عليه و آله:

«ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزه النار» (٣).

ص: ١٩٦

١-١) منهاج السنّه ٤/٤٧٤.

٢-٢) منهاج السنّه ٤/٤٧٤.

٣-٣) مسند أحمد ١/٤٦٣.

إشاره

قال قدس سره: وسموا خالد بن الوليد سيف الله.

الشرح:

قال ابن تيميه: «أما تسميه خالد ب«سيف الله» فليس هو مختصاً به، بل هو «سيف من سيوف الله و سلّه الله على المشركين» هكذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم، و النبي هو أول من سماه بهذا الاسم، كما ثبت في صحيح البخارى من حديث أيوب السخيتانى عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك.. و هذا لا يمنع أن يكون غيره سيفاً لله تعالى، بل هو يتضمن أن سيوف الله متعدده و هو واحد منها...» (١).

أقول:

ظاهره أنهم لا يلقّبون خالداً «سيف الله» و هذا منه كذب، و إن كنت فى ريب فلاحظ كتبهم فى الحديث و الرجال و غيرها، ففى كتب الرجال مثلاً يعنونون «خالداً» هكذا:

قال ابن عبد البر: «و كان يقال له: سيف الله» (٢).

و قال المزي: «خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشى، المخزومى، أبو سليمان، الحجازى، سيف الله.

و أمه: لبابه الصغرى بنت..» (٣).

و قال الذهبى: «خالد بن الوليد بن المغيرة... سيف الله تعالى...» (٤).

ص: ١٩٧

١-١ منهاج السنّه ٤/٤٧٨.

٢-٢ الإستيعاب ٢/٤٢٩.

٣-٣ تهذيب الكمال ٨/١٨٧.

٤-٤ سير أعلام النبلاء ١/٣٦٦.

و قال ابن حجر: «خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخروم القرشي، أبو سليمان، سيف الله» (١).

بل الأمر أكثر من ذلك، فقد جاء في بعض الأسانيد لدى الرواية عن خالد (٢)، حفيد خالد بن الوليد: «خالد بن المهاجر بن سيف الله» (٣)، فكأن «سيف الله» أصبح عندهم علماً يقصدون به «خالد بن الوليد»!!

أقول:

هذا القدر يكفي لتبيين صدق العلامة و كذب ابن تيميه.

على الأحق بهذا اللقب

قال قدس سرّه: «عناداً لأمير المؤمنين عليه السّلام، الذي هو أحقّ بهذا الاسم، حيث قتل بسيفه الكفّار و ثبتت بواسطه جهاده قواعد الدين».

الشرح:

و قول العلامة: «عناداً لأمير المؤمنين...» إشاره إلى أن المعاندين لأمير المؤمنين قد عمدوا إلى تسميه أحد الدّ الخصوم و المبغضين له - و هو خالد بن الوليد - عناداً له....

أمّا كون خالد من أعداء الإمام عليه السلام، فذاك من الأمور التي يعلمها كلّ من له أدنى إلمام بالتواريخ و السير، في حياه النبي صلّى الله عليه و آله و بعد وفاته.

أمّا في حياته، فتلك كلمه بريده بن الحصيب الشهيره، المرويّه بالطرق الصحيحه، في قضيه بعث النبي صلّى الله عليه و آله جيشين إلى اليمن، على أحدهما:

على عليه السلام، و على الآخر: خالد بن الوليد.

ص: ١٩٨

١-١) تهذيب التهذيب ١٠٧/٣.

٢-٢) ترجمته: في تهذيب التهذيب و تقريره ٢١٩/١ و غيرهما.

٣-٣) راجع مثلاً: صحيح مسلم، هامش القسطلاني ١٣٣/٦.

قال بريده:فكنت أبغض عليّاً و أحبّ خالداً لم أحبيه إلا- لبغضه عليّاً،حتى إذا غنموا و أصاب على جاريه-فيما يروون-من الخمس،أخذها خالد فرصه ليشنع على على و يسقطه من عين النبي صَلَّى الله عليه و آله،فأرسل جماعه-فيهم بريده-إلى المدينه يشيعون الخبر فى الناس و يتكلّمون فى على،و أرسل معهم كتاباً إلى النبي،فلما قرأ الكتاب احمرّ وجهه و قال لبريده:

أتبغض عليّاً؟

قال:نعم.

قال:لا تبغضه،فإن له فى الخمس أكثر من ذلك،و هو لا يفعل إلى ما يؤمر به،إن عليّاً منى و أنا منه و هو وليكم من بعدى (١).

و أمّا بعد وفاته،فقد كان خالد من المهاجمين لبيت الزهراء بضعه النبي (٢).

و لقد بلغ العداء به لعلى و أهل البيت عليهم السلام إلى حدّ استعدّ لأن يغتال عليّاً بأمر من أبى بكر.

قال الحافظ أبو سعد السمعاني بترجمه الرواجنى:«روى عنه جماعه من مشاهير الأئمه قبل أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى،لأنه لم يكن داعيه إلى هواه، و روى عنه حديث أبى بكر رضى الله عنه أنه قال:لا يفعل خالد ما أمر به.سألت الشريف عمر بن إبراهيم الحسينى بالكوفه عن معنى هذا الأثر فقال:كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل عليّاً ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك» (٣).

و لقد أخبر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله عن هذا البغض و عمّا ستلقاه عترته من

ص:١٩٩

١-١) هذا حديث بحثنا عنه سنداً و دلالة بالتفصيل فى الجزء(١٥)من كتابنا الكبير:نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار.

٢-٢) معالم المدرستين ١/١٢٦.

٣-٣) الأنساب ٣/٩٥.

«بنى مخزوم»:

فقد أخرج الحاكم بسنده أنه قال: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتي قتلاً و تشريداً، و إن أشد قومنا لنا بغضاً، بنو أميه و بنو المغيره و بنو مخزوم» (١).

و أما دعوى أن النبي صَلَّى الله عليه و آله سَمَاهُ «سيف من سيوف الله سلَّه على المشركين» كما ثبت في صحيح البخارى... و أنه هكذا سماه، فنقول:

صريح كلامه أن التسميه كذلك كانت في غزوه مؤته، و هذا ما نصَّ عليه غيره:

قال ابن الأثير بعد كلام له: «و لعلَّ هذا القول كان بعد غزوه مؤته، فإن النبي صَلَّى الله عليه و سلم إنما سمي خالداً سيفاً من سيوف الله فيها، فإنه خطب الناس و أعلمهم بقتل زيد و جعفر و ابن رواحه و قال: ثم أخذ الرايه سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه» (٢).

لكن من القوم من تصرَّف في هذا الحديث أيضاً، فنسب إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أنه سماه «سيف الله» على سبيل الحصر!

قال ابن حجر بعد أن عنوانه بـ «سيف الله» كما تقدَّم: «أسلم بعد الحديبيه و شهد مؤته، و يومئذ سماه رسول الله: سيف الله» (٣).

و هذا شاهد آخر من شواهد صدق العلامه و كذب ابن تيميه، فإنهم لعنادهم مع أمير المؤمنين عليه السلام سمَّوا خالداً باللقب المذكور، و حتى تصرَّفوا في الحديث الذى رووه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله!!

لكن الحديث كذب و إن كان في صحيح البخارى:

ص: ٢٠٠

١- ١) المستدرک على الصحيحين ٤/٤٨٧.

٢- ٢) أسد الغابه فى معرفه الصحابه ٢/٩٤.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٣/١٠٧.

فلأنه عن: أحمد بن عبد الملك بن واقد، عن حماد بن زيد، عن أيوب السخيتاني، عن حميد بن هلال، عن أنس....

و هذا السند متكلم فيه أولاً و آخرأ.

فأما أحمد بن واقد، فعن مغلطاي: ذكره الكلاباذي و الباجي، قالوا: هو متروك، و قال ابن نمير: أهل بلده يسيئون الثناء عليه فتركت حديثه (١). و لهذا ذكره ابن حجر فيمن تكلم فيه من رجال البخاري و جعل يدافع عنه (٢).

و أما حميد بن هلال، فقد أورده العقيلي في ضعفائه، و ابن عدى في كامله، و ابن الجوزي في ضعفائه، و الذهبي في ميزانه (٣) و قال علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد القطان: كان ابن سيرين لا يرضى حميد بن هلال (٤).

سقوطه معني

فلأنه إن كان بلفظ «سيف الله» الظاهر في الحصر فباطل كما هو واضح، و إن كان بلفظ «سيف من سيوف الله» فباطل، إذ لا يليق بالنبى صلى الله عليه و آله أن ينعى زيدا و جعفرأ و ابن رواحه للناس، فلا يصفهم بوصف ثم يخص خالدأ بالكلام المذكور.

و على الجملة، فإن ظاهر سياق الحديث يقتضى الحصر كذلك، و هو باطل، كما اعترف ابن تيميه.

هذا كله، مضافأ إلى وصف عمر بن الخطاب خالدأ ب«عدو الله» كما جاء في تاريخ الطبرى و غيره في قضيه قتله مالكا و تزوجه بزوجه، فإن كان رسول الله قد سمي خالدأ بما يدعون، فقد ردّ عمر على رسول الله صلى الله عليه و آله.

ص: ٢٠١

١- ١) تهذيب الكمال ٤٠٣/٧. الهامش.

٢- ٢) مقدمه فتح الباري: ٣٨٤.

٣- ٣) تهذيب الكمال ٣٩٣/١. الهامش.

٤- ٤) تهذيب الكمال ٣٩٣/١.

قال قدس سرّه: وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: على سيف الله و سهم الله. وقال على عليه السلام على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه و رحمته لأوليائه.

الشرح:

و قال ابن تيميه: «و أمّا قوله: وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: على سيف الله و سهم الله، فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث، و لا له إسناد معروف، و معناه باطل، فإن علياً ليس هو وحده سيف الله و سهمه. و هذه العبارة يقتضى ظاهرها الحصر» (١).

أقول:

هذان الحديثان من الأحاديث المتفق عليها بين الفريقين، و لا ريب أن المتفق عليه أولى بالاستدلال من المنفرد به و لو كان صحيحاً عند المستدل، فكيف لو لم يكن بسند صحيح؟

و قد روى الحديث الأول من علماء أهل السنّه: الخركوشي في (شرف النبوه) و عنه المحبّ الطبري:

«عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر، فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: أين على بن أبي طالب؟ فوثب إليه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمّه إلى صدره و قبل بين عينيه و قال بأعلى صوته:

معاشر المسلمين، هذا أخي و ابن عمي و خنتي، هذا لحمي و دمي و شعري، هذا أبو السبطين الحسن و الحسين سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرّج الكرب عني، هذا

ص: ٢٠٢

أسد الله و سيفه فى أرضه على أعدائه، على ميغضه لعنه الله و لعنه اللّاعنين، و الله منه برئ و أنا منه برئ، فمن أحب أن يبرأ من الله و منى فليبرأ من على، و ليبلغ الشاهد الغائب. ثم قال: إجلس يا على، قد عرف الله لك ذلك.

أخرجه أبو سعيد فى شرف النبوه» (١).

هذا، و قد روى الشيخ الحافظ صدر الدين الحموى بإسناده عن أبى زبير عن جابر بن عبد الله قال:

«كنت يوماً مع النبى صلى الله عليه و سلم فى بعض حيطان المدينه و يد على فى يده، فمرّ بنخل فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء و هذا على سيد الأوصياء أبو الأئمه الطاهرين. ثم مررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد رسول الله و هذا على سيف الله.

فالتفت النبى إلى على فقال: يا على سمه الصيحانى. فسمى من ذلك اليوم بالصيحانى» (٢).

و رواه عنه الحافظ الزرندى (٣) و الحافظ السهمودى، فى أسماء تمور المدينه المنوره (٤) من دون تكلم فى سنده و إنما قال: «حديث غريب».

تنبيه:

قد روى خبر النخل الصيحانى فى كتب أهل السنه عن أمير المؤمنين، و أبى بكر، لكن بلفظ ليس فيه «سيف الله»، و لما كان من أخبار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التى يروونها بأسانيدهم، كان من المناسب ذكره فى المقام.

و هو ما رووه بأسنادهم عن أحمد بن نصر الذراع قال: حدّثنا صدقه بن موسى، حدّثنا أبى، حدّثنا على بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه

ص: ٢٠٣

١- ١) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ٩٢.

٢- ٢) فرائد السمطين ١/١٣٧.

٣- ٣) نظم درر السمطين: ١٢٤.

٤- ٤) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/٧٢.

محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسن، عن علي قال: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم، إذ مررنا بنخل فصاحت نخله أخرى: هذا النبي المصطفى و علي المرتضى، ثم جزناها فصاحت ثانية بثالته: موسى و أخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعه بخامسه: هذا نوح و إبراهيم، ثم جزناها فصاحت سادسه بسابعه: هذا محمد سيد المرسلين و هذا علي سيد الوصيين. فتبسم ثم قال: يا علي إنما سمي نخل المدينة صحيحاً لأنه صاح بفضلتي و فضلك».

أقول:

لقد أدرج ابن الجوزي هذا الخبر في (الموضوعات) و لم يتهم به إلا «أحمد ابن نصر الذراع» (١) هذا المحدث البغدادي المشهور، فلما راجعنا ترجمته عند الخطيب لم نجد فيه طعناً في الرجل نفسه عن أحد من رجال الحديث، بل وجدناه يقول: «في حديثه نكره تدلّ علي أنه ليس بثقه» (٢).

و هذا- كما ترى- قدح عن اجتهاد، فإنه لما رآه يروى أمثال هذا الحديث، مما يدلّ علي فضائل و خصائص لعلي عليه السلام، قال: «في حديثه نكره» لكنها برأيه «تدلّ علي أنه ليس بثقه» و مثل هذا الطعن لا يسمع عند المحققين.

و لعله لذا تعقب السيوطي كلام ابن الجوزي، فذكر الحديث بإسناد آخر عن أبي بكر، و لم يتكلم عليه بشيء (٣).

كما أن من رواه الحديث الثاني منهم:

الحافظ صدر الدين الحموي، حيث روى بإسناده عن جابر بن عبد الله قال:

«قال النبي صلى الله عليه و سلم: ما استعصى علي أهل مملكه قط إلا رميتهم

ص: ٢٠٤

١-١ (١) الموضوعات ٣٦٩/١.

١٨٤/٥. ٢-٢ (٢) تاريخ بغداد

٣-٣ (٣) اللآلي المصنوعه ٣٥٥/١.

بسهم الله تعالى.

قيل: يا رسول الله، و ما سهم الله تعالى؟

قال: علي بن أبي طالب. ما بعثته في سريه قط إلا- أنى رأيت جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملكاً أمامه و سحابه تظله، حتى يعطى الله النصر و الظفر» (١).

هذا، و قد نقل القوم عن الحسن البصرى وصفه الإمام عليه السلام ب«السهم» إذ أخبر بأنه ينسب إلى تنقص الإمام عليه السلام، فقال: «كان- و الله- سهماً صائباً من مرامى الله عز و جل على عدوه، و ربانى هذه الأمه، و ذا فضلها و ذا سابقتها و ذا قرابتها من رسول الله- صلى الله عليه و سلم- لم يكن بالثؤمه عن أمر الله، و لا بالملومه فى دين الله، و لا بالسروقه لمال الله، أعطى القرآن عزائم ففاز منه برياض مونقه، ذاك على بن أبى طالب، يا لكع».

رواه ابن عبد البر، و المحب الطبرى عن الخلعى، و ابن عبد ربه، و غيرهم (٢).

خالد قبل التظاهر بالإسلام

قال قدس سره: و خالد لم يزل عدواً لرسول الله صلى الله عليه و آله مكذباً له.

و هو كان السبب فى قتل المسلمين يوم احد و فى كسر ربايته النبى صلى الله عليه و آله و فى قتل حمزه عليه السلام عمه.

الشرح:

قال ابن تيمية: «و أمّا قوله: و خالد لم يزل عدواً لرسول الله صلى الله عليه و سلم مكذباً له.

فهذا كان قبل إسلامه، كما كان الصحابه كلهم مكذّبين له قبل الإسلام، من

ص: ٢٠٥

١- ١) فرائد السمطين ٢٢٢/١.

٢- ٢) الإستيعاب ١١١٠/٣، ذخائر العقبى: ٧٩، مناقب على لابن المغازلى: ٧٣، العقد الفريد ١٩٤/٢.

بنى هاشم و غير بنى هاشم، مثل أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و أخيه ربيعه، و حمزه عمه، و عقيل، و غيرهم» (١).

أقول:

أولاً: لم يتكلم على قول العلامة: «و هو كان السبب» بشيء، و لو أمكنه لفعل!!

و ثانياً: صريح كلام العلامة ناظر إلى حال خالد قبل تظاهرة بالإسلام، فقوله: «فهذا كان قبل إسلامه» لا مورد له.

و ثالثاً: لم يكن الصحابه كلهم مكذّبين له قبل الإسلام، فأمر المؤمنين عليه السلام صدّقه منذ اليوم الأوّل، و هذا ممّا ميّزه به عن غيره و فضّله عند أعلام الصحابه و عقلاء المسلمين.

و رابعاً: كلام العلامة ناظر إلى «العداء» مضافاً إلى «التكذيب»، و ابن تيميه أغفل الكلمه الأولى، و كأنه يزعم أن الصحابه كلهم كانوا قبل إسلامهم أعداء لرسول الله صلّى الله عليه و آله، و هذا كذب.

و خامساً: لقد كان «عمر» من أشهر القوم في «العداء» و «التكذيب»، حتى أنه في قضيه تظاهرة بالإسلام كان قد خرج شاهراً سيفه يريد قتل النبي صلّى الله عليه و آله، و هي قضيه معروفه عند الكلّ.. و كذلك كان أبو سفيان و بنو أميه و نظراؤهم.

خالد بعد التظاهر بالاسلام

قال قدس سرّه: و لما تظاهر بالإسلام بعثه النبي صلّى الله عليه و آله إلى بنى جذيمه ليأخذ منهم الصدقات فخانه و خالفه على أمره، و قتل المسلمين فقام النبي صلّى الله عليه و آله في أصحابه خطيباً بالإنكار عليه، رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهده بياض إبطيه و هو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أنفذ

ص: ٢٠٦

إليهم أمير المؤمنين عليه السلام لتلافى فارطته، وأمره أن يسترضى القوم ففعل.

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا النقل فيه من الجهل و التحريف ما لا يخفى على من يعلم السيره، فإن النبي صلى الله عليه و سلم أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا، فلم يقبل ذلك منهم و قال: إن هذا ليس بإسلام، فقتلهم، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابه، كسالم مولى أبي حذيفه، و عبد الله بن عمر، وغيرهما.

و لما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه و سلم رفع يديه إلى السماء و قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان، و قد قال تعالى: «فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ».

ثم أرسل علياً و أرسل معه مالا، فأعطاهم نصف الديات، و ضمن لهم ما تلف حتى يبلغه الكلب، و دفع إليهم ما بقى احتياطاً، لئلا يكون بقى شيء لم يعلم به.

و مع هذا، فالنبي صلى الله عليه و سلم لم يعزل خالدًا عن الإمارة، بل ما زال يؤمره و يقدمه....

و يقال: إنه كان بينه و بينهم عداوه فى الجاهليه، و كان ذلك مما حرّكه على قتلهم، و على كان رسولاً فى ذلك.

و أمّا قوله: إنه أمره أن يسترضى القوم من فعله. فكلام جاهل، فإنما أرسله لإنصافهم و ضمان ما تلف لهم لا لمجرد الاسترضاء.

و كذلك قوله عن خالد: إنه خان و خالف أمره و قتل المسلمين، كذب على خالد، فإن خالدًا لم يتعمد خيانه النبي صلى الله عليه و سلم و لا مخالفه أمره، و لا قتل من هو مسلم معصوم عنده، و لكنه أخطأ...» (١).

ص: ٢٠٧

فى قول النبى لعلى و أهل البيت: أنا حرب لمن حاربكم...

أقول:

ما قال النبى صلّى الله عليه و آله هذا فى حق على فحسب، بل قاله فيه و فى الزهراء و ابنيهما عليهم الصلاة و السلام، فقل لابن تيميه و أتباعه «مُوتُوا بِعَيْظِكُمْ» فقد:

أخرج أحمد عن تليد بن سليمان، عن أبى الجحاف، عن أبى حازم، عن

ص: ٢٢١

أبى هريره قال: «نظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى على و الحسن و الحسين و فاطمه فقال: أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم» (١).

و أخرج الترمذى قال: «حدّثنا سليمان بن عبد الجبار البغدادي، حدّثنا على بن قادم، حدّثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمه، عن زيد بن أرقم: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعلى و فاطمه و الحسن و الحسين:

أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم» (٢).

و أخرج ابن ماجه قال: «حدّثنا الحسن بن على الخلال و على بن المنذر قال:

حدّثنا أبو غسان، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمه، عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلى و فاطمه و الحسن و الحسين: أنا سلم لمن سالمتم و حرب لمن حاربتهم» (٣).

و أخرج الطبراني قال: «حدّثنا على بن عبد العزيز و محمد بن النضر الأزدي قال:

ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمه، عن زيد بن أرقم: إن النبي صلى الله عليه و سلم قال لعلى و فاطمه و الحسن و الحسين: أنا سلم لمن سالمتم و حرب لمن حاربتهم.

حدّثنا محمد بن راشد، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا حسين بن محمد، ثنا سليمان بن قرم، عن أبي الجحاف عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولى أم سلمه -رضى الله عنها- عن جدّه، عن زيد بن أرقم قال: مرّ النبي صلى الله عليه و سلم على بيت فيه فاطمه و على و حسن و حسين -رضى الله عنهم- فقال: أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم.

ص: ٢٢٢

١-١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٤٤٣.

٢-٢) صحيح الترمذى -كتاب المناقب، فضائل فاطمه ٥/٦٥٦.

٣-٣) سنن ابن ماجه -فضائل الحسن و الحسين ١/٥٢.

حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، ثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريره-رضى الله عنه-قال: نظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى علي و الحسن و الحسين و فاطمه-رضى الله عنهم-وقال: أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم» (١).

و أخرج الحاكم بإسناده عن أحمد بالسند و اللفظ و قال: «هذا حديث حسن من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل عن تليد بن سليمان، فإنني لم أجد له روايه غيرها.

(قال): و له شاهد عن زيد بن أرقم حدّثناه أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا مالك بن إسماعيل، ثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن صبيح مولى أم سلمه، عن زين بن أرقم، عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لعلي و فاطمه و الحسن و الحسين: أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم» (٢).

قلت:

و وافقه الذهبي في تلخيصه.

و أخرجه الخطيب قال: «حدّثنا محمد بن الحسين القطان، حدّثنا عبد الباقي بن قانع القاضي، حدّثنا أحمد بن علي الخزاز، حدّثنا أحمد بن حاتم الطويل، حدّثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريره قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى علي و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم» (٣).

قلت: و عبد الباقي بن قانع، هو الذي اعتمده ابن تيميه في إنكار أن يكون للإمام

ص: ٢٢٣

١- ١) المعجم الكبير ٣/٤٠ رقم: ٢٦٢١، ٢٦٢٠، ٢٦١٩.

٢- ٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٤٩.

٣- ٣) تاریخ بغداد ٧/١٣٧.

الحسن العسكري عليه السلام عقب، إن كان ابن قانع قد زعم ذلك، والعلم عند الله.

و رواه الذهبي في مواضع من (سير أعلام النبلاء) ولم يعلق على سنده بشيء، قال -بعد حديث رواه عن جامع الترمذي و تكلم على سنده-: «و في الجامع، لزيد بن أرقم:

إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لهما و لا بينهما: أنا حرب لمن حاربتم و سلم لمن سالمتم».

قال: «أحمد بن حنبل: حدّثنا تليد بن سليمان، حدّثنا أبو الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريره: نظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى علي و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم» (١).

قال: «أحمد في مسنده: حدّثنا تليد بن سليمان...» (٢).

و روى ابن كثير الحديثين عن أبي هريره و زيد بن أرقم بلا- كلام في إسنادهما كذلك، قال: «و قال أحمد: حدّثنا تليد بن سليمان...» (قال) «و قد رواه النسائي من حديث أبي نعيم، و ابن ماجه من حديث وكيع، و كلاهما من سفیان الثوري، عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف» (قال): «و قد رواه أسباط عن السدي عن صبيح مولى أم سلمه عن زيد بن أرقم، فذكره» (٣).

أقول: و يؤيده الأحاديث الكثيره الوارده بتراجم أمير المؤمنين، و الحسن و الحسين، و أهل البيت، في كتب الحديث و الفضائل، فلا نطيل بذكرها.

و أقول: و كان من أسباب اختيارنا هذا اللفظ هو التمهيد لما أشار إليه العلّامه رحمه الله من عداة معاويه و يزيد لأمر المؤمنين و الحسين عليهم السلام.

ص: ٢٢٤

١-١) سير أعلام النبلاء ١٢٢/٢.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٣.

٣-٣) البدايه و النهايه ٣٦/٨.

اشاره

أقول:

بل الجهل و التحريف في نقل ابن تيميه، كما لا يخفى على من يعلم السيره.

و لنوضح ذلك ضمن مطالب:

إنه بعث داعياً لا مقاتلاً

المطلب الأول: في أن خالداً بعث إليهم داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً:

يقول ابن تيميه: «أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا» فما معنى «ليسلموا»؟

لقد كانت بعوث رسول الله صلى الله عليه و آله مختلفه.

فتاره بعث إلى قوم ليقاتلوا حتى يسلموا، كما روى بالنسبه إلى بعث خالد إلى بنى الحارث بن كعب، قال ابن إسحاق: «ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنه عشر، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، و أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم و إن لم يفعلوا فقاتلهم..» (1).

و أخرى بعث إلى قوم يدعون إلى الإسلام، فإن استجابوا فهو و إلّا لم يقاتلوا.

و قد كان بعث رسول الله خالداً إلى بنى جذيمه من القسم الثاني، و هذا ما نصّ عليه أهل السيره:

قال ابن إسحاق: «و قد بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ و جلّ، و لم يأمرهم بقتال، و كان ممن بعث خالد بن الوليد، و أمره أن يسير بأسفل تهامه داعياً، و لم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بنى جذيمه، فأصاب منهم..»

ص: ٢٠٨

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن جنيب، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة، داعياً و لم يبعثه مقاتلاً...» (١).

و قال الطبري: «و فيها كانت غزوه خالد بن الوليد بنى جذيمه، و كان من أمره ما حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمه، عن محمد بن إسحاق قال: قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى عز و جلّ و لم يأمرهم بقتال، و كان ممن بعث خالد بن الوليد، و أمره أن يسير بأسفل تهامه داعياً و لم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بنى جذيمه فأصاب منهم.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمه، عن محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً، و لم يبعثه مقاتلاً...» (٢).

و قال ابن سعد: «قالوا: بعثه إلى بنى جذيمه داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً» (٣).

و قال ابن الجوزي: «بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بنى جذيمه داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً...» (٤).

و قال الذهبي: «قال ابن إسحاق: و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله تعالى، و لم يأمرهم بقتال، فكان ممن بعث: خالد بن الوليد، و أمره أن يسير بأسفل تهامه داعياً و لم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بنى جذيمه بن

ص: ٢٠٩

١-١) السيره النبويه لابن هشام ٢/٤٢٨.

٢-٢) تاريخ الطبري ٣/٦٦.

٣-٣) الطبقات الكبرى ٢/١٤٧.

٤-٤) المنتظم ٣/٣٣١.

عامر بن عبد مناه بن كنانه، فأصاب منهم» (١).

وقال ابن الأثير: «و في هذه السنة: كانت غزوه خالد بن الوليد بنى جذيمه، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام و لم يأمرهم بقتال، و كان ممن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً و لم يبعثه مقاتلاً...» (٢).

وقال ابن خلدون: «ثم بعث النبي صلى الله عليه و سلم السرايا حول مكة و لم يأمرهم بقتال، و من جملةهم خالد بن إلى إلى بنى جذيمه بن عامر بن عبد مناه بن كنانه، فقتل منهم، و أخذ ذلك عليه» (٣).

وقال ابن كثير: «قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً و لم يبعثه مقاتلاً...» (٤).

وقال ابن حجر: «قال ابن سعد: بعث النبي صلى الله عليه و سلم إليهم خالد بن الوليد - في ثلاثمائة و خمسين من المهاجرين و الأنصار - داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً...»

قال ابن إسحاق: حدثني.. قال: بعث رسول الله خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بنى جذيمه داعياً و لم يبعثه مقاتلاً» (٥).

وقال ابن سيد الناس: «بعثه صلى الله عليه و سلم إلى بنى جذيمه داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً» (٦).

ص: ٢١٠

١- ١) تاريخ الإسلام - المغازي: ٥٦٧.

٢- ٢) الكامل في التاريخ ٢/٢٥٥.

٣- ٣) تاريخ ابن خلدون ٤/٨١٠.

٤- ٤) البدايه و النهايه ٤/٣١٢.

٥- ٥) فتح الباري ٨/٤٦.

٦- ٦) عيون الأثر ٢/١٨٥.

و قال الحلبي: «يدعوهم إلى الإسلام، أى: و لم يكن صلى الله عليه و سلم علم بإسلامهم. و لم يأمره بمقاتلتهم، أى: إذا لم يسلموا»
(١).

و قال ابن القيم: «قال ابن سعد..بعثه إلى بنى جذيمه داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً» (٢).

أقول:

هذه كلمات علماء «السيره» أوردناها بنصوصها إيضاحاً لصدق قول العلامة رحمه الله: «فخانه و خالفه فى أمره» و أن الكذب هو تكذيبه....

و لقد حاول ابن تيميه بقوله «ليسلموا» التمويه و التخديع، فإن النبي صلى الله عليه و آله لم يرسل خالداً إلى القوم «ليسلموا» أى: لأن يحملهم على الإسلام و لو بالسيف!! و إنما بعثه إليهم «داعياً» فقط.

و إذ كان مبعوثاً إليهم «داعياً» فقط، و لم يؤمر بقتالهم أصلاً، لم يجر له قتلهم، سواء قالوا: «أسلمنا» أو «لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا». و سواء قبل خالد ذلك منهم أو لم يقبل ذلك و قال: «إن هذا ليس بإسلام!» فإن رسول الله صلى الله عليه و آله إنما أرسله داعياً فقط!!

و لكن الحقيقه و واقع الأمر شئ آخر، كما ستعلم.

كانوا مسلمين

المطلب الثانى: فى أن القوم كانوا مسلمين، و أنهم قد أقرّوا بالإسلام، و هذا ما نصّ عليه مشاهير الأئمه فى التاريخ و السيره، كابن إسحاق و ابن هشام و ابن جرير و ابن سعد و غيرهم.

ص: ٢١١

١- (١) السيره الحلبيه ٢٠٩/٣.

٢- (٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ١٦٧/٢.

قال ابن سعد: «قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى و رسول الله صلى الله عليه و سلم مقيم بمكة، بعثه إلى بنى جذيمه داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً، فخرج فى ثلاثمائة و خمسين رجلاً من المهاجرين و الأنصار و بنى سليم، فانتهى إليهم خالد. فقال: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون، قد صلينا و صدقنا بمحمد، و بنينا المساجد فى ساحاتنا و أذننا فيها.

قال: فما بال السلاح عليكم؟

فقالوا: إن بيننا و بين قوم من العرب عداوة، فحفظنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح.

قال: فضعوا السلاح. فوضعوه.

فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً و فرّقهم فى أصحابه.

فلتياً كان فى السحر، نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه - و المدافه الإجهاز عليه بالسيف - فأما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم، و أما المهاجرون و الأنصار فأرسلوا أساراهم.

فبلغ النبى صلى الله عليه و سلم ما صنع خالد فقال: اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد.

و بعث على بن أبى طالب فودى لهم قتلهم و ما ذهب منهم، ثم انصرف إلى رسول الله فأخبره» (١).

هذا، و ابن تيمية لم يذكر هنا إسلام القوم! إلا أنه صرح - فى مبحث مطاعن

ص: ٢١٢

أبي بكر-بكونهم مسلمين و هذه عبارته:

«فإذا كان النبي صلى الله عليه و سلم لم يقتله-مع قتله غير واحد من المسلمين من بنى جذيمه للتأويل-فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك بن نويرة بطريق الأولى و الأخرى» (١).

السبب الأصلي للغاره

المطلب الثالث: فى السبب الأصلي لغاره خالد:

و أمّا بالنسبه إلى «العداوه» بين خالد و بنى جذيمه، فقد اضطر ابن تيميه إلى أن يصرح بها على الإجمال، بعنوان «يقال» قال: «و يقال: إنه كان بينه و بينهم عداوه فى الجاهليه، و كان ذلك مما حركه على قتلهم» و لو لا تصريح علماء التاريخ و سيره بذلك و شرحهم للقضية بالتفصيل، لما ذكر ابن تيميه هذا المجمل أيضاً:

قال ابن جرير الطبرى-و جماعه من الأئمه المتقدمين و المتأخرين-و اللفظ له:

«بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم حين افتتح مکه خالد بن الوليد داعياً و لم يبعثه مقاتلاً و معه قبائل من العرب: سليم و مدلج و قبائل من غيرهم، فلما نزلوا على الغميصاء-و هى ماء من مياه بنى جذيمه بن عامر بن عبد مناه بن كنانه-على جماعتهم، و كانت بنو جذيمه قد أصابوا فى الجاهليه عوف بن عبد عوف-أبا عبد الرحمن بن عوف-و الفاكه بن المغيره، و كانا قد أقبلتا تاجرین من اليمن، حتى إذا نزلا بهم قتلوهما و أخذوا أموالهما، فلما كان الإسلام و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد، سار حتى نزل ذلك الماء، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا... فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم.

ص: ٢١٣

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.

ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا علي، أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم و اجعل أمر الجاهليه تحت قدميك، فخرج... ثم رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر فقال: أصبت و أحسنت.

ثم قام رسول الله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه-حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبيه-و هو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات» (١).

فظهر أن خالداً قتل قوماً مسلمين عملاً بأمر الجاهليه، و ذلك أنهم قتلوا عمه الفاكه بن المغيره!

و حتى بناء على عرف الجاهليه، لم يكن يجوز له القيام بما فعل، فقد جاء في السيره في شرح القضيّه ما نصه:

«و كان الفاكه بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و عوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهره، و عفان بن أبي العاص بن أميه بن عبد شمس، قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، و مع عفان ابنه عثمان و مع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من جذيمه بن عامر كان هلك باليمن إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، و لقيهم بأرض بني جذيمه قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه و قاتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف و الفاكه بن المغيره، و نجا عفان بن أبي العاص و ابنه عثمان، و أصابوا مال الفاكه بن المغيره و مال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به. و قتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه.

ص: ٢١٤

(١-١) تاريخ الطبري ٦٦/٣.

فهّمت قريش بغزو بني جذيمه، فقالت بنو جذيمه: ما كان مصاب أصحابكم من ملاءنا، إنما عدا عليهم قوم بجهاله، فأصابوهم و لم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال. فقبلت قريش ذلك و وضعوا الحرب» (١).

هذا، و قد اعترف خالد بعمله بأمر الجاهليه، في كلام شديد جرى بينه و بين عبد الرحمن بن عوف: «فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهليه في الإسلام! فقال:

إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت. قد قتلت قاتل أبي، و لكنك تأرت بعَمِّك الفاكه بن المغيره، حتى كان بينهما شر...» (٢).

و هذا هو الذي تبرأ منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لا مَرَّه بل مَرَّات! قال الحافظ السهيلي: «و ذكر تبرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سلم مما فعل خالد، و هذا نحو مما روى عن عمر حين قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إن في سيف خالد رهقاً، إن في سيف خالد رهقاً! فاقتله.

و ذلك حين قتل مالك بن نويرة و جعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به، و كان مالك ارتدّ ثم راجع الإسلام و لم يظهر ذلك لخالد، و شهد عنده رجلان من الصحابه برجوعه إلى الإسلام فلم يقبلهما، و تزوّج امرأته، فلذلك قال عمر لأبي بكر: اقتله...» (٣).

قلت: و في قصته مع بني جذيمه أيضاً، ردعه عمّا عزم عليه أكابر الصحابه الموجودين معه، كعبد الله بن عمر، و سالم مولى أبي حذيفه، فلم يعبأ بهما» (٤).

أما قصته مع مالك، فستأتى مفصّله.

ص: ٢١٥

١-١) الروض الآنف- شرح سيره ابن هشام ١٢٩/٧.

٢-٢) الروض الآنف- شرح سيره ابن هشام ١٢٨/٧، عيون الأثر في المغازي و السير ١٨٦/٢، زاد المعاد في هدى خير العباد ١٦٨/٢ و غيرها.

٣-٣) الروض الآنف- شرح سيره ابن هشام ١٥٩/٧.

٤-٤) الروض الآنف- شرح سيره ابن هشام ١٢٧/٧.

المطلب الرابع: فى الاعتذار لخالد.

و قد اضطرب القوم و تناقضت كلماتهم فى الاعتذار لخالد بن الوليد....

و الاعتذار له-بعد التصريح منهم بما سبق-عجيب جداً....

أما الاعتذار بأنهم قالوا:«صبأنا صبأنا» فلم يقبل خالد ذلك منهم...-كما قال ابن تيميه-فهو بالنظر إلى ما تقدّم ساقط جداً، و لذا لم يذكره الأ-كثر، و حتى ابن القيم -تلميذ ابن تيميه-لم يعبأ به، فإنه ذكر إسلام القوم و اعتمده، ثم أورد ما قاله شيخه بعنوان «قد قيل» و هذه عبارته:

«ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة: قال ابن سعد: و لما رجع خالد ابن الوليد من هدم العزى-و رسول الله صلى الله عليه و سلم مقيم بمكة-، بعثه إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام و لم يبعثه مقاتلاً، فخرج فى ثلاثمائة و خمسين رجلاً من المهاجرين و الأنصار و بنى سليم، فانتهى إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا و صدقنا بمحمد و بنينا المساجد فى ساحتنا و أذنا فيها. قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا و بين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم. و قد قيل: إنهم قالوا:

صبأنا صبأنا و لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا. قال: فضعوا السلاح، فوضعه، فقال لهم:

إستأسروا...» (١).

و من هنا قال الحلبي: «و لا يخفى أنه يبعد أن خالد بن الوليد-رضى الله تعالى عنه-إنما قتلهم لقولهم: صبأنا و لم يقولوا أسلمنا» (٢).

فذكر عذر آخر.. قال ابن إسحاق: «قد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت

ص: ٢١٤

١-١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ١٦٧/٢.

٢-٢) السيرة الحلبيه ٢١١/٣.

حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافه السهمي و قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام» (١).

و هذا أقبح من سابقه، فقد ثبت أنهم كانوا مسلمين، و أنهم بنوا المساجد في ديارهم و أذنوا فيها، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لقواده: إذا رأيت المساجد و الأذان فيها فهم مسلمون يحرم قتلهم، و لذا قال عبد الرحمن بن عوف له -في الكلام الذي جرى بينهما-: «كيف تأخذ المسلمين بقتل رجل في الجاهليته؟ فقال خالد: و من أخبركم أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السريه كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد و أقروا بالإسلام. فقال: جاءني أمر رسول الله أن أغير! فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت على رسول الله. و إنما أخذت بثار عمك الفاكه» (٢).

على أنه لو كان خالد-أو المعتذر له بذلك- صادقاً، لوجب على النبي أن يتبرأ من هذا الخبر و يكذب المخبر و يؤاخذه على ذلك!!

و حينئذ، التجأ بعضهم إلى الاستدلال بما وضعوه عن لسان رسول الله صلى الله عليه و آله، من النهي عن الطعن في الصحابه و الأمر بالإمساك عنهم!!

و التجأ آخرون إلى كتم القصة أو ذكرها محرفه أو مجمله، فمنهم من يحاول أن لا- يصرح بإسلام القوم، و منهم لا يورد قصه الفاكه و الكلام الذي جرى بين عبد الرحمن و خالد، و منهم لا يذكر إرسال النبي صلى الله عليه و آله علينا إلى القوم، و هو:

إرسال النبي علينا

المطلب الخامس: في إرسال النبي علينا إلى بنى جذيمه:

قال العلامة رحمه الله: «ثم أنفذ إليه بأمر المؤمنين عليه السلام لتلافي فارطه

ص: ٢١٧

١- ١) السيره النبويه لابن هشام ٢/٤٣٠.

٢- ٢) السيره الحلبيه ٣/٢١١.

و أمره أن يسترضى القوم، ففعل» فلم يفهم ابن تيمية معنى هذا الكلام، أو فهمه و أراد التشويش عليه فقال:

«و أمّا قوله: إنه أمره أن يسترضى القوم من فعله. فكلام جاهل، فإنما أرسله لإنصافهم و ضمان ما تلف لهم، لا لمجرد الاسترضاء»
(١).

و متى قال العلامة: إنه أرسل إليهم لمجرد الاسترضاء؟ فإن الإمام عليه السلام قد حمل إليهم -بأمر من رسول الله صلى الله عليه و آله- من المال ما ودى به لهم الدماء و ما أصابهم من ضرر مالى... و هذا ما ذكره ابن إسحاق و غيره من أئمة السيره.

لكن مقصود العلامة رحمه الله من «استرضاء القوم» هو إرضائهم بأخذ الديه و التنازل عن المطالبه بالقود... و قد رضى القوم بذلك، لكن اجتمعت على رضاهم أسباب:

أحدها: براءة رسول الله صلى الله عليه و آله من عمل خالد مرّات عديده و على رؤوس الأشهاد، و غضبه على خالد و إعراضه عنه، كما نصّ عليه فى بعض الكتب.

و الثانى: الأموال التى دفعت إليهم، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام أعطاهم أموالاً إضافيه احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه و آله.

و الثالث: حضور على عليه السلام عند القوم و جهوده التى بذلها فيهم، فالنبي صلى الله عليه و آله لم يرسل إليهم غيره، و هذا يدلّ على شدة اهتمامه بالأمر، فقد علم المسلمون كلّهم أن علياً عليه السلام كان من النبي بمنزله رأسه من جسده و روحه من بدنه، فإذا أرسله إلى عمل أو قوم فكأنما قد حضر هو بنفسه.

و هكذا كان الأمر فى الوقائع المشابهه، فإنه كان إذا أراد تهديد قوم هددهم بإرسال على كما فى قضيه أهل مكه و الطائف حيث قال: «و الذى نفسى بيده، لتقيمّن الصلاة

ص: ٢١٨

و لتؤتن الزكاه، أو لأبعثن إليكم رجلاً منى- أو كنفسى- يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد على».

و إذا أراد استرضاء قوم و تأليف قلوبهم و تحبيب نفوسهم، أرسل إليهم علياً، كما فى واقعه بنى جذيمه.

و إذا أراد إنذار قوم أرسل إليهم علياً، حتى أنه فى تبليغ الانذار إلى أهل مكه أرسل أولاً- أبا بكر، فجاءه الوحي بما معناه: هذا العمل كان عليك أو على رجل هو كنفسك و هو على لا غيره، و لذا أرسل علياً خلف أبى بكر و عزله عمّا أمره به.

و هكذا كان على عليه السلام يبادر إلى القيام بما يأمر به رسول الله صلى الله عليه و آله، كلما تقاعس القوم عن الامتثال لأوامره أو تكاسلوا أو خالفوا..

فهذا مقصود العلماء رحمهم الله، لأن خالداً قتل مسلمين برجل كافر قتل فى الجاهليه، فكان لهم أن يطالبوا بالقصاص، لكن النبى صلى الله عليه و آله تبرأ من فعله، و كذا المسلمون كلهم، ثم استرضى القوم بواسطه على أمير المؤمنين عليه السلام، حتى قبلوا الديه، و انتهى الأمر، بالحكمه المحمديه و الجهود العلويه.

ما فعله خالد بأهل اليمامة و هم مسلمون

قال قدس سره: و لما قبض النبى صلى الله عليه و آله و أنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة، قتل منهم ألفاً و مائتى نفس مع تظاهرهم بالإسلام!

الشرح:

جاء التصريح بذلك فى كتاب كتبه أبو بكر إلى خالد بن الوليد، رواه المؤرخون، فروى الطبرى بإسناده عن ابن إسحاق قال:

«ثم إن خالداً قال لمجاعه (1): زوّجنى ابنتك. فقال له مجاعه: مهلاً، إنك قاطع

ص: ٢١٩

١- ١) و هو: مجاعه بن مراره بن سلمى، كان من رؤساء بنى حنيفه، أسلم و وفد، و أعطاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم أرضاً باليمامة، و كان ممن أسر يوم اليمامة، و قد تزوّج خالد بنته فى ذلك الوقت. و ذكر المرزبانى أنه عاش إلى عهد معاويه. الإصابه

٣٦٢/٣.

ظهرى و ظهر ك معى عند صاحبك. قال: أىها الرجل زوْجنى، فزوْجه. فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إله كتاباً يقطر الدم: لعمرى يا ابن أم خالد، إنك لفارغ تنكح النساء و بفناء بيتك دم ألف و مائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد! قال: فلماً نظر خالد فى الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسر- يعنى عمر بن الخطاب» (١).

فما ذكر العلامه رحمه الله موجود فى كتب القوم و رواياتهم.

لكن ابن تيميه يقول: «الله أكبر على هؤلاء المرتدّين المفترين أتباع المرتدّين، الذين برزوا بمعاداه الله و رسوله و كتابه و دينه، و مرقوا من الإسلام و نبذوه وراء ظهورهم، و شاقوا الله و رسوله و عباده المؤمنين، و تولّوا أهل الردّه و الشقاق. فإن هذا الفصل و أمثاله من كلامهم يحقّق أن هؤلاء القوم المتعصبين على الصّدّيق رضى الله عنه و حزبه من جنس المرتدّين الكفار، كالمرتدّين الذين قاتلهم الصّدّيق رضى الله عنه...» (٢).

فاقرأ و احكم، من الكذاب المفترى؟ و من المارق عن الإسلام، النابذ له وراء ظهره؟ المشاقق لله و الرسول؟ أ ترى أن الحق يضيع و الحقائق تتبدّل بمثل هذه الكلمات؟

الإشارة إلى مالك بن نويرة

قال قدس سرّه: و قتل مالك بن نويرة صبراً و هو مسلم، و عرّس بامرأته، و سمّوا بنى حنيفه أهل الردّه لأنهم لم يحملوا الزكاه إلى أبى بكر لأنهم لم يعتقدوا

ص: ٢٢٠

١- (١) تاريخ الطبرى ٣/٣٠٠.

٢- (٢) منهاج السنّه ٤/٤٩٠.

إمامته، واستحلّ دماءهم و أموالهم و نساءهم حتى أنكر عمر عليه.

الشرح:

لم يتكلم ابن تيميه هنا حول قضيه مالك و زوجته و عشيرته... و سنتكلم عليها بالتفصيل فى مباحث مطاعن أبى بكر، إن شاء الله تعالى.

قال قدس سرّه: فسمّوا مانع الزكاه مرتدّاً و لم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين و محاربه أمير المؤمنين عليه السلام مرتدّاً. مع أنهم سمعوا قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا على حربك حربى و سلمك سلمى. و محارب رسول الله كافر بالإجماع.

الشرح:

قال ابن تيميه: «هذا الحديث ليس فى شىء من كتب علماء الحديث المعروفه، و لا روى بإسناد معروف، و لو كان النبى صلّى الله عليه و سلّم قال لم يجب أن يكونوا قد سمعوه، فإنه لم يسمع كلّ منهم كلّ ما قاله الرسول صلّى الله عليه و سلم، و لا روى بإسناد معروف؟ بل كيف إذا علم أنه كذب موضوع على النبى صلّى الله عليه و سلّم باتّفاق أهل العلم بالحديث؟» (١).

فى أن حروب أمير المؤمنين كانت بأمر من رسول الله

هذا، ثم قال ابن تيميه:

«و على رضى الله عنه لم يكن قتاله يوم الجمل و صفين بأمر من النبى صلّى الله عليه و سلم، و إنما كان رأياً رآه» (٢).

أقول:

و هذا كذب آخر، فقد روى العامه و الخاصه عنه عليه الصلاه و السلام أنه قال:

«أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين» و من رواته من أهل السنه:

١- أبو بكر البزار.

٢- أبو القاسم الطبرانى، و عنهما الحافظ الهيثمى قال: «و عن على قال: عهد إلى رسول الله صلّى الله عليه و سلم فى قتال الناكثين و القاسطين و المارقين.

و فى روايه: أمرت بقتال الناكثين. فذكره. رواه البزار و الطبرانى فى الأوسط.

و أحد إسنادى البزار رجاله الصحيح، غير الربيع بن سعيد، و وثقه ابن حبان» (٣).

٣- أبو يعلى الموصلي، كما ستعلم من إسناد ابن عساكر.

٤- الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، كما في إسناد ابن عساكر. ورواه عنه المتقى حيث قال:

«عن علي قال: أمرت بقتال ثلاثه: القاسطين و الناكثين و المارقين. فأما القاسطون فأهل الشام، و أمّا الناكثون فذكرهم، و أمّا المارقون فأهل النهروان-يعنى الحروريه-ك في الأربعين. كر» (٤).

ص: ٢٢٥

١-١ (١) منهاج السنه ٤/٤٩٦.

١-٢ (١) منهاج السنه ٤/٤٩٦.

٢-٣ (٢) مجمع الزوائد ٧/٢٣٨.

٣-٤ (٣) كنز العمال ١١/٢٩٢ رقم: ٣١٥٥٣.

٥- الخطيب البغدادي، رواه بإسناده عن شريك عن الأعمش عن أبي سعيد عقيصا قال: «سمعت علياً يقول: أمرت بقتال ثلاثة: الناكثين و القاسطين و المارقين، قال:

فالناكثين الذين فرغنا منهم، و القاسطين الذين نسير إليهم، و المارقين لم نرهم بعد. قال:

و كانوا أهل النهروان» (١).

و أخرج بترجمه خليد بن عبد الله العصري- تابعي حضر مع علي بن أبي طالب يوم النهروان- بسنده عنه قال: «سمعت أمير المؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتال الناكثين و المارقين و القاسطين» (٢).

٦- ابن عدى الجرجاني.

٧- عبد الغنى بن سعيد.

٨- الأصبهاني.

٩- ابن منده.

رواه عنهم المتقى الهندي حيث قال: «عن علي قال: أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين. عد، طس، و عبد الغنى بن سعيد في إيضاح الإشكال، و الأصبهاني في الحجة، و ابن منده في غرائب شعبه. كر من طرق» (٣).

١٠- ابن عساكر. أخرجه بترجمه أمير المؤمنين عليه السلام من طرق، نذكر واحداً منها:

«أخبرنا أبو المظفر ابن القشيري، أنبأنا أبو سعد الجزرودي، أنبأنا أبو عمرو ابن حمدان. ح: و أخبرناه أبو سهل ابن سعدويه، أنبأنا إبراهيم بن منصور- سبط بحرويه- أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ قال: أنبأنا أبو يعلى الموصلي، أنبأنا إسماعيل بن

ص: ٢٢٤

١- (١) موضح أو هام الجمع و التفريق ٣٨٦/١.

٢- (٢) تاريخ بغداد ٣٤٠/٨.

٣- (٣) كتنز العمال ٢٩٢/١١ رقم: ٣١٥٥٢.

موسى، أنبأنا الربيع بن سهل، عن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة.

قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين «(١).

أقول:

نكتفى بهذا القدر، فلا نورد روايات غير ما ذكرناه عن علي عليه السلام، و لا رواياتهم عن غير علي: كأم سلمه، و عمار بن ياسر، و عبد الله بن مسعود، و أبي سعيد الخدرى... فى هذا الباب....

بين معاويه و إبليس

قال قدس سرّه: و قد أحسن بعض العقلاء فى قوله: شرُّ من إبليس من لم يسبقه فى سالف طاعته و جرى معه فى ميدان معصيته! و لا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة و كان يحمل العرش و حده ستة آلاف سنه! و لما خلق الله تعالى آدم و جعله خليفه فى الأرض و أمره بالسجود فاستكبر! فاستحق الطرد و اللعن.

الشرح:

قال ابن تيميه- فيما قال -: ما الدليل على أن إبليس كان أعبد الملائكة؟ و أنه كان يحمل العرش و حده ستة آلاف سنه؟ أو أنه كان من حمله العرش فى الجملة؟ أو أنه كان طاووس الملائكة؟ أو أنه ما ترك فى السماء رقعته و لا- فى الأرض بقعه إلا- و له فيها سجده و ركعه؟ و نحو ذلك مما يقوله بعض الناس؟ فإن هذا أمر إنما يعلم بالنقل الصادق، و ليس فى القرآن شىء من ذلك، و لا فى ذلك خير صحيح عن النبي صلى الله

ص: ٢٢٧

عليه و سلم!!» (١).

أقول:

قد دأب الرجل على أن يخالف العلّامة في كلّ شيء، حتى في مثل هذه الأمور، مما لا يجب الاعتقاد به بالضرورة كي يحتاج إلى دليل قطعي من كتاب أو سنّه....

و إن مثل هذه الأشياء التي ذكرها العلّامة طاب ثراه أوردها المفسيرون بتفسير قوله تعالى في سورة البقره «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» فراجع تفاسير: الطبري و الرازي و القرطبي و الدر المنثور و غيرها (٢).

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المسماه بالقاصعه: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل و جهده الجهيد، و كان قد عبد الله ستة آلاف سنه، لا يدري أمن سنى الدنيا أم من سنى الآخرة، عن كبر ساعه واحده».

قال قدس سرّه: و معاويه لم يزل في الإشراك و عباده الأصنام، إلى أن أسلم بعد ظهور النبي صلى الله عليه و آله بمدّه طويله، ثم استكبر عن طاعه الله في نصب أمير المؤمنين عليه السلام إماماً، و بايعه الكلّ بعد عثمان و جلس مكانه. فكان شراً من إبليس.

الشرح:

قال ابن تيميه ما ملخصه بلفظه: «قوله: إن معاويه لم يزل في الاشراك إلى أن أسلم.

به يظهر الفرق فيما قصد به الجمع، فإن معاويه أسلم بعد الكفر و إبليس كفر بعد إيمانه» قال: «قد ثبت إسلام معاويه و الإسلام يجب ما قبله، فمن ادعى أنه ارتدّ بعد ذلك كان مدّعياً دعوى بلا دليل» قال: «من قال: إن معاويه استكبر عن طاعه الله في نصب

ص: ٢٢٨

١- ١) منهاج السنّه ٥٠٩/٤.

٢- ٢) تفسير الطبري ١٣٤/١٥، تفسير الرازي ٣١/١٤، ٢٣٧/٢، القرطبي ٣٩٤/١، الدر المنثور ٢٢٧/٤.

أمير المؤمنين؟ و لم قلت: إنه علم أن ولايته صحيحه و أن طاعته واجبه عليه؟ و بتقدير أن يكون علم ذلك فليس كل من عصى يكون مستكبراً عن طاعه الله، و المعصيه تصدر تاره عن شهوه، و تاره عن كبر، و هل يحكم على كل عاص بأنه مستكبر عن طاعه الله كاستكبار إبليس؟» (١).

أقول:

لم يكن كلام العلامه بذاك الغموض حتى لا يدرك هذا الرجل مقصده، فإن الجامع بين «إبليس» و «معاويه» هو «الاستكبار عن طاعه الله». فكما أن «إبليس» بعد تلك العبادات و الإطاعات استحق اللعن، لاستكباره عن السجود لآدم مع سجود كل الملائكه، فكذلك معاويه، فإنه بعد تظاهرة بالإسلام و إقامته للصلوة و إيتائه للزكاة - كما ذكر ابن تيميه - في تلك المدّه من عمره، استكبر عن الانصياع للإمام الحق الواجب الإطاعه، و اتبع غير سبيل المؤمنين، فاستحق اللعن.

إلا أنه زاد على إبليس بدعوى الإمامه و الخلافه، هذه الدعوى التي لم تكن من إبليس «فكان شراً من إبليس».

قول بعضهم بإمامه يزيد

قال قدس سرّه: «و تمادى البعض فى التعصّب حتى اعتقد إمامه يزيد بن معاويه، مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحه، من قتل الإمام الحسين عليه السلام و نهب أمواله و سبى نسائه و الدوران بهم فى البلاد على الجمال بغير قتب، و مولانا زين العابدين مغلول اليدين.

و لم يقتنعوا بقتله حتى رضوا أضلاعه و صدره بالخيول و حملوا رؤوسهم على القنا .

ص: ٢٢٩

قال ابن تيميه ما حاصله بلفظه: «إن أراد أنه اعتقد أنه من الخلفاء الراشدين و الأئمه المهديين كأبي بكر و عمر و عثمان و علي، فهذا لم يعتقده أحد من علماء المسلمين، و إن اعتقد مثل هذا بعض الجهال، و إن أراد باعتقادهم إمامه يزيد أنهم يعتقدون أنه كان ملك جمهور المسلمين و خليفتهم في زمانه صاحب السيف، كما كان أمثاله من خلفاء بني أميه و بني العباس. فهذا أمر معلوم لكل أحد، و من نازع في هذا كان مكابراً، فإن يزيد بويع بعد موت أبيه معاويه، و أمّا كونه برّاً أو فاجراً فذاك أمر آخر.

و لكن مذهب أهل السنّه و الجماعه أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاجون إليهم فيه من طاعه الله، فتصلى خلفهم الجمعة و العيدان و غيرهما من الصّيلوات، و قلّ من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولّد على فعله من الشرّ أعظم مما تولّد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينه، فلا أقاموا ديناً و لا أبقوا ديناً... و الله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين و لا صلاح الدنيا.

و لهذا لما أراد الحسين رضى الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيراً، أشار عليه أفاضل أهل العلم و الدين أن لا يخرج، و هم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته و مصلحه المسلمين، و الله و رسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأى يصيب تاره و يخطئ أخرى، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، و لم يكن في الخروج لا مصلحه دين و لا مصلحه دنيا، بل تمكن أولئك الظلمه الطغاه من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، و كان في خروجه و قتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بيته.

و إذا تبين هذا فنقول: الناس في يزيد طرفان و وسط، قوم يعتقدون أنه كان من الصحابه أو من الخلفاء الراشدين المهديين أو من الأنبياء. و هذا كله باطل.

و قوم يعتقدون أنه كان كافراً منافقاً في الباطن و أنه كان له قصد في أخذ ثار كفار

أقاربه من أهل المدينة و بنى هاشم، و أنه أنشد: لَمَّا بدت تلك الحمول و أشرفت

و أنه تمثل بشعر ابن الزبيرى: ليت أشياخى بيدر شهدوا

و كلا القولين باطل، يعلم بطلانه كلّ عاقل.

فإن الرجل ملك من ملوك المسلمين، و خليفه من الخلفاء الملوك. لا هذا و لا هذا.

و صار الناس فى قتل الحسين-رضى الله عنه-ثلاثة أصناف، طرفين و وسطاً.

أحد الطرفين يقول: إنه قتل بحق، فإنه أراد أن يشق عصا المسلمين و يفرّق الجماعه، و قد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: من جاءكم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم، فاقتلوه. قالوا: و الحسين جاء و أمر المسلمين على رجل واحد، فأراد أن يفرق جماعتهم. و قال بعض هؤلاء: هو أول خارج خرج فى الإسلام على و لاه الأمر.

و الطرف الآخر قالوا: بل هو الإمام الواجب طاعته، الذى لا ينفذ أمر من أمور الإيمان إلا به، و لا تصلّى جماعه و لا جمعه إلا خلف من يولّيه، و لا يجاهد عدو إلا بإذنه، و نحو ذلك.

و أما الوسط فهم أهل السنه، الذين يقولون لا هذا و لا هذا، بل يقولون: قتل مظلوماً شهيداً، و لم يكن متولياً لأمر الأمه، و الحديث المذكور لا- يتناوله، فإنه لَمَّا بلغه ما فعل بابن عمّه مسلم بن عقيل ترك طلب الأمر، و طلب أن يذهب إلى يزيد ابن عمّه أو إلى الثغر أو إلى بلده، فلم يمكّنوه، و طلبوا منه أن يستأسر لهم، و هذا لم يكن واجباً عليه.

و صار الشيطان بسبب قتل الحسين-رضى الله عنه- يحدث للناس بدعتين:

بدعه الحزن و النوح يوم عاشوراء من اللطم و الصراخ و البكاء و العطش و إنشاد المراثى، و ما يفضى إلى ذلك من سبّ السلف و لعنهم، و إدخال من لا ذنب له مع ذوى الذنوب، حتى يسبّ السابقون الأوّلون، و تقرأ أخبار مصرعه التى كثير منها كذب. و كان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة و الفرقة بين الأمه، فإن هذا ليس واجباً و لا مستحباً باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع و النياح للمصائب القديمه من أعظم ما حرّمه الله و رسوله.

و كذلك بدعه السرور و الفرح.

و كانت الكوفه بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين، و كان رأسهم المختار بن أبى عبيد الكذاب، و قوم من الناصبه المبغضين لعلى رضى الله عنه و أولاده و منهم الحجاج بن يوسف الثقفى، فأحدث أولئك الحزن، و أحدث هؤلاء السرور، و لم يستحب أحد من أئمه المسلمين الأربعة و غيرهم لا هذا و لا هذا.

و الذين نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب، و المصنفون فى أخبار قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم كالبغوى و ابن أبى الدنيا و غيرهما.

و مع ذلك فيما يروونه آثار منقطعه و أمور باطله، و قد روى بإسناد مجهول أن الرأس حمل إليه، و أنه هو الذى نكت على ثناياه، و هذا مع أنه لم يثبت فى الحديث ما يدل على أنه كذب، فإن الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابه لم يكونوا بالشام و إنما كانوا بالعراق.

و الذى نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين، و لا كان له غرض فى ذلك، بل كان يختار أن يكرمه و يعظمه، و إن خبر قتله لما بلغ يزيد و أهله، ساءهم ذلك و بكوا على قتله و قال يزيد: لعن الله ابن مرجانه يعنى عبيد الله بن زياد.

و لكنه مع ذلك، ما انتصر للحسين و لا أمر بقتل قاتله و لا أخذ بثأره.

و أمّا ما ذكره من سبى نسائه و الذراري، و الدوران بهم في البلاد، و حملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب و باطل، ما سبى المسلمون- و لله الحمد- هاشميه قط، و لا استحلّت أمه محمد صلى الله عليه و سلم سبى بنى هاشم قط، و لكن أهل الهوى و الجهل يكذبون كثيراً، و في الجملة، فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأه يعرفون أنها هاشميه، و لا سبى عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحه في بيته و أكرمهم و خيرهم بين المقام عنده و الذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة. و لا طيف برأس الحسين. و هذه الحوادث فيها من الأكاذيب ما ليس هذا موضع بسطه» (١).

أقول:

إن الذي قاله العلماء رحمه الله هو «تمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقدوا إمامه يزيد بن معاويه»، فهو لم ينسب إلى أحد الاعتقاد بكون يزيد من الخلفاء الراشدين و الأئمة المهديين، كى يقال: «هذا لم يعتقدده أحد من علماء المسلمين» بل يقول: بأن الاعتقاد بإمامه يزيد بن معاويه- مع الاعتراف بعدم كونه من الأئمة المهديين، و كونه من الأئمة الضالين المضلين- إنما هو من التمدادى في التعصب...

و هذا ما لم يجب عنه ابن تيميه، بل تكلم بكلام يستنتج منه كونه من هؤلاء المتمادين في التعصب، لأنه يرى يزيد «إماماً» تجب إطاعته و تحرم مخالفته، مع التصريح بأن «كونه براً أو فاجراً أمر آخر»!! بل إنه يصرح بأن ما فعله الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام، و ما فعله أهل المدينة المنوره... كان مبغوضاً لله سبحانه، و معنى ذلك كون يزيد في جميع ما فعل على حق و صواب.

لقد اضطرّ لاختلاق أقوال- أو أناس يقولون بتلك الأقوال- و إلا، فأى عاقل يعتقد

ص: ٢٣٣

يكون يزيد من الصحابه؟ أو كونه من الأنبياء؟

إنه ليس هناك غير قولين، أحدهما: هو القول بإمامته و حرمة القيام عليه، وهذا قول بعضهم- وهم المتمادون في التعصب- كاللّيث بن سعد. فقد روى يحيى بن بكير عن اللّيث بن سعد، قال اللّيث: توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا. فسماه اللّيث أمير المؤمنين بعد ذهاب ملكه و انقراض دولته، و لو لا كونه عنده كذلك ما قال إلا توفي يزيد (١).

و كابن العربي المالكي صاحب (العواصم من القواصم)، فقد قال كلمه يقشعرّ منها الجلد- كما عبّر ابن حجر المكي- نقلوها عنه مع التنديد به، قال ابن حجر المكي في المنح المكيه في شرح القصيده الهمزيه:- «و كابن العربي المالكي، فإنه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد، إنه قال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جدّه، أي: بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفه و الحسين باغ عليه و البيعه سبقت ليزيد...» (٢).

و قال المناوي: «قيل لابن الجوزي- و هو على كرسى الوعظ- كيف يقال: يزيد قتل الحسين و هو بدمشق و الحسين بالعراق؟ فقال: سهم أصاب و راميّه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماكا

و قد غلب على ابن العربي الغضّ من أهل البيت حتى قال: قتله بسيف جدّه» (٣).

و قد ذكر الحافظ السخاوي هذه الكلمه بترجمه ابن خلدون، نقلاً عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن شيخه الحافظ الهيثمي أنه بهذا السبب كان يلعن ابن خلدون و هو يبكي. قال السخاوي «و قد كان شيخنا أبو الحسن- يعنى الهيثمي -

ص: ٢٣٤

١ - ١) العواصم من القواصم: ٢٢٧. و اللّيث بن سعد و إن كان عثمانى الهوى، إلا- أنا غير واثقين الآن بصحه ما نسب إليه ابن العربي.

٢- ٢) المنح المكيه في شرح الهمزيه: ٢٧١.

٣- ٣) فيض القدير- شرح الجامع الصغير ١/٢٠٥.

يبالغ في الغصّ منه، فلما سألته عن سبب ذلك، ذكر أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما في تاريخه فقال: قتل بسيف جدّه. ولما نطق شيخنا بهذه اللفظه أردفها بلعن ابن خلدون و سبّه و هو يبكي.

قال شيخنا في رفع الإصر: و لم توجد هذه الكلمه في التاريخ الموجود الآن، و كأنه ذكرها في النسخه التي رجع عنها» (١).

أقول:

قد ذكر هذه اللفظه في مقدّمه تاريخه عن ابن العربي المالكي و غلّطه فيها حيث قال في كلام له حول الحسين عليه السلام: «و قد غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم من القواصم ما معناه: إن الحسين قتل بشرع جدّه. و هو غلط حملته عليه الغفله عن اشتراط الإمام العادل، و من أعدل من الحسين في زمانه في إمامته و عدالته في قتال أهل الآراء» (٢).

لكن كلام ابن خلدون يشتمل على مخاريق و أباطيل.. فإنه نسب الخروج إلى الحسين، و غلّطه بصراحه- و العياذ بالله- و اعتذر لمن كان مع يزيد من الصحابه، و نصّ على أنهم كانوا على حق، و أن الحسين باغ، كما أنه اعتذر لابن العربي بالغفله....

أقول:

و ابن تيميه- و إن لم نجد في كلامه تلك اللفظه- فكلّماته تؤدى مؤدى تلك اللفظه، و كما استدللّ ابن العربي بما وضعوه عن النبي: «إنه سيكون هنات و هنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمه و هي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» (٣) نراه يستدلّ بحديث موضوع آخر قائلاً: «و قد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: من جاءكم...».

ص: ٢٣٥

١- ١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٤٧/٤. ترجمه ابن خلدون.

٢- ٢) مقدمه ابن خلدون: ٢١٧.

٣- ٣) العواصم من القواصم: ٢٣٢.

و لقد تمادى ابن تيميه فى التعصب حتى أنه جعل ينكر الحقائق التاريخيه التى ذكرها أهل السنه أيضاً، و ما ذلك إلا دفاعاً عن يزيد و بنى أميه، و تنزيهاً له عن القضايا التى أصبحت ضروريه، و هو-على كل حال-يحاول تبرير ما فعله يزيد... و حتى تمثله بشعر ابن الزبيرى لم يذكره على واقعه و لم يورد الشعر بكامله، الذى هو كفر صريح، و نحن نذكر ذلك عن بعض الكتب المعتمده:

روى أبو جرير الطبرى كتاب المعتضد العباسى فى بنى أميه، و قد جاء فيه حول معاويه ما نصه:

«و منه إيثاره بدين الله، و دعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك و الفهود و القروود، و أخذه البيعه له على خيار المسلمين بالقهر و السطوه و التوعيد و الإخافه و التهديد و الرهبه، و هو يعلم سفهه و يطلع على خبثه و رهقه، و يعاين سكرانه و فجوره و كفره، فلما تمكن منه ما مكنه منه و وطأه له، و عصى الله و رسوله، طلب بشارات المشركين و طوائهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّه الوقيعه التى لم يكن فى الإسلام أشنع منها و لا أفحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، و شفى بذلك عبد نفسه و غليله، ظن أن قد انتقم من أولياء الله و بلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره مظهراً لشركه: ليت أشياخى يبدر شهدوا

هذا هو المروق من الدين، و قول من لا- يرجع إلى الله و لا- إلى دينه و لا إلى كتابه و لا إلى رسوله، و لا يؤمن بالله و لا بما جاء من عند الله.

ص: ٢٣٦

ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم: سفكه دم الحسين بن علي و ابن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم و مكانه منه و منزلته من الدين و الفضل، و شهادته رسول الله صلى الله عليه و سلم له و لأخيه سياده شباب أهل الجنة، اجترأ على الله، و كفرأ بدينه، و عداوه لرسوله، و مجاهده لعترته، و استهانته بحرمته. فكأنما يقتل به و بأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك و الديلم، لا يخاف من الله نومه و لا يرقب منه سطوه، فبتر الله عمره و اجتث أصله و فرعه، و سلبه ما تحت يده، و أعد له من عذابه و عقوبته ما استحقه من الله بمعصيته» (١).

فهذه هي الأبيات التي قالها يزيد، لكن ابن تيمية لا ينقل منها إلا بيتين، و تلميذه ابن كثير و إن لم يذكر البيت: «ولعت-أو: لعبت- هاشم بالملك...» إلا أنه ذكر أربعة أبيات، فقد روى ما نصه:

«عن ليث، عن مجاهد، قال: لما جئ برأس الحسين، فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات: ليت أشياخي ببدر شهدوا

قال مجاهد: نافق فيها، و الله ثم و الله ما بقى في جيشه أحد إلا تركه، أي ذمه و عابه».

ص: ٢٣٧

و القول الآخر: هو الحكم بكفر يزيد.

و قد كان هذا الشعر، و كذا الشعر الآخر الذى نقله ابن تيميه، و هو قوله: «لما بدت تلك الحمول و أشرفت...» إلى آخر البيتين.. من الأدله الداله على كفره و إحداه فى الدين... و ابن تيميه ما أجاب عن ذلك بشىء، غير أنه قال ببطلان القول بكفره و أنه «يعلم بطلانه كل عاقل».

و قد فضّل جماعه من أئمه القوم الكلام فى هذا المقام، و نحن نكتفى هنا بذكر خلاصه ما قاله الشهاب الألوسى بتفسير قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ» الذى نقلناه بطوله سابقاً:

«و استدللّ بها أيضا على جواز لعن يزيد-عليه من الله تعالى ما يستحق-».

نقل البرزنجى فى الإشاعه و الهيتمى فى الصواعق: إن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه الله تعالى فى كتابه؟ فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عز و جلّ فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الإمام: إن الله تعالى يقول «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ» الآية. و أى فساد و قطيعه أشدّ مما فعله يزيد. انتهى.

و على هذا القول لا- توقف فى لعن يزيد لكثره أوصافه الخبيثه و ارتكابه الكبائر فى جميع أيام تكليفه، و يكفى ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة و مكه، فقد روى الطبرانى بسند حسن: اللهم من ظلم أهل المدينة و أخافهم فأخفه و عليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين، لا يقبل منه صرف و لا عدل.

و الطامه الكبرى ما فعله بأهل البيت و رضاه بقتل الحسين-على جدّه و عليه الصّلاه و السلام- و استبشاره و إهانتة لأهل بيته مما تواتر معناه، و إن كانت تفاصيله

آحاداً، و في الحديث: سته لعنتهم - و في روايه: لعنهم الله و كل نبي - مجاب الدعوه:-

المحرّف لكتاب الله - و في روايه: الزائد في كتاب الله - و المكذب بقدر الله، و المتسلّط بالجبروت ليعزّ من أذلّ الله و يذلّ من أعزّ الله، و المستحلّ من عترتي، و التارك لسنتي.

و قد جزم بكفره و صرّح بلعنه جماعه من العلماء، منهم: الحافظ ناصر السنه ابن الجوزي، و سبقه القاضي أبو يعلى، و قال العلامة التفتازاني: لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنه الله تعالى عليه و على أنصاره و أعوانه. و ممن صرّح بلعنه: الجلال السيوطي عليه الرحمه.

و في تاريخ ابن الوردي و كتاب الوافي بالوفيات: إن السبي لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقى الأطفال و النساء من ذريّه على و الحسين - رضى الله عنهما - و الرؤوس على أطراف الرماح و قد أشرفوا على ثنيه جيرون، فلمّا رأهم نعب غراب فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول... البيتين.

يعنى: إنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر، كجدّه عتبه و خالد ولد عتبه و غيرهما. و هذا كفر صريح. فإذا صح عنه فقد كفر به، و مثله تمثله بقول عبد الله بن الزبيرى قبل إسلامه:

ليت أشياخي... الأبيات» (١).

و على الجملة: فالعلماء في يزيد على قولين: «تمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقدوا بإمامته» و كان منهم: ابن العربي المالكي، و ابن تيميه، عليهما من الله ما يستحقان.

و جماعه كبيره منهم يقولون بكفره و استحقاقه اللعن و العذاب، و كان منهم:

ص: ٢٣٩

١- (١) روح المعاني ٧٢/٢٦.

أبو يعلى الفراء و ابن الجوزى و التفتازانى و السيوطى و الآلوسى و الشوكانى الذى قال:

«لقد أفرط بعض أهل العلم كالكراميه و من وافقهم فى الجمود على أحاديث الباب، فحكّموا بأن الحسين السبط-رضى الله عنه و أرضاه-باغ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهره يزيد بن معاويه لعنهم الله.فيا للعجب من مقالات تقشعر الجلود و يتصدع من سماعها كلّ جلود» (١). و هو الذى رواه ابن الجوزى و البرزنجى و ابن حجر صاحب الصواعق عن أحمد بن حنبل.

و بهذا يتبين القول فى قتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام.فمن قال بإمامه يزيد و حرمه مخالفته قال بأنه قتل بحق، و هذا ما صرح به ابن العربى و هو عقيدته ابن تيميه و إن لم يصرح كتصريحه، و من قال بكفر يزيد و ضلاله جعل قتل الحسين و آله «الطامه الكبرى» سواء فى ذلك الشيعة الإماميه القائلين بأنه «هو الإمام الواجب طاعته» و غيرهم..و بذلك يظهر ما فى كلام ابن تيميه من الخلط و الغلط.

و أمّا ما ذكره من أن الإمام عليه السلام: «لما بلغه ما فعل بابن عمه...» فكذب آخر من أكاذيب هذا المفترى، و لا يخفى ما فى كلمته «إلى يزيد ابن عمه» من التديس و التليس!! ذلك أن الإمام عليه السلام كان عازماً على الشهاده، و قد أعلن ذلك و صرح به فى غير موطن، فى أخبار كثيره رواها الخاصه و العامه.

و مما أخرجه ابن عساكر و الذهبى و ابن كثير و غيرهم قوله عليه الصلاه و السلام:

«و الله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقه-و أشار إلى قلبه الشريف-من جوفى، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذلّ من فرم الأمه» (٢).

بل لقد أخبر جدّه و أبوه عن استشهاده عليه السلام و كانا يبكيان، و الأخبار بذلك أيضاً كثيره جداً.

ص: ٢٤٠

١- ١) نيل الأوطار ١٩٩/٧.

٢- ٢) تاريخ ابن كثير ١٦٩/٨، تاريخ دمشق ٢١٦/١٤، تاريخ الإسلام ٣٤٥/٢ و غيرها.

و لنفصّل الكلام فى ذلك ردّاً على زعم ابن تيميه: أن الحزن و البكاء و إنشاد المراثى على الحسين عليه السلام بدعه أحدثها الشيطان!! فنقول:

إن أراد: أن الحزن و البكاء مطلقاً بدعه من الشيطان، فبرّدّه بكاء النبى صلّى الله عليه و آله على ولده إبراهيم عليه السلام كما فى كتاب البخارى، و بكاءه على جعفر و زيد كما بترجمه زيد من كتاب الإستيعاب، و بكاءه يوم ماتت إحدى بناته، كما فى كتاب البخارى كذلك، و بكاءه- و الحاضرين معه- عند سعد، كما فى باب البكاء عند المريض من كتاب البخارى، و باب البكاء على الميت من كتاب مسلم.

و أخرج أحمد أنه لما رجع من أحد، فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال- صلّى الله عليه و آله-: «و لكن حمزه لا بواكى له» فجعلن يبكين و يندبن حمزه (١).

ففى هذا الحديث تقرير للبكاء و أمر به أيضاً....

أقول:

و بهذا القدر نكتفى، فلا نورد ما جاء فى الكتاب و السنّه من بكاء الأنبياء، و نبينا صلّى الله عليه و آله و سائر الأوصياء و الأولياء.

و أما إنشاد المراثى فما أكثره، و دونك منها الأشعار التى قيلت فى رثاء رسول الله صلّى الله عليه و آله من أهل بيته و عشيرته و أصحابه، مذكوره بترجمته صلّى الله عليه و آله أو بتراجم القائلين كأبى سفيان، و أبى الهيثم ابن التيهان، و أبى ذؤيب الهذلى، و أبى الطفيل....

و فى الحزن أيضاً أحاديث، فراجع باب التشديد فى النياحه من كتاب مسلم، و باب من جلس عند المصبيه يعرف فيه الحزن، من كتاب البخارى.

ص: ٢٤١

و إن أراد أن الحزن و البكاء و إنشاد المراثى..على خصوص الحسين عليه السلام بدعه أحدثها الشيطان،فيكفى أن نورد من روايات العامه و الخاصه فى الكتب المعتمده عندهم بعضها:

أخرج أحمد و ابن سعد و غيرهما بأسنادهم: أنه لَمَّا وصل على عليه السلام- فى طريقه إلى صفين- إلى أرض نينوى نادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله، بشطّ الفرات» فسئل عليه السلام: و ما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم و عيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندى جبرائيل قبل، فحدّثنى أن ولدى الحسين يقتل بشطّ الفرات. قال فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال قلت: نعم. فمدّ يده فقبض قبضه من تراب فأعطانيها. فلم أملك عيني أن فاضتا» (١).

و إن شئت المزيد فراجع كتاب (مقدمه المجالس الفاخره) و كتاب (سيرتنا و سنتنا سيره النبى و سنته) و كتاب (عبرات المصطفين فى مقتل الحسين) و كتاب (زفرات الثقلين فى ماتم الحسين) و غيرها، حيث أورد أصحاب هذه الكتب كثيراً من أخبار الحزن و البكاء و الرثاء و غير ذلك على الحسين عليه السلام بالأسانيد الكثيره الثابته.

و أمّا أن الحسين عليه السلام قتل بأمر يزيد، فقد بحثنا عن ذلك بالتفصيل فيما سبق.

و أمّا رضّ صدره الشريف، فرواه الطبرى فى (تاريخه) (٢) و البلاذرى فى (أنساب الأشراف) و غيرهما، و اللفظ للأخير قال:

«و نادى عمر بن سعد فى أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه.

ص: ٢٤٢

١- ١) مسند أحمد ٨٥/١، ترجمه الحسين بن على من الطبقات الكبرى: ٤٨.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤٥٤/٥-٤٥٥.

فانتدب عشره منهم: إسحاق بن حيوه الحضرمي - وهو الذي سلب الحسين قميصه فبرص - فدا سوا الحسين بخيولهم حتى رَضُوا ظهره و صدره. و كان سنان ابن أنس شجاعاً و كانت به لوته. و قال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد ابن السائب: أنا رأيته و هو يحدث في ثوبه، و كان هرب من المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الجزيره ثم انصرف إلى الكوفه. قالوا: و أقبل سنان حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته: أوقر ركابي فضه و ذهباً

و خيرهم في قومهم مركبا

و أمّا سبى نساءه و ذراريه، فقد تقدم البحث عنه، و يقول ابن تيميه: «فهذا كذب و باطل، ما سبى المسلمون - و لله الحمد - هاشميه قط..» لكنه هو الكاذب. قال الطبري في آخر مقتل الحسين عليه السلام: «و أقام عمر بن سعد يومه ذلك و الغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفه، و حمل معه بنات الحسين و أخواته و من كان معه من الصبيان و علي بن الحسين مريض.

عن قره بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين و أهله و ولده صحن و لظمن و جوههن قال... فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمه حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً و هي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلّي عليك ملائكه السماء، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطّع الأعضاء. يا محمداه! و بناتك سبايا، و ذريتك مقتله تسفى عليها الصبا. قال: فأبكت و الله كلّ عدوّ و صديق....

قال هشام: فحدّثني عبد الله بن يزيد بن روح بن رنباع الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعه الجرشي - من حمير - قال:.... ثم إن عبيد الله أم بنساء الحسين و صبيانه فجهزن، و أمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبه

ص: ٢٤٣

العائذى-عائذه قريش- مع شمر بن ذى الجوشن، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد...».

و هكذا روى البلاذرى فى أنساب الأشراف، و يعقوبى فى تاريخه، و غيرهما..

و قد تقدم سابقاً ما يفيد للمقام.

و أما حمل الرأس الشريف إليه و نكته على ثنياه المباركه، فقد تقدم سابقاً أيضاً، و قال البلاذرى فى (أنساب الأشراف): «قالوا: و نصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفه و جعل يدار به فيها. ثم دعا زحر بن قيس الجعفى فسرح معه رأس الحسين و رءوس أصحابه و أهل بيته إلى يزيد بن معاويه، و كان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدى و طارق بن أبى ظبيان الأزدى».

و قال الهيثم بن عدى، عن عوانه: لما وضع رأس الحسين بين يدى يزيد تمثّل بيت الحصين بن الحمان المرى: يفلّغن هاماً من رجال أعزّه علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما

حدّثنى عمرو الناقد و عمر بن شبه قالوا: ثنا أبو أحمد الزبيرى، عن عمّه فضيل بن الزبير، عن أبى عمر البزار، عن محمد بن عمرو بن الحسين قال: لما وضع رأس الحسين بن على بين يدى يزيد قال متمثلاً: يفلّغن هاماً....

قالوا: و جعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه، فقال أبو برزه الأسلمى: أتنتكت ثغر الحسين، لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً ربما رأيت رسول الله يرشفه. أمّا أنك يا يزيد تجىء يوم القيامة و شفيعك ابن زياد، و يجىء الحسين و شفيعه محمد. ثم قام. و يقال: إن هذا القائل رجل من الأنصار.

و حدّثنى ابن برد الأنطاكى الفقيه عن أبى قال: ذكروا أن رجلاً من أهل الشام نظر إلى ابنه لعلى فقال ليزيد: هب لى هذه! فأسمعته زينب كلاماً. فغضب يزيد و قال: لو شئت أن أهبتها له فعلت. أو نحو ذلك».

و إليك طرفاً مما رواه الحافظ الذهبي في (تاريخ الإسلام):

«قال يحيى بن بكير: حدثني الليث بن سعد قال: أبي الحسين أن يستأسر، فقاتلوه فقتل، و قتل ابنه و أصحابه بالطف و انطلق بنيه: علي و فاطمه و سكينه إلى عبيد الله بن زياد، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فجعل سكينه خلف سريره، لئلا ترى رأس أبيها، و علي بن الحسين في غل. فضرب يزيد علي ثنتي الحسين رضى الله عنه و قال: نفلق هاماً من أناس أعزّه علينا و هم كانوا أعقّ و أظلماً

فقال علي «ما أصاب من مصيبي في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها» فنقل علي يزيد أن تمثل بيت، و تلا علي آية فقال: «فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ». فقال: أما و الله لو رأنا رسول الله مغلولين لأحبب أن يحلنا من الغلّ.

قال صدقت. حلّوهم....

كثير بن هشام: ثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن أبي زياد قال: لما أتى يزيد بن معاوية برأس الحسين جعل ينكت بمخصره معه سنّه و يقول: ما كنت أظن أبا عبد الله بلغ هذا السن، و إذا لحيته و رأسه قد نصل من الخضاب الأسود» (١).

و هذه الأخبار و نحوها موجوده في (تاريخ الطبري) و (المعجم الكبير للطبراني) و (الكامل لابن الأثير) و (مجمع الزوائد) و (البدايه و النهايه) و غيرها (٢).

مما حدث في العالم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

قال قدس سره: مع أن مشايخهم رووا أن يوم قتل الحسين عليه السلام قطرت السماء دماً! و قد ذكر الرافعي في شرح الوجيز و ذكر ابن سعد في الطبقات أن

ص: ٢٤٥

١- ١) تاريخ الإسلام ١٩/٥.

٢- ٢) انظر: المعجم الكبير ١٢٥/٣، مجمع الزوائد ١٩٥/٩، ترجمه الحسين من الطبقات: ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٣٢٠/٣، البدايه و النهايه ٢٠٧/٨ و ٢٠٩.

الحمرة ظهرت فى السماء يوم قتل الحسين عليه السلام و لم تر قبل ذلك! و قال أيضاً: ما رفع حجر فى الدنيا إلا و تحته الدم عييط! و لقد مطرت السماء مطراً بقى أثره فى الثياب مده حتى تقطعت. قال الزهرى: ما بقى أحد من قاتلى الحسين إلا و عوقب فى الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك فى مده يسيره!

الشرح:

قال ابن تيميه: «إن كثيراً مما روى فى ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دماً، و مثل كون الحمرة ظهرت فى السماء يوم قتل الحسين، و كذلك قول القائل: ما رفع حجر فى الدنيا إلا - وجد تحته دم عييط هو أيضاً كذب بين. و أما قول الزهرى.. فهذا ممكن...» (١).

أقول:

أما الخبر الأول، فنقله العلامة رحمه الله عن (شرح الوجيز) للرافعى.

و هو فى (التاريخ الكبير)، للبخارى و (أنساب الأشراف) للبلاذرى و (الطبقات الكبرى) لابن سعد، و (المعجم الكبير) للطبرانى و (دلائل النبوه) لأبى نعيم الأصبهاني، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

و روى الذهبى قال: «و قال جعفر بن سليمان: حدّثنى أم سالم خالتي قالت: لما قتل الحسين، مطرنا مطراً كالدم على البيوت و الجدر».

و أما الخبر الثانى، فنقله عن (الطبقات الكبرى) لابن سعد. و قال الذهبى:

«قال المدائنى عن على بن مدرّك، عن جدّه الأسود بن قيس قال: احمرّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى فيها كالدم. فحدّثت بذلك شريكاً فقال لى: ما

ص: ٢٤٤

أنت من الأسود؟ فقلت: هو جدّى أبو أمى. فقال: أما والله أن كان لصدوق الحديث.

وقال هشام بن حسان، عن ابن سيرين قال: تعلم هذه الحمرة فى الأفق مم؟ هو من يوم قتل الحسين. رواه سليمان بن حرب، عن حماد، عنه.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبى زياد قال: قتل الحسين ولى أربع عشرة سنة، و صار الوس الذى فى عساكرهم رماداً، و احمزت آفاق السماء، و نحروا ناقة فى عساكرهم و كانوا يرون فى لحمها النيران.

و أمّا قوله: «ما رفع حجر...» فهو مما رواه الطبرانى و ابن عساكر و الهيثمى و الذهبى و السيوطى و غيرهم عن الزهرى، قال الذهبى: «و قال معمر بن راشد: أو ما عرف الزهرى تكلم فى مجلس الوليد بن عبد الملك؟ فقال الوليد: تعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فقال الزهرى: إنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

و روى الواقدى، عن عمر بن محمد بن عمر بن على، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت فقال: هل كان فى قتل الحسين علامة؟ قال: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

و رواه الحافظ الطبرانى بإسناده عن ابن شهاب الزهرى. قال الحافظ الهيثمى بعد أن أخرجه: «رجال الصحيح» (1).

وصية النبي بالحسين

قال قدس سره: وقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يكثر الوصية للمسلمين فى ولديه الحسن و الحسين عليهما السلام و يقول لهم: هؤلاء وديعتى عندكم، و أنزل الله تعالى فيهم: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

ص: ٢٤٧

الشرح:

قال ابن تيميه: فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها.

أقول:

ليس المقصود خصوص لفظ «الوصيه» و«الوديعة» بل معناهما، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتر وصيه المسلمين في أهل بيته كلهم عليهم السلام و يأمر الأمه بحسن معاملتهم و اتباعهم، و لعل من أحسن الأدله و الشواهد على ذلك حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين، و سيأتي الكلام عليه بالتفصيل سنداً و دلالة في محله إن شاء الله تعالى.

و كذا في خصوص الحسن و الحسين، و أى دليل أدلّ و أبلغ من الروايات الواردة في إيجاب جبهما و التحذير من بغضهما، فراجع:

مسند أحمد ٣٦٩/٥، صحيح الترمذى و صحيح ابن ماجه فى فضائلهما.

و المستدرک على الصحيحين ١٦٦/٣ و سنن البيهقى ٢٦٣/٢، و حليه الأولياء ٣٠٥/٨، و تاريخ بغداد ١٣٨/١-١٤٣ و الإصابه و الاستيعاب فى ترجمتهما، و مجمع الزوائد ١٨٠/٩ و غيرها.

و أمّا آية المباركه، فستكلم عن دلالتها على وجوب مودّه أهل البيت و اتباعهم، بالنظر إلى الروايات و الأقوال، حيث يستدل بها العلّامة رحمه الله.

توقف بعضهم فى لعن يزيد

قال قدس سره: و توقف جماعه ممن لا يقول بإمامته فى لعنه مع أنه عندهم ظالم بقتل الحسين و نهب حريمه، و قد قال الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

ص: ٢٤٨

الشرح:

قد توقف جماعه مَمَّن لا يقول بإمامه يزيد في لعنه، كتابه المسمّى: إحياء علوم الدين (١).

و ألف عبد المغيث بن زهير الحنبلي كتاباً في المنع من لعنه، قال ابن العماد قال الذهبي: «أتى فيه بالموضوعات» (٢).

و قد ردّ عليه ابن الجوزي بكتاب: الردّ على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد.

قال ابن كثير: «فأجاد و أصاب» (٣).

كما تقدّم كلام الآلوسى و غيره في الردّ على المتوقفين.

حديث ابن عباس في عذاب قاتل الحسين

و قال أبو الفرج بن الجوزي من شيوخ الحنابلة: عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى محمد صلّى الله عليه و آله إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، و إنى قاتل بابتك فاطمه سبعين ألفاً و سبعين ألفاً!

الشرح:

هذا الحديث، رواه ابن الجوزي في كتاب (الرد على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد).

و أخرجه قبله الحافظ الخطيب البغدادي (٤) في تاريخه ١/١٤٢.

و عن طريقه رواه الحافظ ابن عساكر بترجمه الإمام من تاريخه (٥).

ص: ٢٤٩

١-١ إحياء علوم الدين ٣/١٢٥.

٢-٢ شذرات الذهب ٤/٢٧٦.

٣-٣ تاريخ ابن كثير ١٢/٣٢٨.

٤-٤ تاريخ بغداد ١/١٥٢.

٥-٥ تاريخ دمشق ١٤/٢٢٥ و ٦٤/٢١٦.

و أخرجه قبلهم الحاكم فى المستدرک (١) ٢/٢٩٠ و ٣/١٧٨ و صححه.

و لم يتكلم عليه ابن تيميه بشىء.

حكاية السدى

قال قدس سره: و حكى السدى و كان من فضلائهم قال: نزلت بكر بلاء و معى طعام للتجاره فنزلنا على رجل فتعشينا عنده و تذاكرنا قتل الحسين و قلنا: ما شرك أحد فى قتل الحسين إلا و مات أقبح موته! فقال الرجل: ما أكذبكم! أنا شركت فى دمه و كنت فيمن قتله فما أصابنى شىء. قال: فما كان فى آخر الليل إذا بالصياح! قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبغه، ثم دب الحريق فى جسده فاحترق! قال السدى: فأنا و الله رأيت أنه حَمَمَه!

الشرح:

و هذا الخبر لم يتكلم عليه ابن تيميه بشىء. و قد أخرجه الحافظ ابن عساكر بأسانيد أكثرهم من مشاهير الأئمه و الحفاظ، و لنذكر الخبر بنصّه:

«أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، و أبو سعد أحمد بن محمد بن علي بن الزوزنى، و أبو نصر المبارك بن أحمد بن علي البقال قالوا: أنبأنا أبو الحسين ابن النفور، أنبأنا عيسى بن علي، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ، حدّثنى أبو العباس أحمد بن يحيى، و أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نيهان.

حيلولة: و أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندى، أنبأنا أبو طاهر أحمد بن الحسن قالوا: أنبأنا أبو علي ابن شاذان، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم، حدّثنى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

ص: ٢٥٠

حدّثني عمر بن شبيه، حدّثني عبيد بن جنادة، أخبرني عطاء بن مسلم قال: قال السدي: أتيت كربلاء أبيع بها البز، فعمل لنا شيخ من طيء طعاماً، فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين، فقلت: ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوء ميته. فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق، فأنا فيمن شرك في ذلك، فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب يخرج الفتيله بأصبعه، فأخذت النار فيها، فذهب يطفئها بريقه، فأخذت النار في لحيته، فعدا، فألقى نفسه في الماء، فرأيت أنه حممه» (١).

و رواه بإسناد آخر وهو: «أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزه السلمى، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمى، أنبأنا جدّي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان العدل، أنبأنا خيثمه بن سليمان بن حيدر القرشى، أنبأنا أحمد بن العلاء- أخو هلال- بالرقه، أنبأنا عبيد بن جنادة، أنبأنا عطاء بن مسلم عن ابن السدي عن أبيه...» (٢).

كلام أحمد بن حنبل في يزيد

قال قدس سرّه: وقد سألت مهنا بن يحيى أحمد بن حنبل عن يزيد فقال: هو الذي فعل ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة.

و قال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى توالى يزيد. فقال: يا بني، وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر؟ فقلت: لم لا- تلعه؟ فقال: وكيف لا- ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: و أين لعن يزيد؟ فقال: في قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ». فهل يكون فساد أعظم من القتل.

ص: ٢٥١

١- (١) تاريخ دمشق ١٤/٢٣٣.

٢- (٢) تاريخ دمشق ١٤/٢٣٣-٢٣٤.

الشرح:

هذا النقل هو الثابت عن أحمد بن حنبل، ولذا أفتى الأئمة من أتباعه كالقاضي أبي يعلى الحنبلي و الحافظ ابن الجوزي بلعن يزيد بن معاوية. وقد تقدّم نقله عن الشهاب الآلوسی بتفسير الآيه المباركه.

واقعه الحرّه

قال قدس سرّه: ونهب المدينه ثلاثه أيام و سبى أهلها و قتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش و الأنصار و المهاجرين ما بلغ عددهم سبعمائه، و قتل من لم يعرف من عبدٍ أو حرٍّ أو امرأه عشره آلاف، و خاص الناس فى الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و امتلأت الروضه و المسجد.

الشرح:

هذه واقعه الحرّه، و قد ذكرت هذه الامور و القضايا فى كتب التاريخ المعتمده و المعتبره عند القوم، بما لا يبقى مجالاً للتشكيك، و إنّ حاول ابن تيميه و بعض أتباعه و من على شاكلته تبريرها و تنزيه يزيد بن معاوية عنها، و لكن لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.

ضرب الكعبه بالمنجنيق

قال قدس سرّه: ثم ضرب الكعبه بالمنجنيق و هدمها و أحرقتها.

الشرح:

هذا فى قضيه عبد الله بن الزبير، و هو أيضاً من ضروريات التاريخ الإسلامى، غير أنّ ابن تيميه يقول: كان مقصودهم حصار ابن الزبير، و الضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبه» (1) فاقراً و اضحك!

ص: ٢٥٢

قال قدس سره: و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: إِنَّ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، عَلَيْهِ نِصْفُ عَذَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَ قَدْ شَدَّتْ يَدَاہُ وَ رِجْلَاهُ بِسَلْسَلٍ مِنْ نَارٍ مَنكَّسًا فِي النَّارِ حَتَّى يَقَعُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ وَ لَهُ رِيحٌ يَتَعَوَّذُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ شِدَّةِ نَتَنِ رِيحِهِ، وَ هُوَ فِيهَا خَالِدٌ ذَاتِقٌ لِلْعَذَابِ الْأَلِيمِ، كُلُّهَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلِّ اللَّهِ لَهُمُ الْجُلُودَ حَتَّى يَذُوقُوا الْعَذَابَ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ سَاعَةً وَ يَسْقَى مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ، الْوَيْلُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

الشرح:

هذا الحديث رواه جماعة من محدثي أهل السنّة أيضاً، كابن المغازلي الشافعي في (المناقب) و الخوارزمي المكي الحنفي في (مقتل الحسين) و الصبان المصري في كتاب (إسعاف الراغبين).

فهو من أحاديث الفريقين.

و عن بعض حماه بنى اميّه و أنصارهم رميه بالضعف.

قال قدس سره: و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: اشْتَدَّ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيَّ مِنْ أَرَاقِ دَمِ أَهْلِي وَ آذَانِي فِي عَتْرَتِي .

الشرح:

روى هذا الحديث جماعة من علماء القوم عن: علي عليه السلام، و أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، كالديلمى، و ابن المغازلي، و محب الدين الطبري، و السيوطي، و المناوي، و ابن حجر الهيتمي المكي و غيرهم.

راجع: المناقب لابن المغازلي: ٢٩٢، الصواعق المحرقة: ١٨٤، إحياء الميت بفضائل أهل البيت - هامش إتحاف الأشراف -: ١١٥، كنوز الحقائق من حديث خبر

الخلايق: ١٧، ذخائر العقبى: ٣٩ و غيرها.

و قد أورد الذهبي الحديث في (ميزانه) و تبعه ابن حجر في (لسانه) بترجمه:

محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي، نقلاً عن ابن عدى الجرجاني، و ردّوا الحديث لكونه دالماً على سوء عاقبه أوليائهم، و ما اتهموا راويه إلا بالتشيع....

و على الجملة، فإن هذا الحديث من الأحاديث التي لا تقبلها النفوس الأمويه التي يحملها أمثال الذهبي و ابن تيميه، من أشياع أئمه الجور و أمراء الضلال.

أقول:

كانت تلك شواهد على تعصّب أهل السنّه في غير الحقّ، و موارد من بدعهم الباقية إلى هذا اليوم....

فكان ما ذكره العلّامة هو الوجه الخامس من الوجوه الدالّه على وجوب اتّباع مذهب أهل البيت عليهم السّلام، فإنّه قد شرح رأى الطرفين في تلك المسائل، و وضعها أمام القارئ الحرّ المنصف المتدبّر، ليختار ما يراه الأحقّ بالإختيار و الأولى بالاتباع، و لذا:

قال قدس سرّه: فليُنظر العاقل، أيّ الفريقين أحقّ بالأمن...؟

و هكذا ينتهي الوجه الخامس.

ص: ٢٥٤

الوجه السادس: من الوجوه الدالّة على أن مذهب الإماميّة واجب الاتّباع

أشاره

ص: ٢٥٥

قال قدس سره: السادس: إن الإماميه لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى، قد رواها المخالف ووافق. و رأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابه مطاعن كثيره و لم ينقلوا في علي طعناً ألبته. أتبعوا قوله و جعلوه إماماً لهم، حيث نزهه المخالف و الموافق، و تركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته.

و نحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم و نقلوه في المعتمد من كتبهم، ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

الشرح:

في هذه الفقرة من المتن نقاط ينبغي توضيحها و التأكيد عليها:

١- إن هذا الوجه استدلالاً عقلياً و عليه سيره العقلاء في سائر أمورهم، فإنه إذا دار الأمر بين أن يتبع من له فضائل لا تحصى، اتفق على روايتها الأتباع له و الأتباع لغيره، أو يتبع من ليست له تلك الفضائل حتى في روايه أتباعه، فمن الأولى بالاتباع عند العقلاء؟ و أيضاً، لو دار الأمر بين من نُقل عنه مطاعن حتى في كتب أتباعه، و من لم ينقل عنه مطاعن حتى في كتب أتباع غيره، فمن الأولى بالاتباع عند العقلاء؟

٢- إن المراد من «الاتباع» لشخص، هو جعله الواسطه بيننا و بين الله و رسوله، و ليكون العمل بقوله موجباً للنجاه في يوم القيامة، و من الواضح أن ترتب الأثر المذكور على أتباع قول من اتفق الطرفان عليه هو المتيقن فقط، و العقلاء يتركون سواه من أجله، لو دار الأمر بينه و بين غيره.

٣- إن المراد من «الموافق» هم الشيعة الإثنا عشرية، و من «المخالف» هم جمهور أهل السنه القائلون بإمامه أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، فلا يشمل هذا

العنوان «الخوارج» و«الغلاة» المطرودين من طرف أهل السنه و الشيعة جميعاً، فلا يعتبر بقول النواصب و الخوارج الذين يكفرون علياً عليه السلام، و لا بقول الغلاة في علي، الذين يكفرون كل من خالفه.

قال ابن تيميه: إن الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحه لأبي بكر و عمر أكثر و أعظم من الفضائل الثابتة لعلی (١).

أقول:

لا شك أن أحمد بن حنبل الذي هو إمام ابن تيميه و سائر الحنابله، أعلم بالأحاديث منه و من أمثاله، و قد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في كتابه الذي ألفه في مناقب أبي حنيفه - أنه قال: «ما لأحد من الصحابه من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلی رضي الله عنه» (٢).

و قد نقل هذا الكلام عن أحمد جمع من كبار أئمة القوم، كالحاكم النيسابوري و ابن حجر العسقلاني و غيرهما، و إن تصرف بعض النقلة، فحذف من الكلام كلمه «بالأسانيد الصحاح»، و وضع بعضهم مكان «الصحاح» كلمه: «الجياد».

و ليس أحمد بن حنبل وحده الذي قال هذا الكلام في حق أمير المؤمنين عليه السلام، بل الكلمه مرويه في كتبهم المعتمده عن غيره من كبار الأئمه، فقد قال ابن حجر: «و كذا قال النسائي و غير واحد، و في هذا كفايه» (٣).

نعم، في هذا كفايه لثبوت صدق العلامه الحلبي و كذب ابن تيميه، و التفصيل في (المدخل) (٤).

ص: ٢٥٨

١- ١) منهاج السنه ٧/٥.

٢- ٢) كتاب مناقب أحمد بن حنبل، الباب ٢٠ في ذكر اعتقاده في الأصول ص ١٦٣.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٢٩٨/٨ و انظر: الاصابه ٤/٤٦٤ و الاستيعاب ٣/١١٥، فتح الباري ٧/٨١.

٤- ٤) دراسات في منهاج السنه: ٢٥٧.

قال: والأحاديث التي ذكرها هذا، و ذكر أنها في الصحيح عند الجمهور، وأنهم نقلوها في المعتمد من قولهم و كتبهم، هو من أبين الكذب على علماء الجمهور. فإن هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث...» (١).

أقول:

بأى وجه يحكم على تلك الأحاديث بأن أكثرها كذب أو ضعيف؟ إن تلك الأحاديث أكثرها معتبر قطعاً، لأنها إما في صحاح القوم و مسانيدهم، وإما هي معتبره سنداً بشهاده علمائهم في الجرح و التعديل، وإما هي أحاديث متفق عليها بين الموافقين و المخالفين، فإن مثل هذه الأحاديث يوثق بصدورها عند أهل العقل و الشرع... و على هذا، فمن ورد في فضله و منقبته مثلها هو الأولى بالاتباع و الإطاعه المطلقه في الدين و العقل ممن لم يرد في حقه.

و أما الأحاديث التي استند إليها العلامة، فسيأتي الكلام عليها سنداً و دلالةً، و سيوضح كذب ابن تيميه هناك أيضاً.

قال: و أما ما ذكره من المطاعن، فلا يمكن أن يوجه على الخلفاء الثلاثة مطعن إلا ووجه على علي ما هو مثله أو أعظم منه (٢).

أقول: سيتعرض العلامة لبعض ذلك، و سيوضح الحق إن شاء الله هنالك.

قال معترضاً على قول العلامة «نزّهه المخالف و الموافق»: «هذا كذب بين، فإن علياً رضى الله عنه لم ينزّهه المخالفون... فإن الخوارج متفقون على كفره و هم عند المسلمين خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته... و مرواياته الذين ينسبون علياً إلى الظلم... و هؤلاء الخوارج كانوا ثمان عشره فرقه...» (٣).

ص: ٢٥٩

١- ١) منهاج السنه ٦/٥.

٢- ٢) منهاج السنه ٧/٥.

٣- ٣) منهاج السنه ١١/٥.

أقول:

قد عرفت مقصود العلامة من كلامه، فهو لم ينكر وجود أعداء لأمر المؤمنين عليه السلام، كما أنّ أهل السنه لا ينكرون وجود من يعادى الذين غصبوا حقّه و الذين حاربوه أو خالفوه من الصّحابه، بل يقول: بأن الجمهور القائلين بإمامه الشيخين يروون الفضائل الكثيره عن النبي صلّى الله عليه و آله لعلّى، و يروون أيضاً مطاعن لأئمتهم، و لا يروون عن رسول الله و لا مطعنأ واحداً لعلّى عليه السلام، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالاتباع من غيره، و هذا من أدلّه الإماميه على القول بإمامته.

و يبقى على العلامة أن يذكر بعض تلك الفضائل المرويّه فى كتب الجمهور لعلّى عليه السلام، و بعض تلك المطاعن المرويّه فيها لغيره، حتى تتمّ دعواه.

و من هنا شرع بذكر بعض الفضائل:

من فضائل أمير المؤمنين

قال قدس سره: فمن ذلك: ما رواه أبو الحسن الأندلسى فى الجمع بين الصحاح الستة... عن أم سلمه زوج النبي صلّى الله عليه و آله أن قوله تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...».

آيه التطهير و حديث الكساء

الشرح:

من فضائله التى رواها المعتقدون بإمامته و المعتقدون بإمامه الشيخين، خبر نزول الآيه المباركه و حديث الكساء، فإن رواته من علماء الجمهور القائلين بإمامه الشيخين كثيرون جداً (1) و على رأسهم أحمد بن حنبل و مسلم بن الحجاج النيسابورى

ص: ٢٤٠

(١ - ١) مسند أحمد ٢٩٢/٦ و ٢٩٨ و ٣٢٣، صحيح مسلم ١٣٠/٧، سنن الترمذى ٣٠/٥ - ٣١ و ٢٣٨ و ٣٤١، المستدرک ٤١٦/٢.

و الترمذى و أمثالهم.

فهذا الحديث مِمَّا رواه المخالف و الموافق، و يدلّ على فضيله عظيمه لأمر المؤمنين، و هم لم يرووا مثله و لا أقلّ منه، فى مثل تلك الكتب، فى حقّ الشيخين... فمن الأولى بالاتباع؟

هذا، و قد اعترف ابن تيميه بصحّحه هذا الحديث و ثبوته، و ذكر روايه القوم له عن أم سلمه أم المؤمنين و عن عائشه بنت أبى بكر بن أبى قحافه، و من هنا لا نرى ضروره لتفصيل الكلام فى الرواه و الأسانيد.

قال ابن تيميه: «و أما حديث الكساء فهو صحيح...» لكنه أجاب:

«هذا الحديث قد شركه فيه فاطمه و حسن و حسين رضى الله عنهم، فليس هو من خصائصه... و غايه ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتّقين....»

و الصديق رضى الله عنه قد أخبر عنه بأنه «الآتقى * الذى يُؤتى ماله يتزكى...».

و أيضاً، فإن السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار... (١).

أقول:

فقد ظهر أن هذه الفضيله غير وارده للشيخين حتى فى كتب القائلين بإمامتهما، أمّا أن فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام يشاركون علياً فى هذه الفضيله، فذاك لا يضّرّ باستدلال العلامه الحلى، فإن الكلام يدور بين على و الشيخين. على أن ثبوت مثل ذلك لزوجه و ولديه يزيد فخرّاً على فخر، كما لا يخفى على من له أدنى فهم! بل إنهم قد شاركوا رسول الله صلّى الله عليه و آله فى الطهاره التى أرادها الله له، و هل فوق هذا من فضل و كمال؟

و أمّا إن «غايه ذلك أن يكون دعا لهم». فهذا تعصّب قبيح:

ص: ٢٦١

أمياً أولاً: فلأنه ينافى صريح الآية المباركة، لأن «إنما» دالة على الحصر، وكلامه دال على عدم الحصر، فما ذكره رد على الله و الرسول.

أمياً ثانياً: فلأن في كثير من «الصحيح» أن الآية نزلت، فدعا رسول الله علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً فجلبهم بكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي... فالله عز و جل يقول:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...» و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَعْنِي «أهل البيت» و أنهم هؤلاء دون غيرهم.

و أمياً ثالثاً: فلأنه لو كان المراد هو مجرد الدعاء لهم بأن يكونوا «من المتقين» و «الطهاره مأمور بها كل مؤمن» «فغايه هذا أن كون دعاء لهم بفعل المأمور و ترك المحذور»، فلا فضيله في الحديث، و هذا يناقض قوله من قبل «فعلم أن هذه الفضيله...»!!

و أمياً رابعاً: فلأنه لو كان «غايه ذلك أن يكون دعاء لهم بفعل المأمور و ترك المحذور»، فلما ذا لم يأذن لأم سلمه بالدخول معهم؟! أ كانت «من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس...» فلا حاجه لها إلى الدعاء؟! أو لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يريد منها أن تكون «من المتقين...»؟!

و أمماً خامساً: فلو سلمنا أن «غايه هذا أن يكون دعاء لهم...» لكن إذا كان الله سبحانه «يريد» و الرسول «يدعو» -و دعاؤه مستجاب قطعاً- كان «أهل البيت» متصفيين بالفعل بما دلّت عليه الآية و الحديث.

فقال: «و الصديق قد أخبر الله عنه...».

و حاصله: إن غايه ما كان في حق «أهل البيت» هو «الدعاء» و ليس في الآية و لا الحديث إشارة إلى «استجابته» هذا الدعاء، فقد يكون و قد لا يكون، و أمماً ما كان في حق «أبي بكر»، فهو «الإخبار» فهو كائن، فأبو بكر أفضل من «أهل البيت»!

أولاً: في «أهل البيت» في الآية الكريمة شخص النبي صلى الله عليه وآله، ولا ريب في أفضليته المطلقة.

و ثانياً: في «أهل البيت» في الآية فاطمه الزهراء، وقد اعترف غير واحد من أعلام القوم بأفضليتها من أبي بكر:

فقد ذكر المناوي بشرح الحديث المتفق عليه بين المسلمين: «فاطمه بضعه مني فمن أغضبها أغضبني»: «استدل به السهيلي (1) على أن من سبها كفر، لأنه يغضبه، و أنها أفضل من الشيخين».

وقال: «قال الشريف السمهودي: و معلوم أن أولادها بضعه منها، فيكونون بواسطتها بضعه منه، و من ثمّ لما رأت أم الفضل في النوم أن بضعه منه وضعت في حجرها، أولها رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بأن تلد فاطمه غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها. فكلّ من يشاهد الآن من ذريتها بضعه من تلك البضعة و إن تعددت الوسائط، و من تأمل ذلك انبعث من قبله داعي الإجلال لهم و تجنب بغضهم على أي حال كانوا عليه».

قال ابن حجر: و فيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى صلى الله عليه وآله بتأذيه، فكلّ من وقع منه في حق فاطمه شى فتأذت به، فالنبي صلى الله عليه وآله يتأذى، بشهادته هذا الخبر، و لا شىء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل وُلدها، و لهذا عرف بالاستقراء معاجله من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا «و لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ

١ - ١) عبد الرحمن بن عبد الله، العلامة الأندلسي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف، برع في العربية و اللغات و الأخبار و الأثر، و تصدّر للإفاده، من أشهر مؤلفاته: الروض الأنف - شرح «السيره النبويه» لابن هشام - توفي سنة ٥٨١، له ترجمه في: مرآه الجنان ٤٢٢/٣، النجوم الزهراء ١١٠/٦، العبر ٨٢/٣، الكامل في التاريخ ١٧٢/٩.

وَأَبْقَى» (١) (٢).

و ثالثاً: فى «أهل البيت» فى الآيه: الحسن و الحسين، و إن نفس الدليل الذى أقامه الحافظ السهلى و غيره على تفضيل الزهراء دليل على أفضلية الحسين، بالإضافة إلى الأدلة الأخرى، و منها «آيه التطهير» و «حديث الثقلين» الدالين على «العصمه»، و لا ريب فى أفضلية المعصوم من غيره.

و رابعاً: فى «أهل البيت» فى الآيه: أمير المؤمنين عليه السلام، و هى -مع أدله غيرها لا تحصى- تدلّ على أفضلية على جميع الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.

و خامساً: كون المراد من الآيه: «الأتقى...» «أبو بكر» هو قول انفراد القوم به، فلا يجوز أن يعارض به القول المتفق عليه.

و سادساً: كون المراد بها «أبو بكر» أول الكلام، و قد تقدّم الكلام على ذلك.

و قال: «و أيضاً: فإن السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار... فما دعا به النبى...» (٣).

و حاصله: أفضلية «السابقين الأولين...» من «أهل البيت» المذكورين.

و يرد عليه: ما ورد على كلامه السابق، فإن هذا فرع أن يكون الواقع من النبى صلى الله عليه و آله هو صرف «الدعاء».. و قد عرفت أن الآيه تدلّ على أن الإرادة الإلهية تعلقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت و تطهيرهم تطهيراً، فهى داله على عصمه «أهل البيت»، و قد قال النبى صلى الله عليه و آله و أعلن للأمم الإسلاميه أنهم: هو و على و فاطمه و الحسن و الحسين.

ص: ٢٦٤

١- ١) سوره طه ١٢٧: ٢٠.

٢- ٢) فيض القدير- شرح الجامع الصغير ٥٥٤/٤.

٣- ٣) منهاج السنّه ١٤/٥- ١٥.

ثم إن قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ...» (١) المراد فيه أمير المؤمنين عليه السلام، ويشهد بذلك تفسير قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (٢) بعلی عليه السلام. فعن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«السَّبَقُ ثلاثه، السابق إلى موسى: يوشع بن نون، و السابق إلى عيسى: صاحب ياسين، و السابق إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على بن أبي طالب».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه: حسين بن حسن الأشقر، وثقه ابن حبان، و ضَعَفَه الجمهور، و بقيه رجاله حديثهم حسن أو صحيح» (٣).

قلت:

«الحسين بن حسن الأشقر» من رجال النسائي في (صحيحه)، و قد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد من شرط الشيخين (٤). و قد روى عن الأشقر كبار الأئمة الأعلام: كأحمد بن حنبل، و ابن معين، و الفلاس، و ابن سعد، و أمثالهم (٥).

و حكى الحافظ بترجمته، عن العقيلي، عن أحمد بن محمد بن هانئ، قال:

قلت لأبي عبد الله -يعنى ابن حنبل- تُحدِّث عن حسين الأشقر؟!

قال: لم يكن عندي ممّن يكذب.

و ذكر عنه التشيع، فقال له العباس بن عبد العظيم: أنه يحدث في أبي بكر و عمر.

و قلت أنا: يا أبا عبد الله! إنه صنّف باباً في معابيهما.

فقال: ليس هذا بأهل أن يُحدِّث عنه» (٦).

ص: ٢٦٥

١-١ (١) سورة التوبة ١٠٠:٩.

١١-٢ (٢) سورة الواقعة ١٠:٥٦ و ١١.

١٠٢/٩-٣ (٣) مجمع الزوائد ١٠٢/٩.

٧٠٠/٢-٤ (٤) تذكره الحفاظ ٧٠٠/٢.

٢٩١/٢-٥ (٥) تهذيب التهذيب ٢٩١/٢.

٢٩١/٢-٦ (٦) تهذيب التهذيب ٢٩١/٢.

و كأن هذا هو السبب فى تضعيف غير أحمد، قال الجوزجاني: غال، من الشتامين للخيره (١).

و لذا يقولون: له مناكير، و أمثال هذه الكلمه مما لا- يدلّ على طعنهم فى الرجل نفسه، و لذا قال ابن معين: كان من الشيعة الغاليه. فقيل له: فكيف حديثه؟! قال: لا بأس به. قيل: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه (٢).

و من هنا قال الحافظ: «الحسين بن حسن الأشقر، الفزارى، الكوفى، صدوق، يهيم و يغلو فى التشيع، من العاشره، مات سنه ٢٠٨، س» (٣).

و أمّا أبو بكر.. فلم يكن من السابقين الأولين:

قال أبو جعفر الطبرى: «و قال آخرون: أسلم قبل أبى بكر جماعه. ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا كنانه بن جبله، عن إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج بن الحجاج، عن قتاده، عن سالم بن أبى الجعد، عن محمد بن سعد، قال: قلت لأبى:

أ كان أبو بكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا؛ و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين؛ و لكن كان أفضلنا إسلاماً» (٤).

أقول:

و لربّما يشكل الاستدلال بنزول الآيه و حديث الكساء من وجوه أخرى:

أحدها: إن إرادته إذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام إن كانت تشريعته، فلا فضيله لهم، و إن كانت تكويتيه، فلا تجتمع مع قول الإماميه بأن «لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين».

ص: ٢٦٦

١-١) تهذيب التهذيب ٢/٢٩١.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٩٢.

٣-٣) تقريب التهذيب ١/٢١٤.

٤-٤) تاريخ الطبرى ٢/٥٩-٦٠.

و الثاني: إن هذه الآيه وارده فى سياق الآيات النازله فى أزواج النبى صلى الله عليه و آله، فإمّا هى مختصه بهنّ، و إمّا يشار كهنّ أهل البيت فى معنى الآيه.

و الثالث: ما قيل من أن «الآل» يشمل «الأزواج» أيضاً، فلا اختصاص للآيه بأهل بيته صلى الله عليه و آله.

و الجواب:

أمّا عن الأوّل، فإن الإراده تكويته، و هى داله على فضيله عظيمه لأهل البيت عليهم السلام، و لا منافاه مع تلك القاعده، كما يُبين فى محلّه فى الكتب المطوّله.

و أمّا عن الثانى، فإن السياق لا يصلح لأن يكون قرينه لرفع اليد عن الأحاديث الصحيحه المتفق عليها بين الفريقين، و كم من آيه مدنيه جاءت فى سوره مكيه و بالعكس.

على أن شمول الآيه للأزواج إلى جنب أهل البيت عليهم السلام مما تكذّبه نفس الأحاديث، خاصّه ما ورد منها عن عائشه و أم سلمه، فكيف بدعوى اختصاصها بهنّ كما صدر عن بعض الخوارج؟

و أمّا عن الثالث، فإن القول المذكور دون إثباته خرط القتاد.

و على كلّ حال، فإن الآيه شامله لأمير المؤمنين عليه السلام و لا ربط لها بالشيخين أصلاً، فما ذكره العلّامه الحلّى هو الحقّ قطعاً.

هذا، و قد بحثنا عن آيه التطهير فى غير واحدٍ من مؤلفاتنا المنتشره.

آيه النجوى و فضيله أمير المؤمنين

قال قدس سره: و قال فى قوله «إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» (١): «قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: ما عمل بهذه الآيه غيرى، و بى خفف الله تعالى عن هذه الأمه أمر هذه الآيه» .

ص: ٢٦٧

الشرح:

قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (١).

فيه نقاط:

١- الأمر بتقديم الصَّيدقة للفقراء بين يدي النجوى مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و حيث كانوا يناجونه بكثرة و يتسابقون على ذلك، فقد كان في هذا الأمر نفع كبير للفقراء، و لمن أطاع و فعل ذلك فضل عظيم.

٢- الذم و التقرُّيع للذين أشفقوا أن يقدموا الصَّيدقة للفقراء بين يدي نجاوهم، و لذا تركوا النجوى معه، فلم يسألوه عن شيء من الأحكام و لم يراجعوه في شيء من أمورهم الدنيوية و الدنيوية، حتى لا يعطوا الصَّيدقة. و من الواضح أن الذم على ترك تقديم الصَّيدقة فالنجوى، إنما يتوجه على المتمكِّنين من دفع الصَّيدقة و المحتاجين إلى النجوى مع النبي و السؤال منه عن الأحكام و غيرها.

٣- نسخ الأمر بتقديم الصَّيدقة و التوبة على من يقيم بالواجب. و من المعلوم أن الحكم الشرعي إنما ينسخ إذا عمل به و لو مرة واحده.

و قد نصت أخبار الفريقين على أنه لم يعمل بهذه الآية إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت هذه الفضيلة من اختصاصاته. و من رواته من أئمة أهل السنَّة الأعلام، من المفسرين:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

ص: ٢٦٨

١-١) سورة المجادلة: ١٢ و ١٣.

و ابن أبى حاتم الرازى، صاحب التفسير الملتزم فيه بالصحة كما قالوا.

و محيى السنه البغوى فى تفسيره الذى أثنى عليه ابن تيميه.

و الخازن البغدادى فى تفسيره المعروف.

و أبو حيان الأندلسى فى بحره المحيط.

و أبو الحسن الواحدى فى أسباب النزول.

و الفخر الرازى فى تفسيره الكبير.

و ابن كثير الدمشقى تلميذ ابن تيميه.

و جار الله الزمخشرى فى الكشاف.

و القرطبى فى تفسير الشهير.

و قاضى القضاة الشوكانى.

و القاضى البيضاوى.

و جلال الدين السيوطى.

و شهاب الدين الألوسى (١).

و غيرهم من المتقدمين و المتأخرين.

و من المحدّثين:

ابن أبى شيبه، و عبد الرزاق، و الترمذى، و النسائى، و أبو يعلى، و عبد بن حميد و ابن المنذر و الطبرانى و الحاكم و ابن مردويه، و

ابن حبان و غيرهم (٢).

ص: ٢٦٩

١- ١) تفسير القرطبى ١٤/٢٨ و فى الطبعة الحديثه ٢٠/١٢ برقم ٣٣٧٨٨، تفسير البغوى ٢٨٣/٤، البحر المحيط ٢٣٧/٨، تفسير الخازن ٤٤/٧، تفسير الرازى ٢٧٢/٢٩، الكشاف ٣٢٦/٤، تفسير القرطبى ١٩٦/١٧، فتح القدير ١٨٦/٥، تفسير ابن كثير ٣٢٦/٤، الدر المنثور ٨٤/٨، روح المعانى ٢٨/٢٨، أسباب النزول: ٢٣٠.

٢ - ٢) السنن الكبرى للنسائي ١٥٣/٥، مسند أبي يعلى ٣٢٢/١، صحيح ابن حبان ٣٩١/١٥، نظم درر السمطين: ٩٠، المعيار و الموازنه: ٧٤.

رووه بأسانيدهم عن: أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام، و ابن عباس. و جابر بن عبد الله الأنصاري، و أبي أيوب الأنصاري، و عبد الله بن عمر.

هذا، و لم يناقش أحدٌ في ثبوت الخبر، حتى ابن تيميه الذي طالما يكابر في الثوابت. و لتوضيح أن هذه فضيله كبيره من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ننقل بعض النصوص:

قال عبد الله بن عمر: «لقد كان لعلی ثلاثه لو كانت لی واحده منهن كانت أحبَّ إليَّ من حمر النعم: تزويجه فاطمه و إعطاؤه الرايه يوم خيبر و آيه النجوى» (١).

و هل أصرح من هذا الكلام في الدلاله على الفضيله و الكمال لأمير المؤمنين ما لم يثبت لغيره؟

قال ابن روزبهان: «هذا من روايات أهل السنه، و إن آيه النجوى لم يعمل بها إلما على، و لا كلام في أن هذا من فضائله التي عجزت الألسن عن الإحاطه بها».

و هذا إقرارٌ من متعصب عنيد من علماء القوم!

و قال الخازن: «فإن قلت: في هذه الآيه منقبه عظيمه لعلی بن أبي طالب، إذ لم يعمل بها أحدٌ غيره. قلت: هو كما قلت، و ليس فيها طعن على غيره من الصحابه...».

أقول:

فبطل تشكيك إمامهم الرازي في دلاله القضييه على الفضل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أن النيسابوري-التابع له في كثير من المواقع-تعقبه هنا قائلاً:

«هذا الكلام لا- يخلو عن تعصبٍ مّا، و من أين يلزمنا أن نثبت مفضوليته على رضى الله عنه في كلّ خصله؟ و لم لا- يجوز أن يحصل له فضيله لم توجد لغيره من أكابر الصحابه؟ فقد روى عن ابن عمر: كان لعلی رضى الله عنه ثلاث لو كانت لي واحده

ص: ٢٧٠

منهنّ... و هل يقول منصفٌ إن مناجاه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله نقيصه؟ على أنه لم يرد في الآيه نهى عن المناجاه، و إنما ورد تقديم الصدقه على المناجاه من جهتين: سدّ خَلّه بعض الفقراء و من جهة محبّه نجوى الرسول فيها القرب و حلّ المسائل العويصه و إظهار أن نجواه أحبّ إلى المناجى من المال» (١).

هذا باختصار فيما يتعلّق بالنقطه الأولى من النقاط الثلاث المذكوره سابقاً. وقد ظهر أن ما ذكره العلّامه هو الحق الذى لا محيد عنه، فإن من حصلت له هذه الفضيله العظيمه التى يتمناها الصحابه و يعترف بها كبار العلماء، هو المتعّين للتّباع دون غيره.

و أمّا بالنسبه إلى النقطه الثانيه: فقد ذكروا وجوهاً للدفاع عن الصحابه، و كلّها وجوه ساقطه، لا تقاوم ظواهر الآيه و دلالة الحديث، و أظن أن هذا هو السبب لمحاوله الرازى إنكار أصل الفضيله، و تلك الوجوه هى:

١- إن المدّاه بين الأمر بتقديم الصدقه بين يدي النجوى و نسخ هذا الأمر لم تُطل، فلم تكن هناك فرصه لإطاعه غير على لهذا الأمر.

٢- احتمال أن يكون الأمر نديباً لا وجوبياً، و المندوب يجوز تركه.

٣- احتمال أن لا يكون الشيوخ الثلاثه حاضرين عند نزول الآيه الكريمه.

٤- احتمال أن لا يكون عندهم الداعى إلى المناجاه.

٥- كيف؟ و أبو بكر قد أنفق ماله كلّه فى الصدقه، و عمر جاء بنصف ماله بلا حاجه إلى النجوى!

و هذا كلّ ما ذكره المعتقدون بإمامه الشيخين من المفسرين و المحدّثين و المتكلّمين الأشاعره منهم و المعتزله، و سنتكلّم عليها بشرح البرهان الثامن عشر من براهين إمامه أمير المؤمنين من القرآن المبين. فانتظر.

ص: ٢٧١

نزول قوله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...»

قال قدس سره: و عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه من بنى عبد الدار و عباس بن عبد المطلب و علي بن أبي طالب. فقال طلحة بن شيبه:

معى مفاتيح البيت و لو أشار بئُ فيه، و قال العباس: أنا صاحب السِّقايه و القائم عليها و لو أشاء بئُ في المسجد، فقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبله سته أشهر قبل الناس و أنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

الشرح:

هذا الحديث أخرجه جماعه من كبار الأئمه.

كعبد الرزاق الصنعاني، و أبي بكر ابن أبي شيبه، و محمد بن جرير الطبري، و ابن أبي حاتم، و ابن المنذر النيسابوري، و ابن عساكر، و أبي نعيم الإصفهاني، و أبي الشيخ الإصبهاني، و ابن مردويه، و السيوطي رواه عنهم (1).

و من رواه ابن كثير الدمشقي كما سيأتي.

و أورده غير واحد من أعلام التفسير بذيّل الآيه المباركه، كالطبري و ابن كثير و السيوطي.

و ذكره أبو الحسن الواحدى فى سبب نزولها.

و بروايه هؤلاء استند العلامة لَمّا ذكر هذا الحديث من جملة فضائل أمير المؤمنين و كمالاته التى رواها الموافق يعنى القائل بإمامته، و المخالف يعنى القائل بإمامه الشيخين.

ص: ٢٧٢

و هو واضح الدلاله على المقصود، فإن مثله لم يرد في حق غيره من الأصحاب على الإطلاق.

قال ابن تيميه: هذا اللفظ لا يعرف في شئ من كتب الحديث المعتمده، بل دلالات الكذب عليه ظاهره (١).

أقول:

قد عرفت جمعاً من أعلام أهل السنه الرواه له في كتبهم، و أن العلامه و غيره من علماء الإماميه قد اعتمدوا على روايه هؤلاء و أمثالهم، فإن كان كذباً فما ذنب العلامه؟ و هل يلتزم أذنب ابن تيميه بذلك؟

قال: ثم فيه قول على: صليت سته أشهر قبل الناس. فهذا مما يعلم بطلانه بالضروره....

أقول: و هذا من الأمور الثابته بروايه الفريقين كذلك بالأسانيد الصحيحه كما سيأتى في محلّه، فلا يجوز الردّ على استدلال العلامه هنا من هذه الناحيه.

قال: و أمّا الحديث فيقال: الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه و لفظه عن النعمان بن بشير....

أقول: هذه المعارضه باطله لوجوه:

الأول: إنه حديث تفرّد به المعتقدون بإمامه الشيخين، و كلّ حديث تفرّد بنقله أحد الطرفين، فلا يجوز له الاحتجاج به على الطرف الآخر في مقام البحث و المناظره، كما صرح به غير واحد من أعلام أهل السنه كذلك، كابن حزم الأندلسي (٢).

و الثاني: إن الحديث الذي أخرجه مسلم و غيره، ليس فيه ذكر لاسم أحد، فهو «قال رجل» و «قال آخر» و «قال آخر». أمّا الحديث الذي استدللّ به العلامه ففيه أسماء

ص: ٢٧٣

١-١) منهاج السنّه ١٨/٥.

٢-٢) الفصل في الملل و النحل ١٥٩/٤.

١- أى فائده فى هذا الحديث فى مقام المفاضله بين الأشخاص؟!!

٢- أى مناقضه بين هذا الحديث و الحديث الذى استشهد به العلامه؟!!

٣- بل إن الحديث الذى استند إليه العلامه يصلح لأن يكون مفسراً لحديث مسلم، الذى أبهم فيه أسماء القائلين!

و الثالث: لقد أورد غير واحد من أئمة التفسير عند القوم الحديث الذى استدلل به العلامه، بذيل الآيه المباركه، بل إن بعضهم قدّمه فى الذكر على غيره من الأخبار و الأقوال، و إليك ما جاء بتفسير ابن كثير- و هو الذى يعتمد عليه أتباع ابن تيميه كثيراً- فإنه قال:

«قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عيينه، عن إسماعيل، عن الشعبي، قال: نزلت فى على و العباس رضى الله عنهما بما تكلموا فى ذلك.

و قال ابن جرير: حدّثنى يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنى ابن لهيعة، عن أبى صخر، قال: سمعت محمد بن كعب القرظى يقول: افتخر طلحه بن شيبه من بنى عبد الدار و عباس بن عبد المطلب و على بن أبى طالب....

و هكذا قال السدى إلا أنه قال: افتخر على و العباس و شيبه بن عثمان؛ و ذكر نحوه.

و قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن عمرو، عن الحسن، قال: نزلت فى على و عباس و شيبه، تكلموا فى ذلك....

و رواه محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن؛ فذكر نحوه».

و الرابع: إن ابن كثير كما قدّم هذا الحديث فى الذكر، فقد نصّ على أن حديث النعمان بن بشير «مرفوع» إذ أورده من بعد قائلاً:

«و قد ورد فى تفسير هذه الآيه حديث مرفوع، فلا بدّ من ذكره هنا: قال

عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن النعمان بن بشير...» (١).

و كيف يجوز معارضه ذاك الحديث المشهور بين الفريقين، بحديث انفراد به أحدهما و هو يعترف بأنه مرفوع؟

و قال القرطبي: «و ظاهر هذه الآيه أنها مبطله قول من افتخر من المشركين بسقايه الحاج و عماره المسجد الحرام، كما ذكره السدي، قال: افتخر عباس بالسقايه، و شبيهه بالعماره، و على بالإسلام و الجهاد، فصدق الله علياً و كذبهما... و هذا بين لا غبار عليه».

ثم إنه تعرض لحديث مسلم، و ذكر فيه إشكالاً، و حاول دفعه بناء على وقوع التسامح في لفظ الحديث من بعض الرواه، فراجعه (٢).

و بذلك يظهر أن في حديث مسلم إشكالاً في المعنى و الدلاله أيضاً!

و قال الآلوسی بتفسير الآيه و بيان المقصود بالخطاب في (أ جعلتم): «الخطاب إمّا للمشركين على طريقه الإلتفات، و اختاره أكثر المحققين... و إمّا لبعض المؤمنين المؤثرين للسقايه و العماره على الهجره و الجهاد، و استدلل له بما أخرجه مسلم... و بما روى من طرق أن الآيه نزلت في على كرم الله وجهه و العباس... و أيد هذا القول بأنه المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله تعالى للفريق الثاني...» (٣).

أقول: و من هذا الكلام يُفهم:

١- أن لا تعارض بين حديث مسلم و حديثنا، كما أشرنا من قبل.

٢- إن لحديثنا طرقاً لا طريق واحد، و اعترف به الشوكاني أيضاً (٤).

ص: ٢٧٥

١- ١) تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/٢.

٢- ٢) تفسير القرطبي ٩١/٨-٩٢.

٣- ٣) روح المعاني ٦٧/١٠.

٤- ٤) فتح القدير ٣٤٤/٢.

٣- إنه كان بعض المؤمنين يؤثر السقايه و العماره على الهجره و الجهاد! فجاءت الآيه لتردّ عليهم قولهم، بأن الفضل للهجره و الجهاد دون غيرهما.

و تلخّص:

إن حديثنا معتبر سنداً، و هو عندهم بطرق، في أوثق مصادرهم في الحديث و التفسير، و دلالاته على أفضليه أمير المؤمنين عليه السلام من سائر الصحابه واضح؛ لأن الإمام قد استدلل لأفضليته بما يقتضى الفضل على جميع الأمم، و قد صدّق الله سبحانه علياً عليه السلام في ما قاله، و إذا كان هو الأفضل، فهو الأولى بالإمامه و الولاية العامه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و أما الحديث الوارد في كتاب مسلم، فلا يعارض الحديث المذكور، على إنه متفرد به، و مخدوش سنداً و دلالة باعتراف أئمتهم!

حديث الوصايه

قال قدس سره: و منها: ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال قلنا لسلمان: سل النبي صلّى الله عليه و آله من وصيه؟ فقال له سلمان: يا رسول الله، من وصييك؟ فقال: يا سلمان، من كان وصى موسى؟ فقال: يوشع به نون. قال: فإن وصيي و وارثي، يقضى ديني و ينجز موعدي: على بن أبي طالب.

الشرح:

هنا مطلبان:

الأول: إن رسول الله صلّى الله عليه و آله ما مات بلا وصيه.

و الثاني: إن وصي رسول الله هو أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره من الأصحاب مطلقاً.

و هذا المطلب الثاني - المثبت للأول - اتفق على روايته الموافق القائل بإمامته

ص: ٢٧٤

و علماء أهل السنّة القائلون بإمامه الشيخين بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإذا ثبت روايه القوم هذا المطلب فقد تَمَّ مدّعى العلامه فى هذا المقام.

و فى مقام الإثبات، أورد العلامه الحديث المذكور عن أحمد بن حنبل إمام الحنابله المشهور المعروف....

و أخرجه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى عن أنس و هذا نصّه: «حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرمى، ثنا ابراهيم بن الحسن الثعلبى، ثنا يحيى بن يعلى، عن ناصح بن عبد الله، عن سماك بن حرب، عن أبى سعيد الخدرى، عن سلمان قال: قلت يا رسول الله لكلّ نبى وصيّ، فمن وصيّك؟ فسكت عنى. فلما كان بعد رآنى فقال: يا سلمان! فأسرعت إليه قلت: لئبيك. قال: تعلم من وصيّ موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون، قال:

لم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم. قال: فإن وصيّى و موضع سرّى و خير من أترك بعدى، ينجز عدتى و يقضى دينى: على بن أبى طالب» (١).

و أخرجه ابن عساكر الدمشقى بترجمه أمير المؤمنين عليه السلام بأسانيد:

«أخبرنا أبو الفضل الفضيلى، نا أبو القاسم الخليلى، نا أبو القاسم الخزاعى، نا الهيثم بن كليب الشاشى، نا محمد بن على، نا يحيى الحماني، نا شريك، عن الأعمش، عن المنهال-يعنى ابن عمرو-عن عباد-يعنى ابن عبد الله الأسدى، عن على قال: قال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «على يقضى دينى، و ينجز موعودى، و خير من أخلفه فى أهلى.

قرأت على أبى محمد بن حمزه، عن أبى بكر الخطيب، نا الحسن بن أبى بكر، نا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، نا الحسن بن العباس الرازى، نا القاسم بن خليفه أبو محمد، نا أبو يحيى التيمى إسماعيل بن إبراهيم، عن مطير أبى خالد، عن

ص: ٢٧٧

أنس بن مالك قال:

كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْرًا عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ أَوْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَوْ ثَابِتَ بْنَ مَعَاذِ الْأَنْصَارِيِّ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَجْرًا أَصْحَابَهُ عَلَى سُؤَالِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» (١) وَعَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ قَلْنَا لِسَلْمَانَ: سَلِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ نَسْنَدِ إِلَيْهِ أَمُورِنَا، وَيَكُونُ مَفْزَعِنَا، وَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ؟ فَلَقِيَهُ، فَسَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَخَشِيَ سَلْمَانُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ مَقْتَهُ وَوَجَدَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ لِقَائِهِ، قَالَ: يَا سَلْمَانَ، يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَلَا أَحَدَّثَكَ عَمَّا كُنْتُ سَأَلْتَنِي؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ مَقْتَنِي وَوَجَدْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «كَلَّا يَا سَلْمَانَ، إِنْ أَخِي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي وَخَيْرٍ مِنْ تَرَكْتُ بَعْدِي يَقْضِي دِينِي وَيَنْجِزُ مَوْعِدِي عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ.

قال الخطيب: مطير هذا مجهول.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، نا أبو القاسم بن مسعده، نا حمزه بن يوسف، نا أبو أحمد بن عدي، نا ابن أبي سفيان، نا علي بن سهل، نا عبيد الله بن موسى، نا مطر الإسكاف عن أنس قال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَلِيٌّ أَخِي، وَصَاحِبِي، وَابْنُ عَمِّي، وَخَيْرٌ مِنْ أَتْرَكَ بَعْدِي، يَقْضِي دِينِي، وَيَنْجِزُ مَوْعِدِي.

قال: قلت له: أين لقيت أنسًا؟ قال: بالخريبه.

أخبرنا أبو القاسم الشحامى، و أبو المظفر القشيري، قالوا: أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو سعيد الكرابيسي، أنا أبو لبيد السامى، نا سويد بن سعيد، نا عمرو بن ثابت، عن مطر،

ص: ٢٧٨

١- ١) سورة النصر، الآية الأولى.

عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: إن خليلي و وزيرى و خير من أخلف بعدى يقضى دينى و ينجز موعودى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، و أبو محمد هبه الله بن سهل، و أبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: أنا أبو سعد الجوزرودى، أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازى، أنا يوسف بن عاصم الرازى، أنا سويد بن سعيد، أنا عمرو بن ثابت، عن مطر، عن أنس قال:

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: إن خليلي و وزيرى و خليفتى فى أهلى و خير من أترك بعدى و ينجز موعدى و يقضى دينى على بن أبى طالب» (١).

فهذه عدّه من أسانيد الحديث، و قد عرفت أنه من الأحاديث التى اتفق المخالف و الموافق على روايتها فى فضل أمير المؤمنين و كماله، مما لم ينقل مثله و لا الأقلّ منه فى حق غيره من الصحابه. فتم مقصود العلامة الحلّى من ذكره فى هذا المقام.

لكن القوم لما رأوا عظمه مدلول هذا الحديث، اضطربوا و اختلفت كلماتهم، و لتقدّم الكلام على سنده فى كتاب أحمد:

قال ابن تيميه: إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ليس هو فى مسند الإمام أحمد بن حنبل، و أحمد قد صنّف كتاباً فى فضائل الصحابه...

و ليس كلّ ما رواه يكون صحيحاً. ثم إن فى هذا الكتاب زيادات من روايات ابنه عبد الله، و زيادات من روايه القطيعى عن شيوخه، و هذه الزيادات التى رواها القطيعى غالبها كذب... (٢).

فهذا كلامه، إذ حكم على الحديث بالوضع و لم يذكر أى دليل.

ص: ٢٧٩

١- (١) تاريخ دمشق ٤٢/٥٦-٥٧.

٢- (٢) منهاج السنّه ٢٣/٥.

أقول:

إن هذا الحديث في كتاب الفضائل لأحمد، والعلامة لم ينسبه إلى المسند، وهو من زيادات القطيعي إذ قال: «حدّثنا هيثم بن خلف، حدّثنا محمد بن أبي عمر الدوري، حدّثنا شاذان، حدّثنا جعفر بن زياد، عن مطر، عن أنس يعني ابن مالك قال قلنا لسلمان: سل النبي...» (١).

وقد تكلم في «مطر» وهو «مطر بن ميمون المحاربي، ابن أبي مطر الإسكافي» هكذا ترجمه ابن عدي، وروى الحديث بإسناده عن عبيد الله بن موسى عن مطر عن أنس، ثم قال عن الرجل: «هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق» (٢).

فغايته أن يكون ضعيفاً لا كذباً موضوعاً باتفاق أهل المعرفة بالحديث!

و كأن ابن تيمية قد تبع ابن الجوزي في رمي الحديث بالوضع، فإنه قد أدرجه في كتابه في الموضوعات قائلاً: «الحديث الرابع والعشرون: في الوصية إليه، يرويه سلمان، وله أربع طرق» فذكر الطريق الثاني قال: «ففيه مطر بن ميمون، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث. وفيه جعفر، وقد تكلموا فيه» (٣).

و في كلامه نظر من وجوه:

الأول: إن حديث سلمان في الوصية غير منحصر بالطرق الأربع التي ذكرها، فهو لم يذكر طريق الطبراني الذي ذكرناه عن المعجم الكبير، وسيأتي التحقيق فيه.

والثاني: إن غايه الكلام في «مطر» أنه منكر الحديث عند البخاري، وأمّا كلام الأزدي فلا يعبأ به، لضعف الأزدي نفسه كما نصّ عليه الذهبي وغيره (٤)، فهل يكفي

ص: ٢٨٠

١-١) مناقب علي بن أبي طالب لأحمد بن حنبل: ١٢١ برقم ١٧٦.

٢-٢) الكامل في الضعفاء ٣٩٧/٦-٣٩٨.

٣-٣) كتاب الموضوعات ٣٧٤/١-٣٧٥.

٤-٤) ميزان الاعتدال ٦١/١.

هذا لأن يعدّ الحديث في الموضوعات؟

و الثالث: قوله: «و فيه جعفر، و قد تكلموا فيه» مردود، بأن الرجل لم يتكلم فيه إلّا من جهه الشيع، و التشيع غير مضرّ كما نصّ عليه الحافظ ابن حجر (1) و لذا قال بترجمته: «صدوق يتشيع» (2).

و لهذه الأمور و أمثالها نصّ غير واحد من الأعلام على أن ابن الجوزي متسرّع في الحكم بالوضع، و أنه لا ينبغي أن يغترّ بذلك (3)... و هنا فقد تعقّب الحافظ السيوطي في هذا المقام أيضاً (4).

فإن كان ابن تيميه المغترّ بابن الجوزي، عالماً بحاله فما أشدّ تعصّبه، و إلّا فما أجهله!

هذا، و للحديث عن سلمان في هذا الباب غير ما ذكر من الأسانيد، فقد ذكرنا روايه الطبراني في الكبير، و ليس فيه مطر و لا جعفر، و ظاهر الطبراني قبول الحديث سنداً، فلذا اضطرّ لأن يؤول معناه فقال بعده ما نصه: «قوله: وصي» يعني: أنه أوصاه في أهله لا بالخلافه. و قوله: خير من أترك بعدى. يعني من أهل بيته» (5).

لكنه تمحلّ واضح و تكلف بين، بل المراد هو الخلافه من بعده، و هذا المعنى هو محلّ الحاجه للصحابه إذ طلبوا من سلمان أن يسأل عنه النبي صلّى الله عليه و آله، و إلى ما ذكرنا أشار ابن كثير إذ قال: «و في تأويل الطبراني - يبدو صحه الحديث و إن كان غير صحيح - نظر، و الله أعلم» (6).

ص: ٢٨١

-
- ١- (١) مقدّمه فتح الباري: ٣٩٨.
 - ٢- (٢) تقريب التهذيب ١٣٠/١.
 - ٣- (٣) انظر: تدريب الراوي ١/٢٣٥، الصواعق المحرقة: ٩٠، جواهر العقدين، الجزء الأوّل من القسم الثاني: ٧٣ ط بغداد، استجلاب ارتقاء الغرف: ٦١.
 - ٤- (٤) اللآلئ المصنوعه ١/٣٥٨-٣٥٩.
 - ٥- (٥) المعجم الكبير ٦/٢٢١.
 - ٦- (٦) جامع المسانيد و السنن ٥/٣٨٣ برقم ٣٦٣٣.

إلا- أن ابن كثير لم يذكر وجه الضّعف، حتى رجعنا إلى الحافظ الهيثمي فوجدناه يقول: «و في إسناد ناصح بن عبد الله، وهو متروك» (١).

أقول:

أولاً: الرجل ممن أخرج عنه الترمذى و ابن ماجه (٢).

و ثانياً: هو من مشايخ جمع من أئمة القوم كأبى حنيفه و هو من أقرانه (٣).

و ثالثاً: قد وثّقه أو مدحه غير واحد من الأكابر:

«قال ابن حبان: كان شيخاً صالحاً غلب عليه الصّلاح، فكان يأتي بالشىء على التوهم، فلما فحش ذلك منه استحق الترك.

و قال أحمد بن حازم بن أبى غرزه: سمعت عبيد الله بن موسى و أباً نعيم يقولان جميعاً عن الحسن بن صالح قال: ناصح بن عبد الله المحلّمى نعم الرجل» (٤).

و رابعاً: قال ابن عدى- بعد أن أورد أحاديث له- «و هو فى جملة متشيعى أهل الكوفه، و هو ممن يكتب حديثه» (٥).

و خامساً: إن السبب فى تضعيف من ضعفه هو نقله لأحاديث الفضائل!! و المناقب بكثره، و إليه أشار أبو حاتم (٦) و ابن عدى، بل بهذا السبب قيل: «كان يذهب إلى الرفض» (٧)، و إليك عبارته الذهبى:

«قلت: كان من العابدين. ذكره الحسن بن صالح فقال: رجل صالح، نعم الرجل»

ص: ٢٨٢

١-١) مجمع الزوائد ١١٤/٩.

٢-٢) تقريب التهذيب.

٣-٣) تهذيب الكمال ٢٦١/٢٩.

٤-٤) تهذيب الكمال ٢٦٣/٢٩.

٥-٥) الكامل ٤٧/٧ و نقله المزى فى تهذيب الكمال ٢٦٣/٢٩-٢٦٤.

٦-٦) الجرح و التعديل ٥٠٢/٨.

٧-٧) الضعفاء للعقيلي ٣١١/٤.

ثم روى ما يلي: «إسماعيل بن أبان، حدّثنا ناصح أبو عبد الله عن سماك عن جابر قالوا:

يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا، يعنى علياً.

يحيى بن يعلى المحاربي، عن ناصح بن عبد الله، عن سماك بن حرب، عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال قلت: يا رسول الله... هذا خير منك» (١).

فظهر، أن السبب الأصلي للقدح في الرجل روايه مثل هذه الأحاديث، فإن القوم لا يطيقون سماعها و لا يتحمّلون الراوى لها!

هذا، و الأحاديث الواردة في الوصية لأمير المؤمنين و أنه عليه السلام هو الوصيّ لرسول الله صلّى الله عليه و آله، كثيره، و من ذلك: عن ابن بريده، عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لكلّ نبي وصي و وارث و إن وصيي و وارثي علي بن أبي طالب».

أخرجه الحاكم في تاريخه، و ابن عساكر، و أبو القاسم البغوي، و ابن عدى، و المحبّ الطبري و غيرهم من أعلام الحفاظ (٢).

و ليس فيه من تكلم فيه إلّا «محمد بن حميد الرازي» لكنه من رجال الترمذي و أبي داود و ابن ماجه، و وثقه أبو زرعه الرازي و يحيى بن معين فقال: «ثقه ليس به بأس، رازي كيس».

و حدّث عنه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين و محمد بن يحيى الذهلي، و قال ابن عدى - بعد أن ذكر له أحاديث -: «و تكثر أحاديث ابن حميد التي أنكرت عليه إن ذكرناها، على أن أحمد بن حنبل قد أثنى عليه خيراً لصلابته في السنّه».

إلّا أن الجوزجاني الناصبي قال: «ردىء المذهب» و البخاري قال: «في

ص: ٢٨٣

١- (١) ميزان الاعتدال ٢٤٠/٤.

٢- (٢) تاريخ دمشق ٣٩٢/٤٢، الرياض النضرة ١٧٨/٢، تنزيه الشريعة الغراء ٣٥٦/١.

حديثه نظر» (١).

و بما ذكرنا من الأحاديث في المسألة و التحقيق حولها كفايه لمن أراد الهدايه.

صعود على علي منكب النبي لكسر الأصنام

قال قدس سره: و عن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: «انطلقت أنا و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ حَتَّى أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: اجلس، فصعد علي منكبى فذهبت لأنهبهض به، فرأى منى ضعفاً، فنزل. و جلس لي نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ وَ قَالَ: إصعد علي منكبى، فصعدت علي منكبه، قال: فنهض بي. قال: فإنه تخيل لي أنى لو شئت لثلث أفق السماء، حتى صعدت علي البيت و عليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت ازاوله عن يمينه و عن شماله و بين يديه و من خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله: إقذف به، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، و انطلقت أنا و رسول الله نستبق حتى تواريها البيوت خشيه أن يلقانا أحد من الناس».

الشرح:

قد أخرج غير واحد من الأئمة هذا الحديث بسند صحيح:

كأحمد بن حنبل في المسند (٢)، و النسائي صاحب السنن في خصائص أمير المؤمنين (٣)، و الحاكم النيسابوري و قال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه» (٤). و وافقه الذهبي في تلخيصه (٥).

ص: ٢٨٤

١-١) تهذيب الكمال ١٠١/٢٥، الكامل في الضعفاء ٢٧٥/٦.

٢-٢) مسند أحمد ٨٤/١.

٣-٣) خصائص علي: ١١٣.

٤-٤) المستدرک علی الصحيحين ٣٦٦-٣٦٧ و ٥/٣.

٥-٥) تلخيص المستدرک ط معه ١١٥/٣.

و رواه أيضاً: ابن أبي شيبة، و أبو يعلى، و محمد بن جرير الطبري. رواه عنهم المتقى الهندي (١).

قال ابن تيميه: إن هذا الحديث إن صحّ فليس فيه شيء من خصائص الأئمة و لا خصائص علي، فإن النبي كان يصلّي و هو حامل امامه بنت أبي العاص بن الربيع..» (٢).

أقول:

أولاً: كان المقصود ذكر ما رواه الموافق و المخالف، لا الخصائص.

و ثانياً: القضية من الخصائص بلا ريب.

و ثالثاً: الحديث صحيح و التشكيك فيه تعصّب.

و رابعاً: تنظير القضية بحمل امامه في الصلاة تعصّب آخر.

قوله لفاطمه: ألا ترضين أني زوّجتك...

قال قدس سره: و عن معقل بن يسار أن النبي صلّى الله عليه و آله قال لفاطمه:

ألا ترضين أني زوّجتك أقدم أمتي سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حليماً؟

الشرح:

روى حديث قول النبي صلّى الله عليه و آله لبضعته الطاهره كذلك، بهذا اللفظ أو نحوه، جمع من الأئمة الأعلام بأسانيد معتبره لا مجال للتكلم فيها، و نحن نكتفي ببعض الروايات:

ففي مسند أحمد: «حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا أبو أحمد، ثنا خالد -يعني

ص: ٢٨٥

١-١ (١) كتر العمال ١٣/١٧١.

٢-٢ (٢) منهاج السنّه ٥/٢٥.

ابن طهمان-عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال: وضأت النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: هل لك في فاطمه رضى الله عنها نعوذها؟ فقلت: نعم. فقام متوكئاً على فقال: أما أنه سيحمل ثقلها غيرك و يكون أجرها لك، قال: فكأنه لم يكن على شىء، حتى دخلنا على فاطمه عليها السلام، فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني و اشتدت فاقتي و طال سقمي.

قال أبو عبد الرحمن: وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال: و أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حليماً (١).

و رواه الطبراني كذلك:

فرواه الهيثمي في باب إسلام علي عليه السلام قائلاً: «رواه أحمد و الطبراني. و فيه خالد بن طهمان. وثقه أبو حاتم و غيره، و بقيه رجاله ثقات» (٢).

و في باب علمه عليه السلام قال: «قد تقدم في إسلامه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمه: أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتى سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حليماً. رواه أحمد و الطبراني برجال و ثقوا» (٣).

و رواه الطبري عن أمير المؤمنين و صححه. فرواه عنه المتقي الهندي: «عن علي قال: خطب أبو بكر و عمر و فاطمه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأبى رسول الله عليهما. فقال عمر: أنت لها يا علي. قال: ما لي من شىء إلا درعى و جملى و سيفى.

فتعرض علي ذات يوم لرسول الله. فقال: يا علي، هل لك من شىء؟ قال: جملى و درعى أرهنهما. فزوجنى رسول الله فاطمه. فلما بلغ فاطمه ذلك بكت، فدخل عليها رسول الله، فقال: ما لك تبكين يا فاطمه؟ و الله أنكحتك أكثرهم علماً و أفضلهم حليماً

ص: ٢٨٦

١-١) مسند أحمد ٢٦/٥.

٢-٢) مجمع الزوائد ١٠١/٩.

٣-٣) مجمع الزوائد ١١٤/٩.

و أقدمهم سلماً. و فى لفظ: أولهم سلماً.

ابن جرير و صححه. و الدولابى فى الذريه الطاهره» (١).

و رواه ابن عساكر بأسانيد عديده عن غير واحد من الأصحاب و الصحابييات (٢).

و رواه جماعه آخرون من الحفاظ الأعلام كذلك.

أقول:

إن هذا الحديث الذى يشتمل على ثلاثه فضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، قد اتفق على روايته المؤلف و المخالف، لكن كل واحد منها مرويه بأسانيد كثيره تخصيها، و لو أردنا التعرض لها لطال بنا المقام، و المهم فعلاً هو إثبات صحه ما ذكره العلامة رحمه الله.

و لا يخفى أن هذا الموضوع من المواضع التى أغفلها ابن تيميه، و كأن هذا الكلام لم يذكره العلامة حتى يرد عليه؟! مع أنه موجود فى جميع نسخ كتاب منهاج الكرامه الموجوده بين أيدينا!!

حديث الصديقون ثلاثه

قال قدس سره: و عن ابن أبى ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

الصدّيقون ثلاثه، حبيب النجار مؤمن آل يس الذى قال: «يا قوم اتبعوا المرسلين» و حزيب مؤمن آل فرعون الذى قال «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله» و على بن أبى طالب و هو أفضلهم.

الشرح:

هذا الحديث أورده العلامة هنا، و فى الأدله من الكتاب على إمامه أمير المؤمنين

ص: ٢٨٧

١-١) كنز العمال ١١٤/١٣.

٢-٢) تاريخ دمشق ١٢٦/٤٢-١٣٢.

عليه السلام، في البرهان السادس و العشرون، كما سيأتي، فكان المقصود من إيراد هنا - كما ذكرنا غير مره - أن فضائل أمير المؤمنين و كمالاته متفق عليها من الفريقين، فلذا نكتفي بذكر أسماء بعض رواته من أهل السنه الأعلام، و نرجئ البحث التفصيلي إلى هناك. فاعلم أن من رواه هذا الحديث:

١- أحمد بن حنبل.

٢- البخاري.

٣- أبو داود السجستاني.

٤- أبو القاسم الطبراني.

٥- أبو الحسن الدار قطني.

٦- ابن مردويه الإصفهاني.

٧- أبو نعيم الإصفهاني.

٨- الخطيب البغدادي.

٩- ابن عساكر الدمشقي.

١٠- الفخر الرازي.

١١- جلال الدين السيوطي.

١٢- علي المتقي الهندي.

فهؤلاء من رواته من الأعلام.

و يقول ابن تيميه - في الموضوعين - بأن هذا الحديث كذبٌ موضوع. فإن كان هؤلاء يروون الموضوعات فما ذنبنا؟ لكن ستعلم - في البرهان السادس و العشرين من القرآن - صحته سنداً. فانظر.

قال قدس سره: و عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أنه قال لعلى: أنت منى و أنا منك .

الشرح:

هذا حديث أخرجه البخارى فى باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، و أخرجه غيره من الأئمة الأعلام عند القوم، فهو صحيح بلا ريب و لا كلام.

و قد أذعن ابن تيميه بصحته فقال: «إن هذا حديث صحيح، أخرجاه فى الصحيحين» ثم قال: «لكن هذا اللفظ قد قاله النبى صلى الله عليه و سلم لطائفه من أصحابه...» فذكر بعض الأحاديث فقال: «فتبين أن قوله لعلى: أنت منى و أنا منك، ليس من خصائصه، بل قال ذلك للأشعريين و قاله لجليب» (١).

فيقال له:

أولاً: ما رويته ممّا انفرد به أصحابك، و قوله صَلَّى الله عليه و آله لعلى عليه السلام متفق عليه.

و ثانياً: لو سلمنا صحه ما رويتموه من أنه قال هذا الكلام للأشعريين و لجليب، فهل قاله لأحد من الثلاثة؟

و ثالثاً: لقد عرفت ما هو المقصود فى هذا المقام، فلا مناص لك من الإقرار به....

فما ذكره العلّامة هو الحق.

ص: ٢٨٩

حديث ابن عباس في الفضائل العشر

قال قدس سره: و عن عمرو بن ميمون....

الشرح:

هذا الحديث من أصح الأحاديث و أثبتها، و لا مجال لأهل العلم من أهل السنه للمناقشه في سنده حتى على أصولهم، فكيف بابن تيميه و أمثاله!

و نحن هنا نذكر عدّه من الأئمه الرواه له، و ثبت صحّته على ضوء كلماتهم، لكي يتبين تعصّب من يتكلّم فيه ضدّ الحق المبين و ضلاله عن الصراط المستقيم... فنقول:

أخرج جمع غفير من الأئمه الأعلام بأسانيدهم المعتبره «عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعه -أو سبعة- رهط فقالوا...». فمنهم من رواه بتمامه و منهم من روى بعضه... و من الرواه له:

أبو داود الطيالسي

و ابن سعد

و أحمد بن حنبل

و الترمذى

و ابن أبى عاصم

و أبو بكر البزار

و النسائى

و أبو يعلى

و المحاملى

و الطبرانى

و الحاكم

ص: ٢٩٠

و ابن عبد البر

و ابن عساكر

و المزی

و الذهبي

و ابن كثير

و الهيثمي

و ابن حجر العسقلاني...و غيرهم (١).

و ممن أخرجه بتمامه من الأئمة: أحمد بن حنبل في المسند (٢).

فهذا من فضائل أمير المؤمنين و كمالاته التي لا تحصى، اتفق على روايته المؤلف و المخالف.

فقال ابن تيميه: إن هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ لو ثبت عن عمرو بن ميمون.

و فيه ألفاظ هي كذب على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله (٣).

أقول:

أمّا قوله «إن هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ فجهلٌ أو تجاهل:

ففي (المسند) و (الطبقات) و (كتاب السنّة) و (مسند البزار) و (الخصائص) و كتاب (المستدرک) و غيرها: «عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس» و جاء في (المعجم الكبير) في «مسند ابن عباس» عنوان: «عمرو بن ميمون عن ابن عباس» فأخرجه بطوله.

ص: ٢٩١

١ - ١) صحيح الترمذی ٣٠٥/٥، كتاب السنه ٥٨٨-٥٨٩ برقم ١٣٥١ كشف الأستار عن زوائد البزار ١٨٩/٣، خصائص على: ٧٥، المعجم الكبير ٧٧/١٢، المعجم الأوسط ١٦٦/٣، المستدرک على الصحيحين ٤/٣ و ١٣٢، الاستيعاب ١٠٩١/٣، تاريخ دمشق ٩٧/٤٢ و ٩٩، اسد الغابه ٨٩/٤، تهذيب الكمال ٤٨١/٢٠، البدايه و النهايه ٣٧٤/٧، مجمع الزوائد ١١٩/٩، تهذيب التهذيب ٢٩٥/٧ و غيرها.

٢- ٢) مسند أحمد ٣٣٠/١-٣٣١.

٣- ٣) منهاج السنّه ٣٤/٥.

و أما قوله: «لو ثبت عن عمرو بن ميمون» فكذلك:

فأبو داود الطيالسي يرويه: عن شعبه، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس.

و النسائي و البزار و غيرهما عن: محمد بن المثنى، عن يحيى بن حمّاد، عن أبي عوانه، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس....

و هكذا الأسانيد الأخرى... فلذا نصّ غير واحد من الأئمة على صحته:

كالحاكم النيسابوري، و ابن عبد البر، و المزي، و الذهبي، و أبي بكر الهيثمي و ابن حجر العسقلاني، و ناهيك بهم في معرفه الحديث عندهم، قال ابن عبد البر و المزي:

«هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد، لصحته و ثقته نقلته» (١).

و إذا ثبت صحه سنده، فالمكذب له هو الكاذب.

هذا، و لا يخفى أن هذه الفضائل من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، و لذا أدرجه النسائي في كتاب (خصائص علي)، و من هنا أيضاً عنوانه الحافظ محبّ الدين الطبري المكي بقوله: «ذكر اختصاصه بعشر» في كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشره المبشره) (٢).

و تلخص: إن هذا الحديث رواه الموافق و المخالف لأمر المؤمنين عليه السلام، و ليس في كتب المخالفين مثله - و لا أدون و أقلّ منه - في حق أبي بكر و تاليه.

و لا يخفى: أن كلّ واحد من هذه المناقب العشر له أسانيد خاصه في كتب القوم، بالإضافة إلى هذا السند الجامع لها.

ص: ٢٩٢

١- (١) الاستيعاب ١: ٩٢/٣، تهذيب الكمال ٢٠/٤٨١.

٢- (٢) الرياض النضرة: ٣/١٧٤-١٧٥.

إشارة

قال قدس سره: و منها: ما رواه أخطب خوارزم

الشرح:

ثم إن العلامه رحمه الله أورد عدّه أحاديث من روايات أخطب خوارزم، فكان أوّل شيء ردّ عليه ابن تيميه أن قال: «إن أخطب خوارزم هذا، له مصنّف في هذا الباب، فيه من الأحاديث المكذوبه ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفه بالحديث، فضلاً عن علماء الحديث، و ليس هو من علماء الحديث و لا ممن يرجع إليه في هذا الشأن ألبته» (١).

فأقول:

أولاً: كان مقصود العلامه في هذا المقام إيراد جملة من الأحاديث في فضائل و كمالات أمير المؤمنين عليه السلام اتفق على روايته الموافق و المخالف.

و ثانياً: إن هذه الأحاديث التي رواها عن أخطب خوارزم ليست مما ينفرد به هذا الرجل، و في طرقها كثيرٌ من الأعلام، بل رواها غيره من علماء أهل السنه أيضاً كما سيظهر.

و ثالثاً: إن أخطب خوارزم - هو أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي المتوفى سنه ٥٦٨ - فقيه، محدث، من علماء أهل السنه الكبار في القرنين الخامس و السادس، تخرّج بالزمخشري حتى قيل له: خليفه الزمخشري، و رحل في طلب العلم إلى البلاد كالحجاز و العراق، و لقي العلماء الكبار و أخذ عنهم و أجاز لهم.

و بالجملة، فإنه من فقهاء الحنفيّه، و من علماء الدين، و من رجال الأدب، كما يظهر من تراجمه في الكتب المشتهره:

ص: ٢٩٣

قال العماد الإصفهاني: «خطيب خوارزم، أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، من الأفاضل الأكابر فقهاً و أدباً، والأمثال الأكارم حسياً و نسباً» (١).

وقال الحافظ ابن النجار: «الموفق بن أحمد المكي، كان خطيب خوارزم، و كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً بليغاً، و من تلامذه الزمخشري» (٢).

وقال الصفدي: «كان متمكناً في العربية، غزير العلم، فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً. قرأ على الزمخشري، و له خطب و شعر و مناقب» (٣).

وقال أبو الوفاء القرشي في طبقاته: «الموفق بن أحمد بن محمد المكي، خطيب خوارزم، استاذ ناصر بن عبد الله صاحب المغرب، أبو المؤيد، مولده في حدود سنة ٤٨٤. ذكره القفطي في أخبار النحاه. أديب فاضل له معرفه في الفقه و الأدب. روى مصنفات محمد بن الحسن عن عمر بن محمد بن أحمد النسفي. و مات رحمه الله سنة ٥٦٨، و أخذ علم العربية عن الزمخشري» (٤).

ص: ٢٩٤

- ١ - ١) خريده القصر و جريده العصر، عنه: نفحات الأزهار ١٩/١٤٧، لعماد الدين الكاتب الإصفهاني، المتوفى ٥٩٧، ترجم له في: معجم الأدباء ١٩/١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٣، العبر ٤/٢٩٩، طبقات الشافعيه الكبرى ٦/١٧٨، مرآه الجنان ٣/٤٩٢ و غيرها.
- ٢ - ٢) ذيل تاريخ بغداد، عنه: اليقين للسيد ابن طاووس ١٦٦، للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣، ترجم له في: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٢٨، طبقات الشافعيه الكبرى ٨/٩٨، الوافي بالوفيات ٥/٧، البدايه و النهايه ١٣/١٩٧ و غيرها.
- ٣ - ٣) عنه: بغية الوعاه كما سيأتي، و توجد ترجمه الصفدي صاحب الوافي بالوفيات المتوفى سنة ٧٦٧ في: الدرر الكامنه ٢/٨٧، و طبقات الشافعيه لابن قاضي شهبه ٦/٤ و غيرها.
- ٤ - ٤) الجواهر المضيه في طبقات الحنفييه ٣/٥٢٣، لأبي الوفاء عبد القادر القرشي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥ و توجد ترجمته في: حسن المحاضره في محاسن مصر و القاهره ١/٤٧١ و غيره. و أما القفطي فقد ذكر الموفق الخوارزمي في كتابه إنباه الرواه بأنباء النحاه ٣/٣٣٢ و هو الوزير: جمال الدين علي بن يوسف الشيباني، من وزراء حلب، المتوفى سنة ٦٤٦، توجد ترجمته في حسن المحاضره ١/٥٥٤، بغية الوعاه ٣٥٨.

وقال التقى الفاسى: «الموفق بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد المكى، أبو المؤيد، العلامة، خطيب خوارزم، كان أديباً فصيحاً مفوّهاً، خطب بخوارزم دهرًا، وأنشأ الخطب، وأقرأ الناس، وتخرّج به جماعه، وتوفى بخوارزم فى صفر سنة ثمان و ستين و خمسمائه. ذكره هكذا الذهبى فى تاريخ الإسلام.

و ذكره الشيخ محى الدين عبد القادر الحنفى فى طبقات الحنفية و قال: ذكره القفطى فى أخبار النحاء، أديب فاضل، له معرفه بالفقه و الأدب. و روى مصنفات محمد بن الحسن عن عمر بن محمد بن أحمد النسفى» (١).

و قال الحافظ السيوطى: «الموفق بن أحمد بن أبى سعيد إسحاق، أبو المؤيد، المعروف بأخطب خوارزم. قال الصفدى: كان متمكناً فى العربية، غزير العلم، فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً. قرأ على الزمخشري، و له خطب و شعر. قال القفطى: و قرأ عليه ناصر المطرزي. ولد فى حدود سنة ٤٨٤ و مات سنة ٥٦٨» (٢).

و الخوارزمى -هذا- من كبار الحنفية فى زمانه، فقد ترجم له فى (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية) و (الطبقات السنية فى تراجم الحنفية) و (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية). و قد ألف الخوارزمى كتاباً فى مناقب أبى حنيفة، طبع فى حيدرآباد سنة ١٣٢١.

و فى كتاب (جامع مسانيد أبى حنيفة) تأليف محمد بن محمود الخوارزمى نقل

ص: ٢٩٥

١ - ١) العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين ٣١٠/٧، للتقى الفاسى المكى المتوفى سنة ٨٣٢. توجد ترجمته فى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٨/٧، طبقات الحفاظ للسيوطى ٥٤٩ و غيرهما. و الذهبى صاحب تاريخ الاسلام المتوفى سنة ٧٤٨ غنى عن التعريف. قلت: و ذكره الذهبى فى المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الديبى: ٣٦٠ أيضاً. و أما القفطى و أبو الوفاء عبد القادر الحنفى، فقد تقدم التعريف بهما.

٢ - ٢) بغيه الوعاه فى أخبار اللغويين و النحاء ٣٠٨/٢ للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١٠ و هو غنى عن التعريف.

كثير عن الموفق بن أحمد، واحتجاج بأقواله و أشعاره في مدح أبي حنيفة و غير ذلك، مع وصفه بأوصاف و ألقاب جليله كقوله: «الصدر العلامه أخطب خطباء الشرق و الغرب صدر الأئمه» (١).

و لا يخفى أن صاحب جامع المسانيد المتوفى سنة ٦٦٥ من كبار أئمه الحنفيّه المعتمدين المشهورين.

و تلخص: إن أخطب خوارزم عالم فقيه محدث أديب خطيب... لا يمكن تجاهله و إنكار قدره و منزلته بين أهل السنه.

و أما كتابه في الباب، فقد ذكر ابن تيميه أن فيه من الأحاديث المكذوبه ما لا يخفى.

أقول:

و أى كتاب من كتب القوم ليس فيه من الأحاديث المكذوبه، و إن أصح كتبهم - و هما كتابا البخارى و مسلم المعروفان بالصيحيين - قد نصّ غير واحد من أئمتهم على عدّه كبيره من أحاديثهما بالبطلان، و قد جمعنا كلمات بعضهم فى رساله تحت عنوان (الصحيحان فى الميزان).

لقد ذكرنا مراراً: أن مقصود العلامه من ذكر هذه الأحاديث هو التذكير ببعض فضائل و مناقب أمير المؤمنين بروايه المخالفين و الموافقين، مما لم يرو فى حق أئمه القوم، و لم يطعن فى صحته إلا المتعصبون منهم.

ثم إن كتاب الخوارزمى فى (مناقب الإمام على) يشتمل على طرف من فضائل الإمام عليه السلام يرويها بالأسانيد عن مشايخه عن الصحابه، مع رعايه جميع أحكام الروايه، من دون أن يلتزم فى أوله بالصحه، و مشايخه فى الأكثر محدثون معروفون فى

ص: ٢٩٦

البلاد المختلفه، فمنهم من يروى عنه بالكتاب و منهم بالإجازة و هكذا....

و ليس الخوارزمى بأول من أَلّف في (مناقب أمير المؤمنين) ولا - بالأخير، فإن كثيراً من أكابر القوم من المتقدمين و المتأخرين يفتخرون بروايه فضائله و مناقبه و كتابتها، بخلاف النواصب الذين لا يطيقون سماع واحده منها!

هذا، و قد اشتهر هذا الكتاب في الأوساط العلميه و اعتمد عليه جمع من علماء القوم في كتبهم المختلفه، مما يدل على اعتباره عندهم:

كالحافظ الكنجدى الشافعى، في غير موضع من كتابه.

و الحافظ الزرندى الحنفى.

و ابن الصباغ المالكى.

و الحافظ السمهودى الشافعى.

و ابن حجر الهيتمى المكى.

و ابن باكثير المكى.

و عبد العزيز الدهلوى الحنفى.

و قد أوردنا نصوص عباراتهم في كتابنا الكبير (1).

الحديث الأول: لو أن عبداً عبد الله...

رواه أبو المؤيد الموفق الخوارزمى بإسناده عن مسند زيد، فهو عن الحافظ شهردار بن شيرويه الديلمى الهمدانى، عن شيخه أبى الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمدانى كتابه، قال: حدّثنى الشيخ أبو طاهر الحسين بن على بن مسلمه، و هو يرويه عن زيد بن على.

ص: ٢٩٧

و زيد بن علي، يرويه عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال لعليّ....

و حاصل معنى الحديث: أن ولايه علي عليه السلام شرط للدخول في الجنّة، فمن أبغضه لا يدخلها ألّبتّه. و هذا المعنى وارد في أحاديث كثيرة يرويها أصحاب المسانيد و السنن بألفاظ مختلفه... فلو أن أحداً أظهر الشهادتين و صلّى و صام و حجّ و جاء بجميع الواجبات في الشريعة، و هو مبغض لأمر المؤمنين عليه الصّلاه و السلام، فهو منافق، بحكم قوله صلّى الله عليه وآله: «يا علي، لا- يحبّك إلا- مؤمن و لا- يبغضك إلا منافق» (١). و حكم المنافقين في الآخرة معلوم بالكتاب و السنّه، و هذا هو السبب لتكذيبهم مثل هذه الأحاديث! بل إن نفس هذا المعنى وارد في أحاديث كثيرة نصّ بعض أئمتهم على صحته:

ففي حديث أخرجه الحاكم عن ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«فلو أن رجلاً- صفن بين الركن و المقام، فصلّى و صام، ثم لقي الله و هو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار» قال: «هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه».

و وافقه الذهبي في تلخيصه (٢).

و في حديث آخر، أخرجه الطبراني و ابن عساکر و الخطيب و غيرهم، عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لو أن عبداً عبد الله بين الركن و المقام

ص: ٢٩٨

-
- ١ - ١) مسند الحميدى ٣١/١، السنن الكبرى للنسائي ١٣٧/٥، مسند أبي يعلى ٢٥١/١، المعجم الأوسط ٣٣٧/٢، كنز العمال ٥٩٨/١١، مسند أحمد ٩٥/١، سنن الترمذى ٣٠٦/٥، مجمع الزوائد ١٣٣/٩، فتح البارى ٦٠/١.
- ٢ - ٢) المستدرک على الصحيحين ١٤٩/٣.

ألف عام و ألف عام، حتى يكون كالشئ البالى، و لقي الله مبغضاً لآل محمد، أكبه الله على منخره فى نار جهنم» (١).

و فى حديث ثالث، أخرجه ابن عساكر و غيره، عن أبى امامه الباهلى عنه صلى الله عليه و آله: «و لو أن عبداً عبد الله بين الصيفا و المروه ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام، ثم لم يدرك محبتنا [صحبتنا] لأكبه الله على منخره فى النار، ثم تلا «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٢).

و مثلها أحاديث أخرى عن غيرهم من الصحابه.

لكن الثابت فى محلّه فوق ذلك أيضاً، لأن مقتضى الأدله اشتراط ذلك بالقول بإمامته بعد رسول الله مباشرة، و ليس هنا موضع تفصيل الكلام فيه.

و المهم: أن نعرف أن هذا المعنى وارد فى كتب الموافقين و المخالفين بالأسانيد و بعضها صحيح، بالنسبه إلى أمير المؤمنين و أهل البيت الطاهرين، أمّا ما ورد فى الكتب بالنسبه إلى غيرهم من القدرح و الطعن، فلا تجد شيئاً منه فى أمير المؤمنين و أهل بيته، فأى الطرفين هو الأولى بالاتباع؟

الحديث الثانى: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبك لعلى!

وَرَدَ هذا الحديث فى غير واحد من كتب المعتقدين بخلافه أبى بكر، لكنهم لم يرووا مثله فيه، فلم ينقلوا أن سلمان كان يحبّ أبا بكر حتى يسأله رجل عن شدّه حبه له، فيروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله شيئاً من هذا الباب فى حق أبى بكر بن أبى قحافه!

ص: ٢٩٩

١-١) تاريخ بغداد ١٢٤/١٣، مجمع الزوائد ١٧١/٩، تاريخ دمشق ٣٢٨/٤٢، الخصائص الكبرى ٢٦٥/٢، ذخائر العقبى: ١٨.

٢-٢) تاريخ دمشق ٤٢/٤٥-٤٦.

و لقد كذَّب به ابن تيميّه! (١) و ما أدري هل كذَّب سؤال الرجل من سلمان؟ أو سماع سلمان من رسول الله هذا الكلام؟ أو أصل أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قد قاله؟

أمّا أن رجلاً سأل سلمان و أجاب رضى الله عنه بذلك، فقد أخرجه الحاكم بإسناده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: «قال رجل لسلمان: ما أشدَّ حبِّك لعلي! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من أحبَّ علياً فقد أحبَّني و من أبغض علياً فقد أبغضني.»

و قد صحَّحه الحاكم على شرط البخارى و مسلم.

و وافقه الذهبي (٢).

فاحكم على ابن تيميّه و أتباعه بما يقتضيه الدين و الإنصاف.

و أمّا أن رسول الله قال هذا الكلام، فقد أخرجه عدّه من الأئمة الأعلام من أهل السنّه، عن غير واحد من صحابته عليه و آله الصلاه و السلام، و نكتفى بكلام الحافظ ابن عبد البر، لئلا يطول بنا المقام. فإنه قال بترجمه الإمام على عليه السلام:

«قال صَلَّى الله عليه و آله: من أحبَّ علياً فقد أحبَّني و من أبغض علياً فقد أبغضني، و من آذى علياً فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله» (٣).

فليعرف ابن تيميّه من كان فى شك من أمره إلى هذه الساعه!!

الحديث الثالث: خلق الله من نور وجه على...

رواه أبو المؤيد الخوارزمي عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار

ص: ٣٠٠

١-١ (١) منهاج السنّه ٣٧/٥.

٢-٢ (٢) المستدرک على الصحيحين ١٣٠/٣.

٣-٣ (٣) الاستيعاب فى معرفه الأصحاب ١١٠١/٣.

الهمداني (١) بإسناده من طريق محمد بن أحمد بن شاذان، عن هديبه بن خالد (٢)، عن حماد بن سلمه، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك.

و هذا من جملة الأحاديث الواردة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَبِّ الْمَلَائِكَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشِيعَتِهِ وَاسْتِغْفَارِهَا لَهُمْ، وَهِيَ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ وَمُضَامِينَةٌ جَلِيلَةٌ.

و من أطرف هذه الأحاديث ما رواه الخوارزمي أيضاً من طريق الحافظ أبي العباس ابن عقده الكوفي (٣) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر عبد الله بن عبد الرحمن قال: سمعت عثمان بن عفان قال سمعت عمر بن الخطاب:

سمعت أبا بكر بن أبي قحافة سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَلَقَ مِنْ نُورِ وَجْهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَلَائِكَةً يَسْبُحُونَ وَيُقَدِّسُونَ وَيَكْتُبُونَ ثَوَابَ ذَلِكَ لِمَحَبَّتِهِ وَوَجْهِ وَلَدِهِ» (٤).

و كذلك كانت عقيدته الصحابه فيه عليه السلام: ففي كتاب الفضائل لأحمد، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «و ذكر عنده علي بن أبي طالب فقال: إنكم لتذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته» (٥).

بل في حديث أخرجه ابن عساكر: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَسْتَغْفِرُ بِنَفْسِهِ لِشِيعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ فِي خُطْبِهِ لَهُ رَوَاهَا جَابِرٌ وَ لَفْظُهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَنِي أَسْمَاءَ أُمَّتِي كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَ مِثْلَ لِي أُمَّتِي فِي الطِّينِ، فَمَرَّ بِي أَصْحَابُ الرَّيَّاتِ،

ص: ٣٠١

١-١) توجد ترجمته في الكامل في التاريخ ٤١١/١١.

٢-٢) صحف في الكتاب إلى: حديه بن غالب.

٣-٣) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٥٨/٧، البدايه و النهايه ٢٣٦/١١.

٤-٤) مقتل الحسين ٩٧/١.

٥-٥) مناقب أحمد: ١٦٢ رقم ٢٣٧ من زيادات القطيعي.

هذا، و لو أردنا تصحيح أسانيد ما رووه في هذا الباب لطال بنا المقام، لكن المهم:

هو أن هذه أحاديث رواها الموافق و المخالف، و لم يرد مثلها في حق أبي بكر حتى في كتب المعتقدين بإمامته... فمن الأولى بالاتباع؟

الحديث الرابع عن ابن عمر: من أحبّ علياً...

و هذا الحديث رواه الخوارزمي عن أبي العلاء العطار المتقدم، من طريق محمد بن أحمد بن شاذان، بإسناده عن مالك بن أنس عن نافع، عن ابن عمر قال قال رسول الله... و قد ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال - و تبعه ابن حجر في لسانه - بترجمه ابن شاذان هذا، حيث أورد بعض رواياته في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و من ذلك هذا الحديث إذ قال:

«و لقد ساق أخطب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطله سمجه ركيكه في مناقب السيد علي رضي الله عنه. من ذلك بإسناده مظلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: من أحبّ علياً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينه في الجنة» (٢).

و لكن شيخ الاسلام الجويني قد روى هذا الحديث بإسناده عن الخطيب الخوارزمي، و هذا نصّ كلامه:

«أنبأني الرشيد محمد بن أبي القاسم بن عمر المقرئ، عن محي الدين يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي إجازة، عن ناصر بن أبي المكارم كتابه عن أبي المؤيد ابن أحمد الخطيب إذناً إن لم يكن سماعاً، قال: أنبأنا الحافظ الحسن بن

ص: ٣٠٢

١- ١) تاريخ دمشق ١٤٩/٢٠.

٢- ٢) ميزان الاعتدال ٤٦٧/٣، لسان الميزان ٦٢/٥.

أحمد أبو العلاء العطار، و نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي قالاً: أنبأنا الشريف نور الهدى علي بن الحسن بن محمد بن علي أبو طالب الزينبي، عن الإمام محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان...» (١).

فأقول:

إن كل ما ذكره الذهبي دعاوى مجرّده!

أولاً: لم يترجم الذهبي ابن شاذان و لم يذكر له كلمه مدح أو ذمّ من أحد من علماء الرجال، و كأنه إنما عنونه من أجل تكذيب رواياته في فضائل أمير المؤمنين و مناقبه! فبأى وجه عبّر عنه بالدجال؟

و ثانياً: كيف يصف رواياته في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بأنها «باطله سمجه ركيكه»، و الحال أن من بينها أحاديث قطعيه و أخرى لها شواهد تقويها؟

و ثالثاً: تعبيره عن أمير المؤمنين عليه السلام ب«السيد علي» الذي لا ريب في أنه استخفاف بمقام الإمام عليه السلام، من القرائن الواضحة الدلالة على نصبه له عليه الصلاه و السلام.

و رابعاً: إن شيخ الإسلام الجويني من مشايخ الذهبي، كما في كتاب (المعجم المختص) الذي وضعه لذكر مشايخه.

و خامساً: الرشيد المقرئ، ترجم له الحافظ ابن حجر و وصفه بأوصاف جليله كقوله: «كامل العقل متين الديانه، له فضل و صيانه» (٢).

و سادساً: محي الدين ابن الجوزي، ترجم له الذهبي و جماعه. و قد ذكر بترجمته:

«روى عنه: الدمياطي و الرشيد بن أبي القاسم و جماعه. و درس و أفتى و ناظر و تصدّر للفقّه و وعظ، و كان صدرأ كبيراً وافر الجلاله، ذا سمت و هيبه و عباره فصيحته، و رسل به

ص: ٣٠٣

١-١) فرائد السمطين ٢/٢٥٨.

٢-٢) الدرر الكامنه بأعيان المائه الثامنه ٤/١٥٠.

الملوك و بلغ أعلى المراتب، و كان محمود الطريفة محبباً إلى الرعيه...قال شمس الدين ابن الفخر: أما رياسته و عقله فتنتقل بالتواتر» (١).

و سابقاً: إن ناصر بن أبي المكارم-تلميذ الخطيب الخوارزمي-من فقهاء الحنفية، و كبار علماء الأدب و العربيه، ترجم له في سائر كتب طبقات الأدباء و الفقهاء (٢).

و ثامناً: إن الخطيب الخوارزمي من الفقهاء و الأدباء الكبار، كما تقدم.

و تاسعاً: إن أبا العلاء العطار الهمداني من كبار الحفاظ الثقات، كما أشرنا من قبل.

فأقول: هل هؤلاء كلهم يروون هذا الحديث «الباطل»، «السمج» «الركيك» و «ياسناد مظلم»؟ إن كانوا عالمين بذلك، فلما ذا يروون هكذا حديث؟ و إن كانوا جاهلين، فكيف جهلوا و الذهبي علم بذلك؟

ثم أقول: إن أغلب جمل هذا الحديث لها شواهد في الأحاديث الأخرى، فلو كان سنده ضعيفاً فإنه يقوى بغيره كما هي القاعده المقرره عندهم. لكن قوله صلى الله عليه و آله: «ألا، و من أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمه الله» هو الموجع لقلوب القوم، فيضطروهم إلى تكذيب مثل هذه الأحاديث المتفق عليها بين الفريقين! نسأل الله السلامه و حسن العاقبه!

الحديث الخامس: عن ابن مسعود..

و هذا الحديث رواه ابن عساكر بترجمه أمير المؤمنين عليه السلام في سياق أحاديث رواها بأسانيده في حبه و بغضه، و نحن نقتصر بذكره مع ما قبله و بعده فقط، قال: «أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر.

ص: ٣٠٤

١-١) سير أعلام النبلاء ٣٧٣/٢٣.

٢-٢) معجم الأدباء ٢٠٢/٧، الجواهر المضيئه في طبقات الحنفية ١٩٠/٢، وفيات الأعيان ١٥١/٢، بغية الوعاه في طبقات اللغويين و النحاه: ٤٠٢.

ح و أخبرنا أبو طاهر إبراهيم بن الحسن بن طاهر عنه، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، نا محمد بن يونس، حدثني أبي، نا محمد بن سليمان بن ميمون المخزومي، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبيه قال:

خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يوم الجمعة فقال: «يا أيها الناس قَدِّمُوا قَرِيشًا وَ لَا تَقَدِّمُوا هَا، وَ تَعَلَّمُوا مِنْهَا وَ لَا تَعَلِّمُوا هَا، قَوْه رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قَوْه رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَ أَمَانَهُ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَهُ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحَبِّ ذِي أَقْرَبِيهَا أَخِي وَ ابْنِ عَمِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَ لَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَ مَنْ أَبْغَضَنِي عَدَّبه اللهُ عِزُّ وَ جَلٌّ».

أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، نا عثمان بن محمد بن أبي شيبه - و سمعته أنا من عثمان ابن محمد - نا محمد بن فضيل، عن عبد الله بن عبد الرحمن أبي نصر، حدثني مساور الحميري، عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يقول لعلي: «لَا يَبْغُضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يَحِبُّكَ مُنَافِقٌ».

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل و أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، قالوا: أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو عمرو بن حمدان. ح و أخبرتنا أم المجتبي فاطمه بنت ناصر، قالت: قرئ علي إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقرئ، أنا أبو يعلى، نا أبو هاشم الرفاعي، نا ابن فضيل، نا أبو نصر عبد الله بن عبد الرحمن، عن مساور الحميري، عن أمه، عن أم سلمة قالت:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لعلي: «لَا يَحِبُّكَ مُنَافِقٌ، وَ لَا يَبْغُضُكَ مُؤْمِنٌ»

و قال ابن المقرئ: لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق.

قالا: و أنا أبو يعلى، أنا الحسن بن حماد - زاد ابن المقرئ: الكوفى - نا محمد بن فضيل، عن أبي نصر، عن مساور الحميرى، عن أمه، عن أم سلمه قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «لا يحبّ علياً منافق، و لا يبغضه مؤمن».

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندى، أنا أبو الحسين بن النقور، أنا عيسى بن على، نا عبد الله بن محمد، نا أحمد بن عمران الأحنسى قال: سمعت محمد بن فضيل، نا أبو نصر عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى، عن مساور الحميرى، عن أمه، عن أم سلمه قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلى: «ما يحبك إلا مؤمن، و ما يبغضك إلا منافق».

أخبرنا أبو محمد بن طاوس، أنا أبو الغنائم بن أبى عثمان، نا محمد بن أحمد بن محمد بن رزقويه - إملاء - نا محمد بن أحمد بن يوسف بن يزيد الكوفى، نا أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن يزيد، عن أبيه، عن جدّه إسحاق بن يزيد، عن ابن عمر العنبرى، عن زُفر، عن سالم بن أبى الجعد، عن أم سلمه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى بن أبى طالب: «لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق أو كافر».

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندى، أنا عاصم بن الحسن، أنا أبو عمر بن مهدى، أنا أبو العباس بن عقده، نا الحسن بن على بن بزيع، نا عمر بن إبراهيم، نا سوار بن مصعب الهمدانى، عن الحكم بن عتيبه، عن يحيى بن الجزار، عن عبد الله بن مسعود قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «من أنه زعم آمن بى و ما جئت به و هو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن».

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، و أبو عبد الله البارع، و أبو على بن السبط، و أبو غالب محمد بن أحمد بن الحسين بن قرش، قالوا: أنا أبو الغنائم بن المأمون، نا على بن عمر بن محمد الحربى، نا أحمد بن محمد الصيدلانى، نا الحسن بن عرفه، نا.

ح و أخبرنا أبو المظفر بن أبي القاسم، أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو عمرو بن حمدان.

ح و أخبرتنا أم المجتبي العلويه قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقرئ، قالوا: أنا أبو يعلى، أنا الحسن بن عرفه، نا.

و قال ابن المقرئ: عن سعيد بن محمد الوراق الثقفي.

ح و أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن غانم بن عبد الواحد الخطيب و أبو زيد شكر بن أحمد بن محمد الأديب و أبو علي الحسن بن البغدادي و لقيه بنت المفضل بن عبد الخالق، قالوا: أنا القاسم بن الفضل بن أحمد، قالوا: أنا أبو الحسين محمد بن....

و أنبأنا أبو القاسم بن بيان، و أخبرنا خالي أبو المكارم سلطان بن يحيى و أبو سليمان داود بن محمد عنه، قالوا: أنا أبو الحسن بن مخلد.

ح و أخبرنا أبو النجم بدر بن عبد الله الشيعي، أنا أبو بكر الخطيب، أنا أبو عمر بن مهدي، و محمد بن أحمد بن رزق، و محمد بن الحسين بن الفضل، و عبد الله بن يحيى السكري، و محمد بن محمد بن محمد بن مخلد، قالوا: أنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار، نا أبو علي الحسن بن عرفه بن يزيد العبدى، حدثني سعيد بن محمد الوراق، عن علي بن الحزوز قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول:

سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلي: «طوبى لمن أحتيك، و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب فيك. لفظهم متقارب» (1).

الحديث السادس: لا يزول قدم عبد...

و هذا الحديث من أهم الأحاديث و أصحها. قال الحافظ أبو بكر الهيثمي:

ص: ٣٠٧

«و عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، و عن جسده فيم أبلاه، و عن ماله فيم أنفقه و من أين اكتسبه، و عن حَبِّنا أهل البيت.

رواه الطبراني في الكبير و الأوسط، و فيه: حسين بن الحسن الأشقر، و هو ضعيف جداً، و قد وثَّقه ابن حَبَّان مع أنه يشتم السلف.

و عن أبي برز، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن جسده فيم أبلاه، و عمره فيم أفناه، و ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه، و عن حَبِّنا أهل البيت. قيل: يا رسول الله! فما علامه حَبِّكم؟ فضرب بيده على منكب علي رضي الله عنه.

رواه الطبراني في الأوسط» (١).

أقول:

أولاً: لم يتكلم في سند الحديث الثاني، مع أنه تكلم في الأول.

و ثانياً: السائل: «يا رسول الله! فما علامه حَبِّكم؟» هو: «عمر بن الخطاب»، و قد جاء هنا: «قيل».

و ثالثاً: في ذيله: «و آيه حَبِّي حبَّ هذا من بعدى»؛ و لم يذكره.

و رابعاً: كلامه في «حسين الأشقر» مردود، و قد أوضحنا وثاقه هذا الرجل في بحوثنا.

و «عن أبي الطفيل، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل به، و عن ماله مما اكتسبه، و فيم أنفقه، و عن حبِّ أهل البيت. فقيل: يا رسول الله! و من هم؟ فأوماً بيده إلى علي بن أبي طالب».

ص: ٣٠٨

أقول:

أخرجه ابن عساكر؛ «عن مشايخه، عن الباغندي، عن يعقوب بن إسحاق الطوسي، عن الحارث بن محمد المكفوف، عن أبي بكر بن عياش، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر» (١).

و لا مساغ للطعن في هذا الحديث سنداً.

نعم، هو من حيث المتن و الدلالة مما لا تحتمله نفوس القوم، و لذا تراهم يصفونه بالبطلان، من غير جرح لأحد من رواته!!

فقد عنون الذهبي في ميزانه «الحارث بن محمد المعكوف (٢) و لم يجرحه بشي، إلا أنه قال ما نصه: «أتى بخبر باطل؛ حدثنا أبو بكر بن عياش، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر مرفوعاً: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن حبا أهل البيت؛ و أوماً إلى علي. رواه أبو بكر بن الباغندي، عن يعقوب بن اسحاق الطوسي، عنه» (٣).

أكتفى بهذا، لئلا يطول بنا البحث، كما أكتفى بالإشارة إلى أن للقوم في هذا الحديث تصرفات، فلا بد من التحقيق عنه ممن كان أهلاً لذلك.

الحديث السابع: بأي لغة خاطبك ربك؟

يشهد بصحته طائفتان من الأحاديث الثابتة عند الفريقين:

الأولى: ما ورد في أن النبي و عليّاً-عليهما الصلاة و السلام-مخلوقان من نور واحد، و أن وجودهما كلمه نور لا- يشوبه ظلمه، بخلاف سائر الصحابه، فقد كان في وجودهم ظلمه، و لذا كان أكثرهم- و بعضهم في أكثر عمره- مشركين.

ص: ٣٠٩

١- (١) تاريخ دمشق ٢٥٩/٤٢-٢٦٠.

٢- (٢) كذا؛ لكن في لسان الميزان ١٥٩/٢، و تاريخ دمشق ٢٥٩/٤٢: «المكفوف».

٣- (٣) ميزان الاعتدال ٤٤٣/١.

و الثانية: ما ورد فى أن أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ الناس إلى الله و رسوله صلى الله عليه و آله من سائر الناس على الإطلاق.

الحديث الثامن: لو أن الرياض أقلام

أورده الذهبى فى ميزانه بترجمه ابن شاذان، قال: «محمد بن أحمد بن على بن الحسين [الحسن] بن شاذان. روى عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن أحمد بن أبى الثلج، عن الحسن بن محمد بن بهرام، عن يوسف بن موسى القطان، عن جرير، عن ليث، عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو أن الغياض أقلام و البحر مداد و الجن حِـبّاب و الإنس كتاب، ما أحصوا فضائل على.

هذا كذب. رواه نور الهدى أبو طالب الزينبى عن هذا الشيخ» (١).

أقول:

لم يذكر لنا الذهبى -أو غيره ممن تبعه- السبب! و قد تقرّر أن الجرح غير المعلّل غير مقبول: قالوا: «و لا- يقبل الجرح إلّا مبيّن السبب، لأنه يحصل بأمر واحد و لا يشق ذكره، و لأن الناس مختلفون فى أسباب الجرح، فيطلق أحدهم الجرح بناءً على ما اعتقده جرحاً و ليس بجرح فى نفس الأمر، فلا بدّ من بيان سببه ليظهر هل هو قادح أو لا؟

قال ابن الصلاح: و هذا ظاهر مقرّر فى الفقه و أصوله، و ذكر الخطيب أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث، كالشيخين و غيرهما...» (٢).

و على الجملة، فإنّ تكذيب الذهبى لهذا الحديث لا يسمع بوجه.

و كيف يمكن إحصاء فضائل أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السلام للجنّ و الإنس؟

ص: ٣١٠

١- ١) ميزان الاعتدال ٤٦٦/٣.

٢- ٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ٢٥٨/١.

نعم، ذاك ممكن للملائكة، وقد ورد في روايه الفريقين:- إنَّ حافظى على ليفتخران على سائر الحفظه، لأنهما لم يحصيا عليه سيئهُ قط!

و من العجب أنهم يدعون لأبى بكر أنه أفضل صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله و أن فضائله لا تحصى، و الحال أن كبار الأئمه كأحمد بن حنبل و النسائى يصرحون بورود الأحاديث الصحيحه و المعتبره فى فضل على عليه السلام ما لم يرد فى حق غيره من الأصحاب مطلقاً....

الحديث التاسع: ان الله جعل لعلى فضائل

و هذا الحديث أيضاً أورده بترجمه ابن شاذان قال: «و روى نور الهدى عنه:

حدَّثنا الحسن بن أحمد المخلدى، عن حسين بن إسحاق، عن محمد بن زكريا، عن جعفر بن محمد بن عمّار، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن على... ثم قال الذهبى: «هذا من أقطع ما وضع» (١).

أقول:

و رواه الحافظ أبو عبد الله الكنجى قائلًا: «ذكر فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب من آيات القرآن لا يمكن جعله علاوه كتاب واحد، بل ذكر شىء منها و ذكر جميعها يقصر عنه باع الإحصاء، و يدلّك على صدق ما ذهب إليه مؤلف الكتاب محمد بن يوسف بن محمد الكنجى الشافعى عفى الله عنه هو: ما أخبرنا الشيخ المقرئ أبو إسحاق بن برکه الكتبى -بالموصل- عن الإمام الحافظ صدر الحفاظ أبى العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطار، عن الشريف الأجل نور الهدى أبى طالب الحسين بن محمد بن على الزينبى، عن محمد بن أحمد بن على بن

ص: ٣١١

و بهذا الإسناد، عن ابن شاذان قال: حدّثني أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي من كتابه، عن الحسين بن إسحاق....

قلت: ما كتبناه إلا من حديث ابن شاذان. رواه الحافظ الهمداني في مناقبه و تابعه الخوارزمي» (١).

ترجمه أبي العلاء العطار

فظهر أن للحافظ أبي العلاء العطار كتاباً في مناقب أمير المؤمنين، و قد روى هذا الحديث فيه، و إذا ما عرف الإنسان المؤمن المنصف هذا الحافظ في علمه و ورعه و زهده، فسيكون القدر المتيقن له عدم جواز التسرع على الحكم بوضع هذا الحديث الشريف، و إليك طرفاً من أحواله من الكتب المعتمّرة و خاصّه من سير أعلام النبلاء:

قال الذهبي: «الإمام الحافظ المقرئ العلامة شيخ الإسلام أبو العلاء... شيخ همدان بلا مدافعه... قال أبو سعد السمعاني: هو حافظ متقن و مقرئ فاضل، حسن السيرة جميل الأمر مرضى الطريفة عزيز النفس، سخي بما يملكه، مكرم للغرباء، يعرف الحديث و القراءات و الآداب معرفه حسنه، سمعت منه بهمدان.

و قال الحافظ عبد القادر: شيخنا أشهر من أن يعرف، تعدّر وجود مثله من أعصار كثيره، على ما بلغنا من سير العلماء و المشايخ. أربى على أهل زمانه في كثرة السماعات مع تحصيل أصول ما يسمع و جوده النسخ و إتقان ما كتبه بخطه... و برع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلّق بالحديث من الأنساب و التواريخ و الأسماء و الكنى و القصص و السير... و كان يقرئ نصف نهاره الحديث و نصفه القرآن و العلم. و لا يغشى

ص: ٣١٢

السلطين و لا تأخذه فى الله لومه لائم...و كان حسن الصّلاه،لم أر أحداً من مشايخنا أحسن صلاه منه...و كان يفتح عليه من الدنيا جمل،فلم يدّخرها بل ينفقها على تلامذته،و كان عليه رسوم لأقوام،و ما كان يبرح عليه ألف دينار همدانيه أو أكثر من الدين مع كثره ما كان يفتح عليه».

ثم قال الذهبي:«كان أبو العلاء الحافظ فى القراءات أكبر منه فى الحديث،مع كونه من أعيان أئمه الحديث،له عدّه رحلات إلى بغداد و أصبهان و نيسابور»ثم روى بإسناده عنه حديثين (١).

و كذلك ترجم له فى سائر كتب التاريخ و الرجال.

و قال الصفدى:«و جمع بعضهم كتاباً فى أخباره و أحواله و كراماته و ما مدح به من الشعر و ما كان عليه» (٢).

الحديث العاشر:لمبارزه على...

قال الحاكم:«حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب،ثنا أحمد بن عبد الجبار،ثنا يونس بن بكير،عن محمد بن عبد الرحمن،عن الحكم،عن مقسم،عن ابن عباس -رضى الله عنهما-قال:قتل رجل من المشركين يوم الخندق،فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله صلى الله عليه و آله حتى أعطوه الديه.و قتل من بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد ود،قتله على بن أبى طالب مبارزه.

هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

و له شاهد عجيب:حدّثنا لؤلؤ بن عبد الله المقندرى (٣) فى قصر الخليفه ببغداد،

ص:٣١٣

١-١) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٠-٤٧.

٢-٢) الوافى بالوفيات ١١/٢٩٦.

٣-٣) فى تاريخ بغداد:القيصرى.

ثنا أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب المصري بدمشق، ثنا أحمد بن عيسى الخشاب بتيس، ثنا عمرو بن أبي سلمه، ثنا سفيان الثوري، عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: لمبارزه علي... الحديث» (١).

و قال الخطيب: «لؤلؤ بن عبد الله، أبو محمد القيصري. حدّث عن... حدّثنا عنه:

علي بن عبد العزيز الطاهري و أبو بكر البرقاني و القاضي أبو العلاء الواسطي و محمد بن عمر بن بكير المقرئ.

أخبرنا الطاهري، حدّثنا لؤلؤ بن عبد الله القيصري، حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النصيبي الصوفي بالموصل، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن شدّاد، قال: حدّثني محمد بن سنان الحنظلي، حدّثني إسحاق بن بشر القرشي، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي....

سألت البرقاني عن لؤلؤ القيصري فقال: كان خادماً، حضر مجلس أصحاب الحديث، فعلّقت عنه أحاديث. فقلت: فكيف حاله؟ قال لا أخبره.

قلت: و لم أسمع أحداً من شيوخنا يذكره إلا بالجميل» (٢).

و أرسله سعد الدين التفتازاني إرسال المسلم (٣).

فهل يصغى المؤمن المنصف لقول الذهبي: «قبح الله رافضياً افتراه» (٤).

ثم إن هذا الحديث قد ورد في بعض الكتب المعتمده للقوم بلفظ آخر:

قال في المواقف: «تواتر مكافحته للحروب و لقاء الأبطال و قتل أكابر الجاهليّه، حتى قال عليه السلام يوم الأحزاب: لضربه على خير من عباده الثقلين، و تواتر وقائعه

ص: ٣١٤

١-١) المستدرک ٣/٣٢٢.

٢-٢) تاريخ بغداد ١٣/١٩١٩.

٣-٣) شرح المقاصد ٢/٣٠٠.

٤-٤) تلخيص المستدرک. ذيله ٣/٣٢٢.

فى خبير و غيره» (١).

و كذا أرسله إرسال المسلم فى شرح المقاصد (٢).

و فى بعض الكتب أنه عليه السلام لما خرج إلى عمرو بن عبد ود قال رسول الله:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله» (٣).

و عند المقارنه بين كل هذا المتفق على روايته بين الموافقين و المعتقدين لخلافه أبى بكر، و بين ما ثبت بالقطع و اليقين، من فرار أبى بكر و غيره فى أحد و حنين، يظهر من الأولى بالاتباع، و هذا هو مقصود العلامة الحللى!

الحديث الحادى عشر: حديث سعد فى مجلس معاويه

و هذا من جمله الأخبار الثابته، حتى أن ابن تيميه ما وسعه تكذيبه فقال: «فهذا حديث صحيح. رواه مسلم فى صحيحه و فيه ثلاث فضائل لعلى.

قال: «لكن ليست من خصائص الأئمه و لا من خصائص على...» قال: «فإنه استخلف على المدينه غير واحد... و كذلك قوله: لأعطين الرايه رجلاً... و هذا الحديث أصح ما روى لعلى من الفضائل، أخرجاه فى الصحيحين من غير وجه. و ليس هذا الوصف مختصاً بالأئمه و لا بعللى، فإن الله و رسوله يحب كل مؤمن تقى و كل مؤمن تقى يحب الله و رسوله... و كذلك حديث المباله، شركه فيه فاطمه و حسن و حسين...» (٤).

أقول: الكلام هنا فى ثلاث جهات:

ص: ٣١٥

١- ١) شرح المواقف ٣٧١/٨.

٢- ٢) شرح المقاصد ٣٠١/٢.

٣- ٣) شرح نهج البلاغه ٢٦١/١٣.

٤- ٤) منهاج السنه ٤٤/٥-٤٥.

الأولى: إن هذا الحديث صحيح باصطلاح القوم بحيث اعترف ابن تيميه أيضاً بذلك، فلم تبقى حاجهٌ لذكر أسانيده و مخرجه من أئمه القوم، فهذه جهه السند.

الثانيه: الدلاله، وفيها أمور نشير إليها:

١- عداة معاويه لأمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى أنه كان يأمر بسبّه.

٢- عدم جواز سبّ علي عليه الصّلاه و السّلام، لأنه كان محبوباً عند الله و رسوله، بل كان نفس رسول الله، و لذا جعله الخليفه له و نزله من نفسه بمنزله هارون من موسى.

فكيف يجوز سبّ من اختص عند الله و رسوله بالمنازل التي قال سعد: «لأن تكون لي واحده منهم أحبّ إليّ من حمر النعم».

٣- و المنازل المذكوره في هذا الحديث هي:

حديث المنزله. و حديث خبير، و حديث آيه المباهله.

أقول:

أمّا هذه الأحاديث، فسيأتى بيان كون كلّ منها خصيصه لأمير المؤمنين عليه السلام- تدلّ على إمامته و ولايته العامه بعد رسول الله صلي الله عليه و آله بلا فصل - بالتفصيل، حيث يتعرّض العلّامه له إن شاء الله. و سيظهر هناك أن ليس كلام ابن تيميه إلا مغالطه و مجادله بالباطل.

لكن دلالة الحديث- بكلّ صراحه و وضوح- على بغض معاويه لأمير المؤمنين و هو نفس رسول الله في حياته و خليفته بعد وفاته، ممّا يصعب على أتباع معاويه و أنصار بني أميه الاعتراف به، بل يحاولون كتمانته إذ لم يمكنهم إنكاره، و لذا تراهم يحزّفون لفظ الخبر، فتجده في كتبهم بأنحاء مختلفه:

ففي صحيح مسلم و سنن الترمذى: «أمر معاويه بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلي الله عليه

و سلم فلن أسبّه، لأن تكون لي واحده منهم أحبّ إلي من حمر النعم...» (١).

و في المستدرک: «قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب؟ فقال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله...» (٢).

و في بعض الكتب: «قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل على سعد، فذكروا عليّاً، فقال منه، فغضب سعد...» (٣).

و رواه ابن كثير، فحذف منه: «فقال منه فغضب سعد» (٤).

و في كتاب المناقب لأحمد: «إنه ذكر علي عند رجل و عنده سعد بن أبي وقاص.

فقال له سعد: أتذكر عليّاً؟...» (٥).

و عند النسائي عن سعد: «كنت جالساً، فتنقّصوا علي بن أبي طالب، فقلت: لقد سمعت...» (٦).

و جاء بعضهم، فحذف القصه كلّها، و روى عن سعد رأساً فقال: «عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم في علي ثلاث خلال...» (٧).

هذا، و لا يخفى الاختلاف في الثلاثة، فبعضهم روى فيها حديث الغدير و بعضهم حديث المباهله، و الله العالم.

ص: ٣١٧

١-١) صحيح مسلم ١٢٠/٧، سنن الترمذى ٣٠١/٥.

٢-٢) المستدرک على الصحيحين ١٠٨/٣.

٣-٣) المصنف ٤٩٦/٧.

٤-٤) البدايه و النهايه ٣٧٦/٧.

٥-٥) المناقب لاحمد بن حنبل: ١٤٨ برقم ٢١٧ و هو من زيادات القطيعى.

٦-٦) خصائص على: ٥٠.

٧-٧) حليه الأولياء ٣٥٦/٤.

أما قصه الشورى، فالكلام عليها على ضوء كتب القوم طويل، وعمده البحث عنها فى جهتين:

١- جهه الكبرى. فلا بدّ من التحقيق عن أصل الشورى فى الإمامه، وأنه هل تثبت عن هذا الطريق أولاً؟ وهل فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فى خصوص الإمامه والخلافه؟ هل فعل ذلك أبو بكر؟ وعلى فرض الثبوت، فما هى ضوابطها؟ ومن هم أهل الشورى؟ وكيف تعينهم؟

و هذا البحث يعود إلى أصل مباحث الإمامه.

٢- جهه الصغرى. فلا بدّ من التحقيق على ضوء أخبار القوم عن الشورى التى وضعها عمر بن الخطاب طريقاً لتعيين الخليفه من بعده، وعن أسبابها، وعن أشخاصها، وعن الخصوصيات التى أخذها عمر فيها، وعن كيفية وقوعها، و عما دار فى مجلسها. وهذا بحث طويل أيضاً، ليس هذا موضعه.

و أما مناشده أمير المؤمنين عليه السلام الحاضرین، من جمله وقائعها... فمن الطبيعى أن لا يروى القوم المناشده بكاملها و بالأسانيد المتكثرة فى الكتب المشتهره...

و هذا ليس بعجيب منهم.

إن ممّا لا شك فيه أن النبى صلى الله عليه وآله كان يخطب على الناس فى كلّ جمعه، فلو أن القوم ضبطوا لنا خطبه صلى الله عليه وآله هذه فقط و رووها لنا، لكانت بأيدينا مئات الخطب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

بل لقد نصّ غير واحد على أنه صلى الله عليه وآله قد خطب الناس يوم الغدير خطبةً بليغةً طويله:

و فى المستدرک: «قام خطيباً، فحمد الله و أثنى عليه و ذكر و وعظ فقال ما شاء الله أن يقول» (٢).

و فى مجمع الزوائد: «فو الله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلا قد أخبرنا به يومئذ، ثم قال أيها الناس...» (٣).

و الحاصل: إن الأبناء على السنّة النبويه لم ينقلوا لنا السنّه، و ما نقلوه فكثيراً ما تصرّفوا فيه و حرّفوه، و وقع فيه الزيادة و النقصان... فكيف بمثل كلام أمير المؤمنين فى مجلس الشورى، الذى ناشد القوم فضائله و مناقبه الخاصّه به، و الدالّه على أفضليّته و المستلزمه لإمامته و ولايته بلا فصل بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله؟

ثم يأتى ابن تيميه فيقول: «و أما قوله: عن عامر بن وائل، و ما ذكره يوم الشورى، فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، و لم يقل على رضى الله عنه يوم الشورى شيئاً من هذا و لا ما يشابهه» (٤).

أقول:

لكننا بعد التتبع وجدنا لهذا الخبر أسانيد عديده فيها أئمه كبار، فمن ذلك:

١- ما رواه الحافظ الفخر أبو عبد الله الكنجى الشافعى قال: «أخبرنا أبو بكر ابن الخازن، أخبرنا أبو زرعه، أخبرنا أبو بكر ابن خلف، أخبرنا الحاكم، أخبرنا أبو بكر ابن أبى دارم الحافظ بالكوفه من أصل كتابه، حدّثنا منذر بن محمد بن منذر، حدّثنا أبى، حدّثنى عمى، حدّثنا أبى، عن أبان بن تغلب، عن عامر بن وائل قال: كنت على الباب

ص: ٣١٩

١- ١) مسند أحمد ٣٧٢/٤.

٢- ٢) المستدرک ١١٠/٣.

٣- ٣) مجمع الزوائد ١٠٥/٩.

٤- ٤) منهاج السنّه ٥٩/٥.

٢- ما رواه الحافظ ابن عساكر قال: «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أنبأنا أبو الفضل أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن بندار، أنبأنا أبو الحسن العتيقي، أنبأ أبو الحسن الدار قطنى، أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد، أنبأنا يحيى بن زكريا بن شيبان، أنبأنا يعقوب بن معبد، حدّثنى مثنى أبو عبد الله، عن سفيان الثورى، عن أبى إسحاق السبيعى، عن عاصم بن ضميره و هبيرة و عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدى و عن عامر بن واثله قالوا: قال على بن أبى طالب يوم الشورى...» (٢).

٣- ما رواه أبو المؤيد الخوارزمى قال: «و أخبرنى الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب، سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المعروف بالمرزوى -فيما كتب إلّى من همدان- أخبرنى الحافظ أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد- فيما أذن لى فى الروايه عنه- أخبرنى الشيخ الأديب أبو يعلى عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهرانى سنه ٤٧٣، أخبرنى الإمام الحافظ طراز المحدّثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني.

قال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني:

و أخبرنا بهذا الحديث عالياً: الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الإصبهاني فى كتابه إلّى من إصبهان سنه ٤٨٨ عن أبى بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدّثنى سليمان بن محمد بن أحمد، حدّثنى يعلى بن سعد الرازى، حدّثنى محمد بن حميد، حدّثنى زاهر بن سليمان، عن الحارث بن محمد، عن أبى الطفيل عامر بن واثله...» (٣).

ص: ٣٢٠

١- ١) كفايه الطالب: ٣٨٦.

٢- ٢) فرائد السمطين ٨٧/١.

٣- ٣) المناقب: ٣١٣.

و رواه شيخ الإسلام الحمويني بإسناده عن طريق الخوارزمي، قال:

«أخبرني الشيخ الإمام تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله الخازن البغدادي المعروف بابن الساعي قال: أنبأنا الإمام برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي إجازته قال: أنبأنا أخطب خوارزم...» (١).

٤- ما رواه الحافظ الفقيه ابن المغازلي الشافعي قال: «أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد البيهقي البغدادي، أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي، حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد- المعروف بابن عقده- الحافظ، حدّثنا جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي، حدّثنا نصر- وهو ابن مزاحم- حدّثنا الحكم بن مسكين، حدّثنا أبو الجارود و ابن طارق، عن عامر بن واثله.

و أبو ساسان و أبو حمزة عن أبي إسحاق السبيعي، عن عامر بن واثله...» (٢).

٥- ما رواه الحافظ ابن عبد البر، قال: «حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا قاسم، حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا عمرو بن حماد القنّاد قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي، عن معروف بن خربوذ، عن زياد بن المنذر، عن سعيد بن محمد الأزدي، عن أبي الطفيل...» (٣).

٦- ما رواه الحافظ العقيلي- بترجمه الحارث بن محمد- عن أبي الطفيل قال:

«حدّثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: الحارث بن محمد عن أبي الطفيل:

كنت على الباب يوم الشورى. رواه زافر عن الحارث، و لم يبين سماعه منه، و لم يتابع زافر عليه.

قال: و هذا الحديث حدّثناه محمد بن أحمد الوراميني قال: حدّثنا يحيى بن

ص: ٣٢١

١- ١) فرائد السمطين ٣١٩/١.

٢- ٢) المناقب لابن المغازلي: ١٣٦ برقم ١٥٥.

٣- ٣) الاستيعاب ١٠٩٨/٣ روى شرطاً من المناشده.

المغیره الرازی قال: حدثنا زافر عن رجل عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر بن واثله الكناني. قال أبو الطفيل: كنت على الباب يوم الشورى...» (١).

أقول: فقد ظهر:

أولاً: إن للحديث طرقاً عديدة لا طريقاً واحداً.

و ثانياً: إن في الطرق و الأسانيد عده كبيره من كبار الأئمه و الحفاظ و منهم:

١- أبو العباس ابن عقده.

٢- الحاكم النيسابوري.

٣- أبو الحسن الدار قطنی.

٤- أبو الحسن العتيقي.

٥- أبو علي الحدّاد.

٦- ابن مردويه الأصبهاني.

٧- سليمان بن إبراهيم الأصبهاني.

و ثالثاً: إن ابن عساكر رواه بطريقتين، أحدهما ما تقدّم، و الآخر قوله:

«أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنا أبو بكر محمد بن المظفر، أنا أبو الحسن العتيقي، أنا يوسف بن أحمد، أنا أبو جعفر العقيلي...» إلى آخر ما تقدم في الطريق السادس، الذي عقبه العقيلي بقوله:

«هكذا حدّثناه محمد بن أحمد، عن يحيى بن المغیره، عن زافر، عن رجل، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل. فيه رجلين مجهولين (٢): رجل لين لم يسمه زافر، و الحارث بن محمد.

حدّثنا جعفر بن محمد قال حدّثنا محمد بن حميد قال: حدّثنا زافر، حدّثنا

ص: ٣٢٢

١- (١) الضعفاء الكبير ٢١١/١.

٢- (٢) كذا.

الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثله، عن علي. فذكر الحديث نحوه.

و هذا عمل محمد بن حميد، أسقط الرجل و أراد أن يجوز (١) الحديث. و الصواب ما قاله يحيى بن المغيرة -و يحيى بن المغيرة ثقّه-: و هذا الحديث لا أصل له عن علي (٢).

و أورد ابن عساكر كلام العقيلي هذا عقيب الحديث بالسند الثاني كذلك (٣).

و في ميزان الاعتدال: «الحارث بن محمد عن أبي الطفيل. قال ابن عدى: مجهول.

و روى زافر بن سليمان عنه عن أبي الطفيل: كنت على الباب يوم الشورى. لم يتابع زافر عليه. قاله البخارى. و قال العقيلي:

حدّثناه محمد بن أحمد الورايني... فهذا عمل ابن حميد أراد أن يجوّده.

قلت: فأفسده. و هو خبر منكر.

قال: كنت على الباب يوم الشورى... و ذكر الحديث.

فهذا غير صحيح، و حاشا أمير المؤمنين من قول هذا (٤).

و تبعه ابن حجر ثم قال: «و لَمَّا ساقه العقيلي من طريق يحيى بن المغيرة قال: فيه مجهولان: الحارث و الرجل. و أمّا روايه محمد بن حميد، فإنه أراد أن يجوّد السند، و الصواب ما قال يحيى بن المغيرة: و هذا الحديث لا أصل له عن علي.

و قال ابن حبان فى الثقات: روى عن أبي الطفيل إن كان سمع منه.

قلت: و لعل الآفه فى هذا الحديث من زافر (٥).

ص: ٣٢٣

١- ١) كذا و لعلّه: يجوّد.

٢- ٢) الضعفاء الكبير ١/٢١١-٢١٢.

٣- ٣) تاريخ دمشق ٤٢/٤٣٣-٤٣٦.

٤- ٤) ميزان الاعتدال ١/٤٤١-٤٤٢.

٥- ٥) لسان الميزان ٢/١٩٢.

وقد أدرج ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات، و لم يذكر له إلا هذا السند فقال: «أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أنبأنا محمد بن المظفر قال: أنبأنا أبو الحسن العتيقى قال حدثنا يوسف بن الدخيل، حدثنا أبو جعفر العقيلى، حدثنا....»

هذا حديث موضوع لا أصل له. و زافر مطعون فيه، قال ابن حبان: عامه ما يرويه لا يتابع عليه، و كانت له أحاديث مقلوبه. ثم قد رواه عن رجل لم يسمه و لعله الذى وضعه.

قال العقيلى: و قد حدثنى به جعفر بن محمد بن محمد بن حميد الرازى، و أسقط الرجل المجهول. قال: و هذا عمل ابن حميد، و الصواب ما قاله يحيى بن المغيرة عن رجل. قال: و هذا الحديث لا أصل له عن على.

و قد ذكرنا عن أبى زرعه و ابن واره أنهما كذبا محمد بن حميد» (١).

و تبعه الجلال السيوطى كذلك قال: «قلت: قال فى الميزان: هذا خبر منكر غير صحيح، و حاشا أمير المؤمنين من قول هذا. و قال فى اللسان: لعل الآفه فى هذا الحديث من زافر. و الله أعلم» (٢).

فأنت ترى أنهم لا ينقلون الروايه إلا عن طريق العقيلى، ثم يقلدونه فيما قال....

و قد عرفت أن له عدّه أسانيد، و أن فى رواته أئمه كباراً يعتمدون على روايتهم فى سائر المواضع.

كأبى الحسن الدارقطنى، الذى رواه عنه ابن عساكر و لم يتكلم على سنده بشيء مع أنه تكلم على السند الثانى كما سيأتى، بل إن ابن حجر المكى يقول بذيل قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...» (٣) بعد كلام لصاحب الكشاف:

«و يوضّح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلّق بها تميمياً للفائدة فنقول:

ص: ٣٢٤

١- ١) الموضوعات ١/٣٧٨-٣٨٠.

٢- ٢) اللآلى المصنوعه ١/٣٦٣.

٣- ٣) سوره آل عمران ٦١:٣.

«صَحَّ عنه عليه الصَّلَاة و السَّلَام أنه قال على المنبر: ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله لا ينفع....»

و أخرج الدارقطني: أن علياً يوم الشورى احتجَّ على أهلها فقال لهم: أنشدكم الله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله في الرِّحم مني، و من جعله نفسه و أبناءه أبناءه و نساءه نساءه، غيري؟ قالوا: اللهم لا. الحديث» (١).

و يقول السمهودي، في ذكر أن رحمه صَلَّى الله عليه و آله موصوله في الدنيا و الآخرة...:

«و أخرجه الدارقطني، عن عاصم بن حمزه و هبيرة و عمرو (٢) بن واثله قالوا: قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يوم الشورى: و الله لأحتجَّن عليهم بما لا يستطيع قرشيَّهم و لا عربيَّهم و لا عجميَّهم رده، و لا يقول بخلافه....»

و أخرج أيضاً القصة مطوَّلة عن عامر بن واثله الكناني و أنهم أفعدوه على الباب، و قد اجتمعوا في بيت للنظر في أمورهم، و ذكر احتجاج علي رضي الله عنه عليهم -إلى أن قال- فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت أبو ولدي و أنا أبو ولدك، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

ثم أخرجه عن عمرو بن واثله قال: كنت على الباب الذي فيه الشورى. فذكر الحديث بطوله» (٣).

فابن حجر و السمهودي يعتمدان على روايه الدارقطني هذه بلا غمز في سندها.

و«أبو الحسن الدارقطني» قال الذهبي: «الإمام الحافظ المجوّد شيخ الإسلام علم الجهابذه... كان من بحور العلم و من أئمه الدنيا، انتهى إليه الحفظ و معرفه علل الحديث

ص: ٣٢٥

١- (١) الصواعق المحرقة ٢/٤٥٣، الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم، الآية التاسعة.

٢- (٢) كذا، و الصحيح: عامر.

٣- (٣) جواهر العقدين ٢٧٨ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، و الجزء الاول من القسم الثاني ط بغداد ص: ١٥٠.

و رجاله...» ثم أورد كلام الحاكم و الخطيب و غيرهما من الأعلام، حتى نقل عن القاضي أبي الطيب الطبري قوله: «كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث» فراجع ترجمته له فإنها طويلة (١).

و أما الإيرادات على روايه العقيلي منه و ممن قلده، فكلها مردوده:

فأما «زافر»، فقد وثقه أحمد و ابن معين، و قال أبو داود: ثقته، كان رجلاً صالحاً، و قال أبو حاتم: محلّه الصّديق، و قد أخرج عنه من أرباب الصحاح: الترمذی و النسائي و ابن ماجه (٢).

و أما «محمد بن حميد الرازي» فقد أخرج حديثه: الترمذی و أبو داود و ابن ماجه، و روى عنه أحمد و الذهلي و ابن معين و أمثالهم من الأئمة، و عن الصاغاني أنه سئل:

تحدثت عن ابن حميد؟ فقال: ما لي لا أحدثت عنه! و قد حدثت عنه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين... هذا، و قد تكلم فيه جماعه أيضاً (٣).

و أما قول العقيلي في محمد بن حميد أنه «أسقط الرجل و أراد أن يوجد الحديث فيردّه أن محمد بن حميد رواه عن زاهر بن سليمان، عن الحارث بن محمد... فذكر الراوي كما تقدم في روايه ابن مردويه، و ليس فيه «عن رجل» كي يزعم أنه أسقطه حتى يوجد الحديث! و تذكرت هنا قول الذهبي - في مورد - مخاطباً للعقيلي: أ فما لك عقل يا عقيلي؟! (٤)

و بهذا يبطل كلام ابن الجوزي و غيره ممن قلد العقيلي....

على أن في كلامهم تهافتاً واضحاً، فمنهم من جعل الآفه من الرجل الذي لم يسمه

ص: ٣٢٤

١-١) سير أعلام النبلاء ١٦/٤٤٩-٤٦١.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٣/٢٦٢.

٣-٣) تهذيب الكمال ٢٥/٩٧.

٤-٤) ميزان الاعتدال ٣/١٤٠.

محمد بن حميد، و منهم من جعلها من زافر، و منهم من جعلها من الحارث بن محمد....

و قد عرفت أن هناك أسانيد ليس فيها أحدٌ من ذكر، و لو فرض كون زافر أو محمد بن حميد من الضعفاء، قد توبع في روايته على ما أخرجه غير واحد من أئمة القوم بأسانيدهم كما عرفت.

أحاديث رواها أبو عمر الزاهد

إشارة

قال قدس سره: و منها: ما رواه أبو عمر الزاهد:

الشرح:

أبو عمرو الزاهد هو: المحدث اللغوي محمد بن عبد الواحد البغدادي، المعروف بـ «غلام ثعلب». ولد سنة ٢٤١. و حدث عنه كبار الأئمة في الحديث، كالحاكم النيسابوري و القاضي المحاملي و ابن منده و ابن رزقويه و أمثالهم.

قال الخطيب: «سمعت غير واحد يحكى عن أبي عمر الزاهد: أن الأشراف و الكتاب و أهل الأدب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب و غيرها، و كان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدى بقراءه ذلك الجزء....»

قال: و كان جماعه من أهل الأدب يطعنون على أبي عمر و لا يوثقونه في علم اللغة....

قال: فأما الحديث، فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه و يصدّقونه» و توفي سنة ٣٤٥ (١).

ص: ٣٢٧

١ - ١) تاريخ الخطيب ١٦٠/٣ و انظر: سير أعلام النبلاء ٥٠٨/١٥، المنتظم ٣٨٠/٦، معجم الأدباء ٢٢٦/١٨، تذكره الحفاظ ٨٧٣/٣ و غيرها.

قلت: فظهر السرّ في نقل العلامة عن أبي عمر الزاهد، مع أن الأحاديث التي رواها موجوده في سائر المصادر كما سيأتي، وذلك:

أولاً: إنه كان من المتعصّبين لبني أميه، بحيث قد أُلّف جزء فيه فضائل معاويه، و كان لا يقري أحداً شيئاً حتى يبتدئ بقراءه ذلك الجزء!! و قد ثبت أن لا فضيله و منقبه لمعاويه أصلاً.

و ثانياً: إن شيوخ الحديث من أهل السنّه أجمعوا على وثاقته و صدّقه.

الحديث الأول: عن ابن عباس: لعلي أربع خصال

و كما تقدّم، فإن أبا عمر الزاهد من مشايخ الحاكم، و قد أخرج الحاكم هذا الحديث عن أبي عمر حيث قال: «حدّثني أبو عمرو (١) محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب إملاءً ببغداد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبه، ثنا زكريا بن يحيى المصرى، حدّثني المفضّل بن فضاله، حدّثني سماك بن حرب عن عكرمه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعلي أربع خصال، ليست لأحد، هو أوّل عربى و أعجمى صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله، و هو الذى كان لواؤه معه فى كلّ زحف، و الذى صبر معه يوم المهراس، و هو الذى غسّله و دخّله قبره» (٢).

و أخرج الحافظ ابن عبد البر قال: «حدّثنا أحمد بن محمد قال: حدّثنا أحمد بن الفضل قال: حدّثنا محمد بن جرير قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله الدقاق قال: حدّثنا مفضل بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمه عن ابن عباس...» (٣).

و أخرج ابن عساكر بإسناده عن مفضل بن صالح الأسدى....

ص: ٣٢٨

١-١) كذا.

٢-٢) المستدرک على الصحيحين ١١١/٣.

٣-٣) الاستيعاب ١٠٩٠/٣.

و بإسناد آخر من طريق أبي بكر بن خلف عن مفضل... (١).

و رواه المؤيد الخوارزمي من طريق الحافظ البيهقي عن مفضل... (٢).

و رواه الحافظ أبو العباس الطبري عن ابن عبد البر (٣).

فهذا طرف من أسانيد هذا الحديث... و قد عرفت التصريح بكون هذه الخصال خصائص للإمام عليه السلام. لكن ابن تيميه كذب به.

أما الذهبي، فقد ذكر في تلخيص المستدرک: «قلت: فيه زكريا بن يحيى الوقار، و هو متهم».

قلت: قد قلّد الذهبي ابن عدي، لكن في اللسان: ذكره ابن حبان في الثقات فقال:

يخطئ و يخالف... ثم قال ابن حجر: و قد سمع أبو حاتم الرازي من زكريا الوقار و روى عنه (٤). على أنه قد توبع في حديثه كما عرفت.

هذا، و قد جاء في الحديث التصريح بأن ليس لأحد تلك الخصال غيره، على أن لكل واحد منها شواهد عديده في الأحاديث الأخرى.

لكن ابن تيميه يقول: كان لواؤه معه في كل زحف، من الكذب المعلوم، إذ لواء النبي كان يوم أحد مع مصعب بن عمير....

قال: و كذلك قوله: هو الذي صبر معه يوم حنين، و قد علم أنه لم يكن أقرب إليه من العباس بن عبد المطلب و أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

قال: و أما غسله صلى الله عليه و سلم و إدخاله قبره، فاشترك فيه أهل بيته.

قال: و كذلك قوله: هو أوّل عربي و عجمي صلى. يناقض ما هو المعروف عن

ص: ٣٢٩

١- (١) تاريخ دمشق ٧٢/٤٢-٧٣.

٢- (٢) مناقب أمير المؤمنين: ٥٨.

٣- (٣) الرياض النضرة ٢٠٢/٢.

٤- (٤) لسان الميزان ٤٨٧/٢.

ابن عباس. هذا موجز كلام ابن تيميه بألفاظه (١).

و موجز الجواب هو أنه: لو سلّمنا أن لواء النبي صَلَّى الله عليه و آله يوم كذا كان بيد غير أمير المؤمنين، كمصعب و الزبير... فهو لم يكن بيد أبي بكر في موطن.

و لو سلّمنا أن أقرب الناس إليه في حنين كان العباس أو أبو سفيان بن الحارث...

فلم يكن أبو بكر... بل أين كان أبو بكر و عمر...؟!

و لو سلّمنا أن أهل بيت على عليه السلام شاركوه في غسل النبي و دفنه... فلم يكن أبو بكر...!

المهم، أن نعرف أن لعلى عليه السلام فضائل و مناقب لم يدّعها لأبي بكر أتباعه المعتقدون بإمامته... فكيف يفضّلونه و يقدمونه على على؟ فأمّا العباس و أبو سفيان بن الحارث و الزبير و مصعب... فلم يدّع أحدّ لهم الإمامه، و على عليه السلام أفضل منهم بالإجماع.

لكن هذا دأب ابن تيميه -كسائر أنصار بنى أميه أعداء النبي و آله- و قد تذكّرت أن معمرأ سأل الزهري عن كاتب يوم الحديبيه: «فضحك و قال: هو على بن أبي طالب، و لو سألت عنه هؤلاء -يعنى بنى أميه- لقالوا: عثمان» (٢).

هذا، و يكفي أن نورد هنا روايه ابن سعد -الذى هو أعلم و أقدم من ابن تيميه-:

«إن على بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله يوم بدر و في كلّ مشهد» (٣).

و روايه أحمد -و هو إمام ابن تيميه- بإسناده عن مالك بن دينار قال: «سألت سعيد بن جبير قلت: يا أبا عبد الله، من كان حامل رايه رسول الله؟ قال: فنظر إليّ و قال:

كأنك رخيّ البال، فغضبت و شكوته إلى إخوانه من القراء قلت: ألا تعجبون من سعيد،

ص: ٣٣٠

١- ١) منهاج السنّه ٥٧/٥-٦٤.

٢- ٢) المصنف لعبد الرزاق بن همام ٣٤٣/٥.

٣- ٣) الطبقات الكبرى ٢٣/٣.

إني سألته من كان حامل رايه رسول الله؟ فنظر إليّ و قال: إنك لرُخى البال. قالوا: أ رأيت حين تسأله و هو خائف من الحجاج و قد لاذ بالبيت. كان حاملها على. كان حاملها على» (١).

قال الهيثمي: «و عن ابن عباس: إن رايه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كانت تكون مع علي بن أبي طالب و رايه الأنصار مع سعد بن عباده، و كان إذا استحرّ القتال كان النبي مما يكون تحت رايه الأنصار. رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح، غير عثمان بن زفر الشامي و هو ثقّه» (٢).

و كذلك قال الحافظ الصّالحيّ الدمشقي (٣).

الحديث الثاني: حديث المعراج

لم يتكلّم ابن تيميه على سنده و إنما قال: «إن هذا من كذب الجهّال الذين لا يحسنون أن يكذبوا، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجره... و قوله: أما ترضى... قاله في غزوه تبوك و هي آخر الغزوات عام تسع من الهجره...» (٤).

و هذا ملخّص كلامه بلفظه، فهو يكذّب هذا الخبر من جهه أن المعراج كان بمكّه، و الحديث: أما ترضى... كان بالمدينه عام تسع، فكيف يقال: إن الملائكه ليله المعراج سمعوا قوله: أما ترضى...؟

أقول:

سواء كان ابن تيميه جاهلاً أو يتجاهل، فإن الإشكال يندفع إذا علمنا أن رسول الله

ص: ٣٣١

١-١ (١) المناقب: ٣٥٨.

٢-٢ (٢) مجمع الزوائد ٣٢١/٥.

٣-٣ (٣) سبل الهدى و الرشاد ٣٧١/٧.

٤-٤ (٤) منهاج السنّه ٦٦/٥-٦٧.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَعَلِي: أَمَا تَرْضَى... فِي مَوَاطِنٍ عَدِيدَةٍ، وَ لَيْسَ فِي غَزْوِهِ تَبُوكٌ فَقَطْ، وَ سَيَأْتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَانْتَظِرْ.

و الشىء المهم الذى أغفله ابن تيميه فى هذا الحديث هو: اشتياق الملائكة لأمر المؤمنين عليه الصلوة والسلام، و لهذا المعنى شواهد كثيرة فى أخبار القوم، و الحال أنه لا يوجد حديث واحد من هذا القبيل يروونه عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى أبى بكر بن أبى قحافة، فمن الأفضل و الأولى بالإتباع؟

الحديث الثالث: أنا الفتى...

قال ابن تيميه: هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة الموضوعه باتفاق أهل المعرفة بالحديث، و كذبه معروف من غير جهه الإسناد من وجوه:

منها: إن لفظ الفتى فى الكتاب و السنه و لغه العرب، ليس من أسماء المدح كما ليس هو من أسماء الذم، و لكنه بمنزله الشاب و الكهل و الشيخ و نحو ذلك. و الذين قالوا عن ابراهيم «سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» هم الكفار و لم يقصدوا مدحه بذلك. و إنما الفتى كالشباب و الحدث.

و منها: إن النبى أجلّ من أن يفتخر بجده و ابن عمه.

و منها: إن النبى لم يؤاخ علياً و لا غيره، و حديث المؤاخاه لعلى و مؤاخاه أبى بكر لعمر من الأكاذيب.

و منها: إن هذه المناداه يوم بدر كذب.

و منها: إن ذا الفقار لم يكن لعلى، و إنما كان سيفاً من سيوف أبى جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر.

و منها: إن النبى كان بعد النبوه كهلاً قد تعدى سن الفتيان (1).

ص: ٣٣٢

أقول:

و حيث أنه لم يتكلم في سند الحديث، فنحن أيضاً لا نتعرض للبحث السندى.

و أمّا الوجوه التي ذكرها، فكلها مردوده، و عمدتها كلامه في معنى «الفتى» و هو عجيبٌ جداً؟ و كأن الرجل ليس بعربى فلا يفهم العربيه؟! انظر إلى كلام أشهر الكتب اللغويه، في معنى «الفتى» و «الفتوه» و استشهاده بـ «لا- فتى إلا- على» مرسلًا إِيَّاه إرسال المسلم، حيث قال:

«و الفتوه- بالضم و التشديد-... الكرم و السخاء. هذا لغه. و في عرف أهل التحقيق:

أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا و الآخرة، و صاحب الفتوه يقال له: الفتى. و منه: لا فتى إلا على. و قول الشاعر: فإن فتى الفتيان من راح و اغتدى لضّرّ عدوّ أو لنفع صديق

و عبّر عنها في الشريعة بمكارم الأخلاق...» (١).

و أمّا النداء بـ «لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار»، فقد رواه كبار أئمة الحديث و التاريخ و السيره من أهل السنه:

كابن هشام في السيره، و عنه الحافظ السهيلي (٢) و الحافظ الصالحى (٣).

و الحسن بن عرفه العبدري بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام. و رواه ابن عساكر (٤) و المحبّ الطبرى (٥) و ابن كثير (٦) من طريق الحسن بن عرفه.

ص: ٣٣٣

١- ١) تاج العروس في شرح القاموس ٢٧٦/١٠.

٢- ٢) الروض الأنف ٢٦/٦.

٣- ٣) سبل الهدى و الرشاد ٢٢٩/٤.

٤- ٤) تاريخ دمشق ٧١/٤٢.

٥- ٥) ذخائر العقبى ٧٤ و الرياض النضرة ١٩٠/٢.

٦- ٦) البدايه و النهايه ٣٧٢/٧.

و ابن جرير الطبري في تاريخه (١) و كذلك ابن الأثير (٢).

و بما ذكرنا كفايه لمن أراد الهدايه.

و بذلك يظهر الجواب عن سائر كلمات ابن تيميه. و بالله التوفيق.

الحديث الرابع: عن أبي ذر

هذا أحد الأحاديث الواردة في الباب و هي كثيره. و في هذا الحديث عدم نفع الأعمال إلا بحبّ علي عليه السلام.

و في بعضها الآخر: أنه إن لم يدرك محبّه أهل البيت -عليهم السلام- أكبه الله على منخريه في النار، و من ذلك: ما أخرجه الطبراني و ابن عساكر، و عنهما الحافظ أبو عبد الله الكنجي حيث قال:

«أخبرنا الحافظ يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي بحلب، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن محمد الطرسوسي، أخبرنا أبو منصور محمد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أبو الحسن ابن فادشاه، أخبرنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أخبرنا الحسين بن إدريس التستري، حدّثنا أبو عثمان طالوت بن عباد الصيرفي البصري، حدّثنا فضال بن جبير، حدّثنا أبو امامه الباهلي قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى و خلقني و عليّاً من شجره واحده، فأنها أصلها و على فرعها و فاطمه لقاحها و الحسن و الحسين ثمرها. فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا و من زاع عنها هوى.

و لو أن عبداً عبد الله بين الصّفا و المروه ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك صحبتنا [محبّتنا] أكبه الله على منخريه في النار. ثم تلا «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

ص: ٣٣٤

١-١) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

٢-٢) الكامل في التاريخ ١٥٤/٢.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قلت: هذا حديث حسن عال. رواه الطبراني في معجمه كما أخرجه سواء.

و رواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى» (١).

و في بعضها الآخر، إضافة أنه إذا عمل تلك الأعمال و كان مبغضاً لعلی علیه السلام أكبه الله في النار على منخریه... و هي أحاديث كثيرة.

و من الأحاديث ما ورد بالأسانيد المستفيضه بل المتواتره في أنه: ويل لمن أبغضه، و لا بأس بذكر هذا الحديث الذي أخرجه ابن عساكر بأسانيده إذ قال:

«أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله، أنا أبو طاهر أحمد بن محمود، أنا أبو بكر بن المقرئ، نا أبو عروبه، نا هلال بن بشر.

ح و أخبرنا أبو سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنا أبو الفضل الرازي، أنا جعفر بن عبد الله، نا محمد بن هارون، نا أبو الحسن هلال بن بشر البصرى.

ح و أخبرنا أبو القاسم بن طاهر، أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن، نا الحاكم أبو القاسم بشر بن محمد بن محمد بن ياسين - إملاء - أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، نا هلال بن بشر، نا عبد الله بن موسى أبو بشر الطويل، عن أبي هاشم صاحب - و في حديث أبي عروبه: بياع - الرمان، عن زاذان عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله - و في حديث الخلال النبي صلى الله عليه و آله - يقول لعلی:

محبك محبي و مبغضك مبغضى.

أخبرنا أبو عبد الله الفراوي، و أبو المظفر بن القشيري، و أبو القاسم الشحامى، قالوا: أنا سعيد بن محمد البحرى.

أخبرنا أبو عبد الله الفراوي، أنا أبو القاسم القشيري، و أحمد بن منصور بن خلف.

ح و أخبرنا أبو عبد الله أيضاً، و أبو محمد السیدی، و أبو القاسم الشحامى، قالوا: أنا

ص: ٣٣٥

أبو يعلى الصابوني، قالوا: أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود الحسنى، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقى، أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس.

أن النبي صَلَّى الله عليه وآله نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: «أنت سيّد في الدنيا، سيّد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبّيك حبيب الله، و من أبغضك فقد أبغضني، و بغضك بغض الله، و الويل لمن أبغضك من بعدى.

أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال: قرى علي سعيد بن محمد بن أحمد البحيرى و أنا حاضر، أنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب المزكى ابن أخى أحمد، نا أيوب الزاهد، نا أحمد بن حمدون بن عماره الحافظ، نا أحمد بن الأزهر، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهرى، نا عبيد الله بن عبد الله، عن عبد الله بن عباس قال:

نظر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب فقال: أنت سيّد في الدنيا، و سيّد في الآخرة، و الويل لمن أبغضك من بعدى.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندى، أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن الخلال أنا محمد بن عثمان النفري، نا الحسين بن إسماعيل المحاملى، نا أحمد بن محمد بن سواده، نا عمرو بن عبد الغفار، نا نصير بن عبد الأشعث، حدّثنى كثير النواء، عن أبى مريم الخولانى، عن عاصم بن ضميره، قال: سمعت عليّاً يقول: إن محمداً صَلَّى الله عليه وآله أخذ بيدي ذات يوم فقال: من مات و هو يبغضك ففى ميته جاهليه، يحاسب بما عمل فى الإسلام، و من عاش بعدك و هو يحبّك ختم الله له بالأمن و الايمان، [كلّما طلعت [شمس و غربت حتى يرد على الحوض» (1).

ص: ٣٣٦

إشارة

قال قدس سره: و منها: ما نقله صاحب الفردوس في كتابه.

الشرح:

هو أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني المتوفى سنة ٥٠٩.

قال الذهبي: «المحدث الحافظ، مفيد همدان و مصنف تاريخها و مصنف كتاب الفردوس...» (١).

قال: «و كان صلباً في السنّه» (٢).

و قال السبكي: «شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فثما خسرو، الحافظ أبو شجاع الديلمي، مؤرخ همدان و مصنف كتاب الفردوس. ولد سنة ٤٤٥. مات في تاسع شهر رجب سنة ٥٠٩» (٣).

و قال ابن العماد: «ذكره ابن الصّيلاح فقال: كان محدثاً واسع الرحله حسن الخلق و الخلق، ذكياً، صلباً في السنّه، قليل الكلام. صنف تصانيف اشتهرت عنها منها كتاب الفردوس» (٤).

و كذلك قال غيره من العلماء الأعلام بترجمته.

فانظر إلى كلام ابن تيميه: «إن كتاب الفردوس فيه من الأحاديث الموضوعات ما شاء الله، و مصنفه شيرويه بن شهردار الديلمي و إن كان من طلبه الحديث و رواته، فإن هذه الأحاديث التي جمعها و حذف أسانيدنا نقلها من غير اعتبار لصحتها و ضعفها

ص: ٣٣٧

١-١) تذكره الحفاظ ١٢٥٩/٤.

٢-٢) نفس المصدر ١٢٥٩/٤.

٣-٣) طبقات الشافعيه ١١١/٧-١١٢.

٤-٤) شذرات الذهب ٢٤/٤.

و موضوعها، فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة جداً^(١).

أقول:

إنهم يصفونه بالحافظ المحدث... وهذا يقول عنه: من طلبه الحديث!

و أما أن في كتابه موضوعات، فهذا حق، وكذلك سائر كتبهم حتى ما كتبه البخاري و مسلم و اشتهدا عندهم بالصحيحين.

ثم إن هذا الأحاديث التي رواها الديلمي «الصلب في السنه» لم ينفرد بها، بل رواها غيره من أعلامهم «الصلبين في السنه» كذلك:

الحديث الأول: حب علي حسنه لا تضر معها سيئه

هذا الحديث بهذا اللفظ عن معاذ بن جبل، وقد رواه من طريق الديلمي غير واحد من الأعلام كالمناوي في كنوز الحقائق من حديث غير الخلائق.

و رواه الموفق الخوارزمي من طريق الطبراني عن أنس بن مالك^(٢).

و هو مروى عندهم عن غيرهما أيضاً.

و الأحاديث في الباب بالألفاظ المختلفه كثيره جداً:

منها: ما جاء بلفظ أن حبه يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.

رواه الخطيب^(٣) و من طريقه ابن عساكر^(٤)، غير أنه قال: رجال إسناده الذين بعد محمد بن سلمه كلهم معروفون ثقات. و

الحديث باطل مركب على هذا الإسناد» و هذا زور بين!!

ص: ٣٣٨

١-١) منهاج السنه ٧٣/٥.

٢-٢) مناقب الخوارزمي: ٧٦.

٣-٣) تاريخ بغداد ٤١٧/٤.

٤-٤) تاريخ دمشق ٢٤٤/٤٢.

و منها: ما ورد بتفسير قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ* وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» (١).

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحسنة حَبْنَا وَ السيئة بغضنا».

رواه شيخ الإسلام الحموي بإسناد له عن الحافظ أبي علي الحدّاد، عن الحافظ أبي نعيم، بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي عنه عليه السلام.

و بإسناد آخر من طريق الحسين بن الحكم الحبري بإسناده عنه (٢).

و منها: ما ورد بتفسير قوله تعالى «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» (٣) حيث فسروا «حسنه» بحبّ علي و أهل البيت عليهم السلام، فراجع التفاسير (٤).

و أي سيئه تبقى في مقابل حسنه زاد الله في حسننها!؟

لكن ابن تيمية يقول: «هذا الحديث مما يشهد المسلم بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لا يقوله، فإن حبّ الله و رسوله أعظم من حبّ علي، و السيئات تضرّ مع ذلك...» (٥).

أولاً: أي فرق بين حبّ الله و الرسول و حبّ علي؟ أ ترى أن من زعم أنه محبّ لله و الرسول و هو مبغض لعلي يقبل منه دعواه و عمله؟

أ ليس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يقول: «كذب من زعم أنه يحبّني و يبغض هذا»؟

ص: ٣٣٩

١-١ (١) سورة النمل: ٨٩-٩٠.

٢-٢ (٢) فرائد السمطين ٢/٢٩٩، الرقم ٥٥٥.

٣-٣ (٣) سورة الشورى: ٢٣.

٤-٤ (٤) الدر المنثور ٧/٦.

٥-٥ (٥) منهاج السنّة ٧٣/٥.

أليس رسول الله يقول: «من زعم أنه آمن بي و ما جئت به و هو يبغض علياً، فهو كاذب ليس بمؤمن»؟ (١)

و ثانياً: إن المراد أن السيئه لا تبقى و لا تؤثر مع هذه الحسنه، و هل لا يفهم ابن تيميه هذا المعنى؟!

الحديث الثاني: حب آل محمد خير من عباده سنه

رواه الديلمي في كتابه (٢).

و كذب به ابن تيميه و قال: «عباده سنه فيها الإيمان و الصلوات الخمس كل يوم و صوم شهر رمضان. و قد أجمع المسلمون على أن هذا لا يقوم مقامه حب آل محمد شهراً فضلاً عن حبهم يوماً» (٣).

أقول:

و كذلك حب النبي صلى الله عليه و آله، فإن مقتضى هذا الكلام أن تكون عباده سنه - كما ذكر - لا يقوم مقامه حب النبي شهراً فضلاً عن حبه يوماً! لكن أحداً من المسلمين لا يلتزم بذلك فضلاً عن جميعهم!

لكن حبه و حب أهل بيته الأطهار واحد، و الفصل بينهما باطل بالكتاب و السنه المعتمره و بالاتفاق من أتباعهما.

الحديث الثالث: عن أنس: كنت جالساً عند النبي...

رواه - قبل الديلمي - أبو بكر الخطيب بإسناده حيث قال:

ص: ٣٤٠

١ - (١) انظر: تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٢ و ٢٨٠.

٢ - (٢) فردوس الأخبار ١٤٢/٢ برقم ٢٧٢١.

٣ - (٣) منهاج السنه ٧٥/٥ - ٧٦.

«محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس أبو الحسن الطائى المروزى.

قدم بغداد و حدث بها عن الحسين بن محمد بن مصعب السنجى. روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق.

أخبرنى عبد العزيز بن على الوراق قال: نبأنا محمد بن إسماعيل الوراق قال: نبأنا أبو الحسن محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس الطائى المروزى - قدم علينا للحج - قال: نبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى قال: نبأنا على بن المثنى الطهوى قال: نبأنا عبيد الله بن موسى قال: حدثنى مطر بن أبى مطر عن أنس بن مالك قال:

كنت عند النبى صلى الله عليه و سلم فرأى علياً مقبلاً فقال: أنا و هذا حجّه على أمتى يوم القيامة» (١).

و قد تكلم فيه ابن الجوزى و من تبعه (٢). و قال الذهبى بترجمه مطر بعد روايته «هذا باطل» قال: «و له إسناد آخر فقال ابن زيدان البجلي: حدثنا عبد الرحمن بن سراج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن مطر، عن أنس....

على بن سهل، حدثنا عبيد الله، حدثنا مطر الإسكاف عن أنس، مرفوعاً: على أخى و صاحبى و ابن عمى و خير من أترك بعدى، يقضى دينى و ينجز موعدى.

قلت لمطر: أين لقيت أنساً؟ قال: بالخريبه.

قال الذهبى: المتهم بهذا و ما قبله مطر. فإن عبيد الله ثقة شيعى و لكنه آثم بروايه هذا الإفك» (٣).

أقول:

لكن مطر من رجال ابن ماجه، و قد رأيت أن الخطيب روى الحديث و لم يتكلم

ص: ٣٤١

١-١ (١) تاريخ بغداد ٨٦/٢.

٢-٢ (٢) الموضوعات ٣٨٢/١، اللآلى المصنوعه ٣٦٥/١.

٣-٣ (٣) ميزان الاعتدال ١٢٧/٤-١٢٨.

عليه بشيء رغم تكلمه في بعض الأحاديث كما سبق، والقوم لم يبينوا السبب في نكارة الحديث.

الحديث الرابع: لو اجتمع الناس على حبّ علي

وهذا حق لا مريه فيه، لأنّ حبّ علي عليه السلام حبّ الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وكلّ محبّ مطيع لمن أحبّه، وهل ابن تيميه لا يدري هذه الحقيقه فيقول: «لو اجتمعوا على حبّ علي لم ينفعهم ذلك، حتى يؤمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و يعملوا صالحاً...» (1) ثم يذكر الآيات من الكتاب و الأحاديث النبويّه؟

أحاديث رواها الكنجي

إشاره

قال قدس سره: «و منها: ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعي.

الشرح:

هو: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، فقيه، محدّث، حافظ، رحل إلى البلاد، و حضر على المشايخ الكبار، و سماع الكثير، و روى و صنّف، حدّث بفضائل أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام بالأسانيد في الجامع بدمشق، فثار عليه بعض النواصب و قتلوه و بقروا بطنه في شهر رمضان، في اليوم التاسع و العشرين منه بعد صلاه الصبح، عام ٦٥٨.

قال ابن شامه: «و في ٢٩ من رمضان، قتل بالجامع الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، و كان من أهل العلم و الحديث، لكنه كان فيه كثره كلام و ميل إلى مذهب الرافضه، جمع لهم كتباً توافق أغراضهم... فانتدب له من تأذى منه و ألّب عليه بعد صلاه

ص: ٣٤٢

الصحيح، فقتل و بقر بطنه...» (١).

و قال الذهبي: «و المحدث المفيد فخر الدين محمد بن يوسف الكنجي، قتل بجامع دمشق، لدبره و فضوله» (٢).

و قال ابن كثير: «و قتلت العامه وسط الجامع شيخاً رافضياً...» (٣).

و كذا في بعض المصادر الأخرى.

و كتابه (كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب) يشتمل على عدّه كبيره من الفضائل و المناقب، رواها بأسانيد المتصله، و هو مطبوع موجود.

الحديث الأول: عن أبي برزه

هذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة الحفاظ، كأبي نعيم الإصفهاني، و هذا لفظه: «حدّثنا أبو بكر الطلحي، ثنا محمد بن علي بن دحيم، ثنا عباد بن سعيد بن عباد الجعفي، ثنا محمد بن عثمان بن أبي البهلول، حدّثني صالح بن أبي الأسود، عن أبي المطهر الرازي، عن الأعشى الثقفي عن سلام الجعفي عن أبي برزه قال قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم...» (٤).

و رواه الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبي علي الحدّاد عن أبي نعيم الحافظ... (٥).

و لم يتكلّم علي سنده بشيء.

و أخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناد آخر قال:

ص: ٣٤٣

١-١) ذيل الروضتين: ٢٠٨.

٢-٢) تذكره الحفاظ ١٤٤١/٤ من توفي سنة ٦٥٨.

٣-٣) البدايه و النهايه ٢٥٦/١٣.

٤-٤) حليه الأولياء ٦٦/١-٦٧.

٥-٥) تاريخ دمشق ٢٩٠/٤٢-٢٩١.

«حدّثنا محمد بن حميد، ثنا علي بن سراج المصري، ثنا محمد بن فيروز، ثنا أبو عمرو لاهز بن عبد الله، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه عن هشام بن عروه عن أبيه قال ثنا أنس بن مالك قال: بعثني رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إلى أبي برزة الأسلمي فقال له - و أنا أسمع - يا أبا برزة، إن رب العالمين عهد إليّ عهداً في علي...» (١).

و أخرجه الحافظ ابن عدى بترجمه «لاهبز» و قال:

«و هذا بهذا الإسناد باطل و هو منكر الإسناد منكر المتن، لأن سليمان التيمي عن هشام بن عروه عن أبيه عن أنس. لا أعرف بهذا الاسناد غير هذا. و لاهز بن عبد الله مجهول لا يعرف، و البلاء منه. و لا أعرف للاهبز هذا غير هذا الحديث» (٢).

و أخرجه الحافظ الخطيب بترجمه «لاهبز» كذلك ثم قال: «لم أر للاهبز بن عبد الله غير هذا الحديث، حدّثني أحمد بن محمد المستملي، أخبرنا محمد بن جعفر الوراق قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي قال: لاهز بن عبد الله التيمي البغدادي غير ثقّه و لا مأمون. و هو أيضاً مجهول» (٣).

و أخرجه عنهم الحافظ ابن عساكر، ثم أورد كلام ابن عدى (٤).

و أخرجه بإسناد آخر له غير ما تقدم فقال: «أخبرنا أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدى، أنا أبو الفرج الشاهد، أنا أبو الحسن محمد بن جعفر النجار النحوي، أنا أبو عبد الله محمد بن القاسم المحاربي، أنا عباد بن يعقوب، أنا علي بن هاشم، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن عون بن عبيد الله، عن أبي جعفر و عن عمر بن علي قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: إن الله تعالى عهد إليّ في علي عهداً،

ص: ٣٤٤

١- ١) حليه الأولياء ٦٦/١.

٢- ٢) الكامل في الضعفاء ١٤١/٧.

٣- ٣) تاريخ بغداد ١٠٢/١٤.

٤- ٤) تاريخ دمشق ٣٢٩/٤٢-٣٣٠.

قلت: ربّ بينه لى. قال: إسمع يا محمد...».

ثم قال ابن عساكر: «هذا مرسل» (١).

أقول:

يردّه أن الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام لا يروى إلا عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعمر بن علي إنما رواه عن أبيه أمير المؤمنين، ولو كان في الحديث مطعن لذكره، لكنه حديث معتبر بلا ريب، لأن رجاله ثقات بلا كلام.

و«عبد بن يعقوب» الرواجنى من رجال البخارى و الترمذى و ابن ماجه. قال ابن حجر:

«صدوق رافضى، حديثه فى البخارى مقرون، بالغ ابن حبان فقال: يستحق الترك» (٢).

و«على بن هاشم» بن البريد من رجال البخارى فى المتابعات و مسلم و الأربعة و قال ابن حجر: «صدوق يتشيع» (٣).

و بقى الكلام فى «لا هز» قالوا فى الحديث: إنه باطل. و لا هز يروى المناكير....

و هو ردّ للأحاديث بلا- دليل، و من العجب قول ابن حجر فى اللسان: «قال ابن عدى: بغدادى مجهول يحدث عن الثقات بالمناكير...» ثم قال بعد أن أورد الحديث: «و هذا باطل قاله ابن عدى. قلت: إى و الله من أكبر الموضوعات، و على فلعن الله من لا يحبّه» (٤).

أما أولاً: فقد ردّ الحديث بلا دليل و هو غير جائز.

و أما ثانياً: فقد حكى عن ابن عدى أنه يحدث عن الثقات بالمناكير، لكننا لم نجد هذا الكلام فى الكامل، بل لقد نصّ ابن عدى على أنه لا يعرف للرجل هذا غير هذا

ص: ٣٤٥

١-١ (١) تاريخ دمشق ٢٧٠/٤٢.

٢-٢ (٢) تقريب التهذيب ٤٧٠/١.

٣-٣ (٣) تقريب التهذيب ٧٠٤/١.

٤-٤ (٤) لسان الميزان ٢٣٦/٦-٢٣٧.

الحديث، وكذلك نقل عنه الخطيب، فأين «يحدّث عن الثقات بالمناكير»؟

نعم، ظاهر الخطيب- في مقام ردّ الحديث- هو الاستناد إلى طعن أبي الفتح الأزدي في لاهز... فإن كان هذا هو الدليل فالأمر سهل، لأنهم قد نصّوا على ضعف الأزدي نفسه و عدم الاعتماد على تجريحاته....

قال الذهبي: «لا يلتفت إلى قول الأزدي، فإن في لسانه في الجرح رهقاً» (١).

وقال ابن حجر: «قدّمت غير مرّه: أنّ الأزدي لا يعتبر تجريحه، لضعفه هو» (٢).

وبعد، فقد قال ابن تيمية في الردّ على العلّامة:

«هذا كذب بالموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث والعلم. ومجرّد روايه صاحب الحليه لا تفيد ولا تدلّ على الصحة، فإن صاحب الحليه قد روى في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والأولياء وغيرهم أحاديث ضعيفه بل موضوعه باتفاق العلماء» (٣).

أقول:

أولاً: إن احتجاج الإماميه بروايه أبي نعيم الحافظ أو غيره إنما هو من باب الإلزام، لأن هذا الرجل و أمثاله حفّاظ معتمدون عندهم و كتبهم معروفه و مشهوره بينهم.

و ثانياً: قوله: إن صاحب الحليه يروى الأحاديث الموضوعه، حقٌّ ثابت، لكن هذا لا يختص به، بل المحدّثون السابقون عليه أيضاً كذلك و إن سمّيت رواياتهم بالصحيح.

و ثالثاً: قد عرفت أن للحديث طرقاً عديده، و لو كان في بعضها ضعف ما، فإن بعضها الآخر يقوّيه.

و رابعاً: إن مثل هذا الحديث غير وارد في شى من كتب الفريقين في حق أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، فمن الأولى بالاتباع؟

ص: ٣٤٦

١-١) ميزان الاعتدال ٦١/١.

٢-٢) مقدمه فتح الباري: ٤٣٠.

٣-٣) منهاج السنّه ٧٩/٥.

لم يقل فيهما ابن تيميه إلا «و كذلك حديث عمار و ابن عباس، كلاهما من الموضوعات» (١).

لكن الحافظ أبو عبد الله الكنجي -المتقدم على ابن تيميه- قال بعد حديث عمار من طريق ابن بطه العكبري المتوفى سنه ٣٨٧: «حديث عال حسن مشهور، اسند عند أهل النقل» (٢).

و لقد صدق أبو عبد الله الحافظ الكنجي... فانظر إلى نبذه من طرق هذا الحديث عند أهل النقل:

قال الحافظ ابن عساكر: «أنبأنا أبو علي الحداد، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريذه، نا سليمان بن أحمد الطبراني، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا أحمد بن طارق الوايشي، نا عمرو بن ثابت، عن محمد بن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه أبي عبيده، عن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من آمن بي و صدقني فليتول علي بن أبي طالب، فإن ولايته ولايتي، و ولايتي ولايه الله.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو القاسم بن مسعده، أنا حمزه بن يوسف، أنا أبو أحمد بن عدي، أنا محمد بن عبيد الله بن فضيل، نا عبد الوهاب بن الضحاك، نا ابن عياش، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أوصى من آمن بي و صدقني بولايه علي فمن تولاه تولاني، و من تولاني تولّى الله.

ص: ٣٤٧

١- (١) منهاج السنّه ٨٠/٥.

٢- (٢) كفايه الطالب: ٧٤ أول الباب الخامس.

قال: و أنا أبو أحمد، أنا جعفر بن أحمد بن علي بن بيان، نا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني محمد بن عبيد الله، عن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم: من تولّى علي بن أبي طالب، فذكر نحوه.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو محمد و أبو الغنائم ابنا أبي عثمان و أبو القاسم بن البسري، و أبو طاهر الخوارزمي، و علي بن محمد الأنباري، قالوا: أنا أبو عمر بن مهدي، و أنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه، نا جدي، نا عبد العزيز بن الخطاب - ثقّه صدوق كوفي، سكن البصره (١) - نا علي بن هاشم، عن ابن أبي رافع، عن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم: أوصى من آمن بي و صدّقني بولايه علي بن أبي طالب، من تولّاه فقد تولّاني، و من تولّاني فقد تولّى الله، و من أحبّه فقد أحبّني، و من أحبّني فقد أحبّ الله.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عاصم بن الحسن، أنا أبو عمر بن مهدي، أنا أبو العباس بن عقده، نا الحسن بن عتبة الكندي، نا بكار بن بسر، نا علي بن القاسم أبو الحسن الكندي، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن عمار بن ياسر قال:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلم يقول: أوصى من آمن بي و صدّقني بالولايه لعلي، فإنه من تولّاه تولّاني، و من تولّاني تولّى الله، و من أحبّه أحبّني، و من أحبّني أحبّ الله، و من أبغضه أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله» (٢).

و قد أقر الهيثمي أن الطبراني رواه بإسنادين ثم قال:

ص: ٣٤٨

١- ١) و في تقريب التهذيب ٥٠٨/١: صدوق.

٢- ٢) تاريخ دمشق ٢٣٩/٤٢ - ٢٤٠.

«أحسبُ فيهما جماعه ضعفاء و قد وثقوا» (١).

فانظر كيف يحاربون النبي و الوصى!؟

و أما حديث ابن عباس الذي رواه الحافظ أبو عبد الله بإسناده (٢):

فقد رواه جماعه من الأعلام، كالمحبّ الطبري (٣)، و ابن المغازلي (٤) و أخطب خوارزم و المتقى الهندي (٥) و غيرهم.

لكنّ هذا الحديث -بروايه غير ابن عباس من الصحابه- من أصحّ الأحاديث و أثبتها، و من ذلك:

ما أخرجه الحاكم -و صحّحه و أقرّه الذهبي- بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي قال:

«دخلت على أم سلمه -رضي الله عنها- فقالت لي: أَيْسَبُّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فيكم؟ فقلت: معاذ الله -أو: سبحان الله- أو كلمة نحوها- فقالت: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول: من سبَّ علياً فقد سبني.

هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

و قد رواه بكير بن عثمان البجلي عن أبي إسحاق بزياده ألفاظ» (٦).

قال قدس سره: و الأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى. لكن اقتصرنا في هذا المختصر على هذا القدر.

ص: ٣٤٩

١-١) مجمع الزوائد ١٠٨/٩-١٠٩.

٢-٢) كفايه الطالب: ٨٢-٨٤.

٣-٣) الرياض النضرة ١٦٦/٢.

٤-٤) مناقب الإمام علي: ٣١٢.

٥-٥) منتخب كنز العمال. هامش المسند ٣٠/٥.

٦-٦) المستدرک على الصحيحين ١٢١/٣.

قال قدس سره: و أما المطاعن في الجماعه: فقد نقل أتباعهم الجمهور منها شيئاً كثيراً، حتى صنّف الكلبي كتاباً كلّه في مثالب الصحابه، و لم يذكر فيه منقصه واحده لأهل البيت عليهم السلام. و قد ذكر غيره منهم أشياء كثيره، و نحن نذكر شيئاً يسيراً منها:

الشرح:

إن هذا الفصل هو القسم الثاني من الوجه السادس من الوجوه التي أقامها العلّامة لإثبات أن مذهب الإماميه واجب الاتباع، و قد كان القسم الأوّل منه في ذكر شيء يسير من فضائل و مناقب أمير المؤمنين التي اتفق على روايتها الموافق و المخالف... كما تقدّم.

و المقصود من «المطاعن» و من ذكرها في هذا المقام هو: بيان أنه لو دار الأمر بين أن يُتبع صاحب المناقب التي يرويها له المعتقدون بإمامته و غير المعتقدين، أو يُتبع من لم ترو في حقه تلك المناقب، بل رويت في كتب أتباعه نقائص له، فإنه لا شك في أن الحق أتباع الأوّل دون الثاني.

فهذا هو المقصود هنا....

و يزداد هذا المقصود وضوحاً: إذا علمنا بأن الجمهور لمّا قالوا بثبوت الإمامه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله بالبيعه و الاختيار، لأن خلفه أبي بكر وقعت كذلك...

اضطروا لأن يضعوا ضابطه لاختيار الخليفه، فذكروا شروطاً يجب أن تتوفّر فيه:

قال في شرح المواقف: «المقصد الثاني: في شروط الإمامه: الجمهور على أن أهل الإمامه و مستحقها:

من هو مجتهد في الأصول و الفروع ليقوم بأمور الدين، متمكناً من إقامة الحجج

و حلّ الشبه في العقائد الدينيه، مستقلاً بالفتوى في النوازل و الأحكام في الوقائع نصاً و استنباطاً، لأن أهم مقاصد الإمامه حفظ العقائد و فصل الحكومات و رفع المخاصمات، و لم يتم ذلك بدون هذا الشرط.

ذو رأى و بصره بتدبير الحرب و السلم و ترتيب الجيوش و حفظ الثغور، ليقوم بأمر الملك.

شجاع قوى القلب، ليقوى على الذبّ عن الحوزه و الحفظ لبيضه الإسلام، بالثبات في المعارك. كما روى: أنه عليه السلام وقف بعد انهزام المسلمين في الصف قائلاً: [أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب]

و لا يهوله أيضاً إقامه الحدود و ضرب الرقاب.

و قيل: لا يشترط في الإمامه هذه الصفات الثلاث، لأنها لا توجد الآن مجتمعاً...

نعم، يجب أن يكون عدلاً في الظاهر، لئلا يجور... عاقلاً، ليصلح للتصرفات الشرعيه و الملكيه. بالغاً، لقصور عقل الصبي. ذكراً، إذ النساء ناقصات عقل و دين. حراً، لئلا يشغله خدمه السيد عن وظائف الإمامه....

فهذه الصفات التي هي الثمان أو الخمس شروط معتبره في الإمامه بالإجماع....

و هاهنا صفات أخرى في اشتراطها خلاف:

الأولى: أن يكون قرشياً....

الثانيه: أن يكون هاشمياً....

الثالثه: أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين، أصولها و فروعها، بالفعل لا بالقوه....

الرابعه: ظهور المعجزه على يده، إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامه و العصمه» (1).

ص: ٣٥١

فظهر أن هناك شروطاً أجمع القوم على وجوبها في الإمامه، وإلا لم تنعقد....

لكن القوم أنفسهم قد رووا في كتبهم في حق أبي بكر و عمر و عثمان ما يدلّ بكلّ وضوح على انتفاء هذه الشروط فيهم، بل على اتصافهم بما ينافيها، فيكون اعتقادهم بإمامه هؤلاء- والحال هذه- مخالفاً للإجماع!!

فهذا هو المقصود من ذكر العلّامة بعض رواياته في عدد من تلك الموارد، و سنحاول توضيح مقصوده، بالاستناد إلى روايات القوم و بالاستشهاد بكلمات علمائهم في كلّ مورد.

ما رووه عن أبي بكر

المورد الأول

قال قدس سره: منها: ما رووه عن أبي بكر أنه قال على المنبر....

الشرح:

أمّا أن أبا بكر قال هذا الكلام، فذاك موجود في روايات أتباعه، نذكر هنا بعضها:

قال ابن سعد: «أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا هشام بن عروه- قال عبيد الله: أظنه عن أبيه- قال: لما ولي أبو بكر، خطب الناس، فحمد الله، و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، قد وليت أمركم و لست بخيركم، و لكن نزل القرآن و سنّ النبي....

أيها الناس، إنما أنا متّبع و لست بمتّبع، فإن أحسنت فأعينوني و إن زغت فقوموني» (١).

و في روايه ابن راهويه عن الحسن البصري: «إن أبا بكر الصّدّيق خطب فقال: أما و الله ما أنا بخيركم... أفتظنون أني أعمل فيكم بسنّه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم؟

ص: ٣٥٢

إذن لا أقوم بها. إن رسول الله كان يعصم بالوحي و كان معه ملك، و إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا اوثر في أشعاركم و أبشاركم» (١).

و في تاريخ الطبري بإسناد آخر: «ألا و إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا اوثر في أشعاركم و أبشاركم».

و أخرج الطبراني: «حدّثنا منتصر بن محمد، نا عبد الله بن عمرو بن أبان، نا عبد الرحيم بن سليمان، عن أبي أيوب الإفريقي، ثنا عيسى بن سليمان، عن زيد بن عطيه قال: قام أبو بكر الغد حين بويع، فخطب الناس فقال:

يا أيها الناس، إنني قد أقلتكم رأيكم، إنني لست بخيركم، فبايعوا خيركم، فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت و الله خيرنا. فقال: يا أيها الناس، إن الناس دخلوا في الإسلام طوعاً و كرهاً، فهم عواد الله و جيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لي شيطاناً يحضرنى، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني، لا أمثل بأشعاركم و أبشاركم.

يا أيها الناس، تفقدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحم نبت من سحت أن يدخل الجنة، ألا و راعوني بأبصاركم، فإن استقمت فاتبعوني، و إن زغت فقوموني، و إن أطعت الله فأطيعوني، و إن عصيت الله فاعصوني.

لم يرو هذا الحديث عن أبي أيوب الإفريقي إلا عبد الرحمن بن سليمان. تفرد به عبد الله بن عمر بن أبان» (٢).

و كذلك تجد الخبر في الصواعق المحرقة و تاريخ الخلفاء و الرياض النضرة (٣) و غيرها من كتب الحديث و التاريخ و الكلام.

ص: ٣٥٣

١- ١) كنز العمال ٥٨٩/٥-٥٩٠.

٢- ٢) المعجم الأوسط ٢٦٧/٨.

٣- ٣) الرياض النضرة ٣٨/١، الإمامه و السياسه ٦/١، الصواعق ١٢٥/١.

بل إن ابن تيميه أيضاً يصدّق بهذا الخبر و يزعم أنه من أكبر فضائل أبي بكر كما سيأتي، وكذلك صدّق به القاضي عبد الجبار المعتزلي وغيره... إلا أنهم حاولوا الإجابة عن ذلك.

و كأن بعضهم قد التفت إلى سقوط تلك المحاولات للدفاع عن أبي بكر، فانبروا قبل كل شىء لتكذيب الخبر أو التشكيك فيه، فيقول ابن روزبهان:

«هذا ليس من روايات أهل السنه بل من روايات الروافض، و إن سلّمنا صحّته فإن لكلّ إنسان شيطاناً...» (١).

و كذلك قال عبد العزيز الدهلوي، قال: «هذه الروايه لم تصحّح في كتب أهل السنه حتى يتم الإلزام بها، بل الصحيح الثابت عندهم خلافه...» (٢).

و تبعه الألوسى في مختصره إذ قال: «و يجب: بأن هذا غير ثابت عندنا، فلا إلزام، بل الثابت أنه أوصى عمر قبل الوفاء فقال...» (٣).

و هذا عجيب منهم، خاصه من الأخير، لأنهم يقلّمون ابن تيميه و هم عيال عليه في ردودهم على الإماميه، و هو يقول بأن القضيه من أكبر فضائل أبي بكر!!

لكن ذلك يكشف عن شدّه اضطرابهم كما أشرنا من قبل... و الآن، فانظر إلى كلماتهم في مقام الدفاع عن أبي بكر، فقد قال ابن تيميه:

«و الجواب أن يقال: هذا الحديث من أكبر فضائل الصّديق و أدلّها على أنه لم يكن طالب رئاسه و لا كان ظالماً، و أنه إنما كان يأمر الناس بطاعه الله و رسوله فقال لهم: إن استقمت...»

و الشيطان الذى يعتريه يعترى جميع بنى آدم... و مقصود الصّديق بذلك: إنى

ص: ٣٥٤

١- ١) انظر كتاب دلائل الصدق لنهج الحق ١٤/٣.

٢- ٢) التحفه الاثنا عشرية: ٢٦٩، المطعن الثامن.

٣- ٣) مختصر التحفه الاثنا عشرية: ٢٧٤.

لست معصوماً كالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا حق.

و قول القائل: كيف تجوز إمامه من يستعين على تقويمه بالرعيه، كلام جاهل بحقيقه الإمامه، فإن الإمام ليس هو رباً للرعيه حتى يستغنى عنهم... لكن إذا كان أكملهم علماً و قدره، و رحمه كان ذلك أصلح لأحوالهم» (١).

أقول:

لكن هذا الكلام مغالطه و خروج عن البحث، فمن يدعى أن الإمام رب للرعيه؟ و من يدعى العصمه لأبي بكر؟

و كم فرق بين من يخبر عن نفسه و يعترف بأن له شيطاناً مقترناً به يعتريه فيطيعه و يزيغ قلبه، فيطلب من الناس و يعتذر إليهم أن يجانبوه ثم لا يحاسبوه، و بين من قال:

«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» (٢)؟

و كم فرق بين من في قلبه زيغ و من كان راسخاً في العلم؟ قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعِيدًا إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ» (٣).

و كيف يكون من يزيغه شيطانه-فيطلب من الناس أن لا يطيعوه في زيغه بل يستعين بهم على تقويمه-مصدافاً لمن أمر الله تعالى بإطاعته إطاعه مطلقه و جعلها في سياق إطاعته و إطاعه رسوله، إذ قال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى

ص: ٣٥٥

١-١) منهاج السنه ٤٦٣/٥.

٢-٢) كلمه مشهوره لأمير المؤمنين على، موجوده في كتب الفريقين.

٣-٣) سوره آل عمران: ٦-٨.

ثم نقول لهم و هم يقولون بضروره الأفضليته في الإمام، و قبح تقدّم المفضول في الإمامه، كما نصّ عليه ابن تيميه في منهاجه غير مرّه: إن مقتضى هذا الكلام الثابت عن أبي بكر هو أن يكون مفضولاً بالنسبه إلى عمر، لأنكم رويتم عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال في حقّه: «ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلكت فجاً غيره...»؟

و إذا كان هذا مدحاً لعمر، فما قاله أبو بكر عن نفسه يكون دالاً على نقصه و موجباً للذم له بالضروره.

ثم قال ابن تيميه: استعانه على برعيته و حاجته إليهم كانت أكثر من استعانه أبي بكر، ثم استشهد بما يروونه من قول عبيده السلماني للإمام عليه السلام في مسأله بيع أمهات الأولاد: «رأيتك مع عمر في الجماعه أحبّ إلينا من رأيك و حدك في الفرقه.

و كان يقول: اقبضوا كما كنتم تقضون فإنني أكره الخلاف، حتى يكون الناس جماعه أو أموت كما مات أصحابي» (٢).

لكن هذه القضيّه-بناءً على ثبوتها-على خلاف مدعى ابن تيميه أدلّ، فإنها من موارد مخالفه الأمه لأمير المؤمنين و عدم إطاعتها له في أحكامه، و هو الذي قال عنه رسول الله صلّى الله عليه و آله «على مع الحق و الحق مع على، اللهم أدر الحق معه حيثما دار» (٣).

و قال صلّى الله عليه و آله لَمَّا أرسله إلى اليمن قاضياً: «إن الله سيهدى قلبك و يثبت لسانك» قال عليه السلام: «فما شككت في قضاء بعد» (٤).

ص: ٣٥٦

١-١ (١) سورة النساء: ٥٩.

٢-٢ (٢) منهاج السنّه ٤٦٥/٥.

٣-٣ (٣) مجمع الزوائد ٢٣٥/٧.

٤-٤ (٤) مسند أحمد ٨٣/١، سنن أبي داود ١٦٠/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٨٦/١٠، كنز العمال ١١٣/١٣، مسند أبي يعلى ٣٦٣/١، السنن الكبرى للنسائي ١١٦/٥.

بل ذلك صريح كلامه مع عبيده-إن ثبت-فقد قال:«فإني أكره الخلاف...» ولا شك أن من لم يطعه كان على الباطل، وهذا ذمّ لهم لا له...بخلاف إقرار و اعتراف أبي بكر بأن له شيطاناً يزيغه عن الحق و يحمله على الظلم و الباطل.

و من القوم من حمل كلام أبي بكر على طلب المشوره من الناس (١).و بطلانه أوضح كما لا يخفى.

و منهم من نقض (٢)بقضيه آدم و حوّاء إذ قال تعالى: «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» (٣)فإن كان نقصاً لكان في تلك القضية نقص عليهما،بل كلّ الأنبياء جميعاً إذ قال تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْتَاتِهِ» (٤).

و بطلانه واضح كذلك،لما تقدّم من أن كلام أبي بكر صريح في وجود الشيطان معه و إطاعته له.و أما آدم و سائر الأنبياء و المرسلين فهم معصومون بالإجماع من المعاصي.

المورد الثاني

إشاره

قال قدس سره:و قال أقبولوني فلست بخيركم....

الشرح:

هذه الجملة مشتمله على ثلاثه أمور:

الأولى: الإستقاله.

و الثانيه: تعليل الاستقاله بأنه ليس بخيرهم.

و الثالثه: أفضلية على عليه السلام من أبي بكر.

ص: ٣٥٧

@ (١ -١)

@ (٢ -٢)

٣-٣) سورة البقره: ٣٦.

٤-٤) سورة الحج: ٥٢.

و هكذا ذكر العلامه في (نهج الحق) فقال: «و منها قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم و عليّ فيكم. فإن كان صادقاً لم يصلح للإمامه و إلا لم يصلح لها أيضاً».

و تناقضت كلمات المدافعين عن أبي بكر، فقال ابن تيميه:

«و الجواب: إن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث و لا له إسناد معلوم، فإنه لم يقل: و عليّ فيكم» (١).
و ظاهره قبول الخبر إلا كلمه «و عليّ فيكم».

و قال ابن روزبهان في جواب كلام العلامه في (نهج الحق): «إن صحّ هذا فهو من باب التواضع...» (٢).
و ظاهره التشكيك في كلّ الكلام.

و قال الدهلوي: «المطعن العاشر: قول أبي بكر: لست بخيركم و عليّ فيكم....»

و الجواب: أولاً: هذه الروايه غير موجوده في شيء من كتب أهل السنه، لا بطريق صحيح و لا ضعيف، فكان عليهم إيراده من كتب أهل السنه ثم المطالبه بالجواب، و إلزام أهل السنه بافتراءات الشيعه من غايه الجهل... و قد زاد بعض علماء الشيعه لفظ «أقيلوني...» (٣).

و اختلاف كلماتهم يكشف عن اضطرابهم، لعدم وجود الجواب الصحيح عندهم.

بل لقد وقع بعضهم في التناقض، كابن روزبهان، الذي ذكر في موضع آخر وجود الخبر بكامله في الصّحاح، و هذا نصّ عبارته هناك بقدر الحاجه في جواب كلام للعلامه: «إنه بيّننا في هذا روايه الصّحاح، فإن أرباب الصّحاح ذكروا في بيعه علي

ص: ٣٥٨

١-١) منهاج السنّه ٤٦٧/٥.

٢-٢) انظر دلائل الصدق

٣-٣) التحفه الإثنا عشرية: ٢٧١.

لأبى بكر أن بنى هاشم لم يبائعوا أبا بكر إلا- بعد وفاه فاطمه، و لم يتعزض أبو بكر لهم و تركهم على حالهم، و كانوا يترددون عند أبى بكر و يدخلون فى المشاورات و المصالح و المهمات و تدبير الجيوش. فلما توفيت فاطمه بعث أمير المؤمنين على أبى بكر و قال: ائتنى و حدك. فجاءه أبو بكر فى بيته، فجلسا و تحدّثا.

ثم قال على لأبى بكر: إنك استأثرت هذا الأمر دوننا، ما كنا نمنعك عن هذا الأمر و لا نحن نراك غير أهل لهذا، و لكن كان ينبغى أن تؤخره إلى حضورنا.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، كان الأنصار يدعون هذا الأمر لأنفسهم، و كانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم، و كان يخاف منهم الفتنة، فتسارعت إلى إطفاء الفتنة و أخذت بيعه الأنصار. و إن كان لك فى هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس و أقبل بيعتهم و أبايعك و الناس.

فقال أمير المؤمنين: الموعد بينى و بينك بعد صلاة الظهر.

فلما صلوا الظهر رقى أبو بكر المنبر و قال:

أقيلونى، فلست بخيركم و على فيكم...» (١).

و على كل حال، فقد اتفقت كلمتهم على كلمه «لست بخيركم» فلتكن هذه الكلمه هى القدر المتيقن و بها الكفايه، لأنه قد تقرّر عند الجمهور اشتراط أن يكون الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه و آله هو الخليفه له. فإذا ثبتت هذه الكلمه عن أبى بكر قلنا:

أولاً: إنه بهذه الكلمه يبطل ما روى من قول عمر فى السقيفه مخاطباً أبا بكر: «أنت سيدنا و خيرنا» (٢).

و ثانياً: إنه بهذه الكلمه يسقط أبو بكر عن الولاية، لأنه قد أعلن بها عن عدم أهليته

ص: ٣٥٩

١- ١) انظر دلائل الصدق ٣/٨١-٨٢.

٢- ٢) صحيح البخارى ٤/١٩٤.

لها، لأن المفروض أنه لم يقل ذلك هزلاً ولا امتحاناً لمن بايعه من الناس.

لكن كلمه «أقيلوني» موجوده فى المصادر سواء بهذا اللفظ أو نحوه، وقد عقد الحافظ أبو العباس محب الدين الطبرى لذلك باباً فى أحوال أبى بكر، إذ قال: «ذكر استقاله أبى بكر من البيعه: عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبى بكر و هو أخذ بطرف لسانه، و هو يقول: إن هذا أوردنى الموارد، ثم قال: يا عمر لا حاجه لى فى إمارتكم. قال عمر: و الله لا نقتيلك و لا نستقتيلك. ثلاثاً.

خرجه حمزه بن الحارث.

و عن أبى الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بويع له و بايع له على و أصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيها الناس قد أقتلتم بيعتكم هل من كاره؟ قال: فيقوم على فى أوائل الناس يقول: لا و الله لا نقتيلك و لا نستقتيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا الذى يؤخرك.

خرجه ابن السمان فى الموافقه.

و عنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كل يوم يقول: قد أقتلتم بيعتى فبايعوا من شئتم قال: فيقوم على بن أبى طالب فيقول: لا و الله لا نقتيلك و لا نستقتيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا الذى يؤخرك.

خرجه الحافظ السلفى فى المشيخه البغداديه و ابن السمان فى الموافقه.

و أبو الجحاف هذا هو داود بن أبى عوف البرجمى التميمى مولاهم، كوفى ثقه، روى عن غير واحد من التابعين، و هو حديث مرسل عن الطريقين.

و عن جعفر عن أبيه قال: لما استخلف أبو بكر خير الناس سبعة أيام، فلما كان اليوم السابع، أتاه على بن أبى طالب فقال: لا نقتيلك و لا نستقتيلك، و لو لا أننا رأيناك أهلاً ما بايعناك.

خرجه ابن السمان فى الموافقه.

و عن سويد بن غفله: قال لما بايع الناس أبا بكر قام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه، ثم

قال: يا أيها الناس أذكر بالله، أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه قال: فقام إليه على بن أبي طالب و معه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبه المنبر و الأخرى على العصا و قال: و الله لا نقيلك و لا نستقيلك، قدمك رسول الله فمن ذا يؤخرك.

خرّجه في فضائله و قال: هو سند حيث روى في هذا المعنى. و سويد بن غفله أدرك الجاهليه و أسلم في حياه النبي» (١).

و في جامع الأصول عن كتاب رزين: «قال أنس: فسمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: أصعد المنبر. فبايعه الناس عامهً. و خطب أبو بكر في اليوم الثالث، فقال بعد أن حمد الله و صلّى على رسوله صلّى الله عليه و سلم: أما بعد، أيها الناس، إن الذي رأيتم مني لم يكن حرصاً على ولايتكم، و لكنني خفت الفتنة و الاختلاف. و قد رددت أمركم إليكم، فولّوا من شتم.

فقالوا: لا نقيلك» (٢).

و في تاريخ الخميس ما نصّه:

«ذكر غير ابن حبان: إن أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلمهم في بيعتهم و يستقيلمهم فيما تحمّله من أمرهم، و يعيد ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون له: و الله لا نقيلك و لا نستقيلك...» (٣).

و أمّا كلمه «و على فيكم» فقد اعترف ابن روزبهان بوجودها في الروايات، و الله العالم بقصد أبي بكر منها، فقد كان بعض مشايخنا يرى أن الكلمه هذه كانت إيعازاً منه إلى ضروره القضاء على الإمام عليه السلام.

و كيف كان، فإن الظاهر من روايات القضيّه تكزّر الكلام من أبي بكر، لأن في

ص: ٣٤١

١-١ (١) الرياض النضره ٢٢٩/١.

٢-٢ (٢) جامع الأصول ٤٨١/٤.

٣-٣ (٣) تاريخ الخميس- ذكر بيعه أبي بكر، من الموطن الحادى عشر.

بعضها أنه قاله بعد ثلاثه أيام من البيعه، وفي البعض الآخر أنه كان بعد وفاه الصديقه الزهراء عليها السلام... والله العالم.

هذا كله بالنسبه إلى السند و المتن...وقد رأيت أن لا مناص لهم من الإذعان، و الإنكار ليس إلا مكابره....

ثم حاول القوم الإجابة من حيث الدلاله، فذكروا وجوهاً.

الوجه الأول:

أما ابن تيميه، فلم يذكر وجهاً مهمّاً إلا حمل الكلام على التواضع، وقد ذكر غيره هذا الوجه أيضاً.

قال ابن روزبهان: إن صحّ هذا فهو من باب التواضع و تأليف قلوب التابعين، و حق الإمام أن لا يفضل نفسه على الرعيه و لا يتكبر عليهم.

و قال ابن كثير: ثم تكلم أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أمّياً بعد، أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم و لست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، و إن أسأت فقوموني، الصدق أمانه، و الكذب خيانه، و الضعيف فيكم قوى [عندى] حتى ازيح علته إن شاء الله، و القويّ فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، و لا تشيع الفاحشه فى قوم قط إلا - عمّهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله و رسوله، فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعه لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. و هذا إسناد صحيح.

فقوله رضى الله عنه: «وليتكم و لست بخيركم» من باب الهضم و التواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم و خيرهم رضى الله عنهم.

و يردّ هذا الوجه:

١- تكرر هذا الكلام من أبى بكر، و حملة على التواضع مع تكررّه خلاف الظاهر جدّاً.

٢- إن التواضع و هضم النفس فى أمر الدّين و الخلافه غير معقول، كيف؟ و لا يبقى حينئذ و ثوق بالكلام لعدم العلم بقصده. قاله الشهيد التستري.

٣- إن الألفاظ الموجوده فى روايات القوم للكلام، لا- تدع مجالاً للحمل على التواضع أصلاً، انظر مثلاً قوله: «...إن هذا أوردنى الموارد...» و قوله: «أذكر بالله أيما رجل ندم على بيعتى لما قام على رجله» و قوله حالفاً على عدم خيريته: «أما و الله ما أنا بخيركم» و أمثال ذلك من العبارات.

و لعلّه من هنا لم يذكر بعضهم- كالدّهلوى و مقلّده الآلوسى- هذا الوجه فى مقام الدفاع عن أبى بكر.

الوجه الثانى:

قال ابن روزبهان: «و هذا من باب الإستظهار بترك الإياله و الحكومه، كما روى أن أمير المؤمنين كان يقول: «لا تسوى الخلافه عندى نعلًا مخصوفًا» (١).

و قال الدهلوى: إن هذا الكلام دليل على عدم طمعه و حبه للرئاسه و الإمامه (٢).

و قد سبقهما إلى هذا الوجه قاضى القضاة المعتزلى و غيره قالوا: إن هذا الكلام من أبى بكر لبيان الزهد فى الإمارة....

و الجواب عن هذا الوجه هو: إنه ينافى تعليقه الإستقاله بعدم الخيريّه.

و كم فرق بينه و بين ما روى عن أمير المؤمنين؟

الوجه الثالث:

كون إمامته حقاً لا ينافى جواز الاستقاله و عدم كونها معصيه، لأن المفروض انعقاد إمامته بالاختيار. قاله ابن أبى الحديد (٣).

ص: ٣٦٣

١- (١) انظر: دلائل الصدق ٢٥/٣.

٢- (٢) مختصر التحفه الاثنى عشرية: ٢٧٦.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٦/٣.

و الجواب: إنه لا- يجوز له الاستقالة حتى بناءً على أن الإمامه بالاختيار، لأن البيعه عقد من العقود، وقد قال الله عز و جل «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ».

الوجه الرابع:

قال ابن روزبهان: «و قد قيل أنه قال هذا بعد ما شكوا بعض أصحاب رسول الله استثنائه للخلافه من غير انتظار لحضورهم» (١).
و جوابه يظهر ممّا تقدّم من رواياتهم فى الباب...و لعله تنبّه إلى ضعف كلامه فنسبه إلى «القبيل».

الوجه الخامس:

قال الدهلوى و تبعه الآلوسى -و اللفظ للثانى- «ثبت فى الصحيحه الكامله، و هى من الكتب الصحيحه عندهم، من قول الإمام السجاد رضى الله عنه: أنا الذى أفنت الذنوب عمره. فإن كان صادقاً بهذا الكلام لم يكن لائقاً للإمامه، لأن الفاسق المرتكب للذنوب لا يصلح للإمامه. و كذا إن كان كاذباً فكذلك لما مر. فما هو جوابهم فهو جوابنا.

و الجواب: إنه كلام باطلٌ جداً. إذ كيف يريد إلزام الاماميه بقياس واضح البطلان عندهم جداً؟

الإمام السّجّاد الذى لقبه النبى صلّى الله عليه و آله ب «سيد العابدين» إمام معصوم، فما جاء فى كلامه و كلام غيره من الأئمه من هذا القبيل و كذلك ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام... كل ذلك محمول على الاعتراف بالتقصير أمام الله سبحانه و تعالى.

و أمّا أبو بكر، فلا يدعى أحدٌ له العصمه أبداً، و قد اعترف على رؤوس الأشهاد مرّة بعد أخرى بعدم أهليته للإمامه، فكيف يعارض كلامه بكلام الإمام السّجّاد المذكور و نحوه؟

ص: ٣٦٤

و على الجملة، كم فرق بين مناجاه معصوم مع الله و اعترافه بالتقصير أمامه، و اعتراف عبد غير معصوم أمام الناس بالنقص و القصور؟! القصور!

المورد الثالث

قال قدس سره: و قال عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتةً وقي الله المسلمين شرّها.

الشرح:

و قبل الورد في بيان ذلك نوضّح أن مقوله عمر هذه لم تكن له وحده، و إنما قالها لِمَا بلغته عن جماعه من أعلام الصحابه، قالوا: و الله لو مات -أي عمر- لبايعنا فلاناً -أي علياً- و قد كانت بيعه أبي بكر فلتةً... فقال عمر: نعم كانت بيعه أبي بكر فلتةً و لكنّ الله وقي شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (١).

فظهر: أن هذه الكلمه قد قالها جماعه من الأصحاب، و قد قرّرها و أقرّ بها عمر بن الخطاب، في خطبه الجمعة، في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله.

لكن القوم قد اضطربوا في توجيه معنى هذه الكلمه، و لربما اضطروا إلى تحريف لفظها:

قال ابن روزبهان في جواب كلام العلامة في هذا المقام:

«لم يصح عندنا روايه هذا الخبر. و إن صح كان تحذيراً من أن ينفرد الناس بلا حضور العامّة بالبيعه، و لهذا سمّاه بالفلته، و كان ذلك لضروره داعيه إليه...».

ففي هذا الكلام ثلاثه أمور:

الأول: التكذيب للخبر من أصله.

و الثاني: التصرّف في لفظه من «الفلته» إلى «الفتنه».

و الثالث: تأويل اللفظ و توجيه المعنى.

ص: ٣٦٥

و قال فى شرح المواقف:

«و أمّا قوله فى بيعه أبى بكر، فمعناه أن الإقدام على مثله بلا مشاوره الغير و تحصيل الاتفاق منه، مظنه للفتنه العظيمه، فلا يقدمنّ عليه أحد، على أنى أقدمت عليه فسلمت و تيسر الأمر بلا تبعه» (١).

و قال فى شرح المقاصد:

«و الجواب: إن المعنى: كانت فجأة و بغته و قى الله شرّ الخلاف الذى يكاد يظهر عندها، فمن عاد إلى مثل تلك المخالفه الموجه لتبديد الكلمه فاقتلوه.

و كيف يتصوّر منه القدح فى إمامه أبى بكر، مع ما علم من مبالغته فى تعظيمه و فى انعقاد البيعه له...؟» (٢).

و قال ابن تيميه:

«و الجواب: إن لفظ الحديث سيأتى. قال فيه: فلا- يعترنّ امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعه أبى بكر فلتته تّمت، ألا- و إنها قد كانت كذلك، و لكن وقى الله شرّها، و ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر. و معناه: إن بيعه أبى بكر بودر إليها من غير تريث و لا انتظار، لكونه كان متعيّناً لهذا الأمر، كما قال عمر: ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر.

و كان ظهور فضيله أبى بكر على من سواه و تقديم رسول الله صلى الله عليه و سلّم له على سائر الصحابه أمراً ظاهراً معلوماً، فكانت دلالة النصوص على تعيينه تغنى عن مشاوره و انتظار و تريث، بخلاف غيره، فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاوره و الانتظار و التريث، فمن بايع غير أبى بكر من غير انتظار و مشاوره، لم يكن له ذلك.

و هذا، قد جاء مفسراً فى حديث عمر هذا فى خطبته المشهوره الثابته فى

ص: ٣٤٤

١- ١) شرح المواقف ٣٥٨/٨.

٢- ٢) شرح المقاصد ٢٩٣/٥.

الصحيح، التي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره، وهذه الخطبه معروفه عند أهل العلم، وقد رواها البخارى في صحيحه عن ابن عباس قال: «... فأورد الخطبه كامله (١)».

أقول:

و في هذا الكلام ثلاثه أمور كذلك:

الأول: تصحيح الخبر. فتكذيبه من ابن رزبهان أو غيره جهل أو كذب.

و الثاني: دعوى دلالة النصوص على تعيين أبى بكر.

و الثالث: توجيه المعنى و تأويل اللفظ.

و قال عبد العزيز الدهلوى فى التحفه:

«و الجواب: قد وقع هذا الكلام من عمر جواباً لشخص كان يقول فى حياته: لو مات عمر لبايعت فلاناً و جعلته خليفه، لأن بيعه أبى بكر أيضاً كانت فلتة من رجل أو رجلين... فمعنى كلام عمر فى جواب هذا السائل هو: إن بيعه الواحد أو الاثنين بلا تأمل و مراجعه للمجتهدين و مشوره لأهل الحلّ و العقد، غير صحيحه...» (٢).

و فى مختصر التحفه:

«و الجواب: إن هذا الكلام صدر من عمر فى زجر رجل كان يقول: إن مات عمر أبايع فلاناً وحدى أو مع آخر، كما كان فى مبايعه أبى بكر. ثم استقر الأمر عليها. فمعنى كلام الفاروق فى ردّه لهذا القول: إن بيعه رجل أو رجلين شخصاً من غير تأمل سابق و مراجعه أهل الحلّ و العقد ليست بصحيحه...» (٣).

ص: ٣٦٧

١-١) منهاج السنه ٤٦٩/٥-٤٧٠.

٢-٢) التحفه الاثنا عشرية: ٢٧٠-٢٧١.

٣-٣) مختصر التحفه الاثنى عشرية: ٢٧٥، الباب الثامن.

أقول:

و فى هذا الكلام أيضاً أمور ثلاثة:

الأول: الإعتراف بصحة الخبر و ثبوته.

و الثانى: دعوى دلالة القرائن كإمامه الصّلاه و نحوها على خلافه أبى بكر.

و الثالث: إنه قد ثبت عند أهل السنّه و صحّ أن سعد بن عباده و أمير المؤمنين عليّاً و الزبير، قد بايعوا أبا بكر بعد تلك المناقشه، و اعتذروا له عن التخلّف فى أوّل الأمر.

هذا، و لا يخفى موارد الفرق بين أصل كلام الدهلوى، و ما جاء فى عبارته الألوسى بترجمته.

أقول:

فإنكار أصل الخبر باطل مردود، فلا كلام من جهة السند، و تبقى:

١- جهة المتن و الدلاله

و قد عرفت أن اللفظه هى «الفلته» لا «الفتنه» كما فى كلام ابن روزبهان.

و يظهر كيفيه ضبط لفظه «الفلته» و مدلولها فى هذا الخبر، بعد معرفه قائل الكلمه و الوقوف على شىء من تفاصيل القضيه، فاعلم:

إنه و إن أبهم البخارى و غيره اسم من قال تلك الكلمه فى «منى»، فجاء فى روايتهم: «بلغنى أن قائلًا منكم يقول: و الله لو مات عمر بايعت فلاناً...». لكنّ الحافظ ابن حجر بين و عين «القائل» و «فلاناً»، فقال فى مقدمه فتح البارى:

«لم يسمّ القائل و لا الناقل، ثم وجدته فى الأنساب للبلاذرى، بإسناد قوى، من روايه هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهرى، بالإسناد المذكور فى الأصل [أى فى البخارى نفسه] و لفظه: قال عمر: بلغنى أن الزبير قال: لو قد مات عمر بايعنا عليّاً».

هذا الزبير نفسه-الذى كان فى قضيه السقيفه فى بيت الزهراء، و خرج مصلتاً

ص: ٣٦٨

سيفه، و أحاطوا به، و أخذوا السيف من يده- ينتظر الفرصه، فهو لم يتمكّن في ذلك الوقت أن يفعل شيئاً لصالح أمير المؤمنين، و ما يزال ينتظر الفرصه.

و هناك أقوال أخرى في المراد من فلان و فلان، لكن السيّد القويّ الذي وافق عليه ابن حجر العسقلاني و أيده هذا، لأن الزبير و عليّاً لم يكونا وحدهما في منى، و إنما كانت هناك جلسه، و هؤلاء مجتمعون، فكان مع الزبير و مع عليّ غيرهما من عيون الصحابه و أعيان الأصحاب.

ثم يقول ابن حجر: «في مسند البزار و الجعديات بإسناد ضعيف: أن المراد بالذي يبايع له طلحه بن عبيد الله» (١).

إنه- بحسب هذه الروايه- كان ينتظر بعض الأصحاب فرصه موت عمر حتى يبايع طلحه، و طلحه ينتظر ذلك حتى يبايع له!

و في تاريخ الطبري و غيره (٢): إن القائل لبايعنا عليّاً هو عمّار بدل الزبير... و عمّار من أصحاب أمير المؤمنين منذ اليوم الأول.

أقول:

بل كلاهما، و معهما غيرهما من الأصحاب أيضاً، و لذا جاء في كلام ابن حجر:

«و وقع في روايه ابن إسحاق أن من قال ذلك كان أكثر من واحد» (٣).

لكن العجيب هو اضطراب القوم في هذا الموضوع أيضاً...!

فابن حجر- الذي نصّ على ما تقدّم في المقدمه، و ذكر روايه البلاذري و أنها بسند قوي- لم يتعرّض لذلك بشرح الحديث أصلاً، بل ذكر هناك خبر طلحه- الذي نصّ على ضعفه في المقدمه- فقال:

ص: ٣٦٩

١- ١) مقدمه فتح الباري: ٣٣٧.

٢- ٢) تاريخ الطبري، الطبقات الكبرى ٦٥/٢، السيره النبويه لابن هشام ٣٠٥/٣، البدايه و النهايه.

٣- ٣) فتح الباري في شرح البخاري ١٢/١٢٩.

«قوله: لقد بايعت فلاناً. هو طلحة بن عبيد الله. أخرجه البزار من طريق أبي معشر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه» (١).

لكن عند ما تراجع القسطلاني في شرح الحديث، نجده يذكر ما ذكره ابن حجر في المقدمة فيقول بشرح «لو قد مات عمر لبايعت فلاناً»:

«قال في المقدمة -يعنى قال ابن حجر العسقلاني في مقدمه فتح الباري- في مسند البزار و الجعديّات بإسناد ضعيف: إن المراد... قال: ثم وجدته في الأنساب للبلاذري بإسناد قوى من روايه هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري بالإسناد المذكور في الأصل، و لفظه: قال عمر: بلغنى إن الزبير قال: لو قد مات عمر لبايعنا عليّاً... الحديث.

و هذا أصح».

و يقول القسطلاني: «و قال في الشرح: قوله: لقد بايعت فلاناً، هو طلحة بن عبيد الله، أخرجه البزار».

قرأنا هذا من شرح البخاري لابن حجر.

ثم ذكر: «قال بعض الناس لو قد مات أمير المؤمنين أقمنا فلاناً، يعنون طلحة بن عبيد الله، و نقل ابن بطال عن المهلب: أن الذي عنوا أنهم يبايعونه رجل من الأنصار، و لم يذكر مستنده» (٢).

و أمّا الكرمانى، فلم يتعرّض لشيء من هذه القضايا أصلاً، و إنما ذكر أن كلمه «لو» حرف يجب أن تدخل على فعل، فلما ذا دخلت لو على حرف آخر «لو قد مات»، لما ذا كلمه «لو» التي هي حرف دخلت على «قد» التي هي حرف؟ «لو» يجب أن تدخل على فعل، فلما ذا دخلت على حرف؟ هذا ما ذكره الكرمانى في شرح الحديث، و كأنه ليس هناك شيء أبداً.

ص: ٣٧٠

١-١) فتح الباري في شرح البخاري ١٢/١٢٩.

٢-٢) إرشاد الساري ١٩/١٠.

و أمّيا العيني- و هو دائماً يتعقب ابن حجر العسقلاني، لأن العسقلاني شافعي، و العيني حنفي، و بين الشوافع و الحنفيّه خاصّه في المسائل الفقهيّه خلاف شديد و نزاعات كثيره-فليس له هنا أى تعقيب، و حتى أنه لم يتعرّض للحديث الذى ذكره ابن حجر العسقلاني، و إنما ذكر رأى غيره، فلم يذكر شيئاً عن ابن حجر العسقلاني أصلاً، و إنما جاء فى شرح العيني: قوله: «لو قد مات عمر» كلمه: قد، مقحمه: لأن لو لازم أن يدخل على الفعل، و قيل قد، فى تقدير الفعل، و معناه: لو تحقق موت عمر. قوله: لقد بايعت فلاناً يعنى: طلحه بن عبيد الله، و قال الكرمانى: هو رجل من الأنصار، و كذا نقله ابن بطّال عن المهلب، لكن لم يذكر مستنده فى ذلك». و هذا غايه ما ذكره العيني فى شرح البخارى (١).

فتلخص مما ذكرنا: إن القائل بأن بيعه أبى بكر كانت فلتة، هم جماعه و ليس رجلاً واحداً. و إنهم كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ينتظرون موت عمر حتى يبايعونه.

و إن عمر-الذى لا يريد أن يكون الأمر لعلى عليه السلام-لما بلغته الكلمه غضب، و أراد أن يقوم خطيباً بمنى و يحذّر الناس من هؤلاء...!

فلما منعه أصحابه من ذلك حتى يقدم المدينة، قال: «أما و الله- إن شاء الله- لأقومنّ بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينه».

و هناك- و فى أوّل جمعه أقامها-خطب... و ذكر الكلمه التى قالها أصحاب أمير المؤمنين، و أقرّ بها... ثم هدد بقتل المبايع و المبايع له، و هناك طرح فكره الشورى، و تعين الخليفه عن طريقها....

ثم رتب الشورى بحيث لا يصل الأمر إلى على عليه السلام!

ص: ٣٧١

١- ١) عمده القارى ٨/٢٤، ذيل الرقم ٦٨٣٠ باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.

و على ضوء ما تقدّم، يظهر مقصود أصحاب الإمام عليه السلام و مرادهم من كلمه «الفلته»... فهم يريدون الإعلان عن عدم رضاهم بخلافه أبى بكر، و عن تقصيرهم فى حق على عليه السلام، و عن ندمهم على تفويت تلك الفرصه، فلو بادروا إلى بيعه الإمام عليه السلام قبل السقيفه أو فى حينها لما كان ما كان، فلا بدّ من انتهاز فرصه موت عمر، حتى لا يتكرّر التقصير و لا تستمرّ الحسره.

و لكنّ القوم الذين يعلمون بهذا المعنى قطعاً، لا يريدون الاعتراف به، و لذا تراهم يتناقضون فى بيان معنى «الفلته»، و بعضهم لما رأى أن شيئاً من تلك المعانى لا يخلصهم من الورطه—و هو لا يريد الإقرار بالحقيقه—لم يجد مناصاً من إنكار أصل القضيه، و هى موجوده فى البخارى و غيره، و مشهوره بين أهل العلم كما قال ابن تيميه!!

و على الجملة، فقد اختلفت كلماتهم فى معنى لفظه «الفلته» و اضطربت توجيهاتهم للكلمه، لكنّها كلّها بمغزل عن الحق و الصواب، إذ يحاولون تأويل الكلمه بما يتناسب و عقيدتهم فى بيعه أبى بكر، و إن صدرت من بعضهم بعض الإشارات بشرح قوله عمر: وقى الله شرّها.

و لا بأس بأن ننقل هنا ما جاء فى تاج العروس، حيث قال:

«الفلته—بالفتح—آخر ليله من الشهر، و فى الصحاح: آخر ليله من كلّ شهر، أو آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام، كآخر يوم من جمادى الآخره. و ذلك أن يرى فيه الرجل ثاره، فربما توانى فيه، فإذا كان الغد دخل الشهر الحرام ففاته....

و فى الحديث: إن بيعه أبى بكر كانت فلتة فوقى الله شرّها.

قيل: الفلته هنا مشتقه من الفلته آخر ليله من الأشهر الحرم، فيختلفون فيها أمن الحلّ هى أم من الحرم، فيسارع الموتور إلى درك الثأر، فيكثر الفساد و يسفك الدماء.

فشبه أيام النبى صلّى الله عليه و سلّم بالأشهر الحرم و يوم موته بالفلته فى وقوع الشرّ، من ارتداد العرب و توقّف الأنصار عن الطاعه و منع من منع الزكاه، و الجرى على عاده

العرب في أن لا يسود القبيله إلا رجل منها.

و نقل ابن سيده عن أبي عبيد: أراد فجأه، و كانت كذلك، لأنها لم ينتظر بها العوام....

و قال الأزهرى: إنما معنى الفلته: البغته....

و قال ابن الأثير: أراد بالفلته الفجأه....

و قيل: أراد بالفلته الخلسه، أى إن الإمامه يوم السقيفه مالت الأنفس إلى توليها و لذلك كثر فيها التشاجر....

و وجدت في بعض المجاميع: قال على بن سراج: كان في جوارى جازٍ يتهم بالتشيع، و ما بان ذلك منه في حال من الحالات إلا في هجاء امرأته، فإنه قال في تطلقها: ما كنت من شكلى و لا كنت من

أقول:

إنه لما كانت الكلمه من أصحاب أمير المؤمنين، و هم قد قالوها في مقام التحسير و بيان الغصه على إضاعه الفرصه و الندم على التوانى، فليس مرادهم «الفجأه» و لا «البغته»، بل يجوز أن يكون المراد هو المعنى الأول، المذكور في الصحاح و القاموس و غيرهما، و يجوز أن يكون المراد هو المعنى الأخير المذكور في الشعر عن بعض من يتهم بالتشيع....

و مع ذلك كله، فإنهم لا يذكرون المعنى المراد الظاهر فيه اللفظ، و خاصه مع القرائن المذكوره.

نعم، قد وجدت في كلام البدر الزركشى في شرح الحديث ما يلى:

ص: ٣٧٣

«و الفلته-بفتح الفاء فى المشهور-كلّ شىء فعل من غير رويّه.

و روى سحنون عن أشهب أنه كان يقولها بضمّ الفاء، و هو انفلات الشىء من الشىء، قال: و لا يجوز الفتح، لأن معناه: ما يندم عليه. و لم يكن بيعه أبى بكر ممّا يندم عليه.

و على الروايه المشهوره، فالمراد بها بغتةً و فجأةً، لأنه لم ينتظر بها العوام، و إنما ابتدرها الصّحابة من المهاجرين و عامّة الأنصار، لعلمهم أنه ليس لأبى بكر منازع و لا يحتاج فى أمره إلى نظر و لا مشاوره، و إنما عوجل بها مخافه انتشار الأمر و الشقاق حتى يطمع بها من ليس بموضع لها، فهذا كانت الفلته التى وقى الله بها الشرّ المخوف.

هكذا ذكره أحمد بن خالد فى مسنده. حكى ذلك كلّه عيسى بن سهل فى كتاب غريب ألفاظ البخارى» (1).

فالحمد لله الذى أجرى على لسانهم الحق الذى طالما حاولوا كتمه، فاضطربوا و تخبطوا... فإن اللفظه إن كانت بضمّ الفاء، فهى دالة على المعنى المقصود، و هو «انفلات الشىء من الشىء»، لأنّ الخلافه قد انفلتت فى عقيدته الزبير و عمّار و أمثالهما، الذين قالوا الكلمه فى منى- من يد أمير المؤمنين و خرجت عن محلّها الذى أرادّه الله و رسوله صلّى الله عليه و آله.

و إن كانت بفتح اللّام، فدلالته على المقصود أوضح و أتم، لأنهم أرادوا بهذه الكلمه إظهار الندم على توانيهم و سكوتهم و خضوعهم للأمر الواقع، فكانوا يتحّينون الفرصه للاستدراك و إرجاع الأمر إلى محلّه و الحق إلى صاحبه.

و لا يخفى أن «أشهب» الذى نقل عنه الكلام المذكور فى معنى «الفلته» هو:

«أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسى ثم العامرى ثم بنى جعده بن

ص: ٣٧٤

كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعه من أنفسهم» فهو عربي أصيل، و هو إمام فقيه كما وصفوه، و هو مفتي مصر. ولد سنة ١٤٠ و توفي سنة ٢٠٤ (١).

و إلى هنا ظهر معنى «الفلته» التي قالها غير واحد من الصحابه الكبار، و أقرّها عمر بن الخطاب إلا أنه قال: «وقى الله شرّها».

٢- كيف كانت بيعه أبي بكر؟

ثم إن عمر بن الخطاب حكى لنا طرفاً من وقائع السقيفه، و اشتملت خطبته على نقاط نتعرّض لها بقدر الحاجه:

١- قول عمر: «خالف عنا علي و الزبير و من معهما» فأقول:

أولاً: إن مقتضى الأحاديث الصحيحه، كقوله صَلَّى الله عليه و آله: «علي مع الحق و الحق مع علي يدور معه حيثما دار» (٢) هو كون الحق مع علي في كلّ الأحوال، فكان علي غيره من الأصحاب قاطبه متابعتة و إطاعته.

و ثانياً: إنه لم تكن المخالفه فقط، بل إنه عليه السلام كان يرى الأمر لنفسه، للنصوص الوارده في حقّه، و لأفضليته من غيره بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله على الإطلاق.

٢- قول أبي بكر: «و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم» قال عمر: «فأخذ بيدي و بيد أبي عبيده بن الجراح و هو جالس بيننا».

فإن هذا الكلام من أبي بكر دليل واضح على عدم تعيّنه للأمر، من الله و رسوله، و إلّا لما أرجع إلى أحد الرجلين.

ص: ٣٧٥

١- ١) توجد ترجمته في تهذيب الكمال ٢٩٦/٣، سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٩، تهذيب التهذيب ٣١٤/١، حسن المحاضرته في محاسن مصر و القاهره ٣٠٥/١ و غيرها.

٢- ٢) مجمع الزوائد ٢٣٥/٧.

بل هو إقرار منه بعدم أفضليته منهما، وقد تقرّر عند الجمهور- كما ذكر ابن تيمية أيضاً مراراً- لزوم أفضليه الإمام و قبح تقدّم المفضول.

و كذلك حاله عند سائر الأصحاب، فلم يكن عندهم دليلٌ على تعيينه أصلاً، و لذا قال الحافظ: «قال القرطبي في المفهم: لو كان عند أحد من المهاجرين و الأنصار نصٌّ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على تعيين أحد بعينه للخلافه، لما اختلفوا في ذلك و لا تعارضوا فيه. قال: و هذا قول جمهور أهل السنّه» (١).

٣- قول عمر: «و نزونا على سعد بن عباده، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباده، فقلت:

قتل الله سعد بن عباده» و في روايه الطبري: «فقال عمر: قتله الله، إنه منافق» (٢).

و فيه نقاط:

الأولى: مخالفه سعد بن عباده و أتباعه.

و الثانيه: دعاء عمر بن الخطاب عليه.

و الثالثه: كون سعد منافقاً.

و هنا مطلبان:

أحدهما: المناقب التي يذكرونها لسعد بن عباده، فإنها تكذب دعوى نفاقه، و تردّ على الدعاء عليه.

و الثاني: هل إن سعداً بايع أبا بكر فيما بعد أو أنه مات و لم يبايع؟

و سيأتى بيان المطلبين، في الكلام على احتجاجهم لإمامه أبي بكر بالإجماع من الصّحابه، فانتظر.

٤- قول عمر: «فكثر اللّغط و ارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، و بايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار،

ص: ٣٧٤

١- (١) فتح الباري ٢٦/٧.

٢- (٢) تاريخ الطبري ٤٥٩/٢.

و نزونا على سعد بن عباده فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباده...».

يدلُّ على عدم كون بيعه أبى بكر عن مشوره من المسلمين، و قد صرَّح من قبل بخلاف على و الزبير و من معهما... و لذا، فقد نصَّ غير واحد من أئمه القوم على أن الإمامه تثبت ببيعه الواحد و الاثنین، لأنَّ خلافه أبى بكر انعقدت ببيعه وحده أو هو و أبو عبیده بن الجراح (١).

٥-قول عمر: «فمن بايع رجلا على غير مشوره من المسلمين، فلا يبايع هو و لا الذى بايعه تغرَّه أن يقتلا».

يدلُّ بكلِّ وضوح على بطلان الإمامه و الخلافه بلا مشوره من المسلمين، و كلمات العلماء صريحه فى دلالتة على هذا المعنى.

و بيعه أبى بكر لم تكن عن مشوره من المسلمين.

أليست هذه الكلمات قدحا فى خلافه أبى بكر؟

قال التفتازانى: «كيف يتصوّر منه القدح فى إمامه أبى بكر، مع ما علم من مبالغته فى تعظيمه و فى انعقاد البيعه له...؟»

فما هو الجواب إذن؟

و هذا أحد مواضع اضطراب القوم و تحيّرهم الشديد فى حلّ الإشكال:

منهم: من اكنفى بالقول: «كان ذلك لضروره داعيه إليه» (٢).

و منهم: من قال: «فمعناه: إن الإقدام على مثله بلا مشاوره الغير و تحصيل الاتفاق منه مظنه للفتنه العظيمه، فلا يقدمن عليه أحد، على

أنى أقدمت عليه فسلمت و تيسر الأمر بلا تبعه» (٣).

ص: ٣٧٧

١- ١) الأحكام السلطانيه لأبى يعلى: ٢٣، شرح المواقف ٣٥٢/٨، شرح المقاصد ٢٥٤/٥.

٢- ٢) ابن روزبهان. انظر دلائل الصدق ١٨/٣.

٣- ٣) شرح المواقف ٣٥٨/٨.

و أنت ترى أن لا محصّل لمثل هذه الكلمات....

و منهم: من قال: «معناه: إن بيعه أبى بكر بودر إليها من غير تريث و لا انتظار، لكونه كان متعيّنًا لهذا الأمر، و كان ظهور فضيله أبى بكر على من سواه و تقديم رسول الله له على سائر الصحابه، أمرًا ظاهرًا معلومًا، فكانت دلالة النصوص على تعيينه تغنى عن مشاوره و انتظار و تريث، بخلاف غيره» (١).

لكن دعوى وجود النصوص على تعيين أبى بكر، باطله مردوده، فقد تقدّم ما هو صريح فى أن لا نصّ على إمامه أبى بكر من رسول الله صلّى الله عليه و آله، و بذلك صرح كبار علمائهم أيضًا (٢) و حتى ابن تيميه نفسه (٣).

و من هنا ترى أن بعضهم يدعى «القرائن» و لا يقول «النصوص».

و منهم من يقول: «و استند من قال إنه نصّ على خلافه أبى بكر بأصول كليته و قرائن حالته، تقضى بأنه أحق بالإمامه و أولى بالخلافه» (٤).

و منهم من يعين القرينه فيقول: «و بيعه أبى بكر و إن كانت فجأه بسبب مناقشه الأنصار و عدم وجود فرصه للمشوره، فقد حلت محلّها و صادفت أهلها، للدلائل الداله على ذلك و القرائن القائمه على ما هنالك، كإمامه الصلاه و نحوها» (٥).

و منهم من يقول: «أشار إشاره قويّه- يفهمها كلّ ذى لبّ و عقل- إلى الصديق» (٦).

فانظر إلى التناقضات فى الكلمات!

أمّا النصّ فمفقود، و المدعى له كاذب.

ص: ٣٧٨

١- ١) ابن تيميه فى منهاج السنه ٤٧٠/٥.

٢- ٢) شرح المواقف ٣٥٤/٨، السيره النبويه لابن كثير ٤٩٦/٤.

٣- ٣) منهاج السنّه ٤٧٠/٥.

٤- ٤) ابن حجر فى فتح البارى ٢٦/٧.

٥- ٥) مختصر التحفه: ٢٧٥.

٦- ٦) ابن كثير فى السيره النبويه ٤٩٦/٤.

و أمّا المشوره، فغير حاصله باعترافهم.

و أمّا الإجماع، فدعوى باطله، و سيأتي التفصيل فى محلّه.

و أمّا القرائن المزعومه، فعمدتها صلاته فى مرض النبى صلّى الله عليه و آله، و لكن قد ثبت أنها لم تكن بأمر منه، و أنه قد حضرها بنفسه و عزل أبا بكر عنها... و على فرض التسليم، فلا قرينته لذلك بالنسبه إلى الإمامه العامه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله. و سيأتي الكلام حول هذه الصّلاه فى محلّه إن شاء الله.

و لعلّه من هنا تنزّل ابن كثير، فادّعى الإشاره القويّه المفهمه التى يفهمها كلّ ذى لبّ، و لكن كيف لم يفهمها على و الزهراء و الزبير و من معهم و سعد بن عباده و من تبعه و سائر الأنصار، فمنهم من مات و لم يبّاع أصلاً، و منهم من هدّد بالقتل فبّاع مكرهاً...؟ الله يعلم!!

ص: ٣٧٩

المجلد ٣

اشاره

ص: ١

تمه الفصل الثاني

تمه الادله على وجوب اتباع مذهب الاماميه

تمه الوجه السادس

تمه ما رواه عن ابي بكر

المورد الرابع: قال قدس سره: «و قال أبو بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟!...»

الشرح:

و هذا مورد آخر ذكره علماؤنا عن كتب القوم، للدلالة على عدم أهليته أبي بكر للإمامه، ولإثبات بطلان خلافته. و قد أجاب المدافعون عنه بوجه:

قال ابن تيميه: الجواب: إن هذا كذب على أبي بكر، و هو لم يذكر له إسناداً.

و معلومٌ أن من احتج في أى مسأله كانت بشيء من النقل، فلا بد أن يذكر اسناداً تقوم به الحجه، فكيف بمن يطعن في السابقين الأولين بمجرد حكاية لا إسناد لها؟ ثم يقال:

هذا يقدر فيما يدعونه من النص على على، فإنه لو كان قد نصّ على على لم يكن للأنصار فيه حق و لم يكن في ذلك شك (١).

و قال التفتازاني: «و الجواب: إن هذا-على تقدير صحته-لا يدلّ على الشك، بل على عدم النص» (٢).

و قال ابن روزبهان: «إن صحّ هذا، فمن باب الاحتياط و زياد الإيقان، و أنه لما دفع الأنصار عن الخلافه، كانت تقواه تدعوه إلى طلب النص. فأما حديث الأئمه في قریش،

ص: ٥

١- ١) منهاج السنّه ٤٨٢/٥.

٢- ٢) شرح المقاصد ٢٩٣/٢.

فلم يروه أبو بكر، بل رواه غيره من الصحابه، و كان هو لا يعتمد على خبر الواحد، و كان تمنى أن يسمع هو بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عدم حقيته الأنصار في الخلافه. و هذا من غايه تقواه و حرصه على زياده العلم و الإيقان» (١).

أقول:

و في هذا الموضوع أيضاً لا تخلو كلماتهم من التهافت كما سيّضح، و هي تتلخص في ثلاثه وجوه، أهمها الطعن في الخبر سنداً، بل لقد كذّب به ابن تيميه صراحه. و نحن نورد النصّ الكامل للخبر بسنده عند أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ثم نذكر أسماء عدّه آخرين من رواته في الكتب المختلفه، و بعد ثبوت الخبر و الوقوف على متنه الكامل، لا- تبقى قيمه للمكابرات في معناه و مدلوله، و إن كنا سنتعرّض لها حيث يذكر العلّامه الخبر مرهً أخرى في فصل أن من تقدّمه لم يكن إماماً... فانتظر. و هذا نصّ الخبر بسنده كما رواه الطبري حيث قال:

«حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، قال: حدّثنا الليث بن سعد، قال: حدّثنا علوان، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفّي فيه؛ فأصابه مهتماً.

فقال له عبد الرحمن: أصبحت و الحمد لله بارئاً!

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أ تراه؟

قال: نعم.

قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي؛ فكلّكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه؛ و رأيتم الدنيا قد أقبلت و لما تقبل، و هي مقبله حتى تتخذوا ستور الحرير

ص: ٦

و نضائد الدياج، و تألموا الاضطجاع على الصوف الأذرى؛ كما يألم أحدكم أن ينام على حسك؛ و الله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض في غمره الدنيا، و أنتم أوّل ضالّ بالناس غداً، فتصدّونهم عن الطريق يميناً و شمالاً. يا هادى الطريق، إنما هو الفجر أو البجر.

فقلت له: خفّض عليك رحمك الله؛ فإن هذا يهيضك في أمرك. إنما الناس في أمرك بين رجلين: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، و إما رجل خالفك فهو مشير عليك، و صاحبك كما تحب؛ و لا نعلمك أردت إلّا خيراً، و لم تزل صالحاً مصلحاً، و أنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر رضى الله عنه: أجل، إنى لا- آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ وددت أنى تركتھنّ، و ثلاث تركتھنّ وددت أنى فعلتھنّ؛ و ثلاث وددت أنى سألت عنھنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.

فأما الثلاث اللّاتى وددت أنى تركتھنّ؛ فوددت أنى لم أكشف بيت فاطمه عن شيء و إن كانوا قد غلقوه على الحرب، و وددت أنى لم أكن حرّقت الفجاءه السّلمى، و أنى كنت قتلته سريحاً أو خليّته نجيحاً. و وددت أنى يوم سقيفه بنى ساعده كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين- يريد عمر و أبا عبيده- فكان أحدهما أميراً؛ و كنت وزيراً.

و أما اللّاتى تركتھنّ؛ فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شراً إلّا أعان عليه. و وددت أنى حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الردّه؛ كنت أقمت بذى القصّه؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا، و إن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً. و وددت أنى كنت إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام، كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكانت قد بسطت يدي كليهما فى سبيل الله - و مدّ يديه-.

و وددت أنى كنت سألت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم: لمن هذا الأمر

فلا- ينازعه أحد، ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب؟ ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنه الأخ و العمه؛ فإن فى نفسى منهما شيئاً.

قال لى يونس: قال لنا يحيى: ثم قدم علينا علوان بعد وفاه الليث، فسألته عن هذا الحديث، فحدثنى به كما حدثنى الليث بن سعد حرفاً حرفاً؛ وأخبرنى أنه هو حدث به الليث بن سعد، وسألته عن اسم أبيه، فأخبرنى أنه علوان بن داود.

وحدثنى محمد بن إسماعيل المرادى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح المصرى، قال: حدثنى الليث، عن علوان بن صالح، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال- ثم ذكر نحوه، ولم يقل فيه: «عن أبيه» (١).

أقول:

وفى هذا الخبر مطالب مهمه.

الأول: إنه قد ولى أبو بكر عمر بن الخطاب الأمر من بعده، بلا نص من الله ورسوله- صلى الله عليه وآله- فى ذلك.

والثانى: إنه ولىه بلا مشوره من المسلمين.

والثالث: إن كبار الصحابه لم يكونوا راضين بتولييه عمر، وأنهم قد اعترضوا على ذلك، مما يدل على عدم أهليته للخلافه عندهم.

والرابع: إن أبا بكر قد ذم كبار الأصحاب، وجعلهم طلاب الدنيا و زخارفها و زبارجها.

والخامس: دلالة الخبر على جهل أبى بكر بالأحكام الشرعيه و الفرائض الإلهيه.

والسادس: إقراره على قيامه ببعض الأمور الداله على عدم أهليته للخلافه،

ص: ٨

بكلّ وضوح.

و سيأتي التوضيح لبعض هذه القضايا في موضع آخر إن شاء الله.

و من رواه الخبر أيضاً:

سعيد بن منصور: وقال إنه حسن (١).

و أبو عبيد القاسم بن سلام (٢) و عن طريقه أخرج الحاكم.

و ابن قتيبه (٣)

و ابن عساكر

و خيثمه بن سليمان الطرابلسي (٤)

و الحاكم النيسابوري (٥)

و ابن عبد ربّه (٦)

و المسعودي (٧)

و أبو بكر الباقلاني (٨)

و جار الله الزمخشري (٩)

ص: ٩

١- (١) انظر: كنز العمال ٥/٦٣٣ رقم ١٤١١٣.

٢- (٢) كتاب الأموال ١٧٤ رقم ٣٥٣، و قد حرّف اللفظ فوضع بدل «وددت أني لم أكشف بيت فاطمه» جملة «وددت أني لم أكن فعلت كذا و كذا».

٣- (٣) الإمامه و السياسه ١/٣٦.

٤- (٤) كنز العمال ٥/٦٣٣.

٥- (٥) المستدرک ٤/٣٤٣.

٦- (٦) العقد الفريد ٤/٩٣.

٧- (٧) مروج الذهب ٢/٣١٧.

٨- (٨) إعجاز القرآن: ١٣٨.

٩-٩) الفائق في غريب الحديث ٨٩/١، أساس البلاغة: ٦٧٣، «ورم».

و ابن الأثير الجزرى (١)

و ابن منظور (٢)

و هؤلاء كلهم أئمة كبار عند القوم كما بتراجمهم فى الكتب، و هم لا يكذبون على أبى بكر، خاصةً مثل هذا الحديث، و مع ذلك، فقد رأيت كيف يتأكد الطبرى من السند و يؤكد عليه؟

لكن بعض المتأخرين يحاول التشكيك فى صحة السند من جهة «علوان بن داود» بلا حجة أصلاً، و قد ذكره ابن أبى حاتم بعنوان «علوان بن إسماعيل» فقال: «روى عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف. روى عنه: الليث و أبو صالح و ابن عفير. سمعت أبى يقول ذلك» (٣).

و أورده ابن حبان فى الثقات (٤).

المورد الخامس: قال قدسى سره: و قال عند احتضاره: ليت أُمى لم تلدنى. يا ليتنى كنت تبنة فى لبنه.

الشرح:

قال ابن تيمية: «و الجواب: إن تكلمه بهذا عند الموت غير معروف بل هو باطل بلا ريب، بل الثابت عنه أنه لما احتضر و تمثت عنده عائشه بقول الشاعر: لعمر ك ما يغنى الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً و ضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه و قال: ليس كذلك و لكن قولى: «و جاءت سكره الموت بالحق»

ص: ١٠

١-١) النهاية فى غريب الحديث ٧٧/١.

٢-٢) لسان العرب ١٥/٩ و ١٢/١٢٤٣٤.

٣-٣) الجرح و التعديل ٣٨/٧-٣٩.

٤-٤) كتاب الثقات ٥٢٦/٨.

ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدٌ» (١).

و لكن نقل عنه أنه قال في صحته: ليت أمي لم تلدني، و نحو هذا.

قاله خوفاً- إن صحَّ النقل عنه- و مثل هذا الكلام منقول عن جماعة أنهم قالوه خوفاً و هيبهً من أهوال القيامة» ثم نقل كلاماً عن أبي ذر و عن عبد الله بن مسعود، ثم قال:

«و الكلام في مثل هذا الكلام هل هو مشروع أو لا؟ له موضع آخر...» (٢).

أقول:

أولاً: كيف يقول بطلان هذا الكلام ثم يقول: و لكن نقل عنه...؟ و هل كان البحث حول أنه قاله عند احتضاره أو في صحته؟

و ثانياً: إنه لم يتكلم على الحديث الذي استشهاد به العلامة، بل أقرّ الاستشهاد بنقل الخبر الثابت عنه المشتمل على الآية المباركة المفيدة لنفس ذلك المعنى، فيتمّ استدلال العلامة رحمه الله.

و ثالثاً: لقد فرّ من البحث عن دلالة هذا الكلام و مشروعيته من مثل أبي بكر الخليفة- بزعمهم- لرسول الله صلى الله عليه و آله!

و أما صدور مثله عن سائر الناس، فلا ينقض استدلال العلامة و غيره من أصحابنا كما هو واضح.

المورد السادس: قال قدس سره: و قال أبو بكر: ليتني في ظلّه بنى ساعده ضربت يدي على يد أحد الرجلين....

ص: ١١

١- ١) سورة ق: ١٩.

٢- ٢) منهاج السنّه ٤٨٢/٥.

دلالتة على عدم صلوحه عند نفسه لها-لا-سيما مع قوله: «وددت أنى سألت رسول الله: هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب؟» وقوله: «وليتكم و لست بخيركم» واضحه تماماً.

و ابن تيميه بالرغم من تكذيبه الخبر سابقاً بصراحه، اكتفى هنا بالتشكيك فقال:

«إن هذا إن كان قاله، فهو أدل دليل على أن علياً لم يكن هو الإمام، و ذلك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً من الله أن يضيع حق الولاية، و أنه إذا ولى غيره و كان وزيراً له كان أبرأ للذمه. فلو كان على هو الإمام لكانت توليته لأحد الرجلين إضاعة للإمامه أيضاً، و كان يكون وزيراً لظالم غيره، و كان قد باع آخرته بدنيا غيره. و هذا لا يفعله من يخاف الله و يطلب براءه ذمته» (١).

لكن التشكيك أيضاً باطل، فقد عرفت أن رواه الخبر هم كبار الأئمه عندهم، و أنه من الأخبار المعروفة و المشهوره بينهم.

و ما ذكره ابن تيميه فى الجواب، متخذ من القاضى المعتزلى عبد الجبار بن أحمد، فقد ذكر أن تمنيه أن يبائع لم يكن ذماً، لأن من اشتد التكليف عليه فهو يتمنى خلافه (٢).

و لكن هذا الكلام من جمله تناقضات أبى بكر، الداله فى الأقل-على شكّه فى صلوحه للإمامه و الولاية، لأنه قد طلبها فى السقيفه و استدلل بما دفع الأنصار عنها، ثم لما خطب اعترف قائلاً: «لست بخيركم» ثم زعم: «إن الذى رأيتم منى لم يكن حرصاً على ولايتكم و لكنى خفت الفتنة و الاختلاف» و معنى ذلك: أن قيامه بالأمر فى ذلك

١- ١) منهاج السنّه ٤٨٥/٥.

٢- ٢) المغنى فى الامامه ج ٢٠ ق ١ ص ٣٤١.

الوقت، كان من أجل دفع الفتنة فكان تكليفاً، فلما ذا استمرّ وبقى -مع علمه بعدم أهليّته ووجود من هو خير منه- حتى يتمنى في آخر عمره الخروج عن التكليف؟

على أنه لو كان صادقاً، فلما ذا عهد بالأمر لمن بعده، مع شدّه مخالفه كبار الصّحابه، و حتى ذكروه باللّٰه و الآخره؟

لقد كان على أبي بكر لو كان قال هذا الكلام خوفاً من الله أن يضيّع حق الولاية -كما يزعم ابن تيميه- أن لا يتصدى الأمر أوّل يوم من ولايته، و لا يعهد به في آخر يوم من عمره.

لقد ضيّع الرجل حق الولاية حقّاً، و لم يبق له شيئاً في الآخره حتى يبيعه بدنيا غيره!!

المورد السابع: قال قدس سره: و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله في مرض موته مرّة بعد اخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامه، لعن الله المتخلف عن جيش أسامه. و كان الثلاثة معه....

الشرح:

قد تقدّم بعض الكلام على هذا المورد سابقاً....

و إن بعث أسامه بن زيد من ضروريات التاريخ، و كذا تأكيد النبي صلّى الله عليه و آله عليه، و كذا كون الثلاثة فيه، و لذا كان هذا الموضوع من أشدّ المواضع إشكالاً و أكثرها أهميّة، و ما زال القوم في اضطراب و حيره في حلّ المشكله و رفع الإشكال.

و قد ذكر علماؤنا الإشكال من جهات.

فانبرى علماء القوم للدفاع عن أبي بكر و غيره، و بذلوا قصارى جهودهم في سبيل ذلك، و قد وجدت المعتزله أكثر اهتماماً بالمسألة من الأشاعره، إذ رأيت أن صاحبي المواقف و المقاصد لا يتعرّضان لها أصلاً، و قد يشهد ذلك بعدم اقتناعهم بما

ص: ١٣

قيل فى مقام الدفاع عن أبى بكر! و كيف كان، فإن الأصل فى ذلك هم المعتزله، و قد ذكروا وجوهاً عديدة:

أحدها: إن أبا بكر لم يكن فى جيش أسامه، و حكى عن أبى على الجبائى الاستدلال لذلك بأن النبى ولّاه الصّلاه فى مرضه.

و الثانى: إن الأمر لا يلزم الفور، فلا يلزم من تأخر أبى بكر عن النفوذ أن يكون عاصياً.

و الثالث: إن الأمر بإنفاذ جيش أسامه لا بدّ و أن يكون مشروطاً بالمصلحه، و بأن لا يعرض ما هو أهمّ منه، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضرراً فى الدين.

و الرابع: إن الرسول صلّى الله عليه و آله إنما يأمر بما يتعلّق بمصالح الدنيا من الحروب و غيرها عن اجتهاده، و ليس بواجب أن يكون ذلك عن وحى... (١).

و أمثال ذلك من الوجوه التى هى فى الواقع معاذير.

و العمده هو الوجه الأول.

و من هنا، فقد اهتمّ به ابن تيميه كثيراً، و جعل يكرر الإنكار مراراً و يكذب بالخبر تكراراً، من ذلك قوله فى هذا الموضع: «و الجواب: إن هذا من الكذب المتفق على أنه كذب عند كلّ من يعرف السيره، و لم ينقل أحد من أهل العلم أن النبى صلّى الله عليه و سلّم أرسل أبا بكر أو عثمان فى جيش أسامه، و إنما روى ذلك فى عمر. و كيف يرسل أبا بكر فى جيش أسامه و قد استخلفه يصلّى بالمسلمين مدّه مرضه...» (٢).

فهو لا يكذب فقط، بل يدعى إجماع علماء النقل، و يقول بأنه من الكذب الذى يعرفه من له أدنى معرفه بالحديث... و هكذا الكلمات الأخرى.

ص: ١٤

١- (١) المغنى فى الامامه ج ٢٠ ق ١ ص ٣٤٦-٣٤٩.

٢- (٢) هذا كلامه هنا ج ٥ ص ٤٨٦، و انظر: ٢٩٢/٨، ٢٩٢/٦، ٣٢٠/٥، ٤٩١/٤، ٢٧٦/٤-٢٩٣.

أقول:

إن هذه القضية مهمّة جدّاً، فإنه إذا كان أبو بكر في جيش أسامه، فإن الإشكال يثبت، وإمامته بعد رسول الله تسقط، لما تقدّم من وجوه الإشكال، ويسقط أيضاً استدلالهم بما رووه من أمر النبي صلى الله عليه وآله بالصّلاه في مكانه، لوضوح كذب تلك الأحاديث كلّها، فلا مناص لهم من إنكار كونه في جيش أسامه، حتى يتخلّصوا من الإشكال، ولتتمكنوا من الإستدلال بحديث الصّلاه، على ما سيأتى توضيحه قريباً.

فالقضية مهمّة جدّاً....

أمّا ابن تيميه، فقد تعود إنكار الحقائق و نفي الثوابت...وقد رأينا كيف يصرّ على التكذيب و يدعى الإجماع عليه...!!

إلا أنها جرأه عظيمه لا يقدم عليها من يخاف الله و الدار الآخرة و الحساب على ما يلفظ من قول أو يكتب من كتاب!

و لذا نرى كلمات القوم مختلفه!

فمنهم: من يلتجأ إلى الإنكار لكن بلا إصرار، كابن كثير، فجاءت كلمته أهون من كلام شيخه، فإنه يقول:

«و قد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأوّلين و الأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب. و من قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلّم اشتدّ به المرض و جيش أسامه مخيم بالجرف، و قد أمر النبي صلى الله عليه و سلّم أبا بكر أن يصلّى بالناس كما سيأتى، فكيف يكون في الجيش و هو إمام المسلمين بإذن الرسول من ربّ العالمين؟

و لو فرض أنه كان قد انتدب معهم، فقد استثناءه الشارع من بينهم بالنصّ عليه للإمامه في الصّلاه التي هي أكبر أركان الاسلام»

(١).

ص: ١٥

فهو لا يقول «كذب» فضلاً عن أن يدعى الإجماع، وإنما يقول: «غلط» و دليله هو «الصَّيْلَة»، ثم على فرض كونه في الجيش يجب عن الإشكال بوجه سيأتي الكلام عليه.

و منهم: من يختلف كلامه، كالذهبي، فإنه قال في سيره: «استعمله النبي صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ لغزو الشام، و في الجيش عمر و الكبار، فلم يسر حتى توفي رسول الله» (١).

أما في تاريخ الإسلام، فقد نصَّ على وجود أبي بكر كما سيأتي.

و كابن حجر العسقلاني، فقد أجمل الكلام في الإصابه إذ قال: «و كان أمره على جيش عظيم، فمات النبي صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ قبل أن يتوجَّه» (٢).

أما في تهذيب التهذيب، فقد نصَّ على وجود أبي بكر كما سيأتي.

و منهم: من ترجم لأسامه و لم يتعرَّض لقضيه بعثه أصلاً، كابن عبد البر! (٣)

و منهم: من يتعرَّض للبعث لا- بصوره مستقله، بل في سياق روايات، كأبي الربيع الكلاعي الأندلسي حيث يقول: «و عن عروه بن الزبير و غيره من العلماء: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ استبطأ الناس في بعث أسامه بن زيد و هو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، و قد كان الناس قالوا في إمره أسامه أمر غلاماً حدثاً على جلّه المهاجرين و الأنصار. فحمد الله و أثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامه، فلعمري لئن قلت في إمارته، لقد قلت في إماره أبيه من قبله، و إنه لخليق للإماره، و أن كان أبوه لخليق بها. ثم نزل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و انكمش الناس في جهازهم.

و استعزَّ برسول الله و وجعه، فخرج أسامه و خرج جيشه معه، حتى نزلوا الجرف

ص: ١٤

١-١) سير أعلام النبلاء ٢/٤٩٧.

٢-٢) الاصابه في معرفه الصحابه ١/٢٠٢.

٣-٣) الاستيعاب ١/٧٥.

من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره و تتام إليه الناس.

و ثقل رسول الله فأقام أسامه و الناس، لينظروا ما الله قاض في رسوله عليه السلام» (١).

و منهم من يذكر البعض و أن فيهم عمر بن الخطاب، فلا يذكر أبا بكر و لا ينفى...

كابن الأثير فإنه قال: «أما أسامه، فإن النبي استعمله على جيش، و أمره أن يسير إلى الشام أيضاً، و فيهم عمر بن الخطاب، فلما اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه و سلم، أوصى أن يسير جيش أسامه...» (٢).

لكن وجود أبي بكر في جيش أسامه من القضايا الثابتة التي لا تقبل الجدل أبداً، و قد روى ذلك كبار المؤرخين و المحدثين من أهل السنّة:

كالبلاذري (٣) و الواقدي و ابن سعد و ابن إسحاق و ابن الجوزي و ابن عساکر، كما نقل عنهم الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٤).

و ابن سيد الناس (٥).

و الذهبي، قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم على جيش فيه أبو بكر و عمر، فلم ينفذ حتى توفي النبي...» (٦).

و المزي، حيث قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم على جيش فيه أبو بكر و عمر...» (٧).

ص: ١٧

١- ١) الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله و الثلاثة الخلفاء ٣٨/٢.

٢- ٢) أسد الغابه ٦٦/١.

٣- ٣) أنساب الأشراف ٤٧٤/١.

٤- ٤) فتح الباري في شرح البخاري ١٥٢/٨.

٥- ٥) عيون الأثر ٣٥٢/٢.

٦- ٦) تاريخ الإسلام. المغازي: ٣٤٠.

٧- ٧) تهذيب الكمال ٣٤٠/٢.

و ابن حجر العسقلانى، إذ قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم على جيش فيه أبو بكر و عمر...» (١).

و الصالحى الدمشقى، قال: «... فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين و الأنصار إلا- انتدب فى تلك الغزوه. منهم: أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و أبو عبيده بن الجراح و سعد بن أبى وقاص...» (٢).

و ابن الأثير الجزرى فى تاريخه (٣).

و نور الدين الحلبى فى سيرته (٤).

فتلخص: أن أبى بكر كان فى جيش أسامه كعمر بن الخطاب- الذى اعترف بوجوده ابن تيميه كغيره- و أنه لا فائده فى المكابره و الإنكار، و لذا نرى أن صاحب التحفه الإثنا عشرية لا- يقلد ابن تيميه فى هذه القضية، بل يقلد تلميذه ابن كثير فى دعوى الإستثناء، فيدعن بوجوده فى الجيش إلا أن أمره بالخروج قد نسخ بنصبه للإمامه (٥).

و لكن الإنكار كان خيراً له من هذا الوجه، لأن تلك الصيلاه التى يزعمون أن النبى صلى الله عليه و آله أمر أبى بكر بأن يصلى بالناس فى مكانه، إن كانت صلاة واحدة، فقد ثبت فى صحاحهم أنه صلى الله عليه و آله قد خرج بين رجلين، و صلى تلك الصيلاه بنفسه، فاضطروا إلى دعوى أنه صلى فى مكان النبى أياماً، لكنه كان يأمر بإنفاد جيش أسامه إلى آخر ساعه من حياته، فكيف يتقدم الناسخ على المنسوخ؟ بل الأمر بالعكس،

ص: ١٨

١- ١) تهذيب التهذيب ١٨٢/١ ترجمه أسامه.

٢- ٢) سبل الهدى و الرشاد فى سيره خير العباد ٢٤٨/٦.

٣- ٣) الكامل فى التاريخ ٣١٧/٣.

٤- ٤) السيره الحلبيه ٢٢٧/٣.

٥- ٥) التحفه الإثنا عشرية: ٢٦٥، و مختصر التحفه: ٢٧٢.

فلو كان قد أمره بالصّلاه فقد نسخ بأمره بالخروج مع أسامه.

لكن الحق أن صلاه أبي بكر لم تكن بأمر من النبي صَلَّى الله عليه و آله مطلقاً كما سيأتى! وقد حَقَّقنا ذلك في رساله مفرده أيضاً. والحمد لله.

و أما سائر المعاذير التي ذكرها القاضي عبد الجبار وغيره، فهي أو هن من بيت العنكبوت، و لا تليق للبحث و النظر، و لعلّه من هنا جاء في التحفه الإثنا عشرية بعد ذكره بعض التعلّلات: «فالإمام لو خالف أمراً واحداً فلا ضير. فتدبر».

هذا، و لنا رساله مستقلّه في قضيه بعث أسامه، نسأل الله التوفيق لإتمامها و نشرها.

المورد الثامن: قال قدس سره: و أيضاً: لم يولّ أبا بكر عملاً ألبته في وقته... و لما أنفذه بسوره براءه ردّه....

الشرح:

هذا من جمله ما يذكره أصحابنا في مقام نفى أهليه أبي بكر للإمامه و الولاية بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، إنهم يقولون بأنه قد ولى من هو أدنى من أبي بكر منزله - بزعمهم - لأمر مختلفه، كقياده الجيش، و تعليم الناس و أمثال ذلك، فلو كان أشجع ممن و لّاه قياده الجيش، أو كان أفقه ممن أمره بتعليم الناس القرآن و الحلال و الحرام و السنن و أمثال ذلك، فلما ذا لم يولّه رسول الله شيئاً من هذه الوظائف؟

بل الأمر بالعكس، فقد ثبت - قريباً - أنه كان في جيش أسامه مع عمر و غيره من أعيان الصحابه، و أسامه لم يبلغ العشرين من عمره، فإذا كان أسامه أصلح و أليق عند الله و رسوله في تلك الإمارة من أبي بكر، فكيف يصلح أبو بكر لأن يكون أمير المؤمنين و خليفه رسول ربّ العالمين؟

نعم، أنفذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أبا بكر بسوره براءه، لكنّه ردّه بعد ثلاثه

أيام بوحى من الله تعالى، فمن لا- يرتضيه الله و رسوله لإبلاغ عشر آيات من القرآن لأهل مكة، كيف يصلح لأن يكون مبلغ القرآن كله و الأحكام جميعها إلى المسلمين كافةً إلى يوم القيامة؟

هذا ما يقوله علماؤنا بالنظر إلى روايات أهل السنّه، و هذه نصوص عدّه منها من أشهر كتبهم و بالأسانيد الموثوق بها:

١-أخرج أحمد بإسناده عن أبي بكر: «إن النبي صَلَّى الله عليه و سلّم بعثه ببراءه لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان و لا يدخل الجنه إلا نفس مسلمه، من كان بينه و بين رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم عهد، فأجله إلى مدّته و الله يرى من المشركين و رسوله.

قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي: إلحقه فردّ عليّ أبا بكر و بلّغها أنت. ففعل.

فلما قدم على النبي أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله، حدث فيّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، و لكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (١).

٢-أخرج أحمد بإسناده عن علي عليه السلام قال: «لَمَّا نزلت عشر آيات من سوره براءه على النبي، دعا النبي أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعاني النبي فقال لي: أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفه فأخذت الكتاب منه.

و رجع أبو بكر إلى النبي، فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: لا، و لكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك» (٢).

٣-أخرج أحمد بإسناده عن أنس: «إن رسول الله بعث ببراءه مع أبي بكر إلى أهل

ص: ٢٠

١-١) مسند أحمد ٣/١.

٢-٢) مسند أحمد ١/١٥١، الخصائص: ٩١، المستدرک ٣/٥١، تفسير ابن كثير ٢/٣٤٦-٣٤٧، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/٢٠٩.

مكة. قال: ثم دعاه فبعث بها علياً» (١).

٤- أخرج الترمذى عن زيد بن يثيع قال: «سألنا علياً بأى شىء بعثت فى الحجّه؟ قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبیت عريان، و من كان بينه و بين النبى عهد فهو إلى مدّته، و من لم يكن له عهد فأجله إلى أربعه أشهر، و لا يدخل الجنه إلا نفس مؤمنه، و لا يجتمع المشركون و المسلمون بعد عامهم هذا» (٢).

٥- أخرج الحاكم بإسناده عن ابن عمر فى حديث قال: «إن رسول الله بعث أبا بكر و عمر ببراءه إلى أهل مكة. فانطلقا فإذا هما براكب، فقالا: من هذا؟ قال: أنا على يا أبا بكر، هات الكتاب الذى معك، فأخذ على الكتاب فذهب به، و رجع أبو بكر و عمر إلى المدينه.

فقالا: ما لنا يا رسول الله؟

قال: ما لكما إلا خير، و لكن قيل لى: لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك» (٣).

فهذا ما يقوله علماؤنا... فما ذا يقول المدافعون عن أبى بكر- معترله و أشاعره- فى الجواب؟

أجاب القاضى عبد الجبار: إنه لو سلّم، إنه لم يولّه لحاجته إليه بحضرته، و إن ذلك رفعه له، و لو كان للعمل على تركه فضل، لكان عمرو بن العاص و خالد بن الوليد و غيرهما أفضل من أكابر الصحابه لأنه ولّاهما.

ثم ادّعى أن ولايه أبى بكر على الموسم و الحج قد ثبتت بلا خلاف، و لم يصح أنه عزله. و لا يدلّ رجوعه إلى النبى مستفهماً على العزل.

ص: ٢١

١- ١) مسند أحمد ٢٨٣/٣، و كذا الحديث عن أنس عند الترمذى فى السنن ٣٣٩/٤، الخصائص: ٩١، البدايه و النهايه ٤٦/٥، إرشاد

السارى ١٣٦/٧ روح المعانى ٢٦٨/٣.

٢- ٢) سنن الترمذى ٣٤٠/٤.

٣- ٣) المستدرک على الصحيحين ٥١/٣.

و حكى عن أبى على فى أخذ سورة البراءه منه: إن من عاده العرب أن سيداً من سادات قبائلهم، إذا عقد عقد القوم، فإن ذلك العقد لا ينحلّ إلا أن يحلّه هو أو بعض سادات قومه....

ثم ادعى أنه قد ولّاه الصّلاه فى حال مرضه، و ذلك أشرف الولايات (١).

و قال ابن تيميه: «و الجواب: هذا من أبين الكذب، فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير و المغازى و السير و الحديث و الفقه و غيرهم: إن النبى صلّى الله عليه و سلّم استعمل أبا بكر على الحج عام تسع... و فيها أمر أبا بكر بالمناداه فى الموسم أن لا يحجّ بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان، و لم يؤمر النبى صلّى الله عليه و سلّم غير أبى بكر على مثل هذه الولايه. فولايه أبى بكر كانت من خصائصه... و لم يستخلف على الصّلاه أحداً كاستخلاف أبى بكر....

و أما قول الرافضى: إنه لما أنفذه براءه ردّه... فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب.

فإن النبى لمّا أمر أبا بكر على الحج ذهب كما أمره، و أقام الحج فى ذلك العام، عام تسع للناس، و لم يرجع إلى المدينه حتى قضى الحج....

و كان بين النبى و المشركين عهود مطلقه... قالوا: و كان من عاده العرب أن لا يعقد العهود و لا يفسخها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته، فبعث عليّاً لأجل فسخ العهود...» (٢).

و قال فى شرح المواقف: «قلنا: لا نسلم أنه لم يولّه شيئاً، بل أمره على الحجّ سنه تسع من الهجره بعد فتح مكه فى رمضان سنه ثمان. و أمره بالصّلاه بالناس فى مرضه الذى توفى فيه. و إنما أتبعه عليّاً فى تلك السنه بعد خروجه من المدينه، لأن عاده العرب فى أخذ العهود و نبذها أن يتولاه الرجل بنفسه أو أحد من بنى عمّه، و لم يعزله

ص: ٢٢

١- ١) المغنى فى الامامه ج ٢٠ ق ١ ص ٣٥٠-٣٥١، ملخصاً.

٢- ٢) منهاج السنّه ٤/٤٩٣.

عَمَّا وَلَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْحَجِّجِ. قَوْلُهُمْ: عَزَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ، كَذَبٌ، وَمَا نَقَلُوهُ فِيهِ مُخْتَلِقٌ...» (١).

و قال ابن روزبهان- في جواب العلامة- إنه تولى الحج في سنة تسع من الهجرة.

و أما بعث على بقراءه سورة براءة و نبذ العهود....

ثم جعل يسبّ العلامة و يشتمه كما يفعل السّوقه (٢).

أقول:

فأنت ترى أنهم عيالٌ على القاضى المعتزلى، فما قالوه متّخذ منه حتى فى بعض الألفاظ، فهم لا يذكرون إلا أماره الحج و قضيه الصّلاه. و معنى ذلك أنه إذا تبين واقع الحال فى القضيتين، فهم مضطّرون إلى التسليم بأن النبى صلّى الله عليه و آله لم يولّه شيئاً... فنقول:

أمّا قضيه إبلاغ سورة براءة، فيقول القوم إن رسول الله صلّى الله عليه و آله بعث أبا بكر إلى مكة أميراً للحاج، و أمره أن يقرأ الآيات من سورة البراءة على المشركين فى الموسم، فلما خرج أبو بكر بدا لرسول الله فى أمر تبليغ الآيات، فبعث عليّاً لتبليغها، و بقيت أماره الحج لأبى بكر، فيكون قد ولّاه صلّى الله عليه و آله شيئاً من الأمور فى حياته....

قالوا: و إنما أتبع النبى عليّاً أبا بكر ليأخذ منه الآيات فيبليغها، لأن الآيات كانت مشتمله على نبذ العهود التى كانت بينه صلّى الله عليه و آله و بين المشركين، و من عادة العرب فى أخذ العهود و نبذها أن يتولّاه الرجل بنفسه أو أحد من بنى عمّه.

فكلامهم يشتمل على أمور ثلاثة:

الأول: الإقرار بأن عليّاً عليه السلام هو الذى أبلغ الآيات، بعد أن كان المأمور بتبليغها أبو بكر.

ص: ٢٣

١- ١) شرح المواقف ٣٥٦/٨.

٢- ٢) انظر: دلائل الصّدق ٣٤/٣.

و الثاني: دعوى أن أبا بكر دخل مكة، و كانت إماره الحاج فى تلك السنه معه.

و الثالث: السبب فى تبليغ على الآيات دون أبى بكر.

فقول:

أما الإقرار ببعث أمير المؤمنين خلف أبى بكر و أخذه الآيات منه... فلم يكن لهم مناص منه....

و أمّا الدعوى بأن النبى صَلَّى الله عليه و آله أمر أبا بكر على الحجيج و لم يعزله عمّا ولاه، فليس لها شاهد فى الأحاديث المذكوره و نحوها، بل كلّ ما هنالك أنه: بعثه «ببراءه لأهل مكة» ثم بين البراءه فى الحديث الأول بقوله: «بعثه ببراءه لأهل مكة:

لا يحج...». و يفيد الحديث الثانى أن هذه الأمور هى مفاد «عشر آيات فى سوره براءه»...

و ذلك ما أخذه منه على عليه السلام و بلغه... كما هو مفاد الأحاديث الأول و الثانى و الرابع... فأين إماره الحج؟

ثم إن هذه الأحاديث و غيرها صريحه فى أن عليّاً لحق أبا بكر- أو أبا بكر و عمر كما فى بعض الأحاديث- فى الطريق، و ردّ أبا بكر من حيث أدركه، و فى بعضها أنه لحقه «بالجحفه... و رجع أبو بكر إلى المدينه...» فأين أماره الحج؟

إنه لم يكن فى الواقع إلا- أنه صَلَّى الله عليه و آله بعث أبا بكر بإبلاغ أهل مكة: «أن لا يطوف بالبيت عريان...» و هى مفاد الآيات من سوره البراءه، ثم أمر عليّاً عليه السلام أن يدركه فى بعض الطريق فيأخذ منه الكتاب و يبلغه أهل مكة بنفسه و يرجع أبو بكر إلى المدينه....

أمّا أن السبب فى ذلك... فليس فى الأحاديث إلا أن النبى صَلَّى الله عليه و آله نزل عليه جبرائيل فقال: «لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك» كما هو نصّ الحديث الثانى و غيره....

فقولهم: «لأن عاده العرب...» لا دليل عليه، بل فى الأحاديث قرائن عديده على أن

السبب ليس ما ذكروه، و منها:

أولاً: إنه لو كان عاده العرب في ذلك ما ذكر، فلما ذا خالفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِإِرسالِ أَبِي بَكْرٍ؟ أكان جاهلاً بتلك العادة، أم كان عالماً بها فخالفها عمداً تساهلاً بتنفيذ حكم الله عز و جلّ؟

و ثانياً: لو كان السبب ذلك، فلما ذا جاء أبو بكر يبيكي مخافه أن يكون قد نزل فيه شيء؟ أكان جاهلاً بتلك العادة أم ما ذا؟

فتلخص: إنه لم يكن بعث أبي بكر لإماره الحج، و إنما لإبلاغ البراءه، و النبي أرسل علياً عليه السلام خلفه بأمر من الله، ليأخذ ذلك منه، فيكون قائماً مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أداء تلك الوظيفة... فيظهر أنه الصالح لذلك....

و لذا كانت هذه القضية خصيصه من خصائصه الدالّه على إمامته و خلافته، و لذا روى عن بعض أكابر الصحابه أنهم كانوا يتمنون أن تكون لهم هذه المنقبه العظيمه و الخصيصه الرفيعه، فهذا سعد بن أبي وقاص... قال الحارث بن مالك:

«خرجت إلى مكه، فلقيت سعد بن مالك فقلت له: هل سمعت لعلی منقبه؟ قال:

شهدت له أربعاً لأن يكون لي إحداهن أحبّ إليّ من الدنيا، أعمّر فيها ما عمّر نوح: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِإِرسالِ أَبِي بَكْرٍ ببراءه من مشركى قريش، فسار بها يوماً و ليله ثم قال لعلی: إلحق أبا بكر فخذها منه فبلّغها و ردّ عليّ أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال:

يا رسول الله هل نزل فيّ شيء؟...» (١).

و أيضاً: فقد وردت هذه القضية في حديث المناقب العشر التي اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام، المروى عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، و الذي قال الأئمه: و هذا الحديث من أصح الأحاديث و أثبتها، و نصّ غير واحد منهم كالحافظ

ص: ٢٥

أبى العباس الطبرى على كون ما جاء فيه من المناقب خصائص لأمير المؤمنين لا يشاركه فيها أحد من الصحابه... وقد تقدّم الكلام عليه بالتفصيل سابقاً. فراجع.

المورد التاسع: قال قدس سره: و قطع يسار سارق....

الشرح:

إن حكم القطع من أوليات الأحكام فى الشريعة، يعلم به أدنى الطلبة، فإن كان أبو بكر عالماً به فخالف الحكم الشرعى، فهذا ظلم و فسق، وإن كان جاهلاً به، فكيف يتصدى الإمامه و هو جاهل بأبسط الأحكام الشرعيه؟

لقد تقرّر عند القوم القائلين بثبوت الإمامه بالبيع، ضروره اتصاف الإمام بالعداله و العلم، و هذه القضيه تدلّ على انتفاء شرط الإمامه فى أبى بكر. فما هو الجواب؟

لقد اختلفوا فى الجواب و اضطربوا، فذكروا وجوهاً هى فى الأغلب «لعلّ» و «يمكن»:

قال فى شرح المواقف: «و أما قطع اليسار، فلعلّه من غلط الجلاد، أو رآه فى المرّه الثالثه من السرقة، و هو رأى الأكثر من العلماء» (١).

و قال فى الصواعق: «و أما قطعه يسار السارق، فيحتمل أنه خطأ من الجلاد، و يحتمل أنه لسرقه ثالثه، و من أين لهم أنه للسرقه الأولى و أنه قال للجلاد: إقطع يساره؟ و على التنزل، فالآيه شامله لما فعله، فيحتمل أنه كان يرى بقاءها على إطلاقها، و إن قطعه صلى الله عليه و سلّم اليمين فى الأولى ليس على الحتم، بل الإمام مخير فى ذلك.

و على فرض الإجماع فى المسأله، فيحتمل أنهم أجمعوا على ذلك بعده، بناءً على انعقاد الإجماع فى مثل ذلك، و فيه خلاف محلّه كتب الأصول. و قراءه أيماهما يحتمل

ص: ٢٦

أنها لم تبلغه.

فعلى كل تقدير، لا يتوجه عليه في ذلك عتب و لا اعتراض بوجه من الوجوه» (١).

أقول:

إن أول شيء في هذه الكلمات هو الإقرار بوقوع الحادثه، و أنها قضيه مخالفه للكتاب و السنه، ثم محاوله الجواب بالإحتمالات التي لا يصغى إليها، لعدم ابتنائها على شواهد و قرائن، و بعضها سخيّف جداً كما لا يخفى.

فإما الإعراض عن هذه التوجيهات البارده و الاعتراف بالحقيقه، و إما إنكار أصل القضيه صوتاً لماء وجه الخليفه و حفظاً لمذهب أهل السنه القائلين بإمامته!

أما الإنكار، فلا يجراً عليه إلا مثل ابن تيميه...!

و أما الاعتراف بالحقيقه، فقد وجدناه من بعض أصحاب الحواشي في الكتب العقائديه، فإنه قال: «و قد قطع يسار السارق و هو خلاف الشرع. و الظاهر أن القضاء بغير علم ذنب و ما كان هو معصوماً» (٢).

و سواء اعترفوا أو لا، فإن هذا الطعن وارد، و المورد من الموارد الداله على عدم أهليه أبي بكر للإمامه، على أصول أهل السنه.

المورد العاشر: قال قدس سره: و أحرق الفجاءه السلمى بالنار

الشرح:

و هذا مورد آخر من موارد ظلم أبي بكر أو جهله، فهو على كل حال غير صالح للإمامه و الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.

ص: ٢٧

١- ١) الصواعق المحرقة ٨٨/١.

٢- ٢) تعليقه على شرح الخطابي للعقائد النسفيه، لإسماعيل القرمانى المعروف بقره كمال، المتوفى سنه ٩٢٠. توجد ترجمته فى معجم المؤلفين ٢٨٧/٢.

أما القضية، فثابته يقيناً، فإنها من جملة الأمور التي تمنى أبو بكر عدم فعلها، وقد ذكرنا الخبر عن تاريخ الطبري وغيره من مصادر القوم المعتره (١)، فلا سبيل للمناقشه في ثبوت القضية (٢)، بل حتى ابن تيميه لم يتكلم في هذه الجهه و سنذكر عبارته، مضافاً إلى أنه يدل على مخالفه أبي بكر لحكم الله في الواقعه، وإلا لما تأسف على ما فعل و تمنى أن لو سأل!

و إذا كان الخبر ثابتاً، و أبو بكر بالمخالفه معترفاً، فأى فائده للتأويلات و التوجيهات التي تصدر من أتباعه عادة؟

و لعله من هنا لم يذكر ابن تيميه لما فعله أبو بكر تأويلاً، و إنما اكتفى في مقام الدفاع عنه بالجواب النقضى الذى يزعمونه من فعل أمير المؤمنين، و سيأتى.

و أما التوجيهات:

ففى شرح المواقف: «إحراق فجاءه إنما كان باجتهاده، و عدم قبول توبته لأنه زنديق، و لا تقبل توبه الزنديق فى الأصح» (٣).

و فى الصواعق المحرقة: «و إذا ثبت أنه مجتهد فلا عتب عليه فى التحريق، لأن ذلك الرجل كان زنديقاً، و فى قبول توبته خلاف، و أما النهى عن التحريق، فيحتمل أنه لم يبلغه و تأوله على غير نحو الزنديق» (٤).

لكن لا تعرض فى شرح المواقف لنهى النبى صلى الله عليه و آله عن الإحراق، كما فى صحيح البخارى (٥).

ص: ٢٨

١- ١) و اعترف بإحراق أبى بكر الفجاءه بالخصوص أيضاً الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٩٢/٦.

٢- ٢) و قد ذكر ابن عبد البر اسم الرجل و مجمل القضية بترجمه طريفه بن حاجز من الاستيعاب ٧٧٦/٢، و كذا الطبرى فى التاريخ ٢٢٤/٣.

٣- ٣) شرح المواقف ٣٥٧/٨.

٤- ٤) الصواعق المحرقة: ٣٢.

٥- ٥) صحيح البخارى ٢١/٤.

أمياً في الصواعق، فقد نبيّه على أن اجتهاد أبي بكر مخالف للنصّ. فأجاب: باحتمال أنه «لم يبلغه»، لكن هذا قدح في أبي بكر فاستدركه بأنه يحتمل أنه بلغه لكن «تأوله».

ثم إن هذا كله مبني على أن يكون الرجل زنديقاً، لكنه لم يكن زنديقاً، و كان يقول:

«أنا مسلم» كما ذكر في شرح المواقف، بل قيل: إنه كان يلهج بالشهادتين حتى احترق و صار فحمه، و غايه ما هناك أنه قطع الطرق و نهب أموال المسلمين، كما ذكر المؤرّخون كالطبري، و مثله لا يكون زنديقاً....

و لذا عدل بعض المعتزله المدافعين عن أبي بكر كابن أبي الحديد، إلى التوجيه بأسلوب آخر فقال:

«و الجواب: إن الفجاءه جاء إلى أبي بكر- كما ذكر أصحاب التواريخ- فطلب منه سلاحاً يتقوى به على الجهاد في أهل الردّه، فأعطاه، فلمّا خرج قطع الطريق و نهب أموال المسلمين و أهل الردّه جميعاً، و قتل كان من وجد- كما فعلت الخوارج حيث خرجت- فلما ظفر به أبو بكر حرّقه بالنار إرهاباً لأمثاله من أهل الفساد و نحوه، و للإمام أن يخصّ النصّ العام بالقياس الجليّ عندنا» (١).

فتراه لم يدع زندقه الرجل، بل ذكر له توجيهاً ثبت في محله بطلانه جداً....

و حيث رأى بعض المتكلمين الأشاعره سقوط هذا التوجيه كغيره، اضطرّ إلى أن يقول: «إحراقه فجاءه السلمى بالنار من غلظه في اجتهاده، فكم مثله للمجتهدين» (٢).

لكن الإيعتراف بغلط أبي بكر في الإجهاد لا يبرء ساحته، و لا يكون له عذراً يوم القيامة، مع وجود النصّ الصريح الصحيح في حرمه التحريق بالنار، فهو قادح في عداله أبي بكر و خلافته.

و لذا اضطرّ بعضهم كالشيخ عبد العزيز الدهلوى في كتاب التحفه

ص: ٢٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٢٢/١٧.

٢- ٢) شرح التجريد للقوشجى: ٣٧٩.

الإثنا عشرية (١) إلى إنكار أصل القضية، و دعوى أنها من افتراءات الشيعة.

فإنكار أصل القضية يشهد بأن لا توجيه صحيح لها، لكن الإنكار لا يجدى، فالقضية من المسلّمات، و المصادر الناقله لها كثيره و معتبره، و إلا لما احتاج الآخرون إلى تلك التوجيهات الفاسده البارده....

و فوق ذلك كله... كلام أبي بكر في آخر حياته... الدالّ على ثبوت القضية و سقوط كلّ التوجيهات: «وددت أنى لم أكن حرّقت الفجاءه السلمى...».

و تلخّص: إن الإنكار و التكذيب باطل.

و إن التوجيه بالإجتهد باطل، لا سيّما و أنه فى مقابل النص.

و احتمال عدم بلوغه باطل كذلك، كاحتمال أخذه بالقياس....

بغض النظر عن التناقضات بين هذه الاحتمالات.

و الحق هو الاعتراف بالحقيقه و رفع اليد عن المكابره، فإنها لا تجدى نفعاً.

كدعواهم أن الإحراق قد صدر من أمير المؤمنين على عليه السلام أيضاً، و هذا ما ذكره ابن تيميه فى مقام الجواب إذ قال:

«و الجواب: إن الإحراق بالنار عن على أشهر و أظهر منه عن أبى بكر، فى الصحيح: إن علياً أتى بقوم زنادقه من غلامه الشيعه فحرّقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم احرقهم بالنار، لنهى النبى صلّى الله عليه و سلّم أن يعذب بعذاب الله، و لضربت أعناقهم لقول النبى صلّى الله عليه و سلّم: من بدّل دينه فاقتلوه. فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن أم الفضل، ما أسقطه على الهنات.

فعلئى أحرق جماعةً بالنار. فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً ففعل على أنكر منه، و إن كان فعل على مما لا ينكر مثله على الأئمه، فأبو بكر أولى أن لا ينكر عليه» (٢).

ص: ٣٠

١-١) التحفه الإثنا عشرية: ٢٨٣.

٢-٢) منهاج السنّه ٤٩٥/٥.

أقول:

لكن هذا تعصّب من ابن تيميه أو جهل، لأن من شرط المناقضة و المعارضه كون الخبرين معتبرين، و ليس هذا الشرط موجوداً فى هذا المقام، لأن خبر إحراق أبى بكر للفجاءه ثابتٌ عند القائلين بإمامته، و تأويلاتهم لما فعله ساقطه، و لذا اعترف بعضهم بالحق و الحقيقه، لكن الحديث الذى ذكره هذا الرجل غير مقبول عند القائلين بإمامه على و عصمته....

على أنه حديث باطلٌ مكذوب من أصله و إن كان فى البخارى و نحوه، لأن ابن عباس من تلامذه أمير المؤمنين و أصحابه، و إقدامه على تخطئه أمير المؤمنين عليه السلام كذب عليه مطلقاً.

و أيضاً: فى هذا الحدث المزعوم أن القوم كانوا زنادقه غلاه، أما الفجاءه، فقد ذكر إسلامه و احتملوا زندقته حملاً لفعل أبى بكر على الصحه من أجل المحافظه على إمامته و ولايته.

و أيضاً: فإن هذا الحديث-الذى يعتمد عليه ابن تيميه و يريد أن ينقض به استدلال الإماميه- يضرّه، لأن معتمده فيه روايه ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله، لكن هذه الروايه تدلّ على مخالفه أبى بكر للحكم الإلهى و السنه النبويه بإحراق الفجاءه. و أما أصحابنا فلا يعتبرون هذا الحديث أصلاً، فلا يعارض به استدلالهم.

المورد الحادى عشر: قال قدس سره: و خفى عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلاله.

الشرح:

إنما مثل العلماءه و غيره بجهل أبى بكر بحكم الكلاله- كمصداق للمورد- من حيث أن لفظ «الكلاله» عربى، يعرف مفهومه كلّ إنسان من أهل اللغه، و أن حكمه مصرّح به فى الكتاب المجيد، يعلم به أقلّ المؤمنين من أهل القرآن و السنه النبويه، فما معنى قول

ص: ٣١

أبي بكر لما سئل عن حكمها: «أقول فيها برأبي، فإن كان صواباً فمن الله...» إلا الجهل؟

قال التفتازاني: «و الجواب-بعد التسليم-إن هذا لا يقدر في الإجتهد، فكم مثله للمجتهدين؟» (١).

و كذلك قال القوشجي في شرح التجريد، و المولى الهندي في التحفه و الآلوسی في مختصرها (٢).

فهم-في الحقيقة-يعترفون بجهل أبي بكر و يسمونه اجتهداً!

لكن ابن تيميه يزعم: «إن هذا من أعظم علمه» (٣).

و هذا عجيبٌ جداً!!

و على كل حال، فابن تيميه و غيره معترفون بصحة الخبر، فأى فائده لتشكيك التفتازاني؟

نعم، لو يمكنهم الإنكار، فإنه أولى من الحمل و التأويل بما لا يليق، لكن أنى لهم ذلك؟!!

المورد الثاني عشر: قال قدس سره: و قضى في الجَدّ سبعين قضيه....

الشرح:

و هذا من موارد جهله بالأحكام الشرعيه المبيته لعموم أفراد الأمه!

و قد أجاب القاضي العضد بأنه: «غير بدع من المجتهد البحث عن مدارك الأحكام» (٤).

و تبعه غيره كالتفتازاني و شارح التجريد و الهندي و غيرهم.

ص: ٣٢

١-١ (١) شرح المقاصد ٢/٢٩٣.

٢-٢ (٢) مختصر التحفه الإثنا عشرية: ٢٨٠.

٣-٣ (٣) منهاج السنه ١/٥٠٥.

٤-٤ (٤) المواقف ٣/٥٥٩.

فهم معترفون بجهله بالحكم و احتياجه إلى غيره في العلم، و لا- مناص لهم من الاعتراف، إذ الأحاديث الواردة في ذلك عندهم صحيحة لا يمكن ردّها و لا تأويلها بنحو من الأنحاء.

فهذه بعض موارد جهل الرجل المانع من تصديّه للأمر بعد الرسول صلّى الله عليه و آله.

قال قدس سره: فأى نسبة إلى من قال: سلونى...؟

الشرح:

قول على أمير المؤمنين عليه السلام: سلونى... من أصحّ الأخبار المتفق عليها بين الفريقين، رواه القوم بترجمته عليه السلام من كتب الرجال و فى مناقبه و فضائله فى كتب الحديث و الكلام، كابن سعد فى الطبقات و الحاكم فى المستدرک و ابن عبد البرّ فى الإستيعاب و غيرهم. و إليك بعض ذلك:

روى المزمى بترجمته: «عن أبى الطفيل قال: شهدت علياً يخطب و هو يقول:

سلونى، فو الله لا تسألونى عن شى إلا أخبرتكم، سلونى عن كتاب الله، فو الله ما من آيه إلا و أنا أعلم أ بليلى نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل» (١).

و رواه الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى (٢).

و روى المتقى: «سلونى قبل أن تفقدونى، فإنى لا أسئل عن شى دون العرش إلا أخبرت عنه. ابن النجار» (٣).

و على الجملة، فإنه لا يسع أحداً إنكار هذا الكلام.

هذا، و قد كابر بعض المعتزلة فى دلاله هذا الكلام على إحاطته بالعلوم بالفعل،

ص: ٣٣

١-١ (١) تهذيب الكمال ٢٠/٤٨٧.

٢-٢ (٢) فتح البارى ٨/٤٥٩.

٣-٣ (٣) كنز العمال ١٣/١٦٥.

بل يدلّ على عظم المحلّ فقط، ثم زعم بعضهم أن قوله: «لو ثبت لي الوساده» يدلّ على جواز الحكم بما نسخ، وهذا باطل، وأخذ ابن تيميه في منهاجه (١).

لكن شارح المواقف نصّ على أن «غرضه عليه السلام إحاطه علمه بما في هذه الكتب الأربعة، لا جواز الحكم بما نسخ منها، فلا يتّجه عليه اعتراض أبي هاشم بأن التوراه منسوخه فكيف يجوز الحكم بها؟ و يدلّ على ما ذكرناه قوله: «والله ما من آيه نزلت... و يؤيّده أن أوّل كلامه مشتمل على الفرض و التقدير، و ليس يلزم منه جواز الحكم، كما يشهد به الفطره السليمه» (٢).

و قد يكون مراده عليه السلام التعريض بمن تقدّمه من الجهله بالأب، و الكلاله...

و نحوهما من الأوليّات، فيريد أن لو أطاعت الأمه حكم الله و رسوله فيه و مكنته، لانقاد أهل الأديان السابقه و اهتدت به إلى الإسلام، فكان تصدّى أولئك سبباً لبقائهم على ضلالتهم إلى يوم القيامة.

قال قدس سره: و عن البيهقي في كتابه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه

و آله قال: من أراد أن ينظر إلى آدم....

الشرح:

فمن كان قد اجتمع فيه ما تفرّق في الأنبياء عليهم السلام، كيف يتقدّم عليه من هو أدنى في العلم بالقرآن و الأحكام من أقلّ الطلبة؟

و الحديث المذكور، رواه عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريره عن رسول الله صلى الله عليه و آله (٣).

ص: ٣٤

١- ١) منهاج السنّه ٥/٥٠٩.

٢- ٢) شرح المواقف ٨/٣٧٠.

٣- ٣) انظر: معجم الأدباء ١٧/٢٠٠ بترجمه محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب المعروف بابن المفتح، الذي نظم هذا الحديث الشريف في قصيده سمّيت بالأشباه، وأوردها ياقوت الحموي في كتابه.

و ناهيك بهذا السند صحهً و اعتباراً.

و من رواته: أحمد بن حنبل، كما عن كتاب (الصحائف في علم الكلام) لشمس الدين السمرقندي.

و أبو حاتم الرازي، فيما رواه العاصمي من طريقه في كتابه (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى) (١).

و ابن بطه العكبرى، فيما رواه الحافظ الكنجي من طريقه في كتابه (كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب) (٢).

و الحاكم النيسابوري في تاريخه، و من طريقه روى الخوارزمي في كتابه: (مناقب علي بن أبي طالب) (٣).

و أبو بكر ابن مردويه، و من طريقه رواه الخوارزمي كذلك (٤).

و الحاكمي القزويني، و عنه روى الحافظ أبو العباس الطبري في كتابه: (الرياض النضره في مناقب العشره المبشره) (٥).

و رواه الملاء الاربلي في سيرته (٦).

و أما روايه البيهقي، فقد وردت في عدّه كتب معروفه مثل (مطالب السؤل) و (المناقب للخوارزمي) و (الفصول المهمه) و غيرها.

ثم إننا قد صحّحنا غير واحد من أسانيد الحديث على ضوء كلمات علماء القوم في الحديث و الرجال.

ص: ٣٥

١-١) زين الفتى في تفسير سورة هل أتى -مخطوط.

٢-٢) كفايه الطالب: ١٢١.

٣-٣) المناقب: ٨٣.

٤-٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٤٠.

٥-٥) الرياض النضره، المجلد الثاني ص ١٩٦.

٦-٦) وسيله المتعبدين في سيره سيد المرسلين ١٦٨/٥.

و أيضاً، فقد نصّ الحافظ السيوطي و غيره على أن البيهقي لا يروي في مصنفاته حديثاً موضوعاً (١).

هذا، و قد بحثنا عن هذا الحديث في مجلد خاص من كتابنا الكبير: (نفحات الأزهار) فراجعه.

و على الجملة، فإن تكذيب ابن تيميه و غيره لهذا الحديث الشريف (٢) تعصّب بحت.

قال قدس سره: قال أبو عمر الزاهد قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحداً قال

بعد نبيّه سلونى، من شيث إلى محمد صلّى الله عليه و آله إلا علياً....

الشرح:

أبو عمر الزاهد، تقدّم التعريف به.

أمّا أبو العباس ثعلب فهو استاذه. قال الذهبى فى ترجمته فى سير أعلام النبلاء:

«العلامة المحدث، إمام النحو... سمع... و عنه: نفظويه... و أبو عمر الزاهد... قال الخطيب: ثقّه حجه دين صالح مشهور بالحفظ... مات سنة ٢٩١» (٣).

هذا، و قد نقل مثل هذا الكلام عن غير واحد من الأعلام، كسعيد بن المسيّب، فإنه قال: «ما كان فى أصحاب النبي صلّى الله عليه و سلّم أحد يقول سلونى غير على بن أبى طالب» (٤).

و سيأتى بعض الكلام عن علم على عليه السلام فيما بعد. فانتظر.

ص: ٣٦

١- (١) اللآلى المصنوعه ١٢/١ كتاب التوحيد.

٢- (٢) منهاج السنّه ٥١٠/٥.

٣- (٣) سير أعلام النبلاء ٥/١٤.

٤- (٤) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ٨٣.

المورد الثالث عشر: قال قدس سره: و أهمل حدود الله، فلم يقتص من خالد بن الوليد.

الشرح:

قد تقدّم الكلام على هذا المورد بالتفصيل. فراجع.

المورد الرابع عشر: قال قدس سره: و خالف أمر الله تعالى في توريث بنت النبي صلى الله عليه و آله و منعها فدكاً.

الشرح:

و تقدّم الكلام على هذا المورد أيضاً بالتفصيل. فراجع.

المورد الخامس عشر: قال قدس سره: و تسمى خليفه رسول الله من غير أن يستخلفه.

الشرح:

و هذا زور و بهتان منه على الله و رسوله، و من يصدر منه مثله كيف يصلح لأن يكون إماماً للمسلمين؟

و قال العلامة في نهج الحق: «قالوا: إنه سمى نفسه خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و كتب إلى الأطراف بذلك، و هذا كذب صريح على رسول الله صلى الله عليه و آله، لأنه لم يستخلفه، و اختلف الناس فيه، فالإماميه قالوا: إنه مات صلى الله عليه و آله عن وصيه و أنه استخلف أمير المؤمنين عليه السلام إماماً بعده. و قالت السنه كافه: إنه مات بغير وصيه و لم يستخلف أحداً، و أن إمامه أبى بكر لم تثبت بالنص إجماعاً بل ببيعه عمر بن الخطاب و أصحابه، و هم أربعة: عمر بن الخطاب و أبو عبيده بن الجراح و أسيد بن حضير و سالم مولى أبى حذيفه لا غير. و قال عمر: إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، و إن أستخلف فإن أبى بكر قد استخلف. و هذا تصريح بعدم استخلاف

ص: ٣٧

رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أحداً. و قد كان الأولى أن يقال إنه خليفه عمر لأنه هو الذى استخلفه.

أقول:

إن «الإمامه» و «الخلافة» متصادقان، و للإمام و الخليفه عن رسول الله «الولاية» المطلقة، و لا خلاف بين الفريقين فى تعريف الإمامه بعد النبى، قال فى شرح المواقف:

«الإمامه رئاسه عامه فى امور الدّين و الدنيا لشخص من الأشخاص» (١). و قال العلامة الحلى: «الإمامه رئاسه عامه فى أمور الدّين و الدنيا لشخص من الأشخاص» (٢).

هذا أولاً.

و ثانياً: قد تقرّر عند القوم أن الإمامه تثبت بالبيعه و الاختيار، كما تثبت بالنصّ من الله و الرسول (٣).

و ثالثاً: قد نصّ القوم على أن لا نصّ من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله على أبى بكر، و إنما تثبت إمامته باختيار الناس له (٤).

و بالنظر إلى ما تقدّم، يرد الإشكال على أبى بكر: أنه لما ذا تسمّى خليفه رسول الله، و رسول الله لم يستخلفه؟ بل الأولى أن يقال: إنه خليفه عمر، لأنه هو الذى استخلفه و تثبت إمامته ببيعته، كما نصّ على ذلك غير واحد من أئمتهم.

فهذا هو الإشكال، فما هو الجواب؟

أجاب ابن روزبهان بما نصه: «ما أجهل هذا الرجل باللّغه، فإن الخليفه فعيله بمعنى الخالف، و خليفه الرجل من يأتى خلفه، و لا يتوقف إطلاق الخليفه المضافه إلى

ص: ٣٨

١-١) شرح المواقف ٣٤٥/٨.

٢-٢) النافع يوم الحشر فى شرح الباب الحادى عشر: ٩٣.

٣-٣) شرح المواقف ٣٥١/٨.

٤-٤) شرح المواقف ٣٥٤/٨.

شخص باستخلافه إياه، فمعنى خليفه رسول الله: الذى تولّى الخلافة بعده، سواء استخلفه أم لم يستخلفه، فلو سلّمنا أن أبا بكر هو سَمى نفسه بهذا الاسم، فإنه لا يكون كذباً لما ذكرنا. ثم لا شك أن عليّاً خاطبه فى أيام خلافته بخليفه رسول الله، و لو كان كذباً لما تكلم به و لا خاطبه به. و لكن للشيعة فى أمثال هذه المضائق سعة من التقيّه. و الظاهر أن القوم خاطبوه بذلك، و لو أنه سَمى نفسه بهذا صح كما ذكرناه فلا طعن» (١) انتهى.

أقول:

و هذا الكلام يشتمل على وجوه:

الأول: التشكيك فى أنه سَمى نفسه، بل سَماه الناس.

و الجواب: إنه كتب إلى الآفاق: من أبى بكر خليفه رسول الله... و هذا ثابت لا مجال لإنكاره، و لذا لم ينكره مثل ابن تيميه.

و الثانى: حمل «الخليفه» فى محلّ البحث على المعنى اللغوى.

و الجواب: إن هذا خروج عن البحث، فإن المراد هو الخلافه بالمعنى الذى توافق الطرفان عليه كما تقدّم. و لذا أشار ابن تيميه إلى أن بعضهم زعم استخلاف النبى أبا بكر كما سنذكره، فما جاء به هذا الأشعرى الفارسى ردّاً على العلامه الحلى جهل أو تجاهل.

و الثالث: إن أمير المؤمنين عليه السلام خاطبه بذلك.

و الجواب: أولاً: أين السند الصحيح المتفق عليه بين الطرفين فى أنه خاطبه بخليفه رسول الله؟ و ثانياً: إن كان ذلك فهو محمول على التقيّه كما ذكر.

و بما ذكرنا سقط دفاع ابن تيميه و ابن روزبهان عن أبى بكر.

و كأنّ بعض القوم لمّا التفت إلى سقوط ما ذكره، التجأ إلى دعوى أن النبى صلّى الله عليه و آله قد استخلف أبا بكر. و حينئذ يتوجه السؤال: أين الدليل الثابت سنداً

ص: ٣٩

و دلالة على ذلك؟

فاضطرب القوم فى الجواب، فمنهم من أقرّ بعدم النصّ مطلقاً و أن خلافه أبى بكر كانت بالبيعه و الاختيار كما تقدّم. و منهم من ادّعى النصّ، و اختلفوا بين من يدعى النصّ الجلىّ و من يدعى النصّ الخفى، لكن إثبات النصّ الجلىّ حتى من طرفهم المكذوبه مستحيل.

فاضطروا إلى التمسك بحديث نصبه للصلاه فى مرضه، و جعلوه نصّاً خفياً، و لكن قد ثبت أن صلاه أبى بكر تلك لم تكن بأمر من النبى صلّى الله عليه و آله، بل خرج يتهدى بين رجلين و صلاها هو... ثم إنهم يعلمون بأن النيابة فى الصلاه لا تستلزم النيابة العامه فى أمور الدين و الدنيا. و قد تقدّم بعض الكلام على هذا المورد فى الكتاب سابقاً. و سيأتى بالتفصيل فى محلّه من الكتاب إن شاء الله.

و تلخص: ثبوت الطعن و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٤٠

المورد الأول: قال قدس سره: و منها: ما رووه عن عمر.

روى أبو نعيم الحافظ فى كتاب حليه الأولياء: انه لما احتضر قال... و قال لابن عباس عند احتضاره: لو أن لى ملء الأرض....

فلينظر المنصف العاقل قول الرجلين عند احتضارهما. و قول على عليه السلام: متى ألقاها.

الشرح:

نعم، لقد تمنى أبو بكر ما تمنى عند احتضاره، و كل واحد من الأمور التسعة التى ذكرها الحديث من تمنياته يكفى لعدم أهليته لأن يقوم مقام النبى صلى الله عليه و آله، و لسوء حسابه فى القيامة.

و عمر أيضاً، كان شريكه فى كل ما قال و فعل، مضافاً إلى ما كان منه زمن حكومته.

و إليك بعض ما رووا عن عمر من تمنياته كما فى (كنز العمال):

«٣٥٩١٢- عن الضحاک قال: قال عمر: يا ليتنى كنت كبش أهلى، سمنونى ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض من يحبون، فجعلوا بعضى شواء و بعضى قديداً، ثم أكلونى فأخرجونى عذره و لم أكن بشراً (هناد حل، هب).

٣٥٩١٣- عن جابر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: جعلنى الله فداك! قال: إذن يهينك الله (ابن جرير).

٣٥٩١٤- عن عامر بن ربيعه قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبه من الأرض فقال: يا ليتنى كنت هذه التبه! ليتنى لم أخلق! ليتنى لم أك شيئاً! ليت أمى لم تلدنى! ليتنى كنت نسياً منسياً (ابن المبارك و ابن سعد، ش و مسدد، كر).

٣٥٩١٥- عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ؟ «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً» فقال عمر: يا ليتها تمت (ابن المبارك و أبو عبيد في فضائله و عبد بن حميد و ابن المنذر).

٣٥٩١٦- عن عمر قال: لو نادى مناد من السماء: يا أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو، و لو نادى مناد: أيها الناس، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون أنا هو (حل).

٣٥٩١٧- عن ابن عمر: أن عمر لقي أبا موسى الأشعري فقال له: يا أبا موسى! أيسرك أن عملك الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه و سلم خالص لك، و أنك خرجت من عملك كفافاً خيره بشره و شره بخيره كفافاً لا لك و لا عليك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! و الله، لقد قدمت البصره و أن الجفاء فيهم لفناش، فعلمتهم القرآن و السنه؟ و غزوت بهم في سبيل الله و إنى لأرجو بذلك فضله. قال عمر: لكن وددت أنى خرجت من عملي خيره بشره و شره بخيره كفافاً لا على و لا لى، و خالص لى عملي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم المخلص (كر) (١).

المورد الثاني: قال قدس سره: و روى صاحب الجمع بين الصحاح الستة فى مسند ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: أخرجوا عنى....

الشرح:

هذا إشاره إلى حديث القرطاس أو الدواه و الكتف، و ممانعه عمر من كتابه الكتاب، و ما قاله، فقال رسول الله: اخرجوا عنى....

و قال العلامة فى نهج الحق: «نقل الجمهور عن عمر مطاعن كثيره منها:

ص: ٤٢

قوله عن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله لما طلب في حال مرضه دواه و كتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده، و أراد أن ينصَّ حال موته على ابن عمه على عليه السلام فمنعه عمر و قال: إن نبيكم ليهجر. فوَقعت الغوغاء و شجر النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله فقال أهله: لا- ينبغي عند النبي هذه الغوغاء. فاختلفوا فقال بعضهم: احضروا ما طلب، و منع آخرون. فقال النبي: أبعدوا. هذا الكلام في صحيح مسلم. و هل يجوز مواجهه العامي بهذا السفه فكيف بسيد المرسلين؟».

أقول:

و نحن نورد أولاً نصوص الخبر من صحاح القوم و مسانيدهم ثم نتكلم:

أخرج البخارى عن ابن عباس قال: «لما حضر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله: «هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاخصموا، منهم من يقول: قزبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلُّوا بعده، و منهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو و الاختلاف عند النبي.

قال لهم رسول الله: قوموا (عنى خ ل) - قال عبيد الله بن عبد الله بن مسعود-: فكان ابن عباس يقول: إن الرزيه كل الرزيه ما حال بين رسول الله و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم» (١).

و هذا الحديث أخرجه مسلم فى آخر الوصايا من صحيحه (٢).

و رواه أحمد بن حنبل فى مسنده من حديث ابن عباس (٣).

و رواه سائر أصحاب السنن و المسانيد و الأخبار، كأبى يعلى الموصلى فى

ص: ٤٣

١- ١) صحيح البخارى ٩/٧.

٢- ٢) صحيح مسلم ٧٦/٥.

٣- ٣) مسند أحمد ١/٣٢٤-٣٢٥ و ٣٣٦.

مسنده، و البيهقي في دلائله، و البلاذري في أنساب الأشراف، و الطبري في تاريخه...

و غيرهم (١).

و قد روى في بعض الكتب عن جابر أيضاً (٢).

و في بعض الألفاظ بدل: «إن النبي قد غلب عليه الوجع» جملة: «هجر رسول الله»، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس أنه قال: «يوم الخميس و ما يوم الخميس؟» ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال: «اشتد برسول الله صلى الله عليه و سلم وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنزعوا و لا ينبغي عند نبي تنزع. فقالوا: «هجر رسول الله قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونى إليه. و أوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم»، (قال): و نسيت الثالثة».

و هذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً في آخر كتاب الوصايا من صحيحه.

و أحمد من حديث ابن عباس في مسنده، و رواه سائر المحدّثين.

و أخرج مسلم في كتاب الوصايا من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس، قال: «يوم الخميس و ما يوم الخميس» ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ائتوني بالكتف و الدّواه أو اللّوح و الدّواه، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقالوا: إن رسول الله يهجر».

و يظهر من التأمل في الأخبار أن قائل «هَجَرَ» هو عمر بن الخطاب ثم تبعه من تبعه من الحاضرين.

ص: ٤٤

١- ١) مسند أبي يعلى ٢٩٨/٤، دلائل النبوه ١٨١/٧، أنساب الأشراف ٢٣٦/٢ تاريخ الطبري ٤٣٦/٢، الكامل لابن الأثير ٣٢٠/٢.

٢- ٢) مسند أحمد ٣٤٦/٣.

و قد تقدّم في الحديث الصحيح عن ابن عباس قوله:فاختلف أهل البيت فاختموا،منهم من يقول:قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلّوا بعده،و منهم من يقول ما قال عمر-أى يقول:هجر رسول الله.

و في روايه أخرجه الطبراني في الأوسط عن عمر قال:«لما مرض النبي قال:

ائتوني بصحيفه و دواه أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.فقال النسوه من وراء الستر:

ألا- تسمعون ما يقول رسول الله؟قال عمر:فقلت:أنكن صواحبات يوسف،إذا مرض عصرتن أعينكن و إذا صح ركبتن عنقه؟قال:فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم:

«دعوهن فإنهن خير منكم».

هذا،و قد جاء التصريح في كلام بعض الأعلام،بأن قائل ذلك هو عمر.

فقد أخرج أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفه بالإسناد إلى ابن عباس،قال:«لما حضرت رسول الله الوفاه و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب،قال رسول الله:ائتوني بدواه و صحيفه أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده،قال:

فقال عمر كلمه معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله ثم قال:عندنا القرآن حسبنا كتاب الله.فاختلف من في البيت و اختصموا،فمن قائل يقول:القول ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله،و من قائل يقول:القول ما قال عمر،فلما أكثروا اللّغظ و اللّغو و الاختلاف،غضب صلّى الله عليه و آله فقال:قوموا...»(١).

و قال أبو حامد الغزالي:«و لمّا مات رسول الله صلّى الله عليه و سلّم،قال قبل موته:إيتوني بدواه و بياضٍ لأزيل عنكم إشكال الأمر،و أذكر لكم من المستحقّ لها بعدى،فقال عمر:دعوا الرجل فإنه ليهجر و قيل يهدو»(٢).

و سيأتي كلام ابن الأثير في كتاب(النهايه).

ص:٤٥

١-١ شرح نهج البلاغه ٥١/٦.

٢-٢ سرّ العالمين و كشف ما في الدارين:٢١.

و قال العكبرى فى (التبيان-شرح ديوان المتنبى) بشرح قول المتنبى: أنطق فيك هجرأ بعد علمى بأنك خير من تحت السماء

قال: «الهجر، القبيح من الكلام و الفحش، و هجر إذا هذى، و هو ما يقوله المحموم عند الحمى. و منه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الرجل ليهجر، على عادة العرب».

و قال يوسف الأعور الواسطى فى رسالته فى الرد على الشيعة:

«و أما ما ذكروه فى عمر. فمنها قولهم: إنه منع كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى أراد أن يكتبه فى مرض موته و قال: إن الرجل ليهجر» فأجاب:

«فأما: إن الرجل ليهجر، يعنى كلامه حينئذ أى فى مرضه خارج عن حد الصحة، يعنى من جهة الكثرة و العله و نحو ذلك، لاحتمال السهوه عليه من إشغال المرض القلب الذى هو وعاء للإيعاء، و مثل ذلك واقع للبشر فى حال المرض، للأنبياء و غيرهم. و قد وقع منه صلى الله عليه و سلم السهوه فى حال الصحة، كحديث ذى اليمين فى تسليمه من صلاه العصر على ركعتين. فالسهوه فى المرض أقرب احتمال» (١).

و قال الخفاجى: «و فى بعض طرقه-أى طرق هذا الحديث-المرويه عنه قال عمر: «إن النبى يهجر. بفتح أوله و ضم ثالثه، أى: يأتى بهجر من القول. و هو على تقدير الإستفهام الإنكارى، و ليس من الهجر بمعنى ترك الكتابه و الإعراض عنها كما قيل.

و هذه روايه الإسماعيلى من طريق ابن خلاد عن سفيان.

و فى روايه-كما فى البخارى-هجر، ماض بدون استفهام» (٢).

فتراهم يعترفون بأن قائل الكلمه هو عمر، و نسبه الهجر إليه صلى الله عليه و آله غير جائز، لأنه إنكار لعصمته، و إنكارها رد على القرآن لدلالته عليها بكل وضوح،

ص: ٤٤

١-١) الرساله المعارضه فى الرد على الرافضه-مخطوط.

٢-٢) نسيم الرياض-شرح شفاء القاضى عياض ٢٧٨/٤.

و إنكار لنبوته، فما الحيله حينئذ؟

فبعضهم قال: إن «هجر» هو على الإستفهام، فهمزه الإستفهام مقدّره، و هو إنكارى لا حقيقى....

و بعضهم، قدّر الهمزه، و ضبط الكلمه بضم الهاء و سكون الجيم و الراء، على أنه مصدر.

و بعضهم -لما رأى أن تقدير الهمزه خلاف الأصل، و حمل الكلام على الإستفهام الإنكارى خلاف الظاهر- أضاف إلى اللفظ همزه الإستفهام.

و بعضهم أراد التأكيد على ذلك فأضاف كلمه: «استفهموه».

و بعضهم لم يقتنع بهذه التصرفات، فوضع «غلب عليه الوجع» فى مكان: «هجر».

و قد تقدّم ما يشهد على بعض هذه التصرفات، و إليك الشاهد على البعض الآخر:

قال ابن حجر بشرح البخارى: «قوله: فقالوا ما شأنه أهجر، بالهمزه لجميع رواه البخارى. و فى الروايه التى فى الجهاد بلفظ فقالوا: هجر بغير همزه، و وقع للكشميهنى هناك فقالوا هجر هجر رسول الله صلى الله عليه و سلم، أعاد هجر مرتين. قال عياض:

معنى أهجر أفحش يقال: هجر الرجل إذا هذى و أهجر إذا أفحش. و تعقب بأنه يستلزم أن يكون بسكون الهاء و الروايات كلّها إنما هى بفتحها. و قد تكلم عياض و غيره على هذا الموضوع فأطالوا، و لخصه القرطبى تلخيصاً حسناً ثم لخصته من كلامه و حاصله:

أن قولهم هجر، الراجح فيه إثبات همزه الإستفهام و بفتحات على أنه فعل ماض، قال، لبعضهم أهجر بضم الهاء و سكون الجيم و التنوين على أنه مفعول بفعل مضمر، أى أقال هجر. و الهجر بالضم ثم السكون الهذيان. و المراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذى لا- ينتظم و لا- يعتدّ به لعدم فائده، و وقوع ذلك من النبى صلى الله عليه و سلم مستحيل، لأنه معصوم فى صحته و مرضه، لقوله تعالى «و ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» و لقوله صلى الله عليه و سلم: إني لا- أقول فى الغضب و الرضى إلّا حقّاً. و اذا عرف ذلك،

فإنما قاله من قاله منكراً على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف و الدواه، فكأنه قال كيف تتوقف؟ أ تظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه؟ امثل أمره و أحضر ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق. قال: هذا أحسن الأجوبة. قال: و يحتمل أن بعضهم قال ذلك من شك عرض له، و لكن يبعد أن لا ينكره الباقر عليه مع كونهم من كبار الصحابه، و لو أنكروه عليه لنقل. و يحتمل أن يكون الذى قال ذلك صدر عن دهش و حيره كما أصاب كثيراً منهم عند موته. و قال غيره: يحتمل أن يكون قائل ذلك أراد أنه اشتد وجعه و أطلق اللآزم و أراد الملزوم، لأن الهذيان الذى يقع للمريض ينشأ عن شدّه وجعه....

قلت: و يظهر لى ترجيح ثالث الاحتمالات التى ذكرها القرطبي، و يكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله فى الإسلام، و كان يعهد أن من يشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله، لجواز وقوع ذلك. و لهذا وقع فى الروايه الثانيه: فقال بعضهم: أنه قد غلب عليه الوجع. و وقع عند الإسماعيلى من طريق محمد بن خلاد عن سفيان فى هذا الحديث: قالوا ما شأنه يهجر؟ استفهموه. و عند ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير أن نبى الله يهجر» (١).

و قال العيني فى شرح البخارى:

«و فى كتاب الجهاد هجر بدون الهمزه. و فى روايه الكشميهنى هناك هجر هجر رسول الله بتكرار لفظ هجر. و قال عياض: معنى هجر أفحش، و يقال هجر الرجل إذا هذى و أهجر إذا أفحش.

قلت: نسبه مثل هذا إلى النبى لا يجوز، لأن وقوع مثل هذا الفعل عنه عليه الصّلاه و السلام مستحيل، لأنه معصوم فى كلّ حاله فى صحته و مرضه لقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» و لقوله: إنى لا أقول فى الغضب و الرضا إلّا حقاً. و قد تكلموا فى هذا

ص: ٤٨

الموضع كثيراً وأكثره لا- يجدى نفعاً.و الذى ينبغى أن يقال:إن الذين قالوا ما شأنه أهجر أو هجر بالهمزه و بدونها،هم الذين كانوا قريبي العهد بالإسلام و لم يكونوا عالمين بأن هذا القول لا يليق أن يقال فى حقه عليه السلام،لأنهم ظنوا أنه مثل غيره من حيث الطبيعه البشريه،إذا اشتد الوجع على واحدٍ منهم تكلم من غير تحرُّ فى كلامه» (١).

و قال ابن الأثير فى ماده هجر:«و منه حديث مرض النبى صَلَّى الله عليه و سلم قالوا:ما شأنه؟أهجر؟أى:اختلف كلامه بسبب المرض،على سبيل الإستفهام،أى:هل تغير كلامه و اختلف لأجل ما به من المرض.و هذا أحسن ما يقال فيه،و لا يجعل إخبار فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان،و القائل كان عمر و لا يظنّ به ذلك» (٢).

و قال النووى بشرح صحيح مسلم:

«أهجر،أى:اختلف كلامه بسبب المرض،على الإستفهام،أى:هل تغير كلامه و اختلف لأجل ما به من المرض.و لا يجعل إخباراً فيكون من الفحش و الهذيان.

و القائل عمر،و لا يظنّ به ذلك» (٣).

و قال القاضى الخفاجى بشرح الشفاء:

«و أما الاختلاف الذى وقع عنده،كما ورد فى الأحاديث الصحيحه من أن النبى صَلَّى الله عليه و سلم قال فى مرضه:ائتونى بدواه أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدى، فقال عمر:إنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله،فلغظ الناس،فقال:اخرجوا عنى، لا ينبغى التنازع لى.فقال ابن عباس:الرزيه كلّ الرزيه ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله.و هذا مما يطعن به الرافضه على عمر.و قال صاحب الملل و النحل:هو أوّل

ص:٤٩

١- ١) عمدہ القارى فى شرح البخارى ٦٢/١٨.

٢- ٢) النهايه فى غريب الحديث و الأثر«هجر»٢٤٦/٥،شرح الشفا للقارى-على هامش نسيم الرياض-٢٧٨/٤.

٣- ٣) شرح صحيح مسلم.انظر:تشبيد المطاعن ٤١١/٢.

اختلاف في وقع في الإسلام» (١).

بل إن هذا مما يطعن به عليه كل دين عارف بمقام النبوه، محب للنبي صلى الله عليه وآله، متعبد بأوامره و نواهيه... والأحاديث كلها في كتب القوم و هي صحيحه، و ليس للشيعه دخل في روايتها أو تدوينها....

و بعد، فهل هناك سبيل لإنكار منع عمر من كتابه الكتاب، و كونه سبباً لحرمان الأمه بل سائر الناس من خير ذلك الكتاب؟

لقد أحسن الحافظ ابن حزم حيث قال بعد إيراد الحديث: «هذه زله العالم التي حذر منها الناس قديماً، و قد كان في سابق علم الله تعالى أن يكون بيننا الاختلاف، و تضل طائفه و تهتدي بهدى الله أخرى، فلذلك نطق عمر و من وافقه بما نطقوا به، مما كان سبباً إلى حرمان الخير بالكتاب الذي لو كتبه لم يضل بعده» (٢).

لكنه أخطأ لو أراد الجبر!

و على الجملة، ففي هذه القضية عدّه طعون:

منها: نسبته النبي صلى الله عليه وآله إلى الهجر و هذا هو الكفر، و الله تعالى يقول:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» (٣) و يقول «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا * مَا تُؤْمِنُونَ * وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا * مَا تَدَّكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٤) و يقول: «ما ضل صاحبكم و ما غوى * وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» (٥).

ص: ٥٠

١-١) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٢٧٨/٤ و فيه تحريف.

٢-٢) إحكام الأحكام ٩٨٤/٧.

٣-٣) سورة التكوير: ١٩-٢٢.

٤-٤) سورة الحاقة: ٤٠-٤٣.

٥-٥) سورة النجم: ٢-٥.

و منها: منعه من كتابه الكتاب قائلاً: «حسبنا كتاب الله» ردّ صريح على الله و الرسول، قال الله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» (١) و قال:

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» (٢) و قال: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا...» (٣).

و منها: كونه السبب في حرمان الأئمة من خير ذلك الكتاب، و في ضلال من ضلّ أو بقاء من كان ضالاً على ضلالته، إلى يوم القيامة.

و منها: إن النبي صلى الله عليه و آله طرد عمر و أتباعه من حضرته قائلاً: «قوموا عني» و من كان مطروداً من النبي صلى الله عليه و آله كيف يليق لأن يقوم مقامه من بعده؟

و منها: إنه و أصحابه قد آذوا رسول الله صلى الله عليه و آله، فشملهم قوله عز و جل: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» (٤).

و كل واحد من وجوه الطعن هذه و غيرها، يكفي دليلاً لعدم أهليته الرجل للإمامة و الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و لذا، فقد اختلفت الكلمات القوم في هذا المورد و تناقضت.

فمنهم: من حاول الدفاع و التبرير فقط.

و منهم: من زعم حسن ما فعله عمر!

و منهم: من يقول: اشتبه في اجتهاده.

ص: ٥١

١-١) سورة الحشر: ٧.

٢-٢) سورة النساء: ٨٠.

٣-٣) سورة الجن: ٢٣.

٤-٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

و هذا كلام ابن تيميه فى هذا المقام:

«و أمّا عمر، فاشتبه عليه هل كان قول النبى صلى الله عليه و سلم من شدّه المرض أو كان من أقواله المعروفه، و المرض جائز على الأنبياء، و لهذا قال: ماله؟ أهجر؟ فشكّ فى ذلك و لم يجزم بأنه هجر، و الشكّ جائز على عمر فإنه لا معصوم إلا النبى، لا سيّما و قد شكّ بشبهه، فإن النبى كان مريضاً، فلم يدر أ كلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض، أو كان من كلامه المعروف الذى يجب قبوله» (١).

فقول:

أولاً: لم يكن طلب الدواه و الكتف من عمر خاصه، و ما كان هو المخاطب بهذا الأمر، فما الذى دعاه إلى المداخله فى القضيّه إن كان مشتبهاً؟

و ثانياً: إن اللفظ الذى أورده محزّف، فقد تقدّم أنه نسبّ الهجر إلى النبى صلى الله عليه و آله صراحه.

و ثالثاً: هل إن كلام النبى صلى الله عليه و آله ينقسم إلى ما يجب قبوله و ما لا يجب؟ إن التحفظ على ماء وجه عمر قد دعا ابن تيميه إلى إنكار عصمه النبى و الردّ على كتاب الله، فهل فهم ابن تيميه ما يقول؟

و رابعاً: إن كان الرجل لا يدرى و هو يريد الإستفهام، فلما ذا وضعوا على لسانه - بدلاً عن كلمه الهجر - أنه قال: «إن النبى قد غلب عليه الوجع»؟ فهو إذا يدرى و ليس بمشتبه.

و خامساً: لقد اتفقت جميع روايات القوم على أنه - بعد ما منع من أن يقرب إلى النبى الدواه و الكتف - قال: «حسبنا كتاب الله»، و هل هذا كلام من هو مشتبه لا يدرى؟

و سادساً: لقد رووا أنه جعل يجادل النسوه اللاتى طالبين بأن يؤتى بالدّواه و الكتف إلى النبى صلى الله عليه و آله.

ص: ٥٢

هذا موجز الكلام على هذا المورد، ولنا فيه رساله مستقله، تعرضنا فيها لسائر الروايات و الكلمات، نسأل الله التوفيق لنشرها.

المورد الثالث: قال قدس سره: و قال لما مات رسول الله صلى الله عليه و آله: و الله ما مات محمد....

الشرح:

قال في نهج الحق: إنه قد بلغ من قلّه المعرفه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على النبي صلى الله عليه و آله، بل أنكرك ذلك لما قالوا: مات رسول الله، فقال: و الله ما مات محمد حتى....

و من هذه حاله كيف يجوز أن يكون إماماً واجب الطاعه على جميع الخلق؟ (١)

أقول:

و على الجملة، فإن الأمر لا يخلو من أن يكون جهلاً أو ضلالاً في العقيدة، أو يكون وراء هذا الإنكار غرض آخر. فإن كان قوله عن جهل، فالجاهل بمثل هذا الأمر الواضح الموجود في القرآن الكريم بكلّ صراحه، و أخبر به النبي صلى الله عليه و آله مرة بعد مره، كيف يليق للإمامه؟ و إن كان عن عقيدته باطله، فالحال أسوء، لأنه ردّ على القرآن. و إن كان الاحتمال الثالث كما في كلام بعض الأعلام، و لذا لما جاء أبو بكر و أسكته سكت، فتلك دسيسه و خديعه، و خيانه للدين و الأمه.

و هذه بعض الأحاديث في المورد:

«عن عائشه زوج النبي صلى الله عليه و سلم: إن رسول الله مات و أبو بكر بالسّنع، قال إسماعيل يعنى بالعالیه، فقام عمر يقول: و الله ما مات رسول الله. قالت:

ص: ٥٣

وقال عمر و الله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك، و ليعثنه الله فليقطعن أيدى رجال و أرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقبله، قال: بأبى أنت و أمى، طبت حياً و ميتاً، و الذى الذى نفسى بيده لا- يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر و أثنى عليه و قال: ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه و سلم فإنه قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت و قال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و قال: «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً» الحديث» (١).

و«عن عائشه قالت: لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم استأذن عمر و المغيرة بن شعبه فدخلا عليه، فكشفنا الثوب عن وجهه، فقال عمر: وا غيثاه ما أشد غشى رسول الله، ثم قام، فلما انتهيا إلى الباب قال المغيرة: يا عمر مات و الله رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال عمر: كذبت ما مات رسول الله و لكنك رجل تحوشك فتنه و لن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين. ثم جاء أبو بكر و عمر يخطب الناس فقال له أبو بكر: اسكت فسكت، فصعد أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه ثم قرأ «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» ثم قرأ «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» حتى فرغ من الآية. ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، فقال عمر: هذا فى كتاب الله؟ قال: نعم قال: أيها الناس، هذا أبو بكر ذو شبيهه المسلمين فبايعوه. فبايعه الناس. ابن سعد» (٢).

و«عن عكرمه قال: لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقالوا: إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، و قام عمر خطيباً يوعد المنافقين و قال: إن رسول الله لم

ص: ٥٤

١- ١) صحيح البخارى ١٩٣/٤-١٩٤.

٢- ٢) كنز العمال ٢٤٤/٧.

يمت و لكن إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام و ألسنتهم، فلم يزل عمر يتكلم حتى ازبد شدقاها، فقال العباس: إن رسول الله يأسن كما يأسن البشر، و إن رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم، أ يميت أحدكم إماته و يميته إماتين؟ هو أكرم على الله من ذلك» (١).

و«عن عروه قال: لَمَّا مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قام عمر بن الخطاب يخطب الناس و يوعد من قال مات بالقتل و القتل و يقول: إن رسول الله في غشيته، لو قد قام قتل و قطع، و عمرو بن أم مكتوم قائم في مؤخر المسجد يقرأ «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» إلى قوله «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»، و الناس في المسجد قد ملاؤه يبكون و يموجون لا يسمعون، فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال: يا أيها الناس، هل من أحد منكم من عهد من رسول الله في وفاته فيحدثنا؟ قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا، قال العباس: أشهد أيها الناس أن أحداً لا يشهد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعهد عهده إليه في وفاته، و الله الذي لا إله إلا هو، لقد ذاق رسول الله الموت.

فأقبل أبو بكر من السنح على دابته حتى نزل بباب المسجد، ثم أقبل مكروباً حزيناً، فاستأذن في بيت ابنته عايشه فأذنت له، فدخل و رسول الله قد توفي على الفراش و النسوة حوله، فخمرن وجوههن و استترن من أبي بكر إلا ما كان من عائشه، فكشف من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحنى عليه يقبله و يبكي و يقول: ليس ما يقول ابن الخطاب بشيء، توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و آله، ما أطيبك حياً و ما أطيبك ميتاً، ثم غشاها بالثوب.

ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتوطأ رقاب الناس حتى أتى المنبر، و جلس عمر

ص: ٥٥

حين رأى أبا بكر مقبلاً- إليه، فقام أبو بكر إلى جانب المنبر ثم نادى الناس، فجلسوا و أنصتوا، فتشهد أبو بكر و قال: إن الله نعى نبيكم إلى نفسه و هو حى بين أظهركم، و نعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، قال الله تعالى: «و ما مُحَمَّدُ إِلَّا- رَسُولٌ» إلى قوله «و سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» فقال عمر: هذه الآية فى القرآن؟ فوالله ما علمت أن هذه الآية نزلت قبل اليوم» (١).

ثم لا يخفى إصراره على الإنكار، و اشتغال الروايات على نقاط:

الأول: اليمين على عدم موته صلى الله عليه و آله.

و الثانى: توعد من قال: «مات» بالقتل و القطع.

و الثالث: إنه لم يزل يتكلم حتى ازبد شذوقه، و الناس فى المسجد قد ملأوه بيبكون، و عمرو بن أم مكتوم يقرأ الآية، و المغيرة قال: يا عمر، مات- و الله- رسول الله صلى الله عليه و آله. فقال عمر: كذبت....

أقول:

أما ابن تيمية، فلم يجب على كلام العلامة هنا بشيء أصلاً، و لما ذا؟

و أما غيره ممن سبق و لحق، من المعتزلة و الأشاعرة، فقد تحيروا فى توجيه ما كان من عمر فى هذا المورد و اضطربوا، و قالوا ما كان ترك القول به أفضل و أقر لهم كما فعل ابن تيمية!

فالقاضى المعتزلى فى المغنى فى الإمامة قال: «هذا لا يصح، لأنه قد روى أنه قال:

كيف يموت و قد قال الله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» و قال: «لِيَبْدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا»، فلذلك نفى موته عليه السلام، لأنه حمل الآية على أنه خبر عن ذلك فى حال حياته، حتى قال له أبو بكر: إن الله وعده بذلك و سيفعله، و تلا عليه أبو بكر ما تلى،

ص: ٥٦

فأيقن عند ذلك بموته، وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت لا أنه منع من موته».

و هذا حمل للنصوص على ما لا تحتمله أبداً....

على أنه لو كان ظاناً تأخر الموت لا منكرأ لأصله، فلما ذا سكت لَمَا تلا عليه أبو بكر ما تلا، وهو لا يدلّ إلا على أصل الموت؟

و السعد التفتازاني قد أخذ كلام المعتزلي و أورده في الدفاع عن عمر قال:

«و منها: أنه لم يكن عالماً بالقرآن، حتى شك في موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و لم يسكن إليه حتى تلا عليه أبو بكر قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فقال: كأني لم أسمع هذه الآية.

فالجواب: إن ذلك كان لتشوّش البال و اضطراب الحال و الذهول عن جليّات الأحوال، أو لأنه فهم من قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» و قوله: «لَيْسَ يَتَخَلَّفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» أنه يبقى إلى تمام هذه الأمور و ظهورها غايه الظهور.

و في قوله: كأني لم أسمع، دلالة على أنه سمعها و علمها لكن ذهل عنها أو حملها على معنى آخر، أي: كأني لم أسمعها سماع اطلاع على هذا المعنى، بل إنه يموت بعد تمام الأمور» (١).

و قد كتبنا في جوابه: إن كلا الوجهين تأويل بارد و توجيه باطل.

أمّا الأول، فلأنه لو كان تشوش باله و اضطراب حاله إلى هذا الحدّ بمجرد سماع قولهم مات النبي، للزم أن يزول عقله بالكلية لما تحقق عنده موت النبي بقول أبي بكر، لكنه بادر إلى السقيفه مرتاح البال، و جعل يزور في نفسه كلاماً ليقوله للأنصار فيخصمهم به، ثم حضرها و فعل هناك ثم خارجها ما فعل، حتى أتم الأمر لأبي بكر.

ص: ٥٧

ثم إن السَّيِّدَ لم يذكر السبب «لتشوش البال و اضطراب الحال و الذهول عن جليّات الأحوال»، فإن كان السبب محبه النبي صَلَّى الله عليه و آله و التألّم من فقده، كان اللّازم أن يكون من جملة الذين تولّوا تجهيز النبي و دفنه، لا المعرضين عن ذلك، الغاصبين لتراثه....

و أيضاً: لو كان السبب فى الإنكار ما ذكر، لما جعل القوم كلام أبى بكر له دليلاً على أعلميته كما فى كلام الكرمانى فى شرح الحديث فى كتاب البخارى: «و فيه فضيله عظيمه لأبى بكر و رجحان علمه على عمر و غيره» (١).

و قال: «و فيه: فضل علمه و رجاحه رأيه، و فيه دلالة على عظم منزلته عند الصحابه حين مالوا إليه» (٢).

و أيضاً: لو كان ما ذكر هو السبب، فلما ذا لم يكذب خبر موته صَلَّى الله عليه و آله يوم أحد؟ قال السيوطى: «أخرج ابن جرير عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخى بنى عدى بنى النجار قال: انتهى أنس بن النصر عمّ أنس بن مالك إلى عمر و طلحه بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين و الأنصار و قد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياه بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، و استقبل القوم فقاتل حتى قتل» (٣).

و أمّا الثانى: فلأن المعنى الذى يزعم أنه فهمه من الآيات لا ينافيه الآية: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، فلما ذا سكن حين تلاها أبو بكر عليه و لم يقل له: لا- دلالة فى الآية على من جَوَزَ بالآيات الموت عليه صَلَّى الله عليه و آله فى المستقبل و أنكره فى هذه الحال؟

و قال ابن روزبهان فى جواب العلامه: «و اختلفوا فى ذلك الحال الذى غلبه حتى

ص: ٥٨

١- ١) الكواكب الدرارى، فضائل عمر ٢١٠/٤.

٢- ٢) الكواكب الدرارى- شرح صحيح البخارى، كتاب الجنائز ٥٣/٧.

٣- ٣) الدر المنثور ٨١/٢.

حكم بأن النبي لم يمت، فقال بعضهم: أراد أن لا يستولى المنافقون، وخاف أن لو اشتهر موت النبي قبل البيعه لخليفه، تشتت أمر الإسلام، فأراد أن يظهر القوه والشوكة على المنافقين ليرتدعوا عما هموا به من إيقاع الفتنة والإيضاع خلال المسلمين كما كان دأبهم. وقال بعضهم: كان هذا الحال من غلبه حكم المحبّه، وشده المصيبة قلبه كان لا يأذن له أن يحكم بموت النبي، وهذا كان أمر عمّ جميع المؤمنين بعد النبي، حتى جنّ بعضهم و عمى بعضهم من كثرة الهمّ واختلّ بعضهم، فغلب عمر شده حال المصيبة فخرج عن حال العلم والمعرفة و تكلم بعدم موته، وأنه ذهب إلى مناجاه ربه. وأمثال هذا لا يكون طعناً» (١).

ففى هذا الكلام-الذى نصّ فيه على قول عمر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت، فسقط إنكار القاضى المعتزلى و من تبعه- ذكر توجيهين، أحدهما: الخوف من استيلاء المنافقين، والآخر: غلبه المحبّه و شده المصيبة.

و كلاهما بارد باطل.

أما الأول: فإن الرجل لما سمع الآية من أبى بكر سكت و اعتذر قائلاً: كأنى لم أسمعها!

و أما الثانى، فقد تقدّم الجواب عنه.

و لكن ما ذكره ابن روزبهان أولاً- عن بعضهم هو ما أشرنا إليه سابقاً من الإحتمال الثالث، فإنه خاف من استيلاء غير أبى بكر و حزبه- و هو منهم- و ليس المقصود أهل النفاق فى المدينة، بل أهل الولاية لأمر المؤمنين عليه الصّلاه و السلام، فأراد أن لا يطلع الناس على موت النبي صلى الله عليه وآله، حتى لا يجتمعوا فيبايعوا عليه السلام كما عاهدوا النبي على ذلك.

ص: ٥٩

١-١) انظر: دلائل الصدق ١٢٦/٣.

و على الجملة، فإن موقف عمر بن الخطاب بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّابِعِينَ لِلنَّبِيِّ وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، هو نفس موقفه منهم لَمَّا بَلَغَهُ عَنْهُمْ يَقُولُونَ: «كَانَتْ بِيَعَهُ أَبِي بَكْرٌ فَلْتَهُ، وَ لَوْ مَاتَ عُمَرُ لَبَايَعْنَا عَلِيًّا» حَيْثُ صَعِدَ الْمَنْبِرَ وَ زَعَمَ أَنَّ هَؤُلَاءَ يَرِيدُونَ أَنْ يَغْضَبُوا الْمُسْلِمِينَ حَقَّهُمْ، وَ هَدَّدَ بِقَتْلِ الْمُبَايِعِ وَ الْمُبَايِعِ لَهُ....

فالتوجيه الأول في كلام ابن روزهان هو الصحيح، لكن لا لئلا يستولى المنافقون، بل لئلا يستولى المؤمنون، اللهم إلا أن يقصد بـ«المنافقون» أصحاب أمير المؤمنين -و العياذ بالله- كعمار و المقداد و أبي ذر و سلمان و أمثالهم من الأخيار، و قد كان الزبير و آخرون مع هؤلاء أيضاً في ذلك الوقت!

المورد الرابع: قال قدس سره: و لما وعظت فاطمه عليها السلام أبا بكر في فدك كتب لها كتاباً و ردّها عليها، فخرجت من عنده فلقبها عمر فخرق الكتاب.

الشرح:

قد بحثنا عن قضيه فدك في هذا الكتاب سابقاً، و في غيره، و كتبنا فيها رسالهً مستقلهً، فليراجع من أراد التفصيل.

و أمّا أن عمر أخذ الكتاب في فدك و شقّه، فهذا مروى في كتب الفريقين، و ما اتفق عليه الفريقان في مثل هذه الامور فتأبث يقيناً، و لا- تجدى المكابره بالإنكار أو المحاوله للتوجيه، فإن ما فعله ظلم لا ينكر و ذنب لا يغفر، و مثل هذا الشخص كيف يليق لأن يقوم مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

المورد الخامس: قال قدس سره: و عطل حدّ الله تعالى، فلم يحد المغيره بن شعبه.

الشرح:

و هذه القضيّه من جمله المؤاخذات الكبيره لعمر بن الخطاب النافيه أهليّته

ص: ٦٠

للإمامه و الولايه بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

و قال العلماءه فى نهج الحق: «إنه عطل حدّ الله تعالى فى المغيره بن شعبه لما شهد عليه بالزنا، و لقن الشاهد الرابع الامتناع من الشهاده و قال له: أرى وجه رجل لا- يفضح الله به رجلاً من المسلمين. فتلجلج فى شهادته اتباعاً لهواه، فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدّهم و فضحهم. فتجنّب أن يفضح المغيره و هو واحد قد فعل المنكر و وجب عليه الحدّ، و فضح ثلاثه، مع تعطيله حكم الله و وضعه الحدّ فى غير موضعه... (١).

أقول:

هذه القضيّه موجوده فى سائر كتب الفقه و الحديث و التاريخ و الرجال، و لم ينكرها فى الأصل أحد من المتكلمين، إلا أن مورد البحث منها «تلقين عمر» الشاهد الرابع «الامتناع من الشهاده»، فإن بعضهم لم يرووا هذه النقطه حفظاً لماء وجه عمر، و بعضهم لما رأى أن لا مناص من الإقرار به جعل يوجّهه.

و هذه هى القصّه كما رواها بعضهم:

قال قاضى القضاة ابن خلّكان الشافعى فى تاريخه: «و أمّا حديث المغيره بن شعبه الثقفى و الشهاده عليه، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد ربّب المغيره أميراً على البصره، و كان يخرج من دار الإمارة نصف النهار، و كان أبو بكره يلقاه، فيقول: أين يذهب الأمير؟ فيقول: فى حاجه، فيقول: إن الأمير يزار و لا- يزور. قالوا: و كان يذهب إلى امرأه يقال لها: أم جميل بنت عمرو، و زوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمى. و قال ابن الكلبي فى كتاب «جمهره النسب»: هى أم جميل بنت الأقمم بن محجن بن أبى عمرو بن شعبه بن الهرم، و عدادهم فى الأنصار، و زاد غير

ص: ٦١

(١- ١) نهج الحقّ و كشف الصدق: ٢٨٠.

ابن الكلبي، فقال: ألهم بن رويبه بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعه بن معاويه بن بكر بن هوازن، والله أعلم.

قال الراوى: فبينما أبو بكره فى غرفه مع إخوته، وهم نافع و زياد المذكوران و شبل بن معبد، و الجميع أولاد سميه المذكوره، فهم إخوه لأم، و كانت أم جميل المذكوره فى غرفه أخرى قبالة هذه الغرفه، فضربت الريح باب غرفه أم جميل ففتحت، و نظر القوم فإذا هم بالمغيره مع المرأه على هيئة الجماع، فقال أبو بكره: هذه بليته قد ابتليت بها فانظروا، فنظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيره من بيت المرأه، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا، قال: و ذهب المغيره ليصلى بالناس الظهر، و مضى أبو بكره فقال: لا- و الله لا تصلى بنا و قد فعلت ما فعلت فقال الناس: دعوه فليصل فإنه الأمير و اكتبوا بذلك إلى عمر، فكتبوا إليه، فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيره و الشهود.

فلما قدموا عليه جلس عمر، فدعا بالشهود و المغيره، فتقدم أبو بكره فقال له:

رأيت بين فخذيها، قال: نعم و الله لكأنى أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها. فقال له المغيره: لقد ألطفت فى النظر، فقال أبو بكره: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به. فقال عمر: لا و الله حتى تشهد لقد رأيت يلع فيها ولوج المروء فى المكحله. فقال: نعم أشهد على ذلك، فقال: فاذهب عنك مغيره، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهاده أبى بكره. قال: لا حتى تشهد أنه ولج فيه ولوج الميل فى المكحله. قال: نعم حتى بلغ قذذه.

قلت: القذذ بالقاف المضمومه و بعدها ذالان معجمتان.

فقال عمر: إذهب عنك مغيره، ذهب نصفك.

ثم دعا الثالث فقال له: على ما تشهد؟ فقال: على مثل شهاده صاحبي. فقال له عمر: إذهب عنك مغيره، ذهب ثلاثه أرباعك.

ثم كتب إلى زياد و كان غائباً، فقدم، فلما رآه جلس له في المسجد و اجتمع عنده رؤوس المهاجرين و الأنصار، فلما رآه مقبلاً قال: إني أرى رجلاً - لا - يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين، ثم إن عمر رفع رأسه إليه فقال: ما عندك يا سلح الحباري؟ فقيل: إن المغيرة قام إلى زياد فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

قال الراوي: فقال له المغيرة: يا زياد، اذكر الله تعالى و اذكر موقف يوم القيامة، فإن الله تعالى و كتابه و رسوله و أمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا - أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت، فلا يحملنك سوء منظر رأيتة على أن تتجاوز إلى ما لم تر، فوالله لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت أن يسلك ذكري فيها.

قال: فدمعت عينا زياد، و احمرّ وجهه، و قال: يا أمير المؤمنين، أما إن أحقّ ما حقّ القوم فليس عندي، و لكن رأيت مجلساً، و سمعت نفساً حثيثاً، و انتهازاً، و رأيتة مستبطنها، فقال له عمر رضى الله عنه: رأيتة يدخل كالميل في المكحلة؟ فقال: لا.

و قيل: قال زياد: رأيتة رافعاً رجليها، فرأيت خصيتيه تردد إلى ما بين فخذيها و رأيت حفزاً شديداً، و سمعت نفساً عالياً، فقال عمر رضى الله عنه: رأيتة يدخله و يخرج كالميل في المكحلة؟ فقال: لا.

فقال عمر رضى الله عنه: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فقام إلى أبي بكره فضربه ثمانين، و ضرب الباقيين، و أعجبه قول زياد، و درأ الحدّ عن المغيرة.

فقال أبو بكره بعد أن ضرب: أشهد أن المغيرة فعل كذا و كذا، فهم عمر رضى الله عنه أن يضربه حدّاً ثانياً، فقال له علي بن أبي طالب رضى الله عنه: إن ضربته فارجم صاحبك، فتركه، و استتاب عمر أبا بكره فقال: إنما تستيني لتقبل شهادتي، فقال: أجل، فقال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.

فلما ضربوا الحدّ قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم، فقال عمر رضى الله عنه: بل أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

و ذكر عمر بن شبه في كتاب أخبار البصرة: أن أبا بكره لَمَّا جلد، أمرت أمه بشاه فذبحت، و جعلت جلدتها على ظهره، فكان يقال: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

و حكى عبد الرحمن بن أبي بكره: أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش.

فلَمَّا مات أبو بكره كان قد أوصى أن لا يصلّي عليه زياد و أن يصلّي عليه أبو برزه الأسلمي، و كان النبي صلّي الله عليه و سلّم آخى بينهما، و بلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة.

و حفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد و شكره.

ثم إن أم جميل وافت عمر بن الخطاب رضی الله عنه بالموسم، و المغيرة هناك فقال له عمر: أ تعرف هذه المرأة يا مغيرة؟ قال: نعم، هذه أم كلثوم بنت علي، فقال عمر:

أ تتجاهل عليّ؟ و الله ما أظن أبا بكره كذب عليك، و ما رأيتهك إلا خفت أن أرمى بحجاره من السماء.

قلت: ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب «المهذب»: و شهد على المغيرة ثلاثة: أبو بكره و نافع و شبل بن معبد، و قال زياد: رأيت استأ تنبو، و نفساً يعلو، و رجلين كأنهما أذنا حمار، و لا أدري ما وراء ذلك. فجلد عمر الثلاثة، و لم يحد المغيرة.

قلت: و قد تكلم الفقهاء على قول علي رضی الله عنه لعمر: «إن ضربته فارجم صاحبك»، فقال أبو نصر بن الصباغ المقدم ذكره، و هو صاحب كتاب «الشامل في المذهب»: يريد أن هذا القول إن كان شهادته أخرى فقد تم العدد، و إن كان هو الأول فقد جلدته عليه، و الله أعلم.

و ذكر عمر بن شبه في أخبار البصرة أن العباس بن عبد المطلب رضی الله عنه قال لعمر رضی الله عنه: إن رسول الله صلّي الله عليه و سلّم أقطعني البحرين، فقال: و من

يشهد لك بذلك؟ قال: المغيرة بن شعبه، فأبى أن يجيز شهادته» (١).

و ذكر أبو الوليد بن شحنة الحنفى هذه القصة فى حوادث السنة ١٧ من تاريخه.

و قال النووى بترجمه زياد بن أبيه فى تهذيب الأسماء:

«زياد بن سميه المذكور فى المهذب فى مواضع من كتاب الحدود. و هو أحد الأربعة الشهود بالزنا...» (٢).

و قال ابن أبى الحديد:

«قلت: أما المغيرة، فلا شك عندي أنه زنا بالمرأه، و لكنى لست أخطئ عمر فى درء الحد عنه...» (٣).

قال: «و قد روى المدائنى: إن المغيرة كان أرنى الناس فى الجاهلية، فلما دخل فى الإسلام قتيده الإسلام، و بقيت عنده منه بقيه ظهرت فى أيام ولايه البصره» (٤).

و قال ابن حبان:

«و بعد موت عتبه بن غزوان والى البصره، أمر عمر على البصره أبى موسى الأشعري. و كان المغيرة على بها، فشهد أبو بكره و شبل بن معبد البجلي و نافع و زياد على المغيرة بما شهدوا، فبعث عمر إلى أبى موسى الأشعري أن أشخص إلى المغيرة.

ففعل ذلك أبو موسى» (٥).

و قد روى أبو الفرج الإصفهاني القصة بالأسانيد فقال:

«قضية الزنا: حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري و أحمد بن عبيد الله بن عمار،

ص: ٦٥

١- ١) وفيات الأعيان ٦/٣٦٤-٣٦٧.

٢- ٢) تهذيب الأسماء و اللغات ١/١٩٨.

٣- ٣) شرح نهج البلاغه ١٢/٢٣١.

٤- ٤) شرح نهج البلاغه ١٢/٢٣٩.

٥- ٥) الثقات ٢/٢١٦.

قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا علي بن محمد النوفلي، عن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتاده، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبه يختلف إلى امرأه من ثقيف يقال لها الرقطاء، فلقيه أبو بكره، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان. فأخذ بتلابيبه و قال: إن الأمير يزار و لا يزور.

و حدّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضى الله عنه: أحمد بن عبيد الله بن عمار و أحمد بن عبد العزيز، قالا: حدّثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعه من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدّثني أبو بكر العليمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينه بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه، عن أبي بكره.

قال عمر بن شبة: و حدّثنا عمرو بن عاصم، قال: حدّثنا حماد بن سلمه، عن علي بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكره.

قال أبو زيد عمر بن شبة: و حدّثنا علي بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبي. قال: و حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدّثنا عوف، عن قسامه بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقدي: حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكره، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحدثان.

قال: و حدّثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبلة، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك:

أن المغيرة بن شعبه كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، و كان أبو بكره يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتى حاجه. فيقول له: حاجه ما ذا؟ إن الأمير يزار و لا يزور.

قال: و كانت المرأة التي يأتيها جاره لأبي بكره. قال: فبينما أبو بكره في غرفه له مع

أصحابه و أخويه نافع و زياد، و رجل آخر يقال له شبل بن معبد، و كانت غرفه جارته تلك بحذاء غرفه أبي بكره. فضربت الريح باب المرأه ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيره ينكحها. فقال أبو بكره: هذه بليه ابتليتكم بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيره من بيت المرأه، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا. قال: و ذهب ليصلى بالناس الظهر، فمنعه أبو بكره، و قال له: لا و الله لا تصلى بنا و قد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير، و اكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعاً، المغيره و الشهود.

و قال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: و بعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصره. و عزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيره بن شعبه. قال: قال علي بن هاشم في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: نتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج.

قال: فصلينا صلاه الغداه بظهر المربد، و دخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال و النساء مختلطين. فدخل رجل على المغيره، فقال له: إنني رأيت أبا موسى في جانب المسجد، عليه بزئس. فقال له المغيره: ما جاء زائراً و لا تاجراً. فدخلنا عليه و معه صحيفه ملء يده، فلما رأنا قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً. و قال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته.

فقال له المغيره: لقد علمت ما وجهت فيه، فألما تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا و أنت في هذا الأمر إلا- سواء. فقال له: المغيره: فيأني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهز. فقال: قد عزم على أمير المؤمنين ألا- أضع عهدى من يدي إذا قرأته عليك، حتى أرحلك إليه. قال: إن شئت شفعتني و أبررت قسم أمير المؤمنين. قال: و كيف؟ قال:

تؤجلني إلى الظهر، و تمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رئي أبو موسى يمشى مقبلاً

و مدبراً و إن الكتاب لفي يده معلّقاً بخيط. فتجهز المغيره، و بعث إلى أبي موسى بعقيه، جاريه عربيه من سبي اليمامه، من بني حنيفه؛ و يقال إنها مولده الطائف، و معها خادم لها. و سار المغيره حين صلّى الظهر، حتى قدم على عمر. و قال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر. قال له: إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك.

قال أبو زيد: و حدّثني الحكم بن موسى، قال: حدّثنا يحيى بن حمزه، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروه، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، عن مصعب بن سعد:

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلس، و دعا المغيره و الشهود. فتقدّم أبو بكره. فقال له: أ رأيت بين فخذيهما، قال: نعم و الله لكأني أنظر إلى تشريم جذري بفخذيهما. فقال له المغيره: لقد ألفت النظر. فقال له: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا و الله حتى تشهد لقد رأيت يلعج فيه كما يلج المرود في المَكْحَله. فقال:

نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مغيره، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهاده أبي بكره. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه و لوج المرود في المكحله. فقال: نعم حتى بلغ قذذه. فقال: اذهب عنك مغيره، ذهب نصفك.

ثم دعا الثالث، فقال: علام تشهد؟ قال: على مثل شهاده صاحبي. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغيره، ذهب ثلاثه أرباعك.

قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. و بكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، و حتى لا يجالس هؤلاء الثلاثه أحد من أهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، و اجتمع إليه رؤوس المهاجرين و الأنصار. قال المغيره: و معي كلمه قد رفعتها لأكلم القوم. قال:

فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدثنا عفان، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي، قال:

لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه، وقال له: ما عندك يا سلح العقاب. و صاح أبو عثمان صيحه تحكى صيحه عمر. قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى على.

و قال آخرون: قال المغيرة: فقمتم إلى زياد، فقلت له: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

ثم قلت: يا زياد، اذكر الله، و اذكر موقف يوم القيامة، فإن الله و كتابه و رسوله و أمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا- يحملك شرّ منظر رأيت على أن تتجاوز به إلى ما لم تر، فوالله لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها. قال: فترنقت عيناه، و احمرّ وجهه، و قال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحق ما حقّ القوم فليس ذلك عندي؛ و لكنني رأيت مجلساً قبيحاً، و سمعت نفساً حثيثاً و انبهاراً، و رأيت مستبطنها. فقال له: أ رأيت يدخلك كالميل في المكحلة. فقال: لا.

و قال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيت رافعاً برجليها. و رأيت خصيته تترددان بين فخذيهما، و رأيت حفزاً شديداً، و سمعت نفساً عالياً. فقال له: أ رأيت يدخلك و يخرجك كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: اللهم أكبر. قم إليهم فاضربهم. فقام إلى أبي بكره، فضربه ثمانين، و ضرب الباقيين، و أعجبه قول زياد، و درأ عن المغيرة الرجم.

فقال أبو بكره بعد أن ضرب: إني أشهد أن المغيرة فعل كذا و كذا. فهمّ عمر بضربه، فقال له على عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. و نهاه عن ذلك.

قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب ذلك الرّجم على المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكره. فقال: إنما تستتيني لتقبل شهادتي. قال: أجل. قال:

لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.

قال: فلما ضربوا الحد، قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم. فقال له عمر: اسكت أخزي الله مكاناً رأوك فيه.

قال: وأقام أبو بكره على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رقط فخذيتها.

قال: وتاب الاثنان، فقبلت شهادتهما.

قال: وكان أبو بكره بعد ذلك إذا دعى إلى شهادته يقول: اطلب غيري، فإن زياداً قد أفسد على شهادتي.

قال أبو زيد: وحدثني سليمان بن داود بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال:

لما ضرب أبو بكره أمرت أمه بشاه فذبحت، وجعلت جلدها على ظهره. قال:

فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

حدثنا ابن عمار و الجوهري قالاً: حدثنا عمر بن شبه قال: حدثنا علي بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كانت أم جميل بنت عمر، التي رمى بها المغيرة بن شعبه بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها. قال: و وافقت عمر بالموسم و المغيرة هناك، فقال له عمر: أ تعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت علي. فقال له عمر: أ تتجاهل علي؟ و الله ما أظن أبا بكره كذب عليك، و ما رأيت إلا خفت أن أرمى بحجاره من السماء.

حدثني أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن عباد، قال: حدثنا سفيان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. و قال غيره: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره.

أخبرني ابن عمار و الجوهري قالاً: حدّثنا عمر بن شبه، قال: حدّثنا المدائني، قال:

قال حسان بن ثابت يهجو المغيره بن شعبه في هذه القصه: لو أن للؤم ينسب كان عبدا

أقول:

و من ذلك كلّ يظهر: أن شهاده الأربعة كلّهم كانت حاصله، و حتى أن عمر نفسه واثق بتحقيق الزنا من المغيره، لوجود كلمات من عمر في الأخبار و قرائن تشهد بذلك...

إلا أنه قد أفهم زياد بن أبيه أنه لا يريد إجراء الحدّ على المغيره لحاجه في نفسه....

و لذا نرى أن غير واحد من المدافعين عن عمر لا ينكرون ذلك، و إنما يحاولون توجيهه، فقد أجاب قاضي القضاة.

«بأنه أراد صرف الحدّ عنه و احتال في دفعه».

قال السيد المرتضى: «كيف يجوز أن يحتال في صرف الحدّ عن واحد و يوقع ثلاثه فيه و في الفضيحه؟ مع أن عمر كان كلّما رأى المغيره يقول: قد خفت أن يرميني الله بحجاره من السماء» (١).

فأنت ترى أن القاضي لا ينكر أن عمر عزم على إسقاط ما ثبت من الحدّ على المغيره. هذا أولاً.

و ثانياً: كيف جاز له إيقاع الثلاثه في الحدّ و في الفضيحه؟

و ثالثاً: كيف؟ و الثلاثه من الصحابه و القوم يصرون على عداله جميع الصحابه؟

ص: ٧١

كيف ورمى مثل المغيره الصحابي بالزنا؟

و نحو كلام القاضى المذكور كلام غيره، فلا نذكره.

و أميا ابن تيميه، فأراح نفسه بالمغالطه فإنه قال: «إن جماهير العلماء على ما فعله عمر فى قصه المغيره، و أن البيئه إذا لم تكمل حدّ الشهود، و من قال بالقول الآخر لم يناعز فى أن هذه مسأله اجتهاد...» فاحكم عليه بما يقتضيه الدين و الإنصاف!

المورد السادس: قال قدس سره: و كان يعطى أزواج النبى صلى الله عليه و آله من بيت المال أكثر مما ينبغى....

الشرح:

هذا من القضايا الثابته، فقد ذكروا أنه قد فرض لأزواج النبى صلى الله عليه و آله عشرة آلاف إلا عائشه، فإنه قد فرض لها اثنى عشر ألف درهم، قال الطبرى:

«و فضل عائشه بألفين لمحبه رسول الله إياها» (١).

و قال ابن الجوزى: «ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه و سلم لكل واحد عشره آلاف، و فضل عائشه بألفين فأبت، فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله، فإذا أخذت فشأنك» (قال) و استثنى من الزوجات جويزيه و صفيه و ميمون، ففرض لكل واحد منهن ستة آلاف (٢).

فقال قاضى القضاة المعتزلى: «شبهه لهم أخرى، و أحد ما طعنوا به و نقموا عليه:

أنه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز، حتى كان يعطى عائشه و حفصه عشره آلاف درهم فى كل سنه» ثم أجاب: «بأن دفعه إلى الأزواج من حيث أن لهنّ حقاً فى بيت المال، و للإمام أن ذلك على قدر ما يراه، و هذا الفعل مما قد فعله من قبله و من بعده،

ص: ٧٢

١- ١) انظر: الأموال لأبى عبيد: ٢٢٦، الأحكام السلطانيه: ١٧٧، تاريخ الطبرى ١٠٩/٣ و غيرها.

٢- ٢) سيره عمر بن الخطاب: ٨٠.

و لو كان منكراً لما استمر عليه أمير المؤمنين عليه السلام و قد ثبت استمراره عليه، و لو كان ذلك طعناً لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن و الحسين عليهما السّلام و عبد الله بن جعفر و غيرهم من بيت المال أن يكون في حكم الخائن. و كلّ ذلك يبطل ما قالوه».

فقال السيد المرتضى علم الهدى في الجواب: «يقال له: أما تفضيل الأزواج، فإنه لا يجوز، لأنه لا سبب فيهن يقتضى ذلك....»

و قوله: إن لهن حقّاً في بيت المال. صحيح، إلا- أنه لا- يقتضى تفضيلهنّ على غيرهنّ، و ما عيب بدفع حقهنّ و إنما عيب بالزياده عليه.

و ما نعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام استمرّ على ذلك، و إن كان صحيحاً كما ادّعى فالمسبب الدّاعى إلى الاستمرار على جميع الأحكام.

فأمّا تعلّقه بدفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن و الحسين صلّى الله عليه و آله و غيرهما من بيت المال. فعجيب...» (١).

و أمّا ابن تيميه فغالط- كما هو دأبه- قال: «فالجواب: أمّا حفصه فكان ينقصها من العطاء، لكونه ابنته كما نقص عبد الله بن عمر. و هذا من كمال احتياطه في العدل و خوفه مقام ربّه و نهيه نفسه عن الهوى. و هو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطى أزواج النبي صلّى الله عليه و سلّم أعظم مما يعطى غيرهنّ من النساء...» (٢).

أقول:

و هذا هو الإشكال. و أمّا أنه كان ينقص حفصه من العطاء لكونه ابنته، فمغالطه واضح، كان ينقصها من أى مقدار؟ و هل نقصها لكونها ابنته؟ إنه قد فضّل أزواج النبي على غيرهن فأعطى كلّ واحده عشره آلاف، و زاد عائشه ألفين، لأن النبي كان يحبها!!

فلم يزد حفصه لأنه ما كان يحبها مثلها، لا أنه نقصها لأنها ابنته!

ص: ٧٣

١- (١) المغنى ج ٢٠ ق ٢ ص ١٥، و الشافى ١٨٧/٤.

٢- (٢) منهاج السنه ٣٧/٦.

و أما أنه نقص، فهذا ما لا نعلمه و لا يهْمنا.

إن كثيراً من هؤلاء يريدون الدفاع عن مشايخهم لكنهم لا يعلمون كيف يدافعون؟ و يتكلمون و كأنهم لا يفهمون ما يقولون!!

المورد السابع: قال قدس سره: و غير حكم الله تعالى في المتعنين.

الشرح:

قد تقدّم الكلام بالتفصيل عن المتعنين، فلا نعيد، و من المعلوم أن من يغيّر حكم الله الثابت لا يصلح لأن يقوم مقام الرسول.

لكن ننبه على أن كلمه «المتعنين» صحفت في (منهاج ابن تيميه) إلى «المنفتين» و هل هو عن عمد أو سهو؟

المورد الثامن: قال قدس سره: و كان قليل المعرفة بالأحكام

أشاره

الشرح:

لا- يخفى أن من الصّيفات المجمع على اعتبارها و اشتراطها في الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله هو: أن يكون عارفاً بالأحكام، و من وظائفه حفظها و تعليمها و نشرها بين الأنام... لكن هذا الشرط كان مفقوداً في عمر بن الخطاب، فكيف يصلح و يليق لأن ينوب مناب النبي سلام الله عليه و على آله الأطياب؟

و قد تعرّض العلّامة لموارد من جهل عمر، منها:

١- أمره برجم المرأة الحامل

و هذا من القضايا الثابتة بحسب روايات القوم، فقد روى أنه أتى عمر بامرأه حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر برجمها، فتلّقها على فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر عمر

ص: ٧٤

برجمها. فردّها على و قال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما فى بطنها؟ و لعلمك انتهرها أو أخفتها؟ قال: قد كان ذلك. قال: أو ما سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له، فخلّاً سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلدن مثل على بن أبى طالب، لو لا على لهلك عمر» (١).

و قد أورد الفخر الرازى هذه القضيّه فى حجج الشيعة على أن عليّاً أفضل الصحابه قال: «الحجّه الثالثه: إن عليّاً رضى الله عنه كان أعلم الصحابه، و الأعم أفضل.

إنما قلنا: إنه كان أعلم الصحابه للإجمال و التفصيل. أما الإجمال... و أما التفصيل، فيدلّ على ذلك وجوه... الثالث:

و روى أن امرأه أقرّت بالزنا و كانت حاملاً فأمر عمر برجمها فقال على: إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما فى بطنها؟ فترك عمر رجمها و قال: لو لا على لهلك عمر.

فإن قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها، فظنّ أنها ليس بحامل، فلمّا تبّهه على رضى الله عنه ترك رجمها.

قلنا: هذا يقتضى أن عمر ما كان يحتاط فى سفك الدماء. و هذا أشدّ من الأوّل» (٢).

و كأن هذه القضيّه متكرره من عمر، و أن أمير المؤمنين عليه السلام قد نهاه عن رجم حامل أخرى فقال عمر: «كلّ أحد أفقه منّى» (٣).

و فى قضيّه ثالثه قالوا: إن الذى نهاه عن الرجم هو معاذ بن جبل، فقال عمر هناك:

«لو لا معاذ هلك عمر» (٤).

ص: ٧٥

١- ١) الرياض النضره ١٩٦/٢، مطالب السنول: ٧٦-٧٧، المناقب للخوارزمى: ٨١.

٢- ٢) كتاب الأربعين فى أصول الدين: ٣٠٣.

٣- ٣) الرياض النضره ١٩٦/٢، ذخائر العقبى: ٨١.

٤- ٤) كنز العمال ٥٨٤/١٣.

أقول:

و قد تحيّر القوم كيف يدافعون عن عمر؟

قال قاضى القضاة المعتزلى-بعد إيراد خبر معاذ-:«و هذا غير لازم،لأنه ليس فى الخبر أنه أمر برجمها مع علمه بأنها حامل...و إنما قال ما قال فى معاذ لأنه نُبّهه على أنها حامل».

و أجاب السيد علم الهدى:«يقال له:ما تأولت به فى الخبر من التأويل بعيد،لأنه لو كان الخبر على ما ظننته لم يكن تنبيه معاذ له على هذا الوجه،بل كان يجب أن يتّبهه بأن يقول له:هى حامل،و لا يقول له:إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما فى بطنها،لأن هذا القول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بأنها حامل،و أقل ما يجب لو كان الأمر على ما ظنّه صاحب الكتاب أن يقول لمعاذ:ما ذهب علىّ أن الحامل لا- ترجم، و إنما أمرت برجمها لفقد علمى بحملها...و قد كان يجب أيضاً أن يسأل عن الحمل، لأنه أحد الموانع من الرجم» (١).

أقول:و هذا ما أشار إليه الفخر الرازى فى كلامه المزبور من أنه أشّر من الأول.

فاضطرّ الفخر إلى أن يجيب عن الحجة الثالثة بقوله:

«قلنا:لم لا يجوز أن يقال:إنه حصل له هذه العلوم الكثيره بعد أبى بكر،و ذلك لأنه عاش بعده زماناً طويلاً،فلعله حصّلها فى هذه المدّة،فلم قلت:إنه فى زمان حياه أبى بكر كان أعلم منه؟» (٢).

أقول:هذا كلّ ما قاله الفخر الرازى فى الجواب،فانظر هل تراه دافعاً للإشكال عن عمر و عن أبى بكر،و أنصف؟!

و ابن روزبهان،اضطرّ لأن يقول:الأئمة المجتهدون قد يعرض لهم الخطأ فى الأحكام،إما لغفله أو نسيان أو عروض حاله تدعو إلى الاستعجال فى الحكم،و الإنسان

ص:٧٤

١-١) الشافى فى الإمامه ١٨٠/٤.

٢-٢) الأربعين فى اصول الدين:٣١٦.

لا يخلو عن السهو و النسيان، و العلماء و أرباب الفتوى يرجعونهم إلى حكم الحق... (١).

و هو كما ترى إقراراً بجهل عمر و أعلميته الإمام عليه السلام....

و كذلك فى شرح المواقف فى مبحث الأفضليه (٢)، فإنه بعد أن أورد القضية و غيرها كشواهد لأعلميته الإمام على عليه السلام و أفضليته، و مع ذلك، خلص إلى القول بأفضليته الشيخين من أمير المؤمنين عليه السلام، لأن الصحابه قالوا بذلك، و حسن الظن بهم يقتضى اتباعهم فيه!

و أمّا ابن تيميه فقال: «و الجواب: إن هذه القصه إن كانت صحيحه فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل فأخبره على بحملها... و إما أن يكون عمر قد غاب عنه كون الحامل لا ترجم، فلما ذكره على ذكر ذلك و لهذا أمسك...» (٣).

فاقرأ و احكم بإنصاف.

٢- أمره برجم مجنونه

قال قدس سره: و أمر برجم مجنونه فقال له على....

الشرح:

و هذه القضية أيضاً من القضايا الثابتة، فقد رواها:

أحمد بن حنبل، و عبد الرزاق، و البخارى، و أبو داود، و ابن عبد البر، و الحاكم، و البيهقى، و الذهبى و غيرهم (٤).

و فى بعض رواياتهم أنها كانت حبلية أيضاً.

ص: ٧٧

١- ١) دلائل الصدق ١٣٠/٣.

٢- ٢) شرح المواقف ٣٧٢/٨.

٣- ٣) منهاج السنه ٤٢/٦.

٤- ٤) صحيح البخارى ٢١٢/٨، مسند أحمد ١٤٠/١، سنن أبى داود ٣٣٩/٢، الاستيعاب ١١٠٢/٣-١١٠٣، المستدرک ٣٨٩/٤، كنز العمال ٤٥١/٥.

و لم ينقل إنكار هذه القضية إلا عن الكابلي صاحب (الصواعق الموبقه)، و إلا فإن القوم-حتى أشدهم تعصياً في سائر الموارد كابن تيميه- يذعنون بصحة الخبر، لكونه في البخارى و مسند أحمد و غيرهما، و صححه الحاكم على شرط البخارى و مسلم، و وافقه الذهبي....

إلا أنهم يحاولون الدفاع عن عمر كسائر الموارد بالتأويلات و الاحتمالات.

و لعل أقوى احتمالاتهم أنه كان جاهلاً بحالها... لكن لفظ الحديث في مصادرهم يأبى هذا التوجيه، ففي رواية أبى داود: «عن ابن عباس قال: أتى عمر بمجنونه قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمّر بها على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونه بنى فلان زنت، فأمر بها أن ترجم. قال فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثه: عن المجنون حتى يبرء...».

لأن في هذا الحديث قرائن على علمه بحالها:

الأولى: إنه لو كان جاهلاً بحالها- و هو يعلم بحكم الحد في الزنا- لما شاور الصحابه فيها، بل حكم بإجراء الحد عليها.

و الثانية: قول الناس، إنها مجنونه بنى فلان، يشهد بكون جنونها معلوماً و مشهوراً بين الناس، فجهل عمر بحالها حينئذ بعيد جداً.

و الثالثة: قول الإمام عليه السلام لعمر: أما علمت... فإنه شاهد علمه بحالها و إلا- لقال له بدل ذلك: أما علمت إنها مجنونه بنى فلان....

و وجه آخر ذكره أبو سليمان الخطابي إذ قال بعد الحديث المزبور:

«قلت: لم يأمر عمر بترجم مجنونه مطبق عليها في الجنون، و لا يجوز أن يخفى هذا و لا على أحد ممن بحضرته، و لكن هذه المرأه كانت تجنّ مرّه و تفيق أخرى، فرأى عمر أن لا يسقط عنها الحدّ لما يصيبها من الجنون، إذ كان الزنا منها في حال الإفاقه،

و رأى على كرم الله وجهه أن الجنون شبهه يدرء بها الحدَّ عمّن يبتلى به، و الحدود تدرء بالشبهات، لعلها قد أصابت ما أصابت و هى فى بقيه من بلائها، فوافق اجتهاد عمر اجتهاده فى ذلك، فدرأ عنها الحدَّ. و الله أعلم بالصواب» (١).

إذن، كان يعلم بجنونها، فمن دافع عنه بأنه لم يكن يعلم فقد كابر.

لكن هذا الحمل أيضاً مردود، فليس فى الحديث أقلّ شاهد عليه، بل قول الناس:

«هذه مجنونه بنى فلان» ظاهر فى كون جنونها مطبقاً. و أيضاً قول الإمام عليه السلام: أما علمت... ظاهر فى ذلك... و أيضاً: لو كان اجتهاد عمر ذلك و كان له وجه، لم يكن لقوله:

«لو لا على لهلك عمر» معنى، لأنّ مثل هذا الكلام متضمّن للإقرار بالخطأ و الاشتباه.

و على الجملة، فإنّ الإقرار بجهل عمر و خطئه - كما اضطرّ إليه بعضهم - أولى من هذه التوجيهات الباردة، و من أنكر أصل القضية منهم فقد أراد الفرار من هذا الإقرار.

٣- منعه من المغالاه فى المهر

قال العلامه: و قال فى خطبه له: من غالى فى مهر امرأه جعلته فى بيت المال...

الشرح:

إنّ خبر نهى عمر عن المغالاه فى الصّدق، رواه المفسّرون بتفسير قوله تعالى:

«وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا» (٢)، كالقرطبي و الزمخشري و النيسابورى و ابن كثير و الخازن و السيوطى و غيرهم. و المحدثون أيضاً روه بالأسانيد، كعبد الرزاق و سعيد بن منصور و أبى يعلى الموصلى و ابن المنذر و عبد بن حميد كما فى الدر المنثور، و أحمد بن حنبل و الطبرانى و ابن حبان، كما فى (الدرر المنتشره فى الأحاديث

ص: ٧٩

١- ١) معالم السنن ٢٦٧/٣.

٢- ٢) سورة النساء: ٢٠.

بل إن هذا الخبر متواتر كما قال الحاكم: «فقد تواترت الأسانيد الصحيحه بصحة خطبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. و هذا الباب لى مجموع فى جزء كبير و لم يخرجاه» (١). و قد أقرّه الذهبى على تواتر أسانيد الخطبه.

و من هنا، لم أجد أحداً من المتكلمين يחדش فى سند الخبر.

و فى هذه القضيه دلالة على جهل فطيع بالقرآن و الشريعة، حتى أن امرأةً ذكرته و أقرّ بجهله بل قال: كلّ الناس أفاقه من عمر حتى المخدّرات فى البيوت، بل فيها دلالة على الجهل المركّب، لأنه قد حرّم المغالاه فى المهر و هدّد بوضعه فى بيت المال، زاعماً أن فى ذلك ترويحاً للدّين و خدمه للمسلمين.

و قد حاول بعض القوم الدفاع عنه:

فقال قاضى القضاة المعتزلى: إنه طلب الاستحباب فى ترك المغالاه، و التواضع فى قوله: كلّ الناس أفاقه من عمر.

قال العلّامة: و هذا خطأ، فإنه لا- يجوز ارتكاب المحرّم- و هو أخذ المهر و جعله فى بيت المال- لأجل فعل مستحب. و الروايه منافية، لأن المروى أنّه حرّمه و منعه حتى قالت المرأة: كيف تمنعنا ما أحلّ الله لنا فى محكم كتابه. و أما التواضع، فإنه لو كان الأمر كما قال عمر، لاقتضى إظهار القبيح و تصويب الخطأ، و لو كان العذر صحيحاً لكان هو المصيب و المرأة مخطئه.

و ابن روزبهان تبع القاضى المعتزلى، و قال فى جواب العلّامة: «لم يرتكب المحرّم بل هدّد به، و للإمام أن يهدّد و يوعد بالقتل و التعزير و الاستصلاح، فأوعد الناس و هدّدهم بأخذ المال إن لم يتركوا المغالاه، فلا يكون ارتكاب محرّم، و لم يرووا أنه أخذ

شيئاً من المهور الغاليه و وضعها فى بيت المال، و لو فعله لارتكب محرماً على زعمه».

أقول:

نعم، لو لا المرأة، و أن الناس كلهم أفتقه من عمر حتى المخدرات... لفعل، و لبقى فعله ديناً يعملون به، كما فى التراويح و المتعتين و غيرهما.

و لكن صاحب المواقف و غيره لما التفتوا إلى عدم الجدوى فى الدفاع بمثل هذا الكلام، اعترفوا بخطأ عمر ثم قالوا: بأنه لا ينافى الاجتهاد و لا يقدر فى الإمامه (١).

و أضاف ابن تيميه أن إقرار عمر بخطئه فضيله فقال: إن هذه القصه دليل على كمال فضل عمر و دينه و تقواه و رجوعه إلى الحق إذا تبين له، و أنه يقبل الحق حتى من امرأه، و يتواضع له... (٢).

هكذا يقول هنا مع تصريحه فى أكثر من موضع فى كتابه بقبح تقدم المفضول على الفاضل....

٤- شرب قدامه الخمر و جهل عمر

قال قدس سره: و لم يحد قدامه بن مظعون فى الخمر، لأنه تلا عليه....

الشرح:

هو: قدامه بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح، القرشى الجمحى، يكنى أبا عمرو. و قيل أبا عمر. و الأول أشهر و أكثر. أمه امرأه من بنى جمح، و هو خال عبد الله و حفصه ابنى عمر بن الخطاب. و كانت تحته صفيه بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب. هاجر إلى أرض الحبشه مع أخويه: عثمان بن مظعون، و عبد الله بن مظعون، ثم شهد بدرأ و سائر المشاهد، و استعمله عمر بن الخطاب على البحرين، ثم

ص: ٨١

١- ١) شرح المواقف ٢٨١/٨.

٢- ٢) منهاج السنه ٧٦/٦.

عزله، و ولى عثمان بن أبى العاص.

و كان سبب عزله ما رواه معمر عن ابن شهاب، قال: أخبرنى عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب استعمل قدامه بن مظعون على البحرين - و هو خال عبد الله و حفصه ابنى عمر بن الخطاب - فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر بن الخطاب من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قدامه شرب فسكر، و إنى رأيت حدًّا من حدود الله حقًّا على أن أرفعه إليك. فقال عمر: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريره. فدعى أبو هريره فقال: بم تشهد؟ فقال: لم أره يشرب، و لكنى رأيتُه سكران يقىء، فقال عمر: لقد تنطعت فى الشهاده.

ثم كتب إلى قدامه أن يقدم عليه من البحرين. فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله. فقال عمر: أخصيم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد. فقال: قد أدت شهادتك.

قال: فصمت الجارود، ثم غدا على عمر فقال: أقم على هذا حدَّ الله. فقال عمر: ما أراك إلا خصيماً، و ما شهد معك إلا رجل واحد. فقال الجارود: إنى أنشدك الله! قال عمر:

لتمسكن لسانك أو لأسوءنك، فقال: يا عمر، أما و الله ما ذلك بالحق أن يشرب الخمر ابن عمك و تسوءنى.

فقال أبو هريره: إن كنت تشك فى شهادتنا فأرسل إلى ابنه الوليد فسلها - و هى امرأه قدامه - فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد لينشدها فأقامت الشهاده على زوجها.

فقال عمر لقدامه: إنى حادك. فقال: لو شربت كما يقولون، ما كان لكم أن تحدونى. فقال عمر: لم؟ قال قدامه: قال الله عز و جلّ: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...» الآية ^(١).

قال السيوطى: «أخرج أبو الشيخ و ابن مردويه و الحاكم - و صححه - عن

ص: ٨٢

(١ - ١) انظر: الاستيعاب ١٢٧٧/٣ - ١٢٧٨، الإصابه ٣٢٣/٥، أسد الغابه ١٩٩/٤.

ابن عباس...حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين و قد شرب، فأمر به أن يجلد، فقال:

لم تجلدي؟ بيني وبينك كتاب الله. قال: و في أى كتاب الله تجد أن لا أجلك؟ قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...» شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بدمراً و أحداً و الخندق و المشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه؟ فقال ابن عباس: هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين و حجة على الباقين، عذراً للماضين لأنهم لقوا الله قبل أن حرم عليهم الخمر، و حجة على الباقين، لأن الله يقول: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ...» حتى بلغ الآية الأخرى. فإن كان من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و أحسنوا، فإن الله نهى أن يشرب الخمر. فقال عمر: فما ذا ترون؟ فقال على بن أبى طالب: نرى أنه إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افتري، و على المفترى ثمانون جلده. فأمر عمر فجلد ثمانين» (١).

أقول:

أولاً: كان قدامه بن مظعون من أقرباء عمر القرييين.

و ثانياً: كان عامله على البحرين.

و ثالثاً: إنه قد ثبت شربه للخمر بالبينه و الإقرار.

و رابعاً: إن الأصحاب الحاضرين سكتوا عن جهل أو خوف من عمر!

و خامساً: إنه لما استدلل بالآية توقف عمر عن إجراء الحدّ عليه، فإن كان من أجل قرابته، فهذا نقص، و إن كان لجهله بالحكم الشرعى، فكذلك... فتكون القضية من موارد الطعن على كل تقدير.

و لا يخفى أنه قد أبهم بعض المحدثين اسم الرجل حفظاً لماء وجه عمر و قدامه كليهما!!

ص: ٨٣

١ - ١) الدر المنثور ٣١٦/٢ بتفسير الآيات فى تحريم الخمر فى سورة المائدة: ٩٠-٩٢ و الخبر فى المستدرک ٣٧٦/٤ و وافقه الذهبى على التصحيح.

وقد روى ابن تيميه الخبر (١)، ولم يجب عن الطعن بشيء، بل جعل البحث في مقدار الحدّ الواجب على شارب الخمر، متوهماً أنه سيصرف بذلك ذهن القارئ عن مورد الطعن، وهذه طريقته في مواضع كثيرة.

٥- جهله في حكم إجهاض المرأة خوفاً منه

قال قدس سره: و أرسل إلى حامل يستدعيها فأجهضت خوفاً....

الشرح:

قال ابن تيميه: «الجواب: إن هذه مسألة اجتهاد تنازع فيها العلماء، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابه رضی الله عنهم في الحوادث...» (٢).

أقول:

فهو لم ينكر صحّ الخبر، وإنما حملها على المشوره، والحال أنه ليس في الخبر أنه شاور، بل جهل الحكم، والصحابه الحاضرون أيضاً جهلوا، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام أفهمه، فمن الأولى بالإمامه؟!!

٦- تنازع المرأتين في الطفل و جهله بالحكم

قال قدس سره: و تنازعت امرأتان في طفل فلم يعلم الحكم و فزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام....

الشرح:

قال ابن تيميه: إن هذه قصه لم يذكر لها إسناداً ولا يعرف صحّتها ولا أعلم أحداً من أهل العلم ذكرها، ولا تعرف عن عمر و علي، ولكن هي معروفه عن سليمان بن

ص: ٨٤

١- ١) منهاج السنّه ٨٤/٦.

٢- ٢) منهاج السنّه ٨٧/٦.

داود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ ثَبِتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ....

فَإِنْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَى أَوْ غَيْرِهِ، سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَمِعَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ سَمِعُوهَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ... (١).

أقول:

فانظر كيف يحاول التقليل من أهميته علم أمير المؤمنين؟ وكيف يريد الدفاع عن عمر؟

أولاً: لقد نقل هذه القصة قبل العلامة و ابن تيمية غير واحد من كبار «أهل العلم» كالشيخ المفيد البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ (٢) و ابن شهر آشوب السروي المتوفى سنة ٥٨٨ (٣)، اللهم إلا أن ينكر كون هؤلاء من أهل العلم لتشيعهم!

و ثانياً: جاء في آخر الرواية عند أصحابنا: «و هذا حكم سليمان في صغره».

و ثالثاً: وجود القصّة في الصحيحين عن سليمان عليه السلام لا يضّرّ باستدلال أصحابنا بها على جهل عمر، بل يقويّه، لأنه يدلّ على أعلميه أبي هريره أيضاً من عمر و من سائر الصحابه الذين كانوا عنده!

٧- أمر برجم امرأه ولدت لستّه أشهر

قال قدس سره: و أمر برجم امرأه ولدت لستّه أشهر فقال له على....

الشرح:

و هذه القصّيه ثابتة كذلك، فقد أخرجت في كتب التفسير و الحديث و الكلام (٤).

ص: ٨٥

١- ١) منهاج السنّه ٩٢/٦-٩٣.

٢- ٢) الإرشاد إلى معرفه حجج الله على العباد ٢٠٥/١.

٣- ٣) مناقب آل أبي طالب ١٨٨/٢.

٤- ٤) تفسير الرازي ١٢٧/٦، الدر المنثور ٢٨٨/١ و ٤٠/٦، السنن الكبرى ٤٤٢/٧، الرياض النضره ١٩٤/٢، الأربعين في أصول الدين: ٤٦٦.

فقال ابن تيميه: «و الجواب: إن عمر كان يستشير الصّحابه... و الولاده لسته أشهر نادره إلى الغايه، و الأمور النادره قد لا تخطر بالبال، فأجرى عمر ذلك على الأمر المعتاد المعروف فى النساء...» (١).

أقول:

و هذا الكلام يشتمل على جوابين:

أحدهما: حمل القضيّه على التشاور، فهو قد شاور علياً عليه السلام فأجابه بما ذكر فعمل عليه.

و الثانى: حملها على النسيان، لكونها نادره إلى الغايه.

ألا- ترى التهافت بين الوجهين؟ فإنه إن كان ناسياً فهو مستعلمٌ مستفهم لا مشاور، و إن كان له علمٌ فيريد الوقوف على ما يعلمه غيره من الصحابه فى المسأله عن طريق المشوره، فهو ليس بناس للحكم.

و على كلّ حال، يريد ابن تيميه الفرار من الإقرار بجهل عمر.

و لكن علياً عليه السلام أفضل و أولى من عمر بالإمامه، لكونه مستحضراً للقرآن الكريم و ما تدلّ عليه آياته، لو كان عمر ناسياً!!

المورد التاسع: قال قدس سره: و كان يضطرب فى الأحكام، فقضى فى الجدّ بمائه قضيّه.

الشرح:

قضايا عمر فى إرث الجدّ عجيبه، و إليك بعض أخبارهم فى ذلك كما رواها المتقى الهندى:

«٣٠٦١١- عن سعيد بن المسيب عن عمر قال: سألت النبى صلّى الله عليه و سلّم

ص: ٨٤

كيف قسم الجد؟ قال: ما سؤالك عن ذلك يا عمر، إنى أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك. قال سعيد بن المسيب: فمات عمر قبل أن يعلم ذلك. (عب، هق و أبو الشيخ فى الفرائض).

٣٠٦١٢- عن عمر قال: إنى قضيه فى الجدّ قضيات مختلفات لم آل فيها عن الحق. (عب).

٣٠٦١٣- عن عبيده السلمانى قال: لقد حفظت من عمر بن الخطاب فى الجدّ مائه قضيه مختلفه كلّها ينقض بعضها بعضاً (ش، هق، و ابن سعد، عب).

٣٠٦١٤- عن ابن سيرين إن عمر قال: أشهدكم أنى لم أقض فى الجدّ قضاء (عب).

٣٠٦٣٢- عن الحسن: إن عمر بن الخطاب نشد الناس فقال: من منكم عنده علم من رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الجد، فليقم... (ص).

٣٠٦٣٣- حدثنا أبو معشر عن عيسى بن عيسى الحناتى قال: سألت عمر بن الخطاب الناس: أيكم سمع رسول الله قال فى الجدّ شيئاً...؟ (ص).

٣٠٦٢٦- عن مروان: إن عمر حين طعن قال: إنى كنت قضيت فى الجدّ قضاءً، فإن شئتم أن تأخذوا به فافعلوا... (عب، هق)»

أقول:

فهل من شك فى جهل عمر بالمسألة؟ و هل يجوز أن يتصدى الجاهل للحكم بين الناس؟ و من الطبيعى وقوعه و الحال هذه فى الخطأ و هو غير معذور!

إذن، هو الجهل، لا- الاجتهاد و تبدل رأى على أثر تجديد النظر فى الأدلّه، فلا- فائده فى الحمل على الاجتهاد أو التشاور مع الصحابه، و هذا هو المقصود.

المورد العاشر: قال قدس سره: و كان يفضّل فى الغنيمه و العطاء و أوجب الله تعالى التسويه.

الشرح:

و هذا أحد الموارد المهمّه، فإن الله تعالى قد أوجب التسويه، و أهل السنه

ص: ٨٧

القائلون بثبوت الامامه بالإختيار أجمعوا على أن من شروطه أن يكون المختار عدلاً لا يجور، وكيف يصلح الجائر، المفترق بين أفراد الأمة، لأن يقوم مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي إِدَارَةِ أُمُورِهَا الْمَادِيَةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ؟

ثم إن هذه القضية من الأمور الثابتة عنه، ولذا لم ينكرها حتى مثل ابن تيمية الساعى وراء إنكار الحقائق بكلّ جهد، نعم، حاولوا التوجيه والتبرير بالإجتهد كما في كلمات القاضي عبد الجبار والرازي وابن تيمية وغيرهم، ولا حاجة إلى إيراد نصوص عباراتهم بعد ظهور بطلانها بمخالفه الكتاب والعقل والسيره النبويه المعتمده.

المورد الحادى عشر: قال قدس سره: وقال بالرأى و الحدس و الظن.

الشرح:

لا-ريب أن لله في كل واقعه حكماً، وأحكامه تعالى موجوده في آيات الكتاب والأحاديث الصحيحه الوارده عن رسوله، ولا يفهمها إلا العلماء بالكتاب والسنة.

و أيضاً، فإن وظيفه الحاكم هو العمل بالأحكام و تطبيقها بين الأمم.

و الظاهر أن الذى كان من أبى بكر-غالباً- هو الإعلان عن الجهل و تمنى السؤال من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

لكن عمر كثيراً ما أفتى بالرأى و الحدس و الظنّ، تاركاً الكتاب و السنه، فإنه-مع اعترافه بالجهل-لم يرجع إلى باب مدينه العلم لأخذ العلم و الفتيا عن علم، و أقدم على الفتيا في مختلف القضايا بفتاوى متناقضه، و من أجلى موارد ذلك الثابته بلا شك، مسأله إرث الجد، كما تقدّم...و لا حاجة هنا إلى ذكر غيره كما لا حاجة إلى إيراد كلمات القوم في الدفاع عنه.

المورد الثانى عشر: قال قدس سره: و جعل الأمر شورى من بعده

ص: ٨٨

الشرح:

قضية الشورى من أهم قضايا صدر الإسلام، و من أكبر المؤاخذات على عمر بن الخطاب، و ينبغى البحث فى مقامات:

الأول: فى أصل ثبوت الإمامه بالشورى.

و الثانى: فى شورى عمر بن الخطاب.

و الثالث: فى وقائع الشورى.

فأقول:

أما المقام الأول: فملخص الكلام فيه هو: إن الإمامه لا تثبت لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و لا يقوم أحد مقامه فى شئونه- عدا النبوه- إلا- بالنص من الله عز و جلّ عليه، لما تقرّر من أنها نيابه عامّه عن النبى صلى الله عليه و آله، و كما لا تثبت النبوه لأحد بالوصيه أو البيعه أو الشورى أو غيرها إلا بتعيين من الله عز و جلّ، كذلك النيابة العامه عنه، فمن قام النصّ الشرعى على إمامته من الكتاب و السنّه كان الخليفه و الإمام بعد رسول الله شرعاً، و وجبت طاعته و الانقياد له من الله عز و جلّ على كافه أفراد المكلفين من الأمه، و إلا فلا ولايه شرعاً له على أحد أصلاً.

و الأدلّه النقليه و العقليه على هذا المقام كثيره، تعرّضنا لبعضها سابقاً.

و أما المقام الثانى، فإن الثابت عن عمر بن الخطاب أنه لم يكن يعتقد بالشورى و لا غيرها إلا النصّ.

و أيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط كون الإمام من قريش.

و أيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط كون الإمام حرّاً.

و أيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط الأفضليه فى الإمام.

و هذه الأمور نستكشفها من أسفه على عدم وجود سالم مولى أبى حذيفه فى ذلك الوقت:

ص: ٨٩

لقد رووا في الكتب المعتمده عن عمر أنه قال: «لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى» و ذلك بعد أن طعن، فجعلها شورى (١).

فمن هو سالم؟

هو: سالم بن معقل، مولى أبي حذيفه بن عتب بن ربيع بن عبد شمس بن عبد مناف. من أهل فارس من اصطخر، وقيل: من عجم الفرس من كرمه، قالوا: كان من فضلاء الموالى و من خيار الصحابه، أعتقته مولاته زوج أبي حذيفه، فتولّى أبا حذيفه و تبناه أبو حذيفه، كان عمر بن الخطاب يفرط في الثناء عليه، قتل يوم اليمامة سنه ١٢ من الهجره (٢).

و لما كان استخلاف عمر إياه - لو كان حياً - على خلاف القواعد العقليّه و النقليه عندهم في الإمامه، اضطرّ بعضهم إلى تأويل كلام عمر:

قال ابن عبد البر: «و هذا عندي على أنه كان يصدر فيها عن رأيه».

و تبعه ابن تيميه إذ قال: «و أمّا ما يروى من ذكره لسالم مولى أبي حذيفه، فقد علم أن عمر و غيره من الصحابه كانوا يعلمون أن الإمامه في قريش... بل من الممكن، أنه كان يولّيه ولاية جزئيه أو يستشيره فيمن يولّيه و نحو ذلك...» (٣).

و هذا التأويل - على ما فيه من النظر - مخالف لظاهر الكلام و بعيد عنه كلّ البعد، و لذا، فقد ورد كلامه بلفظ أوضح و أصرح، فيما رواه عدّه من الأعلام و هو قوله: «لو كان سالم حياً لما تخالجنى فيه الشك» (٤).

بل جاء الكلام نصّاً في الاستخلاف في روايه بعضهم - و أظنه هو الأصل إلا أنهم

ص: ٩٠

١- ١) الاستيعاب ٥٦٨/٢، الوافي بالوفيات ٥٨/١٥، عمد القارى في شرح البخارى ٢٤٦/١٦.

٢- ٢) تأويل مختلف الحديث: ٢٨٥، المحصول في علم الأصول ٣٢٢/٤ شرح نهج البلاغه ٢٦٦/١٦ و غيرها.

٣- ٣) منهاج السنّه ١٥١/٦.

٤- ٤) تأويل مختلف الحديث: ٢٨٥، المحصول في علم الأصول ٣٢٢/٤ شرح نهج البلاغه ٢٦٥/١٦ و غيرها.

حزّفوه إلى اللّفظين المتقدمين-فقد روى الزيلعي أنه قال:

«لو كان سالم حيّاً لاستخلفته» (١).

بل فى روايه ابن سعد: «لو أدركنى أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقت به:

سالم مولى أبى حذيفه و أبو عبيده بن الجراح» (٢).

و على الجملة، فإنه كان يرى النصّ لا غير، و لو كان سالم حيّاً لنصّ عليه و استخلفه، و السؤال الآن هو: إنه لما ذا لم ينصّ على أحد من الصحابه؟ أما كان يرى لها أهلاً غير سالم مولى أبى حذيفه؟

لما ذا جعلها شورى على خلاف عقيدته، و خالف فيه من تقدّمه؟

لكن الحقيقة هي أنه فى الواقع لم يعمل على خلاف رأيه، إذ الشورى التي طرحها كانت صورّيه، و هو كان قد عهد بالأمر إلى عثمان، فكان يريد و لا يريد غيره أبداً. كما سيظهر... بل لقد اشتهر ذلك فى حياه عمر، و الشواهد على ذلك كثيره، و قد تضمّن شرح ابن حجر العسقلانى لحديث البخارى بعضها حيث قال:

«قوله: فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن.

و فى روايه إبراهيم بن طهمان: جلس عبد الرحمن على المنبر. و فى روايه سعيد بن عامر: فلما صلّى صهيب بالناس صلاه الصبح، جاء عبد الرحمن يتخطّى حتى صعد المنبر، فجاء رسول سعد يقول لعبد الرحمن: ارفع رأسك و انظر لأمة محمد و بايع لنفسك.

قوله: أما بعد.

زاد سعيد بن عامر: فأعلن عبد الرحمن، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، يا على، إنى نظرت فى أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان. أى: لا يجعلون له مساوياً

ص: ٩١

١- ١) تخريج الأحاديث و الآثار ٢/٢٥٠ رقم ٦٨٧.

٢- ٢) الطبقات الكبرى ٣/٣٤٣.

قوله: فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً.

أى: من الملامه إذا لم توافق الجماعة. وهذا ظاهر فى أنّ عبد الرحمن لم يتردد عند البيعه فى عثمان. ولكن قد تقدّم فى روايه عمرو بن ميمون التصريح بأنه بدأ بعلى فأخذ بيده فقال: لك قرابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت، والله عليك لئن أمرتك لتعدلنّ، ولئن أمرت عثمان لتسمعنّ ولتطيعنّ. ثمّ خلا- بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه و بايع له على.

و طريق الجمع بينهما: إن عمرو بن ميمون حفظ ما لم يحفظه الآخر. و يحتمل أن يكون الآخر حفظه لكن طوى بعض الرواه ذكره. و يحتمل: أن يكون ذلك وقع فى الليل لما تكلم معهما واحد بعد واحد فأخذ على كل منهما العهد و الميثاق، فلما أصبح عرض على على فلم يوافق على بعض الشروط و عرض على عثمان فقبل. و يؤيد به روايه عاصم بن بهدله عن أبى وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان و تركتم علياً؟ فقال: ما ذنبى، بدأت بعلى فقلت له: أباعك على كتاب الله و سنّه رسوله و سيره أبى بكر و عمر، فقال: فيما استطعت. و عرضتها على عثمان فقبل. أخرجه عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند عن سفيان بن وكيع عن أبى بكر بن عياش عنه.

و سفيان بن وكيع ضعيف.

و قد أخرج أحمد من طريق زائده عن عاصم عن أبى وائل قال: قال الوليد بن عقبه لعبد الرحمن بن عوف: مالك جفوت أمير المؤمنين- يعنى عثمان-؟ فذكر قصّه و فيها قول عثمان: و أما قوله سيره عمر، فإنى لا اطيعها و لا هو. و فى هذا إشاره إلى أنه بايعه على أن يسير سيره عمر، فعاتبه على تركها. و يمكن أن يؤخذ من هذا ضعف روايه سفيان بن وكيع، إذ لو كان استخلف بشرط أن يسير بسيره عمر لم يكن ما أجاب به عذراً فى الترك.

قال ابن التين: وإنما قال لعل ذلك دون من سواه، لأن غيره لم يكن يطمع في الخلافة مع وجوده ووجود عثمان، وسكوت من حضر من أهل الشورى والمهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، دليل على تصديقهم عبد الرحمن فيما قال وعلى الرضا بعثمان.

قلت: وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق حارث بن مضرب قال: حججت في خلافة عمر، فلم أرهم يشكون أن الخليفة بعده عثمان. وأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق صحيح قال قال لي عمر: من ترى قومك يؤمرون بعدى؟ قال قلت: قد نظر الناس إلى عثمان وشهروه لها.

وأخرج البغوي في معجمه وخيثمه في فضائل الصحابة بسند صحيح، عن حارث بن مضرب: حججت مع عمر، فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده عثمان بن عفان.

قوله: فقال.

أى: عبد الرحمن مخاطباً لعثمان: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفين من بعده. فبايعه» (١).

أقول:

و من الشواهد أيضاً ما أخرجه ابن عساكر، قال:

«قرأت على أبي غالب بن البنا، عن أبي مُحَمَّد الجوهري، أنا أبو عمر بن حَيَّويه، أنا أَحْمَد بن معروف، نا الحُسَيْن بن الفهم، نا مُحَمَّد بن سعد، أنا الوليد بن عطاء بن الأغر، و أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الوليد الأزرقى، قالنا: نا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى، عن جدّه أن سعيد بن العاص أتى عمر يستزيده فى داره التى بالبلاط، و خَطَط أعمامه مع رسول الله فقال عمر: صلّ الغداه معى وَ عَبَّشْ [ثم] اذكرنى حاجتك قال: ففعلت حتى إذا هو انصرف قلت: يا أمير المؤمنين حاجتى التى أمرتنى أن أذكرها لك، قال: فوثب

ص: ٩٣

معى ثم قال: امضِ نحو داره حتى انتهيت إلهيا فزادنى و خطّ لى برجله فقلت: يا أمير المؤمنين زدنى فإنه نبت لى نابتة من ولد و أهل. فقال: حسبك. و أختبئ عندك أن سىلى هذا الأمر بعدى من يصل رحمك و يقضى حاجتك، قال: فمكثتُ خلفه عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان و أخذها عن شورى و رضاً، فوصلنى و أحسن و قضى حاجتى و أشركنى فى أمانته» (١).

و بعد، فلما ذا الشورى الصوريّه؟

إنه قد اضطر إلى ذلك و بمشوره من عبد الرحمن بن عوف، لما أبلغه كلام القائلين فى منى: «لو مات عمر لبايعنا علياً». و قد تقدّم منا بعض الكلام حول ذلك.

و أما المقام الثالث، فقد أشار العلامه فى كلامه إلى نقاط:

١- إنه قد جمع فىمن يختار بين المفضول و الفاضل، لأن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من سائر رجال الشورى قطعاً، و لأن بين الخمسة الباقية من هو أفضل من غيره يقيناً، و الحال أنه قد تقرّر كتاباً و سنّه و عقلاً أن الفاضل مقدّم على المفضول، فكيف جعلهم سواءً؟

٢- إنه جعل الشورى فى عدد معيّن و أشخاص معينين، فحصر الإمامه فىهم دون غيرهم.

٣- إنه عيّن الأجل و جعله ثلاثه أيام.

٤- إنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعه ثلاثه أيام، مع أنهم -عندهم- من العشره المبشره بالجنه، و أمر بقتل من خالف الأربعة منهم، و بقتل من خالف الثلاثة الذين فىهم عبد الرحمن.

٥- إنه طعن فى كلّ واحد ممن اختاره للشورى، و هذه قرينه أخرى على أنها

ص: ٩٤

١- (١) تاريخ دمشق - ترجمه سعيد بن العاص ١١٩/٢١، و لعلها: فى إمامته.

شورى صورته اضطرَّ إليها لدفع أمير المؤمنين على عليه السلام.

٦- إنه جعل رأى إلى عبد الرحمن بن عوف-بعد أن وصفه بالضّعف والقصور- فكان هو المحور، و على يده انتهى الأمر إلى حيث أراه عمر!

أقول:

هذه النقاط أمور مسلّمه عند الكلّ، بل كادت تعدّ من ضروريات تاريخ الإسلام، و قد رواها البخارى و ابن سعد و ابن جرير الطبرى و ابن عبد ربّه القرطبى و يعقوبى و ابن الأثير و أبو الفداء و غيرهم.

و هناك نقاط أخرى لم يتعرّض لها العلّامة رحمه الله، و لعلّ من أهمّها:

١- إن عبد الرحمن-بعد أن قوّض تعيين الخليفه إليه-دعا عليّاً عليه السلام و اشترط عليه العمل بالكتاب و السنّه و أن يسير بسيره الشيخين...جاء ذلك فى:

صحيح البخارى، و مسند أحمد، و تاريخ الطبرى، و الكامل، و المنتظم، و تاريخ الخلفاء، و الصواعق، و الفصول فى الأصول، و الإبهاج فى شرح المنهاج، و غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ و أصول الفقه (١).

٢- قال على عليه السلام لعبد الرحمن: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون. و الله ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، و الله كلّ يوم فى شأن. رواه الطبرى و ابن الأثير و أبو الفداء و غيرهم (٢).

٣- إن عبد الرحمن مات و هو مهاجرٌ لعثمان، لأنه لما علم بأنه يريد الأمر من بعده لبنى أميه و أنه سوف لا يعهد إليه، هجره و لم يكلمه إلى أن مات، و لعلّ عليّاً عليه السلام

ص: ٩٥

١- (١) البخارى-بشرح ابن حجر ١٣/١٦٨، مسند أحمد ١/٧٥، تاريخ الطبرى ٣/٣٠١، الكامل لابن الأثير ٣/٧١، المنتظم لابن الجوزى

٣/٢٧٢. تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٢٠، الصواعق ١/٣٠٩، الفصول فى الأصول للسرخسى ٤/٥٥، الإبهاج للسبكي ٣/٢٧٢.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٣/٢٩٧، الكامل فى التاريخ ٣/٧١، المختصر فى أخبار البشر ١/١٦٦.

إلى ذلك أشار بقوله له «و الله كل يوم فى شأن» وقوله: «سبيلغ الكتاب أجله».

وقد ذكر مهاجره عبد الرحمن لعثمان فى غير واحد من كتب القوم، مثل كتاب المعارف و العقد الفريد و المختصر فى أخبار البشر و غيرها (١).

٤-السبب فى دخول أمير المؤمنين عليه السلام فى الشورى مع علمه بما سينتهى إليه المجلس، كما أخبر عن ذلك من قبل بقوله لعنه العباس: «لقد عدل عنّا، لأن سعداً لا يخالف عبد الرحمن لأنه ابن عمّه، و عبد الرحمن صهر عثمان، فلا يختلفون، فيولّيها أحدهم الآخر» (٢)، هو عدم تعاونه عليه السلام معهم فى حرمانه، بل ليتضح للمسلمين دسيتهم فى ذلك، و لينتجزها فرصة لتذكيرهم بأحقّيته بالإمامه و الولاية منذ اليوم الأول، و تلك نصوص احتجاجه عليهم مذكوره فى كتبهم بالأسانيد، و قد تكلمنا عليه بالإيجاز سابقاً.

٥- أما السبب فى البيعه فواضح، فإنّ عبد الرحمن قد قال له: «يا على، إني قد نظرت فى أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلّ على نفسك سبيلاً» (٣) ثم إنه بعد أن بايع عثمان على الكتاب و السنّه و سيره الشيخين قال: «يا أبا طلحه، ما الذى أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعه. فقال عبد الرحمن لعلى: بايع إذن و إلا كنت متّبعاً غير سبيل المؤمنين، و أنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال: لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى» (٤).

فهذه أهم أخبار الشورى....

ص: ٩٦

١- (١) المعارف لابن قتيبه: ٥٥٠ (المتهاجرون)، العقد الفريد ٢٧٩/٤، المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ١٦٦/١.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٢٩٤/٣، الكامل ٦٧/٣، تاريخ أبى الفداء ١٦٦/١، العقد الفريد ٢٥٦/٤.

٣- (٣) صحيح البخارى ١٢٣/٨ و انظر فتح البارى ١٧٠/١٣.

٤- (٤) شرح نهج البلاغه ١٦٨/٦.

و الآن... فانظر ما ذا يقول المدافعون عن عمر، المبررون لأفعاله؟

أجاب قاضى القضاء: بأن الأمور الظاهره لا- يجوز أن يعترض عليها بأخبار آحاد غير صحيحه، و الأمر فى الشورى ظاهر و أن الجماعه دخلت فيها بالرضا، و لا يجب القدح فى الأفعال بالظنون، بل يجب حملها على ظاهر الصيحه دون الاحتمال، كما يجب مثله فى الألفاظ، و يجب إذا تقدمت للفاعل حاله تقتضى حسن الظن به أن يحمل فعله على ما يطابقها. و قد علمنا أن حال عمر و ما كان عليه من النصيحه للمسلمين يمنع من صرف أمره فى الشورى إلى الأغراض التى يظنها القوم.

أقول: هذا موجز كلامه (١)، و محصّله حمل فعل عمر على الصّحه لحسن الظنّ به.

و أجاب التفتازانى كذلك، فقد قال: «من نظر بعين الإنصاف و سمع ما اشتهر من عمر فى الأطراف، علم جلاله محلّه عما تدّعيه الأعداء و براهه ساحته عما يفتريه أهل البدع و الأهواء، و جزم بأنه كان الغايه فى العدل و السّداد و الاستقامه على سبيل الرشاد...» (٢).

و كذلك ابن روزبهان، فقد أجاب قائلاً: «إن أمر الشورى أدلّ الدلائل على تقوى عمر و خوفه من الله تعالى، لأنه احتاط فيه كمال الإحتياط...» ثم كذب بعض الأخبار، كخبر قدح عمر فى أصحاب الشورى واحداً واحداً لكنه قال بعد ذلك: «ثم إنا لو فرضنا صحه ما ذكر، فإنه لم يذكر المعائب القادحه للإمامه، بل هذا من مناصحه الناس، فذكر ما كان من العيوب» فرجع الأمر إلى حسن الظنّ بعمر....

فهو- كالتفتازانى- عيالٌ على قاضى القضاء المعتزلى، بل قد صرّح هنا باسمه و وافقه على كلامه.

و هو محصّل كلام ابن تيميه، و هذه نتف من كلامه الطويل الذى شرّق فيه و غرّب

ص: ٩٧

١- ١) المغنى فى الإمامه ج ٢٠ ق ٢ ص ٢١-٢٦.

٢- ٢) شرح المقاصد ٢/٢٩٥.

تضييعاً للحق و تعتيماً للحقيقه،قال:«و الجواب:إن هذا الكلام كله لا- يخرج عن قسمين:إما كذب فى النقل و إما قدح فى الحق.فإن منه ما هو كذب معلوم الكذب أو غير معلوم الصدق،و ما علم أنه صدق فليس فيه ما يوجب الطعن على عمر،بل ذلك معدود من فضائله و محاسنه التى ختم الله بها عمله....

و من هذا الباب أمر الشورى،فإن عمر بن الخطاب كان كثير المشاوره للصيحابه، و عليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين،فاجتهد فى ذلك و رأى أن هؤلاء الستة أحق من غيرهم،و جعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم و يكون غيره أصلح لهم، و هذا أحسن اجتهاد إمام عالم عادل ناصح لا هوى له...فرأى الأمر فى الستة متقارباً، فإنهم و إن كان لبعضهم من الفضيله ما ليس لبعض فلذلك المفضول مزيه أخرى ليست للآخر،فترك التعيين خوفاً من الله تعالى،و الله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحه بحسب الإمكان،فكان ما فعله غايه ما يمكن من المصلحه،و إذا كان من الأمور أمور لا يمكن دفعها فتلك لا تدخل فى التكليف!

و مما ينبغى أن يعلم أن الله تعالى بعث الرسل و أنزل الكتب ليكون الناس على غايه ما يمكن من الصلاح لا لرفع الفساد بالكلية! و لا- ريب أن الستة الذين توفى رسول الله و هو عنهم راض الذين عيّنهم عمر،لا يوجد أفضل منهم و إن كان فى كل منهم ما كرهه،فإن غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم...و إذا كان الواحد من هؤلاء له ذنوب، فغيرهم أعظم ذنوباً و أقل حسناً...» (١).

و قال ابن حجر العسقلانى:«و فى قصه عمر هذه من الفوائد:شفقته على المسلمين،و نصيحته لهم و إقامته السنه فيهم،و شدّه خوفه من ربّه،و اهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه» (٢).

ص: ٩٨

١- (١) منهاج السنّه ١٥٠/٦.

٢- (٢) فتح البارى ٥٦/٧.

لكنهم مع ذلك يواجهون مشاكل لا يجدون مناصاً من الإشاره إليها و المحاولة لحلها، فيقعون فى التهافت و التناقض، أو يضطرون إلى التكذيب للحقائق و الإنكار لما جاءت به من طرقهم الأخبار! فمثلاً:

لا ريب و لا خلاف فى أن الستّه لم يكونوا فى مرتبه واحده من الفضيله، و قد ثبت كتاباً و سنه و عقلاً تقدّم الفاضل و قبّح تقدّم المفضول عليه، و أنه لا تصح ولايته مع وجوده، بل ذكر ابن تيميه أن ذلك كان رأى عمر أيضاً، فانظر إلى تناقضاتهم فى الجواب:

ف قيل: إنهم كانوا متقاربين فى الفضيله. و قيل: إنه و إن كان لبعضهم من الفضيله ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزيه أخرى ليست للآخر. و قيل: كان يعلم أن المفضول منهم لا يتقدّم على الفاضل. و قيل: يجوز استخلاف المفضول لمصلحه يراها الإمام.

و فى مقابل هذه الأقوال كلام ابن بطال إذ قال:

«فيه دليل على جواز توليه المفضول على الأفضل منه، لأن ذلك لو لم يجز لم يجعل الأمر شورى إلى سته أنفس، مع علمه أن بعضهم أفضل من بعض (قال) و يدل على ذلك أيضاً قول أبى بكر: قد رضيت لكم أحد الرجلين عمر و أبو عبيده، مع علمه بأنه أفضل منهما».

بل لقد استشكل ابن بطال مخالفه عمر لمن تقدّمه، فقد جعل عمر الخلافه فى سته و وكل ذلك إلى اجتهادهم، و لم يصنع ما صنع أبو بكر فى اجتهاده فيه، لأنه إن كان لا يرى جواز توليه المفضول على الفاضل، فصنيعه يدلّ على أن من عدا الستّه كان مفضولاً بالنسبه إليهم، و إذا عرف ذلك، فلم يخف عليه أفضليه بعض الستّه على بعض.

و إن كان يرى جواز ولايه المفضول على الفاضل، فمن وّاه منهم أو من غيرهم كان ممكناً.

وقد أجاب ابن حجر قائلاً: «والجواب عن الأول يدخل فيه الجواب عن الثاني وهو: إنه تعارض عنده صنيع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حيث لم يصرَّح باستخلاف شخص بعينه، وصنيع أبي بكر حيث صرَّح، فتلك طريق تجمع التنصيص و عدم التعيين. وإن شئت قل: تجمع الاستخلاف و ترك تعيين الخليفة. وقد أشار بذلك إلى قوله: لا أتقلدها حيًّا و ميتاً...» (١).

و الإنصاف و ورود الإشكال كما لا يخفى على أهله، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قد استخلف و ما مات بلا وصيِّه.

على أن قوله «تعارض...» باطل جدًّا، لأن أبا بكر مأمور بالتأسي برسول الله و الانقياد له، لكونه أحد أفراد أمته، و لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله معصوم دونه، فكيف يصلح لأن يكون صنيعه في عرض صنيع رسول الله و معارضاً له؟ و هذا من مثل ابن حجر عجيب، لكنه من ضيق الخناق. فإما يلتزم بقول أبي بكر و عمر بجواز توليه المفضول، و إما يلتزم ببطلان صنيعهما.

و في أن عمر ذكر لكل من الستة عيباً قادحاً... تناقضت كلماتهم بين منكر لأصل الخبر، و بين معترف به زاعماً أن الواجب على الخليفة هو ما يمكن من الصلاح لا رفع الفساد بالكليته، فإن هذا ممتنع حتى على الأنبياء، و الجماعة كانوا أفضل الناس و إن كان في كل منهم ما يكره و كان له ذنوب! و بين من يحمل ذلك على ديانه عمر و خوفه من ربِّه!

و في أنه أمر بضرب عنق من خالف، و ضرب رقابهم جميعاً إن انقضت الثلاثه أيام من دون تعيين للخليفة، فمنهم من كذب، قال ابن تيميه: «هذا من الكذب على عمر، و لم ينقل هذا أحدٌ من أهل العلم بإسناد يعرف، و لا أمر عمر قط بقتل الستة الذين يعلم أنهم خيار الأمه، و كيف يأمر بقتلهم...» (٢) و هذا دأب ابن تيميه في إنكار الحقائق

ص: ١٠٠

١-١ (١) فتح الباري ٥٧/٧.

١-٢ (٢) منهاج السنه ١٧٣/٦.

و تكذيب الثابتات، بل إنَّ هذا يعدُّ من ضروريّات تاريخ صدر الإسلام و هو مذكور في كتب التاريخ و الحديث. و لذا اضطرَّ بعضهم إلى أن يوجِّهوا الأمر بالقتل بأنه من كثره نصيحه عمر للمسلمين و شدّه اهتمامه بالأمر، بل منهم من يصحّح القتل كقاضي القضاة المعتزلي و وافقه ابن روزبهان الأشعري.

ص: ١٠١

المورد الأول: قال قدس سره: و أما عثمان، فإنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح للولاية....

إشارة

الشرح:

هذا أحد موارد الطعن في عثمان، و أحد الأمور التي نقم عليها الناس و أدت إلى قتله... و قد ذكر العلامة و غيره أسماء بعض الذين و لأهم أمور المسلمين و هم فساق لا يصلحون لذلك:

١- الوليد بن عقبه

قال قدس سره: و استعمل الوليد بن عقبه، حتى....

الشرح:

و هو أخو عثمان لأُمّه، يكنى أبا وهب، أسلم يوم الفتح، و لا خلاف بين العلماء في نزول قوله تعالى «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» (١) فيه (٢)، فقد سمّاه الله تعالى فاسقاً، و مع ذلك و لآه عثمان على الكوفة! و قد تعجّب عبد الله بن مسعود من ذلك، فقد روى أنه لما قدم الكوفة أتاه ابن مسعود فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أميراً. فقال ابن مسعود: «ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس» (٣).

قال ابن عبد البر: «أخباره في شرب الخمر و منادمته أبا زيد الطائي مشهوره كبيره، يسمح بنا ذكرها هنا، و نذكر منها طرفاً:

ص: ١٠٢

١-١) سورة الحجرات: ٤.

٢-٢) الاستيعاب ١٥٥٤/٤.

٣-٣) المصدر ١٥٥٤/٤.

ذكر عمر بن شبة قال: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا ضميره بن ربيعة عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبه بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زياده منذ اليوم. (قال) و خبر صلاته بهم و هو سكران و قوله: أزيدكم-بعد أن صلى الصبح أربعاً-مشهور من روايه الثقات من نقل أهل الحديث و أهل الأخبار» (١).

أقول: و إنما اكتفينا بكلام ابن عبد البر للاختصار، و لأنه من الحفاظ الكبار، و إلا، فإنّ ما ذكره موجود في سائر الكتب و الأسفار. و أى فائده في قول التفتازاني في الدفاع عن عثمان بأن ذلك غير قاذح «إذ لا اطلاع له على السرائر، و إنما عليه الأخذ بالظاهر و العزل عند تحقق الفسق» (٢).

لأننا نقول:

أولاً: لقد كان الوليد مشهوراً بالفسق قبل ذلك، و الله سمّاه فاسقاً، فكيف وّلاه على الكوفة و هو عالم بحاله؟

و ثانياً: إنه لم يعزل من ظهر منه الفسق، كما سيأتى في الكلام عن سعيد بن العاص.

هذا، و في كلامه تصريح بوجود الفسق و الفاسق بين صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله.

و أما ابن تيمية، فلم يجب بل جعل يتهجم و يسب! قال:

«و الجواب: أن يقال: نواب على خانوه و عصوه أكثر ممّا خان عمّال عثمان له و عصوه...» (٣).

ص: ١٠٣

١-١ (١) الإستيعاب ١٥٥٥، ١٥٥٤/٤.

٢-٢ (٢) شرح المقاصد ٢٩٥/٢.

٣-٣ (٣) منهاج السنّه ١٨٤/٦.

أقول:

هكذا شرع كلامه، وهو يعلم أن الكلام ليس في الخيانة والعصيان للإمام، بل الكلام في توليه الإمام من يعلم بفسقه و تأميره على الناس... ثم إنه في طرف على يقول «نواب علي»، وفي طرف عثمان يقول: «عمّ آل عثمان» ولا يخفى عليك الفرق بين «النائب» و«العامل».

ثم جعل يسبّ الرافضة... بل طعن في الإمام عليه السلام إذ قال بأن توليه الأقارب على بعض البلاد أهون من الوصيه بالخلافه للولد... وهذه كلمه كبيره خرجت من فم الرجل، والله حسيبه على كلماته و الخصيم محمد و أهل بيته... فإن إمامه الإمام الحسن السبط بعد أمير المؤمنين عليه السلام كانت بنصب من الله و نصّ من رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

لكن الرجل يريد الدفاع عن عثمان، وفي كلّ مورد يريد إظهار النصب و العدوان، لآل البيت الذين نزل بطهارتهم صريح القرآن!

ثم إنه عقد فصلاً قال: «و القاعده الكليه في هذا أن لا نعتقد أن أحداً معصوم بعد النبي، بل الخلفاء و غير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، و الذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، و قد تكفّر عنهم بحسناتهم الكثيره، و قد يبتلون بمصائب يكفّر الله عنهم بها، و قد يكفّر عنهم بغير ذلك. فكلّ ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنباً أو خطأ، و عثمان قد حصلت له أسباب المغفره من وجوه كثيره...» (1) ثم جعل يشرح هذه القاعده في صفحات كثيره، تهجّم فيها على الشيعه و طعن في الإمام على عبارات شنيعه.

فبقول:

أولاً: كلّ ذلك خروج عن البحث، فإننا نريد أن نثبت على ضوء قواعد أهل السنّه

ص: ١٠٤

و رواياتهم-أن عثمان لم يكن أهلاً للإمامه و الخلافه.

و ثانياً:لقد اعترف بصدور الخطأ و الذنب ممن يعتقد بإمامتهم و خلافتهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.و لكنه ادعى أن ذنوبهم مغفوره عند الله،إلا أن مثل هذه الدعوى لا تصدر إلا من معصوم لا يتكلم إلا من قبل الله.

و ثالثاً:إنه قد ثبت بنص الكتاب و السنه الثابته المتفق عليها عصمه على و أهل البيت عليهم السلام...و التفصيل فى محله.

٢-سعيد بن العاص

قال قدس سره:و استعمل سعيد بن العاص على الكوفه...

الشرح:

و هو:سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميه.ولد عام الهجره،و قيل:بل ولد سنه احدى.و توفى فى حكومه معاويه سنه تسع و خمسين.

قال العلامة فى نهج الحق:«و استعمل سعيد بن العاص على الكوفه و ظهرت منه أشياء منكره،و قال:إنما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت و تترك منه ما شاءت، حتى قالوا له:أ تجعل ما أفاد الله علينا بستاناً لك و لقومك؟و أفضى الأمر إلى أن منعه من دخولها،و تكلموا فيه و فى عثمان كلاماً ظاهراً،حتى كادوا يخلعون عثمان،فاضطرّ حينئذ إلى إجابتهم و عزل قهراً لا باختيار عثمان» (١).

أقول:

قد ذكر ذلك علماء أهل السنه فى كتبهم المعتمده،كابن سعد و الطبرى و ابن عبد البر و ابن عساكر و ابن الأثير و غيرهم.

و إليك عباره تاريخ دمشق نقلاً عن المؤرخين ببعض التفاصيل.

ص:١٠٥

«قالوا: ولم يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابه، فلما عزل عثمان الوليد بن عقبه بن أبي معيط عن الكوفه، دعا سعيد بن العاص فاستعمله عليها، فلما قدم الكوفه قدمها شاباً مترفاً ليست له سابقه فقال: لا أصعد المنبر حتى يطهر، فأمر به فغسل، ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفه و تكلم بكلام قصّر بهم فيه، و نسبهم إلى الشقاق و الخلاف فقال: إنما هذا السواد بستان لا غيلمه من قريش. فشكوه إلى عثمان فقال: كلما رأى أحدكم من أمير جفوه أرادنا أن نعزله.

و قدم سعيد بن العاص المدينة و أفدأ على عثمان، فبعث إلى وجوه المهاجرين و الأنصار بصلات و كساً، و بعث إلى علي بن أبي طالب أيضاً فقبل ما بعث به إليه، و قال علي: إن بني أميه ليفوقوني تراث محمد تفويقاً، و الله لئن بقيت لهم لانفضت منهم من ذلك نفض القصاب التراب الودمه.

ثم انصرف سعيد بن العاص إلى الكوفه فأضّر بأهلها إضراراً شديداً و عمل عليها خمس سنين إلا أشهراً. و قال مرّه بالكوفه: من رأى الهلال منكم؟ و ذلك في فطر رمضان، فقال القوم: ما رأيناه، فقال هاشم بن عتبّه بن أبي وقاص: أنا رأيته، فقال له سعيد: بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم؟ فقال هاشم: تعيرني بعيني و إنّما فقتت في سبيل الله، و كانت عينه أصيبت يوم اليرموك، ثم أصبح هاشم في داره مفطراً، و غدا الناس عنده، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه فضربه و حرّق داره.

فخرجت أمّ الحكم بعتبه بن أبي وقاص - و كانت من المهاجرات - و نافع بن عتبّه بن أبي وقاص من الكوفه حتى قدما المدينة، فذكرا لسعد بن أبي وقاص ما صنع سعيد بهاشم، فأتى سعد عثمان فذكر له ذلك، فقال عثمان: سعيد لكم بهاشم، اضربوه بضربه، و دار سعيد لكم بدار هاشم فأحرقوها كما حرّق داره، فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص - و هو يومئذ غلام يسعى - حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة، فبلغ الخبر عائشه، فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص تطلب إليه و تسأله أن يكفّ، ففعل.

و رحل من الكوفه إلى عثمان الأشتر مالك بن الحارث و يزيد بن مكنف و ثابت بن قيس و كميل بن زياد النخعي و زيد و صعصعه ابنا صوحان العبدان و الحارث بن عبد الله الأعمور و جندب بن زهير و أبو زينب الأزديان و أصفر بن قيس الحارثي، يسألونه عزل سعيد بن العاص عنهم، و رحل سعيد و أفداً على عثمان فوافقهم عنده، فأبى عثمان أن يعزله عنهم، و أمره أن يرجع إلى عمله.

فخرج الأشتر من ليلته في نفر من أصحابه فسار عشر ليال إلى الكوفه، و استولى عليها و صعّد على المنبر فقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن هذا السواد بستان لا غيلمه من قريش، و السواد مساقط رؤوسكم، و مراكز رماحكم، و فيؤكم و فيء آبائكم، فمن كان يرى لله عليه حقاً فلينهض إلى الجرعه، فخرج الناس فمسكروا بالجرعه - و هي بين الكوفه و الحيره - و أقبل سعيد بن العاص حتى نزل العذيب، فدعا الأشتر يزيد بن قيس الأرحبي و عبد الله بن كنانه العبدى - و كانا محريين - فعقد لكل واحد منهما على خمسمائه فارس و قال لهما: سيرا إلى سعيد بن العاص فأزعجاه و ألحقاه بصاحبه، فإن أبى فاضربا عنقه، و أتيا نى برأسه.

فأتياه فقالا له: إرحل إلى صاحبك، فقال: إبلى أنضاء أعلفها أياماً، و نقدم المصير فنشترى حوائجنا و نتزوّد ثم ارتحل. فقالا: لا والله و لا ساعه، لترتحلن أو لنضربن عنقك، فلما رأى الجدّ منهما ارتحل لاحقاً بعثمان و أتيا الأشتر فأخبراه.

و انصرف الأشتر من معسكره إلى الكوفه فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفه، ما غضبت إلا لله و لكم، و قد ألحقنا هذا الرجل بصاحبه و قد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم و ثغركم و حذيفه بن اليمان على فيئكم، ثم نزل و قال: يا أبا موسى إصعد. فقال أبو موسى: ما كنت لأفعل، و لكن هلموا فبايعوا لأمير المؤمنين عثمان، و جدّدوا له البيعه في أعناقكم. فأجابته الناس إلى ذلك، فقبل ولايتهم و جدّد البيعه لعثمان في رقابهم، و كتب إلى عثمان بما صنع، فأعجب ذلك

عثمان و سرّه، فقال عتبه بن الوغل شاعر أهل الكوفه: تصدّق علينا يا ابن عثمان و احتسب و أمر علينا الأشعري ليالياً
فقال عثمان: نعم، و شهوراً و سنين إن بقيت.

و كان الذى صنع أهل الكوفه بسعيد بن العاص أول و هن دخل على عثمان حين اجترى عليه، و لم يزل أبو موسى والياً لعثمان
على الكوفه حتى قتل عثمان، و لم يزل سعيد بن العاص حين رجع عن الكوفه بالمدينه، حتى وثب الناس بعثمان فحصره، فلم
يزل سعيد فى الدار معه يلزمه فيمن يلزمه، لم يفارقه و يقاتل دونه...» (١).

٣- عبد الله بن أبى سرح

(٢)

قال قدس سرّه: و ولى عبد الله بن أبى سرح مصر....

الشرح:

و هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح، أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

إرتدّ فى عهد النبى صلّى الله عليه و آله و كان من كتياب الوحى، فلحق بالكفار، فأهدر النبى دمه، فستره عثمان بن عفان يوم
الفتح، مع أن النبى صلّى الله عليه و آله كان قد قال فى ذلك اليوم: «أربعة لا أومنّهم فى حلّ و لا فى حرم» و أحدهم ابن أبى
سرح، فجاء به إلى النبى، فاستوهبه منه، فعفا عنه.

قالوا: و كان رجل من الأنصار قد نذر أن يقتل ابن أبى سرح، إذ رآه إطاعه لأمر النبى صلّى الله عليه و آله، فلمّا وجده عند النبى -و
كان يأبى أن يبايعه- هاب قتله، فقال له النبى صلّى الله عليه و آله: انتظرتك أن توفى نذرك. قال: يا رسول الله هبتك، أ فلا

ص: ١٠٨

١-١) تاريخ مدينه دمشق ١١٤/٢١-١١٦.

٢-٢) نقلنا أخباره عن: تاريخ دمشق ١٩/٢٩-٢٤، الكامل فى التاريخ ٨٨/٣، سير أعلام النبلاء ٣٣/٣، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٥٧ و
غيرها.

أومضت. قال: إنه ليس لنبى أن يغمز أو يومض. و فى روايه: إنه صلى الله عليه و آله قال لمن حوله: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآنى كفت يدي عن بيعته فيقتله.

قالوا: و قد كان عمرو بن العاص عاملاً لعثمان على مصر، فعزله عن الخراج و أقره على الصلاه و الجند، و استعمل عبد الله بن سعد بن أبى سرح على الخراج، فتباغيا، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان: إن عمرو بن العاص كسر على الخراج. و كتب عمرو إلى عثمان: إن عبد الله بن سعد قد كسر على مكيدة الحرب. فكتب عثمان إلى عمرو: أن انصرف، فعزله و ولى عبد الله بن سعد الجند و الصلاه مع الخراج بمصر. فقدم عمرو مغضباً، فدخل على عثمان و عليه جبّه محشوه قطناً، فقال له: ما حشو جبّتك؟ قال:

عمرو، قال: قد علمت و لم أرد هذا، إنما سألت أظن هو أم غيره؟ قال: لكنى قد أحببت أن أعلمك أن فيها عمرو بن العاص.

و كان ابن سعيد فى حشد فى حمل المال ليصدق حديثه و ما كان يكتب به إلى عثمان، فحمل أكثر مما كان يحمل، فلما قدم ذلك على عثمان، أرسل إلى عمرو، فدخل عليه، فقال: هل علمت -يا أبا عبد الله- أن اللقاح قد درّت بعدك؟ قال: إنكم أعجفتم أولادها.

ثم أقام عمرو بالمدينه.

و أخرج ابن عساكر بإسناده عن الزهرى قال:

«قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان، و ما كان شأن الناس و شأنه، و لم خذله أصحاب محمد؟

فقال: قتل عثمان مظلوماً، و من قتله كان ظالماً، و من خذله كان معذوراً.

قلت: و كيف كان ذلك؟

قال: إن عثمان لما ولى، كره ولايته نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله، لأن

عثمان كان يحبّ قومه، فولى الناس اثنتى عشره سنه، و كان كثيراً ما يولّى بنى أميه ممن لم يكن [له] مع رسول الله صلّى الله عليه و آله صحبه، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله، و كان عثمان يستعجب فيهم، فلا يعزلهم، فلمّا كان فى الستّ حجج الأواخر استأثر بنى عمه، فولّاهم، و ما أشرك معهم، و أمرهم بتقوى الله، و لى عبد الله بن أبى سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه و يتظلمون منه، و قد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود، و أبى ذر، و عمار بن ياسر، فكانت بنو هذيل و بنو زهره فى قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، و كانت بنو غفار و أحلافها و من غضب لأبى ذر فى قلوبهم ما فيها، و كانت بنو مخزوم قد خنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر.

و جاء أهل مصر يشكون ابن أبى سرح، فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه، فأبى ابن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، و ضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان، فقتله.

فخرج من أهل مصر سبعمائه رجل، فنزلوا المسجد، و شكوا إلى أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله فى مواقيت الصلاه ما صنع ابن أبى سرح بهم، فقام طلحه بن عبيد الله فكلم عثمان بن عفان بكلام شديد، و أرسلت عائشه إليه، فقالت: تقدّم إليك أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلّا واحده، فهذا قد قتل منهم رجلاً، فأنصفهم من عاملك.

و دخل عليه على بن أبى طالب، و كان متكلم القوم، فقال: إنما يسائلونك رجلاً مكان رجل، و قد ادّعوا قبله دماً، فاعزله عنهم، و اقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه، فقال لهم: اختاروا رجلاً - أو ليه عليكم مكانه، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر، فقال: استعمل عليه محمد بن أبى بكر، فكتب عهده، و ولّاه و خرج معهم عدد من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر و ابن أبى سرح.

[فخرج] محمد و من معه، فلمّا كان على مسيره ثلاث من المدينه، إذا هم بـغلام أسود [على بعير] يخبط البعير خبطاً، كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله ما قصّيتك؟ و ما شأنك؟ هارب أو طالب؟ فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين؛ و جّهنى إلى عامل مصر، [فقال له رجل: هذا عامل مصر] قال: ليس هذا أريد و أخير [بأمره] محمد بن أبى بكر، فبعث فى طلبه رجلاً فأخذه، فجىء به، قال فنظر إليه، فقال: غلام من أنت؟ فأقبل مرّه يقول أنا غلام أمير المؤمنين، و مرّه يقول أنا غلام مروان، حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بما ذا؟ قال: برسالة، قال: معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً، و كانت معه إداوه قد يبست، فيها شىء يتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوه، فإذا فيها كتاب: من عثمان إلى ابن أبى سرح. فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، ثم فك الكتاب بمحضر منهم، فإذا فيه: إذا أتاك فلان و محمد و فلان، فاحتل قتلهم، و أبطل كتابه، و قر على عملك حتى يأتىك رأيى، و احبس من يجىء إلى يتظلم منك، ليأتىك رأيى فى ذلك إن شاء الله، فلما قرءوا الكتاب فزعوا و أزمعوا، فرجعوا إلى المدينه، و ختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه، و دفع الكتاب إلى رجل منهم.

و قدموا المدينه، فجمعوا طلحه، و الزبير، و علياً، و سعداً، و من كان من أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله، ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم، و أخبروهم بقصه الغلام، و أقرؤهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينه إلا - حتى على عثمان، و زاد ذلك من كان غضب لابن مسعود و أبى ذر و عمّار، حنقاً و غيظاً، و قام أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا و هو مغتمّ لما قرءوا الكتاب، و حاصر الناس عثمان، و أجلب عليه محمد بن أبى بكر بنى تيم و غيرهم.

فلما رأى ذلك على بعث إلى طلحه و الزبير و سعد و عمّار و نفر من أصحاب محمد

صلى الله عليه وآله، كلهم بدرى، ثم دخل على عثمان و معه الكتاب و الغلام و البعير، فقال له على: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: و البعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، و حلف بالله ما كتبت هذا الكتاب، و لا أمر به، و لا علم به.

قال له على: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب، و لا أمرت به، و لا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط، و أما الخط فعرفوا أنه خط مروان، و شكوا في أمر عثمان، و سأله أن يدفع إليهم مروان، فأبى، و كان مروان عنده في الدار.

فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً و شكوا في أمره، و علموا أن عثمان لا يحلف بباطل، إلا أن قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبخته و نعرف حال الكتاب، و كيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب محمد بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، و إن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، و لزموا بيوتهم، و أبى عثمان أن يخرج إليهم مروان، و خشى عليه القتل، و حاصر الناس عثمان و منعه الماء، فأشرف على الناس، فقال:

أفيكم على؟ فقالوا: لا، أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت، ثم قال: ألا- أحد يبلغ فيسقيننا ماء، فبلغ ذلك علياً، فبعث إليه بثلاث قرب مملؤه، فما كادت تصل إليه و جرح في سببها عدّه من موالى بنى هاشم و بنى أميه حتى وصل الماء إليه، فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله، فقال: إنما أردنا منه مروان، فأما قتل عثمان فلا، و قال للحسن و للحسين: إذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحداً يصل إليه، و بعث الزبير ابنه و بعث طلحة ابنه، و بعث عدّه من أصحاب محمد أبناءهم، يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان، و يسألونه إخراج مروان» (١).

ص: ١١٢

بقي أن نذكر:

إن عمرو بن العاص لَمَّا أقام بالمدينه، أنكحه عثمان أخته لأمه: أم كلثوم ابنة عقبه بن أبي معيط، إلا أن ذلك لم يزل حقه على عثمان لأنه نزع عن مصر، و لذا، لَمَّا قام الناس ضدَّ عثمان دخل عليه نفر من قومه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن عمراً هو الذي أغرى بك. فأخرجه عثمان، فطلق عمرو امرأته، و نزل السبع من أرض فلسطين، فقال عمرو حين أخرج: لنخضب لحيه غدرت و خانت بأحمر من دماء الخوف قانٍ

و لَمَّا بلغه قتل عثمان قال: قد علمت العرب أنني إذا حككت قرحةً أدميتها (١).

أقول:

هذه خلاصه القصه، و هي مذكوره في سائر كتب القوم، يقول ابن تيميه:

«إن هذا كذب على عثمان، و قد حلف عثمان أنه لم يكتب شيئاً من ذلك، و هو الصادق البارّ بلا يمين. و غايه ما قيل: إن مروان كتب بغير علمه و أنهم طلبوا أن يسلم إليهم مروان ليقتلوه فامتنع... و أما قوله: أمر بقتل محمد بن أبي بكر. فهذا من الكذب المعلوم على عثمان... و إن ثبت أن عثمان أمر بقتل محمد بن أبي بكر، لم يطعن على عثمان، بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد بن أبي بكر أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان، لأن عثمان إمام هدى، و خليفه راشد... و ليس مروان أولى بالفتنه و الشر من محمد بن أبي بكر...» (٢).

أقول:

إن كان ما رواه القوم بأسانيدهم و ذكروه في كتبهم كذباً على عثمان، فهم الكاذبون، و أما أن عثمان خليفه راشد... فهذا أول الكلام و إلا لم يطعن عليه الطاعنون، و لم يقم ضده المسلمون....

ص: ١١٣

١- (١) تاريخ دمشق ٤٢٦، ٤٢٢، ٣٩، ٤٢٠.

٢- (٢) منهاج السنه ٢٤٤/٦-٢٤٥.

و على الجملة...فإن ابن تيميه لا يوجد عنده دليل يدافع به عن إمامه عثمان بن عفان و مروان....

٤- معاوية بن أبي سفيان

قال قدس سره: و ولى معاوية الشام....

الشرح:

و قد تقدّم بعض الكلام على معاوية بن أبي سفيان سابقاً...و لا يخفى أنّ أوّل من أتمر معاوية على الشام هو عمر بن الخطاب، فلما جاء عثمان جمع الشام كلّه لمعاوية، و قد صرّح بهذا ابن تيميه أيضاً.

٥- عبد الله بن عامر

قال قدس سره: و ولى عبد الله بن عامر العراق....

الشرح:

و هو: عبد الله بن عامر بن كريز...و هو ابن خال عثمان بن عفان، ام عثمان أروى بنت كريز. ولد بعد الهجره بأربع سنين، و توفى النبي صلّى الله عليه و آله و له ثلاث عشرة سنه. و مات سنه تسع و خمسين و قيل ستين.

و لى عثمان عبد الله بن عامر البصره و فارس فى حدائه سنّه، إذ كان ابن أربع أو خمس و عشرين سنه، فعزل أبا موسى الأشعري عن البصره و عزل عثمان بن أبى العاص عن فارس.

و قد كان ولايه ابن عامر على البصره و غيرها من جمله ما نقم الناس به عثمان (1)، فهو الذى سيّر عامر بن عبد قيس التميمي - المعروف بين الناس بالصّلاح و الزهد

ص: ١١٤

و النسك-من البصره إلى الشام، فأعظم الناس إيشخاصه و إزعاجه و كان مما نقم به على عثمان (١)، و هو الذي تصرّف في أموال المسلمين هناك، حتى دفع إلى عبد الله بن خالد بن أسيد- و هو زوج ابنه عثمان- ستمائة ألف درهم... (٢).

فإن كان كلّ ذلك بأمر من عثمان فالمصيبة أعظم.

و لما قام المسلمون على عثمان، يريدون منه عزل أمرائه على البلاد، أرسل إلى معاوية و إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح و إلى سعيد بن العاص و إلى عمرو بن العاص و إلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره. فقال له عبد الله بن عامر:

رأى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، و أن تجمّرهم في المغازي حتى يذلّوا لك، فلا يكون همّ أحدهم إلا نفسه و ما هو فيه من دبره دابّته و قمل فروه (٣).

لكن ابن عامر و معاوية لما كتب إليهما عثمان يستنجدهما لم يغنيا عنه شيئاً!!

فلما استنجد بأمر المؤمنين عليه السلام يطلب منه الوساطه، قال أمير المؤمنين عليه السلام لسعد بن أبي وقاص: «و الله ما زلت أذبّ عنه حتى أنى لأستحيى، و لكن مروان و معاوية و عبد الله بن عامر و سعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتهم أن تنجّهم استغشّنى حتى جاء ما ترى» (٤).

بل جاء في الأخبار أن أمير المؤمنين عليه السلام صارح بذلك عثمان، فجعل عثمان يدافع عن توليه ابن عامر قائلاً للإمام عليه السلام: «فلم تلومنى إن وليت ابن عامر في رحمه و قرابته؟» (٥).

ص: ١١٥

١- ١) الإنساب ٥/٥٧، المعارف: ٨٤ و ١٩٤، الإصابه ٥/٦٠.

٢- ٢) تاريخ يعقوبى ١٦٨/٢.

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٣/٣٧٣، الكامل ٣/١٤٩.

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٣/٤١٠.

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٣/٣٧٧، الكامل ٣/١٧٨.

و من هنا، فقد خاطبه محمد بن أبي بكر- في الساعات الأخيرة من عمره- قائلاً «ما أغنى عنك معاوية! و ما أغنى عنك ابن عامر!»
(١).

ثم كان عبد الله بن عامر من أصحاب طلحة و الزبير، ثم من أصحاب معاوية، و كان والياً من قبله على البصره ثلاث سنين.

هذا. و ابن تيميه لم ينكر كون الرجل من الأشقياء، و إنما قال في جواب العلامه ما نصّه:

«فالجواب: إن عبد الله بن عامر له من الحسنات و المحبّه في قلوب الناس ما لا ينكر... و إذا فعل منكراً فذنبه عليه. فمن قال: إن عثمان رضى بالمنكر الذي فعله» (٢).

قلت: بل ذكرت الكتب و الروايات أن أعماله في البصره كانت بأمر من عثمان.

٦- مروان بن الحكم

قال قدس سره: و ولى مروان أمره، و ألقى إليه مقاليد أمره، و دفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان، فحدث من الفتنة بين الأمه ما حدث.

الشرح:

و هذا من الأمور المسلّمه الثابته من أحوال عثمان و تاريخ صدر الإسلام- و فيما ذكرنا من البحوث إشارات إلى ذلك- و يكفي أن ابن تيميه أيضاً غير منكر لذلك، فإنه قال في الجواب:

«إن قتل عثمان و الفتنة لم يكن سببها مروان وحده، بل اجتمعت أمور متعدده من جملة أمور تنكر من مروان، و عثمان كان قد كبر و كانوا يفعلون أشياء لا يعلمونه بها...»

و لما قدم المفسدون الذين أرادوا قتل عثمان... و قد قيل: إنه زور عليه كتاب بقتلهم

ص: ١١٦

١- (١) البدايه و النهايه ٢٠٦/٧.

٢- (٢) منهاج السنّه ٢٤٨/٦.

و أنهم أخذوه فى الطريق... غايته أن يكون مروان قد أذنب فى إرادته قتلهم و لكن لم يتم غرضه. و من سعى فى قتل إنسان و لم يقتله لم يجب قتله، فما كان يجب قتل مروان بمثل هذا. نعم، ينبغى الاحتراز ممن يفعل مثل هذا و تأخيره و تأديبه و نحو ذلك. أما الدم فأمر عظيم» (١).

قلت: لكن الكتاب كان مختوماً بختم عثمان... كما ذكر الرواه من أهل السنه، و ليس مما «قد قيل» بل هو أمر ثابت قطعى، و القوم لم يريدوا قتل مروان و لا- عثمان، و إنما طالبوا من عثمان عزل مروان و غيره من الولاه الأشرار من أقربائه... فأبى عثمان، فانتهى الأمر إلى قتله و كان ما كان....

المورد الثانى: قال قدس سره: و كان يؤثر أهله بالأموال الكثيره من بيت مال المسلمين....

الشرح:

و هذا أيضاً من الأمور الثابته القطعيه، حتى أن المدافعين عنه قد اعترفوا به و حاولوا الجواب، قال العلامة فى نهج الحق:

إنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التى اعتدت للمسلمين. دفع إلى أربعة من قريش- و زوجهم بيناته- أربعمائه ألف دينار، و أعطى مروان مائه ألف دينار.

أجاب قاضى القضاة: بأنه ربما كان من ماله.

و اعترضه المرتضى رحمه الله: بأن المنقول خلاف ذلك. فقد روى الواقدى أن عثمان قال: إن أبا بكر و عمر كانا يناولان من هذا المال ذوى أرحامهما، و إنى ناولت منه صله رحى. و روى الواقدى: أنه بعث إليه أبو موسى الأشعري بمال عظيم من البصره، فقسمه عثمان بين ولده و أهله بالصّحاف. و روى الواقدى أيضاً قال: قدمت إبل من

ص: ١١٧

البصره فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص، وولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعه فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له. و أنكر الناس على عثمان إعطائه سعيد بن العاص مائه ألف (١).

أقول:

و الحارث بن الحكم بن أبي العاص هو أخو مروان و صهر عثمان على ابنته عائشه... و هذه القضايا التي رويت عن الواقدي رواها أو روى نحوها غيره من المؤرخين، كالبلاذري و ابن قتيبه و الطبري و غيرهم. و كان أول ما اعتذر به لعثمان هو احتمال كون تلك الأموال من ماله الخاص.

لكن الرواه قد رووا عنه التصريح بكونها من بيت المال.

ثم اعتذر بأنه إنما أعطاهم لحاجتهم إلى ذلك.

و هذا العذر مردود كذلك، لأنها كانت عطايا فوق ما تقتضيه الحاجه.

ثم اعتذر بأنها كانت لمصالح لا يعلمها إلا هو.

و هذا أفسد مما قبله، لأنه لا مصلحة للمسلمين في إعطاء الآلاف المؤلفة لمروان و سائر أصهاره و بناته! و أية مصلحة هذه لا يعلمها أحد من المسلمين حتى قاموا عليه بسببها و لم يوافقه أحد منهم فيها؟ و آخر الأعذار هو أن الأصل أن تحمل أعمال الخلفاء الراشدين على الصواب.

و لكن هذا الأصل مما لم يعلم به أحدٌ من الذين نصبوا هؤلاء للخلافه و سمّوهم بالراشدين... فإن الذين قاموا ضدّ عثمان، و حرّكوا الناس، أو خذلوه فلم يمنعوهم عنه، هم طلحه و الزبير و عمرو بن العاص و عائشه و أتباعهم.

أمّا ابن تيميه، فقد طالب بالنقل الثابت للعطايا، فقال:

ص: ١١٨

١- (١) نهج الحق و كشف الصدق: ٢٩٣-٢٩٤.

فالجواب أن يقال: أين النقل الثابت بهذا؟ نعم، كان يعطى أقاربه عطاءً كثيراً، و يعطى غير أقاربه أيضاً، و كان محسناً إلى جميع المسلمين، و أما هذا القدر الكثير، فيحتاج إلى نقل ثابت (١).

قلت:

لا يخفى ما اشتمل عليه كلامه:

أولاً: «كان يعطى أقاربه عطاءً كثيراً»، فهو يعترف بكثرة العطاء لهم، لكن لا يدعى أنه كان يعطيهم من ماله و لا يصرح بكونه من بيت المال!

و ثانياً: «يعطى غير أقاربه أيضاً»، فلا يدعى العطاء الكثير لغير أقاربه، لعدم وجود ذلك أصلاً.

ثم إنه يطالب بالنقل الثابت بهذا القدر الكثير، فنقول:

فأى مقدار هو الذى اعترفت به بقولك «عطاءً كثيراً»؟

و أى نقل هو النقل الثابت برأيك؟ و لو كان مجالاً للتشكيك فى ثبوت النقل بذلك لشكك غيرك من قبلك!

ثم اضطرر لأن يكذب جميع القائلين بذلك و الرواه له من أبناء مذهبه فقال:

ثم يقال ثانياً: هذا من الكذب البين، فإنه لا عثمان و لا غيره من الخلفاء الراشدين أعطوا أحداً ما يقارب هذا المبلغ....

لكن روى جميع المؤرخين و المؤلفين من أهل السنه بالوضع على عثمان بما يوجب الطعن فى عدالته و خلافته... لا يصدر إلا من مثل ابن تيميه من أهل التهؤر و المجازفه و الجراه....

و على الجملة، فإن عمده الكلام هو تصرفه فى بيت المال و إيثاره لأهله و أقاربه

ص: ١١٩

دون سائر المسلمين، الأمر الذي نقم عليه به المسلمون و قاموا يطالبون بخلعه، و انتهى الأمر إلى قتله...فما ذكروه في الدفاع عنه و تخطئه المسلمين- لا سيما الذين ولّوه من أهل الحلّ و العقد كما يدّعون- لا ينفعه بحال من الأحوال.

المورد الثالث: قال قدس سره: و كان ابن مسعود يطعن عليه و يكفره.

الشرح:

عبد الله بن مسعود يعدّ من أكبر و أشهر صحابه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و له في كتبهم فضائل يروونها بحقّه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، حتى أنهم رووا عنه أنه قال: «تمسّكوا بعهد ابن مسعود» (١) و أنه قال: «رضيت لكم ما رضى به ابن أم عبد» (٢) يعنى: عبد الله بن مسعود.

و لكن لا- حجه في الحديثين، لسقوط الأوّل منهما سنداً، و لأنّ الثاني وارد في الحديث بعد أن قال ابن مسعود: رضيت بالله ربّاً... فكان النبي راضياً بما رضى به ابن مسعود... و قد أوضحنا ذلك في كتابنا الكبير (٣).

و لكن القائلين بصحّ الحديثين، و بجلاله قدر ابن مسعود، ملزمون باقتضاء ذلك ضلاله عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان، و كونهما ظالمين مخالفين لأمر الله و رسوله!

و ذلك لما ورد عندهم من منع عمر ابن مسعود من الإفتاء و حبسه في المدينة المنوّره، فقد أخرج الدارمي بإسناده أن عمر قال لابن مسعود: «ألم أنبأ- أو أنبئت- أنك تفتى و لست بأمرير! ولّ حارّها من تولّى قارّها» (٤).

ص: ١٢٠

١-١) سنن الترمذى ٣٣٦/٥.

٢-٢) المستدرک ٣١٩/٣.

٣-٣) نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار فى إمامه الأئمه الأطهار ٦٥/٣-٧٥.

٤-٤) سنن الدارمى ٦١/١.

و أخرج ابن سعد بإسناده: «قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله؟ قال: أحسبه قال: لو لم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات» (١).

وقال الذهبي: «إن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله» (٢).

و أما قضيه عثمان مع ابن مسعود فثابته عندهم كذلك:

قال يعقوب بن في قصة المصاحف بعد كلام له: «فأمر به عثمان فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلّمت عائشه وقالت قولاً كثيراً... واعتلّ ابن مسعود فأتاه عثمان يعبده، فقال له:

ما كلامٌ بلغني عنك؟

قال: ذكرت الذي فعلت بي. إنك أمرت بي فوطئ جوفى، فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر. و منعتنى عطائي.

قال: فإنني أريدك من نفسي، فافعل بي مثل الذي فعل بك.

قال: ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء.

قال: هذا عطاؤك فخذ.

قال: منعتنه وأنا محتاج إليه تعطينه وأنا غني عنه؟! لا حاجة لي به.

فانصرف، فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمار بن ياسر، وكان عثمان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى عثمان القبر فقال: قبر من هذا؟

ف قيل: قبر عبد الله بن مسعود.

قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟

ص: ١٢١

١- (١) الطبقات الكبرى ٣٣٦/٢.

٢- (٢) تذكّره الحفاظ ٧/١.

فقالوا:ولى أمره عمار بن ياسر، و ذكر أنه أوصى ألا يخبره به.

و لم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد، فصلّى عليه عمار و كان أوصى إليه و لم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار و قال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليماً» (١).

و فى المعارف فى خلافة عثمان: «و كان مما نعموا على عثمان: أنه... طلب إليه عبد الله بن خالد بن أسيد صله فأعطاه أربعمائه ألف درهم من بيت مال المسلمين.

فقال عبد الله بن مسعود فى ذلك، فضربه إلى أن دقّ له ضلعين...» (٢).

و فى (الرياض النضرة ١٦٣/٢) و (الخميس ٢٦١/٢) و (تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٥٨) و اللفظ للأول: «فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، و زاد ذلك غضب من غضب لأجل ابن مسعود و أبى ذر و عمار».

و انظر:

تاريخ الطبرى و الكامل فى التاريخ و العقد الفريد و أسد الغابه و غيرها.

و مع هذا كله، فقد كذب ابن تيميه الخبر قائلاً: «فهذا كذب باتفاق أهل العلم» (٣)!

و كذلك كذب به ابن روزبهان قائلاً: «ضرب عثمان عبد الله بن مسعود مما لا روايه فيه أصلاً إلا لأهل الرفض، و أجمع الرواه من أهل السنّه أن هذا كذب و افتراء، و كيف يضرب عثمان عبد الله بن مسعود و هو من أخص أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و من علمائهم...» (٤).

قلت: و هذا هو الإشكال، و رواه الخبر من أهل السنه لا من الروافض، فإن كانوا

ص: ١٢٢

١-١ (١) تاريخ يعقوبى ١٧٠/٢-١٧١.

٢-٢ (٢) المعارف: ١٩٤.

٣-٣ (٣) منهاج السنّه ٢٥٢/٦.

٤-٤ (٤) انظر: دلائل الصدق ٢٧٣/٣.

كاذبين على عثمان فما ذنبنا؟ بل القضية ثابتة لورودها في أخبارنا أيضاً، لكن القوم يسعون للستر على عثمان، ويشهد بذلك الاعتذار له بالأعداء المختلفه، كقولهم: إن للإمام تأديب غيره، و قولهم: إن الذي ضربه بعض موالى عثمان لما سمع وقيعته فيه، و قولهم: كلّ منهما مجتهد فلا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر....

هذا، و الذى يستفاد من الروايات: تعدّد السبب فى ضرب ابن مسعود-بل تكرّره أيضاً-لأن ابن مسعود قد خالف عثمان و قام بما يغضبه عليه فى أمور متعدّده مهمّه:

١-قضيّه دفن أبى ذر الغفارى فى الربذه، لأن من الطبيعى أن يتأذى عثمان من تجهيز و دفن من نفاه، لا سيّما و القائم بذلك هو ابن مسعود صاحب المقام الجليل بين الصّحابه، لأن فى ذلك ردّاً واضحاً على عثمان و ما فعله بأبى ذر.

٢-قضيّه حرق المصاحف. و هى قضيه معروفه ثابتة، و موقف ابن مسعود ممّا فعله عثمان واضح معروف لا يمكن لأحد إنكاره.

٣-قضيّه تصرّف عثمان فى بيت المال و إيثاره أهله و ذويه بأموال المسلمين، فقد كان ابن مسعود من جمله المعترضين و الناقلين كسائر كبار الصّحابه و التابعين.

المورد الرابع: قال قدس سره: و ضرب عمّاراً حتى صار به فتق، و قد قال فيه النبى....

اشاره

الشرح:

الحديث الذى ذكره مخرّج فى الصحيحين و غيرهما من كتب القوم، و مثله أحاديث اخرى فى فضل عمار بن ياسر-رضى الله عنه-متفق عليها بين الفريقين، منها: قوله صلى الله عليه و آله: «و اهتدوا بهدى عمّار» فإن معناه صحيح، لأنه كان من أتباع أمير المؤمنين و أصحابه....

لكن القوم لم يهتدوا بهديه، فمثلاً: لما جهل عمر بن الخطاب بمسأله التيمّم و ذكره عمار قال عمر له: «إتق الله يا عمّار. قال: يا أمير المؤمنين، إن شئت لم أذكره ما

ص: ١٢٣

عشت-أو:ما حييت-قال:كلًا و الله،و لكن نوليّك من ذلك ما تولّيت» (١).

و كذلك القضايا الأخرى التى وقعت بين عمار و سائر كبار الصحابه، كعبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبى وقاص و أبى موسى الأشعري و غيرهم، فى قضايا مختلفه،و كذلك طلحه و الزبير و عائشه فى قضيه حرب الجمل و خروجهم على على عليه السلام و عمّار معه....

و أمّا قضيه عثمان و ما فعله بعمار، فثابته كذلك فى كتب القوم،و هى من جمله ما أنكره الناس على عثمان،و إليك بعض الكلمات:

قال ابن قتيبه:«ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله-قال:و ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبى عليه السلام،فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنّه رسول الله و سنّه صاحبيه...ثم تعاهد القوم،ليدفعنّ الكتاب فى يد عثمان،و كان ممن حضر الكتاب عمّار بن ياسر و المقداد بن الأسود،و كانوا عشره،فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان-و الكتاب فى يد عمار-جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقى وحده،فمضى حتى جاء دار عثمان،فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات،فدخل عليه و عنده مروان بن الحكم و أهله من بنى أميه،فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له:أنت كتبت هذا الكتاب؟قال:

نعم،قال:و من كان معك؟قال:كان معى نفر تفرّقوا فرقاً منك قال:و من هم؟قال:

لا- أخيرك بهم،قال:فلم اجترأت على من بينهم؟فقال مروان:يا أمير المؤمنين،إن هذا العبد الأسود-يعنى عماراً-قد جرّأ عليك الناس و إنك إن قتلته نكلت به من وراءه.

قال عثمان:إضربوه.فضربوه و ضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه، فجزّوه حتى طرحوه على باب الدار،فأمرت به أم سلمه زوج النبى صلّى الله عليه و سلّم فأدخل منزلها.

ص:١٢٤

١- ١) مسند أحمد ٢٦٥/٤، صحيح مسلم ١٩٣/١، تفسير الطبرى ١٥٩/٥، عمده القارى بشرح صحيح البخارى ١٩/٤، جامع الأصول ١٤٩/٨، ١٥١.

و غضب فيه بنو المغيرة و كان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما و الله لئن مات عمار من ضربه هذا، لأقتلنّ به رجلاً عظيماً من بنى أميّه، فقال عثمان: لست هناك» (١).

و قال ابن عبد ربّه: «و من حديث الأعمش- يرويه أبو بكر بن أبي شيبة- قال: كتب أصحاب عثمان عيبه و ما ينقم الناس عليه فى صحيفه، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ فقال عمار: أنا، فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: و بأنف أبي بكر و عمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه.

ثم ندم عثمان و بعث إليه طلحه و الزبير يقولان: اختر احدى ثلاث، إمّا أن تعفو و إمّا أن تأخذ الأرش و إمّا أن تقتصص، فقال: و الله لا قبلت واحده منها حتى ألقى الله. قال أبو بكر:

فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح فقال: ما كان على عثمان أكثر مما صنع» (٢).

و قال المسعودى: «و فى سنه خمس و ثلاثين، كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه، و ظهر عليه النكير، لأشياء ذكروها من فعله، منها: ما كان بينه و بين عبد الله بن مسعود و انحراف هذيل عن عثمان من أجله، و من ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتق و الضرب و انحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله...» (٣).

و قال ابن عبد البر: «و للحلف و الولاء اللذين بين بنى مخزوم و بين عمار و أبيه ياسر، كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له فتق فى بطنه و رجموا و كسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم و قالوا: و الله لئن مات لاقتلنا به أحداً غير عثمان» (٤).

ص: ١٢٥

١- ١) الإمامه و السياسه ١/٥٠-٥١.

٢- ٢) العقد الفريد ٢/١٩٢.

٣- ٣) مروج الذهب ٢/٣٣٨.

٤- ٤) الاستيعاب ٣/١١٣٦.

و قال اليعقوبى: «فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفى، و صلى عليه عمار بن ياسر و كان عثمان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى القبر، فقال قبر من هذا؟ فقيل: قبر عبد الله بن مسعود، قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولى أمره عمار بن ياسر، و ذكر أنه أوصى أن لا- يخبر به، و لم يلبث إلا- يسيراً حتى مات المقداد، فصلى عليه عمار، و كان أوصى إليه و لم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار و قال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليماً» (١).

و روى الطبرى و ابن الأثير فى قصه مسير الحسن عليه السلام و عمار رضى الله عنه إلى الكوفه- و اللفظ للأول: «فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أول من اتاهما مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما و أقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، على ما قتلت عثمان رضى الله عنه؟ قال: على شتم أعراضنا و ضرب أبشارنا، فقال: و الله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، و لئن صبرتم لكان خيراً للصابرين» (٢).

و فى (النهايه) و (تاج العروس) و (لسان العرب) فى ماده «صبر»: «و فى حديث عمار حين ضربه عثمان، فلما عوتب فى ضربه إياه قال: هذى يدي لعمار فليصطبر.

معناه: فليقتص.»

رسول الله: من عادى عماراً عاداه الله

إذا عرفت ذلك و أحطت خبراً بصنيع عثمان، فلنورد طرفاً من الأحاديث الواردة فى ذم بغض عمار رضى الله عنه:

قال ابن عبد البر: «و من حديث خالد بن الوليد: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من أبغض عماراً أبغضه الله تعالى. قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ» (٣).

ص: ١٢٤

١- ١) تاريخ اليعقوبى ١٧٠/٢-١٧١.

٢- ٢) الطبرى ٤٩٧/٣، الكامل ٢٢٧/٣-٢٢٨.

٣- ٣) الإستيعاب ١١٣٨/٣.

وقال الحافظ ابن حجر: «عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمّار كلام فأغلظت له، فشكاني إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فجاء خالد فرفع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم رأسه فقال: من عادى عمّاراً عاداه الله و من أبغض عمّاراً أبغضه الله» (١).

و في أسد الغابه عن أحمد بن حنبل و المشكاه و المرقاه و اللفظ للأول: «عن علقمه عن خالد بن الوليد قال: كان بيني و بين عمار كلام فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فجاء خالد و هو يشكوه إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم قال: فجعل يغلظ له و لا يزيد إلا غلظه و النبي ساكت لا يتكلم، فبكى عمار فقال: يا رسول الله ألا تراه؟ فرفع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم رأسه و قال: من عادى عمّاراً عاداه الله و من أبغض عمّاراً أبغضه الله.

قال خالد: فخرجت، فما كان شيء أحب إليّ من رضى عمار، فلقيته فرضى» (٢).

و روى المتقى الهندي: «كف يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عمّاراً يبغضه الله و من يلعن عمّاراً يلعنه الله. ابن عساكر عن ابن عباس.

من يحقر عمّاراً يحقره الله، و من يسب عمّاراً يسبه الله، و من يبغض عمّاراً يبغضه الله. ع. و ابن قانع. طب. ض عن خالد بن الوليد.

يا خالد: لا- تسب عمّاراً، إنه من يعادى عمّاراً يعاديه الله، و من يبغض عمّاراً يبغضه الله، و من يسب عمّاراً يسبه الله و من يسفه عمّاراً يسفه الله، و من يحقر عمّاراً يحقره الله. ظ و سمويه، طب. ك. عن خالد بن الوليد» (٣).

و قال نور الدين الحلبي: «و في الحديث: من عادى عمّاراً عاداه الله و من أبغض عمّاراً أبغضه الله. عمار يزول مع الحق حيث يزول. [عمار] خلط الإيمان بلحمه و دمه.

ص: ١٢٧

١- ١) الإصابه ٤/٤٧٤.

٢- ٢) اسد الغابه ٤/٤٥، مشكاه المصاييح ٥/٦٤١ هامش المرقاه.

٣- ٣) كنز العمال ١٣/٥٣٣ و ٥٣٤.

عمّار ما عرض عليه أمران إلا- اختار الأرشد منهما. وجاء: إن عماراً دخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: مرحباً بالطيب المطيب، إن عمّار بن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحمه أذنه إيماناً، و فى روايه: إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه و دمه. و تخاصم عمار مع خالد بن الوليد فى سريه كان فيها خالدٌ أميراً، فلما جاء إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استبأ عنده، فقال خالد: يا رسول الله أيسرّك أن هذا العبد الأجدع يشتمنى؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا خالد، لا تسبّ عماراً، فإن من سبّ عمّاراً فقد سبّ الله، و من أبغض عماراً أبغضه الله، و من لعن عماراً لعنه الله، ثم إن عماراً قام مغضباً، فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه و اعتذر إليه فرضى عنه» (١).

أقول:

و هنا أيضاً حاولوا الدفاع عن عثمان و تبرير ما فعل، فزعم بعضهم: إن الذى ضربه بعض غلمان عثمان، و أضاف آخر فقال: بغير إذنه. لكن الأ- كثر قالوا: إن عماراً قد أساء الأدب، و للإمام أن يعزّر و يؤدّب، و هذا كلام القاضى عبد الجبار و التفتازانى و ابن تيميه، فإنه قال: «و فى الجملة، فإذا قيل: إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عمّاراً، فهذا لا يقدر فى أحد منهم، فإننا نشهد أن الثلاثه فى الجنّه و أنهم من أكابر أولياء الله المتّقين. و قد قدّمنا أن ولى الله قد يصدر منه ما يستحق العقوبه الشرعيه فكيف بالتعزير؟».

قالوا هذا و نحوه، و كأنهم قد تناسوا ما رووا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فى الثناء على عمّار و مدحه، و التحذير من سبّه و بغضه، فكيف بالضرب الموجب لغشوته؟ و كأنهم فهموا منه ما لم يفهمه كبار الصحابه و التابعين، الذين أنكروا على عثمان ضرب عمّار و إهانتة!!

ص: ١٢٨

المورد الخامس: قال قدس سره: و طرد رسول الله صلى الله عليه وآله

الحكم بن أبى العاص عم عثمان عن المدينة و معه ابنه مروان، فلم يزل طريداً هو و ابنه....

الشرح:

و قد ذكر رحمه الله فى نهج الحق هذا المورد بتفصيل أكثر فقال:

إنه ردّ الحكم بن أبى العاص إلى المدينة، و هو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان قد طرده و أبعدته عن المدينة، و امتنع أبو بكر من ردّه فصار عثمان بذلك مخالفاً للسنة، و لسيره من تقدّم، مدّعياً على رسول الله صلى الله عليه وآله، عاملاً بدعواه من غير بينه.

أجاب قاضى القضاة: بأنه قد نقل أن عثمان لما عوتب على ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله.

اعترضه المرتضى: بأن قول قاضى القضاة هذا لم يسمع من أحد، و لا نقل فى كتاب، و لا يعلم من أين نقله القاضى، أو فى أى كتاب و جده، فإن الناس كلهم رووا خلافه. قال الواقدى، من طرق مختلفه و غيره: إن الحكم بن أبى العاص لما قدم المدينة بعد الفتح، أخرجته النبى صلى الله عليه وآله إلى الطائف و قال: لا يساكننى فى بلد أبداً، لأنه كان يتظاهر بعداوه رسول الله صلى الله عليه وآله، و آله، و الوقيعه فيه، حتى بلغ به الأمر إلى أنه كان يعيب النبى فى مشيه، فطرده النبى و أبعدته و لعنه، و لم يبق أحد يعرفه إلا بأنه طريد رسول الله، فجاء عثمان إلى النبى، و كلمه فيه فأبى، ثم جاء إلى أبى بكر و عمر، زمن ولايتهما، فكلمهما فيه، فأغلظا عليه القول و زبراه، و قال له عمر: يخرج رسول الله، و تأمرنى أن أدخله، و الله لو أدخلته لم آمن من قول قائل: غير عهد رسول الله، و كيف أخالف رسول الله، فإياك يا ابن عفان أن تعاودنى فيه بعد اليوم.

فكيف يحسن من القاضى هذا العذر، و هلاً اعتذر به عثمان عند أبى بكر و عمر،

و سلم من تهجينهما إياه، وخلص من عتابهما عليه، مع أنه لما رده جاءه على عليه السلام، وطلحه و الزبير، و سعد، و عبد الرحمن بن عوف، و عمار بن ياسر، فقالوا: «إنك أدخلت الحكم و من معه، و قد كان النبي صلى الله عليه و آله أخرجهم، و إننا نذكرك الله، و الإسلام، و معادك، فإن لك معاداً و منقلباً، و قد أبت ذلك الولاة قبلك، و لم يطمع أحد أن يكلمهما فيهم، و هذا شيء نخاف الله فيه عليك»....

فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما تعلمون، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله أخرجهم عن الحكم، و لن يضركم مكانهم شيئاً، و في الناس من هو شرّ منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا أحد شرّ منه و لا منهم، ثم قال: هل تعلم عمر يقول: «و الله ليحملنّ بنى أبي معيط على رقاب الناس؟ و الله لئن فعل ليقتلنه؟» فقال عثمان: ما كان منكم أحد يكون بينه و بينه من القرابه ما بيني و بينه، و ينال في المقدره ما نلت، إلا كان سيدخله، و في الناس هو شرّ منه. فغضب على و قال: «و الله، لتأتينا بشر من هذا إن سلمت، و ستري يا عثمان غبّ ما تفعل».

فهلّا اعتذر عند على و من معه بما اعتذر به القاضى».

أقول:

و موجز الكلام حول الحكم بن أبى العاص و قضيته (1) هو:

إن الحكم كان جاراً لرسول الله صلى الله عليه و آله في الجاهليه، و كان أشدّ جيرانه أذىً له في الإسلام، قدم المدينة بعد فتح مكة، فكان يؤذى النبي صلى الله عليه و آله، فكان يجلس عنده، فإذا تكلم صلى الله عليه و آله اختلج، فبصر به النبي فقال: كن كذلك، فما زال يختلج حتى مات. و في يوم من الأيام، أطلع على رسول الله من باب بيته - و هو عند بعض نساءه - فخرج صلى الله عليه و آله بالعنزّه و قال: من عذيري من

ص: ١٣٠

هذا الوزغه، لو أدركته لفقات عينه. و لعنه و ولده... و نفاه إلى الطائف قائلاً: لا يساكننى.

و أما لعنه، فالأحاديث متعددة. من ذلك:

إنه استأذن على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنه الله عليه و على من يخرج من صلبه إلا المؤمنين و قليل ما هم، ذوو مكر و خديعه، يعطون الدنيا و ما لهم فى الآخرة من خلاق.

و فى آخر: إنه صَلَّى الله عليه و آله قال: «يدخل عليكم رجل لعين» فدخل الحكم.

و قد أخبر بذلك عن رسول الله جمع من الصحابه، كعائشه و عبد الله بن الزبير و غيرهما.

هذا، بالإضافة إلى أنه من الشجره الملعونه فى القرآن، و الأحاديث الوارده فى ذيل تلك الآيه كثيره.

ثم إن النبى صَلَّى الله عليه و آله قد توفى و الحكم فى المنفى، فجعل عثمان يسعى من ذلك الوقت فى إعادته إلى المدينه، فكلم أبا بكر فأبى، ثم كلم عمر فى حكومته فأبى ذلك و كان جواب كل منهما: ما كنت لأوى طرداء رسول الله. و عند بعضهم: أنهما قالوا:

لا أحل عقده عقدها رسول الله. و روى بعضهم أنه قال لأبى بكر: عمى. فقال أبو بكر:

عمك إلى النار، هيهات هيهات أن أغير شيئاً فعله رسول الله، و الله لا رددته أبداً.

فلما مات أبو بكر كلم عمر فى ذلك فقال له: ويحك يا عثمان، تتكلم فى لعين رسول الله و طريده و عدو الله و عدو رسوله؟!!

فلما ولى عثمان ردّ الحكم و من معه إلى المدينه.

قالوا: فاشتد ذلك على المهاجرين و الأنصار، و أنكر ذلك عليه أعيان الصحابه عليه و قالوا، فادعى أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قد وعده رده إلى المدينه، لكن أحداً من الصحابه لم يصدق، بل كان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه.

لكن عثمان ما اكتفى برّد الحكم و إيوائه، بل أعطاه مئآت الآلاف من الدراهم، ففى

و بايعه، فكيف لا- يقبل شفاعته في الحكم؟ وقد رووا أن عثمان سأل النبي أن يرده فأذن له في ذلك، ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن أبي سرح، وقصه عبد الله ثابتة معروفة بالإسناد الثابت، وأما قصه الحكم فعامة من ذكرها إنما ذكرها مرسله....

و المعلوم من فضائل عثمان...مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه، فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده و لا يعرف كيف وقع، و يجعل لعثمان ذنب بأمر لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضون المحكم بالمتشابه، و هذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ الذين يتغون الفتنة، و لا ريب أن الرافضة من شرار الزائغين الذين يتغون الفتنة الذين ذمهم الله و رسوله.

و بالجمله، فنحن نعلم قطعاً أن النبي لم يكن يأمر بنفى أحد دائماً ثم يرده عثمان معصية لله و رسوله، و لا ينكر عليه المسلمون، و كان عثمان أتقى لله من أن يقدم على مثل هذا، بل هذا مما يدخله الاجتهاد، فلعل أبا بكر و عمر لم يرذاه لأنه لم يطلب ذلك منهما و طلبه من عثمان فأجابه إلى ذلك، أو لعله لم يتبين لهما توبته و تبين ذلك لعثمان.

و غايه ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الاجتهاد أو ذنباً. و قد تقدم الكلام على ذلك» (١).

أقول:

هذا تمام كلام ابن تيميه:

فمنه: ما لا دخل له في البحث، فلا نتعرض له، كقوله: إن كان طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، و لو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة.

و منه: إنكاراً للحقيقه الثابته و تكذيب للعلماء الكبار من أهل السنه الرواه للخبر.

و منه: دعوى طعن كثير من أهل العلم في نفيه و قولهم هو ذهب باختياره. فمن

ص: ١٣٣

هم هؤلاء الكثره من أهل العلم؟ كأنه يقصد نفسه و من حوله من طلبته!!

و منه:التناقض الواضح،فهو فى حين يحاول ردّ خبر الطرد فيقول:قصه نفي الحكم ليست فى الصحاح...و قد ذكرها المؤرخون الذين يكتر الكذب فيما يروونه.

يعتمد على خبر سؤال عثمان النبى صلّى الله عليه و آله فى ردّ الحكم قائلاً:«و قد رووا أن عثمان سأل النبى أن يرده فأذن له فى ذلك»فهذا تناقض،لأن هذا الخبر ليس فى الصحاح،ثم من الذين «رووا»؟لما ذا لا يذكر أسنادهم و لا أسمائهم؟

و منه:كتم الحقائق،فإن أبا بكر و عمر ما كان إباؤهما عن ردّ الحكم عن اجتهاد منهما،بل قال أبو بكر«هيئات هيئات أن أغير شيئاً فعله رسول الله،و الله لا رددته أبداً» و عن عمر أنه قال:«ويحك يا عثمان،تتكلم فى لعين رسول الله و طريده و عدوّ الله و عدوّ رسوله».و عثمان ما كان إرجاعه للحكم اجتهاداً منه،بل صلّه لرحمه كما قال هو، هذا الرحم الذى نصّ أبو بكر و عمر و المسلمون على أنه«عدوّ الله و عدوّ رسوله»!

و أيضاً:قال:(و لا ينكر عليه ذلك المسلمون)فكتم الحقيقة الواضحة فى أن قصه إيواء الحكم من جملة أسباب قيام المسلمين ضدّ عثمان.

ثم التجأ ابن تيميه إلى الاحتمالات،فاحتمل ما لا- أساس له أبداً،كاحتمال توبه الحكم فى زمن عثمان،و احتمال أن الحكم قد طلب منه إرجاعه إلى المدينة و لم يطلب ذلك من أبى بكر و عمر...فهذه احتمالات لا توجد فى شىء من الروايات و الكلمات.

حتى اضطرّ بالتالى إلى أن يقول-و كأنه يشعر بسقوط ما قال-«و غايه ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الإجتهد أو ذنباً»و لكن:لن يصلح العطار ما أفسده الدهر.

المورد السادس:قال قدس سره:و نفى أبا ذر إلى الربذه

الشرح:

و هذا أيضاً من موارد الطعن على عثمان.فهو تارة:يردّ من لعنه رسول الله صلّى

ص:١٣٤

اللّٰه عليه وآله وطرده، وأخرى: يطرد من أحبه رسول الله وقربه وأدناه.

و فضائل أبي ذر و مناقبه كثيره:

ففى الصحيح عن بريده عن النبى صلّى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله أمرنى بحبّ أربعة و أخبرنى أنه يحبّهم: على و أبو ذر و المقداد و سلمان» (١).

أمّا أن عثمان نفاه من المدينة، فذاك ما وردت به رواياتهم و صرّحت به كلماتهم.

قال البلاذرى:

أمر أبى ذر جندب بن جناده الغفارى رضى الله عنه، من بنى كنانه بن خزيمه.

قالوا: لمّا أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، و أعطى الحارث بن الحكم بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم، و أعطى زيد بن ثابت الأنصارى مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول بشّر الكانزين بعذاب أليم و يتلو قول الله عز و جلّ: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ» الآية. فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبى ذر ناتلاً مولاه أن انته عمّا يبلغنى عنك. فقال: أ ينهانى عثمان عن قراءه كتاب الله و عيب من ترك أمر الله، فوالله لأئن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إلى و خير لى من أن أسخط الله برضاه، فأغضب عثمان ذلك و أحفظه، فتصابر و كفّ.

و قال عثمان يوماً: أ يجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين، أ تعلمنا ديننا؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لى و أولعك بأصحابى، الحق بمكتبك، و كان مكتبه بالشام إلا أنه كان قدم حاجاً و يسأل عثمان الإذن له فى مجاوره قبر رسول الله صلّى الله عليه و آله فيأذن له فى ذلك، و إنما صار مكتبه بالشام، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً: إنى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب»، فأذن لى آت الشام

ص: ١٣٥

١- ١) سنن الترمذى ٢٩٩/٥، ابن ماجه ٥٣/١، المستدرک ١٣٠/٣ و صحّحه. و هو بترجمته من الاستيعاب و الإصابه و حليه الأولياء لأبى نعيم الإصفهانى.

فأغزو هناك، فأذن له.

و كان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، و بعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال:

إن كانت من عطائي الذي حرمتموني عامي هذا قبلتها، و إن كانت صلّة فلا حاجة لي فيها.

و بعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلي بمال؟ و ردّها. و بني معاوية الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، و إن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية.

و كان أبو ذر يقول: و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، و الله ما هي في كتاب الله و لا سنه نبيه، و الله إنني لأرى حقاً يطفأ، و باطلاً يحيى، و صادقاً يكذب، و أثره بغير تقى، و صالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندباً إلى علي أغلظ مركب و أوعره، فوجه معاوية من سار به الليل و النهار، فلما قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: يستعمل الصبيان و يحمى الحمى و يقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان إلحق بأى أرض شئت، فقال: بمكة، فقال: لا، قال: فبيت المقدس، قال: لا، قال: فبأحد المصرين، قال: لا، و لكنى مسيرك إلى الربذه، فسير إليها، فلم يزل بها حتى مات.

و يقال: إن عثمان قال لأبى ذر حين قدم من الشام: قربنا يا أبا ذر خير لك من بعدنا، يغدى عليك باللقاح و يراح. فقال: لا حاجة لي في دنياكم، و لكنى آتى الربذه، فأذن له في ذلك فأتاها و مات بها.

حدّثنى محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن الغار، حدّثنا مكحول قال: قدم حبيب بن مسلمة من أرمينية، فمرّ بأبى ذر بالربذه، فعرض عليه خادمين معه و نفقه، فأبى قبول ذلك، فقال له: ما أتى بك هاهنا؟ قال: نفسى، رأيت ما هاهنا أسلم لي.

حدّثنى محمد عن الواقدي عن عبد الله بن سمعان عن أبيه أنه قيل لعثمان: إن

أبا ذر يقول: إنك أخرجته إلى الربذه، فقال: سبحان الله، ما كان من هذا شيء قط، وإني لأعرف فضله و قديم إسلامه، و ما كنا نعدّ في أصحاب النبي صَلَّى الله عليه و آله أكل شوكة منه.

و حدّثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن فضيل بن خديج عن كميل بن زياد قال: كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام، و كنت بها في العام المقبل حين سيّره إلى الربذه.

و حدّثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتاده قال: تكلم أبو ذر بشيء كرهه عثمان فكذبّه فقال: ما ظننت أن أحداً يكذبني بعد قول رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «ما أقلت الغبراء و لا أطبقت الخضراء على ذي لهجه أصدق من أبي ذر»، ثم سيّره إلى الربذه. فكان أبو ذر يقول: ما ترك الحق لي صديقاً، فلما سار إلى الربذه قال:

ردّني عثمان بعد الهجره أعرابياً.

قال: و شيع علي أبا ذر، فأراد مروان منعه منه، فضرب علي بسوطه بين أذني راحلته، و جرى بين علي و عثمان في ذلك كلام حتى قال عثمان: ما أنت عندى بأفضل منه، و تغالظا، فأنكر الناس قول عثمان و دخلوا بينهما حتى اصطلحا.

و قد روى أيضاً: أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذه قال: رحمه الله، فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا، فقال عثمان: يا عاض أير أبيه، أتراني ندمت على تسييره؟ و أمر فدفن في قفاه و قال: إلحق بمكانه، فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى علي فسألوه أن يكلم عثمان فيه، فقال له علي: يا عثمان إتق الله، فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، و جرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه، فقال علي: رم ذلك إن شئت، و اجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيّره و نفيته، فإن هذا شيء لا يسوغ، فكفّ عن عمار.

حدّثني محمد عن الواقدي عن موسى بن عبيده عن [عبد الله بن] خراش الكعبي قال: وجدت أبا ذر بالربذه في مظلّه شعر فقال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحق لي صديقاً.

حدّثني محمد عن الواقدي عن شيبان النحوي عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قلت لأبي ذر: ما أنزلك الربذه قال: نصحي لعثمان و معاوية.

محمد عن الواقدي عن طلحه بن محمد عن بشر بن حوشب الفزاري عن أبيه قال: كان أهلي بالشربه، فجلبت غنماً لي إلى المدينه فمررت بالربذه و إذا بها شيخ أبيض الرأس واللحية، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، و إذا هو في حفش و معه قطعه من غنم، فقلت: و الله ما هذا البلد بمحلّه لربي غفار، فقال:

أخرجت كارهاً. فقال بشر بن حوشب فحدّثت بهذا الحديث سعيد بن المسيب، فأنكر أن يكون عثمان أخرجه و قال: إنما خرج أبو ذر إليها راغباً في سكنائها.

و قال أبو مخنف: لما حضرت أبا ذر الوفاء بالربذه، أقبل ركب من أهل الكوفه فيهم جرير بن عبد الله البجلي، و مالك بن الحارث الأشتر النخعي، و الأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد النخعي، و علقمه بن قيس بن يزيد عمّ الأسود في عده آخرين، فسألوا عنه ليسلموا عليه فوجدوه و قد توفى، فقال جرير: هذه غنيمه ساقها الله إلينا، فحطّطه جرير و كفّنه و دفنه و صلّى عليه و يقال بل صلّى عليه الأشتر و حملوا امرأته حتى أتوا بها المدينه، و كانت وفاته لأربع سنين بقيت من خلافة عثمان، و قال الواقدي:

صلّى عليه ابن مسعود بالربذه في آخر ذي القعدة سنة إحدى و ثلاثين.

و حدّثنا عفان بن مسلم، حدّثنا معتمر بن سليمان، حدّثنا أيوب، حدّثنا سليمان بن المغيرة، حدّثنا حميد بن هلال: أن رفته خرجوا من الكوفه لحجه أو عمره فأتوا الربذه، فبعثوا رجلاً يشتري لهم شاه، فأتى على خباء فقال: هل عندكم جزره؟ فقالت أم ذر: أو خير من ذلك؟ قال: و ما هو؟ قالت: مات أبو ذر و الناس خلوف، و ليس عنده أحد يغسله

و يجنّيه، و قد دعا الله أن يوفّق قوماً صالحين يغسّـلونه و يدفنونه، فرجع الرجل فأعلمهم، فأقبلوا مسارعين و معهم الكفن و الحنوط، فقاموا بأمره حتى أجنوه.

و روى الواقدي عن هشيم في إسناده: أن أبا ذر رضي الله عنه مات، فقالت امرأته:

بينما أنا جالسه عنده و قد توفي، إذ أقبل ركب فسلموا فقالوا: ما فعل أبو ذر؟ قلت: هو هذا ميتاً قد عجزت عن غسله و دفنه، فأناخوا فحفروا له و غسّـلوه. و أخرج جرير بن عبد الله حنوياً و كفنناً فحنطه و كفنه، ثم دفنوه و حملوها إلى المدينة، فقالت: حدّثني أبو ذر قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إنك تموت بأرض غربه و أخبرني أنه يلي دفني رهط صالحون».

و حدّثت عن هشام بن العوام بن حوشب عن رجل من بني ثعلبه بن سعد قال:

رأيت أبا ذر و قوم يقولون له فعل بك هذا الرجل و فعل، يعنون عثمان، فهل أنت ناصب لنا رايه فتجتمع إلى الرجال؟ فقال: لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع لسمعت و أطعت و احتسبت و صبرت، فإنه من أذلّ السلطان فلا توبه له، فراجعوا» (١).

أقول:

في هذا المقام مطالب:

الأول: إن السبب الأصلي لتكلم أبي ذر في عثمان هو تصرّفاته في أموال المسلمين و تبذيراته لبيت المال، و قد ورد هذا المعنى في رواياتهم، و روى الواقدي:

«إن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك علينا يا جنيدب. فقال أبو ذر:

أنا جنيدب و سمّاني رسول الله صلّى الله عليه و آله عبد الله، فاخترت اسم رسول الله الذي سمّاني به على اسمي. فقال عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: أن يد الله مغلوله و أن الله فقير و نحن أغنياء! فقال أبو ذر: لو كنتم تزعمونه لأنفقتم مال الله في عباده، و لكني

ص: ١٣٩

أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودين الله دخلاً. فقال للجماعه: هل سمعتم هذا من رسول الله؟ فقال علي والحاضرون: سمعنا رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبي ذر.

فنفاه إلى الربذه» (١).

الثاني: إن عثمان أخرج أبا ذر في بادئ الأمر إلى الشام، وكأنه كان يظن أنه سيحذر معاوية ويمسك من تكلمه... ففي بعض الروايات أنه قال عثمان لأبي ذر: «ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي، إلهق بمكتبك. وكان مكتبه بالشام» وهذه روايه البلاذري، وفي روايه قال له: «ما أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتني، فخرج أبو ذر إلى الشام» (٢). وفي روايه ابن حجر: «فأمره أن يلحق بالشام» (٣) وفي روايه اليعقوبي «فسيره إلى الشام إلى معاوية» (٤).

الثالث: لكن أبا ذر لم يسكت على أعمال معاوية في الشام، قال اليعقوبي:

و كان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، و يجتمع إليه الناس، حتى كثر من يجتمع إليه و يسمع منه، و كان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاه الصبح فيقول:

جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأمرين بالمعروف و التاركين له، و لعن الله الناهين عن المنكر و الآتين له (٥).

و أخرج ابن سعد عن الأحنف أنه جلس إلى أبي ذر بالشام فقال له أبو ذر: قم عني

ص: ١٤٠

١- ١) انظر: شرح نهج البلاغه ٢٥٨/٨.

٢- ٢) مروج الذهب ٦٣٠/٢.

٣- ٣) فتح الباري ٢١٧/٣.

٤- ٤) تاريخ اليعقوبي ١٧١/٢.

٥- ٥) تاريخ اليعقوبي ١٧٢-١٧١/٢.

لا أعدك بشر. فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إن هذا -يعني معاوية- نادى مناديه ألا يجالسني أحد» (١).

الرابع: قال البلاذري: و كان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، و بعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار... فكتب معاوية إلى عثمان فيه....

و في روايه المسعودي أنه كتب إلى عثمان: «إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع و لا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجه فأحمله إليك» (٢).

و في روايه البخارى -بعبارة مهذبته موجزه- عن زيد بن وهب قال: «مررت بالربذه، فقلت لأبى ذر: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا و معاوية فى هذه الآيه «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ» فقال معاوية: نزلت فى أهل الكتاب، فقلت: نزلت فىنا و فيهم. فكتب يشكونى إلى عثمان. فكتب عثمان: إقدم المدينة...» (٣).

لكن عثمان لم يكتب إلى أبى ذر: أقدم المدينة، بل كتب إلى معاوية أن يحمله، و لكن كيف؟

الخامس: قال البلاذري: فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد، فاحمل جندباً إلى على أغلظ مركب و أوعره. فوجّه معاوية من سار به الليل و النهار...».

و فى روايه المسعودي: «فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسه من الصقالبه يطرون به حتى أتوا به المدينة و قد تسلخت بواطن أفخاذه و كاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى، و ذكر جوامع ما ينزل به بعد و من يتولى دفنه...» (٤).

ص: ١٤١

١-١ (١) الطبقات الكبرى ٢٢٩/٤.

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٦٣٠/٢.

٣-٣ (٣) صحيح البخارى ١١١/٢.

٤-٤ (٤) مروج الذهب ٦٣٠/٢ بين عثمان و أبى ذر.

أى: أشار إلى ما أخبره به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيصيبه من الأذى من بعده، و سنذكر نحن بعض الأحاديث.

هذا، و سنذكر أيضاً أن غير واحد من أعلام القوم - كالتبري وغيره - كنمو خبر كيفية حمل أبي ذر إلى المدينة.

السادس: ثم أدخل أبو ذر على عثمان، فروى الواقدي وغيره من أهل الأخبار أنه قال له: «أنت الذي فعلت ما فعلت؟ فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني و نصحت صاحبك فاستغششني. فقال عثمان: كذبت، و لكنك تريد الفتنة و تحبها، قد أنغلت الشام علينا. فقال له أبو ذر: أتبع سنه صاحبيك لا. يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك و ذلك لا أم لك؟ قال أبو ذر: و الله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فغضب عثمان و قال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعه المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم على و كان حاضراً و قال: اشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ».

قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره و أجابه على بمثله.

قال: ثم إن عثمان حضر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه، فمكث كذلك أياماً، ثم أمر أن يؤتى به فأتى به، فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان، أما رأيت رسول الله و رأيت أبا بكر و عمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبشش بي بطش جبار.

قال: أخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك. فإلى أين أخرج؟ فقال:

حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما جلبتكم من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق، قال: لا، قال: و لم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبه و طعن في الأمة. قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال:

حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعزب بعد الهجرة. أخرج إلى نجد؟ فقال عثمان:

الشرف الأبعد أقصى فأقصى، إمض على وجهك هذا ولا تعدون الربذه، فسر إليها.

فخرج إليها.

و في روايه اليعقوبى: «فلم يقيم بالمدينه إلا- أياماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها. قال: أخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم و أنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصره؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفه؟ قال: لا و لكن إلى الربذه التي خرجت منها حتى تموت فيها. يا مروان، أخرجته و لا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج، فأخرجه على جمل و معه امرأته و بنته...» (١).

و في روايه المسعودى: «فقال له عثمان: وار عني وجهك. فقال: أسير إلى مكة؟ قال: لا و الله- إلى أن قال- أبو ذر: فسيرني حيث شئت من البلاد. قال: فإنني مسيرك إلى الربذه. قال: الله أكبر، صدق رسول الله، قد أخبرني بكل ما أنا لاق...» (٢).

لكن البخارى حاول التكتّم على كل هذا، فروى عن أبي ذر أنه لمّا قدم المدينه قال: «فكثر الناس عليّ كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً» (٣).

و قد تقدّم في روايه البلاذرى: «فلما قدم أبو ذر المدينه جعل يقول: تستعمل الصبيان و تحمى الحمى و تقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: الحق بأى أرض شئت. فقال: بمكة، فقال: لا، قال: فبيت المقدس، قال: لا. قال: فبأحد المصرين، قال: لا، و لكنى مسيرك إلى الربذه. فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات.»

و قال ابن حجر بشرح حديث البخارى: «و في روايه الطبرى: أنهم كثروا عليه

ص: ١٤٣

١-١ (١) تاريخ اليعقوبى ١٧٢/٢.

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٦٣١/٢.

٣-٣ (٣) صحيح البخارى ١١١/٢.

يسألونه عن سبب خروجه من الشام، قال: فخشي عثمان على أهل المدينة ما خشيه معاوية على أهل الشام» (١).

السابع: وذكروا موقف أمير المؤمنين عليه السلام من نفي أبي ذر إلى الربذة، قال البلاذري: «و شيع علي أبا ذر، فأراد مروان منعه منه، فضرب علي بسوطه بين أذني راحلته...».

وقال المسعودي: «فلما طلع عن المدينة و مروان يسيره عنها، إذ طلع عليه علي بن أبي طالب و معه ابناه و عقيل أخوه و عبد الله بن جعفر و عمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي، إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره و شيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط و ضرب بين أذني راحلته و قال: تنح نحاك الله إلى النار. و مضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودّعه و انصرف.

فلما أراد الإنصراف بكى أبو ذر و قال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن و ولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه و آله. فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من علي؟ ردّ رسولى عمّا و جهته له و فعل كذا، و الله لنعطينه حقه، فلما رجع على استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر. فقال علي: «غضب الخيل على اللجم». ثم جاء. فلما كان بالعشى جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك علي ما صنعت بمروان و اجترأت علي و رددت رسولى و أمرى؟ قال: أما مروان فإنه استقبلنى يردّنى فرددته عن ردّى؟ و أما أمرك فلم أردّه. قال عثمان: أو لم يبلغك أنى قد نهيت الناس عن أبي ذر و عن تشييعه؟ فقال علي: أو كل ما أمرتنا به من شىء نرى طاعه لله و الحق فى

ص: ١٤٤

خلافه، اتبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل. قال عثمان: أقدم مروان. قال: وما أقيده؟ قال:

ضربت بين أذني راحلته، قال علي: أما راحلتي فهي تلك. فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، و أما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا - أكذب فيه و لا - أقول إلا حقاً. قال عثمان: و لم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه.

فغضب علي بن أبي طالب و قال: «إلى تقول هذا القول؟ و بمروان تعدلني؟ فأنا و الله أفضل منك، و أبي أفضل من أبيك، و أمي أفضل من أمك، و هذه نبلي قد نثلتها و هلم فأقبل بنبلك. فغضب عثمان و احمرّ وجهه فقام و دخل داره و انصرف علي، فاجتمع إليه أهل بيته و رجال من المهاجرين و الأنصار، فلما كان من الغد و اجتمع الناس إلى عثمان، شكوا إليهم علياً و قال: إنه يعينني و يظاهر من يعينني، يريد بذلك أبا ذر و عمار بن ياسر و غيرهما. فدخل الناس بينهما و قال له علي: و الله ما أردت تشييع أبي ذر إلا الله» (١).

و قال اليعقوبي: «فخرج علي و الحسن و الحسين و عبد الله بن جعفر و عمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى و قال: إني إذا رأيتك و رأيت ولدك ذكرت قول رسول الله، فلم أصبر حتى أبكي. فذهب علي يكلمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجهه ناقة مروان و قال: تنح نحاك الله إلى النار.

ثم شيعه و كلمه بكلام يطول شرحه. و تكلم كل رجل من القوم و انصرفوا، و انصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه و بين علي في هذا بعض الوحشه و تلاحيا كلاماً» (٢).

الثامن: قد وردت روايه كلام الإمام في كتبنا، و هذا نصّه في كتابه نهج البلاغه، أنه قال لأبي ذر لما نفى إلى الربذه:

ص: ١٤٥

١- ١) مروج الذهب ٢/٦٣١-٦٣٢.

٢- ٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٢.

«يا أبا ذر، إنك غضبت لله فارح من غضبت له. إن القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك، فاترك ما في أيديهم ما خافوك عليه و اهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم و ما أغناك عمّا منعوك. و ستعلم من البرامح غداً و الأكثر حسداً. و لو أن السماوات و الأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله، لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق و لا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك و لو قرضت منها لأمنوك».

قال ابن أبي الحديد فى الشرح: فتكلم عقيل... ثم تكلم الحسن... ثم تكلم الحسين... ثم تكلم عمار... فذكر كلامهم... و فيه الأمر بالصبر و تحمّل الأذى فى الله» (١).

التاسع: و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله قد أخبر أبا ذر عمّا سيلاقيه و أمره بالصبر و الاستقامه و التحمّل....

أخرج الحاكم عن أبى ذر قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «يا أبا ذر، كيف أنت إذا كنت فى حثاله؟» و شبك بين أصابعه. قلت: يا رسول الله، فما تأمرنى؟ قال:

إصبر إصبر إصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم و خالفوهم فى أعمالهم» (٢).

و أخرج ابن سعد عنه قال قال النبى: «يا أبا ذر، كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالفى؟» قال: قلت: إذاً و الذى بعثك بالحق أضرب بسيفى حتى ألحق به.

فقال: أ فلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ إصبر حتى تلقانى» (٣).

العاشر: و لذلك صبر أبو ذر و صبر الناس الذين غضبوا له، كما روى البلاذرى بإسناده: «رأيت أبا ذر و قوم يقولون له: فعل بك هذا الرجل و فعل، يعنون عثمان، فهل

ص: ١٤٦

١- ١) شرح نهج البلاغه ٢٥٤/٨.

٢- ٢) المستدرک ٣٤٣/٣ و قد صححه.

٣- ٣) الطبقات الكبرى ٢٢٦/٤ و انظر: مسند أحمد ١٨٠، ١٧٨/٥ و فتح البارى ٢١٨/٣ و غيرهما.

أنت ناصب لنا رايه فتجتمع إليك الرجال؟ فقال: لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع، لسمعت و أطعت و احتسبت و صبرت...».

و رواه ابن سعد و عنه ابن عساكر و الذهبي (١).

أقول:

هذه نتف من أخبار القضيّه كما يروون، فإن رجعت إلى كلام المدافعين عن عثمان و المبرّرين لأفعاله، تجدهم مضطربين و على أنفسهم منقسمين.

فمنهم: من لا يكذب بالأخبار، بل يقول بأن عثمان إمام، و للإمام أن يؤدّب الرعيه بما يراه من المصلحه.

و منهم: من يكذب النّفى و يقول بأن أبا ذر خرج إلى الربذه باختيار من نفسه.

و منهم: من يروى و يحاول التخفيف و تلطيف العبارات.

و منهم: من يكتّم، فلا يروى، و لا يكلف نفسه التبرير.

و منهم: من لا يروى و يصرّح قائلاً: بأن هنا أخباراً و روايات فيها أمور كثيره كرهت ذكر أكثرها. و هذا كلام محمد بن جرير الطبري و من تبعه كابن الأثير في تاريخه.

و هلّمّ معي، لننظر في كلام ابن تيميه، فإنه قال:

«فالجواب: إن أبا ذر سكن الربذه و مات بها، لسبب ما كان يقع بينه و بين الناس، فإن أبا ذر رضى الله عنه كان رجلاً صالحاً زاهداً، و كان من مذهبه أن الزهد واجب... و قد وافق أبا ذر على هذا طائفه من النساك... و أما الخلفاء الراشدون و جماهير الصحابه و التابعين فعلى خلاف هذا القول... و كان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، و يذمّهم على ما لم يذمّهم الله عليه... و لم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض» (٢).

ص: ١٤٧

١- (١) الطبقات الكبرى ٢٢٧/٤، تاريخ دمشق ٢٠١/٦٦-٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٧١/٢.

٢- (٢) منهاج السنّه ٢٧٢/٦.

أقول:

هذا تلخيص كلامه بلفظه، فأعرضه على ما تقدّم من روايات أعلام قومه. يقول ابن تيميه: «سكن الربذه» و لا- يقول: «نفى إلى الربذه» وقد عرفت أن كبار المؤرخين يروون أنه قد نفاه عثمان إليها... مضافاً إلى تصريح الشهرستاني بذلك في (الملل و النحل) و الحلبي في (السيرة) و ابن حجر المكي في (الصواعق) و ابن الأثير في (أسد الغابه) و ابن عبد البر في (الاستيعاب) و التفتازاني في (شرح المقاصد)، و كذا كلّ من ذكر الخبر ثم حاول الدفاع عن عثمان و تبرير ما منه صدر.

و يقول ابن تيميه: «لسبب ما كان يقع بينه و بين الناس» و رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول- في الحديث الصحيح عند القوم كما تقدّم- «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء...؟» فالنبي يخبر عمّا سيقع بينه و بين «الأمراء» و ابن تيميه يقول «الناس» هذا أوّلاً.

و ثانياً: إن السبب ليس إيجابه الزهد، بل تحريمه التصرّف في بيت المال من عثمان و ذويه، و تسليط أهل الفسق و الجور من أقربائه على المسلمين... و هذا هو حكم الله و رسوله.

و أمّا قوله: «لم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض» فكذب واضح، فهو الذي سيّره أوّلاً إلى الشام، ثم أمر معاويه بحمله منها إلى المدينة بالكيفية المذكوره في الأخبار، ثم هو الذي أهانه و هدّده بالقتل، و هو الذي سيّره إلى الربذه، الأمر الذي كان أحد أسباب قيام المسلمين ضده و نقتهم عليه، حتى انتهى إلى قتله!

المورد السابع: قال قدس سره: و ضيّع حدود الله، فلم يُقد عبید الله بن عمر حين قتل الهرمزان

الشرح:

قال العلّامة في نهج الحق ما نصّه:

ص: ١٤٨

و منها: إنه عطّل الحدّ الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب، حيث قتل الهرمزان مسلماً، فلم يقده به، و كان أمير المؤمنين يطلبه لذلك.

قال القاضي: إن للإمام أن يعفو، و لم يثبت أن أمير المؤمنين كان يطلبه ليقتله، بل ليضع من قدره.

أجاب المرتضى رحمه الله: بأنه ليس له أن يعفو، و له جماعه من فارس لم يقدموا خوفاً، و كان الواجب أن يؤمنهم عثمان حتى يقدموا و يطلبوا بدمه، ثم لو لم يكن له وليّ لم يكن لعثمان العفو.

أمّا أولاً: فلأنه قتل في أيام عمر و كان هو وليّ الدم، و قد أوصى عمر بأن يقتل عبيد الله إن لم تقم البيه العادله على الهرمزان و جفينه أنهما أمرا أبا لؤلؤه غلام المغيره بن شعبة بقتله، و كانت وصيته إلى أهل الشورى.

فلما مات عمر طلب المسلمون قتل عبيد الله كما أوصى عمر فدافع و علّهم، و حمله إلى الكوفه و أقطعه بها داراً و أرضاً، فنقم المسلمون منه ذلك و أكثروا الكلام فيه.

و أمّا ثانياً: فلأنه حق لجميع المسلمين، فلا يكون للإمام العفو عنه، و أمير المؤمنين عليه السلام إنما طلبه ليقتله، لأنه مرّ عليه يوماً، فقال له أمير المؤمنين:

أما و الله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربن عنقك، فلهذا خرج مع معاويه.

أقول: هنا مطالب.

الأول: إن الهرمزان كان من المسلمين، و قد ورد ذكره في كتب الصحابه، قال ابن حجر:

(الهرمزان) الفارسي كان من ملوك فارس و اسر في فتوح العراق و أسلم على يد عمر، ثم كان مقيماً عنده بالمدينه و استشاره في قتال الفرس. و قال القاضي إسماعيل بن إسحاق: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد حدّثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد قال: كتب النبي صلّى الله عليه و آله إلى الهرمزان من محمد رسول الله، إنى

أدعوك إلى الإسلام أسلم تسلم. الحديث.

وقال الشافعي: أنبأنا الثقفى و ابن أبى شيبة، حدّثنا مروان بن معاوية كلاهما عن حميد عن أنس: حاصرنا تستر فنزل الهرمزان على حكم عمر فقدم به عليه فاستفخمه فقال له: تكلم، لا بأس. و كان ذلك تأمينا من عمر. هكذا جاء مختصراً.

و رواها على بن حجر فى فوائد إسماعيل بن جعفر مطوّله قال: عن حميد عن أنس: بعثنى أبو موسى بالهرمزان إلى عمر و كان نزل على حكمه، فجعل عمر يكلمه فجعل لا- يرجع إليه الكلام فقال له: تكلم فقال له: أ كلام حتى أم كلام ميت؟ قال: تكلم لا بأس عليك، قال: كنا و أنتم يا معشر العرب ما خلّى الله بيننا و بينكم نستعبدكم، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يد ان، فذكر قصته معه فى تأمينة قال: فأسلم الهرمزان و فرض له عمر.

و قال يحيى بن آدم فى كتاب الخراج عن الحسن بن صالح عن إسماعيل بن أبى خالد قال: فرض عمر للهرمزان فى ألفين.

و قال على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن الشعبي عن أنس: قدم الهرمزان على عمر، فذكر قصه أمانه فقال عمر: أخرجوه عنى سيروه فى البحر، ثم قال كلاماً فسألت عنه ف قيل لى أنه قال: اللهم اكسر به، فأُنزل فى سفينه فسارت غير بعيد ففتحت ألواحها، فوقع فى البحر، فذكرت قوله اكسر به و لم يقل غرقه، فطمعت فى النجاه فسبحت فنجوت فأسلمت.

و روى الحميدى فى النوادر عن سفیان، عن عمرو بن دينار، عن ابن شهاب، عن عبد الله بن خليفة: رأيت الهرمزان مع عمر رافعاً يديه يدعو و يهلل.

و أخرج الكراييسى فى أدب القضاء بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب: إن عبد الرحمن بن أبى بكر قال لما قتل عمر: إنى مررت بالهرمزان و جفينه و أبى لؤلؤه و هم نجى، فلما رأونى ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فانظروا

إلى الخنجر الذى قتل به عمر، فإذا هو الذى وصفه، فانطلق عبيد الله بن عمر فأخذ سيفه حين سمع ذلك من عبد الرحمن، فأتى الهرمزان فقتله و قتل جفينة و قتل بنت أبي لؤلؤة صغيرة، و أراد قتل كل سبى بالمدينة، فمنعوه، فلما استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: أن هذا الأمر كان و ليس لك على الناس سلطان. فذهب دم الهرمزان هدرًا» (١).

و قال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى موسى بن يعقوب عن أبي و جزه عن أبيه قال: رأيت عبيد الله يومئذ و إنه ليناصى عثمان، و إن عثمان ليقول:

قاتلك الله، قتلت رجلاً يصلّى و صبيّه صغيره و آخر من ذمه رسول الله صلّى الله عليه و آله، ما فى الحق تركك. قال: فعجبت لعثمان حين ولى كيف تركه، و لكن عرفت أن عمرو بن العاص كان دخل فى ذلك، فلفته عن رأيه» (٢).

الثانى: لقد كان الهرمزان مسلماً عند جميع المهاجرين و الأنصار، و قد أجمعوا على أن يقاد به عبيد الله، و هذا ممّا اتفق القوم على روايته، فعن الزهرى:

«لما استخلف عثمان، دعا المهاجرين و الأنصار فقال: أشيروا علىّ فى قتل هذا الذى فتق فى الدين ما فتق، فأجمع رأى المهاجرين و الأنصار على كلمه واحده يشجعون عثمان على قتله...» (٣).

و الثالث: و أمّا أمير المؤمنين، فقد بقى مصرّاً على قتله، و كان يقول: «لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولى سلطان لاقتصت منه» (٤).

و الرابع: ثم إن الإمام عليه السلام أراد أن يقتصّ منه، قالوا: فهرب إلى معاويه و كان

ص: ١٥١

١-١ (١) الإصابه ٤٤٨/٦-٤٤٩.

٢-٢ (٢) الطبقات الكبرى ١٦/٥.

٣-٣ (٣) الطبقات الكبرى ١٧/٥.

٤-٤ (٤) الطبقات الكبرى ١٧/٥، تاريخ دمشق ٦٧/٣٨.

معه في صفين فقتل.

هذا، وقد جاء المدافعون عن عثمان يدعون أنه قد عفى عن عبيد الله. إلا أنه كلام باطل جداً، وقد ردّ عليه علماء القوم أيضاً، قال ابن حجر: «لأن علياً استمرّ حريصاً على أن قتله بالهرمزان، وقد قالوا إنه هرب لما وليّ الخلافة إلى الشام، فكان مع معاوية إلى أن قتل معه بصفين، ولا خلاف في أنه قتل بصفين مع معاوية، واختلف في قاتله، وكان قتله في ربيع الأوّل سنة ٣٦» (١).

قال ابن عساكر: «قد قيل إن عثمان إنما ترك قتله، لأن ابن الهرمزان عفا عنه، ثم روى الخبر في ذلك، وهو عن «سيف بن عمر» الكذاب بالاتفق (٢)، ويكذّبه كلام ابن حجر السابق، وكذا ابن الأثير إذ قال: «وهذا أيضاً فيه نظر، فإنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلي أن يقتله، وقد أراد قتله لما وليّ الخلافة... فهرب منه إلى معاوية» (٣).

فتلخص: أن عثمان قد عطّل حدّ الله، والدفاع عنه باحتمال عفو أو عفو ابن الهرمزان ساقط... فلننظر في كلام ابن تيمية في المقام، فإنه قال (٤):

«إذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر، جاز قتله في أحد القولين قصاصاً، و عمر هو القاتل في المقتول بصنعاء: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لأقذتهم به... وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين في الأرض المحاربين، فيجب قتله لذلك، ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله، كان القاتل يعتقد حلّ قتله لشبهه ظاهره، صار ذلك شبهة تدرأ القتل عن القاتل، وإذا كان عبيد الله بن عمر متأولاً

ص: ١٥٢

١-١ (١) الإصابه ٤٣/٥.

٢-٢ (٢) تاريخ دمشق: ٦٧/٣٨.

٣-٣ (٣) أسد الغابه ٣٤٣/٣.

٤-٤ (٤) منهاج السنّه ٢٨٠/٦.

يعتقد أن الهرمزان أعان على قتل أبيه و أنه يجوز له قتله،صارت هذه شبهةً يجوز أن يجعلها المجتهد مانعه من وجوب القصاص...و أيضاً،فالهرمزان لم يكن له أولياء يطلبون دمه،و إنما وليه ولي الأمر و كان له العفو عنه...و بكلّ حال فكانت مسأله اجتهاديه....

و أما قوله:إن علياً كان يريد قتل عبيد الله بن عمر،فهذا لو صحّ كان قدحاً في علي، و الرفضه لا عقول لهم...».

فهو يقول:«إذا كان الهرمزان ممن أعان...»و لا- يذكر له إسناداً أصلاً،و إنما يقول عن أبي لؤلؤه«و كان بينه و بين الهرمزان مجانسه،و ذكر لعبيد الله بن عمر أنه روى عند الهرمزان،فكان ممن اتهم بالمعاونه على قتل عمر».

ثم يدعى أن عبيد الله متأول و الحدود تدرء بالشبهات.

ثم يدعى عفو عثمان.

لكن الأخبار و الكلمات الماضيه،تكفى لدفع هذه المزاعم.

و أما قدحه في أمير المؤمنين و سبّه لشيئته،ففي كتابه كثير مثله و لا نتعرّض له....

المورد الثامن:قال قدس سره:و أراد أن يعطل حدّ الشّرب في الوليد بن عقبه حتى حدّه أمير المؤمنين.

الشرح:

هذا الوليد هو الذي نزل فيه قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» (١)فكان حاله معلوماً من زمان النبي صَلَّى الله عليه و آله،لكن عثمان ولّاه على الكوفه،فشرب الخمر و سكر فصلى بالناس.قال ابن عبد البر:«و خبر صلّاته بهم و هو

ص:١٥٣

سكران و قوله: أزيدكم بعد أن صَلَّى الصبح أربعاً، مشهور من روايه الثقات من نقل أهل الحديث و أهل الأخبار» (١). وكذلك قال غيره.

و خبر شربه الخمر و إقامه الحدّ عليه بعد اعتراض الناس... المذكور في سائر الكتب، حتى في كتابي البخاري و مسلم، قال ابن حجر: «و قصه صلواته بالناس الصبح أربعاً و هو سكران، مشهوره مخرجه، و قصه عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهوره أيضاً مخرجه في الصحيحين، و عزله عثمان بعد جلده عن الكوفه...» (٢) بل في بعض المصادر أن عثمان قد أوعد المعترضين و تهددهم....

و بالجمله، فقد تدخّل في الأمر أمير المؤمنين و طلحه و الزبير و عائشه و غيرهم، حتى اجري الحدّ بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام، بل عن الواقدي أنهم قالوا له أقوالاً شديده و أخذته الألسنه من كلّ جانب، فاضطرّ إلى عزله و الموافقه على إقامه الحدّ عليه... و كلّ ذلك... لأن الوليد أخو عثمان لأمه...؟!

و أي جدوى لإنكار ابن تيميه أو غيره مثل هذه الأخبار الثابته في كتب القوم و بأسانيدهم؟

المورد التاسع: قال قدس سره: و زاد الأذان الثاني يوم الجمعة و هي بدعه.

الشرح:

قد تطرقت إلى هذا الموضوع في البحث عن حديث «عليكم بسنتي و سنه الخلفاء الراشدين من بعدى» (٣) و هذا نصّ ما ذكرته هناك:

ص: ١٥٤

١-١ (١) الاستيعاب ١٥٥٥/٤.

٢-٢ (٢) الإصابه ٤٨٢/٦ و انظر فتح الباري ٤٤/٧.

٣-٣ (٣) و هو إحدى الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعه في كتب السنه، المطبوعه في مجلّد واحد عدّه مرات.

لقد أخرجوا عن السائب بن يزيد قوله: «كان الأذان على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أبي بكر و عمر إذا خرج الإمام أقيمت الصلاة، فلما كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء».

و فى لفظ آخر: «فلما كان فى خلافة عثمان و كثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك» (١).

و نصّ شراح البخارى على أن عثمان هو الذى زاد الأذان يوم الجمعة (٢).

و نصّ الماوردى و القرطبي على أن الأذان الذى كان من عثمان «محدث» (٣).

و قال ابن العربى بشرح الترمذى: «الأذان أول شريعته غيرت فى الاسلام على وجه طويل ليس من هذا الشأن... و الله تعالى لا يغير ديننا و لا يسلبنا ما وهبنا من نعمه» (٤).

و قال المبار كفورى بشرحه: «المعنى: كان الأذان فى العهد النبوى و عهد أبى بكر و عمر أذنين، أحدهما حين خروج الإمام و جلوسه على المنبر، و الثانى حين إقامه الصّلاه، فكان فى عهدهم الأذانان فقط، و لم يكن الأذان الثالث. و المراد بالأذنين: الأذان الحقيقى و الإقامه» (٥).

هذا، و قد رووا عن ابن عمر قوله عما فعل عثمان أنه «بدعه» (٦).

فهذا ما كان من عثمان... فى أيام حكومته... كما كان من عمر من تحريم المتعتين... فى أيام حكومته....

ص: ١٥٥

١- ١) أخرجه البخارى ٢٢٠/١ و الترمذى ١٤/٢ و غيرهما فى أبواب أذان الجمعة.

٢- ٢) الكواكب الدرارى ٢٧/٦، عمدته القارى ٢١٠/٦، إرشاد السارى ١٧٨/٢.

٣- ٣) تفسير القرطبي ١٠١/١٨.

٤- ٤) عارضه الأحوذى ٣٠٥/٢.

٥- ٥) تحفه الأحوذى ٣٩/٣.

٦- ٦) فتح البارى ٣١٥/٢.

و قد اشتدَّت الحيره هنا و كثر الاضطراب... كما كان الحال تجاه ما فعل ابن الخطاب....

١- فالسرخسى أراح نفسه بتحريف الحديث!! قال: «...لما روى عن السائب بن يزيد قال: كان الأذان للجمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم حين يخرج فيستوى على المنبر، و هكذا فى عهد أبى بكر و عمر، ثم أحدث الناس الأذان على الزوراء فى عهد عثمان» (١).

قال: «...هكذا كان على عهد رسول الله و الخليفين من بعده، إلى أن أحدث الناس الأذان على الزوراء على عهد عثمان» (٢).

٢- و الفاكهاني أنكر أن يكون عثمان هو الذى أحدث الزيادة فقال: «إن أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج و بالبصره زياد» (٣).

٣- و شراح البخارى ادّعوا قيام الإجماع السكوتى!! على المسأله... قالوا: شرع باجتهاد عثمان و موافقه سائر الصحابه له بالسكوت و عدم الإنكار، فصار إجماعاً سكوتياً» (٤).

٤- و قال ابن حجر: «الذى يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد إذ ذاك، لكونه خليفه مطاع الأمر» (٥).

٥- و قال بعض الحنفيّه: «الأذان الثالث الذى هو الأوّل وجوداً إذا كانت مشروعيتّه باجتهاد عثمان و موافقه سائر الصحابه له بالسكوت و عدم الإنكار صار أمراً مسنوناً، نظراً إلى قوله: عليكم بسنتى و سنه الخلفاء الراشدين المهديين» (٦).

ص: ١٥٦

١- (١) المبسوط فى الفقه الحنفى ١/١٣٤.

٢- (٢) المبسوط فى الفقه الحنفى ٢/٣١٢.

٣- (٣) فتح البارى شرح البخارى ٢/٣٢٧، تحفه الأحوذى ٣/٤٠.

٤- (٤) إرشاد السارى ٢/١٧٨، الكواكب الدرارى ٦/٢٧، عمدته القارى ٦/٢١١.

٥- (٥) فتح البارى ٢/٣٢٧.

٦- (٦) تحفه الأحوذى ٣/٤٠.

و أجاب هؤلاء-المدافعون عن عثمان-عما رووا عن عبد الله بن عمر، بما ذكر ابن حجر:

«فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار. و يحتمل أنه يريد أنه لم يكن في زمن النبي، و كل ما لم يكن في زمنه يسمّى بدعه، لكن منها ما يكون حسناً، و منها ما يكون بخلاف ذلك» (١).

أقول:

كانت تلك الوجوه التي ذكرها لتبرير ما فعله عثمان:

فأما الوجهان الأول و الثاني، فلا يعبأ بهما و لا يصغى إليهما.

و أما الوجه الثالث، فقد اشتمل على:

أ-اجتهاد عثمان

و في الاجتهاد-و اجتهادات الخلفاء خاصّه-بحث طويل ليس هذا موضعه، و على فرض القبول، فهل يجوز الاجتهاد في مقابل النص؟!

ب-موافقه الصحابه له بالسكوت و عدم الإنكار

و فيه:

أولاً: ما الدليل على سكوتهم و عدم إنكارهم؟! فلقد أنكروا عليه يقيناً و لما ينقل كما نقل قول ابن عمر.

و ثانياً: إن السكوت أعمّ من القبول و الرضا.

ج-الإجماع السكوتي

و فيه:

أولاً: في حججه الإجماع كلام.

ص: ١٥٧

و ثانياً: أنه يتوقف على السكوت الدالّ على الرضا و الموافقه.

و ثالثاً: أنه يتوقف على حجيه الإجماع السكوتى.

و أما الوجه الرابع، ففيه: إن أخذ الناس بفعل عثمان لا يقتضى مشروعيّه فعله، و الخليفه إنما يطاع أمره إذا كان آمراً بما أمر الله و رسوله به، و به أحاديث كثيره.

و أما الوجه الخامس، ففيه: إنه يتوقف:

أولاً: على تماميه هذا الحديث سنداً.

و ثانياً: على تماميه دلالته على وجوب اتباع سيره الخلفاء و إن كانت مخالفه لسيره النبي صلّى الله عليه و آله.

و ثالثاً: على أن يكون المراد من «الخلفاء الراشدين المهديين» شاملاً لعثمان و أمثاله.

أما الأمر الأول، فقد بيّناه فى الفصل السابق، و عرفت أن الحديث باطل موضوع.

و أما الأمران الثانى و الثالث، فسنذكرهما فى هذا الفصل.

لكن المحققين من القوم لم يوافقوا على دلالة الحديث على وجوب متابعه سيره الخلفاء-حتى بناء على أن المراد خصوص الأربعة- فيما لو خالفت سيرتهم السيره النبويه الكريمه- كما فى مسألتنا هذه- فإن عثمان خالف فيها النبي صلّى الله عليه و آله، و خالف أيضاً أبا بكر و عمر، لا سيما و أن غير واحد منهم يخصص حديث: «عليكم بسنتى...» بحديث: «اقتدوا باللذين من بعدى أبا بكر و عمر» (١).

فيكون قد أمر صلّى الله عليه و آله بمتابعه سيرته و سيره أبا بكر و عمر فقط...!!

و على هذا الأساس، أبطلوا استدلال الحنفية و أجابوا عنه بكلمات قاطعه:

قال المبار كفورى: «ليس المراد بسنه الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقه لطريقته.

ص: ١٥٨

١- ١) و هذا الحديث موضوع الرساله الثانيه من الرسائل العشر.

وقال القارى فى المرقاه:فعليلكم بسنتى.أى بطريقتى الثابته عنى واجباً،أو مندوباً،و سنه الخلفاء الراشدين،فإنهم لم يعملوا إلا بسنتى،فالإضافه إليهم إما لعملهم بها،أو لاستنباطهم و اختيارهم إياها.

وقال صاحب سبل السلام:أما حديث«عليكم بسنتى و سنّه الخلفاء الراشدين بعدى،تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ».أخرجه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و الترمذى و صححه الحاكم و قال:على شرط الشيخين.

و مثله حديث:«اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر».أخرجه الترمذى و قال:

حسن.و أخرجه أحمد و ابن ماجه و ابن حبان،و له طريق فيها مقال إلا أنه يقوى بعضها بعضاً.

فإنه ليس المراد بسنّه الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقه لطريقته من جهاد الأعداء و تقويه شعائر الدين و نحوها.

فإن الحديث عام لكلّ خليفه راشد لا يخصّ الشيخين،و معلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفه راشد أن يشرع طريقه غير ما كان عليها النبى....

قال المبار كפורى:«إن الاستدلال على كون الأذان الثالث الذى هو من مجتهدات (1)عثمان أمراً مسنوناً ليس بتام...»(2).

ثم إنهم أطالوا الكلام عن معنى البدعه،فقال هؤلاء-فى الجواب عمّا ذكر ابن حجر و غيره-بأنه:

«لو كان الاستدلال تاماً و كان الأذان الثالث أمراً مسنوناً،لم يطلق عليه لفظ البدعه، لا على سبيل الإنكار و لا على سبيل غير الإنكار،فإن الأمر المسنون لا يجوز أن يطلق عليه لفظ البدعه بأى معنى كان»(3).

ص: ١٥٩

١-١) كذا،و لعله محدثات.

٢-٢) تحفه الأحوذى ٥٠/٣.

٣-٣) تحفه الأحوذى ٥٠/٣.

و تلخص: أن لا توجيه لما أحدث عثمان، لا عن طريق هذا الحديث-على فرض صحته-و لا عن طريق آخر من الطرق المذكوره.
و بما ذكرنا يظهر النظر فى كلام ابن تيميه، فإنه يتلخص فى دعوى موافقه أمير المؤمنين و الصحابه على ذلك، و فى المناقشه فى معنى «البدعه»...و لا حاجه الى الإعاده.

قال قدس سره: و قد ذكر الشهرستاني-و هو أشدّ المبعضين (1) على الإماميه:

إنّ مشار الفساد بعد شبهه إبليس: الاختلافات الواقعه...فانظر بعين الإنصاف إلى كلام هذا الرجل، هل خرج موجب الفتنه عن المشايخ أو تعدّاهم؟

الشرح:

أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨، من شيوخ المتكلمين الأشاعره المخالفين للإماميه، كما لا يخفى على من يراجع كتبه مثل (نهايه الإقدام فى علم الكلام) و (الملل و النحل).

و قد جعل عمده الاختلافات تسعه وقائع، ابتداءً بما وقع فى أيام مرض النبى صلّى الله عليه و سلّم من قضيه الدواه و القرطاس، و جيش اسامه، ثم ما وقع بعد موته، ثم ذكر الإمامه و قال بأنّه أعظم خلاف وقع بين الأئمّه، ثم قضايا أبى بكر و قضايا عثمان، ثم خروج طلحه و الزبير على أمير المؤمنين بعد البيعه له.

و هذه الخلافات كلّها ناشئه من المشايخ، فهم أسباب الفتنه فى الإسلام، و لا تجد أمير المؤمنين عليه السلام أو سائر أهل البيت سبباً فى واحده منها...و هل يصلح من كان سبباً للفتنه و اختلاف المسلمين و إراقه دمائهم، لأن يكون خليفه عن رسول رب العالمين؟

ص: ١٦٠

الفصل الثالث: الأدلة على إمامة أمير المؤمنين بعد رسول الله

إشاره

قال قدس سره: الأدلة في ذلك كثيره لا تحصى، لكن نذكر المهم منها، و ننظمه أربعه مناهج:

ص: ١٦١

المنهج الأول في الأدلة العقلية

إشاره

وهي خمسة:

ص: ١٦٣

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، و متى كان كذلك كان الإمام هو على عليه السلام.

الشرح:

البحث عن العصمه من المباحث المهمه فى علم الكلام، و له جهاتٌ عديده، و قد اكتفى العلماء للاستدلال على إمامه أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله مباشرة، ببحثٍ كبروى هو ضروره كون الامام بعد النبى معصوماً، و آخر صغوى يتلخص فى أن الأمر بعده يدور بين على و أبى بكر، لكنّ أبى بكر غير معصوم بالإجماع.

و على عليه السلام معصوم. فيكون هو الإمام.

و لا بأس بالتعرض لمعنى «العصمه» و للأقوال فيها، قبل الورود بشرح كلام العلماء فى المقدمتين:

العصمه لغهً و اصطلاحاً

و العصمه فى كتب اللغه هى «المنع» ففيها: عصم أى منع (١).

ص: ١٦٥

وقد وردت هذه اللفظه فى مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (١) وقوله عن لسان ابن نوح «سَأْوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ» فأجابه أبوه «لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (٢).

وقد فسّر الراغب الإصفهاني الكلمه بقوله: «عصم، أى مسك» (٣) والمسك أخصّ من المنع، والظاهر أنّه أدق من كلام اللغويين، وهو الأوفق لما يذهب إليه أهل الكلام فى تعريف العصمه.

قال العلماءه قدس سره «العصمه لطف خفىّ يفعل الله تعالى بالمكّلف، بحيث لا- يكون له داع إلى ترك الطّاعه و ارتكاب المعصيه، مع قدرته على ذلك» (٤).

فالعصمه هى لطف خفىّ أى باطنى.

يفعله الله بالمكّلف، أى: هو من فعل الله و لا- يحصل بالإكتساب من المكّلف، و لذا جاء فى كلام الشيخ المفيد البغدادي و غيره: «لطف يفعله الله...» (٥).

بحيث لا- يكون له داع... أى: ذلك اللّطف حاله معنويّه فى المعصوم لا- تدعوه نفسه معها إلى ترك الطّاعه و ارتكاب المعصيه، فكانها ممسكه لنفسه....

مع قدرته على ذلك، أى: فهو مختار غير ملجأ، و لذا قال السيد المرتضى «فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبح، فيقال على هذا: إن الله عصمه. بأنّ فعل له ما اختار عنده العدول عن القبح» (٦).

فهذا كلام علماء الإماميه فى تعريف العصمه باختصار.

ص: ١٦٦

١- ١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

٢- ٢) سورة هود: الآية ٤٣.

٣- ٣) المفردات فى غريب القرآن «عصم»: ٣٣٦.

٤- ٤) الباب الحادى عشر: ٣٧.

٥- ٥) النكت الاعتقاديّه (فى سلسله المؤلّفات) ٣٧/١٠.

٦- ٦) الأمالى ٣٤٧/٢.

و اختلفت كلمات علماء أهل السنّه من الأشاعره و المعتزله، و إلى الباحث المنصف بعض كلماتهم لينظر أيها الأولى بالقبول:

قال ابن حزم: «اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء أم لا؟ فذهبت طائفه إلى أنّ رسل الله يعصون الله في جميع الكبائر و الصغائر عمداً، حاشا الكذب في التبليغ فقط.

و هذا قول الكراميه من المرجئه و قول أبي الطيب الباقلاني من الأشعريه و من اتبعه.

(قال) و أما هذا الباقلاني، فإننا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل أنه كان يقول: إن كل ذنبٍ دق أو جلّ فإنه جائز على الرسل، حاشا الكذب في التبليغ فقط، و إذا نهى النبي عن شيء ثم فعله، فليس دليلاً. على أنّ ذلك النهي قد نسخ، لأنه قد يفعله عاصياً لله تعالى، و ليس لأصحابه أن ينكروا عليه، و يجوز أن يكون في أمه محمد صلى الله عليه و آله من هو أفضل من محمد منذ بعث» (١).

و إذا كان يجوز على النبي ارتكاب كل ذنب، فيجوز عليه الغلط و الخطأ و النسيان و السهو بالأولويه، و قد صرحوا بذلك أيضاً.

بل إنّ بعضهم جوّز الكذب في التبليغ كذلك:

قال ابن حزم: «سمعت من يحكى عن بعض الكراميه أنهم يجوّزون على الرسل الكذب في التبليغ أيضاً».

بل جوّزوا الكفر:

فقد حكى في شرح المواقف عن الأزارقه أنه: يجوز أن يبعث الله نبياً علم الله أنه يكفر بعد نبوته (٢).

ص: ١٦٧

١ - ١) الفصل في الملل و النحل ٢/٢٨٤، و انظر: الأربعين في اصول الدين للرازي ١/٢٧٩، شرح المقاصد ٥/٥٠، شرح المواقف ٢٦٤/٨.

٢ - ٢) شرح المواقف ٨/٢٦٤.

و قال الغزالي: «فإننا نجوز أن يتبأ الله تعالى كافراً و يؤيده بالمعجزه» (١).

و قال ابن حزم عن الأنبياء: «جائز عليهم أن يكفروا» (٢).

فهذا مجمل عقيدته القوم في النبوه و النبي.

هذا، و في رواياتهم في الصحاح فضلاً عن غيرها- ما فيه دلالة واضحة على تلك العقيدته الفاسده.

أما قبل النبوه، فحديث أكل نبينا صلى الله عليه و آله ممّا ذبح على الأنصاب، أخرجه البخارى: «عن عبد الله بن عمر: أنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و آله:

أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، و ذاك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي.

فقدّم إليه رسول الله سفره فيها لحم، فأبى أن يأكل منها. ثم قال: إني لا آكل ممّا تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلّا ممّا ذكر اسم الله عليه» (٣).

و أما بعد النبوه، فقضه الغرائق، التي رووها بأسانيد كثيره نصّ غير واحد من أئمة القوم على صحتها:

قال السيوطي: «أخرج ابن أبي حاتم و ابن جرير و ابن منذر بسند صحيح، عن سعيد بن جبير، قال: قرأ النبي صلى الله عليه و آله بمكه النجم، فلما بلغ «أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرائق العلى و إنّ شفاعتهن لترتجى». فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد و سجدوا.

فنزله قوله تعالى: «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ...» (٤).

ص: ١٦٨

١-١) المنحول في علم الاصول: ٢٢٤.

٢-٢) الفصل في الأهواء و الملل و النحل ٢/٢٨٤.

٣-٣) صحيح البخارى ١٢٤/٥ و ١٦٥/٧. و انظر: الجمع بين الصحيحين ٢/٢٧٥، مسند أحمد ١٢٧، ٨٩، ٢/٦٩.

٤-٤) الدر المنثور ٦/٦٦، لباب النقول في أسباب النزول: ١٥٠.

و من العجيب قول السيوطي: «وأخرج البخاري عن ابن عباس بسندٍ صحيح فيه الواقدي».

قال: و أورده ابن إسحاق في سيرته.

و رواه الهيثمي عن البزار و الطبراني و غيرهما و قال: «رجالهم رجال الصحيح» (١).

و قال ابن حجر العسقلاني: «لها أسانيد كثيرة تدل على أنّ للقصة أصلاً» (٢).

و لذا قال ابن أبي الحديد و غيره: «وقد أخطأ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في التبليغ حيث قال: تلك الغرائق العلى و إنّ شفاعتھن لترتجى» (٣).

هذا، و قد تقدّم عن بعضهم: جواز أنّ يكون في الأمّة من هو أعلم و أفضل من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله. و ممّا يشهد به في أحاديثهم اعتراضات عمر عليه صَلَّى الله عليه و آله و نزول الوحي بتأييد عمر بن الخطّاب، كقضية صلاته على عبد الله بن أبي:

«عن نافع عن ابن عمر قال: لمّا توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلّي عليه.

فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فقال: يا رسول الله، أ تصلّي عليه و قد نهاك ربك أن تصلّي عليه؟

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: إنّما خيرني الله فقال: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» و سأزیده على السبعين.

قال: إنه منافق.

ص: ١٦٩

١-١) مجمع الزوائد ١١٥/٧.

٢-٢) فتح الباري ٥٦١/٨.

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩/٧، الفرق بين الفرق: ٢١٠.

قال:فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فأنزل الله تعالى «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» (١).

أمّا أصحابنا الإمامية، فإنهم يقولون بعصمه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله و سائر الأنبياء عن ذلك كلّه:

قال العلامة: «لا يجوز أن يقع منه الصغائر والكبائر، لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً في التأويل، ويجب أن يكون منزهاً عن ذلك كلّه من أول عمره إلى آخره».

فقال شارحه المقداد الحلّي: «و أصحابنا حكموا بعصمتهم مطلقاً، قبل النبوه و بعدها، عن الصغائر و الكبائر، عمداً و سهواً، بل و عن السهو مطلقاً و لو في القسم الرابع. و نقصد به الأفعال المتعلقة بأحوال معاشهم في الدنيا ممّا ليس ديتياً» (٢).

و قال الشهيد الثاني: «و أمّا علم الحديث، فهو أجل العلوم قدراً و أعلاها مرتبةً و أعظمها مثوبه بعد القرآن. و هو ما اضيف إلى النبي و الأئمة المعصومين، قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً، حتى الحركات و السكنات و اليقظه و النوم» (٣).

و قال الشيخ المجلسي: «اعتقادنا في الأنبياء و الرسل و الأئمة و الملائكة أنهم معصومون مطهرون من كلّ دنس، و أنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً و لا كبيراً «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ». و من نفى عنهم العصمه في شيء من أحوالهم فقد جهلهم.

و اعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال و التمام و العلم، من أوائل امورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص و لا جهل» (٤).

ص: ١٧٠

١-١ صحيح البخارى ١٢٩/٦، ٢٠٢/٢-١٣١، صحيح مسلم ١٢٠/٨، ١١٦/٧.

٢-٢ إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٣٠٤.

٣-٣ منيه المرید في آداب المفيد و المستفيد: ١٩١.

٤-٤ بحار الأنوار ٧٢/١١.

وقال: «فاعلم أن العمده فيما اختاره أصحابنا من تنزيه الأنبياء والأئمه من كل ذنبٍ و دناءٍ و منقصه، قبل النبوه و بعدها، قول أئمتنا عليهم السلام بذلك، المعلوم لنا قطعاً بإجماع أصحابنا، مع تأييده بالنصوص المتظافره، حتى صار ذلك من قبيل الضروريات في مذهب الإماميه» (١).

و أورد الشيخ الحرّ العاملي في كتاب له في الموضوع-الأدله العقلية و النقلية على استحاله السهو عليه مطلقاً، و ذكر أن علمائنا و فقهائنا قد صرّحوا بذلك في أكثر كتبهم في الفروع، و صرّحوا في جميع كتب الاصول، بنفي السهو عنهم عليهم السلام على وجه العموم و الإطلاق، الشامل للعباده و غيرها، و أوردوا أدله كثيره (٢).

فليظن الباحث المنصف في كلام علمائنا، فهم يقولون بالعصمه عن السهو حتى في الامور الدينويه، لكن أهل السنه، يروون في صحاحهم أن النبي صلى الله عليه و آله نهى الناس من تأبير نخلمهم فوقعوا في ضررٍ عظيمٍ!!

فقد أخرجوا عن موسى بن طلحه بن عبيد الله عن أبيه قال:

«مررت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بقوم على رؤوس النخل. فقال:

ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما أظن يغني ذلك شيئاً.

قال: فأخبروا بذلك، فتركوه.

فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن» (٣).

نعم، قد وجدنا في علماء أهل السنه من يعتقد بالحق الذي عليه أصحابنا، و إليك

ص: ١٧١

١-١) بحار الأنوار: ٩١/١١.

٢-٢) التنبیه بالمعلوم من البرهان على تنزيه المعصوم من السهو و النسيان. ط قم سنه ١٤٠١.

٣-٣) منتخب مسند عبد بن حميد: ٦٥.

النص التالي من الزرقاني المالكي، فإنه قال:

«إنه معصوم من الذنوب، بعد النبوة وقبلها، كبيرها، وصغيرها، عمدتها وسهوها على الأصح. في ظاهره وباطنه، سره وجهه، جدّه و مزحه، رضاه و غضبه.

كيف؟ وقد أجمع الصحب على أتباعه و التأسى به في كلّ ما يفعله.

قال السبكي: أجمعت الأمة على عصمه الأنبياء فيما يتعلّق بالتبليغ وغيره، من الكبائر و الصغائر و الخسّه و المداومه على الصغائر.

و في صغائر لا تحطّ من رتبهم خلاف، ذهب المعتزلة و كثير من غيرهم إلى جوازها، و المختار المنع. لأننا امرنا بالإقتداء بهم فيما يصدر عنهم، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي؟» (١).

قال قدس سره: أمّا المقدّمه الاولى، فلأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، لا يمكن أن يعيش منفرداً... و لما كان الاجتماع في مظنّه التغالب و التناوش، فإنّ كلّ واحدٍ من الأشخاص... فلا بدّ من نصب إمام معصوم يصدّهم عن الظم....

الشرح:

هذه هي كبرى هذا الاستدلال العقلي، و كلّ عاقل يصدّق به، لأنّ العقل حاكم بضروره الأمن و العدل في المجتمع، و هذا من جملة فوائد و جوب وجوده الذي قام عليه الإجماع من كافّة الفرق:

قال ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنّة و جميع المرجئه و جميع المعتزلة و جميع الشيعة و جميع الخوارج، على وجوب الإمامه، و أن الأمه فرض واجب، عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله و يسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلّى الله عليه و آله، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض

ص: ١٧٢

الإمامه و إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، و هذه فرقه ما نرى بقى منها أحد، و هم المنسوبون إلى نجله بن الحنفى القائم بالإمامه.

قال أبو محمّد: و قول هذه الفرقة ساقط، يكفى من الردّ عليه و إبطاله إجماع كلّ من ذكرنا على بطلانه، و القرآن و السنّه قد وردا بإيجاب الإمام. من ذلك قول الله تعالى:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» مع أحاديث كثيره صحاح فى طاعه الأمه، و إيجاب الإمامه.

و أيضاً، فإن الله عز و جل يقول: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَهَا» فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم و احتمالهم، و قد علمنا بضروره العقل و بديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال، و الجنايات، و الدماء، و النكاح، و الطلاق، و سائر الأحكام كلّها، و منع الظالم، و إنصاف المظلوم، و أخذ القصاص على تباعد أقطارهم، و شواغلهم، و اختلاف آرائهم، و امتناع من ثحرى فى كلّ ذلك ممتنع غير ممكن، إذ قد يريد واحد أو جماعه أن يحكم عليهم إنسان، و يريد آخر أو جماعه أخرى أن لا- يحكم عليهم، إمّا لأنها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، و إما خلافاً مجرداً عليهم، و هذا الذى لا بدّ منه ضروره و هذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها، فإنه لا يقام هناك حكم حق و لا حدّ، حتى قد ذهب الدين فى أكثرها، فلا- تصح إقامة الدين إلا- بالاسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد، فيأذن لا- بدّ من أحد هذين الوجهين، فإن الاثنين فصاعداً بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر ألبته.

فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا- الإسناد إلى واحد، فاضل، عالم، حسن السياسه، قوى على الإنفاذ، إلا- أنه و إن كان بخلاف ما ذكرنا، فالظلم و الإهمال معه أقلّ منه مع الاثنين فصاعداً، و إذ ذلك كذلك ففرض لازم لكلّ الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم، إن قدروا على كفّ كلّ لهم ذلك، و إلا فكفّ ما قدروا على كفّه منه و لو قضيه واحده لا يجوز غير ذلك.

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامه، على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم، ولا يجوز إلا إمامه واحده، إلا محمّد بن كرام السجستاني و أبا الصباح السمرقندي، وأصحابهما، فإنهم أجازوا كون إمامين في وقت، وأكثر في وقت واحد.

و احتج هؤلاء بقول الأنصار أو من قال منهم يوم السقيفه للمهاجرين: منا أمير، و منكم أمير.

و احتجوا أيضاً بأمر على و الحسن مع معاويه رضى الله عنهم.

قال أبو محمّد: و كلّ هذا لا حجه لهم فيه» (1).

لكنّ الغرض المذكور و غيره من الأغراض العقلانيه المترتبه على وجود الإمام، لا يحصل إلا إذا كان معصوماً، و إلا لا احتاج إلى إمام....

هذه هي كبرى الاستدلال.

و طريق الإشكال فيه هو الردّ على النقاط المكوّنه له لو أمكن....

لكنّ ابن تيميّه قد خلط في مقام الردّ، بين الكبرى و المصداق، بقطع النظر عمّا في كلامه من السبّ و التهجيم و القول بالباطل، فذكر وجوهاً نورد أكثرها:

الأول: «إن هذا الإمام الموصوف لم يوجد بهذه الصفه، أمّا في زماننا، فلا يعرف إمام معروف يدعى فيه هذا و لا يدعى لنفسه، بل مفقود غائب عند متّبعيه و معدوم لا حقيقه له عند العقلاء... و هذا المنتظر لا ينفع... و أيضاً، فالأئمه الاثنا عشر لم يحصل لأحد من الأئمه بأحد منهم جميع مقاصد الإمامه... و أمّا الغائب فلم يحصل به شيء....

الوجه الثاني: أن يقال: قولكم: لا بدّ من نصب إمام معصوم يفعل هذه الامور:

أ تريدون أنه لا بدّ أن يخلق الله و يقيم من يكون متّصفاً بهذه الصفات... فالله لم يخلق أحداً متّصفاً بهذه الصفات! فإن غايه ما عندكم أن تقولوا: إن عليّاً كان معصوماً،

ص: ١٧٤

لكن الله لم يمكنه و لم يؤيده، لا بنفسه و لا بجند خلقهم له حتى يفعل ما ذكرتموه.

بل أنتم تقولون: إنه كان عاجزاً مقهوراً مظلوماً فى زمن الثلاثه....

و إن قلتم: إن الناس يجب عليهم أن يبايعوه و يعاونوه.

قلنا: أيضاً، فالناس لم يفعلوا ذلك، سواء كانوا مطيعين أو عصاه.

و على كل تقدير، فما حصل لأحد من المعصومين عندكم تأييد، لا من الله و لا من الناس....

الوجه الثالث: أن يقال: إذا كان لم يحصل مجموع ما به تحصل هذه المطالب، بل فات كثير من شروطها، فلم لا يجوز أن يكون الفئات هو العصمه؟....

الوجه الرابع: إنه لو لم يخلق هذا المعصوم، لم يكن يجرى فى الدنيا من الشر أكثر مما جرى، إذ كان وجوده لم يدفع شيئاً من الشر حتى يقال وجوده دفع كذا، بل وجوده أوجب أن كذب به الجمهور و عادوا شيعته....

و إذا قيل: هذا الشر حصل من ظلم الناس له.

قيل: فالحكيم الذى خلقه إذا كان خلقه لدفع ظلمهم، و هو يعلم أنه إذا خلقه زاد ظلمهم، لم يكن خلقه حكمه بل سفهاً....

الوجه الخامس: إذا كان الإنسان مدنياً بالطبع، و إنما وجب نصب المعصوم ليزيل الظلم و الشر عن أهل المدينة، فهل تقولون: إنه لم يزل فى كل مدينة خلقها الله تعالى معصوم يدفع ظلم الناس أم لا؟

إن قلتم: بل نقول هو فى كل مدينة واحد، و له نواب فى سائر المدائن.

قيل: فكل معصوم له نواب فى جميع مدائن الأرض أم فى بعضها؟

فإن قلتم: فى الجميع، كان هذا مكابره.

و إن قلتم: فى البعض دون البعض.

قيل: فما الفرق إذا كان ما ذكرتموه واجباً على الله، و جميع المدائن حاجتهم إلى

الوجه السادس: أن يقال: هذا المعصوم يكون وحده معصوماً أو كلُّ من نوابه معصوماً؟

و هم لا يقولون بالثاني، والقول به مكابره....

و إن قلت: يشترط فيه وحده.

قيل: فالبلاد النائيه عن الإمام، لا سيما إذا لم يكن المعصوم قادراً على قهر نوابه بل هو عاجز، ما ذا ينتفعون بعصمه الإمام؟....

الوجه السابع: أن يقال: صدَّ غيره عن الظلم و إنصاف المظلوم منه و إيصال حق غيره إليه، فرع على منع ظلمه و استيفاء حقه، فإذا كان عاجزاً مقهوراً لا يمكنه دفع الظلم عن نفسه... و أى ظلم يدفع...؟

الوجه الثامن: أن يقال: قوله: لو لم يكن الإمام معصوماً لافتقر إلى إمامٍ آخر... فيقال له:

لم لا- يجوز أن يكون إذا أخطأ الإمام كان في الأئمة من يتبَّه على الخطأ؟... و من جهل الرافضة: إنهم يوجبون عصمه واحداً من المسلمين، و يجوزون على مجموع المسلمين الخطأ إذا لم يكن فيهم واحد معصوم....

الوجه التاسع: أن يقال: العلم الديني الذي يحتاج إليه الأئمة و الأئمة نوعان: علم كلِّي، كما يجاب الصلوات الخمس و صيام شهر رمضان و الزكاه و الحج... و علم جزئي كوجوب الزكاه على هذا، و وجوب إقامة الحدِّ على هذا، و نحو ذلك.

فأمَّا الأوَّل، فالشريعة مستقله به، لا تحتاج فيه إلى الإمام....

و أمَّا الجزئيات، فهذه لا- يمكن النصُّ على أعيانها، بل لا بدَّ فيها من الإجتهد المسمَّى بتحقيق المناط... و إذا كان كذلك، فإنَّ ادَّعوا عصمه الإمام في الجزئيات، فهذه مكابره....

ولمّا كانت الشيعة أبعد الناس عن اتباع المعصوم الذى لا ريب فى عصمته و هو رسول الله صلّى الله عليه و سلّم... فلا جرم تجدهم من أبعد الناس عن مصلحة دينهم و دنياهم... و لها كانوا يشبهون اليهود فى أحوال كثيرة منها أنه ضربت عليهم الذلّة أينما ثقفوا... و لا بدّ لهم من نسيه إلى الإسلام يظهر بها خلاف ما فى قلوبهم...» إلى آخر كلامه فى السبّ و الشتم للشيعة و الطعن فى أئمتهم... (١).

أقول:

أمّا السبّ و الشتم... فنكله فيه إلى الله، و عليه حسابه و جزاؤه.

و أمّا سائر كلامه، فخرج عن البحث و خلط واضح و فراژ عن قبول الحق....

فهو تارة، يتطرّق إلى أشخاص الأئمة فيقول: بأنّ عليّاً الذى تقولون بعصمته لم تترتب على إمامته الفائدة المقصوده، بل بالعكس، و أنّ المهدي الذى تقولون بإمامته معدوم لا حقيقه له....

و أخرى، يشكك فى أصل لزوم وجود الإمام بين الناس، لأنّ العلم الدينى نوعان... إلى آخر كلامه....

و ثالثه، يدعى عدم إمكان صدّ الإمام الظلم فى المجتمع، لعدم عصمه و لاته و لتباعد البلاد عن بلد حكومته....

و هكذا سائر كلماته....

فأنت ترى أنه لم يرد على الكبرى التى أفادها العلّامة بشيء، لعدم إمكان الردّ عليها....

و خلاصتها: إنه لا بدّ من وجود إمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لا بدّ من كونه معصوماً، حتى يحصل الغرض من وجوده.

ص: ١٧٧

قال قدس سرّه: وأمّا المقدّمه الثانيه، فظاهره. لأنّ أبا بكر و عمر و عثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً. و على عليه السلام معصوم، فيكون هو الإمام.

الشرح:

إنّه بعد الفراغ عن وجوب وجود الإمام بعد النبي صلّى الله عليه و آله بالدليل العقلي و النقلى، و عن ضروره كونه معصوماً و إلّا لم يتحقق الغرض من وجوده، فمن هو الواجد للشرط المذكور، و الأمر دائر بين علي و أبي بكر؟

أمّا أبو بكر، فلم يكن معصوماً. و كذا عمر و عثمان.

لكنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فمعصوم.

فيكون هو الامام.

و طريق الإشكال العلمى الصحيح على هذه المقدّمه ينحصر، إمّا بإثبات عصمه أبي بكر، و إمّا بإنكار عصمه على عليه السلام.

لكنّ ابن تيميه يقول:

«و أمّا المقدّمه الثانيه، فلو قدّر أنه لا بدّ من معصوم، فقولهم: ليس بمعصوم غير علي اتفاقاً، ممنوع. بل كثير من الناس من عبادهم و صوفيتهم و جندهم و عامتهم، يعتقدون فى كثير من شيوخهم من العصمه من جنس ما تعتقده الرافضه فى الاثنى عشر، و ربما عبروا عن ذلك بقولهم: الشيخ المحفوظ.

و إذا كانوا يعتقدون هذا فى شيوخهم مع اعتقادهم أن الصحابه أفضل منهم، فاعتقادهم ذلك فى الخلفاء من الصحابه أولى.

و كثير من الناس فيهم من الغلوّ فى شيوخهم من جنس ما فى الشيعة من الغلوّ فى الأئمه.

و أيضاً، فالإسماعيليه يعتقدون عصمه أئمتهم، و هم غير الاثنى عشر.

و أيضاً، فكثير من أتباع بنى اميه - أو أكثرهم - كانوا يعتقدون أنّ الإمام لا حساب

ص: ١٧٨

عليه و لا عذاب...» (١).

أقول:

لا يخفى على أهل العلم: أن هذا الكلام إما باطل و إما خروج عن البحث، فهو على كل تقدير لا يصلح جواباً عن الاستدلال.

ثم قال:

«إما أن يجب وجود المعصوم في كل زمانٍ و إما أن لا يجب.

فإن لم يجب، بطل قولهم.

و إن وجب، لم نسلم على هذا التقدير أنّ علياً كان هو المعصوم دون الثلاثة، بل إذا كان هذا القول حقاً، لزم أن يكون أبو بكر و عمر و عثمان معصومين، فإن أهل السنّه متفقون على تفضيل أبي بكر و عمر و أنهما أحقّ بالعصمه من علي، فإن كانت العصمه ممكنه، فهي إليهما أقرب، و إن كانت ممتنعه، فهي عنه أبعد....

و إذا قال الرافضي: الإيمان ثابت لعلي بالإجماع، و العصمه منتفيه عن الثلاثة بالإجماع، كان كقول اليهودي: نبوّه موسى ثابتة بالإجماع، أو قول النصراني: الإلهيّة منتفيه عن محمّد بالإجماع....

و إذا قال: أنتم تعتقدون بانتفاء العصمه عن الثلاثة.

قلنا: نعتقد انتفاء العصمه عن علي....

و هنا جواب ثالث عن أصل الحجه و هو أن يقال: من أين علمتم أنّ علياً معصوم و من سواه ليس بمعصوم؟... لكنّ هؤلاء يحتجون بالإجماع و يردون كون الإجماع حجه، فمن أين علموا أنّ علياً هو المعصوم دون من سواه؟...» (٢).

ص: ١٧٩

١- (١) منهاج السنه ٤٣٠/٦.

٢- (٢) منهاج السنه ٤٣٥/٦.

أقول:

بعد الإعراض عمّا فى كلامه من الشتم، وما لا طائل تحته، فإن القدر المهمّ من تطويلاته الذى يستحقّ النظر و الجواب هو:

«إذا كان على معصوماً لزم أن يكون أبو بكر و عمر و عثمان معصومين».

فهو يدعى الملازمه بين عصمه الإمام على عليه السلام و عصمه الثلاثة.

لكنّ هذه الملازمه تحتاج إلى دليلٍ مثبت، فانظر إلى دليله:

«فإنّ أهل السنّه متفقون على تفضيل أبى بكر و عمر و أنهما أحقّ بالعصمه من على».

فإنّ وجدنا فى كلامه وجهاً علمياً بظاهره، فهو هذا الكلام، و لكنه مردود بوجهٍ عديده:

الأول: إنّ الأدلّه- كتاباً و سنّه- على عصمه إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام كثيره، من أوضحها دلالةً من الكتاب قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ...» (١) و قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢) و قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (٣). و من السنّه: قوله صلى الله عليه و آله له: «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدى». و قوله: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى» و قوله: «على مع الحق و القرآن مع على».

و سيأتى- فيما بعد- بيان دلالة هذه الأدلّه و غيرها.

الثانى: إنّ أهل السنّه غير متفقين على أفضلية أبى بكر و عمر، بل إنّ جمعاً كبيراً

ص: ١٨٠

١-١) سورة آل عمران: ٦١.

٢-٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

٣-٣) سورة التوبة: ١١٩.

منهم يقولون بأفضليته الإمام على منهما، وقد نصَّ على ذلك غير واحدٍ من كتاب حفاظ القوم، بل ذلك قول كثير من الصحابه:

قال ابن عبد البر:

«و روى عن سلمان و أبي ذر و المقداد و خباب و جابر و أبي سعيد و زيد بن أرقم:

أنَّ علي بن أبي طالب رضى الله عنه أوّل من أسلم. و فضله هؤلاء على غيره» (١).

و قال ابن حزم:

«اختلف المسلمون في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام.

فذهب بعض أهل السنّه و بعض المعتزله و بعض المرجئه و جميع الشيعة إلى: أن أفضل الأئمّه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على بن أبي طالب، رضى الله عنه.

و روينا هذا القول نصّاً عن بعض الصحابه رضى الله عنهم، و عن جماعه من التابعين و الفقهاء» (٢).

و قال النووى بترجمه أمير المؤمنين عليه السلام:

«و سؤال كبار الصحابه و رجوعهم إلى فتاويه و أقواله في المواطن الكثيره و المسائل المعضلات مشهور» (٣).

فظهر: إن ما ذكره الرّجل إمّا جهلٌ و إمّا كذب.

و ثالثاً: إنه على فرض اتّفاقهم على أفضليه الشيخين، فإن الكلام في العصمه لا الأفضليه.

و رابعاً: دعوى الاتّفاق منهم على أنهما أحقّ بالعصمه، كاذبه.

و خامساً: إنّ الكلام في العصمه لا في الأحقيّه بالعصمه.

ص: ١٨١

١-١ (١) الإستيعاب ١٠٩٠/٣.

١٨١/٤. ٢-٢ (٢) الفصل في الملل و النحل ١٨١/٤.

٣-٣ (٣) تهذيب الأسماء و اللغات ٣٤٤/١.

و على الجملة، فإن الأدلّة على عصمه أمير المؤمنين عليه السلام عديده، ولا دليل عندهم على عصمه أبى بكر، لا من الكتاب و لا من السنّه، و لا من العقل، و لا من الإجماع، بل الدليل قائم على عدمها فى أبى بكر بإقراره هو فى أكثر من موضع، منها قوله: «إن لى شيطاناً يعترينى» و كذا عمر و عثمان، بل الأمر فىهما أوضح و أشهر.

فظهر، أن الملازمه المدّعا باطله.

فسقط كلام ابن تيمّيّه على طوله فى المقام.

ص: ١٨٢

الدليل الثاني: إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لما بينا من بطلان الإختيار، وأنه ليس بعض المختارين لبعض الأمة أولى من البعض المختار للآخر، ولأدائه إلى التنازع والتناحر....

الشرح:

إنه بعد الفراغ عن ضروره وجود الإمام و نصبه بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بالاتفاق، يقع البحث عن طريق نصبه:

أمياً أصحابنا، فقالوا: بأن الطريق منحصر بالنص من الله و رسوله، لأن الإمامه نيابه عن النبوه، فكما لا اختيار من الأمة في نصب النبي، كذلك الإمام، قال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (١).

و أمياً أهل السنه، فكلامهم مختلف جداً، لأنهم ينظرون إلى الأمر الواقع بين الصحابه بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فهم يدعون ثبوت الإمامه لأبي بكر باختيار الناس، ثم يقولون بإمامه عمر بنص أبي بكر عليه، ثم بإمامه عثمان بالشورى المزعومه....

و هم على كل تقدير، يعترفون بعدم النص على أبي بكر، كما سيأتي.

هذا، والمشهور بينهم هو القول بالإختيار، و قد أشكل علماؤنا عليه بوجوه، ذكر العلامة ثلاثه منها:

أحدها: إن الإمامه - كما ذكرنا - منصب إلهي، و لا خيره للأمة في المناصب الإلهيه،

ص: ١٨٣

بل الأدلّه من الكتاب و السنّه قائمه على بطلانها، بل حتّى النبيّ صلّى الله عليه و آله ليس الأمر بيده، وقد صرح بذلك هو في بدء دعوته و أوائل رسالته، كما ذكر أهل السيره، من أنّه لمّا عرض نفسه على بعض القبائل و دعاهم إلى الإسلام، قال له بعض رؤسائهم:

«أ رأيت إنّ نحن بايعناك على أمرك، ثم أظفرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟»

قال صلّى الله عليه و آله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (١).

و أيضاً، فقد تقرّر اشتراط العصمه في الإمام، لكنّها من الامور الباطنه التي لا يعلمها إلّا الله، قال العلامة:

«الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لأنّ العصمه من الامور الباطنه التي لا يعلمها إلّا الله تعالى. فلا بدّ من نصّ من يعلم عصمته عليه، أو ظهور معجزه على يده تدلّ على صدقه» (٢).

و أيضاً، فإنه يعتبر في الإمام الأفضليه كما سيأتي، و هي أيضاً من الامور التي لا يشخصها أغلب الناس.

فالقول بالاختيار مخالفٌ للكتاب و السنّه.

و الثاني: إنه مخالفٌ للعقل، الحاكم بقبح الترجيح بلا مرجح، فلو اختار بعض الأئمّه رجلاً، و اختار البعض الآخر رجلاً غيره، فإمّا يقال بإمامتهما معاً، فذاك باطلٌ، و تقدّم في كلام ابن حزم، و إمّا يترجّح أحدهما على الآخر، فإن كان بمرجّح، بطل اختيار القائلين بإمامه غيره، و إنّ كان بلا مرجح، فهو قبيح.

و الثالث: استلزامه نقض الغرض. لأن الغرض من نصب الإمام هو حفظ النظم و حقوق الناس و رعايه العدل بين أفراد الأئمّه، لكن القول بالاختيار يؤدّي إلى التنازع

ص: ١٨٤

١- (١) السيره النبويه لابن هشام ٦٦/٢، السيره الحلبيه ١٥٤/٢.

٢- (٢) الباب الحادي عشر- بشرح المقداد: ٤٨.

بين الأُمَّه و اختلافها و تفرّقها على نفسها، و هذا هو الفساد.

و إذا بطل الاختيار بجميع أشكاله، تعيّن النص:

قال قدس سره: و غير على عليه السلام من أئمتهم لم يكن منصوباً عليه بالإجماع. فتعيّن أن يكون هو الإمام.

الشرح:

و عمدته الكلام هو في أبي بكر، لأنّه المعارض لأُمير المؤمنين، و حكمه عمر و عثمان متفرعه على حكومته، و قد نصّ كبار علمائهم على عدم الدليل عليها من الكتاب و السنّه، كما لا يخفى على من يراجع كتبهم الكلاميه المعتبره، كشرح المواقف (١) و شرح المقاصد (٢) و غيرهما... قال التفتازاني:

«ذهب جمهور أصحابنا و المعتزله و الخوارج إلى أنّ النبي صلّى الله عليه و آله لم ينص على إمام بعده...».

فما الدليل على إمامته؟

قال: «العمده: إجماع أهل الحلّ و العقد على ذلك، و إنّ كان من البعض بعض تردّد و توقّف» (٣).

لكن لا يخفى:

أولاً: كان الأمر موكولاً إلى اختيار الأُمَّه، فأصبح منوطاً بنظر «أهل الحلّ و العقد»!

و ثانياً: هل يعتبر إجماع أهل الحلّ و العقد أو لا؟

إن كان معتبراً، فما معنى «و إنّ كان من البعض بعض تردّد و توقّف»؟

و ثالثاً: هل كان الواقع من سعد بن عباده و من تبعه الذين ماتوا و لم يبائعوا «بعض

ص: ١٨٥

١-١ شرح المواقف ٣٥٤/٨.

٢-٢ شرح المقاصد ٢٥٩/٥.

٣-٣ شرح المقاصد ٣٦٤/٥.

تردد و توقف؟

و هل كان من الصديقه الطاهره بضعه الرسول، التي فارقت هذا العالم مهاجرةً أبا بكر «بعض تردد و توقف»؟

و هل كان من مالك بن نويرة و عشيرته الذين قتلهم خالد بن الوليد بأمر من أبي بكر، ففارقوا الدنيا بلا بيعه له «بعض تردد و توقف»؟

و لكنّ القوم رفعوا اليد عن اختيار الأئمة، إلى إجماع أهل الحلّ و العقد، ثم رفعوا اليد عن ذلك أيضاً، فقالوا بعدم اعتبار عددٍ معيّن، بل يكفي الواحد و الاثنان، كما نصّ عليه التفتازاني أيضاً.

فإذا لم يكن الكتاب و لا السنّه و لا الإجماع هو الدليل على إمامه أبي بكر، لم يبق إلّا الغلبه و الزور....

و بما ذكرنا يظهر كذب ابن تيميه في قوله:

«ذهبت طوائف كثيره من السلف و الخلف من أهل الحديث و الفقه و الكلام إلى النصّ على أبي بكر.

و ذهبت طائفه من الرافضه إلى النصّ على العباس» (١).

و له هنا أيضاً كلام طويل لا طائل تحته، فلا نصيب الوقت به.

ص: ١٨٤

الدليل الثالث: إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصُورِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ....

الشرح:

و هذا الدليل أيضاً مرّكب من مقدّمه هي كبرى الاستدلال.

فإنّ من الواضح أنّ من وجوه الحاجه إلى الإمام بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَفْظُ الشَّرِيعَةِ مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّرْكِ، وَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَ النِّقْصِ.

و من الواضح كذلك، أن من يريد حفظ الشرع، فلا بدّ و أنّ يكون عالماً به، أمّا الجاهل فكيف يمكنه حفظ ما هو جاهل به؟

و قد ذكر هذا الاستدلال في سائر كتب أصحابنا، ففي الشافى و تلخيصه و التجريد و شروحه: إنه قد ثبت أن شريعته نبينا عليه و آله السلام مؤبده، و أنّ المصلحه لها ثابتة إلى قيام الساعه لجميع المكلفين. و إذا ثبت هذا، فلا بدّ لها من حافظ، لأن تركها بغير حافظ إهمال لها، و تعبّد للمكلفين بما لا يطيقونه و يتعذّر عليهم الوصول إليه.

و ليس يخلو الحافظ لها من أن يكون جميع الأمه أو بعضها.

و ليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمه، لأنّ الأمه يجوز عليها السهو و النسيان و ارتكاب الفساد و العدول عمّا علمته.

إذن، لا بدّ لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير و التبديل و السهو، ليتمكن المكلفون من المصير إلى قوله (1).

ص: ١٨٧

(١-١) تلخيص الشافى ١/١٣٣، شرح التجريد: ٢٨٥.

أجاب ابن تيميه بوجوه:

أحدها: أنا لا نسلّم أنه يجب أن يكون حافظاً للشرع، بل يجب أن تكون الأئمة حافظه للشرع....

و هو مردود: بأن الأئمة غير معصومه، والخطأ والسهو جائر على آحادها وجماعتها، فلا بدّ من إمام معصومٍ حافظ لها، و هو لا ينصب إلّا من قبل الله عز و جلّ.

و الوجه الثاني: إذا كان لا- يمكن معرفه شيء من الشرع إلّا بحفظه، يلزم أن لا- تقوم حجه على أهل الأرض إلّا بنقله، و لا يعلم صحّته نقله حتى يعلم أنه معصوم، و لا- يعلم أنه معصوم إلّا بالإجماع على نفي عصمه من سواه. فإن كان الإجماع معصوماً أمكن حفظ الشرع به و إن لم يكن معصوماً لم تعلم عصمته.

و هو مردود: بأنّ عصمته تعلم بنصبه للإمامه من الله تعالى، لأنّ الله لا ينصب للإمامه إلّا المعصوم، و لا يعرف المعصوم إلّا الله.

و الوجه الثالث: إن ما ذكره ينقص من قدر النبوه، فإنه إذا كان الذي يدعى العصمه فيه من عصيته، كان ذلك من أعظم التهم التي توجب القدح في نبوته، و يقال إنه كان طالب ملكٍ أقامه لأقاربه، و عهد إليهم ما يحفظون به الملك، و أن لا يعرف ذلك غيرهم، فإنّ هذا بأمر الملك أشبه منه بأمر الأنبياء.

و هو وجه سخيّف جدّاً، و قد عرفت أنّ هذه المقدمه كبرويّه، و لا نظر فيها إلى المصاديق.

و الوجه الرابع: أن يقال: الحاجه ثابتة إلى معصوم في حفظ الشرع و نقله، و حينئذٍ، فلما ذا لا يجوز أن يكون الصحابه الذين حفظوا القرآن و الحديث و بلغوه هم المعصومون الذين حصل بهم مقصود حفظ الشرع و تبليغه، و معلوم أنّ العصمه إذا حصلت في الحفظ و التبليغ من نقله، حصل المقصود و إن لم يكونوا هم الأئمه.

و هو مردود: بأنه خلف، لما تقدّم من ضروره وجود الإمام بعد النبي صلّى الله

عليه و آله يا جماعة المسلمين قاطبةً.

و أيضاً، كيف يحفظ الشرع بالصّحابه، و الحال أنّ كلّ تديل و تغيير حصل فيه فهم الأصل له؟

و الوجه الخامس: إنه إذا كان لا يحفظ الشرع و يبلغه إلّا واحد بعد واحد، معصوم عن معصوم، فهذا المنتظر له أكثر من أربعائه و ستين سنه لم يأخذ عنه أحد شيئاً من الشرع....

و هذا الوجه ذكره القاضي المعتزلى بقوله:

«ثم يقال لهم: يجب على هذه العله فى هذا الزمان و الإمام مفقود أو غائب أن لا نعرف الشريعة. ثم لا يخلو حالنا من وجهين:

إمّا أن نكون معذورين و غير مكلفين لذلك، فإنّ جاز ذلك فينا ليجوزه فى كلّ عصر بعد الرسول صلّى الله عليه و آله و سلم، و ذلك يغنى عن الإمام و تبطل علتهم.

و إن قالوا: بل نعرف الشريعة لا من قبل الإمام.

قيل لهم: فبأى وجه يصحّ أن نعرفها، يجب جواز مثله فى سائر الأعصار، و فى ذلك الغنى عن الإمام فى كلّ عصر».

فأجاب السيد المرتضى علم الهدى بقوله:

قد بينا: أنّ الفرقه المحقّقه القائله بوجود امام حافظ للشريعة، هى عارفه بما نقل من الشريعة عن النبى صلّى الله عليه و آله، و ما لم ينقل عنه فيما نقل عن الأئمه القائمين بالأمر بعده عليه السلام، و واثقه بأنّ شيئاً من الشريعة يجب معرفته لمن لم يُخل به من أجل كون الإمام من وراثتها، و بينا أنّ من خالف الحقّ و ضلّ عن دين الله تعالى الذى ارتضاه لا يعرف أكثر الشريعة، لعدوله عن الطريق الذى يوصل إلى العلم بها، و لا يتق بأنّ شيئاً ممّا يلزمه معرفته لم ينطو عنه و إن أظهر الثقة من نفسه، و لا يجب أن يكون من هذا حكمه معذوراً، لتمكّنه من الرجوع إلى الحقّ.

فأما قولك: «إن قالوا بل نعرفها لا من قبل الإمام».

فإن أردت إمام زماننا، فقد بينا إنا قد عرفنا أكثر الشريعة ببيان من تقدّم من آباءه عليهم السلام، غير أنّه لا نقضى الغنى فى الشريعة من الوجود الذى تردّد فى كلامنا مراراً.

وإن أردت أن تعرف الشريعة لا من قبل إمام فى الجملة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، فقد دللنا على بطلان ذلك.

و بعد و إن تقدّم أكثر ما اختلف فيه من الشريعة لو لا ما نقل عن الأئمة من آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم من البيان لما عرف الحقّ، و أن من عوّل فى الشريعة على الظنّ، فقد خبط و ضلّ عن القصد، و بينا- أيضاً- أن جميع الشريعة لو كان منقولاً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، و لم يقف منها شيءٌ على بيان الأئمة بعده عليه السلام لكانت الحاجه إليهم فيها قائمه من حيث كان يجوز على من نقلها فعلمناها أن لا ينقلها، و بعد أن نقلها أن يعدل عن نقلها فلا يعلم فى المستقبل» (١).

قال قدس سره: و غير على عليه السلام لم يكن كذلك بالإجماع.

الشرح:

نعم، غير على عليه السلام لم يكن حافظاً للشرع، بل كلّما حصل فيه من التغيير و التبديل و وقع فيه من البدعه و التضليل، كان من غيره، إمّا عن عمدٍ و إمّا عن جهل، فلم يتحقّق بهم مقصود الإمامه بل تحقق نقيضه.

و من العجب أنهم بعد أن أقروا بعدم النصّ على أبى بكر، و قالوا بإمامته باختيار الناس له، قالوا بأنّه يعتبر فى الإمام ثلاثة شروط بالإجماع، قال فى شرح المواقف:

«المقصد الثانى فى شروط الإمامه:

ص: ١٩٠

الجمهور على أن أهل الإمامه و مستحقّها من هو مجتهد فى الاصول و الفروع، ليقوم بأمر الدين، متمكناً من إقامة الحجج و حلّ الشبه فى العقائد الدينيه، مستقلاً بالفتوى فى النوازل و الأحكام الوقائع نصّاً و استنباطاً، لأن أهم مقاصد الإمامه حفظ العقائد و فصل الحكومات و رفع المخاصمات، و لن يتم ذلك بدون هذا الشرط. ذو رأى و بصاره بتدبير الحرب و السلم... شجاع...» (١).

لكنّ رواياتهم و أخبار سيره أبى بكر و عمر و عثمان حاكيه عن جهلهم و جنبهم...

فالصفات الثلاثه المذكوره التى اعتبروها مفقوده فى خلفائهم، و للتفصيل مجال آخر.

ص: ١٩١

١-١) شرح المواقف ٣٤٩/٨.

الدليل الزايع: إن الله قادر على نصب إمام معصوم

قال قدس سره: إن الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، والحاجه للعالم داعيه إليه و لا مفسده فيه. فيجب نصبه.

الشرح:

و هذا الدليل كذلك مرّكب من مقدّمتين.

أما المقدمه الأولى، فقد أوضحها العلامة بقوله:

أما قدره فظاهره. و أما الحاجه فظاهره أيضاً... و أما انتفاء المفسده فظاهر أيضاً....

و من أراد الجواب عن هذه المقدمه، فلا بدّ له من التشكيك في احدي الأمور المذكوره.

قال ابن تيميه: «و الجواب: إن هذا هو الوجه الأول بعينه و لكن قرّره. و قد تقدّمت الأجوبه عنه بمنع المقدمه الاولى و بيان فساده هذا الاستدلال، فإن مبناه على الاحتجاج بالإجماع. فإن كان الإجماع معصوماً أغنى عن عصمه على، و إن لم يكن معصوماً، بطلت دلالتة على عصمه على. فبطل الدليل على التقديرين» (1).

أقول:

أى شىء يمنع الرجل من المقدمه الاولى، يمنع قدره الله على نصب الإمام المعصوم أو الحاجه إلى الإمام أو عدم وجود المفسده فى نصبه؟ و أين تقدّم الجواب عن ذلك؟ و أين ابتناء الاستدلال على الإجماع؟

نعم، قال العلامة فى المقدمه الثانيه: و غير على لم يكن كذلك إجماعاً. و سيأتى أن هذا بيان للمصداق.

ص: ١٩٢

ثم ذكر ابن تيمية وجوهاً:

«أحدها: أن يقال: لا نسلم أن الحاجة داعية إلى نصب إمامٍ معصوم، وذلك لأن عصمه الأمامه مغنيه عن عصمته....»

الثانى: إن اريد بالحاجه أن حالهم مع وجوده أكمل، فلا ريب أن حالهم مع عصمه نواب الإمام أكمل و حالهم مع عصمه أنفسهم أكمل، و ليس كل ما تقدّره الناس أكمل لكلّ منهم يفعلّه الله، و لا يجب عليه فعله.

و إن اريد أنهم مع عدمه يدخلون النار أو لا- يعيشون فى الدنيا أو يحصل لهم نوع من الأذى، فيقال: هبّ أنّ الأمر كذلك، فلم قلت: إنّ إزالة هذا واجب، و معلوم أنّ الأمراض و الهموم و الغموم موجوده....

الثالث: أن يقال: المعصوم الذى تدعو الحاجه إليه، هو القادر على تحصيل المصالح و إزالة المفساد، أم هو عاجز عن ذلك؟

الثانى ممنوع، فإن العاجز لا يحصل به وجود المصلحه و لا دفع المفسده، بل قدره شرط فى ذلك....

و إن قيل: بل المعصوم القادر.

قيل: فهذا لم يوجد.

و إن كان هؤلاء الاثنا عشر قادرين على ذلك و لم يفعلوه، لزم أن يكونوا عصاه....

الرابع: أن يقال: هذا موجود فى هذا الزمان و سائر الأزمنه، و ليس فى هذا الزمان أحد يمكنه العلم بما يقوله، فضلاً عن كونه يجلب مصلحه أو يدفع مفسده. فكان ما ذكره باطلاً.

الخامس: لا نسلم أنه لا مفسده فى نصبه، و هذا النفى العام لا بدّ له من دليل و لا يكفى فى ذلك عدم العلم بالمفسده، فإنّ عدم العلم ليس علماً بالعدم.

ثم من المفساد فى ذلك أن يكون طاعه من ليس بنبيّ و تصديقه مثل طاعه

أقول:

هذه عمدته وجوه الجواب، أوردناها ملخّصةً بلفظه، فلينظر الباحث المنصف في كلامه و استدلال العلامة.

أمّا الوجه الأوّل، فتكرارٌ منه، وقد بيّنا فسادَه.

و أمّا الوجه الثانى، فمغالطه، لأن المقصود بالحاجه هو الحاجه الدينيه، فإنّ الإمام ينوب عن النبى صلّى الله عليه وآله فى الرئاسة الدينيه بأن يعلم الناس و يزكّيهم، و الدنيويّه، بأن ييسط فيهم العدل، و ليست الحاجه إلى الإمام أن تزول به الأمراض و الأسقام....

و أمّا الوجه الثالث، فخلط بين الكبرى و المصداق، و الأئمه عليهم السّلام لم يكونوا عاجزين، بل الظالمون حالوا دون تصدّيهم، و الأئمه لم تنتفع و لم يسمعوا منهم، و لو كان ذلك عجزاً من الأئمه، فالنبى صلّى الله عليه وآله، الذى حال أبو جهل و أبو لهب و أبو سفيان، و كذلك المنافقون الموجودون حوله صلّى الله عليه وآله، دون الوصول إلى مقاصده، كان عاجزاً، فلم يحصل الغرض الداعى لبعثته، و هذا هو الكفر.

و أمّا الوجه الرابع، فقد تقدّم الجواب عن نظيره.

و أمّا الوجه الخامس، فسخيف جدّاً، و لا يستحقّ النظر و الجواب.

و على هذه الوجوه التى عرفتها فقس ما سواها.

قال قدس سره: و غير على عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً.

الشرح

نعم، اتفق الشيعة الإماميه الاثنا عشرية، و أهل السنّه القائلون بإمامه أبى بكر، على

ص: ١٩٤

عدم النصّ على أبي بكر و عدم عصمته، و عدم تقدّمه على غيره فى العلم و العدل و الشجاعه و غير ذلك من جهات الأفضليّه.
و لَمّا كان الأمر دائراً بين أمير المؤمنين و بين أبي بكر بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و ثبت عدم نصب أبي بكر من الله، فالمنصوب منه هو على عليه السّلام.

هذا، بغض النظر عن الأدله السمعيّه على إمامته، لأن البحث عقلى كما لا يخفى.

و ابن تيميّه لم يتعرّض فى كلامه للمقدّمه الثانيه، و كأنّه يدعن بقيام الإجماع من الفريقين على عدم لياقه أبي بكر للنيابه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله.

ص: ١٩٥

الدليل الخامس: إنَّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته

قال قدس سره: إنَّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته.

و على عليه السلام أفضل أهل زمانه على ما يأتي.

فيكون هو الإمام.

لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً.

و نقلاً قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ...».

الشرح:

و هذا الاستدلال أيضاً مرَّكَّب من كبرى عقليته، أذعن بها جمهور أهل السنَّة، و حتى ابن تيميه-المكابري في الثابتات و الواضحات- ما أمكنه إنكار هذه القاعده العقليه، بل نسب الإقرار بها إلى الجمهور.

قال ابن تيميه:

«و الجواب من وجوه:

أحدها: منع المقدمه الثانيه الكبرى، فإننا لا نسلّم أن عليّاً أفضل أهل زمانه، بل خير هذه الأئمه بعد نبيّها أبو بكر ثمّ عمر.

الثاني: إن الجمهور من أصحابنا و غيرهم، و إن كانوا يقولون: يجب توليه الأفضل مع الإمكان، لكنّ هذا الرفض لم يذكر حجه على هذه المقدمه» (1).

أقول:

فأنت ترى أنه عاجز عن الجواب عن المقدمه الاولى.

ص: ١٩٦

و أما المقدمه الثانيه، فقد اكتفى بدعوى أن خير هذه الأئمه أبو بكر ثم عمر....

ثم تكلم فى الآيه المباركه قائلاً:

«و أمّا الآيه المذكوره، فلا حجه فيها له، لأن المذكور فى الآيه: من يهدى إلى الحق و من لا يهدى إلا أن يهدى، و المفضول لا يجب أن يهدى إلا أن يهديه الفاضل، بل قد يحصل له هدىً كثير بدون تعلّم من الفاضل....

و أيضاً، فالذى يهدى إلى الحق مطلقاً هو الله...» (١).

أقول:

و هذا تمام كلامه فى الدليل الخامس.

و الحقيقه: إن ابن تيميه فى أغلب البحوث عيأً على غيره، فإذا عجزوا عن الجواب فى موضع اضطرّ إلى السكوت و قصر كلامه.

و مسأله الأفضليه من المواضع المشكله عليهم!

أما كبرى المسأله، و هى قبح تقديم المفضول على الفاضل، فقاعده عقليه، من يكابر فيها دلّ على عدم فهمه و قلّه عقله.

و أما صغرى المسأله، و هى دعوى أفضليته أبى بكر، فمجرد دعوى، لا يدعمها أى دليل، بل الأدله على كذبها.

و لذا، فقد وجدنا غير واحدٍ من علمائهم الكبار يدخلون فى البحث و يطرحون دعوى أفضليته أبى بكر، ثم يتراجعون قائلين بأنّ الأولى إيكال الأمر إلى الله.

و نحن نشرح المسأله بشيء من التفصيل، فنقول:

قال الباقلانى:

«فإن قال قائل: و ما الدليل على أن أبى بكر كان بصفه ما ذكرتم من صلاحه لإمامه

ص: ١٩٧

قيل له: الدليل على ذلك سبقه إلى الإيمان و الجهاد فى سبيل الله بماله و نفسه و إنفاقه على الرسول ماله، و إيناسه له فى الغار بنفسه، و تعاضم انتفاع النبى صلى الله عليه و سلم بدعوه من دعاه إلى الإيمان و إسلام من أسلم باستدعائه، و بناءه مسجداً يدعو فيه إلى الإيمان و تصديق الرسول حتى قال الناس: من آمن بدعاء أبى بكر أكثر ممن آمن بالسيف؛ فمنهم عثمان و طلحة و الزبير و غيرهم من عليه الصحابه رضى الله عنهم، و إنما أرادوا أكثر قوه و مُنَّه لا أكثر عدداً ممن آمن بالسيف، و شراؤه المعذبين فى الله كبلال و عامر بن فهيره، و مناضلته المشركين، و قوله لمثل سهيل بن عمرو لما جاء مصالِحاً عن قريش حيث قال للنبى صلى الله و سلم ما أرى حولك إلماً من لو عضه الحديد أو قربت الخيل لأسلمك، فقال له: «اسكت؛ عضت بظُر اللاتِ! أ نحن نُسلمه؟».

و كونه مع النبى صلى الله عليه و سلم يوم بدر فى العريش و تخصصه له مع العلم بأنه لا يركن فى مثل تلك الحال إلأ إلى ذى مُنَّه و رأيٍ و بصيره و غناء، و قد دلّ على هذا بقوله للأعرابي حيث قال له: «إنك ضنين بصاحبك هذا، و قد استحرّ القتل فى أصحابك»، فقال له: «إن الله أمرنى أن اتخذه خليلاً أو جليساً أو أنيساً» و ما هذا معناه من اللفظ.

هذا، مع علمنا ضروره بأنه كان معظماً فى الجاهليّه قبل الإسلام، و من أهل الثروه و الجاه منهم، و ممن تجتمع إليه العرب و تسأله عن أيام الناس و الأنساب و الأخبار ففارق ذلك أجمع إلى الذلّ و الصغارِ و الصبر على أذيه أهل الكفر، و علمنا ضروره بأن النبى صلى الله عليه و سلم كان يعظّمه و يشاوره و يخلى له مجلساً عن يمينه لا يجلس فيه غيره.

و مما روى من الجهات المشهوره مما قاله عليه السلام فيه نحو قوله: «إقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر»، و «إنهما من الدين بمنزله الرأس من الجسد»، و «ما

نفعنى مالٌ ما نفعنى مال أبى بكر»، و«إنى بُعثت إلى الناس كلهم فقالوا: كذبت، و قال أبو بكر: صدقت» فسمى لأجل ذلك صديقاً و غلب على اسمه و كنيته و اسم أبيه، و إلى غير هذه الأخبار مما قد بسطنا طرَفًا من ذكرها فى غير هذا الكتاب.

و قد كان أهل الكفر يعرفون هذا من أمره و يعرفون تقدُّمه فى الجاهليه ثم فى الإسلام و عند النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و لهذا صاح أبو سفيان بأعلى صوته عند تراحف الصفوف: «أين أبو بكر بن أبى قحافه؟ أين عمر بن الخطاب؟ يومٌ بيوم!»، فى كلامٍ طويلٍ، و لم ينادِ بغيرهما.

و لهذا كان النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم يُقدِّمه فى الشهاده عليه فى عهوده و كتب صلحه و يكتب:

«شهد عبد الله بن أبى قحافه و عمر بن الخطاب و فلان و فلان»؛ و هذا مما يُعلم ضرورةً و لا يمكن دفعه.

غير أن الشيعة تزعم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم كان مُمتحنًا به و بعمر على نفاقٍ لهما و تقيهٍ منهما، و هذه أمانىٌ دونها خرط القتاد و ذهاب الأنفس حسراتٍ، و لو لا- علم النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم بفضل سبقه و هجرته و علمه، لم يأت به و لم يقدمه عليهم فى مرضه و يعظم الأمر فى بابهِ و يقول: «يأبى الله و رسوله و المسلمون إلَّا أبا بكر»، و قوله لحفصه و عائشه: «إنكن صواحبات يوسف».

و لو لا شدّه تعلق هذا الأمر بأبى بكر و تخصصه بالفضل فيه و خشيه الإثم فى تقدم غيره، لم يقل: «إنكن صواحبات يوسف و يابى الله و المسلمون إلَّا أبا بكر». و الأمر الذى التمس منه أمر سائغ ليس بإثم فى الدين، لأن فضل السن فقط و ما جرى مجراه لا يوجب التحذير بهذا القول. هذا و هو عليه السلام يقول: «يَوْمُ النَّاسِ خَيْرُهُمْ» و «أثمتكم شفعاؤكم إلى الله، فانظروا بمن تستشفعون»، و يقول: من تقدّم على قوم من المسلمين و هو يرى أن فيهم من هو أفضل منه، فقد خان الله و رسوله و المسلمين.

و أمّا دعوى الشيعة أنه خرج فعزّله و دفعه عن موضعه و أنكر تقديمه و أعظمه فمن جنس التّرهات و الأمانى الكاذبه، لأن مثل هذا لو كان لعلمناه ضروره، كما علمنا أن أبا بكر تقدم ضروره، و إنما اختلف في أن أبا بكر صلّى بالنبي صلّى الله عليه و سلم أو صلّى به النبي صلّى الله عليه و سلم صلاه واحده ذكر ذلك فيها، و صلّى بهم بقيه أيام مرض رسول الله صلّى الله عليه و سلم. و روى الثبّت الثقات أن النبي صلّى الله عليه و سلم قال: «ما من نبي يموت حتى يؤمه رجل من قومه»؛ و أن أبا بكر أمّ رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و هذا هو الذى عناه أبو بكر بقوله: «و ليُتكم و لست بخيركم؛ إنى وليتكم الصلاه و رسول الله صلّى الله عليه و سلم حاضر»؛ و لعمرى إنه لا يجوز أن يكون خير قوم فيهم رسول الله صلّى الله عليه و سلم، فلا مُعْتَبَر فى هذا الأمر العظيم بتلفيق المخالفين و تمنيمهم الأباطيل و تلقّهم بروايات تردّ خاصه منهم و لهم لا يعلمها غيرهم.

على أنه لو يعلم جميع هذا من حاله، و لم يتقدّم له شىء مما ذكرناه من فضائله و مناقبه، لكان ما ظهر منه بعد موت النبي صلّى الله عليه و سلم من العلم و الفضل و الشده فى القول و الفعل و تحصيل ما ذهب على غيره، دلالة على اجتماع خلال الفضل و الإمامه فيه، بل لو لم يدلّ على ذلك من أمره إلّا ما ظهر منه من التثقيف و التقدّم و التشدّد و سدّ الخلل و قمع الرّدّه و أهلها فى أيام نظره، لكان فى ذلك مَقْنَع لمن وُفّق لرشده.

فأول ما ظهر من فضله و تسديد رأيه: إعلام الناس موت رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و كفه عمر و غيره ممن تشتت آراؤهم فى موته و فجئتهم المصيبه بموته، و ما كان من قوله و فعله فى ذلك، و قالت عائشه و غيرها من الصحابه: «إن الناس أُفْحِمُوا و دَهشُوا حيث ارتفعت الرّئّه وَ سَجّى رسول الله صلّى الله عليه و سلم و الملائكه بثوبه و دَهَلَ الرجال، فكانوا كأجرام انْتَحَبَتْ منها الأرواح و حولهم أطواد من الملائك، فكذب بعضهم بموته، و أُخْرِسَ بعضهم فما تكلم إلّا بعد الغد، و خَلَطَ آخرون و لاثوا الكلام بغير بيان و بقى آخرون معهم عقولهم، فكان عمر ممن كذب بموته و علىّ فى من أُقْعِدَ،

و عثمان فى من أخرس؛ و خرَجَ مَنْ فى البيت و رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مُسَجِيًّا.

و خرج عمر إلى الناس فقال عمر: «إن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لم يمت، و ليرجعنه الله و ليقطعن أيدياً و أرجلاً- من المنافقين يتمنون لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الموت، و إنما واعد ربّه كما واعد موسى و هو آتيكم».

و أمّا على، فإنه قَعَدَ فلم يبرح من البيت.

و أمّا عثمان، فجعل لا يكلم أحداً، يؤخذ بيده فيذهب و يُجاء به.

حتى جاء الخبر أبا بكر و تواتر أهل البيت إليه بالرسول، فلقيه أحدهم بعد ما مات صَلَّى الله عليه و سلم و عيناه تهْمَلانِ و غُصَصِيه تترفع كقِطْعِ الجِرِّه، و هو فى ذلك جَلْدُ العقل و المقال، حتى دخل على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فأكَبَّ عليه و كشف عن وجهه و مسح و قبل جبينه و خديّه، و جعل يبكى و يقول: «أبى أنت و أمى و نفسى و أهلى، طبتَ حياً و ميتاً و انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من الأنبياء و النبوه فعظمتُ عن الصفه المصيبه و جَلَلتُ عن البكاء و خصصتُ حتى صرت مسلاةً و عممت حتى صرنا فيك سواء، و لو لا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس، و لو لا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشؤن. فأما ما لا تستطيع نفيه عنا فكَمَيْدٌ و إدناف يتحالفان لا يبرحان. اللهم فأبلغه عنا: اذكرنا يا محمّد عند ربك و لنكن من بالِكَ، فلولا ما خَلَفت من السكينه لم نَقَمْ لما خَلَفته من الوَحْشَه، اللهم أبلغ نبيك عنا و احفظه فينا»؟

ثم خرج لَمّا قضى الناس عبراتهم، و قام خطيباً فخطب فيهم خطبه جُلُّها الصِّيلاه على النبي محمّد صَلَّى الله عليه و سلم فقال فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله و خاتم أنبيائه، و أشهد أن الكتاب كما أنزل، و أن الدين كما شرع، و أن الحديث كما حدّث، و أن القول كما قال، و أن الله هو الحق المبين» فى كلام طويل؛ ثم قال: «أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، و من كان

يُعبَدُ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ، فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا، وَإِنَّ اللهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسَنَّهُ نَبِيَّهُ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ وَمَنْ فَرَقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، «وَلَا يَشْغَلُنْكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَعَاجِلُوا الشَّيْطَانَ بِالْخِزْيِ تَعْجِزُوهُ وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيُلْحِقَ بِكُمْ».

فلما فرغ من خطبته قال: «يا عمر، أنت الذي بلغني أنك تقول على باب نبي الله:

وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ!؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فَقَالَ: «وَاللهَ لَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ الْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَا؛ أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا أَنْزَلَ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ، وَأَنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ وَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ رَسُولَهُ»؛ ثُمَّ جَلَسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ.

وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي وَجْهِهِ مَا لَمْ أَزَلْ أَعْرِفُهُ فِي وَجْهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ»؛ فَلَمْ يَرْجِعُوا لِقَوْلِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَا ذَكَرْنَاهُ فَرَجَعُوا، صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ بِقُوَّةِ نَفْسٍ وَسُكُونِ جَأَشٍ فِي الدِّينِ، وَلَوْ لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُ غَيْرُ هَذَا الْفِعْلِ لَكَانَ كَافِيًّا فِي الْعِلْمِ بِفَضْلِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ اجْتِمَاعِ مَا هُوَ مُفْتَرَقٌ فِي غَيْرِهِ.

ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ إِنْفِازِهِ جَيْشَ أُسَامَةَ وَمُخَالَفَتِهِ لِلْكَافَةِ فِي تَرْكِ إِنْفِازِهِ، مَعَ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ الظُّفْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَقَوْلِهِمْ: «إِنَّ هَذَا الْجَيْشَ فِيهِ الْحَامِيَّةُ مِنَ نَقِبَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلُ الرَّدِّهِ قَدْ أَطْلَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَسَاقُوا الْمَدِينَةَ، فَانْتَظِرْ بِإِنْفِازِهِ انْكَشَافَ الرَّدِّهِ»، فَقَالَ: «وَاللهَ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتُخَطِّفَنِي الطَّيْرُ وَتَنْهَشَنِي السَّبَاعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

أكون أول حالٍ لعقد عقده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أنفذوا جيش أسامة». و نادى مناديه بخروجهم و سأل نقيب المهاجرين و الأنصار عمر أن يسأل أبا بكر أن يصرف أسامة و يولّي من هو أسن و أدرب بالحرب منه، فسأله عمر ذلك، فوثب إليه و أخذ لحيته بيده فهزّها و قال: «ثكلتك أمك يا ابن الخطاب و عدمتك، أ يولّيته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و تأمرني أن أصرفه؟ و الله لا يكون ذلك أبداً»؛ فأمرهم بالخروج و شيّعهم أبو بكر حافياً و العباس معه و من بقى من الصحابه في المدينة، فما زال يدعو لهم و يأمر العباس بالتأمين على دعائه، و أسامة يقول: «إما أن تركب يا خليفه رسول الله أو أنزل»، و هو يقول: «لا و الله لا أركب و لا تنزل، و ما ذا على أن تَغَبَّرَ قدامي في تشييع غازٍ في سبيل الله تعالى». فنفذ الجيش و فتح الله لهم و غنم و رجع في نيف و ستين يوماً و لقيَ بهم أهل الردّة.

ثم ما كان منه في قتال أهل الردّة و سدّه ثلّم المدينة و خروجه لمناظلتهم بنفسه و من معه حتى دفعهم قبل عود جيش أسامة، و ندائه في المدينة أَلَّا يُؤْوِيَ أَحَدٌ أَحَدًا من رسل أهل الردّة، لما وفدوا إليه الوفود يسألونه الصلح على ترك الزكاه، و قوله لما سأله رفع السيف عنهم و أذعنوا بأداء الزكاه: «لا و الله أو يقولوا إن قتلناهم في النار و قتلنا في الجنة».

ثم إنفاذ خالد بن الوليد و من معه من الجيوش إلى أهل الردّة و مسيلمه و من باليمامة من دعاه الكفر، حتى أبادهم و استأصل خضراءهم و أيّد الله به الدّين و كشف الغمّة و أزال الكُزْبَةَ و ردّ الحق إلى نصابه و انحسرت بيئته الفتنه و ضعفت منه أهل الكفر و فشلوا قبل لقاء عسكره، حتى قال قائلهم المشهور شعره: أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ

فصَبَّحْتَهُمُ الْخَيْلُ. قال الراوى: فكان رأس هذا الشاعر أوّل رأس زُمي به تَدَكَّدَكَ في باطنه الجَمْرُ.

فكيف لا يصلح من هذه صفته لإمامه الأمه؟ هذا مع ما ظهر من علمه و انتدابه لجمع القرآن و أنه لم يتلعثم في حكم نزل في أيام نظره و لا- رجع عنه، و قد جلس مجلس النبي و خلفه في أمته و إن ذلك لأمرٌ عظيم. ثم ما كان من عهده إلى عُمر عند موته و تسديده في رأيه و تنبيهه القوم على فضل رأيه و مكان نظره ما عمر بسيله و ما هو مخصوص به مما سنذكر طرفاً منه في باب إمامته.

و ببعض هذه الأوصاف و الخلال و تسديد التدبير و الرأي و المقال يصلح و يستحق الإمامه» (1).

و في شرح العقيدة الطحاوية:

«قوله: و ثبت الخلافه بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أولاً لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، تفضيلاً له و تقديماً على جميع الأمه.

اختلف أهل السنه في خلافه الصديق رضى الله عنه: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصرى و جماعه من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفى و الإشاره، و منهم من قال بالنص الجلى. و ذهب جماعه من أهل الحديث و المعتزله و الأشعريه إلى أنها ثبتت بالاختيار.

و الدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأه النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أ رأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجدني فأتى أبا بكر». و ذكر له سياق آخر، و أحاديث أخر. و ذلك نص على إمامته.

و حديث حذيفه بن اليمان، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر و عمر». رواه أهل السنن.

ص: ٢٠٤

و في «الصحيحين» عن عائشه رضي الله عنها و عن أبيها، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه و سلم في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: «ادعى لي أباك و أخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يا أبا بكر، لا أكتب لأبي بكر كتاباً إلا أبا بكر». و في روايه: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع». و في روايه قال: «ادعى لي عبد الرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه، ثم قال: معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر».

و أحاديث تقديمه في الصلاه مشهوره معروفه، و هو يقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». و قد روجع في ذلك مره بعد مره. فصلّى بهم مدّه مرض النبي صلى الله عليه و سلم.

و في «الصحيحين» عن أبي هريره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «بيننا أنا نائم رأيتني على قلب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافه، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، و في نزعه ضعف، و الله يغفر له، ثم استحالت غزباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرتياً من الناس يفري فريته، حتى ضرب الناس بعطن».

و في «الصحيح» أنه صلى الله عليه و سلم قال علي منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوذه إلا سددت، إلا خوذه أبي بكر».

و في «سنن أبي داود» و غيره، من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكره، أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل أنا: رأيت ميزاناً [أنزل] من السماء، فوزنت أنت و أبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر و أبو بكر، و وزن عمر و عثمان، فرجع عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهه في وجه النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: «خلافه نبوه»، ثم يؤتى الله الملك من يشاء». فبين رسول الله صلى الله عليه و سلم، أن ولايه هؤلاء خلافه نبوه، ثم بعد ذلك ملك. و ليس فيه ذكر علي رضي الله عنه، لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه

و روى أبو داود أيضا عن جابر رضى الله عنه، أنه كان يحدث، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه و سلم، و نيط عمر بأبى بكر، و نيط عثمان بعمر»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه و سلم، و أما المنوط بعضهم ببعض فلهذا هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه.

و روى أبو داود أيضا عن سمره بن جندب: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلواً دلى من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى نضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء على فأخذ بعراقيها، فانتشط منه، فانتضح عليه منها شىء.

و عن سعيد بن جهمان، عن سفينه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«خلافه النبوه ثلاثون سنه، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء». أو «الملك».

و احتج من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضى الله عنهما، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى، يعنى أبا بكر، و إن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير [منى]، يعنى رسول الله صلى الله عليه و سلم، [قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم غير مستخلف].»

و بما روى عن عائشه رضى الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مستخلفاً لو استخلف.

و الظاهر - و الله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، و لو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، و قال: «يأبى الله و المسلمون إلا أبا بكر».

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبى صلى الله عليه و سلم دلّ المسلمين على استخلاف أبى بكر، و أرشدهم إليه بأمر متعده، من أقواله و أفعاله، و أخبر بخلافته

إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب أتباعه؟ ترك الكتاب، اكتفاءً بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلفه أبي بكر. فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبيته بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود.

ولهذا قال عمر رضى الله عنه، في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافه منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بطلانه. ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عباد، لكونه هو الذى كان يطلب الولايه، ولم يقل أحد من الصحابه قط أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على غير أبي بكر، لا على، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!

وروى ابن بطه بإسناده أن عمر بن عبد العزيز بعث محمّد بن الزبير الحنظلى إلى الحسن، فقال: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر؟ فقال: أَوْ فى شكِّ صاحبك؟ نعم، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها.

وفى الجملة: فجميع من نُقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحقُّ بها، وإنما نشأ من حبِّ قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضى الله عنه، وحبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم له.

ففى «الصحيحين»، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أى الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشه»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر، و عدّ رجالاً».

و فيهما أيضاً، عن أبى الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم:

«أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم، و قال: [يا رسول الله]، إنه كان بينى و بين ابن الخطاب شىء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى [فأبى علىّ، فأقبلت إليك]، فقال:

«يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثاً»، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر، فسأل: أ ثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، [فسلم عليه]، فجعل وجه النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم يتمرّ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، و الله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: إن الله بعثنى إليكم، فقلتم:

كذبت، و قال أبو بكر: صدق، و واسانى بنفسه و ماله، فهل أنتم تاركوا لى صاحبي؟ مرتين، فما أودى بعدها». و معنى: غامر: غاصب و خاصم.

و يضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

و فى «الصحيحين» أيضاً، عن عائشه رضى الله عنها: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم مات و أبو بكر بالسنح فذكر الحديث - إلى أن قالت: و اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباده، فى سقيفه بنى ساعده، فقالوا: منا أمير و منكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر [الصديق]، و عمر بن الخطاب، و أبو عبيده بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، و كان عمر يقول: و الله ما أردتُ بذلك إلّا أنى [قد] هيأت فى نفسى كلاماً قد أعجلنى، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر! ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء، و أنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا و الله لا نفعل، منا أمير و منكم أمير. فقال أبو بكر: لا، و لكننا الأمراء و أنتم الوزراء. هم أوسط العرب، و أعزهم أحساباً، فبايعوا عمراً [بن الخطاب]، أو أبا عبيده بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك،

فأنت سيدنا، وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده، وبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله» (١).

و في شرح المقاصد:

«لما ذهب معظم أهل السنه، وكثير من الفرق على أنه يتعين للإمامه أفضل أهل العصر إلا- إذا كان في نصبه مرج و هيجان فتن، احتاجوا إلى بحث الأفضليه، فقال أهل السنه: الأفضل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. و قد مال البعض منهم إلى تفضيل على رضى الله عنه على عثمان، و البعض إلى التوقف فيما بينهما.

قال إمام الحرمين: مسأله امتناع إمامه المفضول ليست بقطعيه، ثم لا قاطع شاهد من العقل على تفضيل بعض الأئمه على البعض، و الأخبار الوارده على فضائلهم متعارضه، لكن الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل، ثم عمر. ثم يتعارض الظنون في عثمان و على رضى الله عنهما.

و ذهب الشيعة و جمهور المعتزله إلى أن الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على رضى الله عنه.

لنا إجمالاً: أن جمهور عظماء المله و علماء الأمه أطبقوا على ذلك، و حسن الظن بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفوه بدلائل و أمارات لما أطبقوا عليه.

و تفصيلاً: الكتاب، و السنه، و الأثر، و الأمارات.

أما الكتاب، فقولته تعالى: «وَ سَيَجْبِيهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى».

فالجمهور على أنها نزلت في أبي بكر رضى الله تعالى عنه، و الأتقى أكرم، لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». و لا يعنى بالأفضل إلا الأكرم.

ص: ٢٠٩

و ليس المراد به علياً، لأن للنبي صَلَّى الله عليه و سلم عنده نعمه تجزى، و هى نعمه التريه.

و أما السنه، فقوله عليه السلام: اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر.

دخل فى الخطاب على رضى الله عنه فيكون مأموراً بالافتداء و لا يؤمر الأفضل و لا المساوى بالافتداء، سيما عند الشيعة.

و قوله صَلَّى الله عليه و سلم لأبى بكر و عمر: هما سيّدا كهول أهل الجته ما خلا النبيين و المرسلين.

و قوله عليه السلام: خير أمتى أبو بكر ثم عمر.

و قوله عليه السلام: ما ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدّم عليه غيره.

و قوله صَلَّى الله عليه و آله: لو كنت متخذاً خليلاً دون ربى لاتخذت أباً بكر خليلاً، و لكن هو شريك فى دينى و صاحبى الذى أوجبت له صحبتى فى الغار، و خليفتى فى أمتى.

و قوله صَلَّى الله عليه و سلم: و أين مثل أبى بكر، كدّبنى الناس و صدّقنى، و آمن بى و زوّجنى ابنته، و جهز لى بماله، و اسانى بنفسه، و جاهد معى ساعه الخوف.

و قوله صَلَّى الله عليه و سلم لأبى الدرداء حين كان يمشى أمام أبى بكر: أتمشى أمام من هو خير منك؟ و الله ما طلعت شمس و لا غربت بعد النبيين و المرسلين على أحد أفضل من أبى بكر.

و مثل هذا الكلام و إن كان ظاهره نفى أفضليته الغير، لكن إنما يساق لإثبات أفضليته المذكور. و لهذا أفاد أن أباً بكر أفضل من أبى الدرداء. و السرّ فى ذلك أن الغالب من حال كلّ اثنين هو التفاضل دون التساوى، فإذا نفى أفضليه أحدهما لآخر، ثبت أفضليه الآخر، و بمثل هذا ينحلّ الإشكال المشهور على قوله صَلَّى الله عليه و سلم: «من قال حين يصبح و حين يمسى: «سبحان الله و بحمده» مائه مره، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»، لأنه فى معنى أن من قال ذلك فقد

أتى بأفضل مما جاء به كل أحد إلا أحداً قال مثل ذلك أو زاد عليه. فالاستثناء بظاهره من النفي، وبالتحقيق من الإثبات.

و عن عمرو بن العاص، قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشه. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر.

و قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان بعدى نبي لكان عمر.

و عن عبد الله بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر و عمر فقال:

هذان السمع و البصر.

و أما الأثر، فعن ابن عمر، كنا نقول و رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

و عن محمد بن الحنفية، قلت لأبي: أى الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر. و خشيت أن أقول: ثم من، فيقول عثمان. فقلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

و عن علي رضي الله عنه: خير الناس بعد النبيين أبو بكر ثم عمر، ثم الله أعلم.

و عنه رضي الله عنه لما قيل له: ما توصى؟ قال: ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أوصى. و لكن إن أراد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم.

و أمّا الإمارات، فما تواتر فى أيام أبى بكر من اجتماع الكلمه، و تألف القلوب و تتابع الفتوح و قهر أهل الرده، و تطهير جزيره العرب عن الشرك، و إجلاء الروم عن الشام و أطرافها، و طرد فارس عن حدود السواد و أطراف العراق، مع قوتهم و شوكتهم و وفور أموالهم، و انتظام أحوالهم.

و فى أيام عمر من فتح جانب المشرق إلى أقصى خراسان، و قطع دوله العجم و ثل عرشهم الراسى البنيان، الثابت الأركان. و من ترتيب الأمور، و سياسه الجمهور، و إفاضه

العدل، و تقويه الضعفاء، و من إعراضه من متاع الدنيا و طبياتها و ملاذها و شهواتها.

و فى أيام عثمان من فتح البلاد، و إعلاء لواء الإسلام، و جمع الناس على مصحف واحد مع ما كان له من الورع و التقوى، و تجهيز جيوش المسلمين، و الإنفاق فى نصره الدين، و المهاجره هجرتين، و كونه ختاً للنبي صلى الله عليه و سلم على ابنتين، و الاستحياء من أدنى شين، و تشرفه بقوله عليه السلام: عثمان أخى و رفيقى فى الجنة، و قوله صلى الله عليه و سلم: ألا أستحي مَن تستحي منه ملائكة السماء. و قوله صلى الله عليه و سلم: إنه رجل يدخل الجنة بغير حساب.

قال: تمسكت الشيعة بقوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» أراد علياً. و قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». و على رضى الله عنه منهم.

و قوله تعالى: «وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». و هو على.

و بقوله صلى الله عليه و سلم: من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى تقواه، و إلى إبراهيم فى حلمه، و إلى موسى فى هيبته، و إلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى على بن أبى طالب.

و قوله: أقضاكم على.

و قوله: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير، ف جاء على.

و قوله: أنت منى بمنزله هارون من موسى... إلى غير ذلك.

و بأنه أعلم حتى استند رؤساء العلوم إليه، و أخبر بذلك فى خبر الوساده، و أشهد على ما يشهد به غزواته، حتى قال النبي صلى الله عليه و سلم: «الضرب على خير من عباده الثقلين» و أزهده حتى طلق الدنيا بكليتها، و أكثر عباده و سخاوه، و أشرف خلقاً و طلاقه، و أفصح لساناً، و أسبق إسلاماً.

و الجواب: أن الكلام فى الأفضليه بمعنى الكرامه عند الله، و كثره الثواب، و قد

شهد في ذلك عامه المسلمين، واعترف على رضى الله عنه به. و عارض ما ذكرتم ما ذكرنا، مع أن فيه مواضع بحث لا تخفى، سيما حديث سبق الإسلام و السيف فى إعلاء الأعلام).

القائلون بأفضليته على رضى الله عنه تمسكوا بالكتاب و السنه و المعقول.

أما الكتاب، فقولته تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ...» الآية.

عنى بأنفسنا علياً رضى الله تعالى عنه و إن كان صبيغه جمع، لأنه صلى الله عليه و سلم دعا وفد نجران إلى المباهله، و هو الدعاء على الظالم من الفريقين خرج و معه الحسن و الحسين و فاطمه و على، و هو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا، و لم يخرج معه من بنى عمه غير على رضى الله عنه، و لا شك أن من كان بمنزله نفس النبى صلى الله عليه و سلم كان أفضل.

و قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قال سعيد بن جبیر: لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين توذهم؟ قال: على و فاطمه و ولداها.

و لا يخفى أن من وجبت محبته بحكم نص الكتاب كان أفضل. و كذا من تثبت نصرته للرسول بالعطف فى كلام الله تعالى عنه على اسم الله و جبريل مع التعبير عنه بصالح المؤمنين، و ذلك قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» .

فعن ابن عباس رضى الله عنه أن المراد به على.

و أما السنه، فقولته عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى تقواه، و إلى إبراهيم فى حلمه، و إلى موسى فى هيئته، و إلى عيسى فى عبادته فلينظر إلى على بن أبى طالب»، و لا خفاء فى أن من ساوى هؤلاء الأنبياء فى هذه الكمالات كان أفضل.

و قوله صلى الله عليه و سلم: «أفضاكم على» و الأفضى أكمل و أعلم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم ائني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجاءه على فأكل معه. والأحبُّ إلى الله أكثر ثواباً، وهو معنى الأفضل.

وقوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ولم يكن عند موسى أفضل من هارون.

وقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلى مولاه» الحديث.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: أين على بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به. فبصق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهما فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا دار الحكمة، وعلى بابها.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وذلك حين آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال: آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لمبارزه على عمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: «أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ومن أحبك فقد أحبني وحببي حبيب الله. ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. فالويل لمن أبغضك بعدى».

وأما المعقول، فهو أنه أعلم الصحابة لقوه حدسه وذكائه، وشده ملازمته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستفادته منه.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نزل قوله تعالى: «وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْهُ» .

اللهم اجعلها أذن على. قال على: ما نسيت بعد ذلك شيئاً.

و قال: علّمني رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ألف باب من العلم فانفتح لى من كلّ باب ألف باب.

و لهذا رجعت الصحابه إليه فى كثير من الوقائع، و استند العلماء فى كثير من العلوم إليه، كالمعتزله و الأشاعره فى علم الأصول، و المفسرين فى علم التفسير، فإن رئيسهم ابن عباس تلميذ له. و المشايخ فى علم السرّ و تصفيه الباطن، فإن المرجع فيه إلى العتره الطاهره. و علم النحو إنما ظهر منه.

و بهذا قال: لو كسرت الوساده ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم.

و الله ما من آيه نزلت فى بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل، أو نهار إلا و أنا أعلم فيمن نزلت، و فى أى شىء نزلت.

و أيضاً: هو أشجعهم، يدلّ عليه كثره جهاده فى سبيل الله، و حسن إقدامه فى الغزوات، و هى مشهوره غنيه عن البيان، و لهذا قال النبى صَلَّى الله عليه و سلم: لا فتى إلا على، و لا سيف إلا ذو الفقار.

و قال صَلَّى الله عليه و سلم يوم الأحزاب: لضربه على خير من عباده الثقلين.

و أيضاً: هو أزهدهم لما تواتر من إعراضه عن لذات الدنيا مع اقتداره عليها لا تساع أبواب الدنيا عليه. و لهذا قال: يا دنيا إليك عنى، إلىّ تعرّضت أم إلىّ تشوّقت، لا حان حينك، هيهات غزى غيرى، لا حاجه لى فيك، فقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعه فيها، فعيشك قصير، و حظك يسير، و أملك حقير. و قال: و الله لدنياكم هذه أهون فى عينى من عراق خنزير فى يد مجذوم. و قال: و الله لنعيم دنياكم هذه أهون عندى من عفته عنز.

و أيضاً: هو أكثرهم عباده، حتى روى أن جبهته صارت كركبه البعير لطول سجوده.

و أكثرهم سخاوه، حتى نزل فيه و فى أهل بيته: «و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أُسِيرًا».

و أشرفهم خلقاً و طلاقه وجه، حتى نسب إلى الدعابه، و أحلمهم، حتى ترك ابن ملجم فى دياره و جواره يعطيه العطاء، مع علمه بحاله. و عفا عن مروان حين أخذ يوم الجمل مع شدة عداوته له، و قوله فيه: سيلقى الأمه منه و من ولده يوماً أحمر.

و أيضاً: هو أفصحهم لساناً على ما يشهد به كتاب نهج البلاغه.

و أسبقهم إسلاماً على ما روى أنه بعث النبى يوم الاثنين و أسلم على يوم الثلاثاء.

و بالجملة، فمناقبه أظهر من أن تخفى، و أكثر من أن تحصى.

و الجواب: أنه لا- كلام فى عموم مناقبه و وفور فضائله، و اتصافه بالكمالات، و اختصاصه بالكرامات، إلا أنه لا يدل على الأفضليته بمعنى زياده الثواب و الكرامه عند الله، بعد ما ثبت من الاتفاق الجارى مجرى الإجماع على أفضليه أبى بكر، ثم عمر.

و الاعتراف من على بذلك.

على أن فيما ذكر مواضع بحث لا تخفى على المحضّل مثل: أن المراد بأنفسنا نفس النبى صلى الله عليه و سلم كما يقال: دعوت نفسى إلى كذا و أن وجوب المحبه و ثبوت النصره على تقدير تحققه فى حق على رضى الله عنه فلا- اختصاص به. و كذا الكمالات الثابته للمذكورين من الأنبياء، و أن «أحبّ خلقك» يحتمل تخصيص أبى بكر و عمر منه، عملاً بأدله أفضليتهما، و يحتمل أن يراد «أحبّ الخلق إليك» فى أن يأكل منه.

و أن حكم الأ-خوه ثابت فى حق أبى بكر و عثمان رضى الله عنهما أيضاً حيث قال فى حق أبى بكر: لكنه أخى و صاحبي و وزيرى، و قال فى عثمان: أخى و رفيقى فى الجنه.

و أما حديث العلم و الشجاعه، فلم تقع حادثه إلا و لأبى بكر و عمر فيه رأى، و عند

الاختلاف لم يكن يرجع إلى قول على رضى الله تعالى عنه البته بل قد و قد.

و لم يكن رباط الجأش و شجاعه القلب و ترك الاكتراث فى المهالك فى أبى بكر أقل من أحد، سيما فيما وقع بعد النبى صلى الله عليه و سلم من حوادث يكاد يصيب وهناً فى الإسلام. و ليس الخير فى هدايه من من اهتدى ببركه أبى بكر و يمن دعوته و حسن تدبيره، أقل من الخير فى قتل من قتله على رضى الله تعالى عنه من الكفار، بل لعل ذلك أدخل فى نصره الإسلام و تكثير أمه النبى صلى الله عليه و سلم:

و أما حديث زهدهما فى الدنيا، فغنى عن البيان.

و أما السابق إسلاماً، فقيل: على. و قيل: زيد بن حارثه. و قيل: خديجه. و قيل:

أبو بكر، و عليه الأكثر، و على ما صرح به حسان بن ثابت فى شعر أنشده على رؤوس الشهداء، و لم ينكر عليه أحد. و قيل: أول من آمن به من النساء خديجه رضى الله تعالى عنها و من الصبيان على رضى الله تعالى عنه، و من العبيد زيد بن حارثه، و من الرجال الأحرار أبو بكر رضى الله تعالى عنه، و به اقتدى جمع من العظماء كعثمان، و الزبير، و طلحه، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و أبى عبيده بن الجراح و غيرهم.

و الإنصاف: أن مساعى أبى بكر و عمر فى الإسلام أمراً على الشأن، جلى البرهان، غنى عن البيان؟

و أما بعدهم، فقد ثبت أن فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين، و أن الحسن و الحسين سيدها شباب أهل الجنة و أن العشره الذين منهم الأئمه الأربعة مبشرون بالجنة، ثم الفضل بالعلم و التقوى، و إنما اعتبار النسب فى الكفاءه لأمر يعود إلى الدنيا، و فضل العتره الطاهره بكونهم أعلام الهدايه و أشياع الرساله على ما يشير إليه ضمهم إلى كتاب الله فى انفاذ التمسك بهما عن الضلاله).

ما ذكر من أفضليه بعض الأفراد بحسب التعيين أمر ذهب إليه الأئمه، و قامت

عليه الأدله.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى عليه: حقيقه الفضل ما هو عند الله، وذلك مما لا يطلع عليه إلا رسول الله. وقد ورد في الشفاء عليهم أخبار كثيره، ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه إلا المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال. فلولا فهمهم ذلك، لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كان لا تأخذهم في الله لومه لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف» (١).

و في المواقف:

«المقصد الخامس: في أفضل الناس بعد رسول الله.

هو عندنا و أكثر قدماء المعتزله: أبو بكر رضي الله عنه.

و عند الشيعة و أكثر متأخري المعتزله: علي.

لنا وجوه:

الأول: قوله تعالى: «وَسَيَجْجِبُهَا أَتَقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى».

قال أكثر المفسرين - و اعتمد عليه العلماء -: إنها نزلت في أبي بكر، فهو أكرم عند الله لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» و هو الأفضل. و أيضاً: فقوله: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» يصرفه عن علي، إذ عنده نعمه التريبه و هي نعمه تجزى.

الثاني: قوله عليه السلام: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر و عمر) عمم الأمر فيدخل في الخطاب علي، و هو يشعر بالأفضليه، إذ لا يؤمر الأفضل و لا المساوي بالإقتداء سيما عندهم.

الثالث: قوله عليه السلام لأبي الدرداء: (و الله ما طلعت شمس و لا غربت بعد النبيين و المرسلين علي رجل أفضل من أبي بكر).

ص: ٢١٨

الرابع: قوله عليه السلام لأبى بكر و عمر: (هما سيدا كهول أهل الجنه ما خلا النبيين و المرسلين).

الخامس: قوله عليه السلام: (ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره).

السادس: تقديمه فى الصلاة، مع أنها أفضل العبادات، و قوله: (يا أبى الله و رسوله إلا أبى بكر).

السابع: قوله عليه السلام: (خير أمتى أبو بكر ثم عمر).

الثامن: قوله عليه السلام: (لو كنت متخذاً خليلاً دون ربى لاتخذت أبى بكر خليلاً، و لكن هو شريكى فى دينى، و صاحبى الذى أوجبت له صحبتى فى الغار، و خليفتى فى أمتى).

التاسع: قوله عليه السلام: (و أين مثل أبى بكر؟ كذبتى الناس و صدقنى و آمن بى، و زوجنى ابنته، و جهزنى بماله، و واسانى بنفسه، و جاهد معى ساعه الخوف).

العاشر: قول على رضى الله عنه: (خير الناس - بعد النبيين - أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم. و قوله إذ قيل له ما توصى؟ ما أوصى رسول الله حتى أوصى، و لكن إن أراد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم كما جمعهم - بعد نبيهم - على خيرهم.

لهم فيه مسلكان.

المسلك الأول: ما يدلّ عليه إجمالاً. و هو وجوه:

الأول: آيه المباهله. وجه الاحتجاج: أن قوله: «وَأَنْفُسِنَا» لم يرد به نفس النبى، بل المراد به على، دلّت عليه الأخبار الصحيحه، و ليس نفس على نفس محمّد، فالمراد المساواه، فترك العمل به فى فضيله النبوه و بقى حجه فى الباقي.

و قد يمنع أن المراد على، بل جميع قراباته و خدمه داخلون فيه، يدلّ عليه صيغه الجمع.

الثانى: خبر الطير، و هو قوله: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى هذا الطير،

فأتى على.و المحبه من الله كثره الثواب و التعظيم.

و أجيب:بأنه لا يفيد كونه أحب إليه في كل شيء،لصحة التقسيم و إدخال لفظ الكلّ و البعض.

الثالث:قوله عليه السلام في ذى الثديه:(يقتله خير الخلق)،و قد قتله على.

و أجيب:بأنه ما باشر قتله،فيكون من باشره من أصحابه خيراً منه،و أيضاً فمخصوص بالنبي،و يضعف حينئذ عمومه للباقي.

الرابع:قوله عليه السلام:(أخي و وزيرى و خير من أترکه بعدى يقضى دينى، و ينجز وعدى،على بن أبى طالب).

و أجيب:بأنه يدلّ على أنه خير من يترکه قاضياً و منجزاً،فلا يتناول الكلّ.

الخامس:قوله عليه السلام لفاطمه:(أما ترضين أنى زوّجتك من خير أمتى؟).

و أجيب:بأنه لا يلزم كونه خيراً من كلّ وجه،و لعلّ المراد خيرهم لها.

السادس:قوله عليه السلام:(خير من أترکه بعدى على).

و أجيب:بما مر.

السابع:قوله عليه السلام:(أنا سيّد العالمين،و على سيّد العرب).

أجيب:بأن السيادة الارتفاع لا الأفضليه،و إن سلم فهو كالخبر لا عموم له.

الثامن:قوله عليه السلام لفاطمه:(إن الله اطّلع على أهل الأرض و اختار منهم أباك فاتّخذة نبياً؛ثم اطّلع ثانيه و اختار منهم بعلك).

و أجيب:بأنه لا عموم فيه،فلعلّه اختاره للجهد،أو لبعليّه فاطمه.

التاسع:أنه عليه السلام لما آخى بين الصحابه،اتّخذة أخاً لنفسه.

قيل:لا دلالة،إذ لعلّ ذلك لزياده شفقتة عليه للقرابه و زياده الألفه و الخدمه.

العاشر:قوله عليه السلام بعد ما بعث أبا بكر و عمر إلى خيبر فرجعا منهزمين:

«لأعطين الرايه اليوم رجلاً يحب الله و رسوله،و يحبه الله و رسوله كراراً غير فرار»

و أعطاهما علياً. و ذلك يدلّ على أن ما وصفه به لم يوجد في غيره.

فقيل: نفى المجموع لا يجب أن يكون بنفى كل جزء منه، بل يجوز أن يكون بنفى كونه كراراً غير فرار، و لا يلزم حينئذ الأفضليه مطلقاً.

الحادى عشر: قوله تعالى فى حق النبى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، و المراد بصالح المؤمنين على، كما نقله كثير من المفسرين.

فقيل: معارض بما عليه الأكثر من العموم، و قوم: من أن المراد أبو بكر و عمر.

الثانى عشر: قوله عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى تقواه، و إلى إبراهيم فى حلمه، و إلى موسى فى هيبته، و إلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى ابن أبى طالب»؛ فقد ساواه بالأنبياء، و هم أفضل من سائر الصحابه إجماعاً.

و أجيب: بأنه تشبيه و لا- يدلّ على المساواه، و إلما كان على أفضل من الأنبياء، لمشاركته لكلّ فى فضيلته، و اختصاصه بفضيله الآخرين؛ و الإجماع على أن الأنبياء أفضل من الأولياء.

المسلوك الثانى: ما يدلّ عليه تفصيلاً: و هو أن فضيله المرء على غيره إنما تكون بماله من الكمالات، و قد اجتمع فى على منها ما تفرّق فى الصحابه، و هى أمور:

الأول: العلم، و على أعلم الصحابه.

لأنه كان فى غايه الذكاء و الحرص على التعلّم؛ و محمّد صلّى الله عليه و سلّم أعلم الناس و أحرصهم على إرشاده؛ و كان فى صغره فى حجره، و فى كبره ختناً له، يدخل عليه كلّ وقت؛ و ذلك يقتضى بلوغه فى العلم كلّ مبلغ. و أما أبو بكر، فاتصل بخدمته فى كبره و كان يصل إليه فى اليوم مرّه أو مرّتين.

و لقوله عليه السلام: «أفضاكم على» و القضاء يحتاج إلى جميع العلوم، فلا يعارضه نحو: (أفرضكم زيد، و أفرؤكم أبى).

و لقوله تعالى: «وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»، و أكثر المفسرين على أنه على.

ولأنه نهى عمر عن رجم من ولدت لسته أشهر، و عن رجم الحامله، فقال عمر (لو لا على لهلك عمر).

و لقول على: (لو كسرت لى الوساده ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم؛ و الله ما من آيه نزلت فى بر، أو بحر، أو سهل، أو جبل، أو سماء، أو أرض، أو ليل، أو نهار، إلا و أنا أعلم فيمن نزلت، و فى أى شىء نزلت).

و لأن علياً ذكر فى خطبته من أسرار التوحيد و العدل و النبوه و القضاء و القدر ما لم يقع مثله فى كلام الصحابه.

و لأن جميع الفرق ينتسبون إليه فى الأصول و الفروع، و كذا المتصوفه فى علم تصفيه الباطن، و ابن عباس رئيس المفسرين تلميذه، و كان فى الفقه و الفصاحه فى الدرجه القصوى، و علم النحو إنما ظهر منه، و هو الذى أمر أبا الأسود الدؤلى بتدوينه، و كذا علم الشجاعه و ممارسه الأسلحه، و كذا علم الفتوه و الأخلاق.

الثانى: الزهد، اشتهر عنه أنه -مع اتساع أبواب الدنيا عليه- ترك التمتع و تخشن فى المآكل و الملابس، حتى قال للدنيا: (طلقتك ثلاثاً).

الثالث: الكرم، كان يؤثر المحاويع على نفسه و أهله، حتى تصدق فى الصيلاه بخاتمه، و نزل ما نزل، و تصدق فى ليالى صيامه المنذور بما كان فطوره، و نزل فيه «و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا».

الرابع: الشجاعه، تواتر مكافحته للحروب و لقاء الأبطال و قتل أكابر الجاهليه، حتى قال عليه السلام يوم الأحزاب: (لضربه على خير من عباده الثقلين)، و تواتر وقائعه فى خيبر و غيره.

الخامس: حسن خلقه، حتى نسب إلى الدعابه.

السادس: مزيد قوته، حتى قلع باب خيبر بيده، و قال: (ما قلعت باب خيبر بقوه

جسمانيه، لكن بقوه إلهيه).

السابع: نسبه و قربه من الرسول نسباً و مصاهره، و هو غير خفى. و عباس و إن كان عمّ النبي عليه السلام، لكن كان أخا عبد الله من الأب، و أبو طالب أخاه من الأب و الأم.

الثامن: اختصاصه بصاحبه كفاطمه، و ولدين كالحسن و الحسين، و هما سيّدا شباب أهل الجنه، ثم أولاد أولاده، ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتى كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق رضى الله عنه، و معروف الكرخي بواب دار على بن موسى الرضا.

و الجواب عن الكلّ: أنه يدلّ على الفضيله، و أما الأفضليه فلا، كيف و مرجعها إلى كثرة الثواب!! و ذلك يعود إلى الاكتساب و الإخلاص و ما يعود إلى نصره الإسلام و مآثرهم في تقويه الدين.

و اعلم: أن مسأله الأفضليه لا- مطمع فيها في الجزم و اليقين، و ليست مسأله يتعلّق بها عمل فيكتفى فيها بالظن؛ و النصوص المذكوره من الطرفين- بعد تعارضها- لا تفيد القطع، على ما لا يخفى على منصف؛ لكننا وجدنا السلف قالوا: بأن الأفضل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على؛ و حسن ظننا بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفوا ذلك، لما أطبقوا عليه، فوجب علينا اتباعهم في ذلك، و تفويض ما هو الحق فيه إلى الله» (1).

أقول:

إنّ تقديم الفاضل على المفضول و قبح تقدّم المفضول عليه، ممّا تطابق عليه العقل و النقل، و عليه سيره العقلاء في كلّ زمانٍ... فالقول بالجواز مطلقاً أو في بعض الحالات مردود.

و لما كان الواقع تقدّم أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام، فقد انبرى القوم

ص: ٢٢٣

لتصحيح ما وقع و تبريره، و أتعبوا أنفسهم في توجيهه.

فبعد أن اعترفوا بعدم النصّ على إمامته من الله و رسوله، استدّلوا بوجوهٍ لدعوى أفضليته من أمير المؤمنين عليه السلام، كما ذكروا بعض الأدلّة على أفضليته الإمام عليه السلام و أجابوا عنها بزعمهم.

لكنّهم -بعد ذلك كلّه- أعلنوا عدم قناعتهم بما قالوه، و اضطروا إلى الاستدلال بوجهٍ آخر، و هو آخر كلامهم، فقالوا: بأنّ الصّحابة قدّموه، و حسن الظنّ بهم يقتضى حمل عملهم على الصّحّة!

أمّا النصوص على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً و سنّه، فسيأتى ذكر بعضها في الكتاب، و ستعرض هناك لوجه دلالتها و دفع الشبهات عنها.

و كذلك الأدلّة الدالّة على أفضليته عليه السلام.

و أمّا أبو بكر، فقد تقدّم أن لا نصّ على إمامته باعتراف القوم.

و أمّا ما استدلّ به لإمامته من باب الأفضليّة -أو النصّ كما عن بعضهم دعوى ذلك- فعمدته:

١- آية الغار.

٢- قوله تعالى: «و سَيَجْتَبِيهَا الْأَتْقَى...».

٣- قوله صلّى الله عليه و آله: «اقتدوا باللذين من بعدي...».

٤- صلاه أبي بكر في مرضه صلّى الله عليه و آله.

٥- إجماع الصّحابة.

هذه هي عمده أدلّتهم، و تجدها في العبارات السابقة.

و قد تعرّض لها العلّامة بالجواب، و سنشرح ذلك إن شاء الله.

و تبقى وجوهٌ أخرى جاءت في الكلمات المذكورة، خاصّة في شرح المواقف و شرح المقاصد:

ص: ٢٢٤

فمنها: قوله صَلَّى اللهُ عليه و آله لأبي بكر و عمر: «هما سَيِّدا كهول أهل الجنة ما خلا النَّبِيَّين و المرسلين».

أقول:

هذا الحديث-حتى لو كان صحيحاً عندهم-ليس بحجه علينا لكونه من طرقهم فقط، فكيف و رواته ضعفاء متروكون بشهاده كبار علمائهم؟ و هذه عباره واحد منهم:

قال الحافظ الهيثمي: «عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله لأبي بكر و عمر:

هذان سَيِّدا كهول أهل الجنة من الأوّلين و الآخريين. رواه البزار و الطبراني في الأوسط.

و فيه: علي بن عباس و هو ضعيف».

و عن ابن عمر قال: إن النبي قال: أبو بكر و عمر سَيِّدا كهول أهل الجنة من الأوّلين و الآخريين إلّا النَّبِيَّين و المرسلين. رواه البزار و قال: لا نعلم رواه عن عبيد الله بن عمر إلّا عبد الرحمن بن مالك بن مغول. قلت: و هو متروك» (١).

و منها: و قوله عليه السلام: «خير أمتي أبو بكر ثم عمر».

أقول:

هذا الحديث مذيل بذيل يدلّ على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، ورواه عن عائشه قالت: «قلت: يا رسول الله، من خير الناس بعدك؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر».

قالت فاطمه: يا رسول الله، لم تقل في عليّ شيئاً!

قال: يا فاطمه، علي نفسي، فمن رأيتيه يقول في نفسه شيئاً؟».

و لهذا، فقد تكلم في سنده بعض علمائهم (٢). لكن السعد التفتازاني أسقط الذيل تبعاً لشيخه العضد الإيجي ليتم الاستدلال!

ص: ٢٢٥

١- (١) مجمع الزوائد ٥٣/٩.

٢- (٢) راجع: تنزيه الشريعة ٣٦٧/١.

و منها: و قوله عليه السلام: «ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدّم عليه غيره».

أقول:

لفظ هذا الحديث: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره» و هو حديث مكذوب موضوع على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

نصّ على ذلك غير واحد من أكابر أئمّه الحديث، كالحافظ ابن الجوزي، فإنّه أورده في كتابه في الموضوعات و قال بعد روايته: «هذا حديث موضوع على رسول الله» (١).

و من المضحك فهم ابن الجوزي من الحديث أن المراد هو تقديم من اسمه «أبو بكر» في الصلاة و النهي عن التقدّم عليه فيها، فإنّه ذكر في أبواب الصلاه: «باب تقديم من اسمه أبو بكر» ثم ذكر الحديث ثم قال: «هذا حديث موضوع...» (٢).

قال السيوطي: هذا فهم عجيب! إنّما المراد أبو بكر خاصّه (٣).

فالعجب من هؤلاء؟ كيف يستدلّون بالأحاديث الموضوعه باعتراف علمائهم، و يعارضون بها الأحاديث الصحيحه الثابته باعتراف علمائهم كذلك؟

و منها: و قوله: «لو كنت متّخذاً خليلاً...».

أقول:

قد أجاب أصحابنا عن هذا الحديث سنداً و دلالة (٤). و هو في روايه البخاري قطعه من حديث يشتمل على جمل عديده، تعدّ كلّ واحده منها فضيله مستقلّه من فضائل أبي بكر... فهو أقواها سنداً و أدلّها دلالة، لكنّ راويه هو: «إسماعيل بن عبد الله بن

ص: ٢٢٤

١-١) الموضوعات ٣١٨/١.

٢-٢) الموضوعات ١٠٠/٢.

٣-٣) اللآلي المصنوعه ٢٩٩/١.

٤-٤) تلخيص الشافى ٢١٧/٣.

أبي أويس» ابن أخت مالك بن أنس و نسيبه و راويته، و هذه طائفه من الكلمات فيه:

قال ابن معين: هو و أبوه يسرقان الحديث. و قال: مخلط، يكذب، ليس بشيء.

و قال النسائي: ضعيف. و قال مره أخرى: غير ثقة.

و قال ابن عدى: يروى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

و ذكره الدؤلابي في الضعفاء و قال: سمعت النصر بن سلمه المروزي يقول:

ابن أبي أويس كذاب....

و قال الدارقطني: لا أختره في الصحيح.

و ذكره الإسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفه و الطيش إلى ما أكره ذكره.

و قال بعضهم: جانباه السنه.

و قال ابن حزم في المحلى: قال أبو الفتح الأزدي: حدثني سيف بن محمد: أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث.

و أخرج النسائي من طريق سلمه بن شبيب أنه قال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم (١).

ثم إنه معارض بأحاديث موضوعه تنص على أنه قد اتخذه خليلاً مثل: «لكلّ نبي خليل في أمته و إنّ خليلي أبو بكر» (٢) و بآخر ينص على أنه اتخذ عثمان خليلاً، و هذا لفظه: «إنّ لكلّ نبي خليلاً من أمته و إنّ خليلي عثمان بن عفان».

لكنها كلّها موضوعات، و قد نصّ على وضع الأخير منها غير واحد (٣).

ص: ٢٢٧

١- ١) لاحظ الكلمات بترجمته من تهذيب التهذيب ٣١٢/١.

٢- ٢) كنز العمال ١٤٠/٦.

٣- ٣) تنزيه الشريعة ٣٩٢/١.

و منها: وقوله: «و أين مثل أبي بكر...».

أقول:

هذا الحديث كسابقه، و ممّا يؤكّد بطلانه اشتماله على أن أبا بكر أوّل من أسلم، و هذا كذب، فإنّ أوّل من أسلم أمير المؤمنين على عليه السلام، كما نصّ عليه غير واحد و دلّت عليه الأخبار و الآثار.

و أيضاً: إشتماله على أنه كان ذا مال. و قد نصّ السعد التفتازاني على كونه «عديم المال».

و أيضاً: إشتماله على أنه كان ينفق على النبي بماله، فإنّ هذا كذب قطعاً، و لذا اضطرّ مثل ابن تيميه إلى تأويله فقال: «إنّ إنفاق أبي بكر لم يكن نفقةً على النبي في طعامه و كسوته، فإنّ الله قد أغنى رسوله عن مال الخلق أجمعين، بل كان معونه له على إقامه الدين، فكان إنفاقه فيما يحبّه الله و رسوله، لا نفقه على نفس الرسول» (١).

و لو تمّ هذا التأويل لم يبق فرق بين أبي بكر و سائر الصحابه الذين كانوا ينفقون أموالهم في سبيل إقامه الدين، فأين الأفضليه؟

و قبل هذا كلمه، فالحديث قد أورده الحافظ ابن عزّاق في الأخبار الشنيعه الموضوعه (٢) و الحافظ السيوطي في الأحاديث الموضوعه (٣).

و منها: «قوله لأبي الدرداء حين كان يمشى أمام أبي بكر...».

أقول:

هذا الحديث -حتى لو كان صحيحاً عندهم- ليس بحجّه علينا، لكونه -كغيره- من طرقهم فقط، فكيف و رواته كذّابون مدلسون بشهاده كبار علمائهم؟ و هذه عباره الحافظ الهيثمي:

ص: ٢٢٨

١- (١) منهاج السنه ٢٨٩/٤.

٢- (٢) تنزيه الشريعه المرفوعه عن الأخبار الشنيعه الموضوعه ٣٤٤/١.

٣- (٣) اللآلي المصنوعه في الأحاديث الموضوعه ٢٩٥/١.

«عن جابر بن عبد الله قال: رأى رسول الله أبا الدرداء يمشى بين يدي أبي بكر.

فقال: يا أبا الدرداء تمشى قدام رجلٍ لم تطلع الشمس بعد النبين على رجل أفضل منه، فما روى أبو الدرداء بعدُ يمشى إلّا خلف أبي بكر.

رواه الطبراني في الأوسط وفيه: إسماعيل بن يحيى التميمي، وهو كذاب.

و عن أبي الدرداء قال: رأني رسول الله و أنا أمشي أمام أبو بكر فقال: لا تمش أمام من هو خير منك، إنَّ أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس أو غربت.

رواه الطبراني وفيه: بقيه، وهو مدلس (١).

و إذا بطل الحديث من أصله، فلا موضوع لما ذكره السعد التفتازاني في معناه.

و منها: ما عن عمرو بن العاص قلت لرسول الله...».

أقول:

هذا الحديث في البخاري بهذا السند: «حدَّثنا معلى بن أسد، حدَّثنا عبد العزيز بن المختار قال خالد الحذاء حدَّثنا عن أبي عثمان قال: حدَّثني عمرو بن العاص...» (٢).

في هذا السند:

١- عبد العزيز بن المختار، وهو لم يتفقوا على وثاقته، فعن ابن معين: ليس بشيء (٣).

٢- خالد بن مهران الحذاء وهو مقدوح جداً:

أ- كان قد استعمل على العشور بالبصرة (٤).

ب- كان مدلساً (٥).

ص: ٢٢٩

١- ١) مجمع الزوائد ٤٤/٩.

٢- ٢) صحيح البخاري ٦٤/٥ كتاب فضائل أصحاب النبي.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٣١٧/٦.

٤- ٤) تهذيب التهذيب ١٠٥/٣.

ج- تكلم فيه جماعه كأبي حاتم حيث قال: يكتب حديثه و لا يحتج به. و حماد بن زيد قال: قدم علينا قدمه من الشام، فكأننا أنكرنا حفظه. و أراد شعبه التكلم فيه علناً فهدد و سكت. و لم يلتفت إليه ابن عليه و ضعف أمره. و قال ابن حجر: «و الظاهر أن كلام هؤلاء فيه من أجل ما أشار إليه حماد بن زيد من تغير حفظه بآخره، أو من أجل دخوله في عمل السلطان. و الله أعلم» (١).

٣- عمرو بن العاص. ابن النابغه، أحد المصديق الحقيقه لما قاله السعد نفسه حول الصحابه.

أقول: أليس من الجراف و القول الزور الاستدلال بحديث هذا سنده، في أصح الكتب عندهم بعد القرآن، فضلاً عن غيره من الكتب؟

و منها: و قال النبي: «لو كان بعدى نبي لكان عمر».

أقول:

عجباً للسعد و غيره، كيف يرتضى هذا الحديث و يستدل به و هو يرى فضليه أبي بكر من عمر؟ إن هذا الحديث معناه أن عمر صالح لنيل النبوه على تقدير عدم ختمها، و لازمه أن يكون أفضل من أبي بكر، كما هو واضح.

ثم كيف يصلح للنبوه من قضى شرطاً من عمره في الكفر؟

و لننظر في سنده:

إن هذا الحديث لا يعرف إلا من حديث مشرح بن هاعان، كما نص عليه الترمذي بعد أن أخرجه، و هذه عبارته كامله:

«حدثنا سلمه بن شبيب، حدثنا المقرئ، عن حيوه بن شريح، عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان، عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو كان

ص: ٢٣٠

بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان» (١).

و هذه طائفه من كلمات أئمه القوم لتعرف مشرح بن هاعان:

قال ابن الجوزي: «قال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه، فبطل الاحتجاج به» (٢).

وقال الذهبي: «قال ابن حبان: يكنى أبا مصعب، يروى عن عقبه مناكير لا يتابع عليها... فالصواب ترك ما انفرد به. وذكره العقيلي فما زاد في ترجمته من أن قيل أنه جاء مع الحجاج إلى مكة و نصب المنجنيق على الكعبه» (٣).

فتلخص:

١- قدح جماعه من الأئمه فيه.

٢- إنه جاء مع الحجاج إلى مكة و نصب المنجنيق على الكعبه.

٣- إنه روى عن عقبه أحاديث لا يتابع عليها. ولا ريب أن هذا الحديث منها، إذ لم يعرف إلا منه كما عرفت من عبارته الترمذي.

ثم إن الراوي عنه هو: بكر بن عمرو، وقد قال الدارقطني و الحاكم: «ينظر في أمره» (٤) بل قال ابن القطان: «لا نعلم عدالته» (٥).

و في (مقدمه فتح الباري) في الفصل التاسع، في أسماء من طعن فيه من رجال البخاري: «بكر بن عمرو المعافري المصري».

ثم إن بعض الوضّاعين قلب لفظ هذا الحديث المفترى إلى لفظ: «لو لم أبعث

ص: ٢٣١

١- ١) صحيح الترمذي ٥٧٨/٥ باب مناقب عمر.

٢- ٢) الموضوعات-باب مناقب عمر ٣٢٠/١.

٣- ٣) ميزان الاعتدال-ترجمه مشرح بن هاعان ١١٧/٤.

٤- ٤) تهذيب التهذيب ٤٢٦/١، ميزان الاعتدال ٣٤٧/١.

٥- ٥) تهذيب التهذيب ٤٢٦/١.

فيكم لبعث عمر». وقد رواه ابن الجوزي بنفس سند اللفظ الأول في (الموضوعات) و نصّ على أنه لا يصح (١) كما نصّ الذهبي على كونه مقلوباً منكراً (٢).

و بعضهم وضعه بلفظ: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب: لو كان بعدى نبي لكنته» رواه المتقي الهندي في الكنز وقال: رواه الخطيب و ابن عساكر و قالوا: منكر (٣).

و منها: عن عبد الله بن حنطب: إن النبي رأى أبا بكر و عمر فقال: «هذان السمع و البصر».

أقول:

«هذان السمع و البصر» من أي شيء؟

قد وضعوا هذا الحديث تارة بلفظ: إنهما السمع و البصر من الدين أو الاسلام، و أخرى: إنهما السمع و البصر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... و هو بجميع ألفاظه ساقط عن درجه الاعتبار، و إليك البيان باختصار:

أخرج الحاكم بسنده عن حذيفه عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: «إنهما من الدين كالسمع و البصر» قال الذهبي في تلخيصه: «هو واه» (٤).

و روى المقدسي: «إن أبا بكر و عمر من الإسلام بمنزلة السمع و البصر» ثم قال:

«من موضوعات الوليد بن الفضل الوضاع» (٥).

و الحديث الذي استدللّ به السعد مرسل، لأنّ عبد الله لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله

ص: ٢٣٢

١-١ (الموضوعات: ٣٢٠/١).

٢-٢ (ميزان الاعتدال-ترجمه رشدين بن سعد المهري ٤٩/٢).

٣-٣ (كنز العمال ٥٩٧/١٢).

٤-٤ (المستدرک ٧٤/٣).

٥-٥ (تذکره الموضوعات: ١٤٨).

و آله (١) لكن ابن عبد البر رواه بسنده عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبيه عن جدّه... ثم قال: «ليس له غير هذا إسناد، والمغيرة بن عبد الرحمن هذا- هو الحزامي- ضعيف، وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي...» (٢).

و قال أيضاً: «حديث مضطرب الأسناد لا يثبت» (٣).

و تبعه ابن حجر فقال: «قال أبو عمر: حديث مضطرب لا يثبت» (٤).

قال السعد التفتازاني: «و أما الأثر فعن ابن عمر...».

أقول:

لقد عرفت أن لا شيء مما استدللّ به من السنّة بتأمّ سنداً، و ما لا دليل عليه من الكتاب و السنه باطل بالإجماع، فأى قيمة لقول زيد أو عمرو؟ و أى فائده لقول مثل ابن عمر؟

قال: «و عن محمّد بن الحنفية... و عن علي... و عنه لما قيل له: ما توصى؟».

أقول:

إنّ الذين لا يخافون الله و الدار الآخرة فيضعون على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما لم يقله، لا وازع لهم عن الوضع على علي أمير المؤمنين عليه السلام...

و ليس الذى وضعوه على لسانه ما ذكره السعد فقط، بل الموضوعات عليه فى هذا الباب ربما يبلغ العشرات، بل وضعوا على لسان أئمّه العتره و رجالات أهل البيت ما لا يعدّ و لا يحصى....

قال: «و أما الأمارات...».

ص: ٢٣٣

١-١ (١) الاصابه ٢/٢٩٩.

٢-٢ (٢) الاستيعاب ١/١٤٦.

٣-٣ (٣) الاستيعاب ١/١٤٦.

٤-٤ (٤) الاستيعاب ١/٣٤٧.

أقول: و إذْ لا دليل من الكتاب و السنّه و لا إجماع...فما فائده الأمارات؟

قال: «و تشرفه بقوله عليه السلام:عثمان أخى و رفيقى فى الجنّه...».

أقول:

و هذا الحديث نظير ما وضعوه و افتروه فى حق اللذين من قبله...فقد أخرج ابن ماجه عن:أبى مروان محمّد بن عثمان الأموى العثمانى،عن أبيه عثمان ابن خالد حفيد عثمان بن عفان،عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه-و هو مولى لعائشه بنت عثمان- عن الأعرج،عن أبى هريره:إن رسول الله قال:لكلّ نبى رفيق فى الجنه و رفيقى فيها عثمان بن عفان (١).

فهو حديث لآل عثمان...عن أبى هريره!؟

و قد قال شارحه السندى:«إسناده ضعيف.فيه:عثمان بن خالد،و هو ضعيف باتّفاقهم» (٢).

مضافاً إلى أن أبا مروان مقدوح،و قال بعض أئمّه القوم:يروى عن أبيه المناكير (٣).

و هذا منها....

و أبوه عثمان بن خالد:

قال البخارى:عنده مناكير.و قال النسائى:ليس بثقه.و قال العقيلى:الغالب على حديثه الوهم.و قال أبو أحمد:منكر الحديث.و قال ابن عدى:أحاديثه كلّها غير محفوظه.و قال الساجى:عنده مناكير غير معروفه.و قال الحاكم و أبو نعيم:حدّث عن مالك و غيره بأحاديث موضوعه...إلى غير ذلك من الكلمات (٤).

ص: ٢٣٤

١-١) سنن ابن ماجه ٤٠/١.

٢-٢) سنن ابن ماجه ٤٠/١.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٣٣٦/٩.

٤-٤) تهذيب التهذيب ١١٤/٧.

فهو ضعيف باتفاقهم كما ذكر شارح ابن ماجه، بل قال ابن الجوزى: نسب إلى الوضع (١).

و عبد الرحمن بن أبي الزناد:

قال ابن معين: ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث، ليس بشيء. وقال ابن صالح وغيره عن ابن معين: ضعيف. وقال الدوري عن ابن معين: لا يحتج بحديثه. وقال صالح بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث. وعن ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيفاً. وقال النسائي: لا يحتج بحديثه. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث و كان يضعف لروايته عن أبيه (٢).

و أما الحديث الآخر في حياء عثمان، فهو من جملة عدّه أحاديث موضوعه في هذا الباب، يكفي متنها دليلاً على وضعها، فلا حاجة إلى النظر في أسانيدها....

على أن هذا الحديث بالخصوص يشتمل على إهانته كبيره للنبي الأقدس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث نسب واضعه إليه الكشف عن أفخذه بحضور أصحابه...

فهو أراد صنع فضيله لعثمان - وهي الحياء - و نسب إلى الرسول عدم الحياء! مع كونه كما وصفه أبو سعيد الخدري «أشدّ حياء من العذراء في خدرها» (٣)، لا سيّما و أن جمهور فقهاءهم على أن الفخذ عوره....

و أيضاً: يدلّ الحديث على أفضلّيه عثمان من أبي بكر و عمر، فإنهما قد دخلا على النبي في تلك الحال فلم يغطّ فخذه، فلمّا دخل عثمان سترهما و قال هذه الكلمه!؟

ص: ٢٣٥

١- (١) العلل المتناهيه ٢٠٦/١.

٢- (٢) تهذيب التهذيب ١٧١/٦.

٣- (٣) تجده في البخاري في باب صفه النبي، و في غيره من الصحاح.

المنهج الثاني: في الأدلة المأخوذة من القرآن و البراهين الداله على إمامه على من الكتاب العزيز و هي أربعون برهاناً

اشاره

ص: ٢٣٧

قال قدس سره: الأول: قوله تعالى:

«إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» (١)، وقد أجمعوا على أنها نزلت في علي عليه السلام.

قال الثعلبي بإسناده إلى أبي ذر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلما فضيماً، ورأيت بهاتين وإلما فضيماً، يقول: علي قائد البره وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخدول من خذله، أما إنني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً! وكان علي عليه السلام راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى - وكان يتختم بها - فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله. فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَ اِخْلُلْ عُنُقَهُ مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي * وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي» فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً «سَسُدُّ عَضَدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا» اللهم وأنا محمد نبيك و صفيك؛ اللهم فاشرح لي

ص: ٢٣٩

صدرى و يسر لى امرى، و اجعل لى وزيراً من أهلى علياً أشد به ظهري!

قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه و آله حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد، اقرأ! قال: و ما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

و نقل الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت فى على عليه السلام؛

و الولي هو المتصرف، و قد أثبت له الولاية فى الآية، كما أثبتها الله تعالى لنفسه و لرسوله صلى الله عليه و آله.

الشرح:

قال ابن تيمية: الجواب عن هذه الآية من وجوه:

الأول: إننا نطالبه بصحة هذه النقل، أو لا يذكر هذا الحديث على وجه تقوم به الحجة؛ فإن مجرد عزوه إلى تفسير الثعلبي، أو نقل الإجماع على ذلك من غير العالمين بالمنقولات الصادقين فى نقلها، ليس بحجة باتفاق أهل العلم، إن لم نعرف ثبوت إسناده. و كذلك إذا روى فضيله لأبى بكر و عمر، لم يجز اعتقاد ثبوت ذلك بمجرد ثبوت روايته باتفاق أهل العلم.

فالجمهور - أهل السنة - لا يثبتون بمثل هذا شيئاً يريدون إثباته: لا حكماً، و لا فضيله، و لا غير ذلك. و كذلك الشيعة.

و إذا كان بمجرد ليس بحجة باتفاق [الطوائف] كلها، بطل الاحتجاج به. و هكذا القول فى كل ما نقله و عزاه إلى أبى نعيم أو الثعلبي أو النقاش أو ابن المغازلى و نحوهم.

الثانى: قوله: «قد أجمعوا أنها نزلت فى على» من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل فى على بخصوصه، و أن علياً لم يتصدق بخاتمه فى الصلاة، و أجمع أهل العلم بالحديث على أن القصه المرويّه فى ذلك من

ص: ٢٤٠

و أما ما نقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروى طائفه من الأحاديث الموضوعات، كالحديث الذي يرويه في أول كلِّ سورة عن أبي أمامه في فضل تلك السوره، و كأمثال ذلك. و لهذا يقولون: «هو كحاطب ليل».

و هكذا الواحدى تلميذه، و أمثالهم من المفسرين: ينقلون الصحيح و الضعيف.

و لهذا لما كان البغوى عالماً بالحديث، أعلم به من الثعلبي و الواحدى، و كان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي، لم يذكر فى تفسيره شيئاً من هذه الأحاديث الموضوعه التى يرويها الثعلبي، و لا ذكر تفاسير أهل البدع التى ذكرها الثعلبي، مع أن الثعلبي فيه خير و دين، لكنه لا خبره له بالصحيح و السقيم من الأحاديث، و لا يميّز بين السنّه و البدعه فى كثير من الأقوال.

و أمّا أهل العلم الكبار: أهل التفسير، مثل تفسير محمّد بن جرير الطبرى، و بقى بن مخلد، و ابن أبى حاتم، و ابن المنذر، و عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، و أمثالهم، فلم يذكروا فيها مثل هذه الموضوعات. دع من هو أعلم منهم، مثل تفسير أحمد بن حنبل، و إسحاق بن راهويه. بل و لا يُذكر مثل هذا عند ابن حُميد و لا عبد الرزاق، مع أن عبد الرزاق كان يميل إلى التشيع، و يروى كثيراً من فضائل عليّ، و إن كانت ضعيفه، لكنه أجلّ قدراً من أن يروى مثل هذا الكذب الظاهر.

و قد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لا يجوز الاستدلال بمجرد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبي و النقاش و الواحدى، و أمثال هؤلاء المفسرين، لكثرة ما يروونه من الحديث و يكون ضعيفاً، بل موضوعاً. فنحن لو لم نعلم كذب هؤلاء من وجوه أخرى، لم يجر أن نعتمد عليه، لكون الثعلبي و أمثاله روه، فكيف إذا كنا عالمين بأنه كذب؟! و سنذكر إن شاء الله تعالى ما يبيّن كذبه عقلاً و نقلاً.

و إنما المقصود هنا بيان افتراء هذا المصنّف أو كثره جهله، حيث قال: «قد أجمعوا

أنها نزلت في عليّ» فيا ليت شعري من نقل هذا الإجماع من أهل العلم العالمين بالإجماع في مثل هذه الأمور؟ فإن نقل الإجماع في مثل هذا لا يُقبل من غير أهل العلم بالمنقولات، وما فيها من إجماع واختلاف. فالمتكلم والمفسر والمؤرخ ونحوهم، لو ادّعى أحدهم نقلاً مجرداً بلا إسناد ثابت، لم يُعتمد عليه، فكيف إذا ادّعى إجماعاً؟!

الوجه الثالث: أن يقال: هؤلاء المفسرون الذين نقل من كتبهم، هم -و من هم أعلم منهم- قد نقلوا ما يناقض هذا الإجماع المدعى، والثعلبي [قد نقل] في تفسيره أن ابن عباس يقول: نزلت في أبي بكر. ونقل عن عبد الملك: قال: سألت أبا جعفر، قال: هم المؤمنون. قلت: فإن ناساً يقولون: هو عليّ. قال: فعليّ من الذين آمنوا. و عن الضحّاك مثله.

و روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه قال: حدّثنا أبو صالح كاتب الليث، حدّثنا معاوية [بن صالح]، حدّثنا عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه، قال: «كلّ من آمن فقد تولّى الله ورسوله والذين آمنوا» قال: و حدّثنا أبو سعيد الأشجّ، عن المحاربيّ، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عن هذه الآية، فقال:

«هم الذين آمنوا». قلت: نزلت [في عليّ؟ قال: عليّ من الذين آمنوا]. و عن السديّ مثله.

الوجه الرابع: أنا نفعيه من الإجماع، و نطالبه أن ينقل ذلك بإسناد واحد صحيح.

و هذا الإسناد الذي ذكره الثعلبيّ إسناده ضعيف، فيه رجال متهمون. و أمّا نقل ابن المغازلي الواسطي فأضعف و أضعف، فإن هذا قد جمع في كتابه من الأحاديث الموضوعات ما لا يخفى أنه كذب عليّ من له أدنى معرفه بالحديث، و المطالبه بإسناد يتناول هذا و هذا.

الوجه الخامس: أن يُقال: لو كان المراد بالآيه أن يؤتى الزكاه حال ركوعه، كما يزعمون أن عليّاً تصدّق بخاتمه في الصلاه، لوجب أن يكون ذلك شرطاً في الموالاه، و أن لا يتولّى المسلمون إلا عليّاً وحده، فلا يتولّى الحسن و لا الحسين و لا سائر

بنى هاشم. وهذا خلاف إجماع المسلمين.

الوجه السادس: أن قوله: «الذين» صيغه جمع، فلا يصدق على عليٍّ وحده.

الوجه السابع: أن الله تعالى لا يثنى على الإنسان [إلا] بما هو محمود عنده: إما واجب، وإما مستحب. والصدقة والعق و الهدية والهبة والإجاره و النكاح و الطلاق، وغير ذلك من العقود فى الصلاة، ليست واجبه و لا مستحبه باتفاق المسلمين، بل كثير منهم يقول: إن ذلك يبطل الصلاة و إن لم يتكلم، بل تبطل بالإشاره المفهمه. و آخرون يقولون:

لا- يحصل المملك بها لعدم الإيجاب الشرعى. و لو كان هذا مستحبًا، لكان النبى صلى الله عليه و سلم يفعلُه و يحض عليه أصحابه، و لكان عليٌّ يفعلُه فى غير هذه الواقعه.

فلما لم يكن شىء من ذلك، علم أن التصدق فى الصلاة ليس من الأعمال الصالحه، و إعطاء السائل لا يفوت، فيمكن المتصدق إذا سلم أن يعطيه، و إن فى الصلاه لشغلاً.

الوجه الثامن: أنه لو قُدر أن هذا مشروع فى الصلاه، لم يختص بالركوع، بل يكون فى القيام و القعود أولى منه فى الركوع، فكيف يُقال: لا- ولئى [لكم] إلا- الذين يتصدقون فى كل الركوع. فلو تصدق المتصدق فى حال القيام و القعود، أما كان يستحق هذه الموالاه؟

فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعليٍّ على خصوصه.

قيل له: أو صاف عليٍّ التى يُعرف بها كثيره ظاهره، فكيف يترك تعريفه بالأمر المعروفه، و يعرّفه بأمر لا يعرفه إلا من سمع هذا و صدّقه؟

و جمهور الأمه لم تسمع هذا الخبر، و لا [هو] فى شىء من كتب المسلمين المعتمده، لا الصحاح، و لا السنن، و لا الجوامع، و لا المعجمات، و لا شىء من الأمهات. فأحد الأمرين لازم، إن قصد به المدح بالوصف فهو باطل، و إن قصد به التعريف فهو باطل.

الوجه التاسع: أن يُقال: قوله: «و يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» على قولهم يقتضى أن يكون قد آتى الزكاه فى حال ركوعه. و عليٌّ رضى الله عنه لم يكن ممن تجب عليه على عهد النبى صلى الله عليه و سلم، فإنه كان فقيراً، و زكاه الفضه إنما على من ملك

النصاب حولاً، وعلّي لم يكن من هؤلاء.

الوجه العاشر: أن إعطاء الخاتم في الزكاه لا يجزئ عند كثير من الفقهاء، إلا إذا قيل بوجوب الزكاه في الحلي. وقيل: إنه يخرج من جنس الحلي. ومن جوّز ذلك بالقيمه، فالتقويم في الصلاه متعذر، و القيم تختلف باختلاف الأحوال.

الوجه الحادى عشر: أن هذه الآيه بمنزله قوله «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» هذا أمر بالركوع.

و كذلك قوله: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ»، و هذا أمر بالركوع.

قد قيل: ذكر ذلك لبيّن أنهم يصلّون جماعه، لأن المصلّى في الجماعه إنما يكون مدرّكاً للركعه بإدراك ركوعها، بخلاف الذى لم يدرك إلا السجود، فإنه قد فاتته الركعه.

و أمّا القيام فلا يشترط فيه الإدراك.

و بالجمله، «الواو» إمّا واو الحال، و إمّا واو العطف. و العطف هو الأكثر، و هى المعروفه فى مثل هذا الخطاب. و قوله إنما يصح إذا كانت واو الحال، فإن لم يكن ثمّ دليل على تعيين ذلك بطلت الحججه، [فكيف إذا كانت الأدله تدل على خلافه؟!].

الوجه الثانى عشر: أنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير، خلفاً عن سلف، أن هذه الآيه نزلت فى النهى عن موالاه الكفار، و الأمر بموالاه المؤمنين، لَمَّا كان بعض المنافقين، كعبد الله بن أُبَيّ، يوالى اليهود، و يقول: إن أخالف الدوائر. فقال بعض المؤمنين، و هو عباده بن الصامت: إنى يا رسول الله أتولّى الله و رسوله، و أبرأ إلى الله و رسوله من حلف هؤلاء الكفار و ولايتهم.

و لهذا لما جاءتهم بنو قينقاع و سبب تأمرهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فأنزل الله هذه الآيه، بيّن فيها وجوب موالاه المؤمنين عموماً، و ينهى عن موالاه الكفار عموماً.

و قد تقدّم كلام الصحابه و التابعين أنها عامه لا تختص بعلى.

الوجه الثالث عشر: أن سياق الكلام يدل على ذلك لمن تدبر القرآن، فإنه قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فهذا نهى عن موالاته اليهود و النصارى.

ثم قال: «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» إلى قوله: «فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ» فهذا وصف الذين فى قلوبهم مرض، الذين يوالون الكفار كالمنافقين.

ثم قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهَ بِمُؤْمِنٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» فذكر فعل المرتدين و أنهم لن يضرروا الله شيئاً، و ذكر من يأتى به بدلهم.

ثم قال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ* وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل فى الإسلام من المنافقين، و ممن يرتد عنه، و حال المؤمنين الثابتين عليه ظاهراً و باطناً.

فهذا السياق، مع إتيانه بصيغه الجمع، مما يوجب لمن تدبر ذلك علماً يقيناً لا يمكنه دفعه عن نفسه: أن الآيه عامه فى كل المؤمنين المتصفين بهذه الصفات، لا- تختص بواحد بعينه: لا- أبى بكر، و لا- عمر، و لا عثمان، و لا على، و لا غيرهم. لكن هؤلاء أحق الأمم بالدخول فيها.

الوجه الرابع عشر: أن الألفاظ المذكوره فى الحديث مما يُعلم أنها كذب على النبى صلى الله عليه و سلم، فإن علياً ليس قائداً لكل البرره، بل لهذه الأمه رسول الله

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ لَا هُوَ أَيْضاً قَاتِلاً لِكُلِّ الْكُفْرَةِ، بَلْ قَتَلَ بَعْضَهُمْ، كَمَا قَتَلَ غَيْرَهُ بَعْضَهُمْ. وَ مَا أَحَدٌ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ الْقَاتِلِينَ لِبَعْضِ الْكُفَّارِ إِلَّا وَ هُوَ قَاتِلٌ لِبَعْضِ الْكُفْرَةِ.

وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: «مَنْصُورٌ مِنْ نَصْرِهِ، مَخْذُولٌ مِنْ خِذْلِهِ» هُوَ خِلَافُ الْوَاقِعِ. وَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقّاً، لَا سِيَّمَا عَلَيَّ قَوْلُ الشَّيْعَةِ، فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنَّ الْأَمَةَ كُلَّهَا خِذَلَتْهُ إِلَى قَتْلِ عَثْمَانَ.

وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَمَةَ كَانَتْ مَنْصُورَةٌ فِي أَعْصَارِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، نَصِراً لَمْ يَحْصُلْ لَهَا بَعْدَهُ مِثْلُهُ. ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ، وَ صَارَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَحْزَابٍ: حِزْبُ نَصْرِهِ وَ قَاتِلٍ مَعَهُ، وَ حِزْبُ قَاتِلُوهُ، وَ حِزْبُ خِذْلُوهُ لَمْ يِقَاتِلُوا لَا مَعَ هَؤُلَاءِ وَ لَا مَعَ هَؤُلَاءِ، لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا مَعَهُ مَنْصُورِينَ عَلَى الْحِزْبَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَ لَا عَلَى الْكُفَّارِ، بَلْ أَوْلَيْتُكَ الَّذِينَ نُصِرُوا عَلَيْهِمْ، وَ صَارَ الْأَمْرُ لَهُمْ، لَمَّا تَوَلَّى مَعَاوِيَةَ، فَانْتَصَرُوا عَلَى الْكُفَّارِ، وَ فَتَحُوا الْبِلَادَ، إِنَّمَا كَانَ عَلَيٌّ مَنْصُوراً كَنْصَرِ أَمْثَالِهِ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَ الْكُفَّارِ.

وَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْكُفَّارَ وَ الْمُرْتَدِينَ كَانُوا مَنْصُورِينَ نَصِراً عَظِيماً، فَالْنَصْرُ وَقَعَ كَمَا وَعَدَ اللّٰهُ بِهِ حَيْثُ قَالَ: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ».

فَالْقِتَالُ الَّذِي كَانَ بِأَمْرِ اللّٰهِ وَ أَمْرِ رَسُولِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْكَفَّارِ وَ الْمُرْتَدِينَ وَ الْخَوَارِجِ، كَانُوا فِيهِ مَنْصُورِينَ [نَصِراً عَظِيماً] إِذَا اتَّقَوْا وَ صَبَرُوا، فَإِنَّ التَّقْوَى وَ الصَّبْرَ مِنَ تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ الَّذِي عَلَّقَ بِهِ النِّصْرَ.

وَ أَيْضاً، فَالِدَعَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَقِبَ التَّصَدَّقِ بِالْخَاتِمِ مِنْ أَظْهَرِ الْكُذْبِ. فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الصَّحَابَةَ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، مَا هُوَ أَعْظَمُ قَدِراً وَ نَفْعاً مِنْ إِعْطَاءِ سَائِلِ خَاتِماً. وَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ كَمَا لِي أَبِي بَكْرٍ»، «إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَ ذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَ لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً». وَ قَدْ تَصَدَّقَ

عثمان بألف بعير فى سبيل الله فى غزوه العسره، حتى قال النبى صلى الله عليه و سلم:

«ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم».

و الإنفاق فى سبيل الله و فى إقامه الدين فى أول الإسلام أعظم من صدقه على سائل محتاج. و لهذا قال النبى صلى الله عليه و سلم: «لا تسبوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم و لا نصيفه» أخرجاه فى الصحيحين.

قال تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَ كُلاًَّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» فكذلك الإنفاق الذى صدر فى أول الإسلام فى اقامه الدين ما بقى له نظير يساويه.

و أما إعطاء السؤل لحاجتهم، فهذا البرّ يوجد مثله إلى يوم القيامة.

فإذا كان النبى صلى الله عليه و سلم لأجل تلك النفقات العظيمة النافعه الضرورية لا يدعو بمثل هذا الدعاء، فكيف يدعو به لأجل إعطاء خاتم لسائل قد يكون كاذباً فى سؤاله؟

و لا ريب أن هذا و مثله من كذب جاهل أراد أن يعارض ما ثبت لأبى بكر بقوله:

«وَسَيُجِيبُهَا أَتَقَى * أَلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَ لَسَوْفَ يَرْضَى» بأن يذكر لعلى شيئاً من هذا الجنس، فما أمكنه أن يكذب أنه فعل ذلك فى أول الإسلام، فكذب هذه الأكذوبه التى لا تروج إلا على مفرط فى الجهل.

و أيضاً، فكيف يجوز أن يقول النبى صلى الله عليه و سلم فى المدينه-بعد الهجره و النصره-: و اجعل لى وزيراً من أهلى، علياً أشدد به ظهري، مع أن الله قد أعزّه بنصره و بالمؤمنين، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ»، و قال: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».

فالذى كان معه حين نَصَرَه الله، إذ أخرجه الذين كفروا، هو أبو بكر. وكانا اثنين الله ثالثهما. وكذلك لما كان يوم بدر، لما صُيِّع له عريش كان الذى دخل معه فى العريش دون سائر الصحابه أبو بكر، وكل من الصحابه له فى نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم سعى مشكور و عمل مبرور.

و روى أنه لما جاء عليّ بسيفه يوم أحد، قال لفاطمه: اغسليه يوم أحدٍ غير ذميم.

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «إن تك أحسنت فقد أحسن فلان و فلان و فلان» فعدّد جماعه من الصحابه.

و لم يكن لعلّي اختصاص بنصر النبي صلى الله عليه و سلم دون أمثاله، و لا عُرف موطن احتاج النبي صلى الله عليه و سلم فيه إلى معونه عليّ وحده، لا- باليد و لا- باللسان، و لا- كان إيمان الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم و طاعتهم له لأجل عليّ، بسبب دعوه عليّ لهم، و غير ذلك من الأسباب الخاصه، كما كان هارون مع موسى، فإن بنى إسرائيل كانوا يحبون هارون جدًّا و يهابون موسى، و كان هارون يتألفهم.

و الراضه تدعى أن الناس كانوا يبغضون عليًّا، و أنهم لبغضهم له لم يبايعوه.

فكيف يُقال: إن النبي صلى الله عليه و سلم احتاج إليه، كما احتاج موسى إلى هارون؟

و هذا أبو بكر الصديق أسلم على يديه ستة أو خمسة من العشره: عثمان، و طلحه، و الزبير، و سعد، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو عبيده. و لم يُعلم أنه أسلم على يد عليّ و عثمان و غيرهما أحدًا من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار.

و مصعب بن عمير هو الذى بعثه النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينه لما بايعه الأنصار ليله العقبه، و أسلم على يده رءوس الأنصار، كسعد بن معاذ، الذى اهتز عرش الرحمن لموته، و أسيد بن حضير و غير هؤلاء.

و كان أبو بكر يخرج مع النبي صلى الله عليه و سلم يدعو معه الكفار إلى الإسلام فى الموسم، و يعاونه معاونه عظيمه فى الدعوه، بخلاف غيره. و لهذا قال النبي صلى

اللّٰه عليه و سلّم في الصحيح: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً- لا اتخذت أبا بكر خليلاً». وقال: «أيها الناس إني جئت إليكم، فقلت: إني رسول الله، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟».

ثم إن موسى دعا بهذا الدعاء قبل أن يبلغ الرسالة إلى الكفار ليعاونَ عليها. و نبينا صلّى الله عليه و سلّم كان قد بلغ الرسالة لما بعثه الله: بلغها وحده، و أوّل من آمن به باتفاق أهل الأرض أربعة. أوّل من آمن به من الرجال أبو بكر، و من النساء خديجة، و من الصبيان عليّ، و من الموالى زيد.

و كان أنفع الجماعة في الدعوه باتفاق الناس أبو بكر، ثم خديجه. لأن أبا بكر هو أوّل رجل حرّ بالغ آمن به باتفاق الناس، و كان له قدر عند قريش لما كان فيه من المحاسن، فكان آمنّ الناس عليه في صحبته و ذات يده. و مع هذا فما دعا الله أن يشدّ أزره بأحد، لا بأبي بكر و لا بغيره، بل قام مطيعاً لربه، متوكلاً عليه، صابراً له، كما أمره بقوله: «قُمْ فَأَنْذِرْ* وَ رَبِّكَ فَكَبِّرْ* وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ* وَ لَا تَمُنُّنَّ تَشْتَكِرْنَ* وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» و قال «فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ».

فمن زعم أن النبي صلّى الله عليه و سلّم سأل الله أن يشدّ أزره بشخص من الناس، كما سأل موسى أن يشدّ أزره بهارون، فقد افترى على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و بخسه حقّه. و لا- ريب أن الرفض مشتق من الشرك و الإلحاد و النفاق، لكن تاره يظهر [لهم] ذلك فيه و تاره يخفى.

الوجه الخامس عشر: أن يُقال: غايه ما في الآيه أن المؤمنين عليهم موالاه الله و رسوله و المؤمنين، فيوالون عليّاً. و لا ريب أن موالاه عليّ واجب على كلّ مؤمن، كما يجب على كلّ مؤمن موالاه أمثاله من المؤمنين. قال تعالى: «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» فبين الله أن كلّ صالحٍ من المؤمنين فهو مؤلّى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و الله موالاه، و جبريل موالاه، و ليس في كون الصالح

من المؤمنين مولى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كما أن الله مولا، و جبريل مولا، أن يكون صالح المؤمنين متولياً على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و لا متصرفاً فيه.

و أيضاً، فقد قال تعالى: «و الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» فجعل كل مؤمن ولياً لكل مؤمن. و ذلك لا يجب أن يكون أميراً عليه معصوماً، لا يتولى عليه إلا هو.

و قال تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ»، فكل مؤمن تقى فهو ولي لله، و الله وليه. كما قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» و قال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ»، و قال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا» إلى قوله: «وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ».

فهذه النصوص كلها ثبتت فيها موالاه المؤمنين بعضهم لبعض، و أن هذا ولي هذا، و هذا ولي هذا، و أنهم أولياء الله، و أن الله و ملائكته و المؤمنين موالى رسوله، كما أن الله و رسوله و الذين آمنوا هم أولياء المؤمنين. و ليس فى شىء من هذه النصوص أن من كان ولياً للآخر كان أميراً عليه دون غيره، و أنه يتصرف فيه دون سائر الناس.

الوجه السادس عشر: أن الفرق بين «الولايه» بالفتح و «الولاية» بالكسر معروف، فالولاية ضد العداوه، و هى المذكوره فى هذه النصوص، ليست هى الولاية بالكسر التى هى الإيماره. و هؤلاء الجهال يجعلون الولي هو الأمير، و لم يفرقوا بين الولاية و الولاية. و الأمير يسمى الوالى لا يسمى الولي، و لكن قد يقال: هو ولي الأمر، كما يقال: وليت أمركم، و يقال: أولو الأمر.

و أما إطلاق القول بالمولى و إرادته الولي، فهذا لا يعرف، بل يقال فى الولي:

المولى، و لا يقال: الوالى. و لهذا قال الفقهاء: إذا اجتمع فى الجنازه الوالى و الولي، فقيل:

يُقدّم الوالى، و هو قول أكثرهم. و قيل: يُقدّم الولي.

فبيّن أن الولاية دلّت على الموالاه، المخالفه للمعاداه، الثابته لجميع المؤمنين

بعضهم على بعض. وهذا مما يشترك فيه الخلفاء الأربعة، و سائر أهل بدر، و أهل بيعة الرضوان. فكلمهم بعضهم أولياء بعض. و لم تدل الآيه على أحد منهم يكون أميراً على غيره، بل هذا باطل من وجوه كثيرة، إذ لفظ «الولي» و «الولاية» غير لفظ «الوالي». و الآيه عامه فى المؤمنين، و الإمارة لا تكون عامه.

الوجه السابع عشر: أنه لو أراد الولاية التى هى الإمارة لقال: إنما يتولى عليكم الله و رسوله و الذين آمنوا، و لم يقل: و من يتولى الله و رسوله، فإنه لا يقال لمن ولي عليهم و ال: إنهم يقولون: تولوه، بل يقال: تولى عليهم.

الوجه الثامن عشر: أن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده، و أنه أمير عليهم، جلّ جلاله، و تقدست أسماؤه، فإنه خالقهم و رازقهم، و ربهم و ملكهم، له الخلق و الأمر، و لا يقال: إن الله أمير المؤمنين، كما يسمّى المتولى، مثل على و غيره:

أمير المؤمنين، بل الرسول صلى الله عليه و سلم أيضاً لا يقال إنه متول على الناس، و أنه أمير عليهم، فإن قدره أجل من هذا. بل أبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يكونوا يسمونه إلا خليفه رسول الله. و أول من سُمى من الخلفاء «أمير المؤمنين» هو عمر رضى الله عنه.

و قد روى أن عبد الله بن جحش كان أميراً فى سريه، فسُمى أمير المؤمنين، لكن إماره خاصه فى تلك السريه، لم يسم أحد بإماره المؤمنين عموماً قبل عمر، و كان خليفاً بهذا الاسم.

و أما الولاية المخالفه للعداوه، فإنه يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم و يحبونه، و يرضى عنهم و يرضون عنه. و من عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربه. و هذه الولاية من رحمته و إحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه.

قال تعالى: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ». فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل هو القائل: «مَنْ كَانَ

يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» بخلاف الملوك و غيرهم ممن يتولاه لذاته، إذا لم يكن له ولي ينصره.

الوجه التاسع عشر: أنه ليس كل من تولّى عليه إمام عادل يكون من حزب الله، و يكون غالباً؛ فإن أئمة العدل يتولون على المنافقين و الكفار، كما كان في مدينه النبي صلى الله عليه و سلم تحت حكمه ذميون و منافقون. و كذلك كان تحت ولايه على كفار و منافقون. و الله تعالى يقول «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» فلو أراد الإمارة لكان المعنى: إن كل من تأمر عليهم الذين آمنوا يكونون من حزبه الغالبين، و ليس كذلك. و كذلك الكفار و المنافقون تحت أمر الله الذي هو قضاؤه و قدره، مع كونه لا يتولاهم بل يبغضهم (1).

أقول:

يتلخص كلامه في نقاط:

١- المطالبة بصحة هذا النقل.

٢- دعوى الإجماع على نزول الآية في أمير المؤمنين من أعظم الدعاوى الكاذبه، بل أجمع أهل العلم بالحديث على أن القصيه المرويّه في ذلك من الكذب الموضوع.

٣- أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات، و هكذا الواحدى تلميذه و أمثالهما من المفسرين. و قد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لا يجوز الاستدلال بمجرّد خبر يرويّه الواحد من جنس الثعلبي و النقاش و الواحدى و أمثال هؤلاء المفسرين.

٤- إن هؤلاء المفسرين قد نقلوا ما يناقض هذا الإجماع المدعى.

٥- الإسناد الذي ذكره الثعلبي إسناد ضعيف، فيه رجال متهمون. و أما نقل

ص: ٢٥٢

ابن المغازلى الواسطى فأضعف و أضعف.

٦- شرطيه أداء الزكاه فى حال الركوع، يوجب أن لا يتولّى إلا على. و هذا خلاف إجماع المسلمين.

٧-«الذين» صيغه جمع، فلا يصدق على على وحده.

٨-التصدّق فى الصّلاه ليس من الأعمال الصّالحه.

٩-كان على لا تجب عليه الزكاه لأنه كان فقيراً.

١٠-إعطاء الخاتم فى الزكاه لا يجزئ عند كثير من الفقهاء.

١١-توقف الاستدلال على كون الواو فى «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حالته لا عاطفه.

١٢-المعلوم المستفيض عند أهل التفسير أن هذه الآيه نزلت فى النهى عن موالاه الكفّار و الأمر بموالاه المؤمنين.

١٣-سياق الكلام يدلّ على ذلك.

١٤-الألفاظ المذكوره فى الحديث ممّا يعلم أنها كذب.

١٥-غايه ما فى الآيه أن المؤمنين عليهم موالاه الله و رسوله و المؤمنين، فيوالون عليّاً.

١٦-الفرق بين الولاية بالفتح و الولاية بالكسر، و هؤلاء الجّهال يجعلون الولي هو الأمير.

١٧-لو أراد الولاية التى هى الإمارة لقال: إنما يتولّى عليكم الله و رسوله و الذين آمنوا.

١٨-إن الله لا يوصف بأنه أمير على العباد.

١٩-إنه ليس كلّ من تولّى عليه إمام عادل يكون من حزب الله.

أقول: إنّ ما ذكره ينقسم إلى ما يتعلّق بالسند و ما يتعلّق بالدلاله:

أمّا السند الصحيح من طرقهم لنزول الآيه فى أمير المؤمنين عليه السلام، فسيأتى.

و أمّياً الإجماع، فقد أقرّ به كبار العلماء من أهل السنّه، وليست دعوى من العلّامه رحمه الله، فإن كانت «من أعظم الدعاوى الكاذبه» فهى منهم لا من الإماميه.

و أمّياً أن الثعلبى و الواحدى و أمثالهما يروون فى كتبهم الأحاديث الضعيفه بل الموضوعات و الأباطيل، فهذا لا يختصّ بهؤلاء، فإنّ كتب القوم المشهوره، من الصحاح و المسانيد و غيرها، فيها أحاديث بواطيل كثيره كما لا يخفى على أهل العلم، لكننا سنذكر السند الصحيح للحديث لا عن طريق الثعلبى و أمثاله.

و هذا ما يتعلّق بكلامه فى ناحيه السند.

و أمّا ما يتعلّق بناحيه الدلاله، فإنّ الرجل قد جهل أو تجاهل أنّ الصدقه المستحبّه تسمّى «زكاه» كالواجبه، و نفى كون التصدّق فى الصّلاه من الأعمال الصالحه دعوى باطله، و لا يعتبر الغنى فى الصدقه المندوبه حتى يقال بأنّ عليّاً كان فقيراً، و لم تكن الصدقه واجبه - كما تقدّم - حتى يقال بأنّ إعطاء الخاتم فى الزكاه لا يجزى.

و إذا ثبت صحّحه النقل بنزول الآيه فى حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، سقط التمسّك بالسياق، و بطل القول بنزولها فى النهى عن موالاه الكفّار و الأمر بموالاه المؤمنين. و دعوى أنّ هذا القول هو المستفيض عند أهل التفسير، مردوده كما سيظهر.

و ليس المقصود من «الولايه» فى الآيه المباركه هو «الإماره» حتى يقال بأنّ الله لا يوصف بذلك، و أنّه لو أراد الإمارة لقال: إنما يتولّى عليكم الله... و أنه قد وقع الخلط بين الولايه بالفتح و الولايه بالكسر... فإنّ كلّ هذا خروج عن البحث عن جهل أو تجاهل. بل المقصود من «الولايه» هو «الألويه» كما سنبيّن.

و تبقى نقطتان:

الاولى: إن «الذين» صيغه جمع، فلا يصدق على على وحده.

و الثانيه: توقّف الاستدلال على أنّ تكون الواو فى «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حاله.

و سيّضح الجواب عنهما فيما سيأتى.

هذا، ويقع البحث عن الآيه ووجه دلالتها على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، بالنظر إلى روايات أهل السنّه و كلمات كبار علمائهم، في فصول:

الفصل الأوّل: في رواه خبر نزولها في علي و أسانيدّه

إشاره

إنّ هذه الآيه المباركه نزلت في قضيه تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه على السائل و هو في حال الركوع، وقد اتفق الفريقان على روايه هذا الخبر بالأسانيد الكثيره، عن جمع كبير من الصحابه و مشاهير التابعين.

من رواه الخبر من الصحابه و التابعين

لقد رووا هذا الخبر بأسانيدهم عن جمع من الصّحابه و التابعين:

١- أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- المقداد بن الأسود الكندي.

٣- عمّار بن ياسر.

٤- عبد الله بن العباس.

٥- أبو ذر الغفاري.

٦- جابر بن عبد الله الأنصاري.

٧- أبو رافع.

٨- أنس بن مالك.

٩- عبد الله بن سلام.

١٠- حسّان بن ثابت، في شعر له.

١١- محمّد بن الحنفية.

١٢- ابن جريج المكي.

١٣- سعيد بن جبير.

١٤- عطاء.

١٥- مجاهد.

١٦- السدي.

١٧- مقاتل.

١٨- الضحاك.

أشهر مشاهير رواة الخبر من العلماء

و قد روى هذه المنقبه الجليله كبار الأئمه الحفاظ و أعلام العلماء فى مختلف القرون، و هذه أسماء أشهر مشاهيرهم:

١- سليمان بن مهران الأعمش، المتوفى سنة ١٤٨، وقع فى طريق روايه الحسكاني.

٢- معمر بن راشد الأزدي المتوفى سنة ١٥٣، وقع فى طريق روايه الحسكاني.

٣- سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة ١٦١، وقع فى طريق روايه الحسكاني.

٤- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧، كما فى كتاب ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.

٥- أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١، كما فى تفسير ابن كثير الدمشقي.

٦- أبو نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩، وقع فى طريق روايه ابن أبي حاتم الرازي.

٧- أبو محمد عبد بن حميد الكشي، المتوفى سنة ٢٤٩، كما فى كتاب الدر

- ٨- أحمد بن يحيى البلاذرى، المتوفى بعد سنة ٢٧٠، فى أنساب الأشراف.
- ٩- محمد بن عبد الله الحضرمى، المطين، المتوفى سنة ٢٩٧، وقع فى طريق روايه أبى نعيم.
- ١٠- أبو عبد الرحمن النسائى، المتوفى سنة ٣٠٣، فى صحيحه.
- ١١- محمد بن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠، فى تفسيره.
- ١٢- ابن أبى حاتم الرازى، المتوفى سنة ٣٢٧، كما فى تفسيره الملتزم فيه بالصحة و فى غير واحد من الكتب.
- ١٣- أبو القاسم الطبرانى، المتوفى سنة ٣٦٠، فى المعجم الأوسط.
- ١٤- عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهانى، أبو الشيخ، المتوفى سنة ٣٦٩، كما فى الدر المنثور للسيوطى.
- ١٥- أبو بكر الجصاص الرازى، المتوفى سنة ٣٠٧، فى أحكام القرآن.
- ١٦- عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى الواعظ، المتوفى سنة ٣٨٥، وقع فى طريق روايه الحسكانى.
- ١٧- أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، المتوفى سنة ٤٠٥، فى كتاب علوم الحديث.
- ١٨- أبو بكر ابن مردويه الأصبهانى، المتوفى سنة ٤١٦، كما فى كنز العمال.
- ١٩- أبو إسحاق الثعلبى، المتوفى سنة ٤٢٧، فى تفسيره.
- ٢٠- أبو نعيم الإصبهانى، المتوفى سنة ٤٣٠، كما فى الدر المنثور و غيره.
- ٢١- أبو الحسن الماوردى الشافعى، المتوفى سنة ٤٥٠، كما فى تفسيره.
- ٢٢- أبو بكر الخطيب البغدادى، المتوفى سنة ٤٦٣، فى كتابه المتفق و المفترق، كما فى كنز العمال.
- ٢٣- أبو الحسن على بن أحمد الواحدى، المتوفى سنة ٤٦٨، فى أسباب النزول.

- ٢٤-الفقيه المحدث ابن المغازلي الشافعي، المتوفى سنة ٤٨٣، في كتاب مناقب علي بن أبي طالب.
- ٢٥-أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، المتوفى سنة ٤٨٩، في تفسيره.
- ٢٦-أبو القاسم الحاكم الحسكاني النيسابوري، في كتابه: شواهد التنزيل.
- ٢٧-أبو الحسن علي بن محمد الكياطبري، المتوفى سنة ٥٠٤ في تفسيره.
- ٢٨-أبو محمد الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٦، في تفسيره.
- ٢٩-أبو الحسن رزين العبدي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٣٥ في كتاب: الجمع بين الصحاح الستة.
- ٣٠-أبو القاسم جار الله الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨، في الكشاف.
- ٣١-الموفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي المكي، المتوفى سنة ٥٦٨، في كتاب مناقب علي بن أبي طالب.
- ٣٢-أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، في تاريخ دمشق.
- ٣٣-أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧، في تفسيره: زاد المسير.
- ٣٤-أبو عبد الله الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦، في تفسيره.
- ٣٥-أبو السعادات ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦، في جامع الأصول.
- ٣٦-محمد بن محمود بن حسن، ابن النجار، المتوفى سنة ٦٤٣، وقع في طريق روايه الحموي.
- ٣٧-أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي، المتوفى سنة ٦٥٤، في كتاب تذكره خواص الأئمة في معرفه الأئمة.
- ٣٨-أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨، في كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.

- ٣٩- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى، المتوفى سنة ٦٦٠، فى تفسيره.
- ٤٠- أبو سالم محمّد بن طلحه الشافعى، المتوفى سنة ٦٦٢، فى مطالب السؤل.
- ٤١- ناصر الدين البيضاوى الشافعى، المتوفى سنة ٦٨٥، فى تفسيره.
- ٤٢- أبو العباس محبّ الدين الطبرى الشافعى، المتوفى سنة ٦٩٤ فى كتابيه:
الرياض النضرة فى مناقب العشره، ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.
- ٤٣- حافظ الدين النسفى، المتوفى سنة ٧٠١-أو-٧١٠، فى تفسيره.
- ٤٤- شيخ الإسلام الحمّونى الجوينى، المتوفى سنة ٧٢٢ فى كتابه فرائد السمطين.
- ٤٥- علاء الدين الخازن البغدادى، المتوفى سنة ٧٤١، فى تفسيره.
- ٤٦- شمس الدين الإصبهانى، المتوفى سنة ٧٤٦، فى شرح التجريد.
- ٤٧- جمال الدين الزرندى، المتوفى سنة ٧٥٠، فى نظم درر السمطين.
- ٤٨- أبو حيان الأندلسى، المتوفى سنة ٧٥٤، فى تفسيره البحر المحيط.
- ٤٩- عضد الدين الإيجى، المتوفى سنة ٧٦٥، فى كتاب المواقف فى علم الكلام.
- ٥٠- محمّد بن أحمد بن جزى الكلبى، المتوفى سنة ٨٥٧، فى تفسيره.
- ٥١- نظام الدين القمى النيسابورى، فى تفسيره.
- ٥٢- سعد الدين التفتازانى، المتوفى سنة ٧٩١ فى شرح المقاصد.
- ٥٣- السيّد الشريف الجرجانى، المتوفى سنة ٨١٦، فى شرح المواقف.
- ٥٤- شهاب الدين ابن حجر العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢، كما فى الكاف الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف.
- ٥٥- نور الدين ابن الصبّاغ المالكى، المتوفى سنة ٨٥٥، فى الفصول المهمّة فى معرفه الأئمّه.

٥٦- علاء الدين القوشجى السمرقندى، المتوفى سنة ٨٧٩، فى شرح التجريد.

٥٧- جلال الدين السيوطى، المتوفى سنة ٩١١، فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، وغيره.

٥٨- أبو السعود محمد بن محمد العمادى، المتوفى سنة ٩٥١، كما فى تفسيره.

٥٩- شهاب الدين ابن حجر الهيتمى المكي، المتوفى سنة ٩٧٤، فى كتابه:

الصواعق المحرقة.

٦٠- قاضى القضاة الشوكانى، المتوفى سنة ١٢٥٠ فى تفسيره.

٦١- شهاب الدين الآلوسى، المتوفى سنة ١٢٧٠، فى تفسيره.

٦٢- الشيخ سليمان القندوزى الحنفى، المتوفى سنة ١٢٩٣، فى ينابيع الموده.

٦٣- السيد محمد مؤمن الشبلنجى، المتوفى...، فى نور الأبصار.

من نصوص الخبر فى الكتب المعبره

و إليك عدّه من نصوص الخبر، فى الكتب المعبره المشهوره:

* أخرج ابن الأثير، عن رزين الحافظ، عن النسائى، ما نصّه:

«عبد الله بن سلام-رضى الله عنه-قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و رهط من قومى، فقلنا: إن قومنا حادونا لما صدقنا الله و رسوله، و أقسموا لا- يكلّمونا، فأنزل الله تعالى: «إِنَّمَا وَثِّقُكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا»، ثم أذن بلال لصلاه الظهر، فقام الناس يصلّون، فمن بين ساجدٍ و راکعٍ، إذا سائل يسأل، فأعطاه على خاتمه و هو راکع، فأخبر السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا وَثِّقُكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ* وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ

ص: ٢٦٠

و«رزين» هو: رزين بن معاوية العبدري، المتوفى سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء، وقد وصفه ب: «الإمام المحدث الشهير» (٢).

وقال ابن الأثير: «و تلامهم آخرأ أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطى، فجمع بين كتب البخارى و مسلم و الموطأ لمالك و جامع أبى عيسى الترمذى و سنن أبى داود السجستانى و سنن أبى عبد الرحمن النسائى، رحمه الله عليهم، و رتب كتابه على الأبواب دون المسانيد».

قال: «و أما الأحاديث التي وجدتها في كتاب رزين - رحمه الله - و لم أجدها في الأصول، فإننى كتبتها نقلاً من كتابه على حالها في مواضعها المختصه بها، و تركتها بغير علامه، و أخليت لذكر اسم من أخرجها موضعاً، لعلى أتتبع نسخاً أخرى لهذه الأصول و أعر عليها فأثبت اسم من أخرجها» (٣).

* أخرج ابن أبى حاتم بتفسير الآيه، قال:

«حدثنا الربيع بن سليمان المرادى، ثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبى حكيم فى قوله: «إِنَّمَا وَرَّثِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» قال: على بن أبى طالب.

حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، ثنا موسى بن قيس الحضرمى، عن سلمه بن كهيل قال: تصدق على بختامه و هو راع، فنزلت «إِنَّمَا وَرَّثِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» (٤).

* و أخرج أبو جعفر الطبرى قال: «و أما قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

ص: ٢٤١

١-١) جامع الأصول ٩/٤٧٨.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٠٤.

٣-٣) جامع الأصول ١٩/١ و ص ٢٣.

٤-٤) تفسير ابن أبى حاتم: ٤/١١٦٢.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اختلفوا فى المعنى به، فقال بعضهم عنى به على بن أبى طالب، وقال بعضهم عنى به جميع المؤمنين» ثم ذكر:

«حدَّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى قال: ثنا أيوب بن سويد قال: ثنا عتبة بن أبى حكيم فى هذه الآية: «إِنَّمَا وَتِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» قال: على بن أبى طالب.

حدَّثنى الحرث قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهدًا يقول فى قوله: «إِنَّمَا وَتِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» الآية. قال: نزلت فى على بن أبى طالب، تصدَّق و هو راعٍ» (١).

*و أخرج الحاكم فى النوع الثالث من الأفراد، أحاديث لأهل المدينة تفرد بها عنهم أهل مدينة أخرى:

«حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفَّار قال: ثنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن سلم الرازى بإصبهان قال: ثنا يحيى بن الضريس قال: ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله (٢) بن عمر بن على بن أبى طالب قال: ثنا أبى عن أبيه عن جدّه عن على قال: نزلت هذه الآية على رسول الله «إِنَّمَا وَتِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» فخرج رسول الله و دخل المسجد، و الناس يصلون بين راعٍ و قائم، فصلّى، فإذا سائل قال: يا سائل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال:

لا إلاً هذا الراع - لعلّى - أعطانى خاتماً.

قال الحاكم: هذا حديث تفرد به الرازيون عن الكوفيين، فإنّ يحيى بن الضريس الرازى قاضيهم، و عيسى العلوى من أهل الكوفة» (٣).

ص: ٢٤٢

١- ١) تفسير الطبرى ١٨٤/٦.

٢- ٢) كذا، و سيأتى صحيحه.

٣- ٣) معرفه علوم الحديث: ١٠٢.

*أخرج الطبراني قائلاً: «حدّثنا محمّد بن علي الصائغ قال: حدّثنا خالد بن يزيد العمري، قال: حدّثنا إسحاق بن عبد الله بن محمّد بن علي بن حسين، عن الحسين بن زيد، عن أبيه زيد بن الحسن، عن جدّه قال:

سمعت عمّار بن ياسر يقول: «وقف عليّ بن أبي طالب سائل و هو راعٍ في تطوّع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فقرأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه».

لا يُروى هذا الحديث عن عمّار بن ياسر إلّا بهذا الإسناد، تفرد به خالد ابن يزيد» (١).

*أخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده قائلاً:

«حدّثنا سليمان بن أحمد قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله الحضرمي قال: حدّثنا إبراهيم بن عيسى التنوخي قال: حدّثنا يحيى بن يعلى، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي الزبير، عن جابر قال:

جاء عبد الله بن سلام و اناس معه، فشكوا مجانبه الناس إياهم منذ أسلموا، فقال ابغوني سائلاً، فدخلنا المسجد، فدنا سائل إليه فقال: أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، مررت برجلٍ راعٍ فأعطاني خاتمه. قال: فاذهب فأره، فذهبنا و علي قائم، قال: هذا. فنزلت:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ...» (٢).

*أخرج أبو المظفر السمعاني بتفسير الآية: «قال السدي -و هو روايه عن مجاهد- إنّ هذا انزل في علي بن أبي طالب، كان في الركوع و مسكين يطوف في المسجد، فنزع خاتمه و دفع إليه، فهذا معنى قوله: «و يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

ص: ٢٤٣

١- (١) المعجم الأوسط ١٢٩/٧.

٢- (٢) خصائص الوحي المبين: ٢٠ عن كتاب ما نزل في علي لأبي نعيم الإصفهاني.

ثم إنه لم يناقش في هذا القول و سنده، وإنما تكلم في معنى الآية و خصوص لفظ «الولاية» فقال: «و قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» أراد به الولاية في الدين، لا ولاية الأماره و السلطنه، و هم فوق كل ولاية. قال أبو عبيده: و كذلك معنى قوله: من كنت مولاة فعلى مولاة. يعنى: من كنت ولياً له أعينه و انصره، فعلى يعينه و ينصره في الدين» (١).

* و أخرج الثعلبي، قال:

قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

قال ابن عباس - و قال السدي، و عتبه بن حكيم، و غالب بن عبد الله -: «إِنَّمَا عَنِ بِقَوْلِهِ «وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» عَلَى بِنِ أَبِي طَالِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرَّ بِهِ سَائِلٌ وَ هُوَ رَاكِعٌ فِي الْمَسْجِدِ فَأَعْطَاهُ خَاتَمَهُ».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشعراني، قال: حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين، قال: حدثنا المظفر بن الحسن الأنصاري، قال: حدثنا السيد بن علي، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن عبايه بن الربيع، قال:

بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم، إذ أقبل رجل متعمم بعمامه، فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله.

فقال ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟

قال: فكشف العمامه عن وجهه و قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا جند بن جناده البدرى أبو ذر الغفارى، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم بهاتين و إلا صمّتا [و أشار إلى اذنيه] و رأيت بهاتين و إلا فعميتا [و أشار إلى عينيه]

ص: ٢٦٤

يقول: على قائد البرره، وقاتل الكفره، منصور من نصره، مخذول من خذله. أما إنى صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئاً، و كان على راعياً فأومئ إليه بخنصره اليمنى و كان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، و ذلك بعين النبى صلى الله عليه و سلم.

فلما فرغ النبى صلى الله عليه و سلم من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخى موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَ اجْعَلْ لِي مِّنْ أُمَّةٍ قَوْلِي * وَ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي...» الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: «سَيَشْدُكَ عُضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكَ سُلْطَاناً» اللهم و أنا محمد نبيك و صفيك، اللهم فاشرح لى صدرى، و يسر لى أمرى، و اجعل لى وزيراً من أهلى، علياً أشدد به ظهرى.

قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله فقال: يا محمد اقرأ. قال: و ما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إِنَّمَا وَجَّيْتُكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

سمعت أبا منصور الجمشاذى، سمعت محمداً بن عبد الله الحافظ، سمعت أبا الحسن على بن الحسن، سمعت أبا حامد محمد بن هارون الحضرمى، سمعت محمد بن منصور الطوسى، سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفضائل ما جاء لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه (1).

* و أخرج الواحدى:

«قوله تعالى: «إِنَّمَا وَجَّيْتُكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» قال جابر بن عبد الله: جاء

ص: ٢٦٥

عبد الله بن سلام إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إِنَّ قوماً من قريظه و النضير قد هاجرونا و فارقونا و أقسموا أن لا يجالسونا، و لا نستطيع مجالسه أصحابك لبعده المنازل و شكا ما يلقي من اليهود، فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: رضينا بالله و برسوله و بالمؤمنين أولياء و نحو هذا. قال الكلبي و زاد: إِنَّ آخر الآية في علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، لأنه أعطى خاتمه سائلاً و هو راعع في الصلاة.

أخبرنا أبو بكر التميمي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا الحسين بن محمد بن أبي هريره قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثنا محمد بن الأسود عن محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلم و معه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله إِنَّ منازلنا بعيدة و ليس لنا مجلس و لا متحدث، و إِنَّ قومنا لَمَّا رأونا آمناً بالله و رسوله و صدقناه رفضونا و آلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا يكلمونا فشق ذلك علينا، فقال لهم النبي عليه السلام «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» الآية ثم إِنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى المسجد و الناس بين قائم و راعع، فنظر سائلاً فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب. قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم و أوماً بيده إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فقال: علي أي حال أعطاك؟ قال:

أعطاني و هو راعع، فكبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قرأ: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (١).

* و أخرج الحاكم الحسكاني:

«قوله سبحانه: «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

ص: ٢٤٤

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

قول ابن عباس فيه:

أخبرنا أبو بكر الحارثي قال: أخبرنا أبو الشيخ، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زهير التستري، وعبد الرحمن بن أحمد الزهري قالوا: حدّثنا أحمد بن منصور قال:

حدّثنا عبد الرزاق، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه: عن ابن عباس [في قوله تعالى: «إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»] قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

أخبرنا السيد عقيل بن الحسين العلوي قال: أخبرنا أبو محمّد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن الفضل الطبري من لفظه بسجستان قال: أخبرنا أبو الحسين محمّد بن عبد الله المزني قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمّد بن عبد الله قال: حدّثنا الفهم بن سعيد بن الفهم بن سعيد بن سُلَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَطَفَانِي صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: حدّثنا عبد الرزاق بن همام عن معمر: عن ابن طاووس عن أبيه قال: كنت جالساً مع ابن عباس إذ دخل عليه رجل فقال: أخبرني عن هذه الآية:

«إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فقال ابن عباس: نزلت في علي بن أبي طالب.

أخبرنا الحسين بن محمّد الثقفى قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة قال:

حدّثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائي قال: حدّثنا أبو عقيل محمّد بن حاتم بن قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: حدّثنا ابن مجاهد، عن أبيه: عن ابن عباس في قوله: «إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال: علي عليه السلام.

و أخبرنا الحسين [بن محمّد الثقفى] قال: حدّثنا أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي قال: حدّثنا عصام بن غياث السمان البغدادي [قال: حدّثنا أحمد بن سيار المروزي قال: حدّثنا عبد الرزاق به،] و[قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

أخبرنا عقيل بن الحسين قال: أخبرنا علي بن الحسين قال: حدّثنا محمّد

ابن عبيد الله قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّقَاقِ بَغْدَادِ بْنِ السَّمَاكِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَابِتِ الْمَقْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الْهَذِيلِ، عَنْ مِقَاتِلٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ] بِهِ.

و حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْفَسَوِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

و حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْفَسَوِيِّ بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مَجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ سَفْيَانُ: وَ حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» يَعْنِي نَاصِرَكُمْ اللَّهُ [وَرَسُولُهُ] يَعْنِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» فَخَصَّ مِنْ بَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يَعْنِي يَتَمَوَّنُونَ وَضَوْعَهَا وَ قَرَأَتَهَا وَ رَكَعَهَا وَ سَجَدَهَا وَ خَشَعَهَا فِي مَوَاقِيتِهَا [«وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ»] وَ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَ انصَرَفَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ عَلِيٍّ قَائِمًا يَصَلِّي بَيْنَ الظُّهْرِ وَ الْعَصْرِ، إِذْ دَخَلَ [الْمَسْجِدَ] فَقِيرٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَرِ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا خَلَا عَلِيًّا فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَقَالَ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ بِالَّذِي يَصَلِّي لَكَ أَنْ تَتَصَدَّقَ عَلَيَّ بِمَا أَمْكُنُكَ. وَ لَهُ خَاتَمٌ عَقِيقٌ يَمَانِي أَحْمَرٌ [كَانَ] يَلْبَسُهُ فِي الصَّلَاةِ فِي يَمِينِهِ، فَمَدَّ يَدَهُ فَوَضَعَهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَ أَشَارَ إِلَى السَّائِلِ بِنَزْعِهِ، فَنَزَعَهُ وَ دَعَا لَهُ، وَ مَضَى وَ هَبَطَ جَبْرَيْلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لِعَلِيٍّ: لَقَدْ بَاهَى اللَّهُ بِكَ مَلَائِكَتَهُ الْيَوْمَ، إِقْرَأْ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ الْفَقِيهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، قَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ:

عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلام و معه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبى فقالوا:

يا رسول الله إن منازلنا بعيدة و ليس لنا مجلس و لا- متحدث دون هذا المجلس، و إن قومنا لثميا رأونا آمنا بالله و برسوله و صدقناه، رفضونا و آلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا يكلمونا، فشق ذلك علينا، فقال لهم النبى صلى الله عليه و سلم: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

ثم إن النبى خرج إلى المسجد و الناس بين قائم و راع فبصر بسائل فقال له النبى صلى الله عليه: هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم خاتم من ذهب. فقال له النبى: من أعطاكه؟ قال: ذاك القائم و أومى بيده إلى على. فقال له النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

على أى [حال] أعطاك؟ قال: أعطانى و هو راع. فكبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم قرأ: «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

فأنشأ حسان بن ثابت يقول فى ذلك: أبا حسن تُفديك نفسى و مهجتى

ثم رواه بالأسانيد عن: أنس بن مالك، و عمار بن ياسر، و جابر، و أمير المؤمنين، و المقداد، و أبى ذر، و محمد بن الحنفية، و عطاء، و ابن جريج (١).

* و أخرج ابن عساكر قائلاً:

«أخبرنا أبو سعيد المطرزي، و أبو على الحداد، و أبو القاسم غانم بن محمد ابن عبد الله، ثم أخبرنا أبو المعالى عبد الله بن أحمد بن محمد، أنبأنا أبو على الحداد

ص: ٢٤٩

قالوا: أنبأنا أبو نعيم الحافظ، أنبأنا سليمان بن أحمد، أنبأنا عبد الرحمن بن محمّد بن سالم (١) الرازي، أنبأنا محمّد بن يحيى بن ضريس العبدى (٢):

أنبأنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله (٣) بن عمر بن علي بن أبي طالب، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

«إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فدخل المسجد - والناس يصلّون بين راعع وقائم - يصلّي، فإذا سائل فقال [رسول الله]: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: لا إلا هذاك الراعع - لعلّي - أعطاني خاتمه.

أخبرنا خالي أبو المعالي القاضي، أنبأنا أبو الحسن الخلعى، أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمّد الشاهد، أنبأنا أبو الفضل محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الرملى، أنبأنا القاضي جملة بن محمر أنبأنا أبو سعيد الأشج، أنبأنا أبو نعيم الأحول، عن موسى بن قيس، عن سلمه قال: تصدّق على بخاتمه وهو راعع، فنزلت: «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ...» (٤).

* أخرج العزّ الدمشقى فقال:

« وَهُمْ رَاكِعُونَ » نزلت في علي -رضى الله تعالى عنه- تصدّق وهو راعع. أو عامّه فى المؤمنين» (٥).

* وأخرج ابن كثير قال: «و قال ابن أبى خاتم: حدّثنا الربيع بن سليمان المرادى، حدّثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبى حكيم فى قوله «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»

ص: ٢٧٠

١- ١) هو «سلم» لا «سالم».

٢- ٢) «الفيدى» لا «العبدى».

٣- ٣) كذا و سيأتى صحيحه.

٤- ٤) تاريخ دمشق ٣٥٦/٤٢-٣٥٧.

٥- ٥) تفسير القرآن ٣٩٣/١.

وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال: هم المؤمنون و علي بن أبي طالب.

و حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ أَبُو نَعِيمٍ الْأَحْوَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ قَيْسٍ الْحَضْرَمِيُّ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلِيٌّ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ فَنَزَلَتْ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

و قال ابن جرير: حَدَّثَنِي الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، تَصَدَّقَ وَهُوَ رَاكِعٌ.

و قال عبد الرزاق: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

عبد الوهَّاب بن مجاهد لا يحتج به.

و روى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي، فمرَّ سائل و هو راكم، فأعطاه خاتمه، فنزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةَ.

الضحاك لم يلق ابن عباس.

و روى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي - و هو متروك - عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد و الناس يصلون بين راكم و ساجد و قائم و قاعد، و إذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم قال: من؟ قال: ذلك الرجل القائم. قال: علي أي حال أعطاك؟ قال: و هو راكم، قال: و ذلك علي بن أبي طالب، قال:

فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك و هو يقول: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

و هذا إسناد لا يقدر به.

ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه و عمّار بن ياسر و أبي رافع (١).

*أخرج الحافظ ابن حجر:

«رواه ابن أبي حاتم من طريق سمله بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه و هو راع، فنزلت: «إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ». و لابن مردويه من روايه سفين الثوري عن ابن سنان عن الضحّاح عن ابن عباس قال: كان علي قائماً يصلي، فمرّ سائل و هو راع فأعطاه خاتمه فنزلت. و روى الحاكم في علوم الحديث من روايه عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي: حدّثنا أبي عن أبيه عن جدّه علي بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية: «إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» الآية فدخل رسول الله المسجد و الناس يصلون، بين قائم و راع و ساجد، و إذا سائل، فقال له رسول الله: أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا إلا هذا الراعي يعني علياً، أعطاني خاتمه. رواه الطبراني في الأوسط في ترجمه محمّد بن علي الصائغ. و عند ابن مردويه من حديث عمّار قال: وقف بعلي سائل و هو واقف في صلاته. الحديث. و في إسناده خالد بن يزيد العمري و هو متروك. و رواه الثعلبي من حديث أبي ذر مطوّلاً و إسناده ساقط» (٢).

*و أخرج السيوطي، فقال:

«أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: يتصدّق علي بخاتمه و هو راع فقال النبي صلى الله عليه و سلّم للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراعي، فأنزل الله: «إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ».

و أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ و ابن مردويه، عن

ص: ٢٧٢

١- ١) تفسير ابن كثير ٦٤/٢.

٢- ٢) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦٤٩/١ ط مع الكشاف.

ابن عباس فى قوله: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآيه قال: نزلت فى على ابن أبى طالب.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط و ابن مردويه عن عمّار بن ياسر قال: وقف بعلى سائل و هو راعى فى صلاه تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعلمه ذلك، فنزلت على النبى صلى الله عليه و سلم هذه الآيه: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» فقرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم على أصحابه ثم قال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

و أخرج أبو الشيخ و ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال: نزلت هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيته: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» إلى آخر الآيه، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل المسجد و جاء الناس يصلون بين راعى و ساجد و قائم يصلى، فإذا سائل فقال: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا. إلهما ذاك الراكع لعلى بن أبى طالب، أعطانى خاتمه.

و أخرج ابن أبى حاتم و أبو الشيخ و ابن عساکر، عن سلمه بن كهيل قال: تصدق على بخاتمه و هو راعى فنزلت: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ الْآيَهُ».

و أخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآيه، نزلت فى على بن أبى طالب تصدق و هو راعى.

و أخرج ابن جرير عن السدى و عتبه بن أبى حكيم مثله.

و أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال: أتى عبد الله بن سلام و رهط من أهل الكتاب نبى الله صلى الله عليه و سلم عند الظهر فقالوا:

يا رسول الله إن بيوتنا قاصيه، لا نجد من يجالسنا و يخالطنا دون هذا المسجد، و إن قومنا لما رأونا قد صدقنا الله و رسوله و تركنا دينهم أظهروا العداوه، و أقسموا أن لا يخالطونا و لا يؤاكلونا، فشق ذلك علينا، فبيناهم يشكون ذلك إلى رسول الله صلى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ الظُّهْرِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئًا؟» قَالَ: «نَعَمْ.» قَالَ: «مَنْ؟» قَالَ: «ذَاكَ الرَّجُلُ الْقَائِمُ، قَالَ: «عَلَى أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟» قَالَ: «هُوَ رَاكِعٌ، قَالَ: «وَذَاكَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.»

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ يُوْحَى إِلَيْهِ، فَإِذَا حَيَّه فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَكَرِهَتْ أَنْ أُبَيِّتَ عَلَيْهَا فَأَوْقَظَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَفْتُ أَنْ يَكُونَ يُوْحَى إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعْتُ بَيْنَ الْحَيَّةِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِئِنْ كَانَ مِنْهَا سُوءٌ كَانَ فِي دُونِهِ، فَامْكُثَ سَاعَةً فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ لِعَلَى نَعْمِهِ وَهَيَّا لِعَلَى بِفَضْلِ اللَّهِ إِيَّاهُ» (١).

من أسانيده المعتبره

هذا، و لهذا الخبر أسانيد معتبره في كتب القوم، نتعرض لبعضها على أساس كلمات علمائهم في الجرح و التعديل، و اصولهم المقرّره في علم الرجال:

١- روايه ابن أبي حاتم

فمن الأسانيد المعتبره؛ روايه ابن أبي حاتم عن سلمه بن كهيل:

لأن «ابن أبي حاتم» هو الإمام الحافظ الشهير، الغنى عن التعريف (٢).

ص: ٢٧٤

١- ١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٠٥/٣.

٢- ٢) راجع مثلاً: سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧-٢٤٢.

و«أبو سعيد الأشج» هو: عبد الله بن سعيد الكندي، و من رجال الصحاح الستة (١).

و«الفضل بن دكين» من رجال الصحاح الستة كذلك (٢) و من كبار شيوخ البخارى.

و«موسى بن قيس الحضرمي» قال ابن حجر: «يلقب عصفور الجنة، صدوق، رمى بالتشيع» (٣).

و«سلمه بن كهيل» من رجال الصحاح الستة أيضاً (٤).

٢-روايه ابن أبي حاتم أيضاً

و هي روايته عن عتبه بن أبي حكيم:

«الزبيح بن سليمان المرادي» من رجال أبي داود و النسائي و ابن ماجه.

قال ابن حجر: «صاحب الشافعي. ثق» (٥).

و«أيوب بن سويد» و هو الرملي، من رجال أبي داود و الترمذى و ابن ماجه.

قال ابن حجر: «صدوق، يخطئ» (٦).

و«عتبه بن أبي حكيم» من رجال الأربعة و البخارى فى خلق أفعال العباد.

قال ابن حجر: «صدوق، يخطئ كثيراً» (٧).

٣-روايه ابن جرير الطبرى

فقد روى خبر عتبه بن أبي حكيم عن:

«إسماعيل بن إسرائيل الرملي» ذكره السمعاني فقال: «سمع منه أبو محمد

ص: ٢٧٥

١-١) تقريب التهذيب ٤١٩/١.

٢-٢) تقريب التهذيب ١١٠/٢.

٣-٣) تقريب التهذيب ٢٨٧/٢.

٤-٤) تقريب التهذيب ٣١٨/١.

٥-٥) تقريب التهذيب ٢٤٥/١.

٦-٦) تقريب التهذيب ٩٠/١.

عبد الرحمن بن أبي حاتم و قال: كتبت عنه و هو ثقة صدوق» (١).

عن «أيوب بن سويد»

عن عتبه بن أبي حكيم»

و قد عرفتهما.

٤-روايه ابن مردويه

و هى الروايه التى ذكرها ابن كثير، و تعقبها بقوله: «الضحّاك لم يلق ابن عباس» فنقول:

إذا كان هذا فقط هو المطعن فالأمر سهل:

أما أولاً: فإنّه -و إن قال بعضهم: «لم يلق ابن عباس»- قد ورد حديثه عنه فى ثلاثه من الصحاح (٢)، و ابن حجر العسقلانى لم يقدر فى هذه الروايه.

و أما ثانياً: فإنّه لو كانت روايته عن ابن عباس مرسله، فالواسطه معلومه حتّى عند القائل بإرسالها، فقد رواها عن شعبه، قال: «حدّثنى عبد الملك بن ميسره، قال: الضحّاك لم يلق ابن عباس، إنّما لقي سعيد بن جبير بالرى، فأخذ عنه التفسير» (٣).

و عليه، فرواياته عن ابن عباس فى التفسير مسنده غير مرسله، إذ كلّها بواسطه «سعيد بن جبير» الثقة الثبت بالإتفاق، غير أنّه كان لا يذكر الواسطه لدى النقل تحفظاً على سعيد، لكونه مشرّداً مطارداً من قبل جلاوزه الحجاج الثقفى، و تحفظاً على نفسه أيضاً، لكونه قصد سعيداً فى الرى للأخذ عنه، و جعل يروى ما أخذه عنه و ينشر رواياته بين الناس، لا سيّما مثل هذا الخبر الذى يُعَدّ من جلائل مناقب أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام.

هذا، و اعلم أنّ «ابن سنان» الراوى عن «الضحّاك» هو -بقريته الراوى و المروى

ص: ٢٧٦

١-١) الأنساب ٥/٥٨٥ «اللال».

٢-٢) تهذيب الكمال ١٣/٢٩١.

٣-٣) تهذيب الكمال ١٣/٢٩٣.

عنه-:«سعيد بن سنان البرجمي الكوفي، نزل الرى» قال الحافظ: «صدوق له أوهام» و علم عليه علامه: مسلم، و أبى داود، و الترمذى، و النسائى، و ابن ماجه (١).

و لا أستبعد أن يكون «ابن سنان» هذا أيضاً من المشردين اللاجئين إلى الرى خوفاً من الحجاج، و أن يكون إسقاط اسم «سعيد بن جبير» منه... و الله العالم.

و كيف كان، فالروايه من الأسانيد المعتمده الوارده فى الباب.

٥-روايه الحاكم النيسابورى

رواه بإسنادٍ له عن أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدّم.

أمّا «محمّد بن عبد الله الصّفار» فهو: محمّد بن عبد الله بن أحمد الإصفهاني الزاهد، قال الحاكم: «هو محدث عصره، كان مجاب الدعوه، لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا تيفاً و أربعين سنه» و وصفه الذهبى ب «الشيخ الإمام المحدث القدوه» و قال السمعانى: «و كان زاهداً حسن السيره ورعاً كثير الخير».

توفى سنه ٣٣٩ (٢).

و «أبو يحيى عبد الرحمن بن محمّد» من كبار الحفّاظ المشهورين، ترجم له الحافظ أبو نعيم فقال: «سكن إصبهان، إمام جامعها، توفى سنه ٢٩١، مقبول القول، حدّث عن العراقيين و غيرهم الكثير، صاحب التفسير و المسند... حدّثنا سليمان بن أحمد، ثنا عبد الرحمن بن محمّد بن سلم...» (٣) و ذكره الذهبى، فترجم له بالحافظ المجدود العلّامه المفسّر... حدّث عنه القاضى أبو أحمد العسال، و أبو القاسم الطبرانى...

و كان من أوعيه العلم... (٤).

ص: ٢٧٧

١-١) تقريب التهذيب ٢٩٨/١.

٢-٢) الأنساب-الصفار ٥٥٣/٣، سير أعلام النبلاء ٤٣٧/١٥.

٣-٣) أخبار إصبهان ١١٢/٢.

٤-٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٠/١٣.

و«محمد بن يحيى بن الضريس، الكوفي الفيدي، ذكره ابن أبي حاتم فقال: «كان يسكن فيد، روى عن محمد بن فضيل، و الوليد بن بكير، و محمد بن الطفيل، و عمرو بن هاشم الجنبى، و عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، سمع منه أبي و روى عنه. سمعت أبي يقول ذلك. سئل أبي عنه فقال: صدوق» (١).

و«عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب» ذكره ابن حبان في (كتاب الثقات) (٢).

عن «عبيد الله بن عمر». و هذا اشتباه، فإن الصحيح هو: عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، فإن والد «عبد الله» هو «محمد» و ليس «عبيد الله»، و كذلك جاء في تاريخ ابن عساكر، كما سنذكر في صحيح روايته. أمّا روايه الحاكم هذه، فقد جاءت في نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب (معرفه علوم الحديث) على الوجه الصحيح، كما تقدّم عن (الكاف الشاف).

و«عبد الله بن محمد» من رجال أبي داود و النسائي، و ذكره ابن حبان في الثقات (٣).

و«محمد بن عمر» من رجال الصحاح الستّه (٤).

عن «عمر بن علي» و هو من رجال الصحاح الستّه أيضاً (٥).

فالسند صحيح قطعاً.

٦- روايه ابن عساكر

و قد أخرج الحافظ ابن عساكر هذا الخبر بإسنادٍ له عن أمير المؤمنين عليه السلام،

ص: ٢٧٨

١-١) الجرح و التعديل ١٢٤/٨.

٢-٢) كتاب الثقات ٤٩٢/٨.

٣-٣) تهذيب التهذيب ١٦/٦.

٤-٤) تقريب التهذيب ١٩٤/٢.

٥-٥) تقريب التهذيب ٦٠/٢.

و هذه تراجم رجاله:

«أبو علي الحدّاد» وهو: الحسن بن أحمد بن الحسن الإصفهاني. قال السمعاني:

«كان عالماً ثقة صدوقاً من أهل العلم و القرآن و الدين، سمع من أبي نعيم تواليفه» و وصفه الذهبي: ب«الشيخ الإمام، المقرئ المجوّد، المحدث المعتمّر، مسند العصر» و توفي سنة ٥١٥ (١).

«أبو نعيم الحافظ» و هو الحافظ أبو نعيم الإصفهاني، المشهور المعروف، و لا حاجة إلى توثيقه.

«سليمان بن أحمد» و هو الطبراني، الحافظ الشهير، و لا حاجة إلى توثيقه.

عن «عبد الرحمن بن سلم الرازي»

عن «محمّد بن يحيى بن الضريس»

عن «عيسى بن عبد الله»

إلى آخر السند. و قد عرفتهم في روايه الحاكم.

و الصحيح هو: «عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي» كما أشرنا، و هكذا جاء اسمه في تاريخ ابن عساكر، في ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام، حيث روى عنه بإسناده حديث الطير، عن أبيه عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

فوائد مهمّة

إشارة

و هنا فوائد و مطالب مهمّة لا بدّ من التنبيه عليها:

الأولى: استنباط الحكم الشرعي من القضيّه

قال الجصاص:

ص: ٢٧٩

١-١) سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٩.

٢-٢) تاريخ دمشق ٢٤٥/٤٢.

«باب العمل اليسير في الصلاه. قال الله تعالى: «إِنَّمَا وَجِبَتْ لَكُمُ الصَّلَاةُ...» روى عن مجاهد و السدي و أبي جعفر و عتبه بن أبي حكيم، أنها نزلت في علي ابن أبي طالب حين تصدق بخاتمه و هو راعع....

و قد اختلف في معنى قوله «وَهُمْ رَاكِعُونَ»... فإن كان المراد فعل الصدقه في حال الركوع فإنه يدل على إباحه العمل اليسير في الصلاه... فإن قال قائل: فالمراد أنهم يتصدقون و يصلون و لم يرد به فعل الصدقه في الصلاه. قيل له: هذا تأويل ساقط، من قبل أن قوله تعالى: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» إخبار عن الحال التي تقع فيها الصدقه، كقولك:

تكلم فلان و هو قائم، و أعطى فلاناً و هو قاعد، إنما هو إخبار عن حال الفعل... فثبت أن المعنى ما ذكرناه من مدح الصدقه في حال الركوع أو في حال الصلاه.

و قوله تعالى: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» يدل على أن صدقه التطوع تسمى زكاه، لأن علياً تصدق بخاتمه تطوعاً، و هو نظير قوله تعالى: «وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ» قد انتظم صدقه الفرض و النفل، فصار اسم الزكاه يتناول الفرض و النفل، كاسم الصدقه و كاسم الصلاه، ينتظم الأمرين» (١).

و كذا في تفسير القرطبي - نقلاً عن الكيا الطبري (٢) و أشار إليه الزمخشري و أبو السعود و غيرهما.

قلت: و فيه فوائد:

١- ترتب الأثر الفقهي، و استنباط الحكم الشرعي من هذه القضية.

٢- إن لفظ «الزكاه» يعم الفرض و النفل.

٣- إن «الواو» في «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حالية.

ص: ٢٨٠

١- (١) أحكام القرآن للجصاص ٢/٦٢٥-٦٢٦.

٢- (٢) تفسير القرطبي ٦/٢٢١.

الثانية: رأى الإمام الباقر فى نزول الآيه

و لقد ذكر بعضهم كالجصاص فى عبارته المذكوره الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام فى القائلين بنزولها فى أمير المؤمنين عليه السلام، و به يرد على ما نقله الدهلوى فى (التحفة الإثنى عشرية) عن تفسير النقاش أنه عزا إلى الإمام قوله بأن المراد عموم المؤمنين، فقيل له: الناس يقولون إنها نزلت فى خصوص على، فقال: على من المؤمنين.

هذا، مضافاً إلى تكلم القوم فى النقاش و تفسيره المسمى «شفاء الصدور»، فالبرقانى يقول: كل حديث النقاش منكر، و ليس فى تفسيره حديث صحيح، و وهاه الدارقطنى، و اللالكائى يقول: تفسير النقاش إشفى الصدور لا شفاء الصدور، و الخطيب يقول: فى حديثه مناكير بأسانيد مشهوره، و طلحه بن محمد الشاهد يقول: كان النقاش يكذب فى الحديث، و الذهبى يقول: قلبى لا يسكن إليه و هو عندى متهم (١).

الثالثة: الخبر فى شعر حسان و غيره

ذكر الحاكم الحسكافى أن الصحابى حسان بن ثابت نظم هذه المنقبة فى شعر له، فأورده، ثم أورد شعراً آخر قيل أيضاً فى هذه القضية، و هناك أشعار أخرى لشعراء كبار من المتقدمين و المتأخرين، المذكوره فى الكتب المطولة، فلترجع.

الرابعة: قول النبى فى الواقعة: من كنت مولاه فعلى مولاه

جاء فى روايه الطبرانى فى الأوسط، و روايه جماعه آخرين كما فى الدر المنثور:

أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال بعد نزول آيه الولايه فى قضيه تصدق الإمام: من كنت مولاه فعلى مولاه، و قوله هذا مما يؤكد دلالة الآيه على الإمامه. و هذا المورد أحد موارد قوله صلى الله عليه و آله و سلم: من كنت مولاه... و إن كان المشهور من بينها يوم غدير خم.

ص: ٢٨١

و في الدر المنثور عن جماعة من الحفاظ: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ نَزْوِلِ الْآيَةِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ لِعَلِيِّ نَعْمَهُ وَهَيْئاً لِعَلِيِّ بِفَضْلِ اللَّهِ إِيَّاهُ».

السادسة: إن الخاتم كان عقيقاً يمانياً أحمر

و جاء في روايه للحاكم الحسكاني: أن الخاتم الذي أعطاه الإمام للمسكين كان عقيقاً يمانياً أحمر يلبسه في الصلاة في يمينه.

الفصل الثاني: في دلالة الآية على الإمامه

و قد استدلل أصحابنا بهذه الآية المباركه-بالنظر إلى الأحاديث المعتره و المتفق عليها، الصريحه في نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام لما تصدق بخاتمه و هو راعح-منذ قديم الأيام، نذكر هنا كلمات بعضهم:

«قال الشريف المرتضى: «و يدل على ذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...» و قد ثبت أن لفظه «وليكم» في الآية تفيد من كان أولى بتدبير أموركم و يجب طاعته عليكم. و ثبت أيضاً أن المشار إليه في قوله تعالى: «و الَّذِينَ آمَنُوا» أمير المؤمنين. و في ثبوت ذلك وضوح النص عليه بالإمامه» (١).

«قال شيخ الطائفة: «و أمّا النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليها قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

و وجه الدلالة من الآية هو: إنه ثبت أن المراد بلفظه «وليكم» المذكوره في الآية:

من كان متحققاً بتدبيركم و القيام بأمركم و تجب طاعته عليكم، و ثبت أن المعنى ب«الذين آمنوا» أمير المؤمنين عليه السلام. و فى ثبوت هذين الوصفين دلالة على كونه عليه السلام إماماً لنا» (١).

*و قال الشيخ نصير الدين الطوسى: «و لقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ...» و إنما اجتمعت الأوصاف فى على عليه السلام».

*فقال العلامة الحلى بشرح هذا الكلام ما نصّه:

أقول: هذا دليل آخر على إمامه على عليه السلام و هو قوله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» و الاستدلال بهذه الآيه يتوقف على مقدمات (إحداها) إن لفظه «إنما» للحصر، و يدلّ عليه المنقول و المعقول، أمّا المنقول فلاجماع أهل العربية عليه، و أمّا المعقول، فلائن لفظه «إن» للإثبات و ما للنفى قبل التركيب، فيكون كذلك بعد التركيب عملاً بالإستصحاب، و للإجماع على هذه الدلالة، و لا يصحّ تواردهما على معنى واحد، و لا صرف الإثبات إلى غير المذكور و النفى إلى المذكور، للإجماع، فبقى العكس، و هو صرف الإثبات إلى المذكور و النفى إلى غيره، و هو معنى الحصر (الثانية) إن «الولى» يفيد «الأولى بالتصرف» و الدليل عليه نقل أهل اللغة و استعمالهم، كقولهم: السلطان ولى من لا ولى له، و كقولهم: ولى الدم و ولى الميت، و كقوله عليه السلام: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل (الثالثة) إن المراد بذلك بعض المؤمنين، لأنه تعالى وصفهم بوصف مختص ببعضهم، و لأنه لو لا ذلك لزم اتحاد الولى و المولى عليه.

و إذا تمهّدت هذه المقدمات، فنقول: المراد بهذه الآيات هو على، للإجماع الحاصل على أن من خصص بها بعض المؤمنين قال: إنّه على عليه السلام، فصرفها إلى

ص: ٢٨٣

غيره خرق للإجماع، ولأنه عليه السلام إِمْرًا كَلَّ المراد أو بعضه، للإجماع، وقد بينا عدم العموميته، فيكون هو كَلَّ المراد، ولأنَّ المفسِّرين اتَّفَقوا على أنَّ المراد بهذه الآية على عليه السلام، لأنه لما تصدَّق بخاتمه حال ركوعه نزلت هذه الآية فيه، ولا خلاف في ذلك» (١).

«وقال العلامة الحلي أيضاً: «أما القرآن فأيات: الأولى «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...» أجمعوا على نزولها في على عليه السلام، وهو مذكور في الجمع بين الصحاح الستة، لما تصدَّق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة. والولي هو المتصرِّف. وقد أثبت الله الولاية لذاته وشرَّك معه الرسول وأمير المؤمنين، وولاية الله تعالى عامه، فكذا النبي والولي» (٢).

أقول:

إنَّ الإستدلال يتَّضح ببيان مفردات الآية المباركة، فنقول:

«إِنَّمَا» دالَّة على الحصر كقوله تعالى: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ».

و«الولاية» هنا بمعنى «الأولوية» كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه» وكما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «على منِّي وأنا من على و هو وليكم بعدى» (٣).

«الذين آمنوا» المراد خصوص أمير المؤمنين عليه السلام، للأحاديث الصحيحة المتَّفَق عليها.

«وهم راععون» هذه «الواو» حالته، و«رايعون» بمعنى «الركوع» الذي هو من أفعال الصلاة، وذلك للأحاديث في أنَّ أمير المؤمنين أعطى السائل خاتمه في حال الركوع.

و على الجملة، فإنَّ العمده في الإستدلال بالآية المباركة نزولها لدى الفريقين في

ص: ٢٨٤

١- ١) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ٢٢٥.

٢- ٢) نهج الحق و كشف الصدق: ١٧٢.

٣- ٣) راجع (حديث الغدير) و (حديث الولاية) من كتابنا الكبير (نفحات الازهار) الأجزاء (٨-٩) و (١٥-١٦).

قضيه إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام خاتمه للسائل في حال الركوع من صلاته، و أن «الولاية» في الآيه هي «الأولويه».

أمّا كون «الولاية» بالمعنى المذكور، فلأنّ سائر معانى الكلمه لا يجتمع شىء منها مع الحصر المدلول للفظه «إنّما» وقد أوضحنا بالتفصيل مجيء «الولاية» بمعنى «الأولويه بالتصرف» - كتاباً و سنّه و لغه و عرفاً فى كتابنا الكبير فى بيان دلالة الحديثين المذكورين على الإمامه.

و أمّا كون المراد من الآيه هو على عليه السلام، فلأحاديث، و قد اعترف غير واحدٍ من الأعلام باتفاق المفسرين على ذلك، كما اعترف الآلوسى بأنّه رأى غالب الأخباريين.

الفصل الثالث: فى دفع شبهات المخالفين

إشاره

و حينئذٍ يأتى دور النظر فى شبهات المخالفين، و لمّا كان هذا الإستدلال من أقوى أدلّه أصحابنا على إمامه أمير المؤمنين، لكونه مستنداً إلى الكتاب و السنّه الثابته المقبوله لدى الفريقين، فقد بذلوا أقصى جهودهم للردّ عليه.

و قد اشترك فى الردّ على هذا الإستدلال المعتزله و الأشاعره، و إنّ ظهر لدى التحقيق أن الأصل فى عمدته شبهاتهم فى المقام هم المعتزله، و الأشاعره عيال عليهم و تبع لهم.

*فلنورد أولاً ملخص كلام القاضى عبد الجبار المعتزلى فى الإعتراض على الإستدلال بالآيه، فإنّه قال: «إعلم أنّ المتعلّق بذلك لا يخلو من أن يتعلّق بظاهره أو بأمور تقارنه، فإنّ تعلّق بظاهره فهو غير دالّ على ما ذكر، و إنّ تعلّق بقريته فيجب أن يبينها، و لا قريته من إجماع أو خبرٍ مقطوع به. فإن قيل: و من أين أن ظاهره لا يدل على ما ذكرناه؟ قيل له: إنّّه تعالى ذكر الجمع، فكيف يحمل على واحدٍ معين؟ و قوله:

«وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» لو ثبت أنه لم يحصل إلا لأمير المؤمنين، لم يوجب أنه المراد بقوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» ولأن صدر الكلام إذا كان عامياً لم يجب تخصيصه لأجل تخصيص الصفه. و من أين أن المراد بقوله: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ما زعموه دون أن يكون المراد به أنهم يؤتون الزكاة وطريقتهم التواضع والخضوع. وليس من المدح إيتاء الزكاة مع الإشتغال بالصلاة، لأن الواجب في الراكع أن يصرف همته و يتيه إلى ما هو فيه ولا يشتغل بغيره. قال شيخنا أبو هاشم يجب أن يكون المراد بذلك: الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة الواجبتين دون النفل...و الذي فعله أمير المؤمنين كان من النفل....

فإن صحَّ أنه المختصَّ بذلك، فمن أين أنه يختص بهذه الصفه في وقت معين ولا ذكر للأوقات فيه، وقد علمنا أنه لا يصح أن يكون إماماً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يصح التعلق بظاهره، و متى قيل: إنه إمام من بعد في بعض الأحوال، فقد زالوا عن الظاهر، و ليسوا بذلك أولى ممن يقول: إنه إمام في الوقت الذي ثبت أنه إمام فيه.

هذا لو سلمنا أن المراد بالولي ما ذكره، فكيف و ذلك غير ثابت، فلا بد من أن يكون محمولاً على تولي النصره في باب الدين، و ذلك مما لا يختص بالإمامه، و لذلك قال من بعد «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

و قد ذكر شيخنا أبو علي أنه قيل إنها نزلت في جماعه من أصحاب النبي...و الذين وصفهم في هذا الموضع بالركوع والخضوع هم الذين وصفهم من قبل بأنه يذل المرتدين بهم بقوله: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» و أراد به طريقه التواضع «أَعَزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ...».

و قد روى أنها نزلت في عباده بن الصامت...» (1).

ص: ٢٨٤

أقول:

أولاً: هذا الكلام قد ردّ عليه بالتفصيل في كتاب (الشافى) و(الذخيره) و(تلخيص الشافى).

و ثانياً: لك أن تقارن بين هذا الكلام و بين كلمات المتأخرين عنه من الأشاعره.

*فالفخر الرازى، إذا راجعت كلامه فى (تفسيره) (١) وجدته عيلاً على القاضى المعتزلى، إذ كرّر هذه الشبهات من غير أن يشير إلى أجوبه السيّد المرتضى و غيره عليها!!

و القاضى العضد الإيجى أجاب قائلاً: «و الجواب: أنّ المراد هو الناصر، وإلّا دلّ على إمامته حال حياه الرسول، ولأنّ ما تكرّر فيه صيغ الجمع كيف يحمل على الواحد، ولأنّ ذلك غير مناسب لما قبلها و ما بعدها» (٢).

*و السيّد التفتازانى أجاب: «ما قبل الآيه شاهد صدق على أنّه لولايه المحبّه و نصره دون التصرف و الإمامه، و وصف المؤمنين بجوز أن يكون للمدح دون التخصيص، و لزياده شرفهم و استحقاقهم «وَهُمْ رَاكِعُونَ» يحتمل العطف أو يخضعون، و ظاهر الكلام ثبوت الولايه بالفعل و فى الحال، و لم يكن حينئذٍ ولايه التصرف و الإمامه، و صرفه إلى المآل لا يستقيم فى الله و رسوله، و حمل صيغه الجمع على الواحد إنّما يصحّ بدليل، و خفاء الاستدلال بالآيه على الصحابه عمومًا و على على خصوصاً فى غايه البعد» (٣).

*و الألوسى (٤)، انتحل كلام شاه عبد العزيز الدهلوى صاحب (التحفة

ص: ٢٨٧

١-١ (١) تفسير الرازى: ٢٥/١١.

٢-٢ (٢) شرح المواقف ٣٦٠/٨.

٣-٣ (٣) شرح المقاصد ٢٦٩/٥.

٤-٤ (٤) روح المعانى ١٦٨/٦.

الإثني عشرية) بطوله، من غير أن يذكره أصلاً، بل عزا كلام الدهلوى إلى أهل السنّه، قائلاً: وقد أجاب أهل السنّه... و سيأتى البحث مع الدهلوى إن شاء الله تعالى.

*و ابن تيميه، وجد أنّ لا مناص و لا خلاص إلّا بتكذيب أصل القضية، فقال:

«و قد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترى: إنّ هذه الآية نزلت فى على لما تصدّق بخاتمه فى الصلاه. و هذا كذب يجمع أهل العلم بالنقل» (١).

قال: «أجمع أهل العلم بالنقل على أنّها لم تنزل فى على بخصوصه، و أنّ عليّاً لم يتصدّق بخاتمه فى الصلاه، و أجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القصّه المرويّه فى ذلك من الكذب الموضوع» (٢).

قال: «جمهور الأئمّه لم تسمع هذا الخبر» (٣).

*و ابن روزبهان، لم يكذب الخبر، و إنّما ناقش فى معنى «الولاية» فحملها على «النصره» و تمسك بالسياق، و هذان وجهان من الوجوه المذكوره فى كلام القاضى المعتزلى.

*و عبد العزيز الدهلوى-الذى انتحل كلامه الآلوسى فى (تفسيره) و تبعه صاحب (مختصر التحفه الإثني عشرية)-أجاب عن الاستدلال أولاً بالإجمال، و حاصله النقص بإمامه سائر أئمّه أهل البيت عليهم السلام، قال: «إنّ هذا الدليل كما يدلّ على نفي إمامه الأئمّه المتقدمين كما قرّر، يدلّ كذلك على سلب الإمامه عن المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين و من بعدهما من الأئمّه الأطهار لم يكونوا أئمّه، فلو كان استدلال الشيعة هذا يصح لفسد تمسكهم بهذا الدليل، إذ لا يخفى أنّ حاصل هذا الاستدلال بما يفيد فى مقابله أهل السنّه مبنى على كلمه الحصر، و الحصر كما يضرّ أهل السنّه يكون مضرّاً للشيعة أيضاً، فإنّ أجابوا عن النقص بأنّ المراد حصر الولاية فى

ص: ٢٨٨

١- ١) منهاج السنه ٣٠/٢.

٢- ٢) منهاج السنه ١١/٧.

٣- ٣) منهاج السنه ١٧/٧.

الأمير كرم الله وجهه في بعض الأوقات، أعنى وقت إمامته لا وقت إمامه السبطين و من بعدهم رضى الله تعالى عنهم. قلنا: فمرحبا بالوفاق.

و أجاب عن الإستدلال ثانياً بالتفصيل، و هو فى وجوه:

الأول: إننا لا نسلم الإجماع على نزول الآية فى الأمير، فروى أبو بكر النقاش صاحب التفسير المشهور عن محمد الباقر رضى الله تعالى عنه أنها نزلت فى المهاجرين و الأنصار، فقيل: قد بلغنا- أو: يقول الناس- أنها نزلت فى على كرم الله وجهه، فقال: هو منهم، و روى جمع من المفسرين عن عكرمه أنها نزلت فى شأن أبى بكر.

و أمّا نزولها فى حق على و روايه قصه السائل و تصدّقه عليه فى حال الركوع فإنّما هو للثعلبى فقط، و هو متفرد به، و لا- يعدّ المحدّثون من أهل السنّه روايات الثعلبى قدر شعيره و لقبوه ب«حاطب ليل» فإنّه لا يميّز بين الرطب و اليابس، و أكثر رواياته فى التفسير عن الكلبي (1) عن أبى صالح، و هى أوهى ما يروى فى التفسير عندهم. و قال القاضى شمس الدين ابن خلكان فى حال الكلبي إنّه كان من أتباع عبد الله بن سبأ... و ينتهى بعض روايات الثعلبى إلى محمد بن مروان السدى الصغير، و هو كان رافضياً غالباً....

و الثانى: إننا لا- نسلم أنّ المراد بالولى المتولّى للأموال و المستحقّ للتصرّف فيها تصرّفًا عامًّا، بل المراد به الناصر، و هو مقتضى السياق.

و الثالث: إنّه لو سلّم أنّ المراد ما ذكره، فلفظ الجمع عام أو مساوٍ له، كما ذكره المرتضى فى الذريعة و ابن المطهر فى النهايه، و العبره لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، و ليست الآية نصًّا فى كون التصدّق واقعاً فى حال ركوع الصلاة، لجواز أن يكون الركوع بمعنى التخشع و التذلل، لا- بالمعنى المعروف فى عرف أهل الشرع، و ليس حمل الركوع فى الآية على غير معناه الشرعى بأبعد من حمل الزكاه المقرونه

ص: ٢٨٩

(١- ١) تصحّف «الكلبى» إلى «الكلينى» فى مختصر التحفه الإثنى عشرية.

بالصلاه على مثل ذلك التصدق، و هو لازم على مدعى الإماميه قطعاً.

و أجاب الشيخ إبراهيم الكردي قدس سرّه عن أصل الاستدلال، بأنّ الدليل قام في غير محلّ النزاع، و هو كون على كرم الله تعالى وجهه إماماً بعد رسول الله من غير فصل، لأنّ ولايه الذين آمنوا على زعم الإماميه غير مراده في زمان الخطاب، لأنّ ذلك عهد النبوه و الإمامه نيابه، فلا- تتصوّر إلما بعد انتقال النبي، و إذا لم يكن زمان الخطاب مراداً تعيّن أنّ يكون المراد الزمان المتأخر عن زن الانتقال، و لا حدّ للتأخير، فليكن ذلك بالنسبه إلى الأمير بعد مضي زمان الأئمه الثلاثة، فلم يحصل مدعى الإماميه.

(قال): و لو تنزلنا عن هذه كلّها لقلنا: إنّ هذه الآيه معارضه بالآيات الناصه على خلافه الخلفاء الثلاثة» (١).

النظر في هذه الكلمات و دفع الشبهات

اشاره

أقول:

إنّ أهمّ هذه الشبهات المتخذة في الأغلب من المعتزله- كما يظهر بالمقارنه- ما يلي:

١- لا إجماع على نزول الآيه في علي و تصدقه

إدّعه القاضي المعتزلي و تبعه جمع من الأشاعره كالرازي، بل زعم أنّ أكثر المفسرين زعموا أنّه في حقّ الأئمّه (٢).

و الجواب: إنّ الإماميه إنّما يستدلون بإجماع المفسرين من أهل السنّه، على نزول الآيه المباركه في قضيه أمير المؤمنين عليه السلام، اعتماداً على إقرار غير واحدٍ من أكابر القوم بذلك:

ص: ٢٩٠

١- ١) التحفه الإثنا عشرية: ١٩٨، و انظر مختصر التحفه الإثني عشرية: ١٥٧ و قارن بتفسير الآلوسي: روح المعاني ١٦٧/٦-١٦٩.

٢- ٢) تفسير الرازي ٢٥/١١.

فمنهم: القاضي عضد الدين الإيجي (١)، المتوفى سنة ٧٥٦، في كتابه المشهور:

المواقف في علم الكلام (٢)، فقد قال في معرض الاستدلال بالآية:

«و أجمع أئمة التفسير أنّ المراد عليّ» (٣).

اعتراف الشريف الجرجاني

و منهم: الشريف الجرجاني (٤)، المتوفى سنة ٨١٦، فقد قال بشرح المواقف (٥):

ص: ٢٩١

١ - ١) وصفوه بتراجمه بأوصاف ضخمة: «قاضي قضاه الشرق» و«شيخ العلماء» و«شيخ الشافعية» قالوا: «كان إماماً في المعقولات، محققاً، مدققاً، قائماً بالأصول والمعاني والعريه، مشاركاً في الفقه وغيره من الفنون»... «أنجب تلاميذ اشتهروا في الآفاق». الدرر الكامنه ٣٢٣/٢، البدر الطالع ٣٢٦/١، شذرات الذهب ١٧٤/٦، طبقات الشافعية - للأسنوي - ١٧٩/٢، بغية الوعاة: ٢٩٦.

٢ - ٢) قال في كشف الظنون ١٨٩١/٢: «المواقف في علم الكلام، وهو كتاب جليل القدر، رفيع الشأن، اعتنى به الفضلاء، فشرحه السيد الشريف، وشرحه شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى...» ثم ذكر الشروح والحواشى عليها... قال: «وهى كثيرة جداً». و قال الشوكانى - بترجمه الإيجي: «له: المواقف فى علم الكلام و مقدماته، وهو كتاب يقصر عنه الوصف، لا يستغنى عنه من رام تحقيق الفن» و لاحظ أيضاً كلمات الشريف الجرجاني فى وصف المواقف فى مقدمه شرحه.

٣ - ٣) المواقف فى علم الكلام: ٤٠٥.

٤ - ٤) وصفوه ب: «عالم بلاد الشرق»... «كان علامه دهره»... «صار إماماً فى جميع العلوم العقليه وغيرها، متفرداً بها، مصنفأ فى جميع أنواعها، متبحراً فى دقيقتها و جليلها، و طار صيته فى الآفاق، و انتفع الناس بمصنّفاته فى جميع البلاد، و هى مشهوره فى كلّ فنّ، يحتجّ بها أكابر العلماء و ينقلون منها، و يوردون و يصدرون عنها» فذكروا فيها شرح المواقف. انظر: الضوء اللامع ٣٢٨/٥، البدر الطالع ٤٨٨/١، الفوائد البهية: ١٢٥، بغية الوعاة: ٣٥١، مفتاح السعاده ١٦٧/١، وغيرها.

٥ - ٥) انظر: كشف الظنون ١٨٩١/٢.

«و قد أجمع أئمة التفسير على أن المراد ب: «الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» إلى قوله تعالى: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» على، فإنه كان في الصلاة راعياً، فسأله سائل فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية» (١).

اعتراف التفتازاني

و منهم: سعد الدين التفتازاني (٢) المتوفى سنة ٧٩٣، فقد قال في شرح المقاصد (٣):

«نزلت باتفاق المفسرين في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين أعطى السائل خاتمه و هو راعع في صلاته» (٤).

اعتراف القوشجي

و منهم: القوشجي السمرقندي، و هو: علاء الدين علي بن محمد الحنفي، المتوفى سنة ٨٧٩.

قال قاضي القضاة الشوكاني بترجمته:

«علي بن محمد القوشجي. بفتح القاف و سكون الواو و فتح الشين المعجمه

ص: ٢٩٢

١-١ شرح المواقف في علم الكلام ٣٦٠/٨.

٢-٢ قال الحافظ ابن حجر: «الإمام العلامة، عالم بالنحو و التصريف و المعاني و البيان و الأصلين و المنطق و غيرها، أخذ عن القطب و العضد، و تقدّم في الفنون، و اشتهر ذكره و طار صيته، و انتفع الناس بتصانيفه، و كان في لسانه لکنه، و انتهت إليه معرفه العلم بالمشرق» الدرر الكامنه ٣٥٠/٤. و كذا قال السيوطي و ابن المعاد و الشوكاني و أضاف: «و بالجمله، فصاحب الترجمة متفرد بعلمه في القرن الثامن، لم يكن له في أهله نظير فيها، و له من الحظ و الشهرة و الصيت في أهل عصره فمن بعدهم ما لا يلحق به غيره، و مصنفاته قد طارت في حياته إلى جميع البلدان، و تنافس الناس في تحصيلها...» البدر الطالع ٣٠٣/٢، بغية الوعاة: ٣٩١، شذرات الذهب ٣١٩/٦.

٣-٣ ذكره صاحب كشف الظنون ١٧٨٠/٢ فقال: المقاصد في علم الكلام... و له عليه شرح جامع» ثم ذكر بعض الحواشي عليه.

٤-٤ شرح المقاصد في علم الكلام ١٧٠/٥.

بعدها جيم و ياء النسبه، و معنى هذا اللفظ بالعريه: حافظ البازى، و كان أبوه من خدام ملك ما وراء النهر، يحفظ البازى.

قرأ على علماء سمرقند ثم رحل إلى الروم، وقرأ على القاضي زاده الرومى، ثم رحل إلى بلاد كرمان فقرأ على علمائها و سود هنالك شرحه للتجريد... و لما قدم قسطنطينيه أول قدمه تلقاه علماءها... و له تصانيف منها شرح التجريد الذى تقدمت الإشارة إليه، و هو شرح عظيم سائر فى الأقطار كثير الفوائد... و هو من مشاهير العلماء» (١).

و ذكر شرحه على التجريد فى كشف الظنون، حيث قال تحت عنوان تجريد الكلام:

«و هو كتاب مشهور، اعتنى عليه الفحول، و تكلموا فيه بالردّ و القبول، له شروح كثيره و حواش عليها» إلى أن قال: «ثم شرح المولى المحقق علاء الدين على بن محمد الشهير بقوشجى -المتوفى سنه ٨٧٩- شرحاً لطيفاً ممزوجاً... و قد اشتهر هذا الشرح بالشرح الجديد»، ثم ذكر كلامه فى ديباجته، ثم قال: «و إنما أوردته ليعلم قدر المتن و الماتن، و فضل الشرح و الشارح»، ثم ذكر الحواشى على هذا الشرح الجديد، بما يطول ذكره، فراجع (٢).

و هذه عباره القوشجى فى نزول الآيه المباركه: و بيان دلالتها على الإمامه لأمير المؤمنين:

«بيان ذلك: إنها نزلت باتفاق المفسرين فى حقّ على بن أبى طالب حين أعطى السائل خاتمه و هو راعى فى صلاته...» ثم إنه -و إن حاول المناقشه فى الاستدلال- لم ينكر اتفاق المفسرين على نزولها فى الإمام عليه السلام، فراجع (٣).

ص: ٢٩٣

١-١) البدر الطالع ١/٤٩٥-٤٩٦.

٢-٢) كشف الظنون ١/٣٤٨-٣٥٠.

٣-٣) شرح تجريد الاعتقاد: ٣٦٨.

هذا، و من ناحيه أخرى، فقد نصّ الشهاب الألوسى على أنّ هذا القول «عليه غالب الأخباريين» (١).

فإذا كان هذا القول «عليه إجماع المفسرين» و «غالب الأخباريين» -بغض النظر عن صحّحه غير واحد من أسانيد الخبر، حتّى أنّ مثل ابن كثير قد اعترف بقوّه بعض و سكت عن القدح فى بعض ما أورد منها- فأى وقع لإنكار مثل الدهلوى الهندى؟! فضلاً عن تكذيب مثل ابن تيميه لأصل الخبر، و دعوى أنّ جمهور الأئمّه لم تسمع هذا الخبر؟! و أنّه أجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القصّه المرويّه فى ذلك من الكذب الموضوع.

و بهذا يظهر سقوط التمسك بمخالفه مثل عكرمه الخارجى -على فرض صحّحه النسبه- مع ما سيأتى فى ترجمه هذا الرجل فى آيه المباهله.

و أيضاً: لا قيمه لنقل مثل النقّاش، مضافاً إلى تكلمهم فيه و فى تفسيره، كما لا يخفى على المطلع الخبير!!

٢- إنّ القول بنزولها فى حق على للثعلبى فقط و هو متفرد به

و الجواب: إنّ هذا لا يصدر إلّا من متعصب شقى أو جاهل غبى، و هو عبد العزيز الدهلوى، الملقّب عندهم ب «علّامه الهند»!! فإنّ لهذا الرجل فى هذا المقطع من كلامه كذبات، منها:

١- إنّ هذا القول للثعلبى فقط و هو متفرد به. فإنّ الثعلبى وفاته سنه (٤٢٧) و قد روى الخبر قبله عدد كبير من الأئمّه، ذكرنا أسمائهم فى الفصل الأوّل، بل عليه إجماع المفسرين كما عرفت.

٢- إنّ المحدّثين يلقّبونه بحاطب ليل. فإنّ المحدّثين لا يلقّبونه بهذا اللقب، بل الذى لقبه هو ابن تيميه فى منهاج السنّه، كلّما أراد إنكار فضائل على و أهل البيت عليهم السلام.

ص: ٢٩٤

٣- أكثر روايات الثعلبي في التفسير عن الكلبي عن أبي صالح، وهي أوهى ما يروى في التفسير عندهم. فقد حَقَّقنا في بعض بحوثنا أنّ روايات الكلبي في التفسير مخرَّجه في غير واحدٍ من الصّحاح، وأنّ رواياتهم عن الكلبي عن أبي صالح موجوده بكثره في الكتب المعروفه المشتهره، وليست أوهى ما يروى في التفسير عند جمهور علمائهم.

و بعد، فإنّ روايه الثعلبي نزول الآيه المباركه في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام المتقدمه في الفصل الأول، ليست لا عن الكلبي عن أبي صالح، ولا عن السدّي الكبير أو الصّغير!!

هذا، وأمّا وجود الرّطب و اليابس في تفسير الثعلبي فأمر ثابت، وكذلك سائر تفاسير القوم و أسفارهم الحديثيه، حتّى الملقبه عندهم بالصّحاح....

و هذه جمله من مصادر ترجمه الثعلبي و الثناء عليه، أذكرها لتراجع: وفيات الأعيان ١/٧٩، معجم الأدباء ٥/٣٦، تذكره الحفاظ ٣/١٠٩٠، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٠، الوافي بالوفيات ٧/٣٠٧، مرآه الجنان ٣/٤٦، طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي ٤/٥٨، البدايه و النهايه ١٢/٤٠، النجوم الزاهره ٤/٢٨٣، طبقات المفسّرين ١/٦٥.

و أكتفى بنقل كلام القاضي ابن خلّكان، فإنّه قال: «كان أوحد زمانه في علم التفسير، و صنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، و له كتاب العرائس... و قال أبو القاسم القشيري: رأيت ربّ العزّه عزّ و جلّ في المنام و هو يخاطبي و اخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الربّ تعالى اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل. و ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور و أثنى عليه و قال: هو صحيح النقل موثوق به، و كان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفّي

فهذه ترجمته عند القاضي ابن خلكان، ولا تجد فيها إلّا المدح و الثناء، و حتّى من الله جلّ جلاله!

٣- المراد من الولاية فيها هو النصره بقرينه السياق

ادّعاه القاضي المعتزلى و تبعه من الأشاعره ابن روزبهان و الرازى و غيرهما.

و الجواب: إنّه قد أقمنا الأدلّه المتقنه و البراهين الصادقه على أنّ لفظه «وليكم» فى حديث: «على منّى و أنا من على و هو وليكم من بعدى» الذى هو من أصحّ الأخبار و أثبتها، هى بمعنى «الأولى بكم»، فكذلك هذه اللفظه فى الآية المباركه، بل ذلك هنا أوضح و أولى، لعطف «الولى» و «النبي» على ذات البارى تعالى، و من المعلوم أنّ الولاية الثابته له عزّ و جلّ هى الولاية العامه المطلقه.

و أمّا السياق، فإنّه لا يقاوم النصّ، على ما تقرّر عند العلماء المحقّقين، فاستدلال بعضهم كالفخر الرازى به مردود هذا أوّلاً.

و ثانياً: إنّه قد فصل بين الآيه و الآيه التى يزعمون وحده السياق معها آيات اخرى، فلا سياق أصلاً، فراجع.

٤- مجيء الآيه بصيغه الجمع، و حملها على الواحد مجاز

ذكره القاضي عبد الجبار و تبعه غيره كالرازى و أضاف: إنّه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين فى هذه الآيه بصيغه الجمع فى سبعة مواضع: «و الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» و حمل ألفاظ الجمع و إن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنّه مجاز لا حقيقه، و الأصل حمل الكلام على الحقيقه.

ص: ٢٩٤

و الجواب: إن مقتضى النص الصحيح، القائم عليه الإجماع من المفسرين وغيرهم، وهو المتفق عليه بين الطرفين، هو حمل الصيغه هذه على الواحد المعين، و هو أمير المؤمنين عليه السلام، و لكن لا بد لإتيان آية بصيغه الجمع من نكته.

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلّي رضى الله عنه- و اللفظ لفظ جماعه؟

قلت: جىء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس فى مثل فعله، فينالوا مثل نواله، و لئيبه على أن سجيته المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغايه من الحرص على البرّ و الإحسان و تفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير و هم فى الصلاه لم يؤخروه إلى الفراغ منها» (١).

و اختار بعض المفسرين من أصحابنا كالطبرسى صاحب (مجمع البيان فى تفسير القرآن) (٢) أن النكته هى التعظيم، و هو ما أشار إليه الرازى فى كلامه المذكور.

و السيد شرف الدين العاملى ذهب إلى أن النكته هى أنه لو جاءت الآيه بلفظ المفرد، فإن شائئى على و أهل البيت و سائر المنافقين لا يطيقون أن يسمعوها كذلك، و إذ لا يمكنهم حينئذ التمويه و التضليل، فيؤدى ذلك إلى التلاعب بألفاظ القرآن و تحريف كلماته أو نحو ذلك مما يخشى عواقبه على الإسلام (٣).

هذا، و قد ذكر صاحب الغدير طاب ثراه طائفة من الآيات الواردة بصيغه الجمع و المقصود بها الأحاد، استناداً إلى تفاسير القوم و أحاديثهم، فراجع (٤).

٥- الولاية بمعنى الأولويه بالتصرف غير مراده فى زمان الخطاب.

و هذا ما ذكره القاضى المعتزلى، و أخذه غير واحد من الأشاعره، كالدهلوى

ص: ٢٩٧

١-١ (١) الكشاف ١/٦٤٩.

٢-٢ (٢) مجمع البيان ٣/٢١١.

٣-٣ (٣) المراجعات: ٢٦٣.

٤-٤ (٤) الغدير ٦/٢٣١-٢٣٨.

و الآلوسى و التفتازانى، فليكن المراد بعد عثمان.

و قد أجاب عنه السيّد المرتضى و غيره من أعلام الطائفة. قال شيخ الطائفة: «إنّا قد بيّنا أنّ المراد بلفظ «ولى» فرض الطاعة و الاستحقاق للتصرّف بالأمر و النهى، و هذا ثابت له فى الحال، و إذا كان المراد به الحال، فليس بمقصودٍ عليها، و إنّما يقتضى الحال و ما بعدها من سائر الأحوال، و إذا كان الأمر على ذلك فنحن نخرج نخرج حال حياه النبى بدلاله الإجماع، و تبقى سائر الأحوال على موجب الآيه، و ليس هناك دليل يخرج أيضاً ما بعد النبى عليه و آله الصلاه و السلام و يردّه إلى ما بعد عثمان. و لأنّ كلّ من أثبت بهذه الآيه الإمامه أثبتها بعد وفاه النبى بلا فصل، و لم يقل فى الأمه أحد إنّ المراد بالآيه الإمامه و أثبتها بعد عثمان» (١).

٦- إنّ التصدّق فى أثناء الصلاه ينافى الصلاه

و هذا أيضاً ذكره القاضى المعتزلى و تبعه عليه القوم.

إلّا أنّ الآلوسى أجاب عن هذه الشبهه بقوله: «بلغنى أنّه قيل لابن الجوزى: كيف تصدّق على بالخاتم و هو فى الصلاه... فأنشأ يقول: يسقى و يشرب لا تلهيه سكرته

و قد سبق إلى الإستشهاد بالبيتين: السيّد الشهيد التستري فى (إحقاق الحق) (٢) و نسبهما إلى بعض الأصحاب. و الله العالم.

ثم إنّه لو كان مجرد التصدّق فى أثناء الصلاه منافياً لها، فكيف كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يحمل امامه على عاتقه فى الصلاه، و كلّما سجد وضعها على

ص: ٢٩٨

١- ١) تلخيص الشافى ٢/٤٤-٤٥.

٢- ٣) إحقاق الحق و إزهاق الباطل ٢/٤١٤ مع اختلاف قليل فى اللفظ.

الأرض فإذا قام وضعها مرّة أخرى على عاتقه وهكذا إلى أن يفرغ من صلاته كما فى صحاح القوم؟ و أيضاً: فإنّ النّبي صلّى الله عليه وآله كان فى أثناء الصّلاه يسمع صوت من أراد الالتحاق به و ينتظر حتى يركع، كما فى الصّحاح؟ و هكذا غير ما ذكر من الموارد، فيظهر عدم منافاه هذه الامور لا سيّما ما كان منها عبادةً للصّلاه.

أقول:

تلك هى عمدته شبهاتهم فى المقام، و العمده فى الجواب عنها هو النصّ الصحيح المقبول بين الطرفين، فلا مجال بعده لتلك الشبهات، و لا- لغيرها، من قبيل احتمال حمل «الواو» فى «وَهُمْ رَاكِعُونَ» على العطف، أو احتمال حمل «الركوع» على «الخشوع» أو دعوى أن «الركاه» إنّما تقال للركاه الواجبه، و الذى فعله أمير المؤمنين كان نفلاً، أو دعوى أن لازم الإستدلال بالآيه عن طريق إفادتها الحصر على بطلان إمامه من تقدّمه، هو بطلان إمامه الأئمّه من ولده، فإنّها جهل أو تجاهل من مدّعيتها، لأنّه لا يقول بإمامه أئمّه العتره على كلّ تقدير، أمّا الإماميّة، فإنّهم يبتلون إمامه من تقدّم على أمير المؤمنين بهذه الآيه، و لهم أدلّتهم على إمامه سائر الأئمّه من الكتاب و السنّه و غيرهما، على أنّ البحث هو بين إمامه على و إمامه أبى بكر، و إمامه الأئمّه بعد على فرع على إمامته، كما أنّ إمامه عمر و عثمان و معاويه و يزيد... تتفرّع على إمامه أبى بكر، فإذا ثبت إمامه على من الآيه، ثبتت الإمامه فى ولده، و بطلت إمامه أبى بكر و كلّ إمامه متفرّع على إمامته.

و الحقيقه- كما ذكرنا من قبل- إنّ هذه الآيه و نزولها فى هذه القضيه، من أقوى الأدلّه على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، و لذا فقد اضطرب القوم تجاهها، و اختلفت كلماتهم فى ردّ الإستدلال بها، و بذلوا أقصى جهودهم فى الجواب، و لكنّهم لم يفلحوا فزادوا بعداً عن نهج الحق و طريق الصواب، فلا- الآيه يمكن تكذيبها، و لا- الحديث الوارد فى تفسيرها... و الحمد لله ربّ العالمين، و صلّى الله عليه سيّدنا محمّد و آله الطاهرين.

ص: ٢٩٩

فقال: و الذى لا- إله إلهما هو إنه من أمر الله؛ فولّى الحارثُ بن النعمان يريد راحلته و هو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم.

فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر، فسقط على هامته و خرج من دبره فقتله، و أنزل الله تعالى: «سَيَأْتِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

و قد روى هذه الروايه النقّاش من علماء الجمهور فى تفسيره.

الشرح:

قال ابن تيميه: و الجواب من وجوه:

أحدها: إن هذا أعظم كذباً و فريهً من الأول كما سنبيّه إن شاء الله تعالى.

و قوله: اتفقوا على نزولها فى على. أعظم كذباً مما قاله فى تلك الآيه، فلم يقل لا هذا و لا ذاك أحد من العلماء الذين يدرون ما يقولون.

و أمّا ما يرويه أبو نُعيم فى «الحليه» أو فى «فضائل الخلفاء» و النقّاش و الثعلبى و الواحدى و نحوهم فى التفسير، فقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيراً من الكذب الموضوع، و اتفقوا على أن هذا الحديث المذكور الذى رواه الثعلبى فى تفسيره هو من الموضوع، و سنين أدلّه يُعرف بها أنه موضوع، و ليس [الثعلبى] من أهل العلم بالحديث.

و لكن المقصود هنا أنّنا نذكر قاعده فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدق و كثير من الكذب، و المرجع فى التمييز بين هذا و هذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاه فى الفرق بين نحو العرب و نحو غير العرب، و نرجع إلى علماء اللغه فيما هو من اللغه و ما ليس من اللغه، و كذلك علماء الشعر و الطب و غير ذلك، فلعلّ علم رجال يُعرفون به....

و الراضه أقلّ معرفه و عنايه بهذا، إذ كانوا لا ينظرون فى الإسناد و لا فى سائر الأدله

ص: ٣٠١

الشرعيه و العقليه:هل توافق ذلك أو تخالفه؟و لهذا لا يوجد لهم أسانيد متصله صحيحه قط،بل كل إسناد متصل لهم،فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب أو كثره الغلط.

و هم فى ذلك شبيه باليهود و النصرى،فإنه ليس لهم إسناد.و الإسناد من خصائص هذه الأمة،و هو من خصائص الإسلام،ثم هو فى الإسلام من خصائص أهل السنه.و الرافضه من أقل الناس عنايه إذ كانوا لا يصدّقون إلّا بما يوافق أهواهم،و علامه كذبه أنه يخالف هواهم.و لهذا قال عبد الرحمن بن مهدي:أهل العلم يكتبون ما لهم و ما عليهم،و أهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم.

ثم إن أولهم كانوا كثيرى الكذب،فانتقلت أحاديثهم إلى قوم لا يعرفون الصحيح من السقيم،فلم يمكنهم التمييز إلا بالتصديق الجميع أو تكذيب الجميع،و الاستدلال على ذلك بدليل مفصل غير الإسناد.

فيقال:ما يرويه مثل أبى نعيم و الثعلبى و النقاش و غيرهم:أقبلونه مطلقاً؟أم تردّونه مطلقاً؟أم قبلونه إذا كان لكم [لا عليكم]،و تردّونه إذا كان عليكم؟فإن قبلوه مطلقاً،ففى ذلك أحاديث كثيره فى فضائل أبى بكر و عمر و عثمان تناقض قولكم.و قد روى أبو نعيم فى أول «الحليه» فى فضائل الصحابه،و فى كتاب مناقب أبى بكر و عمر و عثمان و علىّ أحاديث بعضها صحيحه و بعضها ضعيفه،بل منكره.و كان رجلاً عالماً بالحديث فيما ينقله،لكن هو و أمثاله يروون ما فى الباب،لا يُعرف أنه روى كالمفسّر الذى ينقل أقوال الناس فى التفسير،و الفقيه الذى يذكر الأقوال فى الفقه،و المصنّف الذى يذكر حجج الناس،ليذكر ما ذكره،و إن كان كثير من ذلك لا يعتقد صحته،بل يعتقد ضعفه،لأنه يقول:أنا نقلت ما ذكر غيرى،فالعُده على القائل لا على الناقل.

و هكذا كثير ممن صنّف فى فضائل العبادات،و فضائل الأوقات،و غير ذلك:

يذكرون أحاديث كثيره و هى ضعيفه،بل موضوعه،باتفاق أهل العلم،كما يذكرون [أحاديث] فى فضل صوم رجل كلها ضعيفه،بل موضوعه،عند أهل العلم.و يذكرون

صلاه الرغائب في أول ليله جمعه منه، و ألفيه نصف شعبان، و كما يذكرون في فضائل عاشوراء ما ورد من التوسعه على العيال، و فضائل المصافحه و الحناء و الخضاب و الاغتسال و نحو ذلك، و يذكرون فيها صلاه.

و كل هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، لم يصح في عاشوراء إلا فضل صيامه. قال حرب الكرمانى: قلت لأحمد بن حنبل: الحديث الذى يروى: من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته؟ فقال: لا أصل له.

و قد صنّف في فضائل الصحابه، على و غيره، غير واحد، مثل خيثمه بن سليمان الأطرابلسى و غيره، و هذا قبل أبى نعيم، يروى عنه إجازة. و هذا و أمثاله جروا على العاده المعروفه لأمثالهم ممن يصنف في الأبواب، أنه يروى ما سمعه في هذا الباب.

و هكذا المصنّفون في التواريخ، مثل «تاريخ دمشق» لابن عساكر و غيره، إذا ذكر ترجمه واحد من الخلفاء الأربعة، أو غيره، يذكروا كل ما رواه في ذلك الباب، فيذكر لعلّى و معاويه من الأحاديث المرويه في فضلها ما يعرف أهل العلم بالحديث أنه كذب، و لكن لعلّى من الفضائل الثابته في الصحيحين و غيرهما، و معاويه ليس له بخصوصه فضيله في الصحيح، لكن قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حنيناً و الطائف و تبوك، و حج معه حجه الوداع، و كان يكتب الوحي، فهو ممن ائتمنه النبي صلى الله عليه و سلم على كتابه الوحي، كما ائتمن غيره من الصحابه.

فإن كان المخالف يقبل كل ما رواه هؤلاء و أمثالهم في كتبهم، فقد روى أشياء كثيرة تناقض مذهبهم. و إن كان يردّ الجميع، بطل احتجاجه بمجرد عزوه الحديث إليهم. و إن قال: أقبل ما يوافق مذهبي و أردّ ما يخالفه، أمكن منازعه أن يقول له مثل هذا، [أو كلاهما] باطل، لا- يجوز أن يحتج على صححه مذهب بمثل هذا، فإنه يُقال: إن كنت إنما عرفت صححه هذا الحديث بدون المذهب، فاذا كر ما يدل على صحته، و إن كنت إنما عرفت صحته لأنه يوافق المذهب، امتنع تصحيح الحديث بالمذهب، لأنه يكون

حينئذ صحة المذهب موقوفه على صحة الحديث، وصحة الحديث موقوفه على صحة المذهب، فيلزم الدّور الممتنع.

و أيضاً، فالمذهب: إن كنت عرفت صحته بدون هذا الطريق، لم يلزم صحة هذا الطريق، فإن الإنسان قد يكذب على غيره قولاً، وإن كان ذلك القول حقاً، فكثير من الناس يروى عن النبي صلى الله عليه و سلم قولاً هو حق في نفسه، لكن لم يقله رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلا يلزم من كون الشيء صدقاً في نفسه أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم قاله، وإن كنت إنما عرفت صحته بهذا الطريق، امتنع أن تعرف صحة الطريق بصحته، لإفضائه إلى الدّور.

فثبت أنه على التقديرين، لا يعلم صحة هذا الحديث لموافقته للمذهب، سواء كان المذهب معلوم الصحة، أو غير معلوم الصحة.

و أيضاً، فكل من له أدنى علم و إنصاف يعلم أن المنقولات فيها صدق و كذب، و أن الناس كذبوا في المثالب و المناقب، كما كذبوا في غير ذلك، و كذبوا فيما يوافقهم و يخالفه.

و نحن نعلم أنهم كذبوا في كثير مما رووه في فضائل أبي بكر و عمر و عثمان، كما كذبوا في كثير مما رووه في فضائل عليّ، و ليس في أهل الأهواء أكثر كذا من الرافضة، بخلاف غيرهم، فإن الخوارج لا يكادون يكذبون، بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم و ضلالهم.

و أما أهل العلم و الدين، فلا يصدقون بالنقل و يكذبون [به] بمجرد موافقه ما يعتقدون، بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي صلى الله عليه و سلم و أمته و أصحابه، فيردونها لعلمهم بأنها كذب، و يقبلون أحاديث كثيرة لصحتها، و إن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه، إما لإعتقادهم أنها منسوخة، أو لها تفسير لا يخالفونه، و نحو ذلك.

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل و علمائه، و من يشركهم في علمهم علم ما يعلمون، و أن يُستدلّ على الصحة و الضعف بدليل منفصل عن الرواية، فلا بد من

هذا و هذا. و إلا فمجرد قول القائل: «رواه فلان» لا يَحْتَجُّ به: لا أهل السنه و لا الشيعة، و ليس فى المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف، فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته.

و مجرد عزوه إلى روايه الثعلبى و نحوه ليس دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم بالنقل. و لهذا لم يروه أحد من علماء الحديث فى شىء من كتبهم التى ترجع الناس إليها فى الحديث، لا [فى] الصحاح و لا السنن و لا المسانيد و لا غير ذلك، لأن كذب مثل هذا لا يخفى على من له أدنى معرفه بالحديث.

و إنما هذا عند أهل العلم بمنزله ظن من يظن من العامه- و بعض من يدخل فى غمار الفقهاء- أن النبى صَلَّى الله عليه و سلم كان على أحد المذاهب الأربعة، و أن أبا حنيفة و نحوه كانوا من قبل النبى صَلَّى الله عليه و سلم، أو كما يظن طائفه من التركمان أن حمزه له مغاز عظيمه و ينقلونها بينهم، و العلماء متفقون على أنه لم يشهد إلا بدرأ و أحداً و قُتل يوم أحد، و مثل ما يظن كثير من الناس أن فى مقابل دمشق من أزواج النبى صَلَّى الله عليه و سلم أم سلمه و غيرها، و من أصحابه أُبَيُّ بن كعب، و أُويس القرنى و غيرهما.

و أهل العلم يعلمون أن أحداً من أزواج النبى صَلَّى الله عليه و سلم لم يقدم دمشق، و لكن كان فى الشام أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارى، و كان أهل الشام يسمونها أم سلمه، فظن الجهال أنها أم سلمه زوج النبى صَلَّى الله عليه و سلم. و أُبَيُّ بن كعب مات بالمدينه. و أُويس تابعى لم يقدم الشام.

و مثل ما يظن من الجهال أن قبر علىٰ بباطن النجف. و أهل العلم- بالكوفه و غيرها- يعلمون بطلان هذا، و يعلمون أن علىٰ و معاويه و عمرو بن العاص كل منهم دفن فى قصر الإمارة ببلده، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوه؛ فإنهم كانوا قد تحالفوا على قتل الثلاثة، فقتلوا علىٰ و جرحوا معاويه.

و كان عمرو بن العاص قد استخلف رجلاً يقال له خارجه، فضربه القاتل يظنه

عَمراً فقتله، فتبين أنه خارجه، فقال: أردت عمراً و أراد الله خارجه، فصار مثلاً.

و مثل هذا كثير مما يظنه كثير من الجهال. و أهل العلم بالمنقولات يعلمون خلاف ذلك.

الوجه الثاني: أن نقول: في نفس هذا الحديث ما يدل على أنه كذب من وجوه كثيرة؛ فإن فيه أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لما كان بغدير يدعى حُجَيْمًا نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيدي علي و قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، و أن هذا قد شاع و طار بالبلاد، و بلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، و أنه أتى النبي صَلَّى الله عليه و سلم على ناقته و هو في الأبطح، و أتى و هو في ملاء من الصحابه، فذكر أنهم امتثلوا أمره بالشهادتين و الصلاه و الزكاه و الصيام و الحج، ثم قال: «ألم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا؟ و قلت: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ و هذا منك أم من الله؟ فقال النبي صَلَّى الله عليه و سلم: هو من أمر الله، فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته، و هو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، و خرج من دبره فقتله، و أنزل الله: «سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين» الآية.

فيقال لهؤلاء الكذابين: أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي صَلَّى الله عليه و سلم بغدير حُجْم كان مرجعه من حجه الوداع. و الشيعة تسلّم هذا، و تجعل ذلك اليوم عيداً و هو اليوم الثامن عشر من ذى الحجه. و النبي صَلَّى الله عليه و سلم لم يرجع إلى مكه بعد ذلك، بل رجع من حجه الوداع إلى المدينه، و عاش تمام ذى الحجه و المحرم و صفر، و توفي في أول ربيع الأول.

و في هذا الحديث يذكر أنه بعد أن قال هذا بغدير حُجْم و شاع في البلاد، جاءه الحارث و هو بالأبطح، و الأبطح بمكه، فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصه غدير خم.

و أيضاً، فإن هذه السوره-سوره سأل سائل-مكيه باتفاق أهل العلم، نزلت بمكه قبل الهجره، فهذه نزلت قبل غدیر خم بعشر سنين أو أكثر من ذلك، فكيف [تكون] نزلت بعده؟

و أيضاً، قوله: «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» في سوره الأنفال، و قد نزلت عقيب بدر بالاتفاق قبل غدیر خم بسنين كثيره، و أهل التفسير متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الهجره، كأبي جهل و أمثاله، و أن الله ذكر نبيّه بما كانوا يقولونه بقوله: «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ» أى اذكر قولهم، كقوله: «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ»، «وَ إِذْ عَادَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ»، و نحو ذلك: يأمره بأن يذكر كل ما تقدّم. فدلّ على أن هذا القول كان قبل نزول هذه السوره.

و أيضاً، فإنهم لما استفتحوا بين الله أنه لا ينزل عليهم العذاب و محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، فقال: «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»، ثم قال الله تعالى: «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَعْفِزُونَ» و اتفق الناس على أن أهل مكه لم تنزل عليهم حجاره من السماء لما قالوا ذلك، فلو كان هذا آيه لكان من جنس آيه أصحاب الفيل، و مثل هذا مما تتوفر الهمم و الدواعى على نقله.

و لو أن الناقل طائفه من أهل العلم، فلما كان هذا لا يرويه أحد من المصنّفين فى العلم، لا المسند، و لا الصحيح، و لا الفضائل، و لا التفسير، و لا السير و نحوها، إلا ما يروى بمثل هذا الإسناد المنكر، علم أنه كذب و باطل.

و أيضاً، فقد ذكر فى هذا الحديث أن هذا القائل أمر بمباني الإسلام الخمس، و على هذا، فقد كان مسلماً فإنه قال: فقبلناه منك. و من المعلوم بالضرورة أن أحداً من المسلمين على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصبه هذا.

و أيضاً، فهذا الرجل لا يُعرف في الصحابه، بل هو من جنس الأسماء التي يذكرها الطريقيه، من جنس الأحاديث التي في سيره عنتر و دلهمه.

و قد صنّف الناس كتباً كثيره في أسماء الصحابه الذين ذكروا في شيء من الحديث، حتى في الأحاديث الضعيفه، مثل كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، و كتاب ابن منده، و أبي نعيم الأصبهاني، و الحافظ أبي موسى، و نحو ذلك. و لم يذكر أحد منهم هذا الرجل، فعلم أنه ليس له ذكر في شيء من الروايات، فإن هؤلاء لا يذكرون إلا ما رواه أهل العلم، لا يذكرون أحاديث الطريقيه، مثل «تنقلات الأنوار» للبركي الكذاب و غيره.

الوجه الثالث: أن يُقال: أنتم ادّعيتم أنكم أثبتتم إمامته بالقرآن، و القرآن ليس في ظاهره ما يدلّ على ذلك أصلاً؛ فإنه قال: «بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ». و هذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدلّ على شيء معيّن.

فدعوى المدعى أن إمامه عليّ هي مما بلّغها، أو مما أمر بتبليغها، لا تثبت بمجرد القرآن؛ فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معيّن، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك إثباتاً بالخبر لا بقرآن. فمن ادّعى أن القرآن يدلّ على [أن] إمامه عليّ مما أمر بتبليغها، فقد افتري على القرآن، فالقرآن لا يدلّ على ذلك عموماً و لا خصوصاً.

الوجه الرابع: أن يُقال: هذه الآيه، مع ما علم من أحوال النبي صلّى الله عليه و سلّم، تدلّ على نقيض ما ذكروه، و هو أن الله لم ينزلها عليه، و لم يأمره بها، فإنها لو كانت ممّا أمره الله بتبليغها، لبلّغها، فإنه لا يعصى الله في ذلك.

و لهذا قالت عائشه رضي الله عنها: «من زعم أن محمداً كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، و الله تعالى يقول: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ».

لكن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبي صلّى الله عليه و سلّم لم يبلّغ شيئاً من إمامه عليّ، و لهم على هذا طرق كثيره يثبتون بها هذا العلم.

منها: أن هذا مما تتوفر الهمم و الدواعى على نقله، فلو كان له أصل نُقل، كما نُقل أمثاله من حديثه، لا سيما مع كثره ما يُنقل فى فضائل على، من الكذب الذى لا أصل له، فكيف لا يُنقل الحق [الصدق] الذى قد بُلِّغ للناس؟!

و لأن النبى صلى لله عليه و سلم أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغه.

و منها: أن النبى صلى الله عليه و سلم لما مات، و طلب بعض الأنصار أن يكون منهم أمير و من المهاجرين أمير، فأنكر ذلك عليه، و قالوا: الإمامه لا تكون إلا فى قريش، و روى الصحابه فى [مواطن] متفرقه الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و سلم فى أن «الإمامه فى قريش»، و لم يرو واحد منهم، لا فى ذلك المجلس و لا غيره، ما يدل على إمامه على.

و بايع المسلمون أبا بكر، و كان أكثر بنى عبد مناف- من بنى أميه و بنى هاشم و غيرهم- لهم ميل قوى إلى على بن أبى طالب يختارون ولايته، و لم يذكر أحد منهم هذا النص. و هكذا أُجرى الأمر فى عهد عمر و عثمان، و فى عهده أيضا لما صارت له ولايه، و لم يذكر هو و لا أحد من أهل بيته و لا من الصحابه المعروفين هذا النص، و إنما ظهر هذا النص بعد ذلك.

و أهل العلم بالحديث و السننه الذين يتولون علياً و يحبونه، و يقولون: إن كان الخليفه بعد عثمان، كأحمد بن حنبل و غيره من الأئمه، قد نازعهم فى ذلك طوائف من أهل العلم و غيرهم، و قالوا: كان زمانه زمان فتنه و اختلاف بين الأمم، لم تتفق الأمه فيه لا عليه و لا على غيره.

و قال طوائف من الناس كالكراميه: بل هو كان إماماً و معاويه إماماً، و جَوَزوا أن يكون للناس إمامان للحاجه. و هكذا قالوا فى زمن ابن الزبير و يزيد، حيث لم يجدوا الناس اتفقوا على إمام.

و أحمد بن حنبل، مع أنه أعلم أهل زمانه بالحديث، احتج على إمامه عليّ بالحديث الذي في السنن: «تكون خلافه النبوه ثلاثين سنه ثم تصير ملكاً». و بعض الناس ضعف هذا الحديث، لكن أحمد و غيره يثبتونه.

فهذا عمدتهم من النصوص على خلافه عليّ، فلو ظفروا بحديث مسندٍ أو مرسلٍ موافق لهذا لفرحوا به.

فَعَلِمَ أَن مَا تَدَّعِيهِ الرَّافِضَةُ مِنَ النَّصِّ، هُوَ مِمَّا لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا.

و لهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات المكذوبه.

و قد جرى تحكيم الحكّمين، و معه أكثر الناس، فلم يكن في المسلمين من أصحابه و لا- غيرهم من ذكر هذا النص، مع كثره شيعته، و لا فيهم من احتج به في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم و الدواعي على إظهار مثل هذا النص.

و معلوم أنه لو كان النصّ معروفاً عند شيعة عليّ -فضلاً عن غيرهم- لكانت العاده المعروفة تقتضى أن يقول أحدهم: هذا نص رسول الله صلى الله عليه و سلم نصّ عليه لم يستحلّ عزله، و لو عزله لكان من أنكر عزله عليه يقول: كيف تعزل من نصّ النبي صلى الله عليه و سلم على خلافته؟

و قد احتجوا بقوله صلى الله عليه و سلم: «تقتل عمّاراً الفئه الباغيه» و هذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثه و نحوهم، و ليس هذا متواتراً. و النص عند القائلين به متواتر، فيا لله العجب كيف ساغ عند الناس احتجاج شيعة عليّ بذلك الحديث، و لم يحتج أحد منهم بالنص؟ (1)

ص: ٣١٠

أقول:

يتلخص كلامه المشتمل على الاستطراد الكثير من جهه، و على السب للإماميه من جهه اخرى فى نقاط:

١- تكذيب خبر نزول الآيه فى غدير خم.

٢- إن أبا نعيم و النقاش و الثعلبى و الواحدى و نحوهم من المفسرين و المحدّثين اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيراً من الكذب الموضوع.

٣- اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن الحديث المذكور الذى رواه الثعلبى فى تفسيره هو من الموضوع.

٤- الذين صنّفوا فى الفضائل يذكرون أحاديث كثيره و هى ضعيفه بل موضوعه باتفاق أهل العلم.

٥- فى نفس هذا الحديث ما يدلّ على أنه كذب من وجوه كثيره:

أ- فيه «الأبطح» و هو بمكّه، و النبىّ رجع إلى المدينه لا إلى مكه.

ب- سوره سأل سائل مكّيه نزلت قبل الهجره.

ج- قوله: «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...» فى سوره الأنفال و هى نزلت عقب بدر قبل غدير خم بسنين كثيره.

د- نزول العذاب ينافى قوله تعالى «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ».

ه- يفيد الحديث أن الأعرابى المعترض على النبى كان مسلماً. و من المعلوم بالضروره أن أحداً من المسلمين على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله لم يصبه العذاب المذكور فى الحديث.

و- إن هذا الرجل لا يعرف فى الصحابه.

٦- قوله تعالى «بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» عام فى جميع ما انزل إليه و لا يدلّ على شىء معيّن.

ص: ٣١١

٧- النبي لا يعصى الله في أوامره، و هو لم يبلغ شيئاً من إمامه على، فلم يكن مأموراً بذلك.

أقول:

و تفصيل الكلام في هذا المقام هو:

إنَّ المروىَّ في كتب الحديث و التفسير نزول ثلاثة آيات من القرآن الكريم في واقعه غدِير خم، فنزلت الآية «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...» قبل خطبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و نزلت الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...» بعد فراغه منها، و نزلت الآية: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» في قضية الأعرابي الذي اعترض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فيما قاله في حق أمير المؤمنين على عليه السَّلام.

و إليك البيان فيما يتعلَّق بالآية الاولى، فنقول:

لقد روى نزول الآية المباركة في واقعه غدِير خم جماعه كبيره من أعلام أهل السنة، منهم:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.

٢- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧.

٣- أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، المتوفى سنة ٣٣٠.

٤- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الفارسي الشيرازي، المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١.

٥- أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.

٦- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

٧- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.

٨- أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني، المتوفى سنة ٤٧٧.

٩- أبو القاسم عبد الله بن عبيد الله الحاكم الحسكاني.

١٠- أبو بكر محمد بن مؤمن، صاحب كتاب ما نزل في علي و أهل البيت.

١١- أبو الفتح محمد بن علي بن إبراهيم النطنزي، المتوفى حدود سنة ٥٥٠.

١٢- أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.

١٣- أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.

١٤- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٥٣.

١٥- عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الموصلبي، المتوفى سنة ٦٦١.

١٦- نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، صاحب التفسير.

١٧- السيد علي بن شهاب الدين الهمداني، المتوفى سنة ٧٨٦.

١٨- نور الدين علي بن محمد ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

١٩- بدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥.

٢٠- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

٢١- القاضي محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

٢٢- السيد شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠.

٢٣- الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٣.

وقد أوردنا نصوص روايات جمع منهم في قسم حديث الغدير من كتابنا الكبير (١).

من الأسانيد المعتبرة

إشاره

ثم إن الروايات المعتبرة سنداً في نزول الآيه المباركه يوم غدير خم كثيره كذلك، و منها:

١-روايه الحبري:

قال «حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن

ابن عباس، فى قوله «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ»:

نزلت فى على عليه السلام.

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد على عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من ولاه، و عاد من عاداه» (١).

٢-روايه ابن أبى حاتم

فإنه أخرج فى تفسير الآيه: «حدثنا أبى، ثنا عثمان بن خرزاد، ثنا إسماعيل بن زكريا، ثنا على بن عباس، عن الأعمش و أبى الجحاف، عن عطيه العوفى، عن أبى سعيد الخدرى قال: نزلت هذه الآيه «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» فى على بن أبى طالب» (٢).

و هذا السند صحيح قطعاً.

*أما «أبو حاتم» الرازى، فعنى عن التعريف.

*و أمياً «عثمان بن خرزاد» و هو عثمان بن عبد الله بن محمّد بن خرزاد البصرى، أبو عمرو، الحافظ، نزيل أنطاكيه المتوفى سنه ٢٨١، فهو من رجال النسائى، قال ابن أبى حاتم: كان رفيق أبى فى كتابه الحديث فى بعض بلدان الشام و هو صدوق، أدركته و لم أسمع منه، و قال الحاكم: ثقة مأمون، و قال مسلمه: كان ثقة حافظاً....

ذكر ابن حجر و غيره هذه الكلمات، و ما ذكر له جرحاً من أحد (٣).

*و أما «إسماعيل بن زكريا» و هو الخلفانى الأسدى، المتوفى سنه ١٧٤، و هو من

ص: ٣١٤

١-١) تفسير الحبرى: ٢٦٢.

٢-٢) تفسير ابن أبى حاتم ١١٧٢/٤ برقم ٦٦٠٩.

٣-٣) تهذيب التهذيب ١٢٠/٧.

رجال الصحاح الستة (١).

*و أما سائر رجال السند فسنذكرهم.

٣-روايه أبي نعيم:

قال: «حدّثنا أبو بكر ابن خلّاد، قال: حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، قال:

حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن ميمون، قال: حدّثنا عليّ بن عباس، عن أبي الجيّاف و الأعمش، عن عطيه، عن أبي سعيد الخدرى، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» (٢).

*أمّا أبو بكر ابن خلّاد فهو: أبو بكر أحمد بن يوسف البغدادي، المتوفى سنة ٣٥٩، ترجم له الخطيب فى تاريخه، و الذهبى فى سيره، و غيرهما:

قال الخطيب: «كان لا يعرف شيئاً من العلم، غير أنّ سماعه صحيح».

و قال أبو نعيم: «كان ثقة».

و كذا وثّقه أبو الفتح ابن أبى الفوارس (٣).

و وصفه الذهبى ب «الشيخ الصدوق، المحدث، مسند العراق» (٤).

*و أمّا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، المتوفى سنة ٢٩٧، فقد ترجم له الذهبى، و وصفه ب: «الإمام الحافظ المسند» ثمّ قال: «و جمع و صنّف، و له تاريخ كبير، و لم يرزق خطأ، بل نالوا منه، و كان من أوعيه العلم».

ص: ٣١٥

١-١) تهذيب الكمال ٩٢/٣.

٢-٢) خصائص الوحي المبين-للشيخ يحيى بن الحسن الحلّى، المعروف بابن البطريق، المتوفى سنة ٦٠٠-٥٣، عن كتاب ما نزل من القرآن فى عليّ، للحافظ أبى نعيم الأصفهاني.

٣-٣) تاريخ بغداد ٢٢٠/٥-٢٢١.

٤-٤) سير أعلام النبلاء ٦٩/١٦.

و قال: «قال صالح جزره: ثقه».

و قال ابن عدى: «لم أر له حديثاً منكراً فأذكره».

ثم نقل تكلم بعض معاصريه فيه، و هم عبد الله بن أحمد، المتوفى سنة ٢٩٠، و ابن خراش، المتوفى سنة ٢٨٣، و مطين، المتوفى سنة ٢٩٧، و الظاهر وجود اختلافات بينهم و بينه، ممّا أدى إلى أن يذكره بسوء، لا سيما ما كان بينه و بين أبي جعفر مطين، إذ كان كلُّ منهما يذكر الآخر بسوءٍ و ينال منه (١).

و من هنا فقد نصّ غير واحدٍ من الحفاظ - كالذهبي - على أنّ كلام الأقران بعضهم فى بعض غير مسموع.

* و أمّا إبراهيم بن محمد بن ميمون، فقد ذكره ابن حبان فى الثقات قائلاً:

«إبراهيم بن محمد بن ميمون الكندى الكوفى، يروى عن سعيد بن حكيم العيسى و داود بن الزبرقان. روى عنه أحمد بن يحيى الصوفى» (٢).

و لم أجد له ذكراً فى كتب الضعفاء....

و قد ينقم عليه روايته لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و كم له من نظير! فقد ذكر الذهبى بترجمه أحمد بن الأزهر: «و هو ثقه بلا تردّد، غاية ما نعموا عليه ذاك الحديث فى فضل عليّ رضى الله عنه» (٣).

يعنى: ما رواه عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن ابن عباس، قال:

نظر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى عليّ بن أبى طالب، فقال: أنت سيد فى الدنيا، سيد فى الآخرة، حبيبك حبيبى، و حبيبى حبيب الله، و عدوك عدوى،

ص: ٣١٦

١-١ (١) تاريخ بغداد ٤٣/٣.

١-٢ (٢) الثقات ٧٤/٨.

١-٣ (٣) سير أعلام النبلاء ٣٦٤/١٢.

و عدوى عدو الله، فالويل لمن أبغضك بعدى».

قال الحاكم: «حدّث به ابن الأزهر ببغداد فى حياه أحمد و ابن المدينى و ابن معين، فأنكره من أنكره، حتّى تبيّن للجماعه أنّ ابن الأزهر برىء الساعه منه، فإنّ محلّه محلّ الصادقين» (١).

و لهذا الحديث قصّه، فإنّه لأجله ذكر أحمد بن الأزهر فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٢) بل ذكر فيه عبد الرزاق بن همام أيضاً (٣).

لكنّ أحمد بن الأزهر «ثقه بلا- تردّد» و «محلّه محلّ الصادقين»، و عبد الرزاق بن همام من رجال الصحاح السنّه و شيخ البخارى (٤) ... مع ذلك فالحديث كذب!!

«لمّا حدّث أبو الأزهر بحديثه عن عبد الرزاق فى الفضائل، أخبر يحيى بن معين بذلك، فبينما هو عند يحيى فى جماعه أهل الحديث إذ قال يحيى: من هذا الكذاب النيسابورى الذى حدّث بهذا عن عبد الرزاق؟! فقام أبو الأزهر فقال: هو ذا أنا. فتبسّم يحيى بن معين، و قال أما إنك لست بكذاب؛ و تعجّب من سلامته و قال: الذنب لغيرك فيه!» (٥).

فرواه الحديث كلّهم أئمّه ثقات.

و مع ذلك فهو كذب!!

و قال الذهبى: فى النفس من آخره شيء (٦)!! يعنى جمله: «فالويل لمن أبغضك بعدى»!!

و لا يخفى السبب فى ذلك!!

ص: ٣١٧

١-١) سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١٢.

٢-٢) ميزان الاعتدال ٨٢/١.

٣-٣) ميزان الاعتدال ٦٠٩/٢.

٤-٤) تقريب التهذيب ٥٠٥/١.

٥-٥) سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١٢.

٦-٦) ميزان الاعتدال ٦١٣/١٢.

فما الحيله في ردّه، مع صحّحه سندّه؟!

قالوا: إنّ معمرًا كان له ابن أخ رافضى، و كان معمر مكنه من كتبه فأدخل عليه هذا الحديث، و كان معمر رجلاً مهيباً لا يقدر عليه أحد في السؤال و المراجعة، فسمعه عبد الرزاق في كتاب ابن أخى معمر، و حدث به أبا الأزهر و خصّه به دون أصحابه (١)!!

قال الذهبى بعد نقله:

«قلت: و لتشيع عبد الرزاق سرّ بالحديث و كتبه، و ما راجع معمرًا فيه، و لكنّه ما جسر أن يحدث به لمثل أحمد و ابن معين و على، بل و لا خرّجه فى تصانيفه، و حدث به و هو خائف يترقب» (٢).

هذا موجز هذه القصّه... و الشاهد من حكايتها أنّهم كثيراً ما ينقمون على الرجل -مع اعترافهم بثقته- روايته حديثاً فى فضل أمير المؤمنين عليه السلام أو الطعن فى أعدائه و مبغضيه، و يضطربون أشد الاضطراب، فإن أمكنهم التكلّم فى وثاقته فهو، و إلّا عمدوا إلى تحريف لفظ الحديث، أو بتره، و إلّا وضعوا شيئاً فى مقابلته، و إلّا نسبوا وضعه إلى مثل «ابن أخ معمر» و «كان رافضياً» و «كان معمر يمكنه من كتبه» بأنّه دسّ الحديث فى الكتاب، و لم يشعر بذلك لا معمر، و لا عبد الرزاق، و لا غيرهما!!

و لكن من هو هذا الشخص؟! و ما الدليل على كونه رافضياً؟! و كيف كان يمكنه معمر من كتبه و أن يكتب له؟ مع علمه بكونه رافضياً أو كان جاهلاً بذلك؟!

و على الجملة، فإنّ «إبراهيم بن محمّد بن ميمون» ثقّه، بتوثيق ابن حبان من دون معارض، غير أنّه من رواه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

* و كذلك شيخه «على بن عابس» فإنّه من رجال صحيح الترمذى (٣)، لكنهم

ص: ٣١٨

١-١ (١) تاريخ بغداد ٤/٤٢٠.

٢-٢ (٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٣٦٧.

٣-٣ (٣) تقريب التهذيب ٢/٣٩.

تكلّموا فيه لا لشيء، وإنما لروايته هذا الحديث و أمثاله من الفضائل و المناقب، و ممّا يشهد بذلك قول ابن عدى: «له أحاديث حسان، و يروى عن أبان بن تغلب و عن غيره أحاديث غرائب، و هو مع ضعفه يكتب حديثه» (١).

و إذا عرفنا أنّ «أبان بن تغلب» من أعلام الإماميّة الاثني عشرية الثقات (٢) عرفنا لما ذا تكون رواياته «أحاديث غرائب»! و عرفنا أنّهم لا يضعّفون «علّى بن عابس» إلا لروايته تلك الأحاديث، و أمّا فى غيرها فهو ثقة فى نفسه و لذا «يكتب حديثه»!

أى: عدا الفضائل و هى «أحاديث غرائب» كما وصفها، و لو كان الرجل كذاباً لما جاز قوله: «يكتب حديثه» أصلاً!!

* و كذلك شيخه «أبو الجحّاف» داود بن أبى عوف، فهو من رجال أبى داود و النسائى و ابن ماجه، و وثّقه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، و قال أبو حاتم: صالح الحديث، و قال النسائى: ليس به بأس (٣) و مع ذلك، فالرجل ممّن لا يحتجّ به عند ابن عدى! و هو يعترف بعدم تكلم أحد فيه!

و لما ذا؟!....

استمع إليه ليذكر لك السبب، فقد قال: «و لأبى الجحّاف أحاديث غير ما ذكرته، و هو من غاليه التشيع، و عامّه حديثه فى أهل البيت، و لم أر لمن تكلم فى الرجال فيه كلاماً، و هو عندى ليس بالقوى، و لا ممّن يحتجّ به فى الحديث» (٤).

ص: ٣١٩

١- ١) الكامل فى الضعفاء ١٩٠/٣ ذيل رقم ١٣٤٧.

٢- ٢) هو من رجال مسلم و الأربعة، و ثقوه و قالوا: هو من أهل الصدق فى الروايات و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و فى الميزان: شيعى جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه و عليه بدعته. و هو عند الجوز جاني الناصبي: مذموم المذهب، مجاهر زائغ! و انظر: الكامل فى الضعفاء ٣٨٩/١-٣٩٠ رقم ٢٠٧، أحوال الرجال: ٦٧ رقم ٧٤.

٣- ٣) ميزان الاعتدال ١٨/٢.

٤- ٤) الكامل فى الضعفاء ٨٢/٣-٨٣ ذيل رقم ٦٢٥.

* وأما «الأعمش» فهو من رجال الصحاح الستة (١).

و تلخّص:

إنّ حديث أبي نعيم معتبر، ولا مجال للتكلم في أحد من رجال إسناده، ولو كان بعضهم من الشيعة فهو ثقة، وقد تقرّر أن التشيع، بل الرفض عندهم غير مضرّ بالوثاقه، وهذا ما كرّرنا نقله عن الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره.

* وأما «عطيه».. فسيأتي.

٤- روايه ابن عساکر:

قال: «أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر، أنبأنا أبو حامد الأزهرى، أنبأنا أبو محمّد المخلمدى الحلوانى، أنبأنا الحسن بن حمّاد سجّاده، أنبأنا عليّ بن عابس، عن الأعمش و أبي الجحّاف، عن عطيه، عن أبي سعيد الخدرى، قال: نزلت هذه الآية: «يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم يوم غدیر خمّ فى عليّ بن أبى طالب» (٢).

* أما «وجيه بن طاهر»، المتوفّى سنة ٥٤١:

قال ابن الجوزى: «كان شيخاً، صالحاً، صدوقاً، حسن السيره، منور الوجه و الشيبه، سريع الدمعه، كثير الذکر. و لى منه إجازة بمسموعاته و مجموعاته» (٣).

و قال السمعانى: «كتبت عنه الكثير، و كان يملى فى الجامع الجديد بنيسابور كلّ جمعه مكان أخيه، و كان خير الرجال، متواضعاً متودّداً، ألوفاً، دائم الذکر، كثير التلاوه، وصولاً للرحم، تفرّد فى عصره بأشياء...» (٤).

ص: ٣٢٠

١- (١) تقريب التهذيب ٣٣١/١.

٢- (٢) ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٨٦/٢.

٣- (٣) المنتظم ٥٤/١٨.

٤- (٤) سير أعلام النبلاء ١١٠/٢٠.

و قال الذهبي: «الشيخ العالم، العدل، مسند خراسان» (١).

* أمّا «أبو حامد الأزهرى» أحمد بن الحسن النيسابورى، المتوفى سنة ٤٦٣:

قال الذهبي: «الأزهرى، العدل، المسند، الصدوق، أبو حامد أحمد ابن الحسن بن محمّد بن الحسن بن أزهر، الأزهرى، النيسابورى، الشروطى، من أولاد المحدثين. سمع من أبى محمّد بن المخلدى... حدّث عنه: زاهر و وجيه ابنا طاهر... توفى فى رجب سنة ٤٦٣» (٢).

* أمّا «أبو محمّد المخلدى» الحسن بن أحمد النيسابورى، المتوفى سنة ٣٨٩:

قال الحاكم: «هو صحيح السماع و الكتب، متقن فى الروايه، صاحب الإملاء فى دار السنّه، محدّث عصره، توفى فى رجب سنة ٣٨٩» (٣).

و قال الذهبي: «المخلدى، الشيخ الصدوق، المسند أبو محمّد... العدل، شيخ العدالة، و بقيه أهل البيوتات...» (٤).

* أمّا «أبو بكر محمّد بن حمدون» النيسابورى، المتوفى سنة ٣٢٠:

قال الحاكم: «كان من الثقات الأثبات الجوالين فى الأقطار، عاش ٨٧ سنة» (٥).

و قال الخليلي: «حافظ كبير» (٦).

و قال الذهبي: «الحافظ الثبت المجود» (٧).

* أمّا «محمّد بن إبراهيم الحلوانى» (٨)، المتوفى سنة ٢٧٦ (٩).

ص: ٣٢١

١-١) سير أعلام النبلاء ١٠٩/٢٠.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ٢٥٤/١٨.

٣-٣) سير أعلام النبلاء ٥٤٠/١٦.

٤-٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٩/١٦.

٥-٥) سير أعلام النبلاء ٦١/١٥.

٦-٦) سير أعلام النبلاء ٦١/١٥.

٧-٧) سير أعلام النبلاء ٦٠/١٥.

٨-٨) بليده من بلاد نيسابور. معجم البلدان ٢٩٤/٢.

٩-٩) المنتظم ٢٧٩/١٢.

قال الخطيب: «محمد بن إبراهيم بن عبد الحميد، أبو بكر الحلواني، قاضي بلخ، سكن بغداد، وحدث بها... روى عنه: إسماعيل ابن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، وأبو عمرو ابن السماك، وحمزة بن محمد الدهقان. وكان ثقة» (١).

وقال ابن الجوزي: «وكان ثقة» (٢).

أما «الحسن بن حماد سجاده»، المتوفى سنة ٢٤١:

فهو من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه.

وقال أحمد بن حنبل: «صاحب سننه، ما بلغني عنه إلا خير» (٣).

وقال الذهبي: «كان من جله العلماء و ثقاتهم في زمانه» (٤).

وقال ابن حجر: «صدوق» (٥).

* وأما «علي بن عابس» و«أبو الجحاف» و«الأعمش» فقد تقدم الكلام عليهم.

* وبقى «عطيته».

٥- روايه الواحدى:

وبما ذكرنا تظهر صحه إسناد الواحدى فى أسباب النزول، و ذلك لأنه السند المتقدم نفسه، و شيخه «أبو سعيد محمد بن علي الصفار» الراوى عن «الحسن بن أحمد المخلصى» إلى آخر السند، ترجم له الحافظ أبو الحسن عبد الغافر الفارسى، المتوفى سنة ٥٢٩، قال:

«محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حبيب الصفار، أبو سعيد، المعروف

ص: ٣٢٢

١- (١) تاريخ بغداد ٣٩٨/١.

٢- (٢) المنتظم ٢٧٩/١٢.

٣- (٣) سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١١.

٤- (٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١١.

٥- (٥) تقريب التهذيب ١٦٥/١.

بالخُشَّاب، ابن أخت أبي سهل الخُشَّاب اللحياني، شيخ مشهور بالحديث، من خواصّ خدم أبي عبد الرحمن السلمى، وكان صاحب كتب، أوصى له الشيخ بعد وفاته و صار بعده بندار كتب الحديث بنيسابور، وأكثر أقرانه سماعاً و أصولاً، وقد رزق الإسناد العالى، و كتبه الأصول، و جمع الأبواب، و إفاده الصبيان، و الروايه إلى آخر عمره، و بيته بيت الصلاح و الحديث.

ولد سنة ٣٨١، و توفى فى ذى القعدة سنة ٤٥٦... (١).

و ذكر الذهبى و ابن العماد فى وفيات سنة ٤٥٦ من العبر و شذرات الذهب.

* ترجمه عطيه:

و أمّا «عطيه العوفى» فقد ترجمنا له بالتفصيل فى بعض بحوثنا (٢)، و ذكرنا:

أنّه من مشاهير التابعين، و قد قال الحاكم النيسابورى - فى كلام له حول التابعين - : «فخير الناس قرناً بعد الصحابه من شافه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و حفظ عنهم الدين و السنن، و هم قد شهدوا الوحى و التنزيل» (٣).

و أنّه من رجال البخارى فى كتابه الأدب المفرد.

و أنّه من رجال صحيح أبى داود، الذى قال أبو داود: «ما ذكرت فيه حديثاً أجمع الناس على تركه» و قال الخطابى: «لم يصنّف فى علم الدين مثله، و هو أحسن وضعاً و أكثر فقهاً من الصحيحين» (٤).

و أنّه من رجال صحيح الترمذى، الذى حكوا عن الترمذى قوله فيه: «صنّف هذا

ص: ٣٢٣

١- (١) تاريخ نيسابور: ٥٤ رقم ١٠٣.

٢- (٢) راجع كتابنا: مع الدكتور السالوس فى آيه التطهير: ٦٥-٨٢.

٣- (٣) معرفه علوم الحديث: ٤١.

٤- (٤) المرقاه فى شرح المشكاه ٢٢/١.

الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، و عرضته على علماء العراق فرضوا به، و عرضته على علماء خراسان فرضوا به. و من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم».

و أنه من رجال صحيح ابن ماجه، الذي قال أبو زرعه-بعد أن نظر فيه-:«لعله لا- يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً ممّا في إسناده ضعف» (١).

و أنه من رجال مسند أحمد، و قد قال الحافظ السيوطي عن بعض العلماء:«إنّ أحمد شرط في مسنده الصحيح» (٢).

و أنه قد وثقه ابن سعد، و قال الدوري عن يحيى بن معين:صالح، و قال أبو بكر البزار:يعدّ في التشيع، روى عنه جلّه الناس.

و بعد، فمن الذي تكلم في عطيه؟!!

تكلم فيه الجوزجاني، الذي نصّ الحافظ ابن حجر العسقلاني على أنه:«كان ناصبياً منحرفاً عن عليّ»... و تبعه من كان على شاكلته، و قد نصّ الحافظ ابن حجر على أنه لا ينبغي أن يسمع قول المبتدع (٣).

و لما ذا تكلم فيه من تكلم؟!!

لأنّه كان يقدم أمير المؤمنين عليه السلام على الكلّ، و أنّه عرض على سب أمير المؤمنين عليه السّلام، فأبى أن يسبّ، فضرب أربعمائه سوط و خلقت لحيته... و كلّ ذلك بأمر من الحجاج بن يوسف، لعنه الله و لعن من سلك سبيله و أدخله مدخله....

أقول:

و هنا نقاط:

ص: ٣٢٤

١-١) تذكره الحفاظ ١٨٩/٢.

٢-٢) تدريب الراوي ١٧١/١-١٧٢.

٣-٣) مقدّمه فتح الباري: ٣٨٧.

١- حديث نزول الآية المباركة يوم الغدير في أمير المؤمنين و ولايته عليه السلام، أخرجه كبار الأئمة الأعلام من أهل الشئته عن عدّه من الصحابه، وهم:

١- عبد الله بن عباس.

٢- أبو سعيد الخدرى.

٣- زيد بن أرقم.

٤- جابر بن عبد الله الأنصارى.

٥- البراء بن عازب.

٦- أبو هريره.

٧- عبد الله بن مسعود.

٨- عبد الله بن أبى أوفى.

٢- قال السيوطى: «و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك» - أنّ عليّاً مولى المؤمنين - «و إنّ لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من الناس» (١).

٣- إنّ من رواه هذا الحديث: ابن أبى حاتم الرازى، قال السيوطى: «و أخرج ابن أبى حاتم و ابن مردويه و ابن عساكر عن أبى سعيد الخدرى قال: نزلت هذه الآية:

«يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك» على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم غدیر خمّ فى على بن أبى طالب» (٢).

و«ابن أبى حاتم» قد نصّ ابن تيمية و أتباعه على أنه لم يخرج فى تفسيره حديثاً موضوعاً... و قد أوردنا ذلك فى بحوثنا الماضيه، كما ستعرفه قريباً أيضاً.

ص: ٣٢٥

١- (١) الدر المنثور ٢/٢٩٨.

٢- (٢) الدر المنثور ٢/٢٩٨.

و تلخّص:

إنّ القول الحقّ المتفق عليه بين المسلمين: نزول الآية يوم غدیر خمّ في أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام.

أقول:

أمّا قول ابن تيمية: إنّ في روايات أبي نعيم و الثعلبي و الواحدی، موضوعات كثيرة؛ فهذا حقّ و نحن نوافق عليه، إذ ليس هناك - بعد كتاب الله عزّ و جلّ - كتاب خالٍ عن الموضوعات، حتّى الكتب المسماة بالصحيح... ففي صحيح البخارى - الذى يقدمه أكثر القوم على غيره من الكتب مطلقاً - أكاذيب و أباطيل، ذكرنا بعضها في بعض كتبنا استناداً إلى أقوال كبار الحفاظ من شراحه كابن حجر العسقلانى و غيره.

فالمنقولات، فيها كثير من الصدقّ و كثير من الكذب، و المرجع في التمييز إلى أهل علم الحديث و علماء الجرح و التعديل... كما قال.

و لذا، فإنّا أثبتنا على ضوء كلمات علماء الحديث و الرجال صحّحه أسانيد حديث نزول الآية في الغدير، و كذلك في غير هذا الحديث ممّا وقع الاستدلال به من قبل العلامة رحمه الله، بتوثيق رجالها واحداً واحداً... و إذا ثبت صحّحه الحديث و جب على الكلّ القبول به، و من كذب به حينئذٍ فقد كذب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في ما قال و فعل، و هذا كفر بالله، نعوذ بالله منه.

و على الجملة، فليس الاستدلال بمجرّد عزو الحديث إلى روايه الثعلبي أو غيره، بل الاستدلال به يكون بعد تصحيحه على القواعد المقرّره في علم الحديث و الرجال.

و أمّا قوله: إنّ هذا الاستدلال ليس بالقرآن بل هو بالحديث؛ فهذا تعصّب واضح؛ لأنّ ابن تيمية نفسه يستدلّ بقوله تعالى: «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (١) لإثبات فضيله لأبى بكر، فيقول: «إنّ الفضيله في الغار ظاهره بنصّ

ص: ٣٢٤

القرآن، لقوله تعالى: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»... وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر...» (١).

فجعل الحديث مفسراً للآية، وجعل فيها فضيله لصاحبه....

و كذلك: يدعى نزول قوله تعالى: «وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» (٢) في أبي بكر مستدلاً ببعض رواياتهم فيقول:

«وقد ذكر غير واحدٍ من أهل العلم أنها نزلت في قصه أبي بكر. وكذلك ذكره ابن أبي حاتم و الثعلبي أنها نزلت في أبي بكر عن عبد الله بن المسيّب. و ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان، حدثنا هشام بن عروه، عن أبيه، قال:

أعتق أبو بكر سبعة كلهم يعذب في الله... قال: وفيه نزلت «وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى» إلى آخر السورة» (٣).

و هكذا في مواضع أخرى....

أمّا حين يستدل الإماميه بآيه: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...» على إمامه أمير المؤمنين، بمعونه أحاديث صحيحة رواها ابن أبي حاتم و الثعلبي و أمثالهما من المفسرين و المحدثين من أهل السنة في تفسيرها و بيان سبب نزولها، يقول: «فمن ادعى أنّ القرآن يدلّ على أنّ إمامه عليّ ممّا أمر بتبليغه فقد افتري على القرآن» (٤).

مع أنّ استدلال الإماميه بأحاديث القوم مطابق للقاعده المقرّره في البحث و المناظره؛ لأنّهم ملزمون بما يروونه، بخلاف استدلالاتهم في مقابله الإماميه؛ لأنّ

ص: ٣٢٧

١- ١) منهاج السنّه ٣٧٣/٨.

٢- ٢) سورة الليل ٩٢: ١٧.

٣- ٣) منهاج السنّه ٤٩٥/٨.

٤- ٤) منهاج السنّه ٤٧/٧.

أحاديثهم ليست بحجّه عند الاماميّه حتّى لو كانت مخرّجه في ما يسمّونه بالصحيح.

فانظر من المفترى؟!!

و تلخّص: أن كلّ ما ذكره حول نزول الآيه في غدِير خم مردود، و ثبت أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قد امر بتبليغ خصوص إمامه أمير المؤمنين في غدِير خم على ما بلّغه و فعله صلّى الله عليه و آله.

محاوَلات بأَسه

و بما ذكرنا يظهر سقوط تمخّلات المتعصّبين لصرف الآيه المباركه عن الدلاله على ولايه أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام.

و هناك محاوَلاتُ عمدتها:

١-الأخذ بالسياق.

٢-الأحاديث المرويّه في قبال حديث نزولها في أمير المؤمنين يوم الغدير.

و لا يُدّ قبل الدخول في البحث من أن نعلم بأنّ الآيه المباركه من سوره المائده، و أنّ هذه السوره هي آخر ما نزل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم باتّفاق الفريقين.

فلاحظ: تفسير القرطبي، و تفسير الخازن، و الإتقان في علوم القرآن ١/٢٦-٥٢، و غيرها من كتب العامّه.

و في تهذيب الأحكام لشيخ الطائفه أبي جعفر الطوسي -بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّها نزلت قبل أن يقبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بشهرين أو ثلاثه (١).

ص: ٣٢٨

١-١ تهذيب الأحكام ١/٣٦١.

و قال العياشى فى تفسيره:إنّها آخر ما نزل من القرآن.

و حينئذٍ نقول: كما جعل الأوّلون آيه التّطهير ضمن آيات زوجات النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم، و اتّخذ أتباعهم ذلك أساساً للقول بنزولها فى الزوجات، كذلك الحال فى آيه التّبلغ، فقد وضعت فى سياق آيات الكلام مع اليهود و النصارى، ثمّ جاء اللّاحقون و استندوا إلى سياق الآيه فراراً من الإذعان للحقيقه:

قال الرازى: «إعلم أنّ هذه الروايات و إن كثرت، إلّا أنّ الأولى حمّله على أنّه تعالى آمنه من مكر اليهود و النصارى، و أمره بإظهار التّبلغ من غير مبالاه منه بهم، و ذلك لأنّ ما قبل هذه الآيه بكثير و ما بعدها بكثير، لمّا كان كلاماً مع اليهود و النصارى، امتنع إلقاء هذه الآيه الواحده فى البين على وجه تكون أجنبيّه عمّا قبلها و ما بعدها» (١).

و كأنّ الرازى قد غفل عن أنّ الآيه فى سوره المائده، و هى إنّما نزلت فى أخريات حياه النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم، حين لم يكن يهاب اليهود و لا- النصارى و لا- قريشاً، و أنّ السياق إنّما يكون قريبه إذا لم يكن فى مقابله نصّ معتبر، و قد صرح الفخر الرازى نفسه بأنّ نزول الآيه فى فصل أمير المؤمنين عليه السلام هو قول ابن عبّاس و البراء بن عازب و الإمام محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام، فى حين أنّه لم يعضد القول الذى حمل الآيه عليه- و لا غيره من الأقوال التى ذكرها- بقول أىّ أحدٍ من الصحابه.

و أمّا الأحاديث التى يروونها فى المقام فى مقابله حديث نزول الآيه المباركه فى الإمام عليه السلام، فإن شئت الوقوف عليها فراجع تفسير الطبرى و الدرّ المنثور للسيوطى- و لعلّ الثّانى هو أجمع الكتب لها- و ستجدها متناقضه فيما بينها، فضلاً عن كونها مردوده بإجماع الفريقين على نزول سوره المائده فى الأيام الأخيره من حياه الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم.

ص: ٣٢٩

فمن ذلك ما أخرجه الطبراني و أبو الشيخ و أبو نعيم فى الدلائل و ابن مردويه و ابن عساکر، عن ابن عباس، قال: «كان النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يُحرس، و كان يرسل معه عمّه أبو طالب كلّ يوم رجالاً من بنى هاشم يحرسونه.

فقال: يا عمّ! إنّ الله قد عصمنى، لا حاجة لى إلى من تبعث».

أورده السيوطى فى ذيل الآيه المباركه، و هو- إن كان له علاقه بنزول الآيه المباركه-خبر مكذوب؛ لأنّه يفيد نزولها فى مكّه، و هو قول مردود بالإجماع.

و ما أخرجه ابن مردويه و الضياء فى المختاره، عن ابن عباس، قال: «سئل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أى آيه أنزلت من السماء أشدّ عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم، و اجتمع مشركو العرب و أفناء الناس فى الموسم، فنزل علىّ جبرئيل فقال:

«يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

قال: فقامت عند العقبه فناديت: يا أَيُّهَا الناس! من ينصرنى على أن أبلغ رساله ربّى و لكم الجنّه؟

أَيُّهَا الناس! قولوا: لا إله إلاّ الله و أنا رسول الله إليكم، تنجحوا و لكم الجنّه.

قال: فما بقى رجل و لا امرأه و لا صبى إلاّ يرمون علىّ بالتراب و الحجاره، و يبصقون فى وجهى، و يقولون: كذاب صابىء! فعرض علىّ عارض فقال: يا محمّد! إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك.

فقال النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: اللهم اهد قومى فإنّهم لا يعلمون، و انصرنى عليهم أن يجيئونى إلى طاعتك.

فجاء العباس عمّه فأنقذه منهم و طردهم عنه.

قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، و يقولون: فيهم نزلت «إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» هوى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أبا طالب،

و شاء الله عباس بن عبد المطلب».

قلت:

و آيات الكذب على هذا الحديث لائحه.

و من الأحاديث المذكوره فى ذيل الآيه: أحاديث أن أصحابه صلى الله عليه و آله و سلم كانوا دائماً يحرسونه، حتى نزلت الآيه المباركه ففرقهم:

أخرج ابن جرير و أبو الشيخ، عن سعيد بن جبير، قال: «لما نزلت «يا أيها الرسول» إلى قوله: «و الله يعصمك من الناس» قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

لا تحرسونى! إن ربى قد عصمنى».

و أخرج ابن جرير و ابن مردويه، عن عبد الله بن شقيق، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يتعقبه ناس من أصحابه، فلما نزلت «و الله يعصمك من الناس» فخرج فقال: أيها الناس! الحقوا بملاحقكم، فإن الله قد عصمنى من الناس».

و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ، عن محمد بن كعب القرظى، أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما زال يحرس، يحارسه أصحابه، حتى أنزل الله «و الله يعصمك من الناس» فترك الحرس حين أخبره أنه سيعصمه من الناس.

و أخرج أبو نعيم فى الدلائل، عن أبى ذر، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا ينام إلا - و نحن حوله من مخافه الغوائل، حتى نزلت آيه العصمه: «و الله يعصمك من الناس»».

و أخرج الطبرانى و ابن مردويه، عن عصمه بن مالك الخطمى، قال: «كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالليل حتى نزلت «و الله يعصمك من الناس» فترك الحرس».

قلت:

و هذه الأحاديث ليس فيها ذكر سبب نزول الآيه، و لا تعارض حديث نزولها يوم

الغدِير فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام.

و بهذه الأحاديث يردّ ما زعموا من نزولها في أعرابي أراد قتله و هو نائم تحت شجره، و روى فيه حديثاً عن محمّد بن كعب القرظي، مع ما هنالك من قرائن الكذب!

و ممّا ذكره القوم في ذيل الآيه ما جاء في تفسير أبي الحسن الواحدى: «و قال الأنبارى: كان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يجاهر ببعض القرآن أيام كان يمكّه، و يخفى بعضه إشفافاً على نفسه من شرّ المشركين إليه و إلى أصحابه» (١).

و هذا كذب بلا شك و لا ريب! لكنّ العجيب أن ينسب هذا القول إلى الإماميه، كما في تفسير القرطبي، حيث قال: «و قبيح الله الروافض حيث قالوا: إنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم كتم شيئاً ممّا أوحى الله إليه - كان بالناس حاجه إليه» (٢)، و كما في شرح القسطلاني: «قالت الشيعة: إنّه قد كتم أشياء على سبيل التقيّه» (٣).

فانظر كيف يفترون على الله و الرسول، ثمّ لمّا التفتوا إلى قبحة نسبه زوراً و بهتاناً إلى غيرهم.. و كم له من نظير!! و إلى الله المشتكى، و هو المستعان.

قلت:

و ثمّيه أحاديث يروونها بتفسير الآيه المباركه غير منافيه للصحيح في سبب نزولها، إنّ لم نقل بجواز الاستدلال بها كذلك، باحتمال أنّ الراوى لم تسمح له الظروف بالتصريح بنزولها في يوم الغدير، أو صرّح و حرّف لفظه، كالحديث التالى:

أخرج أبو الشيخ، عن الحسن: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، قال: إنّ الله بعثنى برساليّ، فضقت بها ذرعاً و عرفت أنّ الناس مكذبىّ، فوعدنى لأبلغنّ أو ليعذبني، فأنزل: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»».

ص: ٣٣٢

١-١) التفسير الوسيط ٢٠٨/٢.

٢-٢) تفسير القرطبي ١٥٧/٦.

٣-٣) إرشاد السارى في شرح صحيح البخارى ٢١٠/١٠.

والحديث: أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن أبي حاتم و أبو الشيخ، عن مجاهد، قال: «لَمَا نَزَلَتْ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» قال: يا رب! إنما أنا واحد كيف أصنع؟! يجتمع على الناس! فنزلت: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ»».

هذا موجز الكلام على هذه الآيه، و به الكفايه لمن أراد الهدايه، و الله وليّ التوفيق.

أقول:

و أمّا خبر اعتراض الأعرابي على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و ما وقع من العذاب عليه، و نزول «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» الذي رواه العلماء عن الثعلبي، فنحن نذكر أولاً أسماء طائفة من رواه من أهل السنّه، ليظهر بطلان قول ابن تيميه: «باطل باتّفاق أهل العلم»، فنقول:

لقد وردت الروايه في كتب القوم عن عدّه كبيره من الأعلام، و رواه الكثيرون من المحدثين و المفسرين المشهورين في كتبهم، و إليك الأسماء:

١- أبو بكر السبيعي، المتوفى سنة ١٦٢.

٢- سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة ١٦١.

٣- سفيان بن عيينه، المتوفى سنة ١٩٨.

٤- أبو نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩.

٥- أبو عبيد الهروي، المتوفى سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤.

٦- إبراهيم بن حسين الكسائي، ابن ديزيل، المتوفى سنة ٢٨١.

٧- أبو بكر النقاش الموصلي، المتوفى سنة ٣٥١.

٨- أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧.

٩- أبو الحسن الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.

١٠- الحاكم الحسكاني النيسابوري، المتوفى سنة ٤٧٠.

١١- سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

- ١٢- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١.
- ١٣- شيخ الإسلام الحموي الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢.
- ١٤- الشيخ محمد الزرندي المدني الحنفي، المتوفى بعد سنة ٧٥٠.
- ١٥- ملك العلماء شهاب الدين الدوله آبادي، المتوفى سنة ٨٤٩.
- ١٦- نور الدين ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
- ١٧- نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، المتوفى سنة ٩١١.
- ١٨- شمس الدين الخطيب الشربيني القاهري، المتوفى سنة ٩٧٧.
- ١٩- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢.
- ٢٠- جمال الدين المحدث الشيرازي، المتوفى سنة ١٠٠٠.
- ٢١- زين الدين عبد الرؤوف المناوي، المتوفى سنة ١٠٣١.
- ٢٢- نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة ١٠٤٤.
- ٢٣- أحمد بن باكير المكي، المتوفى سنة ١٠٤٧.
- ٢٤- شمس الدين الحفني الشافعي، المتوفى سنة ١١٨١.
- ٢٥- أبو عبد الله الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.
- ٢٦- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢.
- ٢٧- السيد مؤمن الشبلنجي المصري، المتوفى بهد سنة ١٣٢٢.
- ٢٨- الشيخ محمد عبده، المتوفى سنة ١٣٢٣.

القضية كما في الروايات:

و القضية في مجملها كما في الروايات: إنه لما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبته في غدير خم، و قال فيها ما شاء الله أن يقول، و ذكر أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام حتى قال: «أيها الناس! أ لست أولى بكم من أنفسكم؟! قالوا:

بلى. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه...» و بايع القوم علياً...، و طار الخبر فى الأقطار، و شاع فى البلاد و الأمصار، فبلغ الناس الذين لم يكونوا مع رسول الله فى حجته....

أتاه رجل (١) على ناقه له، فأناخها على باب مسجده، ثم عقلها، فدخل فى المسجد، و رسول الله جالس و حوله أصحابه، فجثا بين يديه، فقال:

يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله، و أنك رسول الله؛ فقبلنا منك ذلك.

و إنك أمرتنا أن نصلّى خمس صلوات فى اليوم و الليله، و نصوم رمضان، و نحج البيت، و نزكى أموالنا؛ فقبلنا منك.

ثم لم ترض بهذا، حتى رفعت بضبعى ابن عمك، و فضلته على الناس، و قلت:

من كنت مولاه فعليّ مولاه!

فهذا شىء منك أو من الله؟!

فقال رسول الله -و قد أحمرت عيناه-: و الله الذى لا إله إلا هو، إنّه من الله و ليس منى. قالها ثلاثاً.

فقام الرجل و هو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً، فأرسل علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم.

قال الراوى: فو الله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجرٍ، فوقع على هامته، فخرج من دبره، و مات. و أنزل الله تعالى: «سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ».

رواه هذا الخبر من الأئمة عليهم السلام و الأصحاب:

و قد جاء هذا الخبر فى كتب القوم بأسانيدهم عن:

١- الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام.

ص: ٣٣٥

١- ١) سيأتى الكلام فى اسم هذا الرجل.

٢-الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام.

٣-الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام.

٤-عبد الله بن العباس.

٥-حذيفه بن اليمان.

٦-سعد بن أبي وقاص.

٧-أبي هريره.

من رواه من الأعلام:

و من رواه الخبر من كبار الأئمة و أعلام القوم:

١-سفيان بن عيينه:

و هذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال النووي: «روى عنه: الأعمش، و الثوري، و سحر و ابن جريح، و شعبه، و همّام، و وكيع، و ابن المبارك، و ابن مهدي، و القطان، و حمّاد بن زيد، و قيس بن الربيع، و الحسن بن صالح، و الشافعي، و ابن وهب، و أحمد بن حنبل... و اتّفقوا على إمامته، و جلالته، و عظيم مرتبته. وُلد سفيان سنة ١٠٧، و توفّي يوم السبت غرّه رجب سنة ١٩٨» (١).

و قال الذهبي: «العلّامة الحافظ، شيخ الإسلام، كان إماماً، حجّه، و حافظاً، واسع العلم، كبير القدر» (٢).

و قال: «أحد الأعلام، ثقه، ثبت، حافظ، إمام» (٣).

٢-سفيان الثوري:

ص: ٣٣٦

١- (١) تهذيب الأسماء و اللغات ٢٢٤/١ رقم ٢١٧.

٢- (٢) تذكره الحفاظ ٢٢٤/١.

٣- (٣) الكاشف عن أسماء رجال الصحاح السّنة ٣٧٩/١.

و هذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال شعبه، و سفيان بن عيينه، و أبو عاصم النبيل، و يحيى بن معين، و غير واحدٍ من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث.

و قال سفيان بن عيينه: أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، الشعبي في زمانه، و الثوري في زمانه.

و قال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه، و الحديث و الزهد، و كل شيء.

و قال شعبه: إنَّ سفيان سادَّ الناس بالورع و العلم.

و قال الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين، و علماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تركيته، مع الإتيان و الحفظ و المعرفة و الضبط و الورع و الزهد.

و هو من رجال الصحاح الستة.

و اجتمعوا على أنه توفّي بالبصرة سنة ١٦١ (١).

٣- ابن ديزيل:

و من رواه هذا الخبر من الأعلام:

أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين الهمداني الكسائي، و يعرف بابن ديزيل، المتوفّي سنة ٢٨١.

و توجد ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/٦٠٨، الوافي بالوفيات ٥/٣٤٦، البدايه و النهايه ١١/٧١، طبقات القراء ١/١١، و غيرها... و نحن نكتفي بموجز ما جاء في سير أعلام النبلاء، حيث ترجم له الذهبي قائلاً:

«ابن ديزيل، الإمام الحافظ، الثقة، العابد، سمع بالحرمين و مصر و الشام و العراق

ص: ٣٣٧

١- (١) تهذيب الكمال ١١/١٦٤-١٦٩.

و الجبال، و جمع فأوعى. وُلد قبل المئتين بمُدَّيده، و سمع أبا نعيم، و....

حدّث عنه: أبو عوانه، و....

و كان يصوم يوماً و يفطر يوماً.

قال الحاكم: هو ثقة، مأمون.

و قال ابن خراش: صدوق اللهجه.

قلت: إليه المنتهى فى الإتقان. روى عنه أنّه قال: إذا كان كتابى بيدي و أحمد بن حنبل عن يمينى و يحيى بن معين عن شمالى، ما أبالى.

يعنى: لضبط كتبه.

قال صالح بن أحمد فى تاريخ همدان: سمعت جعفر بن أحمد يقول: سألت أبا حاتم الرازى عن ابن ديزيل، فقال: ما رأيت و لا بلغنى عنه إلاّ صدق و خير...» (١).

نقل القوم عن تفسير الثعلبى و اعتمادهم عليه:

و روى كثير من العلماء هذا الخبر عن تفسير الثعلبى مرتضين إياه و معتمدين عليه، فى مختلف الكتب، و إليك بعض عباراتهم:

قال سبط ابن الجوزى: «اتفق علماء السير أنّ قصه الغدير بعد رجوع النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من حجّه الوداع، فى الثامن عشر من ذى الحجّه، جمع الصحابه - و كانوا ١٢٠ ألفاً - قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه... الحديث. نصّ صلّى الله عليه و آله و سلّم على ذلك بصريح العبارة دون التلويح و الإشارة.

و ذكر أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره بإسناده: إنّ النبىّ لمّا قال ذلك، طار فى الأقطار، و شاع فى البلاد و الأمصار، و بلغ ذلك الحارث بن نعمان الفهرى...» (٢).

ص: ٣٣٨

١- ١) سير أعلام النبلاء ١٣/١٨٤.

٢- ٢) تذكره خواصّ الأئمة: ٣٠.

و قال السمهودى: «و روى الإمام الثعلبى فى تفسيره: إن سفيان بن عيينه رحمه الله سئل عن قول الله عزّ و جلّ: «سأل سائل بعذاب واقع» فى من نزلت؟ فقال للسائل:

سألنى عن مسأله ما سألتى عنها أحد قبلك؛ حدّثنى أبى، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه:

إنّ رسول الله لمّا كان بغدير خمّ، نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ، و قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فشاع ذلك و طار فى البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان...» (١).

و قال المناوى: بشرح «من كنت مولاه فعليّ مولاه»: «و فى تفسير الثعلبى عن ابن عيينه: إنّ النبىّ لمّا قال ذلك طار فى الآفاق، فبلغ الحارث بن النعمان، فأتى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: يا محمّد...» (٢).

و قال الزرقانى: «و فى تفسير الثعلبى عن ابن عيينه: إنّ النبىّ لمّا قال ذلك طار فى الآفاق، فبلغ الحرث بن النعمان، فأتى رسول الله فقال: يا محمّد...» (٣).

و قال ابن الصبّاغ: «و نقل الإمام أبو اسحاق الثعلبى رحمه الله فى تفسيره: إنّ سفيان بن عيينه سئل عن قول الله عزّ و جلّ: «سأل سائل بعذاب واقع» فى من نزلت؟ فقال للسائل...» (٤).

و قال الزرندى: «و نقل الإمام أبو اسحاق الثعلبى رحمه الله فى تفسيره: إنّ سفيان ابن عيينه سئل عن قول الله: «سأل سائل بعذاب واقع» فى من نزلت؟...» (٥).

روايه الحمّونى الجوينى عن الثعلبى بالإسناد:

و رواه شيخ الإسلام الحمّونى بالإسناد عن الواحدى عن الثعلبى، حيث قال:

ص: ٣٣٩

١- ١) جواهر العقدين - القسم الثانى - ٩٨/١.

٢- ٢) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ٢١٨/٦.

٣- ٣) شرح المواهب اللدّيه ١٣/٦.

٤- ٤) الفصول المهمّه فى معرفه الأئمّه: ٤٢.

٥- ٥) نظم درر السمطين فى فضائل المصطفى و المرتضى و البتول و السبطين: ٩٣.

«أخبرني الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران-بمدينه نابلس، في ما أجاز لي أن أرويّه عنه-، إجازةً عن القاضي جمال الدين عبد القاسم بن عبد الصمد الأنصاري، إجازةً عن عبد الجبار بن محمّد الخوارى البيهقي، إجازةً عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال: قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره:

إنّ سفيان بن عيينه سئل عن قوله عزّ وجلّ: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ» في مَنْ نزلت؟...» (١).

الحمّوني شيخ الذهبي:

و الحمّوني هذا من مشايخ الحافظ الذهبي، إذ ذكره في معجمه المختصّ، و ترجم له قائلاً:

«إبراهيم بن محمّد المؤيّد بن عبد الله بن عليّ بن محمّد بن حمويه، الإمام الكبير، المحدث، شيخ المشايخ، صدر الدين، أبو المجمع، الخراساني الجويني الصوفي. وُلد سنة ٦٤٤هـ، و سمع بخراسان و بغداد و الشام و الحجاز، و كان ذا اعتناء بهذا الشأن، و على يده أسلم الملك غازان. توفّي بخراسان في سنة ٧٢٢هـ.

قرأنا على أبي المجمع إبراهيم بن حمويه سنة ٦٩٥هـ...» (٢).

كلمات في الثعلبي و تفسيره:

و هذه كلمات في الثعلبي و تفسيره عن أكابر علماء القوم:

١- ابن خلّكان: «أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسّر المشهور، كان أوحد أهل زمانه في علم التفسير، و صنّف التفسير الكبير الذي

ص: ٣٤٠

١-١) فرائد السمطين ٨٢/١.

٢-٢) المعجم المختصّ: ٦٥.

فاق غيره من التفاسير...، وقال أبو القاسم القشيري: رأيت ربّ العزّه عزّ وجلّ في المنام و هو يخاطبني و أخاطبه، فكان في ذلك أن قال الربّ تعالى اسمه: أقبل الرجل الصالح.

فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل!

و ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور و أثنى عليه، و قال: هو صحيح النقل موثوق به، حدّث عن أبي طاهر ابن خزيمة و الإمام أبي بكر ابن مهران المقرئ، و كان كثير الحديث كثير الشيوخ. توفّي سنة ٤٢٧، و قال غيره: توفّي في محرّم سنة ٤٢٧، و قال غيره: توفّي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرّم سنة ٤٣٧ رحمه الله تعالى» (١).

٢- الذهبي: «و فيها توفّي أبو إسحاق الثعلبي، و كان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير و العربيّه، متين الديانه» (٢).

٣- الصفدي: «كان حافظاً، عالماً، بارعاً في العربيّه، موثقاً» (٣).

٤- الياقعي: «المفسّر المشهور، و كان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير و العربيّه و الدين و الديانه، فاق تفسير الكبير سائر التفاسير» (٤).

٥- ابن قاضي شهبه: «أخذ عنه أبو الحسن الواحدى. روى عن أبي القاسم القشيري. قال الذهبي: كان حافظاً، رأساً في التفسير و العربيّه، متين الديانه» (٥).

٦- السيوطى: «كان كبيراً إماماً، حافظاً للّغه، بارعاً في العربيّه» (٦).

ص: ٣٤١

١- (١) وفيات الأعيان ١/١٠٦.

٢- (٢) العبر في خبر من غير ٢/٢٥٥. حوادث سنة ٤٢٧.

٣- (٣) الوافى بالوفيات ٨/٣٣.

٤- (٤) مرآه الجنان ٣/٣٦. حوادث سنة ٤٢٧.

٥- (٥) طبقات الشافعيه ١/٢٠٧.

٦- (٦) بغيه الوعاة في طبقات اللغويين و النحاه ١/٣٥٦.

و قد روى الحافظ الحاكم الحسكاني هذا الخبر بأسانيد عديده، عن بعض أئمه أهل البيت عليهم السلام، و عدّه من الصحابه، فرواه قائلاً:

١- «أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، حدّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثني محمد بن سهل، حدّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصاري، حدّثنا محمد بن أيوب الواسطي، عن سفيان بن عيينه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ...».

٢- «حدّثونا عن أبي بكر السبيعي، حدّثنا أحمد بن محمد بن نصر أبو جعفر الضبعي، قال: حدّثني زيد بن إسماعيل بن سنان، حدّثنا شريح بن النعمان، حدّثنا سفيان بن عيينه، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، قال: نصب رسول الله عليّاً...».

٣- «و رواه في التفسير العتيق، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد الكوفي، قال: حدّثني نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن محمد بن جهل، قال: أقبل الحارث بن عمرو الفهري إلى النبيّ...».

«و في الباب عن: حذيفه، و سعد بن أبي وقاص، و أبي هريره، و ابن عباس.».

٤- «حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا أبو الحسن محمد بن إسماعيل الحسيني، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم.»

و أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد البغدادي، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن جعفر الشيباني، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي، حدّثنا الفضل بن دكين، حدّثنا سفيان بن سعيد، حدّثنا منصور، عن ربعي، عن حذيفه بن اليمان، قال: لمّا قال رسول الله لعليّ: من كنت مولاه فهذا مولاه؛ قام النعمان بن المنذر الفهري، فقال...».

٥- «و أخبرنا عثمان، أخبرنا فرات بن إبراهيم الكوفي، حدّثنا الحسين بن

محمد بن مصعب الجلي، حدّثنا أبو عماره محمد بن أحمد المهدي، حدّثنا محمد بن أبي معشر المدني، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريره، قال: أخذ رسول الله بعضد علي بن أبي طالب...» (١).

أقول:

و لو أردنا تصحيح كلّ هذه الأسانيد لطلال بنا المقام، لكننا نكتفي ببيان صحّحه واحدٍ منها، وهو الطريق الثاني للخبر الرابع، فنقول:

* و أمّا أبو بكر محمّد البغدادي، فقد قال الحافظ عبد الغافر النيسابوري بترجمته: «محمّد بن محمد بن عبد الله بن جعفر العطار الوراق الحنفي الحيري، أبو بكر بن أبي سعيد البغدادي، الفقيه. فاضل، دين، ظريف، قصير القامة، مليح الشمائل، حدّث عن.. توفّي سنة ٤١٦» (٢).

* و أمّا عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني النيسابوري، فقد ترجم له الخطيب البغدادي، فقال ما ملخصه:

كان له ثروه ظاهره، فأنفق أكثرها على العلم و أهل العلم و في الحجّ و الجهاد و غير ذلك من أعمال البرّ، و كان من أكثر أقرانه سماعاً للحديث، كتب الناس عنه، روى عنه:

يوسف بن عمر القوّاس، و ابن الثلاج، و إبراهيم بن مخلد بن جعفر، و أبو الحسن بن رزقويه، و غيرهم، و كان ثقة. توفّي سنة ٣٧٢ (٣).

* و أمّا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، فقد ترجم له الخطيب البغدادي كذلك، فقال:

«عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد... الأسدي القاضي. من أهل همدان. حدّث

ص: ٣٤٣

١- ١) شواهد التنزيل ٣٨١/٢-٣٨٥.

٢- ٢) السياق في تاريخ نيسابور: ٣٧.

٣- ٣) تاريخ بغداد ٣٩١/٩.

عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمداني،... و قدم بغداد و حدّث بها، فكتب عن الشيوخ القدماء، و روى عنه: الدارقطني، و حدّثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه بكتاب تفسير ورقاء و غيره، و حدّثنا عنه أيضاً أبو الحسن ابن الحمامي المقرئ، و أبو علي بن شاذان، و أحمد بن علي البادا...» (١).

و جعله الذهبي من (أعلام النبلاء) و ترجم له (٢).

و وفاته سنه ٣٥٢.

و قد ذكروا تكلم بعض معاصريه فيه بسبب روايته عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، بدعوى أنه لم يدركه، و من هنا أورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٣)، و أوضح ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان بأنّ أبا حفص بن عمر و القاسم بن أبي صالح أنكرا روايته عن إبراهيم، و قالوا: بلغنا أنّ إبراهيم قرأ كتاب التفسير قبل سنه سبعين، و ادّعى هذا- أي: عبد الرحمن بن الحسن الأسدي- أنّ مولده سنه سبعين، و بلغنا أنّ إبراهيم قلّ أن يمرّ له شيء فيعيده (٤).

أقول:

لقد كان الرجل محدثاً جليلاً يروى عنه الدارقطني و أمثاله من الأئمة النقلة المتقنين، و هذا القدر من الكلام فيه لا يضرب بوثاقته:

أمّا أولاً: فلأنّ كلام المعاصر في معاصره غير مسموع، كما نصّ عليه الذهبي و ابن حجر في غير موضعٍ من كتبهما (٥).

ص: ٣٤٤

١- ١) تاريخ بغداد ١٠/٢٩٢.

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ١٦/١٥.

٣- ٣) ميزان الاعتدال ٢/٥٦٦.

٤- ٤) لسان الميزان ٣/٤١١.

٥- ٥) من ذلك: قول الذهبي في الميزان ١/١١١: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعاب به، لا سيّما إذا لاح لك أنّه لعداوه أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلّا- من عصم الله، و ما علمت أنّ عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء و الصديقين، و لو شئت لسردت من ذلك كرايس»، و قول ابن حجر في اللسان ٥/٢٣٤: «و لا نعتد- بحمد الله- بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض».

و أما ثانياً: فلأنّ ميني هذا الكلام هو ولاده عبد الرحمن سنة ٢٧٠، و أنّ ابن ديزيل قرأ التفسير قبل هذه السنه- كما بلغ القائل-، و أنّ ابن ديزيل قلّ أن يعيد قراءه شىء.

لكن إذا كانت ولادته سنة ٢٧٠، و وفاه ابن ديزيل سنة ٢٨١- كما تقدّم-، فإنّ من الجائز أن يكون قد سمع منه ما رواه عنه، أو سمع بعضه و سمّعه أبو البعض الآخر، و إذ لا- جرح فى الرجل من ناحيه أُخرى، جاز لنا الاعتماد على خبره، مع روايه الأكابر عنه، و لا يعارض ذلك كلام بعض معاصريه فيه خاصّه إذا كان استناداً إلى «بلغنا» و «بلغنا».

* و أما إبراهيم بن الحسين الكسائي، فهو «ابن ديزيل» و قد تقدّمت ترجمته.

* و أما الفضل بن دكين، فمن رجال الصحاح السنّه. قال ابن حجر الحافظ: «ثقه، ثبت، و هو من كبار شيوخ البخارى» (١).

* و أما سفيان بن سعيد، فهو الثورى، المتقدّمه ترجمته.

* و أما منصور، فهو منصور بن المعتمر، و هو من رجال الصحاح السنّه، قال الحافظ: «ثقه ثبت، و كان لا يدلس» (٢).

* و أما ربعى، فهو ربعى بن خراش، من رجال الصحاح السنّه، قال الحافظ: «ثقه، عابد، مخضرم» (٣).

* و أما حذيفه بن اليمان، فهو الصحابى الجليل.

ص: ٣٤٥

١- ١) تقريب التهذيب ١١٠/٢.

٢- ٢) تقريب التهذيب ١٧٧/٢.

٣- ٣) تقريب التهذيب ٢٤٣/١.

ثم إن هذا الخبر من أوضح الدلائل على أن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين يوم الغدير: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، نصّ قطعي على إمامته الكبرى و ولايته العظمى من بعده بلا فصل... لأنّ هذا الكلام من النبي إن كان معناه «الحب» أو «النصرة» أو ما شابه ذلك من المعاني، لم يكن أيّ اعتراض من ذلك الأعرابي على رسول الله قائلاً: «هذا منك أو من الله؟!».

بل إنّ كلامه: «أمرتنا... وأمرتنا... ثم لم ترض بهذا، حتى رفعت بضبعي ابن عمك و فضّلته على الناس، و قلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» صريح في دلالة حديث الغدير على الإمامه و الخلافه..

و إلّا... فلما ذا هذا الاعتراض؟! و بهذه الوقاحه؟! حتى يضطرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يحلف قائلاً- و قد احمرّت عيناه:- «و الله الذي لا إله إلا هو إنّه من الله و ليس منّي»، و يكرّر ذلك ثلاثاً؟!!

و إلّا.. فلما ذا يناشد عليّ الناس بحديث الغدير؟!

و إلّا... فلما ذا يكون في نفس أبي الطفيل شيء؟!

أخرج أحمد بسند صحيح عن أبي الطفيل، قال: «جمع عليّ الناس في الرحبه، ثم قال لهم: أنشد الله كلّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسول الله يقول يوم غدير خمّ ما سمع، لما قام؛ فقام ثلاثون من الناس....»

قال: فخرجت و كأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنّي سمعت عليّاً يقول كذا و كذا! قال: فما تنكر؟! قد سمعت رسول الله يقول له ذلك» (1).

و إلّا... و إلّا... إلى غير ذلك.

ص: ٣٤٦

نعم، لو لا دلاله حديث الغدير على إمامه الأمير عليه الصلاه والسلام، لم يعترض ذاك الأعرابي على الله ورسوله، فخرج بذلك عن الإسلام، ولاقي جزاءه في دار الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى....

و لو لا- دلالته على إمامه الأمير لما تبع ابن تيمية ذاك الأعرابي الجلف الجاف، و زعم أنّ أهل المعرفة بالحديث قد اتفقوا على أنّ هذا الحديث من الكذب الموضوع.

و قد ظهر أنّ للحديث طرقاً كثيرة، بعضها صحيح و رواته كبار الأئمة و الحفاظ و الأعلام من أبناء العامة، فهو حديث معتبر مستفيض.

إنّ الأبطح بمكّه....

فإنّ هذا جهل من ابن تيمية، لأنّ الأبطح في اللغة هو: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى، كما لا يخفى على من راجع الكتب اللغويه من الصحاح و القاموس و النهايه و غيرها في مادّه «بطح»، قالوا: «و منه بطحاء مكّه».

بل ذكر السهودي في كتابه في تاريخ المدينة المنوره في بقاعها ما يسمّى بالبطحاء (1).

و أمّا أنّ سوره المعارج مكّيه، فالجواب:

أولاً: إن كونها مكّيه لا يمنع من كون بعضها مدنيّاً، حتّى الآيات الأولى، لوجود نظائر لذلك في القرآن الكريم، كما هو مذکور في كتب هذا الشأن، بل تكفي مراجعه كتب التفسير في أوائل السور، حيث يقولون مثلاً: مكّيه إلاّ كذا من أولها، أو آيه الفلانيه.

و ثانياً: إنّهُ لا- مانع من تكرّر نزول الآيه المباركه، و لهذا أيضاً نظائر في القرآن الكريم، و قد عقد له باب في كتب علوم القرآن، مثل الإتيان للحافظ السيوطي.

و أمّا أنّ الآيه «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ...» مدنيه نزلت في واقعه بدر، فالاعتراض به

ص: ٣٤٧

عجيب جداً، إذ ليس في الرواية عن سفيان بن عيينه ذكرٌ لنزول هذه الآية في قضيه غدیر خمّ، وإنّما جاء فيها أنّ الأعرابي خرج و هو يقول: اللهمّ إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء... فما هو وجه الإشكال؟!

هذا، وقد تعرّضنا للجواب عن جميع جهات كلام ابن تيمّيه في الآية في كتابنا الكبير (١).

و بقي شيء:

و هو: أنّه إذا كانت الآية «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ» من (سورة الأنفال)، و نازله في واقعه بدر، و لا علاقه لها بقضيه الأعرابي المعترض على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد واقعه غدیر خمّ، فلما ذا ذكر الحاكم النيسابوري الخبر التالي في تفسير (سورة المعارج) من كتاب التفسير من المستدرک؟!!

و هذا نصّ عبارته:

«تفسير سورة «سأل سائل». بسم الله الرحمن الرحيم: أخبرنا محمّد بن عليّ الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبيرة: «سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ * للكافرينَ ليسَ له دافعٌ * منَ اللهِ ذى المَعارجِ»: ذى الدرجات.

«سأل سائل». قال: هو النضر بن الحارث بن كلده، قال: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

واقفه الذهبي على التصحيح (٢).

ص: ٣٤٨

١- ١) نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ٣٦٤/٨-٣٨١.

٢- ٢) المستدرک على الصحيحين ٥٠٢/٢.

بل إذا رجعت إلى المستدرک فی سورة الأنفال، لا تجد الروایه هناك أصلاً....

و بما ذا یجب ابن تیمیّه و أتباعه عن هذا الذی فعله الحاکم و الذهبی و هما الإمامان الحافظان الكبیران؟!!

لا سیّما و أنّ راوی هذا الخبر الصحیح هو سفیان الثوری، و قد وقع فی طریق خبر صحیح آخر فی القضیّه- كما تقدّم بالتفصیل-، و المروی عنه هو سعید بن جبیر، و لا بُدّ و أنّه أخذ الخبر من ابن عبّاس، و هو أحد رواه خبر نزول آیه «سَأَلَ سَائِلٌ» فی قضیه غدیر خمّ... مضافاً إلى أنّ أغلب رواته من الشیعہ.

الحقیقه: إنّ هذا الخبر من جملة الأخبار الصحیحه فی نزول «سَأَلَ سَائِلٌ» فی قضیه غدیر خمّ، و یشهد بذلك کلام بعض المفسّیرین بتفسیر الآیه مع ذکر القضیّه، حیث یدکر عن ابن عبّاس أنّ السائل للعذاب بعد قضیّه غدیر خمّ هو «النصر بن الحارث بن کلده».

ففی تفسیر الخطیب الشربینی ما نصّه: «اختلف فی هذا الداعی، فقال ابن عبّاس:

هو النصر بن الحارث؛ و قیل: الحارث بن النعمان. و ذلك أنّه لَمَّا بلغه قول النبیّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه...» (١).

و فی تفسیر القرطبی: «و هو النصر بن الحارث... قال ابن عبّاس و مجاهد. و قیل:

إنّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهری، و ذلك أنّه لَمَّا بلغه...» (٢).

فذكر قولین، أحدهما مطابق لروایه الحاکم، و الآخر مطابق لروایه الثعلبی.

و عن تفسیر أبی عبیده الهروی أنّه: «جابر بن النصر بن الحارث ابن کلده» (٣).

و منهم من صحّف «الحارث بن النعمان» إلى «النعمان بن المنذر» و هو أيضاً عن

ص: ٣٤٩

١-١) تفسیر القرطبی ٢٧٨/١٨.

٢-٢) تفسیر القرطبی ٢٧٨/١٨.

٣-٣) الغدیر ٢٣٩/١.

سفيان الثوري، و بسنده صحيح (١).

و منهم من صحّفه إلى «النعمان بن الحارث» (٢).

و منهم من صحّفه إلى «الحارث بن عمرو» (٣).

و منهم من قال: «فقام إليه أعرابي» (٤).

و منهم من قال: «بعض الصحابه» (٥).

و منهم من قال غير ذلك....

و الموضوع بحاجة إلى تحقيق أكثر ليس هذا موضعه....

لكنّ الأكثر على أنّه «الحارث بن النعمان» كما في تفسير الثعلبي.

و هنا اعترض ابن تيمّيه قائلاً:

«هذا الرجل لا يُعرف في الصحابه، بل هو من جنس الأسماء التي تذكرها الطريقيه».

و هو مردود بأنّ هذا الرجل مرتدّ برّدّه على الله و الرسول، و كتب الصحابه قد اشترط أصحابها أن يذكروا فيها من مات من الصحابه على الإسلام.

و إن كان ابن تيمّيه يراه-مع ذلك-مُسلماً، فإنّ كتب الصحابه لم تستوعب كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هم على مسلكتهم يعدّون بعشرات الآلاف.

و هذا موجز الكلام حول نزول هذه الآيه في قضيه يوم غدير خمّ، و بالله التوفيق.

ص: ٣٥٠

١-١) شواهد التنزيل ٣٨٤/٢.

٢-٢) شواهد التنزيل ٣٨١/٢.

٣-٣) شواهد التنزيل ٣٨٢/٢.

٤-٤) شواهد التنزيل ٣٨٥/٢.

٥-٥) حاشيه الحفنى على الجامع الصغير ٣٨٧/٢.

قال قدس سره: «البرهان الثالث: قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدرى، قال: إنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله دعا الناس إلى عليِّ في غدِيرِ خَمٍّ، وَ أمر بما تحت الشجر من الشوك فَقَمَّ، وَ دعا عليًّا فأخذ بضبعيه فرفعهما حتَّى نظر الناس إلى بياضِ إِبْطِي رسولِ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، ثم لم يتفرَّقوا حتَّى نزلت هذه الآيه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». فقال رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: اللهُ أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمه و رضاء الربِّ برسالتى و بالولاية لعليِّ من بعدى ثم قال: من كنت مولاه فعليِّ مولاه، اللهم والِ من والاه، و عادِ من عاداه، و انصُرْ من نصره، و اخذلْ من خذله! الشرح:

قال ابن تيميّه: و الجواب من وجوه:

أحدها: إنَّ المستدلَّ عليه بيان صحَّه الحديث و مجرد عزوه إلى روايه أبي نعيم لا- تفيد الصحه باتفاق الناس: علماء السنه و الشيعة؛ فإنَّ أبا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التى هى ضعيفه، بل موضوعه، باتفاق علماء أهل الحديث: السنه و الشيعة. و هو و إن كان حافظاً كثير الحديث واسع الروايه، لكن روى، كما عاده المحدثين أمثاله يروون جميع ما فى الباب، لأجل المعرفه بذلك، و إن لا يُحتج من ذلك إلا ببعضه. و الناس فى مصنَّفاتهم: منهم من لا يروى عمَّن يعلم أنه يكذب، مثل مالك، و شُعبه، و يحيى بن سعيد، و عبد الرحمن بن مهدي، و أحمد بن حنبل؛ فإنَّ هؤلاء لا يروون عن شخص ليس بثقه عندهم، و لا يروون حديثاً يعلمون أنه عن كذاب، فلا يروون أحاديث الكذابين

الذين يُعرفون بتعمد الكذب، لكن قد يتفق فيما يروونه ما يكون صاحبه أخطأ فيه.

وقد يروى الإمام أحمد و إسحاق و غيرهما أحاديث تكون ضعيفه عندهم، لاتهم روايتها بسوء الحفظ و نحو ذلك، ليعتبر بها و يُستشهد بها، فإنه قد يكون لذلك الحديث ما يشهد له أنه محفوظ، و قد يكون له ما يشهد بأنه خطأ، و قد يكون صاحبها كذبها في الباطن، ليس مشهورا بالكذب، بل يروى كثيراً من الصدق، فيروى حديثه.

و ليس كل ما رواه الفاسق يكون كذباً، بل يجب التبين في خبره، كما قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» الآية، فيروى لتنظر سائر الشواهد:

هل تدل على الصدق أو الكذب؟

و كثير من المصنِّفين يعزّ عليه تمييز ذلك على وجهه، بل يعجز عن ذلك، فيروى ما سمعه كما سمعه، و الدُّرُكُ على غيره لا عليه، و أهل العلم ينظرون في ذلك و في رجاله و إسناده.

الوجه الثاني: أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات. و هذا يعرفه أهل العلم بالحديث، و المرجع إليهم في ذلك. و لذلك لا يوجد هذا في شيء من كتب الحديث يرجع إليها أهل العلم بالحديث.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت في الصحاح و المساند و التفسير أن هذه الآية نزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هو واقف بعرفه، و قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب:

يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك [اليوم] عيداً. فقال له عمر: و أي آية هي؟ قال: قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً» فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت، و في أي مكان نزلت. نزلت يوم عرفه بعرفه، و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف بعرفه.

و هذا مستفيض من وجوه أخر، و هو منقول في كتب المسلمين: الصحاح و المساند و الجوامع و السير و التفسير و غير ذلك.

و هذا اليوم كان قبل يوم غدیر خم بتسعه أيام؛ فإنه كان يوم الجمعة تاسع ذی الحجه، فكيف يُقال: إنها نزلت يوم الغدير؟!

الوجه الرابع: أن هذه الآيه ليس فيها دلالة على عليّ و لا إمامته بوجه من الوجوه، بل فيها إخبار الله بإكمال الدين و إتمام النعمه على المؤمنين، و رضا الإسلام ديناً.

فدعوى المدعى أن القرآن يدل على إمامته من هذا الوجه كذب ظاهر.

و إن قال: الحديث يدلّ على ذلك.

فيقال: الحديث إن كان صحيحاً، فتكون الحجه من الحديث لا من الآيه. و إن لم يكن صحيحاً، فلا حجه في هذا و لا في هذا.

فعلى التقديرين لا دلالة في الآيه على ذلك. و هذا مما يبيّن به كذب الحديث؛ فإن نزول الآيه لهذا السبب، و ليس فيها ما يدل عليه أصلاً، تناقض.

و الوجه الخامس: أن هذا اللفظ، و هو قوله: «اللهم وال والاه و عاد من عاداه، و انصر من نصره و اخذل من خذله» كذب باتفاق أهل المعرفه بالحديث.

و أما قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فلهم فيه قولان، و سنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

الوجه السادس: أن دعاء النبي صلّى الله عليه و سلّم مجاب، و هذا الدعاء ليس بمجابٍ. فعلم أنه ليس من دعاء النبي صلّى الله عليه و سلّم، فإنه من المعلوم أنه لما تولّى كان الصحابه و سائر المسلمين ثلاثه أصناف: صنف قاتلوا معه، و صنف قاتلوه، و صنف قعدوا عن هذا و هذا. و أكثر السابقين الأولين كانوا من القعود. و قد قيل: إن بعض السابقين الأولين قاتلوه. و ذكر ابن حزم أن عمّار بن ياسر قتله أبو الغاديه، و ان أبا الغاديه هذا من السابقين، ممن بايع تحت الشجره. و أولئك جميعهم قد ثبت في الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد.

ففي صحيح مسلم و غيره عن جابر، عن النبي صلّى الله عليه و سلّم أنه قال:

«لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجره».

و فى الصحيح أن غلام حاطب بن أبى بلتعنه قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال: «كذبت، إنه شهد بدرًا و الحديدية».

و حاطب هذا هو الذى كاتب المشركين بخبر النبى صلى الله عليه و سلم، و بسبب ذلك نزل: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» الآية، و كان مسيئًا إلى مماليكه، و لهذا قال مملوكه هذا القول، و كذبه النبى صلى الله عليه و سلم، و قال: «إنه شهد بدرًا و الحديدية» و فى الصحيح: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجره».

و هؤلاء فيهم ممن قاتل عليًا، كطلحه و الزبير، و إن كان قاتل عمار فيهم فهو أبلغ من غيره.

و كان الذين بايعوه تحت الشجره نحو ألف و أربعمائه، و هم الذين فتح الله عليهم خيبر، كما وعدهم الله بذلك فى سورة الفتح، و قسّمها بينهم النبى صلى الله عليه و سلم على ثمانية عشر سهمًا، لأنه كان فيهم مائتا فارس، فقسّم للفارس ثلاثة أسهم: سهمًا له، و سهمين لفرسه، فصار لأهل الخيل ستمائة سهم، و لغيرهم ألف و مائتا سهم. هذا هو الذى ثبت فى الأحاديث الصحيحة، و عليه أكثر أهل العلم، كمالك و الشافعى و أحمد و غيرهم. و قد ذهب طائفه إلى أنه أسبغهم للفارس سهمين، و أن الخيل كانت ثلاثمائة، كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب أبى حنيفة.

و أما على فلا ريب أنه قاتل معه طائفه من السابقين الأولين، كسهل بن حنيف، و عمار بن ياسر. لكن الذين لم يقاتلوا معه كانوا أفضل؛ فإن سعد ابن أبى وقاص لم يقاتل معه، و لم يكن قد بقى من الصحابه بعد على أفضل منه. و كذلك محمد بن مسلمه من الأنصار، و قد جاء فى الحديث: «أن الفتنة لا تضره» فاعتزل. و هذا مما استدل به على أن القتال كان قتال فتنة بتأويل، لم يكن من الجهاد الواجب و لا المستحب.

و عليّ - و من معه - أولى بالحق من معاويه و أصحابه، كما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنه قَالَ: «تمرق مارقه علي خير فرقه من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» فدلّ هذا الحديث علي أن علياً أولى بالحق ممن قاتله؛ فإنه هو الذي قتل الخوارج لما افترق المسلمون، فكان قوم معه و قوم عليه. ثم إن هؤلاء الذين قاتلوه لم يُخذلوا، بل ما زالوا منصورين يفتحون البلاد و يقتلون الكفار.

و في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنه قَالَ: «لا تزال طائفه من أمتي ظاهرين علي الحق، لا يضرهم من خالفهم و لا من خذلهم حتى تقوم الساعه» قال معاذ بن جبل: «و هم بالشام».

و في مسلم عن أبي هريره عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنه قَالَ: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعه» قال أحمد بن حنبل و غيره: «أهل الغرب هم أهل الشام».

و هذا كما ذكروه؛ فإن كل بلد له غرب و شرق، و الاعتبار في لفظ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بغرب مدينته، و من الفرات هو غرب المدينه، فالبيّره و نحوها علي سمت المدينه، كما أن حرّان و الرّقّه و سيميساط و نحوها علي سمت مكه. و لهذا يُقال: إن قبله هؤلاء أعدل القبل، بمعنى أنك تجعل القطب الشمالي خلف ظهرك، فتكون مستقبل الكعبه، فما كان غربي الفرات إلى آخر الأرض، و أهل الشام أو هؤلاء.

و العسكر الذين قاتلوا مع معاويه ما خُذِلوا قط، بل و لا في قتال عليّ. فكيف يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: «اللهم اخذل من خذله و انصر من نصره» [و الذين قاتلوا معه لم يُنصروا علي هؤلاء، بل الشيعة الذين تزعمون انهم مختصون بعليّ ما زالوا مخذولين مقهورين لا يُنصرون إلا مع غيرهم؛ إما مسلمين و إما كفّار، و هم يدعون أنهم أنصاره]، فأين نصر الله لم نصره؟! و هذا و غيره مما يبيّن كذب هذا الحديث [\(١\)](#).

ص: ٣٥٥

أقول: يتلخّص كلامه فى نقاط:

١-المطالبه بصحّحه الحديث و عدم كفايه العزو إلى أبى نعيم.

٢-إن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتّفاق أهل المعرفة بالموضوعات، و لهذا لا يوجد فى شىء من كتب الحديث المعتمده.

٣-إن هذه الآيه ثبت نزولها بعرفه.

٤-إن هذه الآيه ليس فيها دلالة على على و لا إمامته بوجه.

٥-لفظ:اللهم وال من والاه...كذب باتّفاق أهل المعرفة بالحديث.

٦-هذا الدعاء ليس بمجانب.

أقول:

و إنّ رواه حديث نزول هذه الآيه المباركه فى يوم الغدير-من كبار الأئمّه و الحفّاظ الأعلام من العامّه-كثيرون جدّاً، نذكر هنا بعضهم:

١-أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى، المتوفّى سنة ٣١٠.

٢-أبو الحسن علىّ بن عمر الدارقطنى المتوفّى سنة ٣٨٥.

٣-أبو حفص ابن شاهين، المتوفّى سنة ٣٨٥.

٤-أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، المتوفّى سنة ٤٠٥.

٥-أبو بكر ابن مردويه الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤١٠.

٦-أبو نعيم الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤٣٠.

٧-أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، المتوفّى سنة ٤٥٨.

٨-أبو بكر الخطيب البغدادى، المتوفّى سنة ٤٦٣.

٩-أبو الحسين ابن النقور، المتوفّى سنة ٤٧٠.

١٠-أبو سعيد السجستانى، المتوفّى سنة ٤٧٧.

١١- أبو الحسن أبو المغازلي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣.

ص: ٣٥٦

- ١٢- أبو القاسم الحاكم الحسكاني.
- ١٣- الحسن بن أحمد الحدّاد الأصفهاني، المتوفّى سنة ٥١٥.
- ١٤- أبو بكر ابن المزرفي، المتوفّى سنة ٥٢٧.
- ١٥- أبو الحسن ابن قبيس، المتوفّى سنة ٥٣٠.
- ١٦- أبو القاسم ابن السمرقندي، المتوفّى سنة ٥٣٦.
- ١٧- أبو الفتح النطنزي، المتوفّى حدود سنة ٥٥٠.
- ١٨- أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، المتوفّى سنة ٥٥٨.
- ١٩- الموقّق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفّى سنة ٥٦٨.
- ٢٠- أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفّى سنة ٥٧١.
- ٢١- أبو حامد سعد الدين الصالحاني.
- ٢٢- أبو المظفر سبط ابن الجوزي، المتوفّى سنة ٦٥٤.
- ٢٣- عبد الرزاق الرسعني، المتوفّى سنة ٦٦١.
- ٢٤- شيخ الإسلام الحمويني الجويني، المتوفّى سنة ٧٢٢.
- ٢٥- عماد الدين ابن كثير الدمشقي، المتوفّى سنة ٧٧٤.
- ٢٦- جلال الدين السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١.
- فهؤلاء أئمّه القوم و كبار حقاظهم في مختلف القرون، قد أخرجوا هذا الحديث في كتبهم، و رووه بأسانيدهم... و نحن نذكر عدّه من تلك الأسانيد و نوضّح صحتها:

١- روايه أبي نعيم الأصفهاني:

قال: «حدّثنا محمّد بن أحمد بن عليّ بن مخلد، قال: حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبه، قال: حدّثني يحيى الحماني، قال: حدّثنا قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى-رضى الله عنه-: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم

دعا الناس إلى عليّ عليه السلام في غدِير خَمٍّ، و أمر بما تحت الشجر من الشوك فقمّ، و ذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، و رضا الربّ برسالتى و بالولاية لعليّ من بعدى.

ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله.

فقال حسان بن ثابت: ائذن لى يا رسول الله أن أقول فى عليّ أبياتاً تسمعهنّ.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان فقال: يا معشر مشيخه قريش! أتبعها قولى بشهادة من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الولاية ماضيه.

ثمّ قال: يناديهم يوم الغدير نبيهم

* أمّيا «محمّد بن أحمد بن عليّ بن مخمّد» فهو المعروف بابن محرم، المتوفّى سنة ٣٥٧، من أعيان تلامذه ابن جرير الطبرى و

ملازميه:

ص: ٣٥٨

قال الدارقطني: لا بأس به (١).

و كذا قال أبو بكر البرقاني (٢).

و وصفه الذهبي بالإمام المفتي المعمر (٣).

و ربّما تُكلم فيه لوجود بعض الأحاديث المناكير في كتبه.

قلت:

لعلهم يقصدون من ذلك هذا الحديث و أمثاله من المناقب.

* و أمّا «يحيى الحمانى» فهو من رجال مسلم في صحيحه، و من مشايخ أبي حاتم و مطين و أمثالهما من كبار الأئمة.

و حكى غير واحد منهم عن يحيى بن معين قوله فيه: «صدوق ثقة» و كذا وثّقه جماعه من أعلام الجرح و التعديل، قالوا: و هؤلاء - الذين يتكلمون فيه - يحسدونه... و أيضاً: ذكروا أنّه كان لا يحبّ عثمان، و يقول عن معاويه: «كان معاويه على غير ملّة الإسلام» (٤).

* و أمّا «قيس بن الربيع» فمن رجال أبي داود و الترمذى و ابن ماجه.

قال الحافظ: «صدوق، تغير لما كبر...» (٥).

* و أمّا «أبو هارون العبدى» فهو: عماره بن جوين، من مشاهير التابعين، و من رجال البخارى فى خلق أفعال العباد، و الترمذى، و ابن ماجه، و من مشايخ الثورى و الحمّادين و غيرهم من الأئمة... و قد تكلم فيه بعضهم لتشيّعه.

قال ابن عبد البر: «كان فيه تشييع، و أهل البصره يفرطون فيمن يتشييع بين أظهرهم

ص: ٣٥٩

١-١ سير أعلام النبلاء ٦١/١٦.

٢-٢ تاريخ بغداد ٣٢١/١، شذرات الذهب ٢٦/٣.

٣-٣ سير أعلام النبلاء ٦٠/٦١.

٤-٤ راجع: تهذيب ٢١٣/١١-٢١٨.

٥-٥ تقريب التهذيب ١٢٨/٢.

لأنهم عثمانيون»، فقال ابن حجر بعد نقل هذا الكلام: «قلت: كيف لا ينسبونه إلى الكذب، وقد روى ابن عدى في الكامل عن الحسن بن سفيان، عن عبد العزيز بن سلام، عن علي بن مهران، عن بهز ابن أسد، قال: أتيت إلى أبي هارون العبدى، فقلت: أخرج إلي ما سمعت من أبي سعيد.

فأخرج لى كتاباً، فإذا فيه: حدّثنا أبو سعيد: إنّ عثمان أدخل حفرة و إنّه لكافر باللّه. قال: قلت: تقرّ بهذا؟! قال: هو كما ترى!

قال: فدفعت الكتاب في يده و قمت» (١).

و من هنا قال الحافظ في التّريب: «متروك، و منهم من كذّبه، شيعى» (٢).

لكن الرجل ليس بمتروك، فقد ورد حديثه في كتاب من كتب البخارى، و فى اثنين من الصحاح، كما إنّ رميه بالكذب قد عرف السبب فيه، و هو التشيع، و هو ليس بضائر بالوثاقه كما تقرّر عندهم فى كتب روايه الحديث.

٢- روايه الخطيب البغدادى:

قال: «أنبأنا عبد الله بن علي بن محمّد بن بشران (٣)، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، حدّثنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، حدّثنا علي بن سعيد الرملى، حدّثنا ضميره بن ربيعه القرشى، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريره، قال:

من صام يوم ثمان عشره من ذى الحجّه كتب له صيام ستين شهراً، و هو يوم غدير خمّ،

ص: ٣٦٠

١- ١) تهذيب التهذيب ٣٦١/٧-٣٦٢.

٢- ٢) تقريب التهذيب ٤٩/٢.

٣- ٣) كذا، و الصحيح: علي بن محمّد بن عبد الله بن بشران، كما ستعرف.

لَمَّا أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: أَ لَسْتُ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ؟!

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي و مولى كلّ مسلم.

فأنزل الله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ».

و من صام يوم السابع و العشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، و هو أوّل يوم نزل جبريل على محمد صلى الله عليه و سلم بالرسالة.

اشتهر هذا الحديث من روايه حبشون، و كان يقال إنّه تفرّد به.

و قد تابعه عليه أحمد بن عبد الله ابن النيرى، فرواه عن عليّ بن سعيد، أخبرنيّه الأزهرى، حدّثنا محمّد بن عبد الله ابن أخى ميمى، حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيرى -إملاء- حدّثنا عليّ بن سعيد الشامى، حدّثنا ضمّره بن ربيعه، عن ابن شوذب، عن مطر، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريره، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذى الحجة.. و ذكر مثل ما تقدّم أو نحوه» (١).

الطريق الأوّل:

* أمّا «ابن بشران»، المتوفى سنة ٤١٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه:

قال: «عليّ بن محمّد بن عبد الله بن بشران بن محمّد بن بشر بن مهران بن عبد الله. أبو الحسين الأموى المعدّل... كتبنا عنه، و كان صدوقاً ثقة ثباتاً، حسن الأخلاق، تامّ المروءه، ظاهر الديانته... و كانت وفاته... سنة ٤١٥...» (٢).

و قال الذهبي: «الشيخ العالم المعدّل المسند، أبو الحسين عليّ بن محمّد....

روى شيئاً كثيراً على سدادٍ و صدق و صحّحه روايه، كان عدلاً وقوراً...» (٣).

ص: ٣٤١

١- (١) تاريخ بغداد ٢٩٠/٨.

٢- (٢) تاريخ بغداد ٩٨/١٢.

٣- (٣) سير أعلام النبلاء ٣١١/١٧.

* وأما «علي بن عمر الحافظ» فهو الدار قطنى، المتوفى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيح وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر و المعرفة بعلم الحديث و أسماء الرجال و أحوال الرواه، مع الصدق و الأمانه و الفقه و العدالة و قبول الشهاده و صحه الاعتقاد و سلامه المذهب....

سمعت القاضي أبا الطيب الطبرى يقول: كان الدار قطنى أمير المؤمنين فى الحديث...» (١).

و قال ابن الجوزى: «قد اجتمع له مع علم الحديث و المعرفة بالقراءات و النحو و الفقه و الشعر، مع الإطاعه و العدالة و صحه العقيده» (٢).

و قال الذهبي: «الدارقطنى الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذه... كان من بحور العلم و من أئمه الدنيا، انتهى إليه الحفظ و معرفه علل الحديث و رجاله...» (٣).

* وأما «أبو نصر حبشون» و رجال السند إلى آخره، فسيأتى الكلام عليهم عند البحث مع ابن كثير....

الطريق الثانى:

* أما «الأزهرى»، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد البغدادى، المتوفى سنة ٤٣٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه:

قال: «كان أحد المعتمدين بالحديث و الجامعين له، مع صدق و استقامه و دوام تلاوه، سمعنا منه المصنّفات الكبار، و كمل الثمانين، و مات فى صفر سنة ٤٣٥» (٤).

* وأما «محمد بن عبد الله بن أخى ميمى»، الدقاق، المتوفى سنة ٣٩٠:

ص: ٣٦٢

١-١) تاريخ بغداد ٣٤/١٢.

٢-٢) المنتظم ٣٨٠/١٤.

٣-٣) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦.

٤-٤) تاريخ بغداد ٣٨٥/١٠.

قال الخطيب: «كان ثقه مأموناً، دِيناً فاضلاً» (١).

و قال الذهبي: «الشيخ الصدوق المسند... أحد الثقات...» (٢).

* و أمّا «أحمد بن عبد الله، المعروف بابن النيرى»، المتوفى سنة ٣٢٠:

قال الخطيب: «ثقه» (٣).

و قال ابن كثير: «صدوق» (٤).

* و أمّا «علي بن سعيد الشامي» و بقيه رجال السند، فسيأتي الكلام عليهم.

تنبيه:

لا- يخفى أنّ الخطيب البغدادي لم يتكلّم على سند هذا الحديث، بل سياق كلامه -حين سكت عن الطعن فيه بشيء، بل ذكر المتابعه- اعتقاده بصحّته، و تأكّده على ذلك.

و الخطيب البغدادي قال الذهبي بترجمته: «الخطيب، الإمام الأوحّد، العلامه المفتى، الحافظ الناقد، محدّث الوقت، و خاتمه الحفاظ... كتب الكثير، و تقدّم في هذا الشأن، و بدّد الأقران، و جمع و صنّف، و صحّح و علّل، و جرح و عدّل، و أرّخ و أوضح، و صار أحفظ أهل عصره على الإطلاق...» ثمّ ذكر كلمات الأئمّه في مدحه و إطرائه و الثناء الجميل عليه بما يطول ذكره (٥).

٣- روايه ابن عساكر:

رواه بطرق، فأخرج بسنده عن أبي بكر الخطيب، كما تقدّم عن تاريخ بغداد حرفاً بحرف... ثمّ قال:

ص: ٣٦٣

١- ١) تاريخ بغداد ٤٦٩/٥.

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ٢٥٦/١٦.

٣- ٣) البدايه و النهايه ٢١٤/٤.

٤- ٤) البدايه و النهايه ٢١٤/٤.

٥- ٥) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨-٢٩٧.

«أخبرناه عالياً أبو بكر ابن المزرفي، أنبأنا أبو الحسين ابن المهتدي، أنبأنا عمر بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن أحمد، أنبأنا علي بن سعيد الرقي، أنبأنا ضميره، عن ابن شاذب، عن مطر الوزاق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريره...».

قال: «و أخبرناه أبو القاسم ابن السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين ابن النصور، أنبأنا محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيري...» (١).

الطريق الأول:

* أمّا «أبو بكر ابن المزرفي»، المتوفى سنة ٥٢٧:

قال ابن الجوزي: «سمعت منه الحديث، و كان ثقة ثبناً عالماً، حسن العقيدة» (٢).

و قال الذهبي: «كان ثقة متقناً» (٣).

* و أمّا «أبو الحسين ابن المهتدي»، المتوفى سنة ٤٦٥:

قال الخطيب: «كان ثقة نبياً».

و قال السمعاني: «كان ثقة حجّه، نبياً، مكثراً».

و قال أبي النرسي: «كان ثقة يقرأ للناس».

و قال الذهبي: «الإمام العالم الخطيب، المحدث، الحجّه، مسند العراق، أبو الحسين محمد بن علي بن محمد... سيّد بني هاشم في عصره...» (٤).

* و أمّا «عمر بن أحمد»، فهو ابن شاهين، المتوفى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان ثقة أميناً».

ص: ٣٦٤

١- (١) تاريخ دمشق ٢٣٢/٤٢-٢٣٤.

٢- (٢) المنتظم ٢٨١/١٧.

٣- (٣) سير أعلام النبلاء ٦٣١/١٩.

٤- (٤) هذه الكلمات كلّها في سير أعلام النبلاء ٢٤١/١٨.

و قال ابن ماكولا: «هو ثقة الأمين».

و قال حمزه السهمي عن الدار قطني: «هو ثقة».

و قال أبو الوليد الباجي: «هو ثقة».

و قال الأزهرى: «كان ثقة».

و قال الذهبي: «ابن شاهين الشيخ الصدوق، الحافظ، العالم، شيخ العراق، و صاحب التفسير الكبير، أبو حفص عمر بن أحمد...» (١).

* و أمّا «أحمد بن عبد الله بن أحمد»، فهو ابن النيرى المتقدم.

* و أمّا سائر رجال السند فسيأتى الكلام عليهم.

الطريق الثانى:

* أمّا «أبو القاسم ابن السمرقندى»، المتوفى سنة ٥٣٦:

قال ابن عساكر: «كان ثقة كثيراً».

و قال السلفى: «هو ثقة».

و قال الذهبي: «الشيخ الإمام، المحدث، المفيد، المسند، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد...» (٢).

* و أمّا «أبو الحسين ابن النقور»، المتوفى سنة ٤٧٠:

قال الخطيب: «كان صدوقاً».

و قال ابن خيرون: «ثقة».

و قال الذهبي: «ابن النقور، الشيخ الجليل الصدوق، مسند العراق، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور

البغدادي البزاز...» (٣).

ص: ٣٦٥

١- ١) هذه الكلمات كلها فى سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٦.

٢- ٢) هذه الكلمات كلها فى سير أعلام النبلاء ٢٨/٢٠.

٣- ٣) هذه الكلمات كلها فى سير أعلام النبلاء ٣٧٢/١٨.

* وأما «محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق»، فهو ابن أخى ميمى المتقدم.

* وأما «أحمد بن عبد الله... ابن النيرى» فقد تقدم أيضاً.

* وأما سائر رجال السند فسيأتى الكلام عليهم.

فظهر إلى الآن وجود الحديث فى الكتب المشتهره عند القوم، وروايتهم له بالأسانيد، وبعضها معتبر يقيناً.

فما ذكره ابن تيميه جهلاً أو تعصب.

و أما تلميذه ابن كثير الدمشقى فقد زاد ضعفاً على إباله، فقال:

«فأما الحديث الذى رواه ضميره، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريره، قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على قال: من كنت مولاه فعلى مولاه؛ فأُنزل الله عزّ وجلّ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي». قال أبو هريره: هو يوم غدیر خم، من صام يوم ثمان عشره من ذى الحجه كتب له صيام ستين شهراً.

فإنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنّ هذه الآية نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بها كما قدمنا.

و كذا قوله: إن صيام يوم الثامن عشر من ذى الحجه، وهو يوم غدیر خم، يعدل صيام ستين شهراً؛ لا يصح؛ لأنه قد ثبت ما معناه فى الصحيح أنّ صيام شهر رمضان بعشره أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟! منكر باطل.

و قد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى -بعد إيراد هذا الحديث- هذا حديث منكر جداً.

و رواه حبشون الخلال و أحمد بن عبد الله بن أحمد النيرى -و هما صدوقان- عن على بن سعيد الرملى، عن ضميره.

قال: و يروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، و مالك بن الحويرث، و أنس بن مالك، و أبي سعيد، و غيرهم، بأسانيد واهيه.

قال: و صدر الحديث متواتراً، أتيقن أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ قاله.

و أمّا: اللهمّ وال من والاه؛ فزياده قويّه الإسناد.

و أمّا هذا الصوم فليس بصحيح.

و لا و الله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفه قبل غدير خمّ بأيّام. و الله تعالى أعلم» (١).

أقول:

أولاً: هذا الحديث قد عرفت رواته و ثقته رجاله، و بقى منهم:

*علّي بن سعيد الرملي، و قد نصّ الذهبي على ثقته و أنّه لم يتكلم فيه أحد، فقد قال:

«ما علمت به بأساً، و لا رأيت أحداً إلى الآن تكلم فيه، و هو صالح الأمر، و لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستّه مع ثقته»

(٢).

و قال الحافظ ابن حجر متعباً له: «و إذا كان ثقّه و لم يتكلم فيه أحد فكيف تذكره في الضعفاء... قال البخاري: مات سنه ٢١٦»

(٣).

*ضمرة بن ربيعة، المتوفّى سنه ٢٠٢، و هو من رجال البخاري في الأدب المفرد، و الأربعة:

«قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: رجل صالح، صالح الحديث، من الثقات المأمونين، لم يكن بالشام رجل يشبهه، و هو أحبُّ إلينا

من بقيه، بقيه كان لا يبالي عن من حدّث.

ص: ٣٦٧

١- ١) البدايه و النهايه ٢١٣/٥-٢١٤.

٢- ٢) ميزان الاعتدال ١٢٥/٤.

٣- ٣) لسان الميزان ٢٢٧/٤.

و قال عثمان بن سعيد الدارمى، عن يحيى بن معين، و النسائى: ثقّه.

و قال أبو حاتم: صالح.

و قال محمّد بن سعد: كان ثقّه مأموناً خيراً، لم يكن هناك أفضل منه» (١).

*عبد الله بن شوذب، المتوفى سنة ١٥٦، و هو من رجال أبى داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه:

قال الذهبى: «وثقه جماعه، كان إذا رُئى ذُكرت الملائكه» (٢).

و قال ابن حجر: «صدوق عابد» (٣).

و قال أيضاً: «قال سفيان: كان ابن شوذب من ثقات مشايخنا.

و قال ابن معين و ابن عمّار و النسائى: ثقّه.

و قال أبو حاتم: لا بأس به.

و ذكره ابن حبان فى الثقات...» (٤).

*مطر الوراق، المتوفى سنة ١٢٩، و يكفى كونه من رجال البخارى فى باب التجاره فى البحر من الجامع، و من رجال مسلم و الأربعة (٥).

*شهر بن حوشب، المتوفى سنة ١١٢ أو ١١١ أو ١٠٠ أو ٩٨، و هو من رجال البخارى فى الأدب المفرد، و مسلم، و الأربعة. و هذا كاف فى ثقته (٦).

و ثانياً: اعتراف الحافظ الذهبى بتواتر صدر الحديث، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» و كذا بقوه سند قوله صلى الله عليه و آله و سلم:

ص: ٣٦٨

١- (١) تهذيب الكمال ٣١٩/١٣-٣٢٠، و لاحظ سائر الكلمات فى هامشه.

٢- (٢) الكاشف ٣٥٦/١.

٣- (٣) تقريب التهذيب ٤٢٣/١.

٤- (٤) تهذيب التهذيب ٢٥٥/٥-٢٦١.

٥- (٥) تهذيب الكمال ٥٥١/٢٨، تقريب التهذيب ٢٥٢/٢.

٦- (٦) تهذيب الكمال ٥٧٨/١٢، تقريب التهذيب ٣٥٥/١.

«اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْإِلَهِ» و تقرير ابن كثير و قبوله له، رُدُّ لتشكيكات المبطلين، و مكابرات الضالين، فالحمد لله الذى أجرى الحق على لسانيهما....

و ثالثاً: حكمه بالبطلان على روايه صيام الثامن عشر من ذى الحجة، و هو يوم غدیر خم؛ هو الباطل، و قد أجبننا عنه بالتفصيل فى كتابنا الكبير (1).

و يبقى الكلام حول دعوى مخالفه الحديث لما فى الصحيحين، و ستتعرض له فى الرد على كلام ابن كثير الآتى:

و قال ابن كثير فى تفسيره: «و قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم...» ثم روى أحاديث و أقوالاً، منها:

«قال أسباط، عن السدى، نزلت هذه الآية يوم عرفه، و لم ينزل بعدها حلال و لا حرام، و رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم فمات.»

«و قال ابن جرير و غير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد يوم عرفه بأحد و ثمانين يوماً.»

«و قال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب... فقال عمر: و الله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله، و الساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، عشيه عرفه فى يوم جمعه.»

و رواه البخارى... و رواه أيضاً مسلم و الترمذى و النسائى أيضاً من طرق عن قيسى بن مسلم، به.

و لفظ البخارى عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثورى عن قيس، عن

ص: ٣٦٩

طارق، قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لآت/ذناها عيداً. فقال عمر: إنني لأعلم حين أنزلت؟ و أين أنزلت؟ و أين رسول الله حيث أنزلت، يوم عرفه، و أنا- و الله- بعرفه.

قال سفيان: و أشكُّ كان يوم الجمعة أم لا».

«و قال ابن مردويه: حدّثنا أحمد بن كامل، حدّثنا موسى بن هارون، حدّثنا يحيى الحماني، حدّثنا قيس بن الربيع، عن إسماعيل بن سليمان، عن أبي عمر البزار، عن أبي (1) الحنفية، عن عليّ، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هو قائم عشيه عرفه «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ».

«فأما ما رواه ابن جرير و ابن مردويه و الطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبد الله الصغاني، عن ابن عباس، قال:

ولد نبيكم يوم الاثنين، و خرج من مكه يوم الاثنين، و دخل المدينة يوم الاثنين، و فتح بداراً يوم الاثنين، و أنزلت سورة المائدة يوم الاثنين «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، و رفع الذكر يوم الاثنين.

فإنه أثر غريب و إسناده ضعيف».

«و قال ابن جرير: و قد قيل: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس.

ثم روى من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» يقول: ليس بيوم معلوم عند الناس.

قال: و قد قيل: إنها نزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مسيره إلى حجه الوداع. ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس».

«قلت: و قد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد

ص: ٣٧٠

الخدري، أنها نزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم غدِير خَمَّ حين قال لِعَلِيِّ: «من كنت مولاه فعَلِيٌّ مولاه». ثم رواه عن أبي هريره وفيه: إنه اليوم الثامن عشر من ذِي الْحِجَّةِ، يعني مرجعه عليه السلام من حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

و لا يَصَحُّ لا هذا ولا هذا.

بل الصواب الذي لا شكَّ فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفه، وكان يوم جمعه، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! و عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، و ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، و مسره بن جندب. و أرسله الشعبي، و قتاده بن دعامة، و شهر بن حوشب، و غير واحدٍ من الأئمة و العلماء، و اختاره ابن جرير الطبري رحمه الله» (١).

أقول:

أولاً: إذا كان لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، فكيف جاءت الآية وسط أحكام لا علاقة لها بها، و بعدها حلال و حرام؟! إنَّ وضعها في هذا الموضع تمهيداً لأن يضع الوضّاعون -بعد ذلك- الأحاديث المختلقة في شأن نزول الآية المباركة؛ حتى تضيع الحقيقة.

و ثانياً: إذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد توفّي بعد يوم عرفه بأحد و ثمانين يوماً، و ذلك في الثاني عشر من ربيع الأول كما يقولون، فإنَّ ذلك يتناسب مع نزول الآية يوم غدِير خَمَّ الثامن عشر من ذِي الْحِجَّةِ لا يوم عرفه التاسع منه!

و ثالثاً: هل نزلت الآية يوم عرفه؟! يوم جمعه؟!

في روايه عن عمر: «عشيّه عرفه يوم الجمعة».

و في روايه أُخرى عنه، قال سفيان: «أشكُّ كان يوم جمعه أم لا».

ص: ٣٧١

و فى روايه عن عليّ -لو صحّت-: «عشيّه عرفه» فقط.

و فى روايه عن ابن عباس: «يوم الاثنين» بلا ذكر لـ «يوم عرفه».

و فى روايه عن ابن عباس أيضاً: «ليس بيوم معلوم عند الناس» فلا عرفه، و لا جمعه!

و فى روايه عن أنس بن مالك: «فى مسيره إلى حجّه الوداع» فلا عرفه، و لا جمعه، كذلك.

و فى روايه عن أبى سعيد الخدرى و أبى هريره: «اليوم الثامن عشر من ذى الحجّه» يوم غدير خمّ.

و فى روايه أخرى عند البيهقى: «أنّها نزلت يوم الترويه» (١).

و فى روايه النسائى، عن طارق بن شهاب، عن عمر-و هو سند البخارى نفسه-:

«قال عمر: قد علمت اليوم الذى أنزلت فيه و الليله التى أنزلت، ليله الجمعة، و نحن مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بعرفات» (٢).

فالأحاديث متعارضه..

و حتّى التى عن عمر بن الخطّاب!!

فالحقّ:

هو ما قاله أئمّه أهل البيت عليهم السّلام، و رواه كبار الحفاظ و أعلام العلماء من أهل السّنيّه عن عدّه من الصحابه، من أنّها إنّما نزلت يوم غدير خمّ، بعد ما خطب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم خطبته التى قال فيها ما شاء الله أن يقول، و جاء فيها-بعد أن أخذ بيد عليّ أمير المؤمنين: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه...».

ص: ٣٧٢

١-١ فتح البارى ٢١٨/٨.

٢-٢ سنن النسائى ٢٥١/٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

